

۶۷

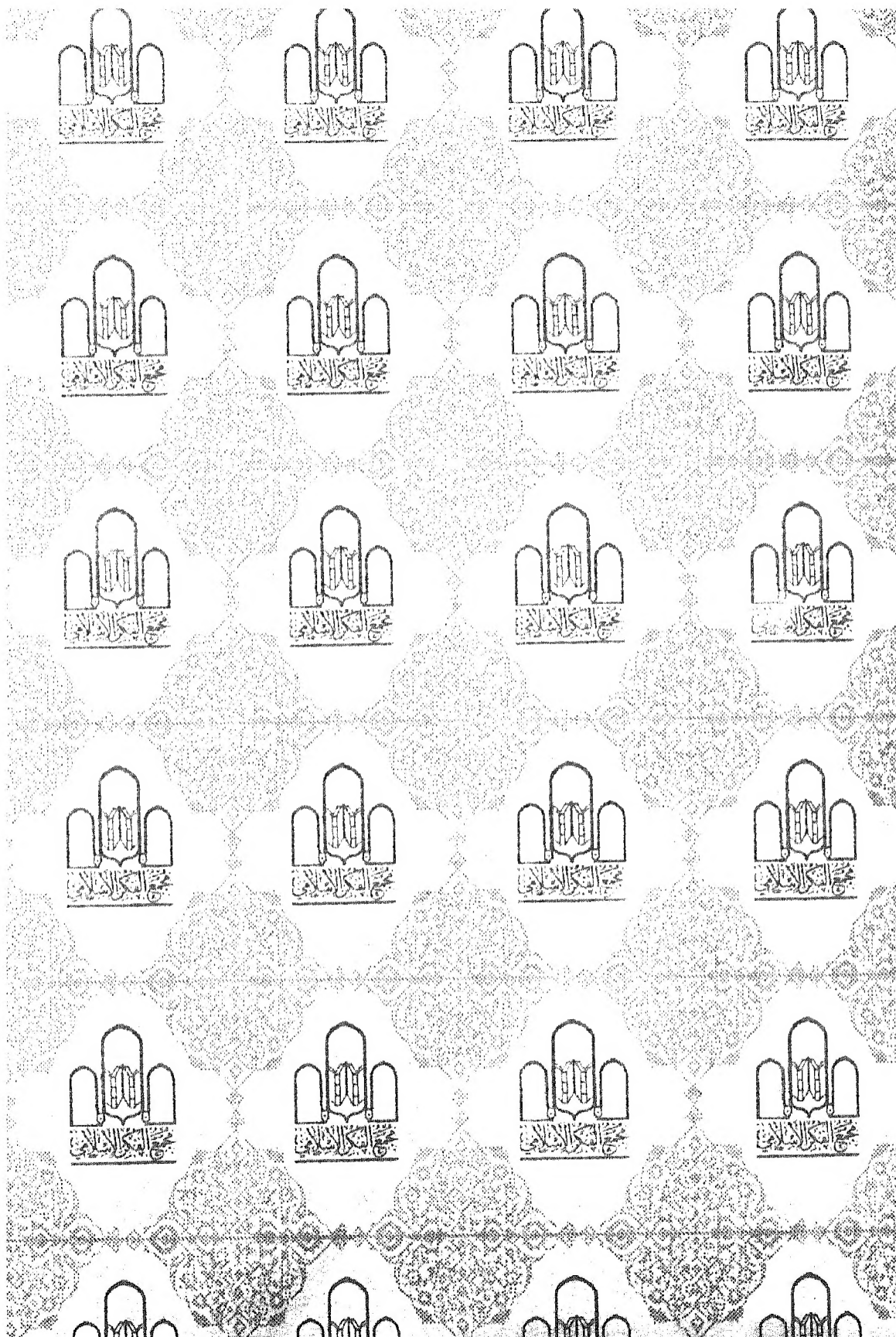
کتابخانه ملی و اسناد ایران

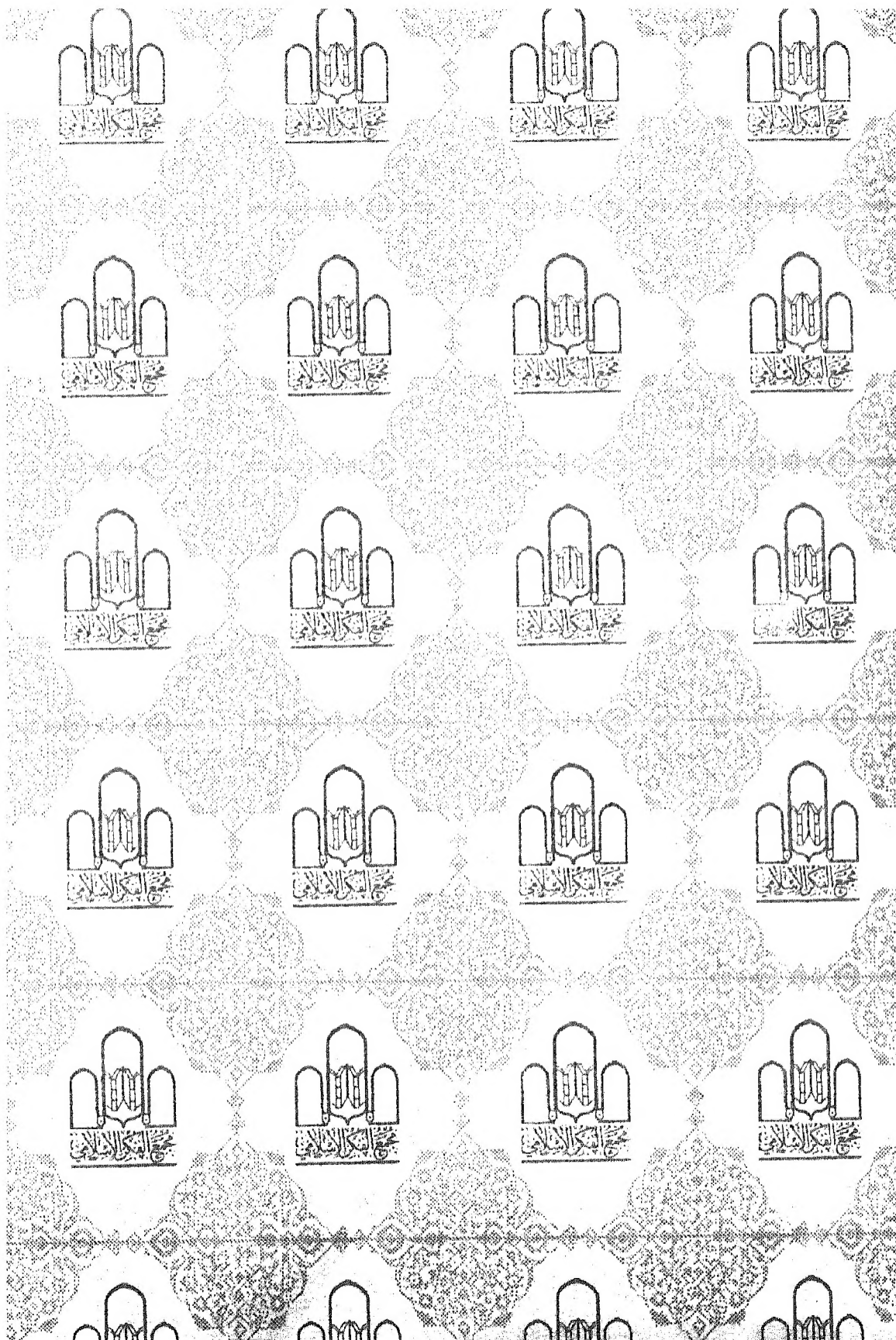
کتابخانه مرکزی

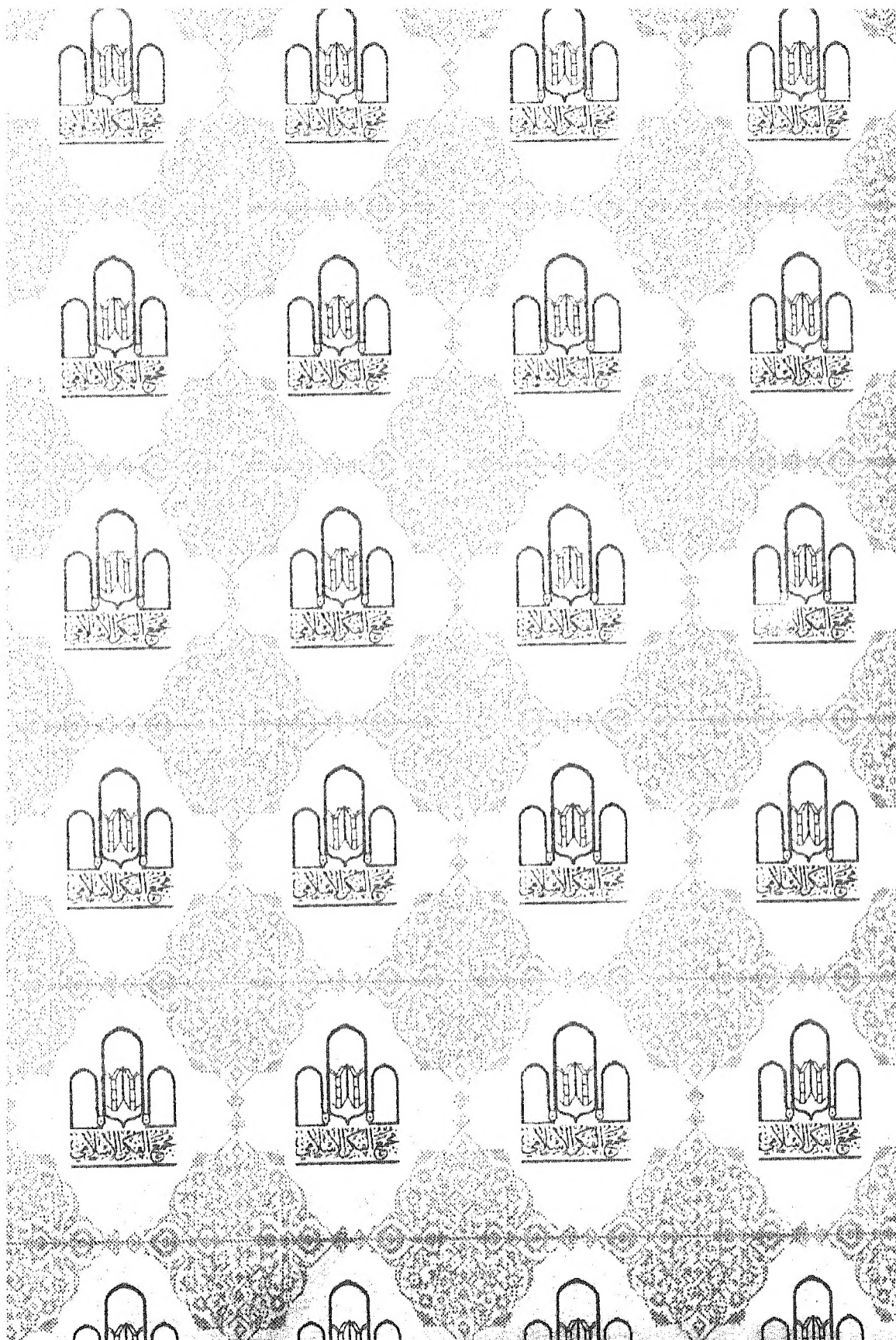
کتابخانه

کتابخانه

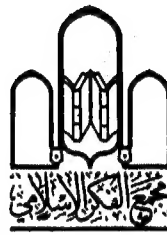
کتابخانه مرکزی







موسمنا التاريخ الإسلامي



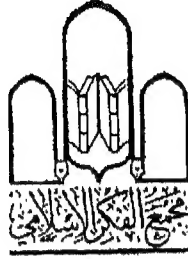
موسم النبوة والتاريخ الإسلامي

العصر النبوي - العهد الإسلامي

الجزء الأول

تأليف

الشيخ محمد هادي يوسف الغروي



قم - ص. ب ٣٦٥٤ / ٣٧١٨٥

الهاتف : ٧٣٧١١٧

الكتاب :	موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١
المؤلف :	الشيخ محمد هادي اليوسفي الغروي
الناشر :	مجمع الفكر الإسلامي
الطبعة :	الاولى / ربيع الثاني ١٤١٧ هـ. ق
تنضيد الحروف :	مجمع الفكر الإسلامي
الليتوغراف :	نغارش - قم
المطبعة :	مؤسسة الهادي - قم
الكمية :	٣٠٠٠ نسخة

جميع الحقوق محفوظة لمجمع الفكر الإسلامي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المجمع

يعتبر التأريخ الإسلامي مصدراً مهماً من مصادر المعرفة الإسلامية باعتبارين .

الأول: ان التأريخ -بشكل عام- ترجمة حقيقية وتعبير واقعي عن الأفكار والآراء والمفاهيم التي تبناها الإنسان على مدى التأريخ فجسّدها في سلوكه ونشاطه .

والثاني: ان التأريخ مجموعة تجارب ودروس وعبر كلّفت البشرية ضحايا هائلة وطاقات ضخمة، لذلك كان جديراً بإمعان النظر فيه وبذل الجهود الحثيثة لتحليل أحداثه والاهتداء إلى سننه لكي تتوضح للبشرية الحقائق التي ترسم لها خطي السعادة والشقاء .

وتجلّت في التأريخ الإسلامي عظمة الإسلام وشموخه وحيويته، فكان مصدراً من مصادر فهم السيرة النبوية فضلاً عن قدرته على التعبير عن التجربة الأولى للإسلام القادر على صنع الإنسان الأمثل والمجتمع الأمثل، ولهذا فهو جدير بالدراسة العلمية الموضوعية المعمقة .

وتتمثل المهمة الأولى لكل باحث في التاريخ الإسلامي في البحث عن المادة الأساسية للتحليل التاريخي بعد ان كان التاريخ بشكل عام والتاريخ الإسلامي بشكل خاص عرضة للإهمال والتحريف بدءاً بمشكلة المنع من تدوين الأحاديث والسنة النبوية الشريفة التي تشكّل البنية الأساسية للتجربة الإسلامية الفريدة وانتهاءً بإخضاع المؤرخين ونتائجهم لأهواء الحكّام علاوة على المتاجرة بكل ما يمكن نسبته إلى رسول الإسلام ﷺ وصحابته الكرام من قبل الرواة والمحدثين غير الورعين . فكم من حوادث مهمّة لم تدوّن أو دُوّنت مختزلة بحجّة الاختصار أو لاستلزامها الطعن ببعض الحكّام من صحابة وتابعين، فأدّت إلى تزييف الحقائق التاريخية وتشويهها بما لا يتناسب وعظمة تأريخنا الإسلامي الوضاء .

ومن هنا كان على الباحث الموضوعي والمؤرخ المحقق أن يقوم قبل كل شيء بنقد موضوعي لكل ما جاء في كتب التاريخ والحديث والتراجم والرجال والتفسير بعد عرضه على العقل السليم ونصوص القرآن الكريم ومحكمات السنة النبوية الشريفة، وهذا ما قام به المحقق المتضلّع فضيلة الشيخ محمّد هادي اليوسفي الغروي في كتابه هذا (موسوعة التاريخ الإسلامي). إذ اعتمد على التتبع اللازم في المصادر الأصلية التي تحتوي على حوادث تاريخية ترتبط بموضوع بحثه، ثم عرضها على القرآن الكريم وأصول السنة الشريفة والعقل السليم، وقد حاول من خلال بحوثه تنفيذ ما أورده المستشرقون ومن حذا حذوهم في تشويه معالم الصورة الإسلامية الناصعة، وتقديم الصورة الأقرب إلى الواقع عن الإسلام من خلال تأريخه المجيد . وهذه هي الحلقة الأولى من هذه الموسوعة وتختص بالعهد المكي من العصر النبوي بدءاً بحوادث السنة الأولى للهجرة وسوف يستمر البحث في

كلمة المجمع ٩

الحلقات الآتية - إن شاء الله تعالى - عن تأريخ الرسول الأكرم وأهل بيته الطاهرين .

ونحن إذ نبارك له جهده المشكور، نتمنى له التوفيق في مواصلة هذا النشاط المبارك . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

قسم التأريخ

في

مجمع الفكر الإسلامي

١٣٧٣/٩/٨

تقديم

كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام

التأريخ قبل الإسلام:

لم يكن للناس قبل الإسلام مادة للتأريخ، اللهم إلا ما توارثوه بالرواية، مما كان شائعاً بينهم من أخبار آبائهم وأجدادهم وأنسابهم وشعوبهم وقبائلهم وملوكهم، وما في حياة أولئك من قصص فيها البطولة والكرم والوفاء، وما كان من خبر الأسر التي تناوبت الإمرة على الناس وما قاموا به من تجهيز الجيوش وإقامة الحروب وبناء المدن والقصور، إلى أمثال ذلك، مما قامت فيه الذاكرة مقام الكتاب واللسان مقام القلم، يعي الناس منه ويحفظون ثم يؤدونها كما هي أو بإضافة أو نقيصة، وكثيراً ما كان بإضافات وتحريفات.

كان هذا عند الفرس المجوس، واليهود الإسرائيليين، والعرب الجاهليين المشركين، واختص هؤلاء بأخبار الجاهلية الأولى و أنسابها، وما فيها من قصص عن البيت وزمزم وجُرهم، وما كان من أمرها، ثم ما كان من خبر الأسر التي تناوبت الزعامة والإمرة على قريش، وما جرى قبل

ذلك لسد مأرب في اليمن، وماتبعه من تفرّق الناس في البلاد.

التأريخ بعد الإسلام:

ثمّ ظهرت الرسالة المحمّدية بصفاتها أعظم حادث في حياة البشر عامّة والعرب خاصّة، فكان محور تأريخ البشر عامّة والعرب خاصّة، فما اجتمع ملائمتهم أو تفرّق إلاّ وحديثهم عنه، ولا تحركت جيوشهم وكتائبهم إلاّ له أو عليه، حتّى تتوجّه جهوده بمعنى قوله سبحانه ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحَ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ فنبذوا ما كانوا فيه من الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء بهداية القرآن والإسلام.

ويوميذ وبظهور النبي ﷺ وظهور دعوته، ظهر مورد جديد للتأريخ، وهي أحاديث الصحابة والتابعين وأهل بيته عليه السلام عن ولادته وحياته، وما قام به ﷺ من جهاد وجهود في سبيل الله، واصطدام في ذلك مع المشركين، ودعوة إلى التوحيد، وما كان فيها من أثر للسيف والسنان واللسان والبيان، وأصبحت هذه هي موادّ التأريخ الجديد بصورة عامّة وسيرة الرسول بصورة خاصّة.

تدوين السيرة النبويّة وتأريخ الإسلام:

ولم يدوّن في تأريخ الإسلام أو في سيرته ﷺ شيء، حتّى مضت أيام الخلفاء، لم يدوّن في هذه المدة شيء سوى القرآن الكريم وتقويم إعرابه بمبادئ وقواعد النحو على يد أبي الأسود الدؤلي بإملاء أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب عليه السلام، وقد كان رسول الله ﷺ يحفّز المسلمين على كتابة القرآن حرصاً على حفظه وصيانتها، كما إنّ تفشي العجمة على ألسنة أبناء

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ١٥

العرب على أثر اختلاطهم بغيرهم عند اتساع الرقعة الإسلامية دفعت أبا الأسود الدؤلي إلى عرض ذلك على علي عليه السلام فكان ذلك حافزاً على تدوين النحو.

وبهذا الاختلاط أيضاً تفتشت فيهم أخبار الماضين من ملوك الفرس وبني إسرائيل، فلما كانت أيام معاوية أحب أن يدون في التاريخ القديم كتاب فاستقدم عبيد بن شربة من صنعاء اليمن فكتب له كتاب أخبار الماضين من ملوك اليمن من العرب البائدة وغيرهم ومنهم الفرس والحبشة. وقد كان المسلمون يحبون أن يخلدوا آثار ما يتعلق بسيرة الرسول ﷺ، وقد كان هذا يحقق ما في نفوسهم من تعلق به - عليه الصلاة والسلام -، ولكنهم - ببالغ الأسف - منعوا عن تدوين أحاديثه مخافة أن يختلط الحديث بالقرآن الكريم - كما زعموا -، بل منعوا حتى عن التحديث بحديثه، حاشا أمير المؤمنين علياً عليه السلام، فإنه لم يشارك في هذا المنع ولم يؤيده، بل كما أملى النحو على كاتبه أبي الأسود الدؤلي كتب هو أيضاً بعض الكتب في الفقه والحديث، وأمر كاتبه الراتب عبيد الله بن أبي رافع أن يكتب المهم من أقضيته، وأحكامه في فنون الفقه من الوضوء والصلاة وسائر الأبواب^(١).

وبهذا الموقف من أمير المؤمنين عليه السلام، وبفعل حاجة المسلمين إلى أحاديث نبيهم ظهر فيهم غير واحد من حملة الأحاديث العلماء الفقهاء، ولكن حيث استمر هذا المنع رسمياً من قبل الخلفاء بعد علي وابنه الحسن عليه السلام إلى أيام عمر بن عبد العزيز، قام رجال كلهم محدثون. لم

(١) أنظر رجال النجاشي : ٤ - ٧، ط . النشر الإسلامي .

١٦ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

يدوّنوا في الحديث والفقه شيئاً ، ولكنهم عوّضوا عن كتابة أحاديثه بكتابة شيء من سيرته ﷺ .

أصول السيرة النبويّة وتطوّرها في القرنين الأول والثاني:

لا شك في الأهمية الكبرى التي كانت لأقوال النبي ﷺ وأعماله في حياته، وأكثر منها بعد وفاته .

ومن الطبيعي أن تورث هذه الأهمية عناية بتدوين تفاصيل حياته وجمع الأخبار والأحاديث عنه ﷺ .

وطبيعي أيضاً أن تكون القصص الشعبية عن سيرته موجودة في حياته معتنى بها - كحال الناس في العناية بقصص الأنبياء من قبل - .
وطبيعي أيضاً أن يكون بعض الصحابة والتابعين قد تفوّق على أقرانه في علمه بسيرته و مغازيه .

كتّاب السيرة الأوائل:

إنّ أوّل من صنّف في السيرة هو عُروة بن الزبير بن العوّام (ت ٩٢هـ) .

وذكر ابن سعد في كتابه «الطبقات» مايفيد : أنّ أوّل من تخصّص فيها هو أبان بن عثمان بن عفّان (ت ١٠٥هـ) ، روى بعضها عنه المغيرة بن عبد الرحمن .

ثم تنبّه إلى جمع أخبارها والتحديث بها وهب بن منبه اليمني (ت ١١٠هـ) .

ثمّ عاصم بن عمر بن قتادة (ت ١٢٠هـ) الذي يروي عنه ابن

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ١٧

إسحاق بعض أخبار سيرته كخبره عن دعاء النبي للاستسقاء في طريق تبوك، وكثرة النفاق.

ثمَّ شرحبيل بن سعد الشامي (ت ١٢٣ هـ).

ثمَّ عبد الله بن أبي بكر بن حزم القاضي (ت ١٣٥ هـ) الذي طلب منه عمر بن عبد العزيز أن يكتب إليه ما عنده من الأحاديث فنشرها بين الناس.

ثمَّ موسى بن عُبَبة (ت ١٤١ هـ).

ثمَّ معمر بن راشد (ت ١٥٠ هـ).

ثمَّ مُحَمَّد بن إسحاق بن يسار المدني وقيل بشار - بن خيار من سبي عين تمر بالعراق (ت ١٥٣ هـ).

ثمَّ راويته زياد بن عبد الملك البَكَّائي الكوفي العامري (ت ١٨٣ هـ).

ثمَّ مُحَمَّد بن عمر بن واقد المعروف بالواقدي صاحب كتاب المغازي (ت ٢٠٧ هـ).

ثمَّ راوية ابن زياد البَكَّائي عن ابن إسحاق: عبد الملك بن هشام الحميري اليمني البصري (ت ٢١٨ هـ).

ولم يصلنا من كُتب هؤلاء شيء سوى سيرة ابن إسحاق برواية ابن هشام عن البَكَّائي عن ابن إسحاق، ومغازي الواقدي، اللهم إلا روايات في طَيِّبات أمَّهات المصادر التاريخية فيما بعد.

المؤرخون الأوائل:

وإلى جانب هؤلاء ظهر مَنْ لم يقتصر على أخبار سيرة الرسول ﷺ، بل جمع إليها أخبار الجاهلية قبل الإسلام، ثمَّ أخبار الخلفاء

بعده، أو جمع أخبار بعض الخلفاء، أو الأئمة من أهل البيت عليهم السلام فقط، فكانوا مؤرخين بالمعنى العام.

- منهم: مُحَمَّد بن السائب الكلبي الكوفي النسابة (ت ١٤٦ هـ).
 وأبو مخنف لوط بن يحيى الأزدي الكوفي (ت ١٥٧ هـ).
 وهشام بن مُحَمَّد الكلبي الكوفي (ت ٢٠٦ هـ).
 ونصر بن مُزاحم المنقري الكوفي (ت ٢١٢ هـ).
 وعبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٤ هـ).
 وأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري (ت ٢٧٩ هـ).
 وإبراهيم بن مُحَمَّد الثقي الكوفي الإصبهاني (ت ٢٨٣ هـ).
 وأبو الفرج علي بن الحسين الأموي الإصبهاني (ت ٢٨٤ هـ).
 وأحمد بن واضح بن يعقوب البغدادي (ت ٢٩٢ هـ).
 ومُحمَّد بن جرير الطبري (ت ٣١٠ هـ).
 وعلي بن الحسين المسعودي البغدادي (ت ٣٤٦ هـ).
 ومُحمَّد بن مُحمَّد بن الثُّعْمان التُّلَعُكُبريِّ المفيد (ت ٤١٣ هـ).

الأثر الباقي في السيرة:

عرفنا أن الكتابة في سيرة رسول الله ﷺ كانت قد حصلت في التابعين وتابعي التابعين، كما رأينا قائمة أسمائهم وتواريخ وفياتهم، ولكنها لم تكن كثيرة، بل هي مهما أطلنا الحديث عنها كانت قليلة جداً، لاتعدو أن تكون صُحُفاً فيها بعض الأخبار عن سيرة المختار ﷺ.
 أمّا الكتاب الذي كُتِبَ له الموفقية والنجاح وشهرة الاعتماد والوثوق فهو سيرة مُحَمَّد بن إسحاق، التي ألفها في أوائل أيام العباسيين.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ١٩

يروون أنه دخل يوماً على المنصور وبين يديه ابنه المهدي، فقال له المنصور: أتعرف هذا يابن إسحاق؟ قال: نعم، هذا ابن أمير المؤمنين: فقال: اذهب فصنّف له كتاباً منذ خلق الله آدم ﷺ إلى يومك هذا. فذهب ابن إسحاق فصنّف له الكتاب وأتاه به فلما رآه قال: لقد طوّلت يابن إسحاق فاذهب فاخصّره. فاخصّره، وألّقى الكتاب الكبير في خزانة الخليفة.

وفي هذا المعنى روي عن ابن عدي الرّجالي المعروف أنه كان يقول في ابن إسحاق: «لو لم يكن لابن إسحاق من الفضل إلا أنه صرف الملوك عن الاشتغال بكتب لا يحصل منها شيء للاشتغال بمغازي رسول الله ﷺ ومبعثه ومبتدأ الخلق لكانت هذه فضيلة سبق بها ابن إسحاق، وقد فتّشت أحاديثه الكثيرة فلم أجد ما تنبئ أن يُقطع عليه بالضعف، ورُبّما أخطأ وأتهم في الشيء كما يخطيء غيره. ولم يتخلّف في الرواية عنه الثقات والأئمة الاثبات، أخرج له مسلم في المبايعات، واستشهد به البخاري في مواضع، وروى له أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجّة».

ثم أصبح ابن إسحاق في الحقيقة عمدة المؤلفين في السيرة، فامتنع من كتاب في السيرة إلا وهو مستمدّ منه وراوٍ عنه، اللهم إلا ما نأى عليه من مغازي الواقدي ورواية كاتبه ابن سعد عنه، وما روي عن أئمة أهل البيت ﷺ، وكذلك أصبح كتاب ابن إسحاق عمدة الكتب في السيرة لقراءتها منذ أن كتبه إلى يومنا هذا ولا سيما بعد تهذيبها من قبل ابن هشام - بحيث أنك لا تكاد تجد رجلاً يدرس سيرة الرسول الكريم إلا وكتاب ابن إسحاق كتابه الأوّل والأُم في ذلك.

عمل ابن هشام في سيرة ابن إسحاق:

وقد جاء بعده عبد الملك بن هشام الحميري البصري (ت ٢١٨ هـ) بنصف قرن تقريباً، فروى سيرة ابن إسحاق برواية زياد بن عبد الملك البكائي العامري الكوفي (ت ١٨٣ هـ) ولكنه لم يروها كما هي بل تناوها بكثير من التقرير والاختصار والاضافة والنقد أحياناً، والمعارضة بروايات أخر لغيره، عبّر عن أعماله هذه بقوله في صدر سيرته: «وانا -إن شاء الله- مبتدئ هذا الكتاب بذكر إسماعيل بن إبراهيم، ومن ولد رسول الله من ولده، أولادهم لأصلابهم الأول فالأول من إسماعيل إلى رسول الله، وما يعرض من حديثهم -وتارك ذكر غيرهم من ولد إسماعيل للاختصار- إلى حديث سيرة رسول الله. وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب بما ليس لرسول الله فيه ذكر ولا نزل فيه من القرآن شيء، وليس سبباً لشيء من هذا الكتاب ولا تفسيراً له ولا شاهداً عليه، لما ذكرت من الاختصار، وأشعاراً ذكرها لم أر أحداً من أهل العلم بالشعر يعرفها، وأشياء بعضها يشنع الحديث به (١) وبعض يسوء بعض الناس ذكره (٢) وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته (٣) ومُسْتَقْصٍ -إن شاء الله تعالى- ما سوى ذلك منه بمبلغ الرواية له والعلم به» (٤).

إذن فقد أسقط ابن هشام من عمل ابن إسحاق: تأريخ الأنبياء من آدم إلى إبراهيم، ومن ولد إسماعيل مَنْ ليس في عمود النسب النبوي الشريف، كما حذف من الأخبار ما يسوء بعض الناس! ومن الشعر ما لم

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٤ .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٢١

يثبت لديه . ولكنّه زاد فيه مجّاً ثبتت لديه من رواية، ولذلك تُسبت السيرة إليه وعُرفت به، حتّى لا يكاد يذكر ابن إسحاق معه، فقد عُرفت سيرة ابن إسحاق بين العلماء مُنذُ عهد بعيد باسم سيرة ابن هشام، لما له فيها من رواية وتهذيب .

وبهذا الصدد قال ابن خلّكان في ترجمة ابن هشام : «وابن هشام هذا هو الَّذي جمع سيرة رسول الله من المغازي والسّير لابن إسحاق وهذبها ولخصّها، وهي السيرة الموجودة بأيدي الناس المعروفة بسيرة ابن هشام» . ولم تنقطع العناية بالتأليف في السيرة إلى يومنا هذا، إلّا أنّ الموضوع في ذاته ليس أمراً يقوم على التجارب، أو فكرة يقيمها برهان وينقضها برهان، شأن النظريات العلميّة التي نرى تجديدها وتغييرها على مرّ السنين، وإنّما هو من العلوم النقليّة لا العقليّة، فكان المشتغلون به أوّلاً محدّثين ناقلين، ثمّ جاء من بعدهم جامعين مبوين ثمّ ناقلين معلّّقين . ولم يكن قابلاً للتجديد في جوهره، إلاّ بمقدار قليل حسب النقد الدقيق، وإنّما كان التجديد في أشكاله وصوره شرحاً أو اختصاراً، أو شيئاً من النقد قليلاً مشيراً إلى ما فيه من أخطاء .

ولعلّ الذين تناولوا السيرة بالتلخيص والاختصار، إنّما خففوا من ثقل الكتاب بعض أخباره التي استبعدوها غير مؤمنين بصحّتها، ناقلين من الأخبار ما يرون فيها القرب من الحقّ، ومستبعدين ما لا يجري في ذلك مع فكرتهم وعقيدتهم مفدّين إياه راّدين له .

ولعلّ من علل انتشار أخبار ابن إسحاق ثمّ كتابه في السيرة كثرة رحلاته، فالراجح في تأريخ مولده في المدينة أنّه كان سنة ٨٥ هـ ولا يرتاب الرجاليون وأصحاب الطبقات في أنّه أمضى شبابه في المدينة فتىً جميلاً

«فارسي الخلقة» جذاب الوجه له شعرة حسنة ولذلك حكى ابن الذبشأنه في فهرسته: أنه اتهم بأنه يجلس في مؤخر المسجد للصلاة فيه بعض النساء، فأمر أمير المدينة بإحضاره و ضربه اسواطاً ونهاه الجلوس في مؤخر المسجد. ولعلّه لهذا لم يزو عنه من أهل المدينة غير واحد هو إبراهيم بن سعد فحسب^(١).

ولعلّه لهذا رحل منها سنة ١١٥ هـ أي في الثلاثين من عمره الاسكندرية في مصر، ويظن أنها أولى رحلاته، فانفرد برواية أحاديث عدة من رجال الحديث بها.

ثم رحل إلى الكوفة والحيرة، ولعلّه بها التقى بالمنصور فصنّف له المهدي كتاب السيرة كما سبق، فرواها عنه زياد بن عبد الملك البكّ العامري وغيره، ورحل إلى الجزيرة أي الموصل، والرّي حتّى إذا بُد بغداد فرجع إليها وفيها ألقى عصا الترحال، وله من كلّ هذه البلدان ر كثيرون. وعاش في بغداد حتّى توفي بها فدفن في مقابر الخيزران.

وقد كان ابن إسحاق يُعدّ في طبقة تلامذة عبد الملك بن شهاب الزهري وأقرانه، وله عنه روايات، ونقل أصحاب الطبقات أن شيخه شهاب الزهري لم يكن يتهمه بشيء بل كان يوثقه، وتبعه في توثيق إسحاق من الفقهاء الأئمة: سفيان الثوري وشعبة، بالإضافة إلى راويته زياد بن عبد الملك البكّاني عنه. وإن كان هشام بن عروة بن الزبير من رواة السيرة، ومالك بن أنس من أئمة الفقهاء يتحاملان عليه بالجرح والتضعيف ويتهمانه بالكذب والدجل والتدليس، والقول بالقدر، والنقل عن غب

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٢٣

الثقات، وأخطاء في الأنساب. ولكن لعلّه لأن ابن إسحاق كان يطعن في نسب مالك وعلمه ويقول: إيتوني ببعض كتبه حتى أبين لكم عيوبه، فأنا ييطار كتبه^(١)! إذن فالحملة متقابلة من الطرفين، والتضعيف ضعيف لأنه معلوم الوجه والعلة «الشخصية».

مغازي الواقدي:

أمّا الواقدي محمد بن عمر بن واقد مولى بني سهم، فقد ذكر تلميذه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» أنّه ولد في المدينة سنة ١٣٠ هـ أي بعد خروج ابن إسحاق منها بخمسة عشر عاماً، ولذلك لم يزو عنه وإن كان قد روى عن سائر رواة الأخبار عن الزُّهري، مع تشابه كبير بين فقرات كتاب السيرة لابن إسحاق وكتاب المغازي للواقدي، ولذلك زعم مُستشرقان هما (فلهوزن وهورفتس) أنّه سرق منه ولم يسنده إليه، وفند زعمهما مُستشرق آخر هو (مارسدن جونس) محقق المغازي كما في مقدّمته للكتاب^(٢) ثمّ احتمل أن يكون الواقدي قد أعرض عن الرواية عن ابن إسحاق نظراً إلى عدم توثيق علماء المدينة له.

ثمّ قال: يبدو واضحاً للقارئ الحديث أنّ من أهمّ السمات التي تجعل الواقدي في منزلة خاصة بين أصحاب السير والمغازي تطبيقه المنهج التأريخي العلمي الفني، فإنّا نلاحظ عند الواقدي - أكثر ممّا نلاحظ عند غيره من المؤرّخين المتقدمين - أنّه كان يرتّب التفاصيل المختلفة للحوادث بطريقة

(١) راجع ترجمته وهذه الأقوال في الكامل في الضعفاء لابن عدي ٦ : ١٠٢ - ١١٢.

(٢) مغازي الواقدي : ٢٩ .

منطقية لا تتغير، فهو مثلاً يبدأ مغازيه بذكر قائمة طويلة من الرجال الذين نقل عنهم تلك الأخبار ثم يذكر المغازي واحدة واحدة مع تأريخ محدد للغزوة بدقة، وغالباً ما يذكر تفاصيل جغرافية عن موقع الغزوة، ثم يذكر المغازي التي غزاها النبي بنفسه، وأسماء الذين استخلفهم على المدينة أثناء غزواته، وأخيراً يذكر شعار المسلمين في القتال، كل ذلك بالإضافة إلى وصفه لكل غزوة بأسلوب موحد: فيذكر أولاً اسم الغزوة وتاريخها وأميرها.

وكثيراً ما يقدم لنا الواقدي قصة الواقعة بإسناد جامع، أي يجمع الرجال والأسانيد في متن واحد. وإذا كانت الغزوة قد نزل فيها آيات كثيرة من القرآن الكريم، فإن الواقدي يفردنا وحدها مع تفسيرها ويضعها في نهاية أخبار الغزوة، وفي المغازي المهمة يذكر الواقدي أسماء الذين استشهدوا فيها.

وإن ما أورده في الكتاب من التفاصيل الجغرافية ليوحي بجهده ومعرفته للدقائق في الأخبار التي جمعها في رحلته إلى شرق الأرض وغربها طلباً للعلم^(١). وقد روى الخطيب البغدادي وابن سيد الناس^(٢) عن الواقدي أنه قال: ما أدركت رجلاً من أبناء الصحابة وأبناء الشهداء ولا مولى لهم إلا سألته: هل سمعت أحداً من أهلك يُخبرك عن مشهده وأين قتل؟ فإذا أعلمني مضيت إلى الموضع فأعانيه، وما علمت غزاة إلا مضيت إلى الموضع فأعانيه، حتى لقد مضيت إلى «المريسيع» فنظرت إليها.

(١) مقدمة المحقق للمغازي ١ : ٣١.

(٢) تأريخ بغداد ٣ : ٦، وعيون الاثر ١ : ١٨.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٢٥

وروا عن هارون الغروي قال: رأيت الواقدي بمكة ومعه ركوة فقلت: أين تريد؟ قال: أريد أن أمضي إلى حنين حتى أرى الموضع والوقعة.

ويشهد لنباهة الواقدي بهذا الشأن ما قصّه تلميذه وراويته ابن سعد في الطبقات:

إنّ هارون الرشيد ويحيى بن خالد البرمكي حين زارا المدينة في حجتهما، طلبا من يدهما على المشاهد وقبور الشهداء، فدلّوهما على الواقدي، فصحبها في زيارتهما فلم يدع موضعاً من المواضع ولا مشهداً من المشاهد إلّا مرّ بهما عليه. فمنحه هارون الرشيد بعشرة آلاف درّهم، فصرفها في قضاء ديون كانت قد تراكت عليه وزوّج بعض ولده وبقي في يسر وسعة^(١).

ولكنّه يعود فيقول: إنّ له لحقه دين بعد ذلك فذهب إلى العراق سنة ١٨٠ هـ^(٢) ويفصّل الخطيب عن الواقدي يقول: كانت للناس في يدي مائة ألف درّهم أضراب بها في الحنطة، وتلفت الدراهم، فشخصت إلى العراق فقصدت يحيى بن خالد البرمكي^(٣)، ويفصّل ابن سعد عنه أيضاً يقول: ثمّ إنّ الدهر أعضنا، فقالت لي أمّ عبد الله: يا أبا عبد الله ما قعودك وهذا وزير أمير المؤمنين قد عرفك وسألك أن تسير إليه حيث استقرت به الدار. فرحلت من المدينة. ولما دخل بغداد وجد الخليفة والبلاط قد انتقلوا إلى

(١) انظر الطبقات ٥ : ٣١٥.

(٢) الطبقات ٧ : ٧٧.

(٣) تاريخ بغداد ٣ : ٤.

الرقة بالشام فرحل إليهم حتى لحق بهم^(١) فيقول: صار إلي من السلطان ستمائة ألف درهم ماوجبت علي فيها الزكاة^(٢) ثم رجع معهم إلى بغداد وبقي بها، حتى قدمها المأمون فجعله قاضياً لعسكر المهدي^(٣) وكان العسكر في الجانب الشرقي وكان الواقدي في الجانب الغربي فلما انتقل حمل كتبه على عشرين ومائة وقر^(٤) فولي القضاء مدة أربع سنوات قبل وفاته، وأوصى إلى المأمون فقبل وصيته وأرسل إليه بأكفانه وقضى دينه^(٥).

ذكر ابن سعد - وهو تلميذه وكاتبه وراويته - يقول: مات ببغداد ليلة الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من ذي الحجة سنة سبع ومائتين ودفن يوم الثلاثاء في مقابر الخيزران، وهو ابن ثمان وسبعين سنة^(٦).

مكانة الواقدي في الرواية والعلم:

وتتجلى مكانته في الرواية والعلم في وصف كاتبه وتلميذه ابن سعد له حيث يقول: كان عالماً بالمغازي والسيرة والفتوح واختلاف الناس في الحديث والأحكام، واجتماعهم على ماأجمعوا عليه، وقد فسر ذلك في كتب

(١) الطبقات ٥ : ٣١٥ .

(٢) تأريخ بغداد ٣ : ٢٠ .

(٣) الطبقات ٧ : ٧٧ .

(٤) تأريخ بغداد ٣ : ٥ وعيون الاثر ١ : ١٨ والوافي بالوفيات ٤ : ٢٣٨ وسير اعلام النبلاء ٧ : ١١٨ .

(٥) الطبقات ٥ : ٣١٥ . الطبقات ٥ : ٣٢١ وتأريخ بغداد ٣ : ٢٠ وتأريخ دمشق ١١ : ٣ والوافي بالوفيات ٤ : ٢٣٨ .

(٦) الطبقات ٧ : ٧٧ .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٢٧

استخرجها ووضعها وحدّث بها^(١).

وقال عنه ابن النديم في الفهرست: إنّه كان عنده غلامان يعملان ليلاً ونهاراً في نسخ الكتب، وقد ترك عند وفاته ستمائة قِطْر من الكتب يحتاج كلّ منها إلى رجلين لحمله^(٢).

ونقل الخطيب البغدادي عن علي بن المديني: أنّ ماجع الواقدي من الأحاديث بلغ عشرين ألف حديث^(٣).

ونقل ابن سيد الناس عن يحيى بن معين أنّه قال: أغرب الواقدي على رسول الله في عشرين ألف حديث. ثمّ قال ابن سيد الناس: وقد رويّا عنه من تتبعه آثار مواضع الوقائع وسؤاله من أبناء الشهداء والصحابة ومواليهم عن أحوال سلفهم ما يقتضي انفراداً بالروايات وأخباراً لا تدخل تحت الحصر^(٤).

ونقل الذهبي عن إبراهيم الحربي أنّه كان يقول عنه: إنّه كان أعلم الناس بأمر الإسلام، فأما أمر الجاهلية فلم يعلم منها شيئاً^(٥) ثمّ ذكروا له زهاء ثلاثين كتاباً.

ونرى في قائمة كتبه كتاب الطبقات، ولنا أنْ نتمثّله في كتاب الطبقات الكبرى لتلميذه وكاتبه مُحَمَّد بن سعد، فقد نقل عنه كثيراً ولاشكّ أنّه صنّفه على غرار كتاب شيخه وروى فيه عن غيره أيضاً.

(١) الطبقات ٥ : ١٤٤.

(٢) الفهرست : ١٤٤.

(٣) تاريخ بغداد ٣ : ١٣.

(٤) عيون الأثر ١ : ٢٠.

(٥) سير الأعلام ٧ : ١١٧.

ومن كتبه كتاب الردّة، ذكر فيه ارتداد العرب بعد وفاة النبي ومحاربة الصحابة لطلحة بن خويلد الأسدي ومسيلمة الكذاب وسجّ اليمامة والأسود العنسي في اليمن. وقد نقل عنه تلميذه ابن سعد في التاريخ والطبري في تأريخه أخبار الأحداث التي تلت وفاة النبي، وإثماً كتابه في الردّة.

ويمكن القول بأنّ ما نقله ابن سعد، والطبري عنه عن الواقدي أخبار الجاهلية فهو من كتاب سمّوه: «كتاب التاريخ والمغازي والمأهكذا بتقديم المغازي على المبعث وتأخير المبعث عن المغازي، الذي غير كتاب المغازي. والطبري ينقل المغازي عن الواقدي مباشرة حين يُورد أخبار الجاهلية وما قبل الإسلام فإنّه يرويها عن ابن سعد الواقدي، ممّا يدلّ على أنّه اعتمد في المغازي على كتاب المغازي للواقدي وأثماً في أخبار الجاهلية فهي من كتاب آخر له لعلّه هو التاريخ والمب ومن كتبه «فتوح الشام وفتوح العراق»، وقد نقل البلاذري في «فتوح البلدان» عن الواقدي كثيراً، وهو من تلامذة ابن سعد الواقدي، فهو قد روى كتاب شيخه له ورواه البلاذري كما نقل ابن ك «البداية والنهاية» كثيراً من حوادث سنة ٦٤ هـ والطبري نقل عنه كثيراً حوادث النصف الثاني من القرن الثاني أي التي عاشها الواقدي.

حول تشييع الواقدي وابن إسحاق:

قال ابن النديم^(١) في فهرسته عن الواقدي: كان يتشيّع، حسن المذ

(١) الفهرست: ١٤٤، هذا وقد روى ابن عدي الرجالي عنه في كتاب الكا

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٢٩

يلزم التقيّة، وهو الذي روى أنّ عليّاً كان من معجزات النبي ﷺ كالعصا لموسى وأحياء الموتى لعيسى بن مريم عليه السلام، وغير ذلك من الأخبار^(١).

ونقل هذا القول عنه السيد الأمين العاملي صاحب «أعيان الشيعة» وترجم له^(٢)، وكذلك ذكره آقا بزرك الطهراني في «الذريعة إلى تصانيف الشيعة»^(٣) عند الحديث عن تاريخ الواقدي. بينما لم يذكره الشيخ الطوسي في فهرسته ولأرجاله ولا ذكر كتاباً من كتبه حتّى مقتل الحسين عليه السلام.

وابن أبي الحديد حينما ينقل فقرة طويلة عن الواقدي ثمّ يُورد رواية أخرى مختلفة عن الأولى يبدوها بقوله: «وفي رواية الشيعة»^(٤)، ممّا يدلّ على أنّه لم يعتبره شيعياً ولا مُتمثلاً لهم.

ومن الطريف أن يلاحظ أنّ ابن إسحاق أيضاً كان يُتهم بالتشيع^(٥). ولعلّ السبب في وصفها بالتشيع لا يرجع إلى عقيدتها الشخصية، بل إلى ماورد في كتابيها من الأخبار التي يعرضونها ممّا تقتضيه طبيعة التأليف في مثل هذه الموضوعات لا عن عقيدة صحيحة بها، وإلى ماأورداه في بعض المواضع من كتابيها بشأن جماعة من الصحابة منهم بعض الخلفاء فيذكرانهم بعبارات لاتضعهم في الموضوع الموضوع هما عند كثير من

الضعفاء ٦ : ٢٤٢، برقم ١٧١٩ بسنده عن بشر بن سعيد، قال : سألت زيد الجهمي :

أوصى النبي إلى أحدٍ ؟ فقال : لا .

(١) الفهرست : ١٤٤ .

(٢) أعيان الشيعة ٤٦ : ١٧١ .

(٣) الذريعة ٣ : ٢٩٣ .

(٤) شرح نهج البلاغة ٣ : ٣٣٩ .

(٥) معجم الأدباء ١٨ : ٧ .

المسلمين .

ولذلك فإنّ أكثر النقاد من المحدثين الأوائل كانوا يضعفون الواقدي في الحديث .

فقد قال البخاري والرازي والنسائي والدارقطني : أنّه متروك الحديث ، ولكنّهم لم يجمعوا على ذلك ، فقد وصفه الدراوردي بأنّه : أمير المؤمنين في الحديث .

وقال يزيد بن هارون : الواقدي ثقة .

ووثقه مصعب الزبيري ، ومجاهد بن موسى ، والمسيّب وأبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو بكر الصغاني^(١) .

وقال إبراهيم الحربي : هو آمن الناس على أهل الإسلام^(٢) .

وقال ابن النديم : كان عالماً بالمغازي والسير والفتوح واختلاف الناس في الحديث والفقه والأحكام والأخبار^(٣) .

أمّا بالنسبة لابن إسحاق : فقد عقد الخطيب البغدادي في كتابه «تاريخ بغداد» وكذلك ابن سيّد الناس في كتابه «عيون الأثر» فصلين فنّدا فيها جميع المطاعن التي وجّهت إليه .

وبالنسبة لتشيعه وقوله بالقدر قالاً ماملخصه : أمّا مارمي به من التدليس والقدر والتشيع فلا يوجب ردّ روايته ، ولا يوقع فيها كبير وهن ، أمّا التدليس فمنه القادح وغير القادح ، ولا يحمل ماوقع هنا من مطلق

(١) تهذيب التهذيب ٩ : ٣٦٤ .

(٢) عيون الأثر ١ : ١٨ .

(٣) الفهرست : ١٤٤ .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٣١

التدليس على التدليس المقيّد بالقادح في العدالة، وكذلك القدر والتشيع لا يقتضيان الردّ إلاّ بضميمة أخرى لم نجد هنا. والعجيب أنّك لا تجد شيئاً من هذا التشكيك في عبد الملك بن هشام مهذب سيرة ابن إسحاق، فلو كان العيب في هذا الباقي من سيرة ابن إسحاق لشمّل الشك ابن هشام أيضاً.

وعندئذ نطمئن إلى أنّ العيب ليس في هذا الباقي بل فيما قال عنه ابن هشام: «وتارك بعض ما يذكره ابن إسحاق في هذا الكتاب... أشياء بعضها يشنع الحديث به، وبعض يسوء بعض الناس ذكره، وبعض لم يقرّ لنا البكائي بروايته، ومُستقص ماسوى ذلك».

وعندئذ تجد محور اتّهام التشيع أيضاً. وقد رأينا أنّا إذا استثنينا هذين المتهمين بالتشيع لم يبقَ لعامة المسلمين شيء يُذكر في السيرة ولا المغازي. وعندئذ ندرك أيضاً أنّ السابقين الأولين إلى تدوين سيرة الرسول ومغازيه أي الصدر الأول من تأريخ الإسلام هم من شيعة أئمة أهل البيت عليه السلام أو المقارِبين لهم المتهمين بهم.

نقد كتب السيرة:

لعلّ النظر إلى تراث السلف الصالح -ولاسيّاً سيرة الرسول الكريم- بنظرة التقديس، هو الذي أدّى بالمؤلّفين في السيرة على اختلاف طبقاتهم أن لا يقفوا موقف الناقد البصير، فلم ترَ منهم من يعرض لما تحمله السيرة بين دفتيها من أخبار ضعيفة بعيدة عن الحقيقة لينقدها ويأتي على نقاط الضعف فيها، فهذا ما حرّمه هذا العلم في جميع أدواره السالفة إلى عهدنا هذا الأخير، حيث أخذ المستشرقون والمتأثرون بهم يتناولون خبراً أو خبرين

من السيرة وسيلة للطعن في شخص النبي الكريم ﷺ أو ما يتصل به، فأمن بعض أصحاب الأعلام الجديدة بأن في السيرة أخباراً لا تمت إلى الحق بصلة في قليل ولا كثير، ثم تجرؤوا فأقدموا على تهذيب السيرة مما ألصق بها وهي ليست منها، كقصة شق الصدر والغرائق^(١) وغرام الرسول ﷺ بزوجة زيد ربيبه!

إن سيرة محمد ﷺ كسائر العظماء أضيف إليها ما ليس منها، إما عن حب وهوى وحسن نية وطوية، وإما عن حقد وسوء قصد متعمد، ولكنها تمتاز عن سير جميع العظماء بأن شيئاً كثيراً منها ضمه الوحي الإلهي وضمن حفظه القرآن الكريم، وكثيراً منها مروى على لسان الحفاظ الثقات من المحدثين. فعلى هذه الأسس الصحيحة يجب أن تُبنى السيرة، وأن تُحلل التحليل العلمي النزاهة بملاحظة ظروف الوسط وحال البيئة وجوانبها المختلفة من عقائد ونظم وعادات وتقاليد وطقوس، وأن لا يُبنى الأساس على المعجزات والكرامات وخوارق العادات إلا ما خرج بالدليل بل يُبنى على أساس «إن الله أبلّ أن يُجري الأشياء إلا بأسباب»^(٢) اللهم إلا ما خرج بالدليل الثابت المعقول.

الخلاف في كتب السيرة وبينها:

إن الدارس لكتب السيرة والتأريخ يلاحظ أن ما روته من أنباء الخوارق والمعجزات وغيرها من كثير من الأنباء، ينقص ثم يزيد بزيادة

(١) أنظر ملخص القصة في ذيل الصفحة التالية.

(٢) أصول الكافي ١ : ١٨٣، عن الصادق عليه السلام.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٣٣

الأزمان التي وضعت فيها هذه الكتب، فقديماً أقلّ رواية للخوارق من متأخّرها، وماورد من الخوارق في الكتب القديمة أقلّ بعداً عن مقتضى العقل بما ورد في كتب المتأخّرين .

فهذه سيرة ابن هشام أو قلّ ابن إسحاق أقدم السّير المعروفة اليوم تغفل كثيراً عمّا ذكره أبو الفداء في تأريخه وماذكره القاضي عياض في «الشفاء» وعن جميع كتب المتأخّرين تقريباً .

فلا بدّ للباحث من أن يقبل لنفسه مقياساً يعرض عليه ما اتّفقوا عليه وما اختلفوا فيه، فما صدّقه هذا المقياس أقرّه وأقرّ به وقربه، وما لم يصدّقه فلم يورده بل يردّه»^(١) .

وهناك سبب آخر يوجب تمحيص ماورد في كتب السلف ونقده نقداً علمياً دقيقاً، هو أن أقدمها كُتِبَ بعد وفاة النبي بمائة سنة أو أكثر، وبعد أن

(١) مثلاً: إنّ قصة الغرائق التي تذهب إلى أن النبي لما ضاق ذرعاً بسادات قريش فتلا عليهم سورة النجم حتّى إذا بلغ فيها إلى قوله سبحانه ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ أضاف إليها ﴿تلك الغرائق العلى منها الشفاعة تترجى﴾ ثم أتمّ السورة فسجد وسجد المسلمون والمشركون !

وقد رواها ابن إسحاق ثم قال : إنّها من وضع الزنادقة . وذكرها ابن كثير في كتابه «البداية والنهاية» فقال «ذكروا قصّة الغرائق، وقد أحببنا الإضراب عن ذكرها صفحاً لئلا يسمعها من لا يضعها في مواضعها، إلّا أن أصل القصّة في الصحيح، ثمّ ذكر حديثاً عن البخاري في أمرها وأردفه بقوله «انفرد به البخاري دون مسلم» .

أمّا الذي يتخذ عصمة الرسول في تبليغ الرسالة مقياساً للأخذ والردّ، فلا يتردد في نفي القصّة من أساسها، بل يتفق مع ابن إسحاق في أنّها من وضع الزنادقة، ويكتفي في ردّها بما فيها من نقض ما للرسول من عصمة في تبليغ رسالة ربّه، كما تقتضي ذلك قواعد النقد العلمي، كما فعل هيكल في كتابه : ٤٨ و ١٦١ - ١٤٧ .

فشئت في الدولة الإسلامية دعايات سياسية وغير سياسية كان اختلاق الروايات والأحاديث من وسائلها للغلبة على خصومها، فكيف بما كُتب متأخراً في أشدّ أزمان الاضطرابات والقلق؟ وكيف بما ورد في المتأخّر من كُتب السيرة؟ فهل يمكن الأخذ به بدون تمحيص بدقّة علميّة؟ وقد أدّت المنازعات السياسية وغيرها التي حدثت بعد الصدر الأول من الإسلام، إلى اختلاق كثير من الروايات والأحاديث تأييداً لها، هذا والحديث لم يدوّن إلى أواخر عصر الأمويين.

ذلك لأنّ عمر عزم على ذلك فأصبح يوماً يقول: إني كنت أردت أن أكتب السنن، ثم عدلت عن كتابتها، فإني -والله- لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً! ثم كُتب إلى الأمصار بذلك يقول: من كان عنده شيء غير القرآن فليمحّهُ! وظل الأمر كذلك -ما عدا عهد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وابنه الحسن عليه السلام - حتى أمر عمر بن عبد العزيز بجمع الحديث^(١).

أمّا كيف روى مثل البخاري مثل قصّة الغرائيق -مثلاً-؟ فقد اعتذر عن مثل ذلك النووي في شرحه لصحيح مسلم قال: «أخذ جماعة على البخاري ومسلم أحاديث أخلاً بشرطيهما فيها ونزلت عن درجة ما التزمناه» وقد التزمنا بمقياس السند والثقة بالرواية في قبول الحديث ورفضه، ولكنّه وحده غير كاف لذلك.

بل إنّ خير مقياس يقاس به الحديث والخبر عن النبي ما روي عنه -عليه الصلاة والسلام- قال: «إنكم ستختلفون من بعدي، فما جاءكم عني

فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فني وماخالفه فليس مني»^(١) فهو مقياس صحيح أخذ به كثير من الثقات، وهو يتفق مع قواعد النقد العلمي، وقال ابن خلدون بشأنه: «إنني لا أعتقد صحة سند حديث ولا قول صحابي عالم يخالف ظاهر القرآن، وإن وثقوا رجاله، قُربَ راوٍ يوثق للاغترار بظاهر حاله وهو سيء الباطن. ولو انتقدت الروايات من جهة فحوى متنها كما تنتقد من جهة سندها لقضت المتون على كثير من الأسانيد بالنقض. وقد قالوا: إن من علامة الحديث الموضوع: مخالفته لظاهر القرآن، أو القواعد المقررة في الشريعة، أو لبرهان العقل، أو الحس والعيان وسائر اليقينيّات». حقاً إن اختلاف المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ بلغ حدّاً دعا الدعاة فيهم إلى اختلاق الآلاف المؤلفة من الأحاديث والروايات.

لما قُتل عثمان وبدأت الحروب الداخلية بين المسلمين بخصومة خصماء علي عليه السلام، وأيد أمير المؤمنين من أيده، ثم استتب الأمر لبني أمية جعل المحدثون المتصلون ببني أمية يضعفون ما يروى عن علي بن أبي طالب عليه السلام وفضائله، وكما جعل أنصار عائشة يشيعون عنها ما يؤيد دعواها.

ومن طريف ما يروى في ذلك: مارواه الذهبي في ترجمة إسماعيل بن المثني الاسترآبادي: كان يعظ بدمشق، فقام إليه رجل فسأله عن قول النبي: أنا مدينة العلم وعلي بابها؟ فأطرق إسماعيل لحظة ثم رفع رأسه وقال: نعم لا يعرف هذا الحديث عن النبي إلا من كان في صدر الإسلام، إنما قال النبي: أنا مدينة العلم وأبو بكر أساسها وعمر حيطانها وعثمان سقفها

(١) لم نعثر على هذه الرواية بهذا النص في الجوامع الحديثية ولكن ورد مضمونها في

وعليّ بابها! فسّر الحاضرون بذلك، فسألوه أن يخرج لهم إسناده، فوعدهم به^(١) وذكر القصة ابن عساكر فقال: فأنعم ولم يخرج له^(٢). أجل، هكذا كانت الأحاديث تلفّق لأغراض سياسية ولأهواء عاجلة حتّى كُثرت وشاعت. هذا، وقد تولّى كتاب السيرة كتابتها - كما مرّ خبرها - للخلفاء: فابن إسحاق كتب سيرته للمنصور وابنه المهدي، والواقدي كتب مغازيه للرشد ووزيره يحيى بن خالد البرمكيّ، اللهمّ إلّا هشام الكلبي والمدائني فإنّهما لم يكتبتا لأحد منهم، ولكنّهم كلهم ماكان لهم أن ينازعوا مع الخليفة في آرائه خوفاً منه، ولذلك فإنّه لا ينطبق على ماكتبوه مقاييس الصحة بدقّة. ومن أمثلة الاختلاف في النقل الذي يبدأ بذكر معجزة نراها تزيد بزيادة الزمان إلى معاجز: ماحدث في أثناء مسيرة جيش العسرة إلى تبوك:

فقد روى ابن هشام قال: «قال ابن إسحاق: فلمّا أصبح الناس ولاماء معهم شكوا ذلك إلى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فدعا رسول الله، فأرسل الله سحابة فأمطرت حتّى ارتوى الناس واحتملوا حاجتهم من الماء»^(٣).

أمّا صحيح مسلم فيروي قصّة تبوك بصورة أخرى لا تقتصر على هذه المعجزة بل تزيدها زيادة كثيرة على غير ماورد في سيرة ابن إسحاق:

(١) لسان الميزان ١ : ٤٢٢.

(٢) تأريخ ابن عساكر ٣ : ٣٤ وانظر كتاب: فتح الملك العلي بصحة حديث مدينة العلم علي : ١٥٦ ط - الحيدرية - النجف الأشرف. بتحقيق الدكتور الشيخ محمد هادي الأميني النجفي.

(٣) السيرة النبوية: لابن هشام ٣ و ٤ : ٥٢٢.

فقد روى مسلم في صحيحه بسنده عن معاذ بن جبل : «أنَّ النبيَّ قال لمن سار معه إلى تبوك : إِنَّكُمْ ستأتون - إن شاء الله - غداً عين تبوك، وإِنَّكُمْ لن تأتوها حتَّى يضحى النهار، فمن جاءها منكم فلا يمس من مائها شيئاً حتَّى آتي . فجئناها وقد سبقنا إليها رجلان، والعين مثل الشرك تَبِضُّ بشيء من ماء . فسألهما رسول الله : هل مَسَسْتُمَا من مائها شيئاً ؟ قالا : نعم، فسبَّهما النبيَّ وقال لهما ماشاء الله أن يقول (١) ثمَّ غرَفوا بأيديهم من العين قليلاً قليلاً حتَّى اجتمع في شيء غسل رسول الله فيه يديه ووجهه ثمَّ أعاده فيها فجرت العين بماء منهمر - أو قال : غزير - حتَّى استقى الناس، ثمَّ قال : يامعاذ يوشك - إن طالت بك الحياة - أن ترى ما هاهنا قد ملئ جناناً» (١) فهل ارتوى المسلمون في طريق تبوك بماء العين المنهمر - بعد السباب - أم بمطر من سحاب بدعاء مستجاب من نبيٍّ مجاب ؟ أليس في القليل الأول غنى عن الثاني الكثير ؟! اللهمَّ إلا أن نبني على ترجيح الحديث الأكثر إعجازاً ولا تقتنع بالقليل منه !

هذا وقد روى ابن إسحاق بعد روايته خبر السحابة خبراً آخر يؤيده قال : «فحدثني عاصم بن عمر بن قتادة قال : قُلْتُ لمحمد بن لبيد : هل كان الناس يعرفون التَّفَاق فيهم ؟ قال : نعم والله إن كان الرجل ليعرفه من أخيه ومن أبيه ومن عمِّه وفي عشيرته، ثمَّ يلبس بعضهم بعضاً على ذلك، ولقد أخبرني رجال من قومي قالوا : لما كان من أمر الماء بالحجر ماكان ودعا رسول الله حين دعا فأرسل الله السحابة فأمرت حتَّى ارتوى الناس قالوا : أقبلنا على رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير

مع رسول الله حيث سار، فقلنا له: ويحك! هل بعد هذا شيء؟ فقال: «سحابة مازة» اللهم إلا أن يكون ذكر كثرة النفاق في بعض الصحابة مما يشنع ذكره ويسوء بعض الناس، وإن كان لم يحذفه ابن هشام، واختار مسلم ما سلم من ذكره، وهذا هو الراجح في الظن.

شرائط دراسة التأريخ:

لا شك في أن البحث في التأريخ أمر خطير وعمل شاق جداً، فالباحث فيه كمن يريد أن يلج بجرأ خضاً هائجاً، وإنما يمدّ ببصره إلى قاعه ليغنم منه لآلئه ودراريه.

والباحث في التأريخ إن كان يطمح من بحثه إلى إحقاق الحق وازهاق الباطل، فإنه لا يتسنى له ذلك إلا إذا كان واسع الإطلاع، بعيد النظر، شديد الحب للحق، موثقاً نفسه على اتباعه، مبتعداً عن التعصب المذهبي المقيت، ورعاً في إصدار الأحكام، خبيراً بطرق الاستنباط، عارفاً بأمراض التأريخ وعلمه، ملماً بظروفه ومراحلها، مؤثراً مصلحة الإسلام والمسلمين على ماسواها، متحرراً الفكر، غير مشدود لما ورثه من أهله وقومه.

وذلك لمساس التأريخ -ولاسيماً سيرة الرسول الكريم- بمختلف نواحي الحياة. فنه تؤخذ العقيدة الدينية، وأحكام الإسلام، ومعارفه وعلومه، وأدبه وأخلاقه، وعلى أساسه تقول الأجيال كلمتها في كل شيء، وعلى ضوءه تحكم على كل شيء.

وقد ابتلي التأريخ والسيرة -ككثير من الأمور- بنظرتين مفرطة وأخرى مفرطة:

فإن مقبل على التأريخ والسيرة مكب على أخذ مافيه، غثه وسمينه،

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٣٩

ينتهل منه ريّ في كلّ جوانب الحياة، ويعتبره من أسلم المسلّمات بها، دون حذر عمّا داخله من الدسّ والخرافات بعيداً عمّا نَبّه إليه الرسول من حتميّة ظهور المفترين عليه، غير معتبر بما اعترف به الزنادقة الملحدون بمّا رواه المؤرخون: أنّهم وضعوا آلاف الأحاديث كذباً على الله ورسوله حلّلوا بها الحرام وحرّموا بها الحلال، وأزالوا بها الحقّ عن نصابه، وزوّروا كثيراً من الأحاديث الصحيحة واقتعلوا الكرامات والمناقب حبّاً في المال والمناصب. وآخرون فرّطوا فيه فغلّبوا التشاؤم وتنكّروا للتأريخ جملةً وتفصيلاً، اتهموه ببعض مافيه وتحاملوا عليه، وجعلوا ذلك حجة لإعراضهم عنه وابتعادهم منه. وذلك ظلم قبيح وفصم لعرى الأجيال، وحرمان للمتأخرين من دروس الماضي، وهدم لبناء الدّين وطعن في تعاليم الأنبياء اللّذين حثّوا على تدارس الماضي والاستماع إليه، مع تمحيص الحقّ عمّا علق به من شوائب الباطل.

وبين هاتين النزعتين المفرطة والمفرّطة تنجلي التمرقة الوسطى باهتمام مفكّري المسلمين وعلمائهم بالدراسات التّأريخيّة، وبذل الوسع لإماطة اللثام عن كثيرٍ من جوانبه التي بدت قائمة مشوهة بفعل الدّخلاء عليه، يَمَنّ جنّدوا أنفسهم لهدم الدّين وطمس معالم الحقّ والتجنيّ عليه^(١).

طمس معالم الحقّ:

قلنا نعرض الروايات -التي يُدّعى أنّها تسجّل سيرة الرسول الكريم ﷺ- على القرآن الحكيم، ذلك لأنّا لو راجعنا وصف هذا النّبيّ

(١) مقدمة : دراسات في التّاريخ الاسلامي : ٨، ٩ للشيخ محمد باقر الناصري بتصرف .

٤٠ موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

العظيم في القرآن الكريم، لوجدناه يصفه بأنه: ﴿عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) و﴿خَاتَمِ النَّبِيِّينَ﴾^(٢) ينهى الناس عن الاستخفاف به ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرُّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾^(٣) ويلعن الذين يؤذونه ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ﴾^(٤).

ولكننا لو راجعنا بعض تلك الروايات التي يُدعى أنها تسجل لنا سيرته لوجدناه فيها: طفلاً كسائر الأطفال، ورجلاً يتكلم كسائر الجهال، بل أضعف عقلاً من سائر العقال، فهو بحاجة دائمة إلى من يشرف عليه ويدبر شؤونه، ويأخذ بيده ويرشده، ويحلّ له مشاكله ويشدّ قلبه ويطمئنه، ويؤيّد ويساعده، وإلاّ فهو يغضب فيكون غضبه عجزاً واضطراباً بل وسباباً^(٥) ويرضى فيكون رضاه سخفاً وميوعة!

وإلاّ فكيف نفسّر: أنّه رأى الرأي فنزلت الآيات تصوّب رأي غيره وتفنّد رأيه، فقعد يبكي؟! وأنّه كان له شيطان يعتريه ويأتيه في صورة جبرئيل! ثمّ أعانه الله عليه فأسلم! ولعلّه من فعل شيطانه أنّه مرّ على سباطة قوم فبال قائماً! ثمّ شرب النبيذ؟! ثمّ إنّ رأى زوجة ابنه بالتبني في حالة مثيرة فعشقها! وإنّه كان يعشق عائشة حتّى أنّه حملها على عاتقه بطلبها لتنظر إلى رقص السودان في مسجده، وخذّها على خدّه! ثمّ إنّ ترك الجيش لينفرد بزوجته ليسابقها في الصحراء!

(١) القلم : ٤ .

(٢) الاحزاب : ٤٠ .

(٣) النور : ٦٣ .

(٤) الاحزاب : ٥٧ .

(٥) كما مرّ عن صحيح مسلم .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٤١

والطامة الكبرى التي شملت شيخ الأنبياء إبراهيم : أنه كان أولى بالشك من إبراهيم ! إلى ما هنالك مما يزيد في قبحه على ما ذكر أكثر بكثير، كل ذلك مما «قد فاجأتنا به الأنباء والسَّير» في المجاميع الحديثة وكتب السيرة ! وفيها عن حياته الزوجية ما نتذمر من ذكره فضلاً عن القيام بأمره ! وأدهى ما في الأمر وأمر أنها مدونة في الكتب التي توصف بأنها أصح كتاب بعد الذكر الحكيم، وهي تحاول أن تصوّر لنا سيدنا ومولانا ونبيّنا أفضل الأنبياء والمرسلين وأشرف السفراء المقربين !!

قال محققو سيرة ابن هشام في مقدّمهم : «ولعلّ النظر إلى تراث السالفين ولاسيماً ما يتصل منه بعلم السَّير نظرة فيها الكثير من التقديس، هو الذي حال دون هؤلاء وهؤلاء أن يقفوا من هذا العلم موقفاً فقدناه في جميع المؤلفين المتقدمين على اختلاف طبقاتهم، فلم نَر منهم من عرض لما تحمله السَّير بين دفتيها من أخبار تتصف بالبعد عن الحقيقة، فنقدناها وأتى على مواضع الضعف منها .

هذا ما حرّمه هذا العلم في جميع أدواره السالفة إلى ما قبل أيّامنا هذه بقليل، إذ رأينا الإيمان بأنّ في السيرة أخباراً لا تتصل بالحق في قليل ولا كثير، تصحبه الجرأة ثمّ الإقدام، ورأينا فكرة جديدة تجري بها أقلام مجدّدة، يتناول أصحابها الخبر أو الخبرين من السيرة، ممّا كان يُتخذ مطعناً علينا في شخص النبيّ -صلى الله عليه وآله- أو ما يتصل به، فخلّصوه ممّا لصق به ممّا ليس منه، وأقاموا حوله سياجاً من الحجج والبراهين، صحّ بها وأصبح حجة على الطاعنين فيه .

ومثل هذا ما فعله الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده في قصّة النبيّ -صلى الله عليه وآله-، وتزويجه زينب بنت جحش من زيد بن حارثة ثمّ

ما كان من تزوّج الرسول -صلى الله عليه وآله- إياها بعد تطبيق زيد لها مما أرجف فيه الطاعنون ولغوا لغواً كثيراً.

ومنهم من عرض للكتاب في قصّة أو قصّتين منه فصاغها في أسلوب جديد، ومثّل للناس الخبر في قالب قصصي خرج به عن أسانيده وذكر رواته -تلك الطريقة التي هي سرّ تقديس هذه الأخبار في هذه الكتب!- فبدت المعاني في هذا القالب الجديد كما يبدو الجسد في الغلالة الرقيقة لاتكاد تُخفي منه شيئاً. وهذا الأسلوب الجديد بما يتضمن من التّهم بالفكرة السقيمة والخبر الغث، يخلق به المؤلف في القارئ روح التحفظ في قبول الأفكار وتسلمها.

ومنهم من جرى مع ابن إسحاق في شوطه، فتناول السيرة كما تناولها ابن إسحاق، مبتدئاً بميلاد الرسول ﷺ وما سبقه أو عاصره من حوادث، ثمّ جرى يذكر حياة الرسول إلى أن قبضه الله إلى جواره، ناقلاً من الأخبار ما يرى فيها القرب من الحقّ، و مستبعداً ما لا يجري في ذلك مع فكرته وما يعتقده، مفنداً مزاعم الطاعنين راداً على المكذّبين. فجاء كتابه سيرة للرسول جديدة في أسلوبها، نقية من اللغو والهراء^(١).

أجل، إذا كان المراجع إلى هذه المراجع -الصحاح وغيرها- مليء النفس بتقديس النصّ تقديساً عشوائياً ساذجاً، فهو يمتنع ويمنع عن تقويم النصوص تقويماً سليماً يزنها بميزان الإعتبار.

ولا مبرر لهذا التقديس ما لم يثبت أن هذا الحديث ممّا صدر عنه أو من شؤونه أو من صفاته، اللهمّ إلا إذا كان لا يعرف شيئاً ممّا يجب أن يتوفر

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ١: ح، ط.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٤٣

في شخص رسول الله وخليفته وحجته على عباده، وكان خالي الذهن عن المنطلقات الأساسية والضوابط الحقيقية التي يجب أن يتوفر عليها من يحاول دراسة التاريخ بصورة علمية، وسيرة الرسول الكريم بصورة خاصة^(١).

سحاب مركوم على الحق المظلوم:

أما كيف حدث كل هذا الحديث الموضوع للنيل من كرامة الرسول الكريم ﷺ؟ فنحن نرى ذلك من التعظيم الذي اصطنعه بنو أمية وبنو مروان على معالم الشخصية النبوية، مستفيدين من سياسة المنع من الحديث عن النبي ﷺ بل إحراق ما كتبه كبار الصحابة عنه: ابتداء من الخليفة الأول إذ أحرق خمسمائة حديث كان قد جمعها هو من أحاديث رسول الله ﷺ^(٢). ثم اشتد الأمر على عهد الخليفة الثاني فإنه جمع ما كتبه الصحابة عن رسول الله ﷺ وأحرقه، ولعل ذلك بعد أن اتصل به كعب الأحبار الحبر اليهودي المسلم.

ولقد كان اليهود على فرقتين؛ فرقة تؤمن بالكتابة والتدوين وهم الفريسيون، وفرقة أخرى تؤمن بوجوب الحفظ وعدم جواز كتابة شيء غير التوراة، ويقال لهؤلاء: القراء^(٣) وضعف أمر الفريسيين وكثر القراء، ويظهر أن كعب الأحبار كان من القراء، كما يظهر من جوابه لعمر حينما سأله عن

(١) انظر مقدمة الصحيح في السيرة ١: ١٦، ١٧.

(٢) راجع المصادر في كتاب النص والاجتهاد: ١٥١.

(٣) شرح ذلك النوري في كتابه الفارسي: لؤلؤ ومرجان: وفصله محمد حسن ضاضا في كتابه: التفكير الديني عند اليهود.

الشعر، فكان يَمَّا قاله عن العرب: «قوماً من ولد إسماعيل أناجيلهم في صدورهم (أي يحفظونها على ظهر القلب) ينطقون بالحكمة» وقد كان كعب عند حُسن ظن الخليفة به فكان مقرباً عنده، فلعله قِيلَ هذه النظرية من كعب الأحبار.

ويشهد لذلك مارواه ابن سعد في «الطبقات» والخطيب البغدادي في كتابه «تقييد العلم» ونقله عنها الشيخ أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية» قالوا: كثرت الأحاديث على عهد عمر بن الخطاب، فأنشد الناس أن يأتيوه بها، فلما أتوه بها أمر بتحريقها ثم قال: مشنأة كمشنأة أهل الكتاب^(١) أو قال: ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً فاكبوا عليها وتركوا كتاب الله، واني والله لا أشوب كتاب الله بشيء أبداً! فنع من الحديث عن النبي ﷺ إلا بشاهد، ومنع كبار الصحابة عن الخروج من المدينة، واستعمل على الأمصار صغارهم بمن لا اطلاع له في الدين ولا معرفة له بأحكامه^(٢). وروى ابن سعد في «الطبقات» والخطيب البغدادي في كتابه الآخر «جامع بيان العلم وفضله» ونقله عنها الشيخ أبو رية في كتابه «أضواء على السنة المحمدية»: إن الذين جاؤوا بعد عمر ساروا على نهجه في المنع عن الحديث إلا حديثاً كان على عهد عمر^(٣).

فنتج عن سياسة المنع عن الحديث وعن كتابته أن نسي الناس سنن

(١) تقييد العلم: ٥٢ والطبقات ٥: ١٤٠ والأضواء: ٤٧ والنص المثناة والصحيح ما أثبتناه وهي: الروايات الشفوية.

(٢) كأبي موسى الأشعري حيث استعمله والياً على البصرة سنة ١٨ هـ وله ثمان عشرة سنة إذ ولد في السنة الأولى للهجرة.

(٣) الطبقات ٣ ق ١: ٢٠٦ وجامع بيان العلم ١: ٦٤ والأضواء: ٤٧.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تأريخ الإسلام ٤٥

الرسول ﷺ حتى في الصلاة التي هي عمود الدين وركن الإسلام والكتاب الموقوت الذي يؤدّيه المسلمون في كلّ يوم خمس مرات، أصبحوا لا يعرفون أحكامها وحدودها، حتى أقرب الناس إلى مهبط الوحي والتنزيل الذين يفترض فيهم أن يكونوا أعرف بأحكام الإسلام وشرائع الدين... إذن فكيف بحال غيرهم من عوام الناس؟! وما هو مدى معرفتهم بدينهم وشريعتهم والحال كذلك؟! ولا سيما الناس البعداء عن منابع الثقافة الإسلامية، وبالأخصّ فيما يقلّ الابتلاء به.

فقد روى البلاذري في «أنساب الأشراف» والبيهقي في سننه والمتقي الهندي في «كنز العمال» عن عبد الزقاق وابن أبي شيبة: أن عمران بن الحصين صلى خلف علي عليه السلام فأخذ بيد مطرف بن عبد الله وقال: لقد صلى صلاة محمد ولقد ذكرني صلاة محمد^(١).

ولا شك في أن من سنن الرسول في الصلاة الجهر بالبسملة في الصلاة فكان علي عليه السلام يجهر بها، فبالغ بنو أمية في المنع عن الجهر بها سعيًا في إبطال آثار علي عليه السلام^(٢) حتى روى النسائي والبيهقي في سننها عن ابن عباس أنه كان يقول: اللهمّ العنهم فقد تركوا السنّة من بغض علي^(٣) حتى بلغ الحال بالناس على عهد علي بن الحسين عليه السلام أن كانوا لا يعرفون كيف يحجّون بل حتى كيف يصلّون^(٤) ولذلك تجرأ ابن الزبير على أن يقدم الصلاة قبل الخطبة يوم

(١) أنساب الأشراف ٢: ١٨ وسنن البيهقي ٢: ٦٨، وكنز العمال ٨: ١٤٣.

(٢) تفسير النيسابوري بهامش تفسير الطبري ١: ٧٩.

(٣) تعليقة السندي بهامش سنن النسائي ٥: ٢٥٣.

(٤) كشف القناع عن حجية الاجماع: ٦٧.

الجمعة، كما رواه الشافعي في كتابه «الأم» عن وهب بن كيسان، ثم قال :
كل سنن رسول الله قد غُيّرت حتى الصلاة^(١).

ولذلك نجد الإمام السجّاد عليه السلام يقول في دعائه يوم الجمعة ويوم
الأضحى: «اللَّهُمَّ إِنَّ هَذَا الْمَقَامَ لَخَلْفَائِكَ وَأَصْفِيائِكَ، وَ مَوَاضِعُ أَمْنَائِكَ فِي
الدرجة الرفيعة التي اختصصتهم بها قد ابتزوها. حتى عاد صفوتك
وخلفاؤك مغلوبين مقهورين مبتزين، يرون حكمك مبدلاً وكتابك منبذاً،
وفرائضك محرفة عن جهات شرعك، وسنن نبيك متروكة»^(٢).

وروى ابن سعد في «الطبقات» عن الزهري قال: دخلت على أنس
ابن مالك بدمشق وهو وحده يبكي، فقلت: ما يبكيك؟ قال: لا أعرف شيئاً
مِمَّا أدركت، إلا هذه الصلاة وقد ضيعت^(٣).

وروى الإمام مالك بن أنس في كتابه «الموطأ» عن جده
مالك قال: ما أعرف شيئاً مِمَّا أدركت الناس إلا النداء بالصلاة^(٤). واستثنى
الحسن البصري القبلة فقط فقال: لو خرج عليكم أصحاب رسول الله
ما عرفوا منكم إلا قبلتكم^(٥).

ولم يستثنِ عبدالله بن عمرو بن العاص شيئاً إذ قال: لو أن رجلين
من أوائل هذه الأمة خلوا بمصحفيهما في بعض هذه الأودية لأتيا الناس

(١) كتاب الام للشافعي ١ : ٢٠٨ .

(٢) الصحيفة السجادية : الدعاء ٤٨ .

(٣) صحيح الترمذي : ٣ : ٣٠٢ وجامع بيان العلم ٢ : ٢٤٤ والزهد والرفائق : ٥٣١
وضحى الإسلام ١ : ٣٦٥ .

(٤) الموطأ ١ : ٩٣ وشرحه ١ : ١٢٢ .

(٥) جامع بيان العلم ٢ : ٢٤٤ .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٤٧

اليوم ولا يعرفان شيئاً مما كان عليه^(١).

ومع هذه الحال فمن الطبيعي أن يروج سوق الوضّاعين الكذّابين وأن يصبّحوا هم مصدر العلم والمعرفة والثقافة للأمة المسلمة. هكذا شاء الحكّام، وهكذا استحقّ المحكومون إذ ابتعدوا عن أئمة أهل البيت عليهم السلام^(٢).

أمّا لماذا حاول بنو أميّة ورواتهم أن يستفيدوا من هذا الفراغ المفتعل بفضل المنع عن الحديث، للنيل من كرامة الرسول الكريم صلى الله عليه وآله وسائر المقدّسات الإسلامية؟ فإنّ ذلك يعود إلى:

أ - أنّ الحقد والعداء الأموي الموروث من القديم ضد بني هاشم - بما فيهم النبي صلى الله عليه وآله - لم يدعهم يقتنعوا بأنّه نبيّ مرسل حقّاً:

فقد قال أبو سفيان للعبّاس لما رأى كثرة زُحام الناس على التبرك بماء وضوء النبيّ يوم فتح مكّة: يا عبّاس! واللّه لقد أصبح ملك ابن أخيك اليوم عظيماً! فقال: ويحك إنّها النبوة! فقال: نعم!

وقال معاوية لما سمع المؤدّن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله: لله أبوك يا بن عبد الله! لقد كنت عالي الهمة، مارضيت لنفسك إلا أن يُقرن اسمك باسم ربّ العالمين^(٣).

وقال للمغيرة بن شعبة - بعد أن ذكر ملك أبي بكر وعمر وعثمان وأنّهم هلكوا فهلك ذكرهم -: وإنّ أخا هاشم! يُصرّخ به في كلّ يوم

(١) الزهد والرقائق: ٦١.

(٢) والموضوع مهم وبجاجة إلى تحقيق وبحث، أمل أن أوفق لإخراج كتاب لي في هذا الموضوع.

(٣) انظر شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠: ١٠١ عن أحمد بن أبي طاهر في كتاب «أخبار الملوك».

خمس مرات: أشهد أن مُحَمَّدًا رسول الله، فأَيُّ عمل يبقُ مع هذا؟! لا أم لك ... لا والله إلا دفناً دفناً^(١)، ولما سمع المأمون بالخبر أمر بلعنه^(٢).

وقال -أو تمثّل- ابنه يزيد بقول ابن الزبعرى:

لعبت هاشم بالملك فلا خبر جاء ولا وحي نزل

لست من خِنْدِف إن لم أنتقم من بني أحمد ما كان فعل^(٣)

وتبعه الوليد بن يزيد بن عبد الملك بن مروان يقول:

تلعب بالخلافة هاشمي بلا وحي أتاه ولا كتاب

فقل لله: ينعني طعامي وقُل لله ينعني شرابي^(٤)

وقرأ ذات يوم ﴿واستفتحوا وخاب كل جبار عنيد من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد﴾^(٥) فدعا بالمصحف فنصبه غرضاً للنشأ وأقبل يرميه وهو يقول:

أتوعدُّ كلَّ جبارٍ عنيد فها أنا ذاك جبار عنيد

إذا ماجئت ربك يوم حشر فقل: يارب خرقني الوليد^(٦)

وكان الوليد هذا مهملًا لأمره قليل العناية بأطرافه، وكان صاحب

(١) الموفقيات للزبير بن بكار: ٥٧٧ ومروج الذهب ٣: ٤٥٤ وشرح نهج البلاغة ٥: ١٢٠.

(٢) الطبري ١٠: ٢٨٤ ومروج الذهب ٤: ٤١١.

(٣) الطبري ١٠: ٢٨٦.

(٤) مروج الذهب ٣: ٢٢٨.

(٥) إبراهيم: ١٥، ١٦.

(٦) مروج الذهب ٣: ٢٢٩.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٤٩

ملاه وقيان، وإظهار للقتل والجور، وتشاغل عن أمور الناس بشرب
ومجون، فبلغ من مجونه أنه أراد أن يبني على الكعبة بيتاً يجلس فيه للهو،
ووجهه مهندساً لذلك^(١) مجوسياً ليبنى له على الكعبة مشربة للخمر، وأراد أن
ينصب قبة ديباج على الكعبة ويجلس فيها ومعه الخمر، فخوفه أصحابه من
ثورة الناس فامتنع^(٢).

ب - ولذلك فهم - كما رأينا - كانوا يريدون القضاء على هذا الدين
ودفنه نهائياً، وذلك لأنه كان يقف في وجه شهواتهم ومآربهم ويضرب
بمصلحتهم.

ج - وبالتصوير المشوه للرسول الكريم ﷺ والإسلام العظيم كانوا
يحاولون تبرير كل انحرافات وسخافات الجهاز الحاكم، والتقليل من
فضاعتها وبشاعتها في أعين الناس، وذلك برفع الفوارق الكبيرة بين
مواقفهم ومواقف النبي الأعظم ﷺ.

أما مايثقل لنا شخصية الرسول الكريم المستهدفة للأُمويين فلنذكر منه
نماذج:

١- نسمع الكهيت بن زيد الأسدي يمدح الرسول الكريم فيقول في
قصيدته البائية:

إلى السراج المنير أحمد، لا	يعدلني عنه رغبة ولا رهب
عنه إلى غيره، ولو رفع النا	س إليّ العيون وارتقبوا
وقيل: افرطت. بل قصدت ولو	عنّفي القائلون، أو ثلبوا!

(١) اليعقوبي ٣: ٧٥.

(٢) عن الأغاني والطبري في بهج الصباغة ٥: ٣٤٠.

إليك ياخير من تَضَمَّنَت الأَرْضُ وإنْ عَابَ قولي العيبَ
 بلجَّ بتفضيلك اللسان ولو أكثر فيك الضجاج واللُّجبُ
 فيما ترى من الذي يحاول أن يعدل به عن مدح النبي ﷺ بالترغيب
 والترهيب؟ ومن يرتقبون أن يُمدح عوضاً عنه - عليه الصلاة والسلام -؟
 ويأتري بماذا خاطب الكميت النبي ﷺ غير أن يقال له: ياخير من
 تَضَمَّنَت الأرض! حتى يقال له: أفرطت في مدحه! من الذي يغتفه ويثلبه
 ويعيبه؟ ومن الذي يكثر الضجاج واللجب على النبي ﷺ؟!
 ولعلَّه قد أحسَّ بأمر خطير خلف هذه السياسة الأموية فقال في
 أخرى:

رضوا بخلاف المهتدين، وفيهم غُيْبَةٌ أخرى تصان وتحجب
 فلعلَّه يقصد بالغيبة الأخرى تخريب دين النبي ﷺ بعد تشويه سمعة
 شخصه.

أو ما ذكره الرجاليون وأصحاب الطبقات في ترجمة خالد بن سلمة
 الخزومي الشهير بالفأفاء: أنه كان ينشد بني مروان هجو النبي ﷺ (١).
 وقد سبق هذا ماذكروه في ترجمة عمرو بن العاص أنه لم يرض
 بضرب نصراني سب النبي ﷺ (٢).
 ولحق هذا ما رواه المؤرخون في علل خروج زيد بن علي بن

(١) انظر دلائل الصدق لمظفر ١ : ٢٩، وراجع: بحوث مع أهل السنة والسلفية :
 ١٠١.

(٢) الإصابة ٣ : ١٩٥ عن البخاري في تاريخه بإسناد صحيح، والإستيعاب بهامش
 الإصابة ٣ : ١٩٣.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٥١

الحسين عليه السلام : أنه دخل على هشام بن عبد الملك فسمع أن النبي صلى الله عليه وآله يسب عنه فلم يذكره ولم يغير على قائله^(١).

أو أنه يقصد بالخبأة مارواه ابن عبد ربّه الأندلسي في «العقد الفريد» : أن الحجاج كتب إلى عبد الملك : أن خليفة الرجل في أهله أكرم عليه من رسوله إليهم، وكذلك الخلفاء يأمر المؤمنين أعلى منزلة من المرسلين^(٢).

ولئن كانت هذه مخبأة يوماً فإن ذلك لم يدم طويلاً حتى حج الحجاج ورأى الحجاج يطوفون بقبر الرسول صلى الله عليه وآله ومنبره بالمدينة فقال : تبأ لهم إنما يطوفون بأعواد ورمّة بالية ! هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك ؟ ! ألا يعلمون أن خليفة المرء خير من رسوله ؟ !

قال المبرّد : إن ذلك بما كُفرت به الفقهاء الحجاج^(٣).

وبهذه النظرة فلا مانع لديه أن يرمي الكعبة بالمنجنيق - بل كما قيل - بالعدرة أيضاً^(٤). ولا يرى أية حرمة لمقام إبراهيم عليه السلام فيحاول أن يضع رجله على المقام فيزجره عن ذلك محمد بن الحنفية^(٥).

وعلى هذه النظرة أيضاً : «هلاً طافوا بقصر أمير المؤمنين عبد الملك» فلا استبعاد لما احتمله السيد المرتضى العاملي : أن يكون الحجاج حين بنى

(١) انظر كشف الغمة للاربلي ٢ : ٣٥٢ وكتب التراجم والرجال في ترجمة زيد عليه السلام .

(٢) عن العقد الفريد ٢ : ٣٥٤ .

(٣) الكامل للمبرّد ١ : ٢٢٢ وسنن أبي داود ٤ : ٢٠٩ وشرح نهج البلاغة ١٥ : ٢٤٢ عن كتاب «افتراق هاشم وعبد شمس» لأبي العباس الدبّاس . والنصائح الكافية عن الجاحظ : ٨١ ، ونقل جلاً حوله الدكتور طه حسين في كتابه : الايام .

(٤) عن الفتوح لابن الأعمم الكوفي المتوفى ٣١٠ ج ٢ : ٤٨٢ وعقلاء المجانين : ١٧٨ .

(٥) طبقات ابن سعد ٥ : ٨٤ والمصنف لعبد الرزاق ٥ : ٤٩ وربيع الابرار ١ : ٨٤٣ .

مدينة (واسط) في العراق وسطاً بين الكوفة والبصرة، حوّل قبلتها من جهة الحجاز (الكعبة) إلى جهة الشام: إمّا قصر أمير المؤمنين (!) أو قبة الصخرة التي بناها وأمر الناس بالحج إليها:

فقد ذكر اليعقوبي: أنّه لما استولى ابن الزبير على مكة والحجاز كان يأخذ الحجاج بالبيعة له فلما رأى ذلك عبد الملك منعهم من الخروج إلى الحج، فضجّ الناس وقالوا: تمنعنا من حجّ بيت الله الحرام وهو فرض من الله علينا؟! فقال لهم: هذا ابن شهاب الزهري يحدثكم: أنّ رسول الله قال «لا تُشدّ الرّحال إلّا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي، ومسجد بيت المقدس» فهو يقوم لكم مقام المسجد الحرام! وهذه الصخرة التي يروى: أنّ رسول الله وضع قدمه عليها لما صعد إلى السماء، تقوم لكم مقام الكعبة!. فبنى على الصخرة قبة وعلّق عليها ستور الدّيباج وأقام لها سدنة، وأخذ الناس بأن يطوفوا حولها كما يطوفون حول الكعبة! وأقام بذلك أيام بني أمية^(١).

وإلى هذا أشار الجاحظ في بعض آثاره فقال في المفاضلة بين بني هاشم وبني أمية: وتفخر هاشم بأنهم لم يهدموا الكعبة، ولم يحولوا القبلة، ولم يجعلوا الرسول دون الخليفة^(٢).

ويفصل هذا أيضاً في بعض رسائله فيقول: حتّى قام عبد الملك بن مروان وابنه الوليد بالهدم وعلى حرم المدينة بالغزو، فهدموا الكعبة

(١) تاريخ اليعقوبي ٣: ٨، وحياة الحيوان ١: ٦٦ والبداية والنهاية ٨: ٢٨٠ والاناقة في معالم الخلافة ١: ١٢٩. وانظر بحثاً في هذا في السّنة قبل التدوين: ٥٠٢ - ٥٠٦.

(٢) عن آثار الجاحظ: ٢٠٥.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تأريخ الإسلام ٥٣

واستباحوا الحرمه، وحوّلوا قبله واسط - إلى أن قال - فأحسب أن تحويل القبلة كان غلطاً، وهدم البيت كان تأويلاً، وأحسب مارووا من كل وجه: أنهم كانوا يزعمون: أن خليفة المرء في أهله أرفع عنده من رسوله إليهم^(١)...

واحتمل السيد المرتضى العاملي: أن يكون هذا هو سر استحباب التياسر في القبلة لأهل العراق دون غيرهم عند أئمة أهل البيت عليهم السلام، ويظهر أن خصوم الشيعة قد التفتوا إلى هذا منهم، ولذلك كانوا يتهمون من يتحرى القبلة بالرفض.

فقد روى الخطيب البغدادي: أن قاضي واسط أسد بن عمرو قد رأى قبلة واسط رديئة فتحرف فيها فاتهم بالرفض^(٢).

٢- والمقايسة بين الرسول والخليفة، والتوهين بالكعبة لم يكن يقتصر على الحجاج، بل روى أبو الفرج الإصبهاني الأموي: أن خالد بن عبد الله القسري عامل هشام بن عبد الملك على مكة ذكر النبي صلى الله عليه وآله فقال: أيما أكرم: رسول الرجل في حاجته أو خليفته في أهله؟! يعرض أن هشاماً خير من النبي صلى الله عليه وآله^(٣).

وروى عن أبي عبيدة قال: خطب خالد القسري يوماً فقال: إن إبراهيم الخليل استسقى الله ماء فسقاه الله ملحاً أجاجاً (يقصد زمزم) وإن أمير المؤمنين استسقى الله ماء فسقاه عذبا نقاخاً^(٤) يقصد العين التي أجراها

(١) عن رسائل الجاحظ ٢: ١٦.

(٢) عن تاريخ بغداد ٧: ١٦ ونشوار المحاضرة ٦: ٣٦.

(٣) الاغانى ١٩: ٦٠.

(٤) الاغانى ١٩: ٦٠.

لسليمان بن عبد الملك بمكة قبل أن يحجّ إليها وأجراها إلى المسجد الحرام^(١).
وروى أنّه قال لغلامه يوماً: ابن أُمّي! أيما أعظم: ركيّتنا أم زمزم؟!
فقال له: أيها الأمير من يجعل الماء الغذب النقاخ مثل الملح الأجاج؟!
وكان يسمّي زمزم: أمّ الجعلان^(٢).

وروى عن المدائني: أنّ خالداً كان يقول: لو أمرني أمير المؤمنين
لنقضت الكعبة حجراً حجراً ونقلتها إلى الشام^(٣).

وروى أنّه حبس بعض التابعين فأعظم الناس ذلك وأنكروه فبلغه
ذلك، فخطب فقال: قد بلغني ما أنكرتم من أخذي عدوّ أمير المؤمنين ومن
حاربه، واللّه لو أمرني أمير المؤمنين أن أنقض هذه الكعبة حجراً حجراً
لنقضتها! واللّه لأمر المؤمنين أكرم على الله من أنبيائه^(٤).

٣- وتحامل ابن الزبير على بني هاشم تحاملاً شديداً وأظهر لهم
العدواة والبغضاء، حتّى بلغ ذلك منه أنّه ترك الصّلاة على مُحَمَّد ﷺ في
خطبته! فقيل له: لم تركت الصّلاة على النبي؟ فقال: إنّ له أهيل سوء
يشريؤون لذكره ويرفعون رؤوسهم إذا سمعوا به! وأخذ أربعة وعشرين
رجلاً من بني هاشم منهم مُحَمَّد بن الحنفية وعبد الله بن عبّاس امتنعوا عن
بيعته فحبسهم وهدّدهم أن يحرقهم بالنار: وقام خطيباً فنال من عليّ بن
أبي طالب عليه السلام ولما عجز عنهم أخرجهم من مكّة، فأخرج مُحَمَّد بن الحنفية

(١) اليعقوبي ٣ : ٣٨ .

(٢) الاغانى ١٩ : ٥٩ .

(٣) الاغانى ١٩ : ٦٠ .

(٤) الاغانى ١٩ : ٦٠ .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٥٥

إلى رضوى وعبد الله بن عباس إلى الطائف حتى توفي ابن عباس بها سنة ٦٨ هـ^(١).

واعتبروا أقوال الصحابة حجة كقول رسول الله ﷺ : قال الشيخ أبو زهرة في كتابه عن الإمام مالك : ووجدنا مالكا يأخذ بفتواهم - أي الصحابة - على أنها من السنة، ويوازن بينها وبين الأخبار المروية إن تعارض الخبر مع فتوى صحابي! وهذا ينسحب على كل حديث عنه - صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم - حتى ولو كان صحيحاً^(٢).

ونقل هذا السيد المرتضى العاملي في مقدمته لسيرته ثم علق عليه يقول : وليس هذا إلا لأن شأن رسول الله لم يكن عند هؤلاء في المستوى الطبيعي اللائق به كما هو ظاهر. ثم نقل عن «الرسائل المنيرية» قوله : والعجب منهم من يستجيز مخالفة الشافعي لنص له آخر في مسألة بخلافه، ثم لا يرون مخالفته لأجل نص رسول الله^(٣).

هذه هي صورة عن مكانة النبي ﷺ وتعاليمه وقيمة أقواله لديهم، نكتفي منه بهذا.

ونقول : إن وجود هذه الخطط التي استهدفت شخصية الرسول الكريم بل كل المقدسات الإسلامية، توجب علينا أن نقوم بنصوص سيرته وروايات تأريخه وتأريخ الإسلام.

(١) اليعقوبي ٣ : ٨ .

(٢) عن كتاب : الإمام مالك لأبي زهرة : ٢٩٠ .

(٣) الصحيح ١ : ٢٤ عن مجموعة الرسائل المنيرية : ٣٢ .

بماذا نقوم النصوص؟

وإن نحن أردنا ذلك في الضروري أن نعتمد فيه قبل كل شيء على:
١- عرضه على القرآن الكريم - كما مرّ - فقد روي عنه عليه السلام - كما مرّ
أيضا - أنه قال: تكثر لكم الأحاديث بعدي، فإذا روي لكم عني حديث
فاعرضوه على كتاب الله، فما وافق كتاب الله فاقبلوه، وما خالف فردّوه^(١).
وعن عليّ بن الحسين عليه السلام قال عن القرآن: «وميزان قسط لا يحيف
عن الحقّ لسانه، ونور هدى لا يطفأ عن الشاهدين برهانه، وعلم نجاة
لا يضلّ من أمّ قصد سنّته».

وروى الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام قال: ما لم يوافق كتاب الله
فهو زُخرف^(٢).

وعن ابن عباس قال: إذا سمعتموني أحدث عن رسول الله فلم
تجدوه في كتاب الله أو حسناً عند الناس، فاعلموا أنني كذبت عليه^(٣).
وعن ابن مسعود قال: فانظروا ما واطأ كتاب الله فخذوه وما خالف
كتاب الله فدعوه^(٤).

وعن معاذ بن جبل قال: فاعرضوا على الكتاب كل شيء من الكلام
ولا تعرضوه على شيء من الكلام^(٥).

(١) عن اصول الحنفية للشاشي: ٤٣.

(٢) عن اصول الكافي ١: ٥٥.

(٣) عن سنن الدارمي ١: ١٤٦.

(٤) عن المصنف ٦: ١١٢ وجامع بيان العلم ٢: ٤٢، وحياه الصحابة ٣: ١٩١.

(٥) حياة الصحابة ٣: ١٩٧ عن كنز العمال ٨: ٨٧ عن ابن عساكر.

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٥٧

وأوصى أبي بن كعب رجلاً فقال له : إِتَّخَذَ كِتَابَ اللَّهِ إِمَاماً وَارِضَ بِهِ قَاضِياً وَحَكَمًا^(١).

وعن أبي بكر في خطبة له : فَإِنْ كَانَتْ لِلْبَاطِلِ غَزْوَةٌ وَلِأَهْلِ الْحَقِّ جَوْلَةٌ يَعْفُو لَهَا الْأَثَرُ وَتَمُوتُ السُّنَنُ ، فَالْزَمُوا الْمَسَاجِدَ وَاسْتَشِيرُوا الْقُرْآنَ^(٢).

ولن ينقضي العجب من بعض أهل الزيغ حيث نسب هذا القول - وهو عرض الحديث على القرآن - إلى أهل الزيغ فقال : وقد أمر الله عز وجل بطاعته - أي النبي ﷺ - وأتباعه أمراً مطلقاً لم يقيّد بشيء كما أمرنا باتّباع كتاب الله ، ولم يقل : ما وافق كتاب الله ، كما قال بعض أهل الزيغ^(٣).

وأعجب من ذلك أن بعضهم نسب هذا الحديث إلى الزنادقة والخوارج ! فقال : الزنادقة والخوارج وضعوا ذلك الحديث ، يعني ماروي عنه أنه قال : ما أتاكم عني فاعرضوه على كتاب الله فإن وافق كتاب الله فأنا قلته وإن خالف كتاب الله فلم أقله . و : إنما أنا موافق كتاب الله وبه هداني الله .

وهذه الالفاظ لاتصح عنه عند أهل العلم بصحيح النقل من سقيمه ، وقد عارض هذا الحديث قوم من أهل العلم وقالوا : نحن نعرض هذا الحديث على كتاب الله قبل كل شيء ونعتمد على ذلك ، فلمّا عرضناه على كتاب الله وجدناه مخالفاً لكتاب الله ، لأنّا لم نجد في كتاب الله : أن

(١) عن حياة الصحابة ٣ : ٥٧٦ عن حلية الاولياء ١ : ٢٥٣ .

(٢) البيان والتبيين ٢ : ٤٤ وعيون الأخبار لابن قتيبة ٢ : ٢٣٣ . والعقد الفريد ٤ : ٦٠ .

(٣) جامع بيان العلم ٢ : ٢٣٣ عن أبي عمر .

لا يقبل شيء من حديث رسول الله، بل وجدنا كتاب الله يطلق التأسي به والأمر بطاعته، وكذا ينهى عن المخالفة عن أمره، جملة على كل حال^(١).

وقال أبو بكر البيهقي: والحديث الذي روي في عرض الحديث على القرآن باطل، فإنه ينعكس على نفسه بالبطلان، فليس في القرآن دلالة على: عرض الحديث على القرآن^(٢).

وقالوا بقول مطلق: السُّنَّة قاضية على الكتاب، وليس الكتاب بقاض على السُّنَّة^(٣).

وحاول الخطابي في شرحه لسنن أبي داود أن يجد من الحديث ما ينفي أحاديث العرض على الكتاب، وذلك في شرحه لقوله ﷺ «لا ألفين أحدكم متكئاً على أريكته يأتيه الأمر مما أمرت به أو نهيت عنه فيقول: ما ندري، ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه».

قال الخطابي معلقاً على هذا الحديث: في الحديث دلالة على أن لا حاجة إلى عرض الحديث على الكتاب، وأنه مهما ثبت عن رسول الله شيء كان حجة بنفسه فأما ما رواه بعضهم أنه قال: إذا جاءكم الحديث فاعرضوه على كتاب الله فإن وافقه فخذوه... فإنه حديث باطل لا أصل له. وقد حكى زكريا الساجي عن يحيى بن معين أنه قال: هذا حديث وضعته الزنادقة^(٤).

(١) بحوث مع أهل السُّنَّة والسلفية : ٦٨ نقلا عن جامع بيان العلم ٢ : ٢٣٣ .

(٢) عن دلائل النبوة للبيهقي ١ : ٢٦ .

(٣) سنن الدارمي ١ : ١٤٥ وتأويل مختلف الحديث : ١٩٩ ، جامع بيان العلم ٢ : ٢٣٤ ومقالات الاسلاميين ٢ : ٣٢٤ .

(٤) نقلاً عن عون المعبود في شرح سنن أبي داود ٤ : ٣٢٩ من الطبعة الحجرية .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٥٩

وقد بحث هذا الموضوع العلامة المحقق السيد مهدي الرّوحاني في كتابه «بحوث مع أهل السُنّة والسلفية» وخلص إلى القول: بأنّ هذه الأحاديث -أي أحاديث عرض الحديث على الكتاب- ناظرة إلى قبول الموافق وردّ المخالف، أمّا ما لا يوافق ولا يخالف فهو باق تحت حجّة الأخبار، فعدم وجود معنى حديث ما في كتاب الله لا يفيد مخالفة هذا الحديث له .

٢- بالإعتماد على القرآن الحكيم علينا أن نحدّد معالم شخصية الرسول الكريم التي تتلّ أسمى إنسان وجد ويوجد على وجه الأرض، متّصفاً بصفات الفضل والكمال متخلياً عمّا عداها، حتّى جعله الله لنا أسوة وقدوة مطلقاً فقال: ﴿ولكم في رسول الله أسوة حسنة﴾^(١) فهو كما وصفه حفيده الإمام الهادي عليه السلام في الزيارة الجامعة: «عصمكم الله من الزلل وآمنكم من الفتن، وطهّركم من الدنس، وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً» فهو المعصوم عن المعاصي والمبرّأ من كلّ عيب وعاهة وآفة منفرة للناس عنه، فلا يرى في أعماله أي تشبّت أو ضعف، ولا في أقواله أي تناقض أو تهافت أو سخف، بل الفضائل الكاملة، والصفات الإنسانية الرفيعة الفاضلة: حكمة وعلماً، وشجاعة وحزماً، وسكينة ووقاراً، ... وبكلمة: هو خليفة الله في أرضه وحجته على عباده .

فلاحظ إن كان النصّ منسجماً مع هذه الشخصية العظيمة قبلناه، وإلاّ رددناه . وإلاّ فكيف ننسب إلى هذه الشخصية أنّه حمل حليلته عائشة على متنه لتشهد أغاني السودان؟! أو أنّه شرب النبيذ؟! أو أنّه بال قائماً؟! أو أنّه شكّ في نبوّته؟! أو أنّه أثنى على الأوثان تقريباً للمشرّكين إلى نفسه؟! .

وما شاكل ذلك .

٣- وبالإقتداء بالقرآن الكريم الذي إنما خاطب أولي الألباب والعقول، وجعل العقل -القطعيّ الإتفاقيّ- حكماً فيما يقول وذمّ العقلاء على مخالفتهم لحكم عقولهم ... فليكن ذلك هو موقفنا في جميع القضايا التاريخية أيضاً، فتأكد من إمكان حدوثه تأريخياً .

هذا بعد التأكد من سلامة النصّ من التناقض والمعارض، والنظر في طبقات الرواة وعلاقاتهم السياسية وغيرها، والتأكد من سلامة سند النصّ من الوضّاعين والكذّابين وأصحاب الأهواء السياسية وغيرها .

بعد كلّ ذلك وبالأخذ بنظر الإعتبار جميع تلك المقاييس، يكون بإمكاننا أن نقوم النصوص غير القليلة التي تسعى أن تصوّر الرسول الكريم ﷺ بمظهر صبيّ جاهل عاجز مهين ! فلا ندع لها فرصة التسلّل إلى سيرته ﷺ .

وحيثنذ يكون بإمكاننا أن نتقدم إلى المسلمين بنصّ من ثروة التراث يكون مصدر فخر واعتزاز .

وهذه ميزة يمتاز بها تأريخ الإسلام، وهي أنّه ينطلق عن قواعد بإمكانها أن تهدي الباحث إلى الطرق الامينة والتي بإمكان سالكها أن يصل بها إلى الحقيقة التي يريدها مطمئنّ النفس راضي الضمير، شريطة التزامه بتلك القواعد والضمانات المشار إليها فيما مرّ .

واستداركاً لما فات:

واستداركاً لِمَا مرّ نقول : إنّ المدوّن من تأريخ الإسلام -بما فيه ممّا مرّ ذكره- مع ذلك يعتبر أغنى تأريخ مطلقاً، ذلك لإمّتيازه بدقته وشموله، فتراه

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تاريخ الإسلام ٦١

يلمح للمحات، ويلتفت مع اللفات، ويتحرك مع الحركات، ويتحدث عن الأحداث، ويتكلم بالكلمات، ويقف في المواقف بدقة وشمول منقطع النظير، ويملك لذلك من النصوص الشيء الكثير، بحيث لا يشابهه أي تأريخ مطلقاً، فإنه ليس بإمكان أي تأريخ آخر أن يثبت الكثير من أحاديثه عن الحوادث الكبرى بصورة قطعية فضلاً عن الجزئيات من الأمور.

لكن لا بد لمن يريد الاستفادة من كتب التاريخ الإسلامي من أن يفتح عينه ووعيه لكل كلمة منه، فيطالعها بعوي ويقظة وحذر، يسعى لاستخلاص ما ينسجم منه مع الواقع ويردّ ماعداه، بما مال به القائل أو لعبت به الأهواء، ولا سيما ما يتعلق منه بصدر الإسلام، بما يتحكم فيه الهوى المذهبي والتزلف إلى الخلفاء والأمراء والحكام فيذكر الأمر منقطعاً عن علله وعوامله ومنفصلاً عن أسبابه وجذوره، وذلك بفعل التعصب البغيض والظلم الكثير. فالمؤرخ كان لا يكتب ولا يثبت إلا ما ينسجم مع نفسية الحاكم، ويتفق وقوله، مهما كان مخالفاً للواقع والحقيقة، ولا تجاه المؤرخ عقيدته أيضاً، فهو يشوه أموراً صدرت من الحاكم أو غيره ويحيطها بالغموض والإبهام، أو يهمل أحداثاً ويتجاهل شخصيات لها أثرها في التاريخ، ويختلق أحداثاً أو شخصيات لا وجود لها، أو يسهب الكلام في وصف غرام أو مجلس رقص أو غناء وشراب ويعني بأمور حقيرة تافهة.

بينما مهمة المؤرخ أن يعكس حياة الأمة ومعرض لها من أزمت فكرية واجتماعية وسياسية واقتصادية، وبصورة عامة كل ما مرت به من أوضاع وأحوال، وذلك بدقة وأمانة. وليس بخافٍ ما في ذلك من الأثر الكثير في حياة الأمة ووضعها في الحال الحاضر: عقائدياً وعلمياً وادبياً واجتماعياً، حسب اختلاف الأحداث عمقاً وشمولاً. ولا ينبغي ترتب هذا

الأثر البارز أن يكون الحدث التاريخي قد مرّ على تأريخه أكثر من ألف عام . قلنا: إنّ المسلمين اهتموا بتدوين تأريخهم ما لانراه لغيرهم، وإنّهم بالرغم ممّا ذكر فهو أثرى تأريخ أمة مطلقاً. ولكنّ هذا لا يعني أنّ تدوينه لم يتأثر بالأهواء السياسية ومختلف العصبية المذهبية وغيرها، ممّا أدخل فيه الأباطيل والموضوعات. الأمر الذي فرض علينا أن نتخذ من المبادئ القرآنية والإسلامية، وشخصية الرسول الكريم ﷺ، مقياساً لتقييم كثير من النصوص والحكم عليها من خلال انسجامها مع كلّ ذلك، وهكذا بالنسبة إلى كلّ شخصية من إمام معصوم وغيره حصلنا منه على علم عام بسيرته وأخلاقه، مستعينين بالكثير من أدوات البحث الأخرى التي توفرها الممارسة الطويلة في هذا الموضوع، كتناقض النصوص، أو التوصل إلى عدم إمكان وقوع ذلك الحدث في تلك الفترة الزمنية أو بالنسبة إلى الشخصية المنسوب إليها.

بحث الأسناد:

إنّ هذه الحالة - حالة عدم الأمانة التامة - لاتدعنا نعتمد على الأسانيد لتكون ميزاناً نهائياً ومقياساً مطلقاً في موضوع التاريخ، إذ إنّ ذلك يعني أن نحصر أنفسنا في حصار نصوص يسيرة تكاد لاتفي حتّى بالفهرسة الإجمالية لسيرة الرسول الكريم ﷺ ومجمل تأريخ صدر الإسلام، ويعني أن نفقد الكثير من النصوص الصحيحة التي لم تحتفظ بسند فيه أدنى شرائط القبول، وسوف يفقد الناقد حريّة حركته بين النصوص للإستنتاج.

إذن، فلا يمكن ملاحظة شروط الأسناد إلّا بالنسبة لما روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، أمّا في خصوص النصوص التاريخية فإنّه لايتيسر ملاحظة

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تأريخ الإسلام ٦٣

ذلك، ذلك لأنّ التأريخ قد دُوّن بأيديّ قد تكون أمينة ولكن لا على الإطلاق ولاسيماً بالنسبة لأسناد مادّونوا من أخبار، وعلى هذا، فلا بُدّ من ملاحظة أكثر ما يمكن للتأكد من عدم الجعل والتحريف فيها قبل قبولها على أنّها من التأريخ المعتمد عليه.

وبكثرة الأكاذيب والأباطيل في الأحاديث والأقاويل التاريخية، بسبب تلاعب الأهواء المذهبية والسياسيّة كما سبق، فإنّ الاستناد إلى أفراد معيّنين من المؤرّخين أو نوعية معيّنة من الكتب التاريخية ربّما تحرم الباحث من كثيرٍ من الحقائق التاريخية المبعثرة هنا وهناك، والتي أمكن لها أن تصل إلينا عبر الموانع المتعددة سليمة من كثيرٍ من التحريف، بما أنّ الساسة لم يروها؛ أو لم يروا فيها ما يشكّل خطراً عليهم، وكذلك المتعصّبون من أرباب المذاهب، فبقيت بعيدة عن متناول أيديهم ورماحهم وغوغائهم، وآمنة من تعنّت المتعصبين وجبروت الطواغيت كي نتلقفها اليوم بسلام.

دراستنا نحن للتأريخ:

ونحن هنا نحاول بدورنا أن نستخلص صورة نقية واضحة ما أمكننا من تأريخنا تأريخ الإسلام، وبصورة أساسيّة نهتم لنبتعد عن ذلك القسم الموضوع المكذوب من النقول التاريخية، والتي لاتعدو في الحقيقة والواقع عن أوهام من خيالات أصحاب الأهواء والأغراض من المحدثين والقصاصين.

والبداية الطبيعية لتأريخ الإسلام هي سيرة الرسول الكريم ﷺ، وهذه البداية الطبيعية تفرض علينا أن نلاحظ أولاً شيئاً عن تأريخ ما قبل البعثة النبوية الشريفة، كي نتعرّف على المناخ والجوّ الذي ظهر فيه الإسلام إلى

العالم .

واعتمدنا فيما كتبناه هنا - حتى الإمكان - على أسبق ماكتبه أوروام السابقون الأولون ولاسيما من مدرسة أهل البيت عليهم السلام دون المتأخرين فضلاً عن المعاصرين إلا قليلاً، إذ هو علم نقليّ ليس للمتأخر إلا ماكتبه المتقدم اللهم إلا في كيفية الإخراج والتأليف والتصنيف والترتيب والتنظيم والتنسيق، ثم توجيهه وتحليله كلّ في حدود إمكانه وطاقته .

وقد أمسك أولئك المؤرخون القدامى عن أية دراسة أو تحليل للحوادث والوقائع التاريخية، ولعلّه صيانة لنصوص أحاديث تلك الحوادث، لا بشأن النبي صلى الله عليه وآله فحسب، بل إنّ التاريخ الإسلامي بصورة عامّة كتب بدون دراسة أو تحليل أو تحقيق . أجل إنّ أول من فتح هذا الطريق بوجه المؤرّخين الإسلاميين هو العالم العربي القاضي عبد الرحمن بن محمد الحضري المالكي المعروف بابن خلدون (ت ٨٠٨ هـ)، فإنّه أسّس في «مقدمته» أسس التاريخ التحليلي، وهي بما فيها من اشتباهات كثيرة في تحليل بعض الحوادث تعدّ أثراً مفيداً جديداً مبتكراً في بابهِ .

وقد كتبت بشأن النبي العظيم من النوعين الأوّل والثاني، أي التاريخ الوقائعي والتحليلي كتب كثيرة، ولكن يعوز النوع الأوّل: التحليل، ويعوز النوع الثاني في كثيرٍ من الأحيان أنّها على جانب كبير من الأخطاء العجيبة، حيث إنّها اعتمدت على مصادر غير معتبرة أو على كتب المستشرقين .

فبالنظر إلى هذين الإشكاليين الأساسيين عمدنا في حدود إمكاننا في دراستنا هذه أن نتجنبهما، وذلك بأن :

١- نسجّل الحوادث المهمّة التي تتميز بدروس لنا فيها، وأنّ ننقل ذلك من المصادر الأصلية الأولى المؤلّفة في القرون الأولى الإسلامية .

تقديم / كيف ينبغي أن ندرس تأريخ الإسلام ٦٥

٢- وأن نقف عند ما أورده المعترضون والمستشكلون من المستشرقين وغيرهم مما انتقدوا به الإسلام ورسوله، فنجيب على كل ذلك بأجوبة صحيحة قطعية واضحة بيّنة، وأن ندفع أية شبهة أو إشكال قد يُورد على التأريخ الإسلامي لدى شيعة أئمة أهل البيت عليهم السلام حسب المصادر والشواهد التاريخية الناطقة.

والله الموفق والمعين، وهو الهادي إلى الحق وإلى طريق مستقيم، فهو حسبي ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير.

مُحمّد هادي اليوسفي الغروي

الفصل الاول

البيئة العربية والظروف العالمية قبيل ظهور الإسلام

الجاهلية في القرآن الكريم:

قلنا: إنّ البداية الطبيعيّة لتأريخ الإسلام تفرض علينا أن نتعرّف أولاً على حالة العرب قبل الإسلام كي نتعرّف على المناخ والجو الذي انطلقت فيه الدعوة إلى الإسلام، وخير كلام في هذا المقام كلام الإمام العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» قال:

إنّ القرآن يسمّي عهد العرب المتّصل بظهور الإسلام بالجاهليّة، وليس إلا إشارة منه إلى أنّ الحاكم فيهم يومئذ الجهل دون العلم، وأنّ المسيطر عليهم في كلّ شيء الباطل دون الحق، وكذلك كانوا، على ما يقصّ القرآن من شؤونهم:

قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِاللّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(١).

وقال ﴿ أفحكم الجاهليّة يبغون ﴾^(١).

وقال : ﴿ إذ جعل الذين كفروا في قلوبهم الحمية حمية الجاهليّة ﴾^(٢).

وقال : ﴿ ولا تبرّجن تبرّج الجاهليّة الأولى ﴾^(٣).

كانت العرب يومئذٍ تجاور في جنوبها الحبشة وهي نصرانيّة، وفي مغربها إمبراطوريّة الروم وهي نصرانيّة أيضاً، وفي شمالها الفرس وهم مجوس، وفي غير ذلك مصر والهند وهما وثنيّتان، وفي أرضهم طوائف من اليهود. وهم وثنيّون يعيش أكثرهم عيشة القبائل، وهذا كلّ هو الذي أوجد لهم اجتماعاً همجياً بدوياً فيه أخلاط من رسوم اليهوديّة والنصرانيّة والمجوسيّة، وهم سكارى في جهالتهم.

وكانت العشائر البدو على ما لهم من خساسة العيش ودناءته يعيشون بالغزوات وشنّ الغارات واختطاف ما في أيدي الآخرين من متاع أو عرض، فلا أمن بينهم ولا أمانة، ولا سلم ولا سلامة، والأمر لئن غلب، والملك لئن وضع يده عليه «ومن عزّ برّ».

أمّا الرجال فالفضيلة بينهم سفك الدماء والحميّة الجاهليّة والكبر والغرور واتباع الظالمين وهضم حقوق المظلومين، والتعادي والتنافس، والقمار وشرب الخمر والزنا، وأكل الميتة وحشف التمر.

وأما النساء فقد كنّ محرومات من مزايا المجتمع الإنساني لا يملكن من أنفسهنّ إرادة ولا من أعمالهنّ عملاً، ولا يملكن ميراثاً، ويتزوّج بهنّ

(١) المائدة : ٥٠.

(٢) الفتح : ٢٦.

(٣) الأحزاب : ٣٣.

الرجال من غير تحديد بحدّ، كما عند اليهود وبعض الوثنيين، ومع ذلك فقد كنّ يتبرّجن بالزينة ويدعن من أحبين إلى أنفسهنّ، وفشا فيهنّ الزنا والسفاح حتّى المحصنات المزوّجات منهنّ، ومن عجيب بروزهن أنّهن ربّما كنّ يظفن بالبيت ليلاً عاريات من ثيابهنّ (لأنّهنّ لا يجدن إحراماً طاهراً). وأمّا الأولاد فكانوا يُنسَبون إلى الآباء لكنّهم لا يُورَثون صغاراً ويذهب الكبار بالإرث، ومن الإرث زوجة المتوفّى، ويُحرّم الصغار -ذكوراً أو إناثاً- والنساء. نعم لو ترك المتوفّى صغيراً ورثه ولكنّ الأقوياء يتولّون أمر اليتيم ويأكلون ماله، ولو كان اليتيم بنتاً تزوّجوها وأكلوا مالها ثمّ طلقوها وخلّوا سبيلها، فلا مال تقنات به ولا راغب في نكاحها ينفق عليها. والابتلاء بأمر الأيتام من أكثر الحوادث المبثلي بها بينهم لدوام الحروب والغارات والغزوات فطبعاً كان القتل شائعاً بينهم.

وكان من شقاء أولادهم أنّ بلادهم الخربة وأراضيهم الفقيرة البائرة كان يسرع إليها الجذب والقحط، فكان الرجل يقتل أولاده خشية الإملاق : ﴿ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق﴾^(١) وكانوا يثدّون البنات : ﴿وإذا المؤدّة سُئلت بأيّ ذنب قُتلت﴾^(٢) وكان من أبغض الأشياء أن يبشّر الرجل بالأنثى : ﴿وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مُسودّاً وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بُشّر به أيّمسكه على هُونٍ أم يدسّه في التراب ألا ساء ما يحكمون﴾^(٣).

(١) الإسراء : ٣١ .

(٢) التكوين : ٨ ، ٩ .

(٣) النحل : ٥٨ ، ٥٩ .

وأما وضع الحكومة بينهم : فأطراف الجزيرة وإن كانت ربّما ملك فيها ملوك تحت رعاية أقوى الجيران وأقربها كإيران لنواحي الشمال، والروم لنواحي الغرب، والحبشة لنواحي الجنوب، إلّا أنّ قرى الأوساط كمكّة ويثرب والطائف وغيرها كانت تعيش في وضع أشبه بالجمهوريّة وليس بها، والعشائر في البدو بل حتّى في داخل القرى كانت تدار بحكومة رؤسائها وشيوخها، وربّما تبدّل الوضع بالسلطنة.

وهذا هو الهرج (الفوضى) العجيب الذي كان يبرز في كلّ عدّة معدودة منهم بلون، ويظهر في كلّ ناحية من أرض شبه الجزيرة بشكل مع الرسوم العجيبة والاعتقادات الخرافيّة الدائرة بينهم. أضف إلى ذلك بلاء الأميّة وفقدان التعليم والتعلّم في بلادهم فضلاً عن العشائر والقبائل.

وكلّ هذا الذي ذكرناه من أحوالهم وأعمالهم والعادات والمراسيم الدائرة بينهم هو ممّا يُستفاد من سياق الآيات القرآنيّة والخطابات التي تخاطبهم بها، أوضح إفادة، فتدبّر في المقاصد التي ترومها الآيات والبيانات التي تلقينا إلهم بمكّة أوّلًا، ثمّ بعد ظهور الإسلام وقوّته بالمدينة ثانيًا، وفي الأوصاف التي تصفهم بها، والأمور التي تذكّمها منهم وتلومهم عليها، والنواهي المتوجّهة إليهم في شدّتها وضعفها.. إذا تأملت كلّ ذلك تجد صحّة ما ذكرناه. والتأريخ كذلك يذكر كلّ ذلك ويعرض من تفاصيله ما لم نذكره، لإجمال الآيات الكريمة وإيجازها القول فيه. وأوجز كلمة وأوفاهها لإفادة بجمل هذه المعاني ما سمّي القرآن به هذا العهد «الجاهليّة» فقد أجمل في معناها كلّ هذه التفاصيل. هذا حال عالم العرب ذلك اليوم.

وأما العالم المحيط بهم ذلك اليوم من الفرس والروم والحبشة والهند وغيرهم، فالقرآن يُجمل القول فيه أيضًا.

أما أهل الكتاب منهم أعني اليهود والنصارى ومن يلحق بهم (من المجوس والصابئة) فقد كانت مجتمعاتهم تدار بالأهواء الاستبدادية والتحكّات الفردية من الملوك والرؤساء والحكام والعمال، فكانت مقسمة طبعا إلى طبقتين: طبقة حاكمة فعالة لما تشاء، تعبت بالنفس والعرض والمال وطبقة محكومة مستعبدة مستذلة لا أمن لها في مالٍ ولا عرض ولا نفس ولا حرية ولا إرادة إلا ما وافق من يفوقها. وقد كانت الطبقة الحاكمة استألت علماء الدين وحمله الشرع واثلت بهم، وأخذت مجامع قلوب العامة وأفكارهم بأيديهم، فكانت بالحقيقة هي الحاكمة في دين الناس ودنياهم، تحكم في دين الناس كيفما أرادت بلسان العلماء وأقلامهم، وفي دنياهم بالسوط والسيف.

هذا وقد انقسمت الطبقة المحكومة أيضاً حسب قوتها في السطوة والثروة فيما بينهم، إلى طبقتي الأغنياء المترفين والضعفاء والعجزة والعبيد، وإلى رب البيت ومربويه من النساء والأولاد، وكذا إلى الرجال المالكين لحرية الإرادة والعمل في جميع شؤون الحياة وإلى النساء المحرومات من جميع ذلك والتابعات للرجال محضاً والخادמות لهم فيما أرادوه منهن من غير استقلال ولو يسيراً.

ومجمل هذه الحقيقة يظهر من قوله سبحانه: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نُشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله فإن تولّوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون﴾^(١) وكذا قوله سبحانه: ﴿يا أيّها الناس إنا خلقناكم من ذكرٍ وأنثى

وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴿^(١)﴾ وقوله في النساء: ﴿إني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكرٍ أو أنثى بعضهم من بعض﴾ ^(٢) وفيما أوصى به في التزويج بالفتيات والإماء: ﴿بعضكم من بعض فانكحوهن بإذن أهلهن﴾ ^(٣).

الجاهليّة في نهج البلاغة:

وبعد استعراض هذه الآيات من القرآن الكريم بشأن الجاهليّة يكفينا أن نتذكّر بعض ما جاء عن علي عليه السلام في «نهج البلاغة» في ذلك:

«وأنتم معشر العرب على شرّ دين وفي شرّ دار، مُنيخون بين حجارة خُشن وحيّات صُمّ، تشربون الكدِر وتأكلون الجَشِب، وتسفكون دماءكم وتقطعون أرحامكم، الأصنام فيكم منصوبة والآثام فيكم معصوبة» ^(٤).

«والناس ضلّال في حيرة، وحاطبون في فتنة، قد استهوتهم الأهواء واستزلّتهم الكبرياء واستخفّتهم الجاهليّة الجهلاء، حيارى في زلزالٍ من الأمر وبلاءٍ من الجهل» ^(٥).

«والأحوال مضطربة، والأيدي مختلفة، والكثرة متفرّقة، في بلاء ازل وإطباق جهل: من بنات مؤودة وأصنام معبودة وأرحام مقطوعة وغارات

(١) الحجرات: ١٣.

(٢) آل عمران: ١٩٥.

(٣) النساء: ٢٥. الميزان ٤: ١٥١ - ١٥٤.

(٤) نهج البلاغة، الخطبة: ٩١.

(٥) الخطبة: ٩٥.

مشنونة»^(١).

معنى الجاهليّة:

ومن مصاديق الحميّة الجاهليّة ما حاوله البعض أن يحرف في معنى الجاهليّة من معنى عدم العلم وفقدان المعرفة لديهم إلى أنها من الجهل بمعنى الحميّة والغضب، كما قد يقال: جهل زيد على عمرو بمعنى غضب عليه، وأنها ليست من الجهل بمعنى عدم العلم والمعرفة.

وهذا التوجيه ليس - كما قلنا - إلاّ مصداقاً من مصاديق الحميّة الجاهليّة، فإنّ الظاهر من إطلاق الجهل ليس إلاّ بمعنى ما يقابل العلم والمعرفة، ولا تحمل على معنى الحميّة والغضب إلاّ مجازاً بقرينة ما، كما فيما يستشهدون به من قولهم جهل عليه، فإنّ تعدية الجهل إلى المفعول بلفظة «على» أجلي قرينة لفظية لذلك، وإلاّ فلا تحمل الكلمة إلاّ على ما يقابل العلم فقط.

وليت شعري ما يقول أصحاب هذا التوجيه غير الوجيه في معنى ما جاء في الآيات الكريمة الأربع «ظنّ الجاهليّة» و«حكم الجاهليّة» و«الحميّة الجاهليّة» و«تبرّج الجاهليّة» فهل يصحّ أن تفسّر الجاهليّة في هذه الآيات بمعنى الغضب؟

وقد رأينا أمير المؤمنين عليه السلام وصف الجاهليّة بالجهلاء تأكيداً للمعنى المعروف من الجاهليّة، ثمّ قال: «وبلاء من الجهل» و«إطباق جهل» ممّا يؤكّد ذلك أيضاً ويدفع أيّ ترديد فيه.

«لقد أوضح لنا الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في كلماته المتقدمة حالة العرب ومستواهم العلمي والثقافي، وأنهم كانوا يعيشون في ظلمات الجهل والحيرة والضّياغ ..

وهذا يكذب كلّ ما يدّعيه الآخرون - كالألوسي وغيره - من أن العرب كانوا قد تميّزوا ببعض العلوم: كعلم الطبّ والأَنْواء والقيافة والعيافة...»^(١).

ويقول ابن خلدون بهذا الصدد «إنّ المِلَّة - العربيّة - في أوّلها لم يكن فيها علم ولا صناعة، وذلك لمقتضى أحوال السّذاجة والبداوة .. فالقوم يومئذٍ عرب لم يعرفوا أمر التعليم والتأليف والتدوين، ولا دفعوا إليه، ولا دعّتهم إليه حاجة .. فالأُمِّيّة يومئذٍ صفة عامّة»^(٢).

ويقول عن علم الطب عند العرب: «.. طب بينونه - في غالب الأمر - على تجربة قاصرة على بعض الاشخاص متوارثاً عن مشايخ الحيّ وعجائزه، وربّما يصحّ منه البعض إلّا أنّه ليس على قانون طبيعى ولا على موافقة المزاج. وكان عند العرب من هذا الطب كثير، وكان فيهم أطباء معروفون كالحارث بن كلدة وغيره»^(٣).

ويكفي أن نذكر هنا ما رواه البلاذري في أميّتهم: إنّ الإسلام دخل وفي قريش سبعة عشر رجلاً، وفي الأوس والخزرج في المدينة اثنا عشر

(١) الصحيح من سيرة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله ١ : ٤٨ .

(٢) مقدمة ابن خلدون : ٥٤٣ .

(٣) مقدّمة ابن خلدون : ٤٩٣ .

رجلاً يعرفون القراءة والكتابة^(١).

ويقول ابن خلدون عن نوعية الخطّ عندهم «وكانت كتابة العرب بدوية وكان الخط العربي لأوّل الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط، ذلك لمكان العرب من البداوة والتوحّش وبعدهم عن الصنائع. وأنظر ما وقع -لأجل ذلك- في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثمّ اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبرّكاً بما رسمه اصحاب الرسول»^(٢). بل ربّما كانوا يعتبرون القراءة والكتابة عيباً، فقد قال عيسى بن عمر: قال لي ذو الرّمة: ارفع هذا الحرف. فقلت له: أتكتب؟ فقال بيده على فيه اي اكتب عليّ، فإنّه عندنا عيب^(٣).

وقال ابن خلدون بهذا الصدد: «مع ما يلحقهم من الأنفة عن انتحال العلم حينئذ، لأنّه من جملة الصنائع، والرؤساء -أبداً- يستنكفون عن الصنائع والمهن وما يجزّ إليها»^(٤).

فالذي رواه الرواة والمؤرخون يفيد نفي وجود أي لون من ألوان التعليم، أو وجوده ولكن بنسبة صغيرة جداً حيث لا يتجاوز عدد المتعلمين عدد أصابع اليدين والرجلين في كلّ بلدان الحجاز وحواضره.

(١) فتوح البلدان ق ٣ : ٥٨٠ .

(٢) مقدّمة ابن خلدون : ٤١٩ .

(٣) الشعر والشعراء لابن قتيبة : ٣٣٤ .

(٤) مقدّمة ابن خلدون : ٥٤٤، فصل «أنّ حكمة العلم في الإسلام أكثرهم العجم» .

ذهب بعض المتأخرين من المؤرخين العرب -منهم محمد عزة دروزة في كتابه: القرآن المجيد- إلى أنّ هناك في المدن الحجازية فئة من المتعلمين بنسبة لا يمكن تجاهلها. وكلّ ما سجّله هؤلاء في كتبهم لتأييد رأيهم هو: -أنّ البيئة الحجازية- ولا سيّما مكة والمدينة -كانت بيئة تجارية-، كما أشار إلى ذلك القرآن الكريم في سورة قريش، فكانت -بحكم عملها وطبيعتها- على اتّصال وثيق ومستمر مع البلاد المجاورة من الشام واليمن والعراق والتي كانت على جانب لا بأس به من العلم والثقافة.

وكانت البيئة الحجازية تضم فئات كُتّابيّة: يهودية ومسيحية اصيلة ونازحة من البلاد المجاورة، والتي كانت تتداول ما بينها الكتب الدينية وغيرها قراءة وكتابة.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فقد ورد في القرآن العزيز أطول آية في سورة البقرة تطلب من الناس تسجيل كافة المعاملات والتصرفات وكتابتها نقداً أو ديناً صغيرة أو كبيرة^(١) فكيف تطلب هذه الآيات من الناس تحقيق كلّ ذلك دون وجود قسم من المتعلمين في صفوفهم يكتبون ويدوّنون عن أنفسهم أو الآخرين.

هذا بالاضافة إلى أنّ كتبة الوحي بين يدي الرسول ﷺ بلغ عددهم أكثر من أربعين رجلاً، وأنّ كثيراً منهم كانوا مكّيين، وهم الذين كتبوا القسم المكّي من القرآن قبل هجرته ﷺ إلى المدينة، فهذا دليل على وجود المتعلمين في مكة وإن كانوا قليلين، سواء ممّن كتب الوحي من هؤلاء ومن لم يسلم بعد.

كما إنّ الأسرى الفقراء من قريش الذين وقعوا في قبضة المسلمين في معركة بدر الكبرى في العام الثاني للهجرة، والذين لم يستطيعوا أن يقدموا فدية نقدية لإطلاق سراحهم، كلف كلّ واحد منهم -ممن يجيد القراءة والكتابة- تعليم عشرة من أطفال المسلمين في المدينة القراءة و الكتابة لقاء إطلاق سراحهم، ويحدّثنا البلاذري: أنّ كثيرين منهم قاموا بما كلّفوا به من تعليم الأطفال في المدينة وأصبحوا بعدها أحراراً عادوا إلى مكة، كما أسلم بعضهم بعدما لمسوا عدالة الإسلام وسماحته فكيف يعقل هنا أن يجيد قسم من الفقراء ومعدمي القرشيين القراءة والكتابة ولا يتقنها أغنيائهم وتجارهم وأرباب السلطان منهم! (١).

وخلاصة القول في جواب هؤلاء هو أن نقول: إنّ الجهل كان هو الحاكم المطلق ولا نلاحظ نحن فيهم أي شيء من العلوم قبل الإسلام بل لا نرى إلا جهلاً وحيرة وضياًعاً. أمّا ما استشهد به هؤلاء فلا يعدو أن يكون ممّا قام به الإسلام لمحو الأمية.

أمّا أولوية أن يكون ذوو الغنى والسلطان منهم يقرأون ويكتبون فقد عرفت فساده ممّا سبق عن ابن خلدون. وأمّا عدد كتّاب الوحي فقد فنّد أكثر العدد العلامة السيد ابو الفضل مير محمدي في كتابه القيم «بحوث في تاريخ القرآن وعلومه».

ولا يفوتنا هنا أن ننوّه إلى: أنّ أميَّتهم هذه كانت السبب في قوة حافظتهم التي امتازوا بها، فأصبح الكثير منهم حفظة القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم.

(١) لمحات من تاريخ القرآن للسيد محمد علي الاشيقر، ط النجف: ٣٦ و ٣٧.

لكن مستواهم الثقافي هذا كان السبب الطبيعي في أن ينظروا إلى أهل الكتاب عموماً واليهود خصوصاً نظرة التلميذ إلى معلّمه فتكون لهم الهيمنة الفكرية عليهم، ممّا بقيت آثاره في أخبار رواتهم فيقول الطبري: «عن بعض أهل العلم من أهل الكتاب».

غيرة وحمية، أم حمية جاهلية:

كما حاولوا أن يوجّهوا الجاهلية بتفسيرها بمعنى الغضب لا عدم العلم والمعرفة، كذلك حاولوا تحريف الحمية الجاهلية المذكورة في القرآن الكريم من كونها صفة ذميمة إلى جعلها خصيصة ذات ميزة للعرب قبل الإسلام، وذلك بحذف صفة الجاهلية وإضافة لفظة «الغيرة» إلى «الحمية».

والحقيقة هي أن الحمية صفة ذميمة، إذ هي تعني أن يكون النصر للقبيلة وذوي القرابة فقط، وإنّ العون لا بدّ وأنّ يمحّض لهم ظالمين كانوا أو مظلومين فلا بدّ من الوقوف إلى جانب ابن القبيلة سواء كان الحقّ له أو عليه، حتّى قال شاعرهم يمتدحهم بذلك:

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا
وفي المقابل تتحمّل القبيلة عنه كلّ جناية وجريمة يرتكبها، وتحميه من كلّ من أراد به سوء. وهذا هو التعصّب القبلي الذي لا يرحم ولا يلين. فالتعصّب القبلي كان من مميّزات الإنسان العربي وخصائصه.

ومن الطبيعي أن يكون شعور أفراد كلّ قبيلة بالنسبة لأبناء قبيلتهم قوياً جداً، وذلك بدافع من شعورهم بالحاجة إلى قبائلهم للدفاع عن أنفسهم.

وهذا هو السرّ في شجاعتهم أيضاً، وذلك أنّهم يحكم بيّتهم وحياتهم

في الصحراء بلا حواجز وموانع طبيعيّة أو غيرها، كانوا يشعرون بحاجتهم إلى حماية أنفسهم والدفاع عنها، ولا يردّ عنه إلّا يده وسيفه ثمّ أهله وعشيرته، وهو يرى نفسه في كلّ حين عرضة للغزو والنهب والسلب والغارات والثرارات.

إنّ حياة البادية والغزو المفاجيء وعمليات الاغتيال ثاراً التي كانت تهدّدهم دائماً، كلّ ذلك كان يستدعي سرعة الإقدام ومباشرة العمل فوراً، فإذا اضيف إلى ذلك عدم شعورهم بالمسؤوليّة عمّا يفعلون، فإنّ الإقدام بلا تروٍّ ولا تريث لا بدّ وأنّ يصبح هو الصّفة المميّزة لهم والطّاغية على تصرفاتهم.. ولذا فقد قلّ أن تجد فيهم حلياً.

وأخيراً فقد نعى القرآن الكريم على الجاهليّة هذه الحميّة فعبّر عنها بالحمية الجاهليّة، وهذا يعني أنّها كانت من دون تثبّت في الفكر والرأي بل للجهل، فكيف تكون ميزة؟!

أجل إنّ الإسلام حاول أن يضع هذه الحميّة في خطّها الصحيح وأنّ يجعلها تنطلق من قواعد إنسانيّة وعواطف حقيقيّة وفضائل أخلاقيّة، وبالأخصّ من إحساس دينيّ صحيح، وأنّ يستفيد منها في بناء الأُمّة على أسس صحيحة وسليمة. فقد حاول أن يوجّه العصبيّة القبليّة وجهة بناءة ويقضي على كلّ عناصر الشر والانحراف فيها، فدعى إلى برّ الوالدين وإلى صلة الرحم، وجعل ذلك من الواجبات وذلك لربط الأُمّة المسلمة بعضها ببعض. وفي الوقت نفسه أدان كلّ تعصب لغير الحقّ ونذّر به وعاقب عليه، واعتبر ذلك من دعوات الجاهليّة المنتنة كما جاء في بعض نصوص الاحاديث. وكذلك حاول أن يوجّه غيرتهم وحميتهم وشدّتهم إلى حيث

قال تعالى: ﴿أَشْدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ﴾^(١).

بناء الكعبة المعظمة:

يجدر بنا ونحن نحاول دراسة التاريخ الإسلامي أن نتعرف على تاريخ بناء الكعبة في مكة المكرمة، وذلك يجزنا إلى البدء بتاريخ بانها إبراهيم عليه السلام، فلنبدأ به:

ومن اجمع ما يتضمن قصة الخليل عليه السلام ما جاء في «روضة الكافي» بسنده عن علي بن إبراهيم القمي، عن زيد الكرخي قال: سمعت أبا عبد الله الصادق عليه السلام يقول: إن إبراهيم عليه السلام كان مولده بكوثرانيا وكان أبوه من أهلها، وكانت أم إبراهيم وأم لوط عليه السلام، سارة وورقة اختين، وهما ابنتان للاحج، وكان للاحج نبياً منذراً، ولم يكن رسولاً. وكان إبراهيم عليه السلام في شببته على الفطرة التي فطر الله عز وجل الخلق عليها حتى هداه الله تبارك وتعالى إلى دينه واجتبه وأنه تزوج سارة ابنة^(٢) للاحج، وهي ابنة خالته، وكانت سارة صاحبة ماشية كثيرة وأرض واسعة وحال حسنة، وكانت قد ملكت إبراهيم عليه السلام جميع ما كانت تملكه، فقام فيه وأصلحه وكثرت الماشية والزرع حتى لم يكن بأرض كوثرانيا رجل أحسن حالاً منه.

وإن إبراهيم لما كثر اصنام نمرود وأمر به نمرود فأوثق، وعمل له

(١) الفتح: ٢٩.

(٢) قد علق العلامة المجلسي في الجزء ٢٦ من مرآة العقول على ذلك بأنه لا بد وأن تكون ابنة ابنة للاحج، ولعل السقط من النسخ حيث تصوّر أنها زائدة.

حائراً وجمع له فيه الحطب وأهلب فيه النار، ثم قذف إبراهيم عليه السلام في النار لتحرقه، ثم اعتزلوها حتى خمدت النار. ثم اشرفوا على الحائر فإذا إبراهيم عليه السلام سليماً مطلقاً من وثاقه. فأخبر نمرود خبره، فأمرهم أن ينفوا إبراهيم عليه السلام من بلاده، وأن يمنعوه من الخروج بماشيته وماله فحاجهم إبراهيم عليه السلام عند ذلك فقال: إن أخذتم ماشيتي ومالي فإن حقّي عليكم أن تردّوا عليّ ما ذهب من عمري في بلادكم! واختصموا إلى قاضي نمرود ففضى على اصحاب نمرود أن يردّوا على إبراهيم عليه السلام ماله! وأخبر بذلك نمرود، فأمرهم أن يخلّوا سبيله وسبيل ماشيته وماله ويخرجوه وقال: إنّه إن بقي في بلادكم أفسد دينكم (!) وأضرّ بآهتكم. فأخرجوا إبراهيم ولوطاً عليهما معه من بلادهم إلى الشام.

فخرج إبراهيم -ومعه لوط لا يفارقه- وسارة، وقال لهم «إني ذاهب إلى ربّي سيّدين» يعني إلى بيت المقدس. فتحمل إبراهيم بماشيته وماله، وعمل تابوتاً وجعل فيه سارة وشدّ عليها الاغلاق غيرّةً منه عليها. ومضى حتّى خرج من سلطان نمرود، وصار إلى سلطان رجل من القبط يقال له: عزارة، فرّ بعاشر له فاعترضه العاشر ليعثر ما معه، فلما انتهى إلى العاشر ومعه التابوت قال العاشر لإبراهيم عليه السلام: إفتح هذا التابوت لنعثر ما فيه، فقال له إبراهيم عليه السلام: قل ما شئت فيه من ذهب أو فضة حتّى نعطي عشره ولا نفتحه. فأبى العاشر إلّا فتحه، وغضب إبراهيم عليه السلام على فتحه. فلما بدت له سارة -وكانت موصوفة بالحسن والجمال- قال له العاشر: ما هذه المرأة منك؟ قال إبراهيم عليه السلام: هي حرمتي وابنة خالتي. فقال له العاشر: فما دعاك إلى أن خبّيتها في هذا التابوت؟ فقال إبراهيم عليه السلام: الغيرة عليها أن يراها أحد! فقال له العاشر: لست أدعك تبرح حتّى أعلم الملك حالها

وحالك .

فبعث رسولاً إلى الملك فأعلمه، فبعث الملك رسولاً من قبله ليأتوه بالتابوت، فأتوا ليذهبوا به فقال لهم إبراهيم عليه السلام : إني لست أفارق التابوت حتى يفارق روحي جسدي ! فاخبروا الملك بذلك، فأرسل الملك : أن احملوه والتابوت معه . فحملوا إبراهيم عليه السلام والتابوت وجميع ما كان معه حتى أدخل على الملك، فقال له الملك : افتح التابوت ! فقال له إبراهيم عليه السلام : أيها الملك إن فيه حرمتي وابنة خالتي وأنا مفتد فتحة بجميع ما معي . فغضب الملك إبراهيم عليه السلام على فتحه، فلما رأى سارة لم يملك حلمه سفهه أن مدّ يده إليها، فأعرض إبراهيم عليه السلام وجهه عنها وعنه - غيرة منه - وقال : اللهم احبس يده عن حرمتي وابنة خالتي ! فلم تصل يده إليها ولم ترجع إليه !

فقال له الملك : إن إلهك هو الذي فعل بي هذا ؟ فقال له : نعم إن إلهي غيور يكره الحرام، وهو الذي حال بينك وبين ما أردته من الحرام . فقال له الملك : فادع إلهك يردّ عليّ يدي، فإن أجابك فلن أعرض لها . فقال إبراهيم عليه السلام : إلهي ردّ إليه يده ليكفّ عن حرمتي، قال : فردّ الله عزّ وجلّ إليه يده .

فأقبل الملك نحوه ببصره ثمّ عاد بيده نحوها فأعرض إبراهيم عنه بوجهه غيرة منه، وقال : اللهم احبس يده عنها . قال : فبيست يده ولم تصل إليها .

فقال الملك لإبراهيم عليه السلام : إن إلهك لغيور، وإنك لغيور، فادع إلهك يردّ إليّ يدي، فإنه إن فعل لم أعد ! فقال إبراهيم عليه السلام : أسأله ذلك على أنّك إن عدت لم تسألني أن أسأله ! فقال له الملك : نعم، فقال إبراهيم : نعم .

فقال إبراهيم عليه السلام: اللهم إن كان صادقاً فردّ يده عليه. فرجعت إليه يده. فلما رأى ذلك الملك من الغيرة ما رأى، ورأى الآية في يده، عظم إبراهيم عليه السلام وهابه وأكرمه واتّقاه، وقال له: قد أمنت من أن أعرض لها أو لشيء مما معك فانطلق حيث شئت، ولكن لي إليك حاجة! فقال إبراهيم عليه السلام: ما هي؟ فقال له: أحب أن تأذن لي أن أخدمها قبطية عندي جميلة عاقلة تكون لها خادماً، فأذن إبراهيم عليه السلام فدعا بها فوهبها لسارة، وهى هاجر أم إسماعيل عليه السلام.

فسار إبراهيم عليه السلام بجميع ما معه، وخرج الملك معه يمشي خلف إبراهيم عليه السلام إعظاماً لإبراهيم وهيبةً له، فأوحى الله تبارك وتعالى إلى إبراهيم عليه السلام: أن قف ولا تمسّ قدّام الجبّار المتسلّط وهو يمشي خلفك، ولكن اجعله أمامك وامش خلفه وعظمه وهبه فإنه مسلّط، ولا بدّ من إمرة في الأرض برّة أو فاجرة! فوقف إبراهيم عليه السلام وقال للملك: امض، فإنّ إلهي أوحى إليّ الساعة: أن أعظمك وأهابك، وأن أقدمك أمامي وأمشي خلفك إجلالاً لك! فقال له الملك: أوحى إليك بهذا؟ فقال إبراهيم عليه السلام: نعم. فقال له الملك: أشهد أن إلهك لرفيق حلیم كريم، وأنك ترعّبي في دينك! وودّعه الملك.

فسار إبراهيم عليه السلام حتّى نزل بأعلى الشامات وقد خلف لوطاً عليه السلام في أدنى الشامات.

ثمّ إنّ إبراهيم عليه السلام لما أبطأ عليه الولد قال لسارة: لو شئت لبعثني هاجر لعلّ الله أن يرزقنا منها ولداً فيكون لنا خلفاً؟! فابتاع إبراهيم عليه السلام

هاجر من سارة فتزوّج بها، فولدت إسماعيل عليه السلام ^(١).

وروى علي بن إبراهيم القمي في تفسيره عن أبيه عن هشام عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال:

إن إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في بادية الشام، فلما ولد له من هاجر إسماعيل اغتمت سارة من ذلك غمّاً شديداً لأنه لم يكن له منها ولد، فكانت تؤذي إبراهيم في هاجر وتغمّه، فشكى إبراهيم ذلك إلى الله عزّ وجلّ، فأوحى الله إليه، إنّما مثل المرأة مثل الضلع الأعوج، إن تركتها استمعت بها وإن أقمته كسرتها. ثمّ أمره أن يخرج إسماعيل وأمه، فقال: يا ربّ إلى أيّ مكان؟ قال: إلى حرمي وأمني وأوّل بقعة خلقتها من الأرض وهي مكة. فأنزل الله عليه جبرئيل بالبراق فحمل هاجر وإسماعيل. وكان إبراهيم لا يمرّ بموضع حسن فيه شجر ونخل وزرع إلّا قال: يا جبرئيل إلى ها هنا؟ إلى ها هنا؟ فيقول: لا، امضي، امضي، حتّى أتى مكة، فوضعه في موضع البيت. وقد كان إبراهيم عليه السلام عاهد سارة: أن لا ينزل حتّى يرجع إليها، فلما نزلوا في ذلك المكان كان فيه شجرة، فألقت هاجر على ذلك الشجر كساء كان معها فاستظلّوا تحته، فلما سترهم ووضعهم وأراد الانصراف منهم إلى سارة قالت له هاجر: يا إبراهيم لم تدعنا في موضع ليس فيه أنيس ولا ماء ولا زرع؟!

فقال إبراهيم: الله الذي أمرني أن أضعكم في هذا المكان حاضر عليكم. ثمّ انصرف عنهم فلما بلغ كداء -وهو جبل بذي طوى- التفت إليهم

(١) روضة الكافي: ٣٠٤ - ٣٠٦ ط النجف الأشرف، وانظر تفسير القمي ١: ٢٠٦،

٢٠٧ ط النجف الأشرف.

إبراهيم فقال: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ﴾^(١) ثُمَّ مَضَى وَبَقِيَتْ هَاجِرٌ.

فلما ارتفع النهار عطش إسماعيل وطلب الماء، فقامت هاجر في الوادي في موضع المسعى ونادت: هل في الوادي من أنيس؟! فغاب عنها إسماعيل، فصعدت على الصفا ولمع لها السراب في الوادي وظنّت أنه ماء وسعت، فلما بلغت المسعى غاب عنها، ثمّ لمع لها السراب في ناحية الصفا فعادت حتّى بلغت الصفا، حتّى فعلت ذلك سبع مرّات، فلما كان في الشوط السابع وهي على المروة نظرت إلى إسماعيل وقد ظهر الماء من تحت رجله، فعادت حتّى جمعت حوله رملاً فزمته بما جعلته حوله فلذلك سمّيت زمزم. وكانت جرّهم نازلة بذي المجاز وعرفات، فلما ظهر الماء بمكة عكفت الطير والوحش على الماء فنظرت جرّهم إلى تعكّف الطير على ذلك المكان فاتّبعوها حتّى نظروا إلى امرأة وصبيّ في ذلك الموضع قد استظلّوا بشجرة، وقد ظهر الماء لهما. فقالوا لهاجر: من أنت وما شأنك وشأن هذا الصبيّ؟ فقالت: أنا أمّ ولد إبراهيم خليل الرحمن وهذا ابنه، أمره الله أن ينزلنا ها هنا. فقالوا لها: أيّتها المباركة أفتأذني لنا أن نكون بالقرب منكما؟

فلما زارهم إبراهيم عليه السلام في اليوم الثالث قالت هاجر: يا خليل الله إنّ ها هنا قوماً من جرّهم يسألونك أن تأذن لهم حتّى يكونوا بالقرب منّا، أفتأذن لهم في ذلك؟ فقال إبراهيم: نعم. فأذنت، فنزلوا بالقرب منهم وضربوا خيامهم، فأنست هاجر أمّ إسماعيل بهم.

فلما زارهم إبراهيم في المرة الثالثة نظر إلى كثرة الناس حولهم فسرّ بهم سروراً شديداً. وكانت جرّهم قد وهبوا لإسماعيل كلّ واحد منهم شاة وشاتين فكانت هاجر وإسماعيل يعيشان بها.

فلما بلغ إسماعيل مبلغ الرجال أمر الله إبراهيم ﷺ أن يبني البيت، فقال: يا ربّ في أيّ بقعة؟ قال: في البقعة التي أنزلت على آدم القبة فأضاء لها الحرم فلم تزل البقعة التي أنزلتها على آدم قائمة حتّى كان طوفان نوح فلما غرقت الدنيا رفعت تلك القبة وغرقت الدنيا إلّا موضع البيت. فبعث الله جبرئيل ﷺ فخطّ له موضع البيت، وأنزل الله عليه القواعد من الجنة، ونقل إسماعيل الحجر من ذي طوى، وبنى إبراهيم البيت فرفعه إلى السماء تسعة إذرع. وكان الحجر الذي أنزله الله على آدم أشدّ بياضاً من الثلج، فاستخرجه إبراهيم ﷺ ووضع في موضعه الذي هو فيه. وجعل له بابين: باباً إلى المشرق وباباً إلى المغرب يسمّى المستجار، ثمّ ألقي عليه الشجر والاذخر^(١) وعلقت هاجر إلى بابه كساء كان معها فكانوا يكتّون تحته.

فلما بناه وفرغ منه نزل عليهما جبرئيل ﷺ يوم التروية لثمان مضيّن من ذي الحجة فقال: يا إبراهيم قم فارتو من الماء. لأنّه لم يكن بمضى وعرفات ماء، فسمّيت التروية لذلك، ثمّ أخرجه إلى مئى فبات بها، ففعل به ما فعل بآدم ﷺ^(٢).

وروى علي بن إبراهيم القمي أيضاً عن أبيه عن معاوية بن عمار عن أبي عبد الله ﷺ أنّه قال: إنّ إبراهيم ﷺ أتاه جبرئيل عند زوال الشمس

(١) الاذخر: نبات طيب الرائحة.

(٢) تفسير القمي ١: ٦٠ - ٦٢.

من يوم التروية فقال: يا إبراهيم ارتو من الماء لك ولأهلك - ولم يكن بين مكة وعرفات ماء - فسميت التروية بذلك . فذهب به حتى انتهى به إلى هنيّ فصلّى به الظهر والعصر والعشائين والفجر، حتى إذا بزغت الشمس خرج إلى عرفات فنزل بنمرة، وهي بطن عرفة . فلما زالت الشمس خرج واغتسل فصلّى الظهر والعصر بأذان واحد وإقامتين، وصلّى في موضع المسجد الذي بعرفات - وقد كانت ثمة أحجار بيض فأدخلت في المسجد الذي بُني - ثم مضى به إلى الموقف فقال: يا إبراهيم اعترف بذنبك، واعرف مناسكك . ولذلك سميت عرفة . فأقام به حتى غربت الشمس، ثم أقاض به فقال: يا إبراهيم ازدلف إلى المشعر الحرام - فسميت المزدلفة - وأتى به المشعر الحرام، فصلّى به المغرب والعشاء الآخرة بأذان واحد وإقامتين، ثم بات بها فرأى في النوم أنّه يذبح ابنه ... حتى إذا صلى بها صلاة الصبح أراه الموقف .

ثم أقاض إلى منى فأمره فرمى جمره العقبة عندما ظهر له إبليس لعنه الله، وأمر أهله فسارت إلى البيت، واحتبس الغلام، فانطلق به إلى موضع الجمرة الوسطى، فاستشار ابنه وقال - كما حكى الله ﴿ يا بني إني أرى في المنام أنّي أذبحك فانظر ماذا ترى ﴾ فقال الغلام - كما حكى الله ﴿ يا أبتِ افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين ﴾^(١) .

وأقبل شيخ فقال: يا إبراهيم ما تريد من هذا الغلام؟ قال: أريد أن أذبحه! فقال: سبحان الله! تذبح غلاماً لم يعص الله طرفه عين! فقال له إبراهيم: ويلك إنّ الذي بلغني هذا المبلغ هو الذي أمرني به!

فقال : لا والله ما أمرك بهذا إلا الشيطان !

فقال إبراهيم : لا والله لا أكلمك، ثم عزم إبراهيم على الذبح .

فقال : يا إبراهيم إنك إمامٌ يُقتدى بك، وإنك إن ذبحته ذبح الناس أولادهم ! فلم يكلمه . وأقبل إلى الغلام فاستشاره في الذبح، فقال الغلام كما حكى الله : امضي كما أمرك الله به، فلما أسلما جميعا لأمر الله قال الغلام : يا أبتِ خمر^(١) وجهي وشدّ وثاقي !

فقال إبراهيم : يا بني ! الوثاق مع الذبح ؟ لا والله لا أجمعها عليك اليوم، فرمى له بقرطان الحمار^(٢) ثم أضجعه عليه وأخذ المديّة فوضعها على حلقه، ورفع رأسه إلى السماء ثم انتحى عليه بالمديّة فقلّب جبرئيل المديّة على قفاها وأثار الغلام من تحته، واجترأ الكبش من قبل ثبير الجبل الذي عن يمين مسجد منى وكان أملح أغبر أقرن يمشي في سواد ويأكل في سواد، فوضعه مكان الغلام، ونودي من (قبل) مسجد الحيف ﴿ أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا إنّنا كذلك نجزي المحسنين إنّ هذا لهو البلاء المبين ﴾^(٣) .

ولحق إبليس بأُمّ الغلام بحذاء البيت في وسط الوادي فقال لها : رأيت شيخاً ومعه وصيف قد أضجعه الشيخ وأخذ المديّة ليذبحه !

فقالت : كذبت، إنّ إبراهيم أرحم الناس، كيف يذبح ابنه !

قال : فوربّ السماء والأرض وربّ هذا البيت، لقد رأيته أضجعه

وأخذ المديّة !

(١) خمر : استره بالخمار .

(٢) قرطان الحمار : ما يجعل على ظهره من الجلّ والقماش .

(٣) الصافات : ١٠٤ - ١٠٦ .

فقالت : ولم؟ قال : زعم أن ربّه أمره بذلك . فوقع في نفسها أنّه قد أمر في ابنها بأمر، فقالت : فحقّ له أن يطيع ربّه . ولما قضت مناسكها أسرع في الوادي راجعة إلى منى^(١) .

وما جاء في خبر علي بن إبراهيم القمي عن الإمام الصادق عليه السلام : أن الكعبة كانت قبل طوفان نوح قبة ضربها آدم عليه السلام بموضع البيت، يؤيده ما جاء في الخطبة المعروفة بالقاصعة للإمام علي عليه السلام أنّه قال :

«ألا ترون أن الله سبحانه اختبر الأولين من لدن آدم - صلوات الله عليه - وإلى الآخرين من هذا العالم، بأحجار لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع، فجعلها بيته الحرام الذي جعله للناس قياماً . ثمّ وضعه بأوعر بقاع الأرض حجراً وأقل تناثق الدنيا مدرّاً، وأضيق بطون الأودية قطراً، بين جبال خشنة ورمال دمثة، وعيون وشلة وقرى منقطعة، لا يزكو بها خفّ ولا حافر ولا ظلف . ثمّ امر آدم وولده : أن يثنوا اعطافهم نحوه، فصار مثابة لمنتجع أسفارهم وغاية لملتقى رحالهم، تهوى إليه الأفتدة من مفاوز سحيقة .»^(٢) .

ولعلّ هذا هو معنى قوله تعالى ﴿ وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ﴾^(٣) فإن رفع القواعد يفيد أنها كانت قد وضعت قبل ذلك وإن إبراهيم هو الذي

(١) تفسير القمي ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٦ .

(٢) نهج البلاغة، الخطبة : ١٩٢، صبحي الصالح .

(٣) البقرة : ١٢٧ و ١٢٨ .

رفعها وشيّد على أساسها وإن لم تكن بقيت بعد طوفان نوح، حيث قرأنا في الخبر عن الإمام الصادق عليه السلام أنّ جبرئيل هو الذي دلّ إبراهيم عليه السلام على موضع البيت .

وحيث لاحظ إبراهيم عليه السلام أنّ البيت قد وضع في بقعة يصعب فيها الحياة قال :

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَصْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْتِدَاءَ مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾^(١) . واستجيب دعوته فاصبحت الكعبة قبلّة المسلمين ومهوى أفئدة المؤمنين .

شبه الجزيرة العربية مهد الحضارة الإسلامية:

هي شبه جزيرة كبيرة تقع في جهة الجنوب الغربي من آسيا، تقدر مساحتها بثلاثة ملايين كيلومتر مربع، وهذا يعني أنها أكبر من مساحة إيران مرتين، وأكبر من فرنسا ستّ مرّات، وأكبر من إيطاليا عشر مرّات، وأكبر من سويسرا ثمانين مرّة .

وهي شبه جزيرة مستطيلة غير متوازية الأضلاع تحدّها من شمالها الشام وفلسطين، ومن شرقها أرض الرافدين من الكوفة إلى البصرة ثمّ خليج فارس - كما كان يسمّى - ومن جنوبها خليج عدن والمحيط الهندي، ومن غربها البحر الاحمر. فهي محصورة من جنوبها وغربها وقسم من مشرقها بالبحار وفي قسم آخر من مشرقها وشمالها ببادية الشام أو الاردن والعراق .

(١) إبراهيم : ٣٧ .

وقد قسموها قديماً إلى ثلاثة اقسام :

- ١- القسم الشمالي والغربي وهو الحجاز.
- ٢- القسم الشرقي والمركزي وهو المسمى بالصحراء العربية .
- ٣- القسم الجنوبي وهو اليمن .

وفي شبه الجزيرة صحاري رملية حارة واسعة غير قابلة للسكنى كثيرة منها : صحراء النفوذ، والربع الخالي الذي يمتد حتى حواشي الخليج الفارسي . وقديماً كان يسمّى قسم منه بصحراء الدهناء والقسم الآخر بالأحقاف .

وهذه الصحاري تشكل اكثر من ثلث الجزيرة غير المسكون بلا ماء ولا كلاً إلا ما قد يوجد فيها من آثار الامطار فيرعى حولها بعض العرب ابلهم لفترة غير طويلة . والجو فيها حار جداً، وجاف كذلك إلا في بعض السواحل، وبعض النقاط المعتدلة نسبياً . ولذلك لا يتجاوز عدد نفوسها بمجموعها عن عشرين مليوناً تقريباً .

وكانت جبال اليمن قديماً تحتوي على الاحجار الكريمة وشيء من الذهب والفضة، وغالباً ما كانوا يكتفون من تربية الحيوانات بالابل والخيول، ومن الطيور كان اكثر ما عندهم النعام والحمام . وفي الجزيرة جبال تمتد من الجنوب إلى الشمال آخر حد لارتفاعها ٢٤٧٠ متراً .

ونشرح هذه الاقسام الثلاثة من الجزيرة فيما يلي :

- ١- أمّا الحجاز، وهو القسم الشمالي والغربي للجزيرة، فهو يمتدّ من الاردن إلى اليمن في سواحل البحر الاحمر، وهي اراضي جبلية صخرية تتخللها صحاري قاحلة .

ولهذه المنطقة ذكر في التاريخ اكثر من غيرها وذلك لاشتغالها على الكعبة

المعظمة .

الكعبة المعظمة ومكة المكرمة:

«وقد كانت الكعبة مقدسة معظمة عند الامم المختلفة: فكان الهنود يعظمونها ويقولون: إنَّ روح سيفا -وهو الاقنوم الثالث عندهم- حلت في الحجر الاسود حين زار مع زوجته بلاد الحجاز.

وكانت الصابئة من الفرس والكلدانيين يعدونها احد البيوت السبعة المعظمة، وربما قيل: إنَّه بيت زحل عندهم لقدم عهده وطول بقائه. وكان سائر الفرس يحرمونها أيضاً زاعمين أنَّ روح هرمز قد حل فيها، وربما حجوا اليها زائرين.

وكان اليهود يعظمونها ويعبدون الله فيها على دين إبراهيم، وكان بها صور وقنايل، منها تمثال إبراهيم وإسماعيل وبايديهما الازلام، ومنها صورة المسيح وامه، وهذا يشهد بتعظيم النصارى لها أيضاً. وكان العرب يعظمونها أيضاً كلَّ التعظيم ويحجون اليها على انها بيت الله بناها إبراهيم»^(١).

ومدينة مكة من اشهر مدن العالم، واكثر مدن الحجاز نفوساً. وهي ترتفع عن سطح البحر ٣٠٠ متراً تقريباً. عدد نفوسها اليوم ١٥٠ ألفاً تقريباً. وتربتها غير زراعية.

وللحجاز ميناءان على البحر الاحمر: احدهما: جدة^(٢)، وهي ميناء

(١) الميزان ٣: ٣٦١، ٣٦٢.

(٢) جِدَّة: بكسر الجيم، بمعنى الصخور الساحليَّة. وفيها قبر بطول سبعة أمتار = خمسة

مكة والآخرى: ينبع، وهي كانت ميناء أهل المدينة المنورة سابقا، واليوم أصبحت جدة هي الميناء الرئيسي في الحجاز. وفي الحجاز من المدن المهمة بعد مكة: المدينة، والطائف.

المدينة المنورة:

وهي تقع في شمال مكة على بعد خمسمائة كيلومتر تقريبا. وفي حوالها نخيل وبعض البساتين لصالح تربتها للزراعة نسيبا. وكان اسمها قبل الإسلام يثرب، وبعد هجرة الرسول ﷺ إليها سميت: مدينة الرسول، وحذف المضاف اليه تخفيفا ف قيل: المدينة.

ويقال: إنَّ العاقلة أوّل من سكنوا المدينة أو يثرب، وظلّوا بها حتّى نزّلها اليهود في القرن الثاني الميلادي على اثر اضطهاد الرومان لهم في فلسطين، والمظنون أنّهم هاجروا من موطنهم الأصلي في فلسطين إلى الجزيرة على إثر ضغوط القيصر نينوس عليهم وهدمه ليكلهم سنة ٧٠ م وكذلك اصطدام القيصر هوريان بهم سنة ١٣٢ م ففي هذه الأثناء فرّ كثير منهم إلى الحجاز^(١).

ونرى أنّ الحجاز منطقة جرداء تقريبا لا تصلح للزراعة والعمل، فهي لا تصلح للسكنى والحياة... وهذا قد جعل المنطقة في مأمن من فرض السيطرة عليها من قبل الدولتين العظيمين آنذاك: الروم والفرس، ولذلك لا

عشر ذراعاً منسوب إلى حواء أم البشر، قيل: ولذلك سميت جدّة -بفتح الجيم- أي مرقد جدّة البشر! ولا يصحّ.

(١) راجع: الجزء السادس من تاريخ العرب قبل الإسلام، لجواد علي.

نرى لهم أي أثرٍ فيها، إذ لم يكن لهم أي مغنم في تجهيز الجيوش إليها، فهم ان فعلوا ذلك كان عليهم أن يرجعوا عنها خائبين خاسرين .

وقد نقل بعض المؤرخين اليونانيين : أن القائد اليوناني الكبير: دمريوس، عزم على تسخير الجزيرة حتى وصل إلى قرية : پترا - ولعلها ماء بدر- فقال له أهلها : أيها القائد اليوناني ! لماذا تحاربنا ؟ فنحن نعيش في صحاري ليس فيها أي شيء للعيش، وقد اخترنا هذه الصحارى القاحلة الجرداء كي لا نذعن لأمر احد، فاقبل هدايانا وانصرف عنا . والّا فنحن نعلمك أنك ستصاب بمصائب عظيمة ومشاكل كثيرة : واعلم أن أحدنا لا ينفك عما هو عليه من الخلق والعادة، فلو تقدمت فينا وأسرت ممّا أناساً تريد أن تذهب بهم فإنك لن ترى نفعاً فيهم فإنهم سوف يقابلونكم بسوء الأعمال والنيّات لا يغيرون شيئاً ممّا هم عليه !

فقبل القائد اليوناني هداياهم وانصرف عن تسخير الجزيرة^(١).

٢- القسم المركزي والشرقي من الجزيرة يسمى الصحراء العربية وفيها صحراء النجد، وهي أراضي مرتفعة نسبياً وفيها قرى عامرة كذلك، منها «الرياض» التي أصبحت في سلطة آل سعود عاصمة لهم، وهي الآن مدينة كبيرة .

٣- القسم الجنوبي الغربي للجزيرة يسمّى : اليمن، طولها من الشمال إلى الجنوب يقرب من سبعمائة وخمسين كيلومتر، ومن الغرب إلى الشرق يقرب من اربعمائة كيلومتر، وتقرب مساحتها من ستين ألف ميل مربع، في جنوبها مدينة : عدن، وهي اكبر مدن اليمن، ويحدها من الشمال صحراء نجد ومن

(١) بالفارسيّة، تمدن اسلام وعرب : ٩٤ .

المشرق صحراء الربع الخالي، ومن المغرب البحر الاحمر، وأكبر موانئها ميناء: الحديدة.

والين هي اخصب نقاط الجزيرة واكثرها بركة ونعمة، ولها تأريخ حضاري عظيم، فهي مملكة التبابعة الذين حكموها سنين طويلة. وكانت المركز التجاري المهم ومفترق الطرق، وبها الاحجار الكريمة والذهب والفضة. وبها آثار حضارية ما زالت باقية حتى اليوم. وهذا يعني أن عرب الين كانوا قد بنوا هذه الآثار المهمة بهمهمم العالية في عهد لم تتوفر فيه الامكانيات لهذه الاعمال الضخمة. وكانوا قد تقدموا في الزراعة والري إلى حد تقرير البرامج المقررة والمنفذة حكومياً بدقة.

فمن آثارهم التاريخية ذلك السد المعروف بسد مأرب، والذي ما زالت آثاره باقية، وهو الذي تهدم بالسيل الذي اطلق عليه القرآن الكريم قوله سبحانه ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ﴾ وذلك حيث قال تعالى ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جِئَتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نَجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لِيَالِي وَأَيَّامًا آمِنِينَ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

(١) سبأ: ١٥ - ٢٠.

وفي سورة قريش إشارة إلى تجارتهم في الصيف إلى اليمن ﴿لَا يَلْفَافُ قَرِيشٌ إِيْلَافَهُمْ رَحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾^(١).

يقول جرجي زيدان: «إن الآثار التي ظهرت من الحفريات الاثرية للمستشرقين تدل على الحضارة الراقية في اليمن من سد مارب وفي صنعاء، ومدينة بلقيس. وكانت في مدينة مأرب (وهي مدينة سبأ) قصور عالية قد زينت ابوابها وسقوفها بالذهب، ووجد بها أوانٍ من الذهب والفضة، وسرر معدنية كثيرة»^(٢).

وروى الشيخ الطبرسي عن فروة بن مسيك قال: سألت رسول الله ﷺ عن سبأ أرجل هو أم امرأة؟ فقال هو رجل من العرب ولد عشرة، تيامن منهم ستة وتشاءم اربعة، فأما الذين تيامنوا فالأزد وكندة ومذحج والأشعريون وأمار وجمير. فقال رجل من القوم: ما أمار؟ قال: الذين منهم خثعم وبجيلة، وأما الذين تشاءموا فعاملة وجذام ولخم وعَسَّان^(٣).

وفي «الكافي» بإسناده عن سدير: قال: سألت رجل أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿قَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ﴾ الآية، فقال: هؤلاء قوم كانت لهم قرى متصلة ينظر بعضهم إلى بعض، وأنهار جارئة، وأموال ظاهرة، فكفروا نعم الله عز وجل وغيروا ما

(١) قريش: ١ - ٤.

(٢) بالفارسية: تمدن اسلام وعرب: ٩٦.

(٣) مجمع البيان ٨: ٦٠٤، طبعة بيروت.

بأنفسهم من عافية الله فغير الله ما بهم من نعمة، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾^(١) فأرسل الله عليهم سيل العرم، ففرّق قراهم وخرّب ديارهم وذهب بأموالهم وأبدلهم مكان جناتهم ﴿جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سَدْرٍ قَلِيلٍ﴾ ثمّ قال: ﴿ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور﴾^(٢).

وقوم سبأ من العرب العاربة باليمن، سمّوا باسم أبيهم سبأ بن يشجب ابن يعرب بن قحطان، كما نقل رواية التاريخ.

العرب قبل الإسلام:

أ- العرب البائدة:

لا ريب في أنّ جزيرة العرب كانت موطن قبائل كثيرة من العرب منذ القدم، وقد باد بعضهم على اثر حوادث خاصة سماوية وارضية، وذلك لاعراضهم عن ذكر الله كما قال تعالى: 'في قوم سبأ: ﴿فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم... ذلك جزيناكم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور... وظلموا أنفسهم فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كلّ ممزق...، ولقد صدق عليهم ابليس ظنّه فاتّبعوه﴾^(٣) ولذلك سمّي هؤلاء بالبائدة.

ولعلّ منهم قوم عاد المُعاد ذكرهم في القرآن الكريم أكثر من عشرين مرّة وقوم ثمود المكرر ذكرهم في القرآن الكريم أكثر من خمس وعشرين

(١) الرعد : ١١ .

(٢) الميزان ١٦ : ٣٢٤ .

(٣) سبأ : ١٦ - ٢٠ .

مرة .

ب - عاد قوم هود عليه السلام :

أما عاد فإنهم قومٌ من العرب من بشر ما قبل التاريخ كانوا يسكنون الجزيرة انقطعت أخبارهم وانمحت آثارهم، ولا يحفظ التاريخ من حياتهم إلا أقاصيص لا يُطمأن إليها، وليس في التوراة الموجودة ذكر لهم .

والذي يذكره القرآن الكريم من قصّتهم هو: أن عاداً كانوا يسكنون وادي أو صحراء الأحقاف^(١) وهو واد بين عمان وأرض مهرة إلى حضرموت والأحقاف هي الرمال المتوية . وأنهم من ذرية من حملهم الله مع نوح عليه السلام وكانوا ذوي خلقة قوية عظيمة وطوالاً^(٢) وكان لهم تقدّم ورقيّ في المدنية والحضارة، ولهم بلاد عامرة وأرض خصبة ذات جنّات ونخيل وزروع ومقام كريم وبعث الله فيهم أخاهم هوداً يدعوهم إلى الحق ويرشدهم إلى أن يعبدوا الله ويرفضوا عبادة الاوثان ويعملوا بالعدل والرحمة^(٣)، فبالغ في وعظهم وبث النصيحة فيهم وأثار الطريق وأوضح السبيل، وقطع عليهم العذر، فقابلوه بالاباء والامتناع، وواجهوه بالجحد والانكار، ولم يؤمن به إلا شذمة منهم قليلون، وأصرّ جمهورهم على البغي والعناد، ورموه بالسفه والجنون، والخوا عليه بان ينزل عليهم العذاب الذي كان ينذرهم ويتوعددهم به، فأرسل الله عليهم العذاب وأرسل إليهم الريح العقيم ما تذر من شيء أتت عليه إلا جعلته كالرميم^(٤) كانت تنزع الناس

(١) الأحقاف : ٢١ .

(٢) الأعراف : ٦٩، والسجدة : ١٥، والشعراء : ١٣٠ .

(٣) الشعراء : ١٣٠ .

(٤) الذاريات : ٤٣ .

كانَّهم أعجاز نخلٍ منقعر^(١)، ريحاً صرصراً في أيَّام نحسات سبع ليال وثمانية أيام حسوماً ففترى القوم فيها صرعى كأنَّهم أعجاز نخل خاوية^(٢) تدمر كلَّ شيءٍ بأمر ربِّها فأصبحوا لا يرى إلَّا مساكنهم^(٣). فأهلكهم الله جميعاً إلَّا هوداً والذين آمنوا معه^(٤) ولعلَّه لهذا يسمَّى عاداً المهلكة بعادٍ الأولى، والثانية هي الباقية منهم^(٥).

ج - ثمود قوم صالح عليه السلام:

وأما ثمود فهم قومٌ من العرب العاربة كانوا يسكنون وادي القرى بين المدينة والشام، وهم من بشر ما قبل التاريخ أيضاً لا يضبط التاريخ إلَّا شيئاً يسيراً من أخبارهم، ولقد عفت الدهور آثارهم، ولا اعتماد على ما يذكر من جزئيات قصصهم.

والذي يقصّه كتاب الله من أخبارهم هو: أنَّهم كانوا أُمَّة من العرب يدلّ عليه اسم نبيِّهم صالح عليه السلام وهو منهم^(٦) جاءوا بعد قوم عاد، وكانت لهم حضارة ومدنية، يعمرّون الارض ويتّخذون من سهولها قصوراً ويتّخذون من الجبال بيوتاً آمناً^(٧)، ويفجّرون العيون ويحرثون ويغرسون جنّات

(١) القمر : ٢٠ .

(٢) الحاقة : ٧ .

(٣) الأحقاف : ٢٥ .

(٤) هود : ٥٨ .

(٥) النجم : ٥ .

(٦) هود : ٦١ .

(٧) الأعراف : ٧٤ .

النخيل^(١)، وكان في مدينتهم شعوب وقبائل يتحكم فيهم شيوخهم وسادتهم، وفيهم تسعة رهط يفسدون في الارض ولا يصلحون^(٢) فلما أسرفوا في أمرهم أرسل الله إليهم صالحاً النبي ﷺ، وكان من بيت الشرف والفخار معروفاً بالعقل والكفاءة^(٣) فدعاهم إلى توحيد الله سبحانه وأن يتركوا عبادة الاصنام وأن يسيروا في مجتمعهم بالعدل والاحسان وأن لا يطغوا ولا يسرفوا^(٤) فقام بالدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وصبر على الأذى في جنب الله، فلم يؤمن به إلا جماعة قليلة من الضعفاء^(٥).

أما الطغاة والمستكبرون وعامة من تبعهم فقد اصروا على كفرهم واستندلوا الذين آمنوا به ورموه بالسفاهة والسحر^(٦) وطلبوا منه البيّنة على كلامه وسألوه آية معجزة تدلّ على صدقه في دعوى الرسالة، واقترحوا له أن يخرج لهم من صخر الجبل ناقة، فأتاهم بناقة على ما وصفوها له، وقال لهم: إنّ الله يأمركم أن تشربوا من عين مائكم يوماً وتكفّوا عنها يوماً فتشربها الناقة، فلها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم، وأن تذروها تأكل في أرض الله ولا تمسّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب^(٧) وكان الأمر على ذلك حيناً. ثم إنهم مكروا وطفوا وبعثوا أشقاهم لقتل الناقة فعقرها. وقالوا

(١) الشعراء : ١٤٨ .

(٢) النمل : ٤٨ .

(٣) هود : ٦٢، والنمل : ٤٩ .

(٤) هود والشمس .

(٥) الاعراف : ٧٥ .

(٦) الاعراف : ٦٦، والشعراء : ١٥٣، والنمل : ٤٧ .

(٧) الاعراف : ٧٢، والشعراء : ١٥٦، وهود : ٦٤ .

لصالح : إئتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين . قال صالح عليه السلام : تمتعوا في داركم ثلاثة أيّام ذلك وعد غير مكذوب^(١) .

ثمّ مكرت شعوب المدينة وأرهاطها بصالح ﴿ تقاسموا بالله لنبئتنه وأهله ثمّ لنقولنّ لوليّه ما شهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون ﴾^(٢) ﴿ فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴾^(٣) ﴿ فأصبحوا في دارهم جاثمين ﴾^(٤) ﴿ وأنجينا الذين آمنوا وكانوا يتّقون ﴾^(٥) .

وفي «الكافي» بسنده عن أبي بصير قال : قلت لأبي عبد الله الصادق عليه السلام : ﴿ كذّبت ثمود بالنذر فقالوا أبشرا منا واحداً نتبعه إنّا إذا لمي ضلالٍ وسُعُر ﴾^(٦) . قال : بعث الله إليهم صالحاً فلم يجيبوه وعتوا عليه وكانت صخرة يعظّمونها ويعبدونها ويذبحون عندها في رأس كلّ سنة ويجنمون عندها . فقالوا : إن كنت تزعم نبياً رسولاً فادعُ لنا إلهك حتّى يخرج لنا من هذه الصخرة الصماء ناقة عشراء (أي ذات حمل في الشهر العاشر) فأخرجها الله كما طلبوا منه (و) أوحى الله تبارك وتعالى إليه : أن يا صالح قلّ لهم : إنّ الله قد جعل لهذه الناقة شرب يوم ولكم شرب يوم . فكانت الناقة إذا كان يومها شربت الماء ذلك اليوم ، فيحبسونها فلا يبقى صغير ولا كبير إلّا شرب من لبنها يومهم ذلك ، فإذا كان الليل

(١) هود : ٦٥ .

(٢) النمل : ٤٩ .

(٣) الذاريات : ٤٤ .

(٤) الأعراف : ٧٨ .

(٥) النمل : ٥٣ .

(٦) القمر : ٢٣ ، ٢٤ .

وأصبحوا غدوا إلى مائهم فشربوا منه ذلك اليوم ولم تشرب الناقة ذلك اليوم فمكثوا بذلك ما شاء الله .

ثم إنهم عتوا على الله ومشئ بعضهم إلى بعض قال : اعقروا هذه الناقة واستريحوا منها ، لا نرضى أن يكون لنا شرب يوم ولها شرب يوم . ثم قالوا : من الذي يلي قتلها ونجعل له جعلا ما أحب ؟ ! فجاءهم رجل أحمر أزرق ولد زنا لا يعرف له أب ، يقال له : قذار ، شقي من الأشقياء مشؤم عليهم فجعلوا له جعلا .

فلما توجهت الناقة إلى الماء الذي كانت ترده تركها حتى شربت وأقبلت راجعة فقعد لها في طريقها فضربها بالسيف فلم يعمل شيئا فضربها ضربة أخرى فقتلها ، وخرت على الأرض على جنبها وهرب فصيلها حتى صعد إلى الجبل ، فرغا ثلاث مرّات إلى السماء وجاء قوم صالح فلم يبق منهم أحد إلا شركه في ضربته واقتسموا لحمها فيما بينهم فلم يبق منهم صغير ولا كبير إلا أكل منها .

فلما رأى صالح أقبل إليهم وقال : يا قوم ما دعاكم إلى ما صنعتم ؟ أعصيتم أمر ربكم ؟ فأوحى الله تبارك وتعالى إلى صالح عليه السلام : أن قومك قد طغوا وبغوا وقتلوا ناقة بعثها الله إليهم حجة عليهم ، ولم يكن لهم فيها ضرر ، وكان لهم أعظم المنفعة ، فقل لهم : إني مرسل إليهم عذابي إلى ثلاثة أيام فإن هم تابوا قبلت توبتهم وصددت عنهم ، وإن هم لم يتوبوا ولم يرجعوا بعثت إليهم عذابي في اليوم الثالث .

فأتاهم صالح وقال : يا قوم إني رسول ربكم إليكم وهو يقول لكم : إن تبتم ورجعتم واستغفرتم غفرت لكم وتبت عليكم .

فلما قال لهم ذلك كانوا أعتى وأخبث وقالوا يا صالح ائتنا بما

تَعِدُّنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾ قال : يا قوم إنَّكم تصبحون غداً ووجوهكم مصفرةً، واليوم الثاني وجوهكم حمرةً، واليوم الثالث وجوهكم مسودةً .
فلما كان أوَّل يوم أصبحوا ووجوههم مصفرةً فشئى بعضهم إلى بعض وقالوا قد جاءكم ما قال صالح . فقال العناية منهم : لا نسمع قول صالح ولا نقبل قوله وإن كان عظيماً . فلما كان اليوم الثاني أصبحت وجوههم حمرةً، فشئى بعضهم إلى بعض فقالوا : يا قوم قد جاءكم ما قال لكم صالح فقال العناية منهم : لو أهلكنا جميعاً ما سمعنا قول صالح ولا تركنا آلهتنا التي كان آباؤنا يعبدونها، ولم يتوبوا ولم يرجعوا، فلما كان اليوم الثالث أصبحوا ووجوههم مسودةً فشئى بعضهم إلى بعض فقالوا يا قوم أتاكم ما قال لكم صالح .

فقال العناية منهم : قد أتانا ما قال لنا صالح . فلما كان نصف الليل أتاهم جبرئيل فصرخ بهم صرخة خرفت أسماعهم وفلقت قلوبهم وصدعت أكبادهم، فماتوا جميعاً في طرفة عين صغيرهم وكبيرهم، ولم يبق لهم ناعقة ولا راغية ولا شيء إلاَّ أهلكه الله، وأصبحوا في ديارهم ومضاجعهم موتى، وأرسل الله إليهم مع الصيحة النار من السماء فأحرقهم أجمعين^(٢) .

٢ - القحطانيون : هم أبناء يعرب بن قحطان الذين كانوا يسكنون اليمن وجنوب جزيرة العرب، ويسمَّون بالعرب العاربة أيضاً . واليمنيون اليوم بصورة عامة والأوس والخزرج هم من نسل قحطان . وقد سبق أن قوم سبأ أيضاً كانوا من نسل قحطان، وكانت لهم حكومات ومساحٍ عمرانية

(١) الأعراف : ٧٧ .

(٢) الميزان ١٠ : ٣١٤ ، ٣١٦ .

١٠٦ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

وحضارية أثرية ولهم خط يسمّى بالخطّ المسند. وكلّ ما يقال عن حضارة العرب قبل الإسلام فإنّما هو من هؤلاء في اليمن.

٣- العدنانيون: وهم أبناء إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام الذي قد تبين لنا أنّه أمر بأن يذهب بابنه إسماعيل وأُمّه هاجر إلى أرض مكّة، فسار بهم إبراهيم عليه السلام من أرض فلسطين إلى بطن وادٍ منخفض بلا ماء ولا كلاً باسم مكّة، فأجرى الله لهم ماء زمزم. وكبر إسماعيل فتزوَّج من قبيلة جرهم الذين استأذنوا إبراهيم أن يسكنوا مكّة فأذن لهم، فكان لإسماعيل نسل كثير، ومن أحفاده عدنان، وقد تفرّعت منه فروع عديدة أشهرها قبيلة قريش ومنهم بنو هاشم.

أخلاق العرب قبل الإسلام:

ونعني بالأخلاق هنا تلك الآداب الاجتماعيّة التي كانت رائجة بينهم قبل الإسلام. وبصورة عامّة نستطيع أن نلخص الخصال الحمودة العامة للعرب في بضعة سطور فنقول:

إنّ عرب الجاهليّة - ولا سيّما العرب المستعربة من نسل إسماعيل عليه السلام - كانوا بالطبع أسخياء يكرمون من استضافهم، ولا يخونون أماناتهم إلّا قليلاً، ويروّون نقض العهد ذنباً لا يُغتفر، وكانوا صريحين في أقوالهم، أقوياء في حفظهم، أقوياء في فنون من الشعر والخطابة، يُضرب بهم المثل في شجاعتهم وجرأتهم، مهرة في ركض الخيل والرمي، يرون الفرار من الزحف عاراً لا يُغتسل.

وفي مقابل هذه الصفات كانوا قد تلوّثوا من مساوئ الأخلاق بما يذهب بكل كمال من هذه الخصال ولولا أن تداركهم رحمة من ربّهم بأن

بعث فيهم رسولاً من انفسهم يزكّيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، لما كنّا نعيش اليوم نسلا من عدنان، بل كانوا قد التحقوا بالعرب البائدة، وكانت تتجدّد قصّة أخرى عن هؤلاء البائدين .

إنّ شيوع الجهل والخرافات والفساد فيهم كان قد قرّب حياتهم من حياة الحيوانات، بحيث ينقل لنا التاريخ قصصاً متعددة عن حروب امتدّت خمسين سنة بل مائة، ولم تبدأ إلاّ على مواضع حقيرة لا يعبا بها .

إنّ عدم وجود حكومة متنفّذة بينهم تضرب على أيدي الطغاة والبلغاة من ناحية، ومن ناحية أخرى سوء الوضع الجغرافي للجزيرة من حيث الماء والكلاء، كانا عاملين جعلاً أكثر العرب من البدو الرّحل يجوبون الصحاري برواحلهم كلّ عام سعيّاً وراء الماء والكلاء، وإذا رأوا أثراً منها نصبوا خيامهم حولها، وإذا علموا - أو أخبرهم رائدهم - بمكان أنفع ممّا هم فيه بدأوا الرحلة من جديد .

إنّ الجهل والفقر وفقدان النظام كان قد خيّم على بيئة الجزيرة العربية بصورة ظاهرة بحيث أصبحت لهم تلك العادات القبيحة اموراً اعتيادية، فكثرت فيهم الغارات، واسر بعضهم، وتداول فيهم الرّبا والخمر والميسر .

أنّهم كانوا يثنون على المروّة ويمجّدون بالشجاعة، لكنّ مفهوم الشجاعة لديهم كان عبارة عن قتل أكبر عدد ممكن وسفك الدّماء أكثر فأكثر . وكذلك الغيرة كانت لديهم بمعنى وأد البنات في القبور و هنّ أحياء . ويرون الوفاء أنّ ينصروا عشيرتهم وحلفاءهم في كلّ شيء سواء كانوا على حقّ أم باطل .

لا يسألون أخاهم حين يندبهم في الثائبات على ما قال برهانا

هل كانت للعرب حضارة قبل الإسلام؟

لا شكّ أنّه كانت هناك في جزيرة العرب بعض الحضارات، إلّا أنّها لم تكن في كلّ الجزيرة بل عدّة نقاط منها، كحضارة قوم سبأ أصحاب سدّ مأرب في اليمن، فإنّها حضارة لا تُنكر، ففضلاً عمّا ذكر عنها في التوراة الحاضرة وما نقل عن «هرودوت» و«ارتميدور» المؤرخين اليونانيين قبل الميلاد، نرى المؤرخ الشهير المسعودي يقول في وصفها:

«ذكر أصحاب التأريخ القديم: أنّ أرض سبأ كانت من أخصب أرض اليمن وأثراها وأغدقها، وأكثرها جناناً وغيطاناً وأفسحها مروجاً، مع بنيان حسن وشجر مصفوف، ومساكب للماء متكاثفة وأنهار متفرّقة. وكانت مسيرة أكثر من شهر للراكب المجدّ على هذه الحالة، وفي العرض مثل ذلك، وإنّ الراكب والمارّ كان يسير في تلك الجنان من أولها إلى أن ينتهي إلى آخرها لا تواجه الشمس ولا تعارضه لاستتار الأرض بالعمارة الشجرية. واستيلائها عليها وإحاطتها بها. وكان أهلها في أطيب عيش وأرفهه، وأهنأ حال وأرغد قرئى، وفي نهاية الخصب وطيب الهواء وصفاء الفضاء وتدقّق الماء، وقوّة الشوكة واجتماع الكلمة ونهاية المملكة، وكانت بلادهم في الأرض مثلاً، وكانوا على طريقة حسنة من اتباع شريف الأخلاق، وطلب الأفضال بحسب الإمكان وما توجبه القدرة من الحال، فكثوا على ذلك ما شاء الله من الأعصار، لا يعاندهم ملك إلّا قصموه، ولا يوافقهم جبار في جيش إلّا كسروه، فذلّت لهم البلاد، وأذعن لطاعتهم العباد، فصاروا تاج

الأرض»^(١).

إلا أن وجود هذه المستندات لا تدلنا على حضارة تسود كل أقطار الجزيرة العربية، ولا سيما منطقة الحجاز التي لم تكن تتمتع بهذه الحضارة بل لم تشم شيئاً من نسيماها، وهذا هو الذي جعلها مصونة عن تصرف المتصرفين بالبلاد، فلم يتوجه إليها نهم الروم والفرس اللذين كانا يقتسمان العالم آنذاك. والمقطوع به هو أنه لم يبق من هذه الحضارة حين ظهور الإسلام شيء يذكر.

ونحن هنا نأتي بذكر قصة أسعد بن زرارة الخزرجي، التي تبين لنا نقاطاً كثيرة من حياة الناس في الحجاز: روى الشيخ الطبرسي في كتابه «إعلام الوري بأعلام الهدى» عن علي بن إبراهيم أنه قال: «كان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث وكانت للأوس على الخزرج، فخرج أسعد بن زرارة وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة، فنزل عليه فقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم.

فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم ولنا شغل لا نتفرغ معه لشيء!

قال: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا

وسب آلهتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا.

فقال له أسعد : من هو منكم ؟

قال : ابن عبد الله بن عبد المطلب من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً .
وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود
الذين كانوا بينهم -النظير وقريظة وقينقاع- : إنَّ هذا أوان نبيٍّ يخرج بمكة
يكون مهاجره بالمدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب .
فلما سمع أسعد ما سمع من عتبة وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود،
وقال : فأين هو ؟

وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب فقال عتبة : إنهم لا
يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، وها هو جالس في الحجر، فلا تسمع منه
ولا تكلمه فإنه ساحر يسحرك بكلامه .

فقال أسعد : فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت ؟
فقال : ضع في أذنك القطن . فحشا أسعد في أذنيه القطن ودخل
المسجد ورسول الله جالس في الحجر مع قومٍ من بني هاشم، فطاف أسعد
بالبيت ونظر إلى رسول الله نظرةً وجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في
نفسه : ما أجد أجهل مني ! أ يكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى
أرجع إلى قومي فأخبرهم ؟ ! فأخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول
الله : أنعم صباحاً !

فرفع رسول الله رأسه إليه وقال : قد ابدلنا الله به ما هو أحسن من
هذا، تحية أهل الجنة : السلام عليكم .

فقال اسعد : إنَّ عهدك بهذا لقريب ! إلام تدعو ؟ يا محمد !
قال : إلى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله، وأدعوكم ﴿ أن لا
تشرکوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن

نرزقكم وإيّاهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله إلّا بالحقّ ذلكم وصّاكم به لعلّكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلّا بالتي هي أحسن حتّى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلّا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصّاكم به لعلّكم تذكّرون»^(١).

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له وأنك رسول الله.

كانت هاتان الآيتان من سورة الأنعام تتضمنان الداء والدواء لأمة متحاربة جاهلة، ولذلك خلّفت أثراً عميقاً في قلب أسعد وذكوان الخزرجيين فأسلما فوراً «ثمّ قالوا: يا رسول الله! ابعت معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. فأمر رسول الله ﷺ مصعب بن عمير بالخروج معها، فخرج هو معها إلى المدينة حتّى قدموا على قومهم»^(٢).

إنّ النظر في مفاد هاتين الآيتين يغنيانا عن أي بحث آخر عن أوضاع العرب قبل الإسلام، فإنّ هاتين الآيتين تبيّنان ما كان يسود حياة العرب في الجاهليّة من الأمراض الخلقية المزمنة، وإنّ مضمون هاتين الآيتين شاهد على ابتلاء العرب بجميع هذه الأوصاف الرذيلة، ولهذا تلاهما رسول الله على أسعد في أول لقائه به وبذلك عرّفه برسالته.

(١) الانعام: ١٥١، ١٥٢.

(٢) إعلام الوري: ٥٦، طبعة النجف.

الدين في جزيرة العرب:

إن آيات القرآن الكريم تشير إلى أرباب العرب وآلهتهم ورموزها من أصنامهم وأوثانهم، والقرآن ﴿أحسن القصص﴾ وفيه الكفاية: قال عز وجل: ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب أجعل الآلهة إلها واحداً إن هذا لشيء عجاب وانطلق الملائكة منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق﴾^(١).

وإذا كانت إيران قد اتخذت الزرادشتية (المجوسية) ديناً رسمياً لها طلباً للإستقلال العقائدي عن الروم المسيحية^(٢)، وهما في حرب دؤوب، فطبيعي أن تحاول إيران نشر عقيدتها الثنوية بالإلهين: إله الخير وإله الشر بين الشعوب المغلوبة المستعمرة لها من حولها، فتتفشى المجوسية في بعض القبائل العربية من تميم والبحرين وعمان واليمن^(٣) ونحن نعلم أن المجوس ثنويون يؤمنون بإلهين يدبران العالم فللخير يزدان وللشر اهرمين ولهما رمزان فليزدان الخير النور، ولاهرمين الشر الظلمة.

أما أكثر العرب في الجاهلية فكانوا وثنيين يؤمنون بقوى إلهية كثيرة منبثة في مظاهر الطبيعة، وبقوى خفية كثيرة في بعض الحيوانات والنباتات وحتى الجمادات، فكانوا يتعبدون لأصنام وحتى أوثان كثيرة اتخذوها رمزاً

(١) ص: ٤ - ٧.

(٢) الإسلام وإيران ٢: ٣٢.

(٣) تأريخ العرب قبل الإسلام ٦: ٢٨٤ فا بعد.

لتلك الآلهة ومنها الكواكب والنجوم .

فكان عرب الجنوب في اليمن يرجعون بألهتهم إلى 'ثالث مقدس هو: القمر، واسمه عند المعينيين (أوائل الألف الأول قبل الميلاد)^(١) ودّ، وكان إلههم الأكبر، وهو الزوج الذكر، ولذلك لفظه مذكر . وتليه الشمس، وهي اللات، وفيها تاء الإناث، ولذا اعتبروها زوجة القمر ولذلك لفظها مؤنث ! ومنها ولدت العزى أي الزهرة أو عشتار، أو فينوس بالرومية، أو ناهيد بالفارسية . ولهم الهات أخرى رمز عن بعض النجوم أو بعض مظاهر الطبيعة أو بعض الطيور، وكانوا قد بنوا عليها الهياكل ويقدمون لها القرابين ويقوم عليها كهنة ذوو نفوذ كبير . وقوافل التجارة والهجرة كانت متبادلة بينهم وبين عرب الشمال العدنانيين أو النزاريين الحجازيين فحملوا دينهم معهم إليهم^(٢) . وأشار القرآن الكريم إلى عبادتهم للشمس في قوله سبحانه حكاية عن الهدد من طيور سليمان بن داود، إذ تفقّدها وكان الهدد غائباً فلم يره ﴿فمكث غير بعيد﴾ إذ جاء، ﴿فقال أحطت بما لم تحط به وجئتكم من سبأ نبأ يقين إني وجدت امرأة تملكهم . . . وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾^(٣) . ويضيف القمر في آية أخرى تخاطب العرب المشركين: ﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾^(٤) .

ومن قبل أضاف إليهما الكوكب فيما حكاه عن خليله إبراهيم عليه السلام

(١) العصر الجاهلي : ٢٥ لشوقي ضيف .

(٢) انظر العصر الجاهلي : ٢٩ لشوقي ضيف .

(٣) النمل : ٢٢ - ٢٤ .

(٤) فصلت : ٣٧ .

قال : ﴿ فلما جنَّ عليه الليل رأى كوكباً قال هذا ربِّي فلما أفل قال لا أحبّ الآفلين ﴾ ولعلّه كان عشتَر (الزهرة)، ولعلَّ الليلة كانت من أواخر الشهر القمري إذ يظهر القمر متأخراً فبدأ بالكوكب ثمَّ قال : ﴿ فلما رأى القمر بازغاً قال هذا ربِّي فلما أفل قال لئن لم يهديني ربِّي لأكوننَّ من القوم الضالِّين ﴾ فالليلة كانت من أوائل العشر الأخيرة من الشهر القمري إذ يظهر القمر متأخراً ثمَّ يأفل ولا يبقى حتَّى الصباح، ولما بزغت الشمس صباحاً ﴿ فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربِّي هذا أكبر ﴾ ولعلّه بهذا يعترض على تقديمهم للقمر (الأصغر) على الشمس (الأكبر) ﴿ فلما أفلت قال يا قوم إنِّي بريء ممَّا تشركون ﴾^(١).

ولعلَّ شرك هؤلاء الصابئة البابليّين هو منشأ شرك أهل اليمن ثمَّ الحجاز^(٢). أمّا الهدد فطبيعيّ أنّه إنّما اهتدى إليهم نهراً فوجدهم يسجدون للشمس، ولم يذكر القمر والزهرة ولم ينفهما. وقد أشار القرآن الكريم إليها بأسمائها المعينيّة الينيّة لدى الزارّيين الحجازيّين مع خمسة آلهة أخرى لهم، في آيتين من سورتين هما قوله سبحانه : ﴿ أفأرىتم اللات والعزّى ومناة الثالثة الأخرى ﴾ ثمَّ أشار إلى انوثتهما لديهم فقال : ﴿ ألستم الذكور وله الأنثى ﴾^(٣).

والآية الأخرى من سورة نوح وعن لسانه عليه السلام ﴿ قال نوح ربّ إنَّهم عصوني واتبعوا من لم يزدده ماله وولده إلّا خَساراً ومكروا مكراً كُبّاراً

(١) الأنعام : ٧٦ - ٧٨.

(٢) العصر الجاهلي : ٨٩ لشوقي ضيف.

(٣) النجم : ١٩ - ٢١.

وقالوا لا تذرنا آلهتكم ولا تذرنا وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً ثم لم يجعلها إنائاً بل ذكرها في الضمير إليها فقال: ﴿وقد أضلوا كثيراً﴾ ثم حكى دعاء نوح عليهم قال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالتاً﴾^(١). إذن فلغة (ودّ) رجعت إلى أقدم من المعينين باليمن (أوائل الألف الأولى - ق م) وإلى أقدم من قوم إبراهيم ببابل العراق (أوائل الألف الثالث ق م) إلى ما قبل الطوفان (أوائل الألف الرابع ق م) ومن حيث المكان قرب مكان إبراهيم ببابل العراق في الكوفة^(٢) ولذلك نقل الطوسي في «التيان» عن الضحاك وابن زيد وقتادة عن ابن عباس قال: هذه الاصنام المذكورة كان يعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب فيما بعد^(٣).

ونقله الطبرسي في «مجمع البيان» وفي تفصيله نقل عن ابن عباس أيضاً قال: نحت إبليس خمسة أصنام وحمل الكفار فيما بين آدم ونوح على عبادتها، وهي: ودّ وسواع ويعوق ويغوث ونسر. فلما كان الطوفان دفن تلك الأصنام وطمها بالتراب فلم تزل مدفونة، حتى أخرجها الشيطان لمشركي العرب:

فأخذت قضاة وداً فعبدوه بدومة الجندل، توارثوه حتى صار إلى

كلب.

وأخذ بطنان من طي يغوث فذهبوا به إلى مراد فعبدوه زماناً، ثم إن

(١) نوح: ٢١ - ٢٤.

(٢) في روضة الكافي عن الصادق عليه السلام قال: عمل نوح سفينته في مسجد الكوفة... ثم التفت وأشار بيده إلى موضع وقال: وهنا نصبت أصنام قوم نوح: يغوث ويعوق ونسر - الميزان ٢٠ - ٣٥. وعليه فلعل هذه الأسماء سريانية دخلت في المعينية.

(٣) التبيان ١٠: ١٤١.

بني ناجية أرادوا أن ينزعوه منهم ففرّوا به إلى بني الحرث بن كعب، فجاء الإسلام وهو عندهم.

وأما يعوق فكان لكهلان (اليمن) ثمّ توارثوه حتّى صار إلى همدان (اليمن) فجاء الإسلام وهو فيهم.

وأما نسر فكان لخشعم (اليمن) يعبدونه.

وسواع كان لآل ذي الكلاع (الحميري اليمني) يعبدونه.

وفي كيفة حمل إبليس لأولئك الأوائل على عبادتها نقل عن محمد بن كعب القرظي قال: هذه أسماء قوم ممن كان بين آدم ونوح صالحين، فلمّا ماتوا ونشأ نسلهم بعدهم قال لهم إبليس: لو صورتم صورهم، ففعلوا وكانوا يقدرسونها، فلمّا ماتوا ونشأ نسلهم بعدهم قال لهم إبليس: إنّ الذين كانوا قبلكم كانوا يعبدونها، فعبدوها فكان ذلك مبدأ عبادة الأوثان^(١).

أما الآيات فقد أشارت إلى أنّ عبادتها كانت مكرراً مكره أصحاب الأموال والأولاد، ولعلّه لاستثمار الضعفاء منهم. ولعلّ في الفصل بين الآلهة وهذه الأصنام في قوله: ﴿وقالوا لا تذرنّ آلهتكم ولا تذرنّ وداً ولا...﴾ إشارة إلى أنّهم جعلوا هذه الأصنام رموزاً للآلهة لا نفسها.

ثمّ نقل الطبرسي عن قتادة قائمة بنسبة أكثر من هذه الأصنام الخمسة إلى قبائل العرب قال:

إنّ أوثان قوم نوح صارت إلى العرب، فكان وداً بدومة الجندل. وسواع برهاط لهذيل. وكان يغوث لمراد (اليمن) وكان يعوق لهمدان (اليمن)

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٤٧. ونقله السيوطي عن ابن عبّاس أيضاً في الدر المنثور. وقد

رواه الصدوق عن الصادق عليه السلام في علل الشرائع.

وكان نسر لآل ذي الكلاع من حمير (اليمن) وكان اللات لثقيف، وأما العزى فلسليم وغطفان وجسم ونضر وسعد، وأما مناة فكانت لفديد، وأما أساف ونائلة وهبل فلاهل مكة؛ كان اساف حيال الحجر الأسود، وكانت نائلة حيال الركن اليماني وكان هبل في جوف الكعبة. ونقل عن الواقدي قال: كان ودّ على صورة رجل، وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد، ويعوق على صورة فرس، ونسر على صورة نسر من الطير.

ويقال إنّ اللات كانت صخرة مربعة بيضاء بنت عليه ثقيف بيتاً، وكانت قريش وجميع العرب يعظمونه وكعبتها هي كعبة الطائف^(١) ولذلك نرى في أسمائهم: وهب اللات وعبد شمس.

وكانت مناة -الهة الموت والآجال والأعمار والأقذار- صخرة منصوبة على ساحل البحر بين مكة والمدينة في هذيل وخزاعة، وكان الأوس والخزرج يحجّون إلى مكة ويقفون مع الناس المواقف الثلاثة ولكنهم لا يخلقون رؤوسهم، ولا يرون تمام حجّتهم إلا أن ينصرفوا إلى مناة فيخلقوا رؤوسهم عندها^(٢).

وكانت العزى شجرة بوادي نخلة شرقي مكة إلى الطائف لغطفان، حتى قطعها الإسلام^(٣).

ومن ثنويتهم في وثنيّتهم ما تدلّ عليه معاني: يعوق ويغوث وسواع،

(١) الأصنام للكلي: ١٦ والمحبر لابن حبيب: ٣١٥ ومعجم البلدان في اللات.

(٢) الأصنام للكلي: ١٤، والمحبر لابن حبيب: ٣١٦، ومعجم البلدان في مناة.

(٣) الأصنام للكلي: ١٧ ونقل الطبرسي عن مجاهد ٩: ٢٦٦ ومعجم البلدان في العزى.

ففي الأخير ما يدلّ على أنّه كان إله الهلاك والشرّ، وبإزائه يعوق أي يكون عائقاً عنه، ويغوث أي يغيث منه^(١). ولعلّها في أصلها مقتبسة من ثنويّة المجوسيّة، ولا سيّما أنّهم كانوا يقدّمون قرايين النيران، ويوقدون لها لاستمطار السماء والاستسقاء، وعند عقد أيمانهم وأحلافهم^(٢).

وكان هبل من عقيق أحمر على صورة إنسان، يده اليمنى من ذهب. والقداح أمامه، فإذا اختصموا في أمر أو أرادوا سفراً أو عملاً أتوه فاستقسموا بالقداح عنده فما خرج انتهوا إليه وعملوا به، ومنه، فعل عبد المطّلب لذبح ابنه عبد الله. ومنها للزواج، ومنها للمواليد، فإذا شكّوا في مولود أهدوا إليه هديّة ثمّ ضربوا بسهام الأزلام (القداح) فإن خرج (الصريح). كان الوليد صريحاً في نسبه وأمّا إذا خرج (ملصق) دفعوه^(٣).

ومن الأصنام المشهورة: ذو الخلصة، وهو صنم خثعم وبجيلة وأزد السراة، وكان صخرة بيضاء عند منقوطة (مروة) منقوش عليها كهيئة التّاج، وكان في تبالة وله بيت يحجّون إليه^(٤) ولا يخفى أنّ تركيب اسم الصنم (ذو الخلصة) يعني وكعبتها هي الكعبة اليمانيّة.

وكان في حاضرة إمارة النبط (ق ٣ م - ق ٢ م) في «سلع» كما جاء في التوراة: أو «بطرا» كما هو اسمها لدى اليونان ولعلّه ترجمة يونانيّة لسلع العبريّة أو السريانيّة معبد كبير لصلتهم ذي الشري^(٥) إله الخصب والخمر!

(١) العصر الجاهلي: ٩٠ لشوقي ضيف.

(٢) الحيوان للجاحظ ٤: ٤٦١ فما بعد.

(٣) الأصنام للكلي: ٢٨. وسيأتي تفصيل الأزلام في الصفحة: ٩٠.

(٤) الأصنام للكلي والمحرر: ٣١٧.

(٥) الأصنام للكلي: ٣٧ ومادّة الشري في لسان العرب وتاج العروس.

وقال الكلبي في كتابه «الأصنام»: «استهترت العرب في عبادة الأصنام، فمنهم من اتخذ بيتاً، ومنهم من اتخذ صنماً، ومن لم يقدر على بناء البيت ولا اتخاذ الصنم اتخذ حجراً من الحرم أو ممّا استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت، فكان الرجل إذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر إلى أحسنها فاتخذها رباً وجعل الثلاثة الأخرى أثافي لقدره فإذا ارتحل تركها. وكانوا يذبحون وينحرون عندها ويتقرّبون بذلك إليها^(١)».

ومن تقدّسهم لدماء ذبائحهم القرابين لهماكل الأصنام والأوثان ينصبون لديها أحجاراً هي النصب والأنصاب، يصبّون عليها دماء ذبائحهم التي يتقرّبون بها إلى الهتهم، فالأنصاب والأزلام كانت من لوازم الأوثان والأصنام في كلام الله تعالى: ﴿والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾^(٢).

وكان لها سدة وحجاب. وبجانب سدة البيوت المقدّسة كان هناك كهان يدعون أنّه سخر لهم طائف من الجنّ يسرق لهم السمع فيعرفون منهم ما كتب الله للناس في ألواحهم، رجالاً ونساء.

فمّن عرف من رجالهم: سطيح الذبي، وسلمة الخزاعي، وسواد بن قارب الدوسي، وشقّ بن مصعب الأغاري، وعزّي سلمة، وعوف بن ربيعة الأسدي^(٣).

(١) الأصنام للكلبي: ٣٣.

(٢) المائدة: ٩٠.

(٣) ابن هشام ١: ١٦ والأغاني ٩ و ١٥: ٧٠ و ٨٤ ويقال: قيل لسطيح: من أين لك هذا العلم؟ قال: من صاحبي من الجنّ كان استمع أخبار السماء حين كلم الله موسى في طور سيناء!

ومن الكاهنات: كاهنة ذي الخلصة، والكاهنة السعدية، والكاهنة الشعثاء، والزرقاء بنت زهير وطريفة الكاهنة امرأة عمرو بن عامر^(١) وكان قد يلتحق ببعضها بغايا أيضاً^(٢)، ويسمّون الذي يخبر الكاهن: الرئي.

ولذلك فهم كانوا يؤمنون بالجنّ ويخافونها ويتعبّدونها ويجعلون بينها وبين الله نسباً، وإن كانت هي مظاهر الشرّ عندهم، وكما كانوا يجعلون الملائكة بنات الله وهي مظاهر الخير والرحمة: ﴿وجعلوا لله شركاء الجنّ وخلقهم وخرقوا له بنين وبنات بغير علم﴾^(٣) ولعلّها من ثنوية هؤلاء الوثنيين متسرّبة إليهم من ثنوية المجوس أيضاً.

صحيح أنّ كثيراً من هؤلاء كانوا يعدّون الجنّ والملك والأرواح والأوثان والأصنام من شفعاّتهم عند الله كما حكى القرآن الكريم: ﴿والذين اتّخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٤) لكنّها لم تكن للنجاة من النار بل ﴿اتّخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا﴾^(٥) و﴿اتّخذوا من دون الله آلهة لعلّهم ينصرون﴾^(٦). ذلك أنّهم كانوا لا يؤمنون ببعث ولا نشور: ﴿وقالوا ما هي إلّا

(١) مجمع الأمثال للميداني ١ : ١٩ و ٢ : ٥٤ وابن هشام ١ : ١٦ في الهامش .

(٢) المحبر : ١٨٤ .

(٣) الأنعام : ١٠٠ .

(٤) الزمر : ٣ .

(٥) مريم : ٨١ .

(٦) يس : ٧٤ .

حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر ﴿^(١)﴾ وقالوا إنّ هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿^(٢)﴾ و﴿ضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ ^(٣) فلم تكن قرباهم للنجاة من النار.

نعم كان حجّهم الأعظم إلى الكعبة الإبراهيميّة وقد بقي فيهم منه ومن حجّه بعض السنن مزيجاً بالبدع الجاهليّة: منها أشهر الحجّ المعلومات الحرم: رجب وذو القعدة وذو الحجّة والمحرم، فكانت فرصة لبعدهم عن الأماكن المقدّسة للوصول إليها دون أن تمسّ نذورهم، فكانوا فيها يتّجرون ويمشون ويقيمون أسواقهم كسوق عكاظ.

ويقول ابن حبيب في «المحرر»: كانوا يلّبّون، فكانت قريش تقول: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريك هو لك، تملكه وما ملك. تخاطب إساف.

وكانت تليبتهم لودّ: لبيك اللهم لبيك، لبيك معذرةً إليك.
وكانت تليبتهم للآت: لبيك اللهم لبيك، كفى بيتنا بنيّه، ليس بمهجور ولا بليّه، لكنّه من تربة زكيّه، أربابه من صالحى البريّة.
وكانت تليبتهم للعزّى: لبيك اللهم لبيك، لبيك وسعديك ما أحبّنا إليك.

وكانت تليبتهم لذى الخلصة: لبيك اللهم لبيك، لبيك بما هو أحبّ

(١) الجاثية: ٢٤.

(٢) الأنعام: ٢٩.

(٣) يس: ٧٨.

إليك^(١).

فالحُمس من قريش وكنانة وخزاعة يطوفون بشياهم، والحلة يطوفون عرايا.

ويصوّر الأزرق في كتابه «أخبار مكة» طواف العريان فيقول: يبدأ بإساف فيستلمه ثم يستلم الركن الأسود، ثم يجعل الكعبة عن يمينه ويطوف سبعةً فإذا ختم استلم الحطيم أو ركن الحجر الأسود ثم استلم نائلة فختم طوافه، ثم يخرج فيجد ثيابه فيلبسها ويمضي^(٢).

وقد فصل الكلبي المؤرخ الشهير المتوفى في ٢٠٦ هـ ديانا العرب قبل الإسلام فقال:

«إنّ حمير كانت تعبد الشمس وكنانة كانت تعبد القمر وقيس كانت تعبد الشعري، ولخم كانت تعبد المشتري، وطيء كانت تعبد نجمة السهيل، وأسد كانت تعبد العطار، وتميم كانت تعبد الذبران، وبنو مليح كانوا يعبدون الجنّ، وأكثر العرب الأوثان والأصنام.

وإنّ أوّل من جاء بها إلى مكة هو: عمرو بن لحي، وكانوا في أوّل أمرهم يقولون: ﴿ما نعبدكم إلّا ليقربونا إلى الله زلفى﴾^(٣) ثم رأوا فيهم قوّة دون قدرة الله، فكانوا يتمسّحون بها إذا أرادوا السفر، واتّخذوا من أحجار الصحراء أصناماً يعبدونها كما يتّخذون عدداً آخر منها أثافي لقدورهم. كانوا يرون أنّهم بالقربان للأوثان يجلبون رضاها، فإذا قرّبوا لها قرباناً

(١) أخبار مكة للأزرق ١ : ١١٤.

(٢) المصدر نفسه.

(٣) الزمر : ٣.

تَلَطَّخُوا بِدِمَائِهِ، وكانوا يتفاسمون بالأزلام عندها، وهي سهام اصطلحوا على بعضها أنها أمّز وعلى بعضها الآخر أنها نهيّ، فيعملون كما تخرج لهم، وقد أصبحت الكعبة بيتاً مركزياً للأوثان أكثر من ثلاثمائة وستين، منها اللات والعزى ومناة، اللاتي كانت قريش تزعم أنها بنات الله تعالى فتعبدنها واللات بدورها أمّ سائر الآلهة وكان مقرّها بالطائف، وأمّا مناة فهي ربّ الأعمار والآجال، ومقرّها بين مكّة والمدينة»^(١).

أزلام العرب:

قال تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالْدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهْلَ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ذَلِكُمْ فَسْقُ﴾^(٢).

قال القمّي في تفسيره للنصب: إنّ قريشاً كانوا يعبدون الصخور فيذبحون لها. و«الأزلام» كانوا يعمدون إلى الجزور فيجزئونه عشرة أجزاء، ثمّ يجتمعون عليه فيخرجون سهاماً عشرة: سبعة لها أنصباء وثلاثة لا أنصباء لها، فالتّي لها أنصباء هي: الفذّ والتوأم، والمسبل، والنافس، والحلس، والرقيب، والمعلّى؛ فالفذّ له سهم، والتوأم له سهان، والمسبل له ثلاثة أسهم، والنافس له أربعة أسهم، والحلس له خمسة أسهم، والرقيب له ستة أسهم، والمعلّى له سبعة أسهم.

والتي لا أنصباء لها هي: السفح، والمنيح، والوغد. وكان ثمن الجزور

(١) الأصنام للكلي: ٢٢.

(٢) المائدة: ٣.

على من لم يخرج له من الأنصباء شيء. وهذا قار، حرّمه الله عزّ وجلّ^(١). وقد عقد اليعقوبي في تأريخه فصلاً خاصاً بعنوان «أزلام العرب» قال فيه: «وكانت العرب تستقسم بالأزلام في كلّ أمورها، وهي القداح، ولا يكون لها سفر ولا مقام ولا معرفة حال إلا رجعت إلى القداح. وكانت القداح سبعة: فواحد عليه «الله عزّ وجلّ» والآخر «لكم» والآخر «عليكم» والآخر «نعم» والآخر «منكم» والآخر «من غيركم» والآخر «الوعد».

فكانوا إذا أرادوا أمراً رجعوا إلى القداح فضربوا بها ثمّ عملوا بما تخرج القداح، لا يتعدّونه ولا يجوزونه. وكان لهم أمناء على القداح لا يثقون بغيرهم.

وكانت العرب إذا كان الشتاء ونالهم القحط وقلّت ألبان الإبل استعملوا الميسر بالأزلام، فضربوا بالقداح وتقامروا عليها إلا أنّ قداح الميسر عشرة: سبعة منها لها أنصب، وثلاثة لا أنصب بها. فالسبعة التي لها أنصب يقال لأؤلّها «الفذ» وله جزء واحد، و«التوأم» وله جزءان، و«الرقيب» وله ثلاثة أجزاء، و«الحلس» وله أربعة أجزاء، و«النافس» وله خمسة أجزاء، والثلاثة التي لا أنصب لها يقال لها: المنيع والسفيح والوعد.

(١) تفسير القمّي ١: ١٦١، ١٦٢ وعنه في مجمع البيان ٣: ٢٤٤ عن الصادقين عليه السلام. وقال الطوسي في التبيين ٣: ٤٣٣: هي سهام كانت للجاهليّة، مكتوب على بعضها: أمرني ربّي، وعلى بعضها: نهاني ربّي. فإذا أرادوا سفراً أو أمراً يهتمّ به ضربوا تلك القداح، فإن خرج الأمر مضى لحاجته، وإن خرج النهي لم يرض، وإن خرج ما ليس عليه شيء أعادوها. فبيّن الله تعالى أنّ ذلك يحرم العمل به. ونقله في مجمع البيان عن الحسن وجماعة من المفسرين: مجمع البيان ٣: ٢٤٤.

فكانت الجزور تشتري بما بلغت ولا ينقد الثمن، ثم يدعى الجزار فيقسمها عشرة أجزاء، فإذا قسّمت أجزاؤها على السواء أخذ الجزار الرأس والأرجل، ثم أحضرت القداح العشرة، واجتمع فتیان الحي، فأخذ كلّ فرقة على قدر حالهم ويسارهم وقدر احتياهم، فيأخذ الأول الفذّ والثاني التوأم وكذلك سائر القداح على ما سمينا منها.

فإذا عرف كلّ رجل منهم قدحه دفعوا القداح إلى رجلٍ أخسّ لا ينظر إليها معروف أنّه لم يأكل لحماً قطّ بثمن ويسمى «الحرضة» يؤتى «بالمجول» وهو ثوب شديد البياض فيجعل على يده، ويعمد إلى «السلفة» وهي قطعة من جراب فيعصّب بها على كفّه لئلا يجد مسّ قدح يكون له في صاحبه هوى فيخرجه، ويأتي رجل فيجلس خلف الحرضة يسمى «الرقيب» ثم يفيض الحرضة بالقداح فإذا نشز منها قدح استلّه «الحرضة» فلم ينظر إليه حتّى يدفعه إلى «الرقيب» فإن خرج من الثلاثة الأغفال التي لا نصيب لها ردّ من ساعته، وإن خرج أولاً «الفذّ» أخذ صاحبه نصيبه وضربوا بباقي القداح على التسعة الأجزاء الأخر، فإن خرج التوأم أخذ صاحبه جزأين وضربوا بباقي الأقداح على الثمانية الأجزاء الأخر، فإن خرج المعلّى أخذ صاحبه نصيبه وهو السبعة الأجزاء التي بقيت.

ووقع غرم ثمن الجزور على من خاب سهمه وهم أربعة: صاحب «الرقيب» و«الحلس» و«النافس» و«المسبل» وهذه الأقداح ثمانية عشر سهماً فيجزأ الثمن على ثمانية عشر جزءاً ويأخذ كلّ واحد من الغرم مثل الذي كان نصيبه من اللحم لو فاز قدحه.

وإن خرج «المعلّى» أوّل القداح أخذ صاحبه سبعة أجزاء الجزور، وكان الغرم على أصحاب القداح التي خابت، واحتاجوا أن ينحروا جزوراً

أخرى، لأنّ في قدامهم المسبل، وله ستّة أجزاء ولم يبقَ من اللحم إلّا ثلاثة أجزاء. فإنّ نحروا الجزور الثانية، وضربوا عليها القداح فخرج «المسبل» أخذ صاحبه ستّة أجزاء الثلاثة الباقية من الجزور الأولى وثلاثة أجزاء من الجزور الثانية، ولزمه الغرم في الجزور الأولى ولم يلزمه في الثانية شيء لأنّ قدحه قد فاز. وبقي من الجزور الثانية سبعة أجزاء فيضرب عليها بقداح من بقي، فإنّ خرج «النفاس» أخذ صاحبه خمسة أجزاء ولم يغرم من ثمن الجزور الثانية شيئاً، لأنّ قدحه قد فاز، ولزمه الغرم من الأولى وبقي جزءان من اللحم، وفيما بقي من القداح «الحلس» له أربعة أجزاء، فيحتاجون أن ينحروا جزوراً أخرى لتتمة أربعة.

وإنّ نحروا الجزور الثالثة وفاز «الحلس» أخذ صاحبه أربعة أجزاء: جزأين من الجزور الثانية وجزأين من الجزور الثالثة، ولم يغرم من الجزور الثالثة شيئاً فإنّ قدحه قد فاز ويبقى ثمانية أجزاء من الجزور الثالثة، فيضرب بباقي القداح عليها حتّى يخرج قدامهم وفقاً لأجزاء الجزور، فهذا حساب غرمهم الثمن.

وربّما كانت أجزاء اللحم موافقة لأجزاء القداح فلا يحتاجون إلى نحر شيء، وإنّما تُنحر الجزور إذا قصرت أجزاء اللحم عن بعض القداح، فإنّ عاد بعض من فاز قدحه ثانية فخاب، غُرم من ثمن الجزور التي خاب قدحه منها على هذا الحساب. فإنّ فضل من أجزاء اللحم شيء وقد خرجت القداح كلّها، كانت تلك الأجزاء لأهل المسكنة من العشيرة، فهذا تفسير «الميسر».

وكانوا يفتخرون به ويرون أنّه من فعال الكرم والشرف، ولهم في

هذا أشعارٌ كثيرةٌ يفتخرون بها^(١).

اليهود في يثرب والنصارى في نجران والشام:

استولى القيصر الرومي تيتوس على الشام وفلسطين والقدس فهدم هيكل اليهود سنة ٧٠ م، ثم اضطهدهم القيصر هدریان سنة ١٣٢ م، ففرّ في هذه الأثناء كثيرٌ منهم إلى الحجاز وغير قليلٍ منهم إلى اليمن، أي في أواخر القرن الأوّل وأوائل القرن الثاني الميلادي.

ويظنّ أنّ القياصرة الرومان في صراعهم على السلطة أرادوا النفوذ إلى اليمن لبسط سلطانهم على هذه البلاد بما لها من قوافل تجارية، فكان ذلك من أهمّ الأسباب لنفوذ النصرانيّة هناك بالبعثات التبشيريّة المسيحيّة التي كان يشجّعها القياصرة، ويظنّ أنّ انتشارها في اليمن بدأ منذ القرن الرابع الميلادي، ولا نصل إلى العصر الجاهلي (الخامس) حتّى نرى النصرانيّة منتشرة في نجران وغيرها، ونجران كانت أهمّ مواطنها.

ويرى نسابة العرب أنّ الغساسنة في الشام من أصلٍ يمنيّ، فهم من عرب الجنوب الذين نزحوا إلى الشمال معها قبائل كثيرة أخرى منها جذام وعاملة وقضاة وكلب. ويقال إنّهم اصطدموا هناك بعرب من الضجاعة فتغلّبوا عليهم وسادوا هناك، ويزعم مؤرّخو العرب أنّ مؤسّس سلالتهم جفنة بن عمرو فهم آل جفنة، فأقاموا إمارتهم في شرقي الأردن، وكأنتهم ظلّوا بدوّاً يرحلون بخيامهم وإبلهم وأنعامهم من مكانٍ إلى مكانٍ في الجابية وجلولاء والجلولان وحتّى جلق قرب دمشق، وقربهم الرومان البيزنطيون

(١) اليعقوبي ١: ٢٥٩ - ٢٦١، طبعة بيروت.

ومنحوهم ألقابهم واتخذوهم حاجزاً بينهم وبين البدو وغاراتهم، ومساعداً لهم في حروبهم ضدّ من يؤيّد الفرس من عرب مناذرة الحيرة في العراق .
وليس بأيدينا من الوثائق التاريخية ما تبيّن بدقّة تأريخ نشأة هذه الإمارة، إلّا أنّها ظهرت على صفحة التأريخ إثر قضاء الرومان على مملكة تدمر فدمروها سنة ٢٧٣ م، ولكنّ تأريخها قبل أواخر القرن الخامس الهجري يحيط به الإبهام والغموض، وأوّل ملكٍ يمكن الاطمئنان إلى أخباره من الوجهة التاريخية هو جبلة الذي غزا فلسطين سنة ٤٩٧ م .

وانتشرت النصرانيّة بين عرب الشام من الغساسنة وعاملة وقضاة وكلب وجذام، وكانوا على مذهب المنوفستين أو اليعاقبة المنسوبين إلى يعقوب البرادعي حوالي الخمسمائة الميلاديّة، الذي كان يرى للمسيح إقنوماً واحداً أي طبيعة بشريّة واحدة غير إلهيّة .

وبكر بن وائل كانوا في ديار بكر فيما بين الشام إلى العراق ويليهم إلى شمال العراق إباد وتغلب، فنفذت النصرانيّة اليعقوبيّة فيهم أيضاً، بل وتغلّغت في الحيرة قرب الكوفة فسّموا العباديين نسبة إلى عبادة الله، ولكنّهم غير يعاقبة بل نساطرة نسبة إلى نسطوريوس المتوفّي سنة ٤٥٠ م الذي كان يرى أنّ للمسيح إقنومين أي طبيعتين : اللاهوت مع الناسوت، وحتىّ دخل في النصرانيّة أواخرهم : النعمان بن المنذر واخته هند بنت المنذر وبنت ديراً .

وكان في مكّة جوارٍ روميّات^(١) وعبدان نصرانيّان من عين تمر

بالعراق^(١) ورقيق حبشي نصراني كثير، وفي الطائف عداس النصراني من نينوى في شمال العراق، وتنصّر في مكّة قوم قبيل الإسلام منهم عتبة بن أبي لهب، وعثمان بن الحويرث وورقة بن نوفل^(٢).

وفي أواخر القرن السادس الميلادي استطاع يهود اليمن أن يؤثّروا في ذي نواس ملك اليمن، وربّما كان السبب الحقيقي لاستجابته لليهود أنّهم خوّفوه من تغلغل النصرانيّة في بلاده وبذلك تفتح أبواب اليمن لنصارى الحبشة من دون مقاومة، فأدخلوه في دينهم، ثمّ انتقموا به من النصارى فدفعوه إلى التنكيل بنصارى نجران وتحريقهم بالنار في ما حفروه لهم من حفر الأخدود في الأرض، وإذ كانت النصرانيّة يومئذٍ أحقّ من اليهوديّة قال الله تعالى: ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ، وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ، وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(٣) وانتقم نصارى الحبشة لإخوانهم فأزالوا دولة ذي نواس سنة ٥٢٥ م بقيادة أبرهة، وظلّوا هناك خمسين عاماً.

فدعمت النصرانيّة واعتنقها كثيرون وبنيت لها كنائس في أكثر من بلد من أشهرها كنيسة نجران أنشأها أبرهة كما أنشأ كنائس كثيرة في مدن اليمن، واهتم بزينتها وزخرفتها. ومن أشهرها القليس في صنعاء، والكلمة تعريب لكلمة الكنيسة اليونانيّة، فيقال: إنّه نقشها بالذهب والفضّة والفسيفساء وألوان الأصباغ وصنوف الجواهر، وكان ينقل إليها آلات البناء كالرخام

(١) أسباب النزول للواحدي : ٢١٣ - ٢٢٠.

(٢) تأريخ اليعقوبي ١ : ٢٥٧، طبعة بيروت.

(٣) البروج : ٤ - ٨.

١٣٠ موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

المجرّع والحجارة المنقوشة بالذهب، ونصب فيها صلباناً من الذهب والفضّة ومنابر من الأبنوس والعاج^(١) وقد حوّلها المسلمون إلى مسجد لا يزال اليوم قائماً^(٢).

وكانت هذه الفترة سبباً في خروج اليهود من اليمن وتفرّقهم في البلاد، وبقي منهم جماعة حتّى دخل الإسلام فدخلوا فيه، منهم كعب الأحبار ووهب بن منبّه.

وأهمّ من يهود اليمن يهود الحجاز، وكانوا قبائل وجماعات كثيرة انتشرت في واحات الحجاز: يثرب وخيبر ووادي القرى وتيما، وكان في يثرب منهم عشائر كثيرة أهمّها: بنو النضير وبنو قريظة وبنو قينقاع وبنو تهذل، وقد نزل بينهم الأوس والخزرج وثنيين.

من سنن الجاهلية في الابل والغنم:

البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي ... وقد جاء في القرآن الكريم عنها: ﴿ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب و اكثرهم لا يعقلون﴾^(٣).

وروى العياشي في تفسيره لها عن الامام الصادق عليه السلام قال:

إن أهل الجاهلية كانوا اذا ولدت الناقة ولدين في بطن قالوا: وصّلت، فلا يستحلّون ذبحها ولا اكلها، واذا ولدت عشرين جعلوها سائبة

(١) تفسير الطبري ٣: ١٩٣.

(٢) العصر الجاهلي لشوقي ضيف: ٩٧ - ١٠٠.

(٣) المائدة: ١٠٣.

فلا يستحلون اكلها ولا ظهرها. والحامي : فحل الابل، لم يكونوا يستحلون (اكله) فأنزل الله أنه لم يحرم شيئاً من هذا^(١).

ونقل الشيخ الطوسي في «التبيان» عن محمد بن اسحاق قال :
الوصيلة : هي الشاة اذا ولدت عشر اناث متتابعات في خمسة أبطن،
كل بطن توأم اناث ليس فيها ذكر، قالوا : قد وصلت، وجعلوها وصيلة،
وكان ما ولدت بعد ذلك للذكور دون الاناث !

والسائبة : هي الناقة اذا تابعت بين عشر اناث ليس فيهن ذكر، سئبت
فلم يركبوها ولم يجرؤا وبرها ولم يشرب لبنها إلا ضيف.
والبحيرة : هي ما نتجت السائبة بعد ذلك من انثى شقّ اذنها ثم خُلّي
سبيلها مع أمها، فلم يركب ظهرها ولم يجرؤ وبرها، ولم يشرب لبنها
الاضيف^(٢).

ونقل عن أهل اللغة قالوا : الوصيلة : هي الشاة كانت اذا ولدت انثى
فهي لهم، واذا ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم في زعمهم، واذا ولدت ذكراً وانثى
قالوا : وصلت أخاها، فلم يذبحوه لآلهتهم.

وفي البحيرة : قال : كانوا في الجاهلية اذا نتجت الناقة خمسة أبطن
وكان آخرها ذكراً، بحروا اذنها أي شقّوها، وامتنعوا من ركوبها وذبجها،
ولم تطرد عن رعي ولا ماء.

وفي السائبة : قال : كانوا في الجاهلية اذا نذر أحدهم لقدم من سفر أو
برء من مرض أو ما أشبه ذلك قال : ناقتي سائبة، فكانت كالبحيرة في

(١) تفسير العياشي ١ : ٣٤٧.

(٢) التبيان ٤ : ٣٨ وعن ابن اسحاق في السيرة ١ : ٩١.

التخلية^(١).

و أسند الطبرسي في «مجمع البيان» قول أهل اللغة هذا الى الزجاج .
وفي الحامي قال : هو الذكر من الابل ، كانت العرب اذا أنتجت من
صلب الفحل عشرة أبطن قالوا : قدحى ظهره ، فلا يحمل عليه ، ولا يمنع من
ماء ولا مرعى ، رواه عن الزجاج وأبي عبيدة ، وابن مسعود وابن عباس .
ثم نقل عن المفسرين عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال : إن عمرو
ابن لُحيّ بن قُعة بن خندف ، كان قد ملك مكة ، وكان هو أول من غير دين
اسماعيل و اتخذ الأصنام و نصب الأوثان ، و بحرّ البحيرة و سيب السائبة
ووصل الوصيلة وحمى الحامي ، فلقد رأيت في النار يؤذي أهل النار ريح
قصبه^(٢).

حماس العرب قبل الاسلام:

بإمكاننا ان نقول : إنّ العربيّ قبل الإسلام كان نموذجاً تاماً لشرة
البشر و حرصه على مصالحه و منافعه ، فكان ينظر إلى كلّ شيءٍ من زاوية
منافعه الخاصة ، وكان يدّعي لنفسه في كلّ ذلك أنواعاً من الشرف والكرامة
والرفعة على الآخرين ، يحب الحرية غاية الحبّ ، وينفر من أيّ قيد أو حدّ .
وقد قال ابن خلدون بهذا الصدد : «إنّ العرب إذا تغلبوا على^(٣)

(١) التبيان ٤ : ٣٨ .

(٢) مجمع البيان ٣ : ٣٩٠ . ورواه ابن اسحاق بسنده عن ابن حزم وبسند آخر عن أبي

هريرة - السيرة ١ : ٧٨ ، ٧٩ .

(٣) تحف العقول : ٣٠ ط بيروت .

أوطان أسرع إليها الخراب، وذلك أنهم أمة قد استحسنت فيهم أسباب التوحش فصار لهم خلقاً وجبلةً، وكان عندهم الخروج عن ربة الحكم وعدم الانقياد للسياسة ملذوذاً. وهذه الطبيعة منافية للعمران ومناقضة له، فإن حالتهم العادية هي الرحلة والتغلب، وهذا مناقض للسكون الذي به العمران ومناف له. وأيضاً فطبيعتهم انتهاب ما في أيدي الناس، وأن رزقهم في ظلال رماحهم، وليس عندهم في أخذ أموال الناس حدّ ينتهون إليه، بل كلما امتدّت أعينهم إلى مال أو متاع أو ماعون انتهبوه»^(١).

أجل، إنّ العرب قبل الإسلام كانوا قد اعتادوا على الحرب والقتال، وكان منطقهم السائد: لا يغسل الدم إلّا الدم، وكذلك كانوا قد اعتادوا الإغارة على أموال الآخرين حتّى أنّ أحدهم كان يعدّ غاراته على أموال الناس مفخرة له، وحتّى أنّ الشاعر الجاهلي حينما يشاهد عجز قومه عن الغارة يتمنّى أن لو كان له عن قومه هؤلاء قومٌ آخرون يشنون الغارات: فليت لي بهم قوماً إذا ركبوا شنّوا الإغارة فرساناً وركبانا وإلى هذه الحالة يشير الذكر الحكيم إذا يقول لهم: ﴿وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها﴾^(٢).

الخرافات عند العرب:

إنّ القرآن الكريم يبيّن أنّ من أهداف بعثة رسول الله ﷺ أنّه

(١) مقدمة ابن خلدون: ١٤٩ ط دارالفكر.

(٢) آل عمران: ١٠٣.

﴿ يضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ﴾^(١).

فما هو الإصر وماهي الأغلال التي كانت عليهم ؟ لا شك أنها لم تكن أغلالاً من حديد، بل الغرض منها هي تلك الأوهام والخرافات التي كانت تمنع عقولهم وأفكارهم عن الرشد والنمو، ولا شك أنها لا تقلّ عن أغلال الحديد ثقلًا وضرراً، إذ هذه الأغلال قد لا تنفك عن صاحبها حتى الموت وهي تمنعه عن كلّ حركة حتى لحلّها، في حين لو كان الإنسان ذا عقل حرّ سليم كان بإمكانه أن يكسر كلّ طوق أو قيد.

إنّ من مفاخر رسول الإسلام ﷺ أنّه كافح الخرافات والأوهام، وغسل العقل البشريّ منها.

إنّ ساسة العالم الذين لا يهتمّ شيء سوى الرئاسة على الناس، يحاولون الإفادة من كلّ شيء في سبيل أغراضهم ومقاصدهم، فإذا كانت العقائد الخرافية والقصص القديمة ممّا يمكن أن تؤيد حكومتهم ورئاستهم، فلا مانع لهم من أن يروّجوا لها ويفتحوا السبيل أمامها، وحتى لو كانوا أناساً مفكّرين ذوي رأي ومنطق فإنّهم سوف يدافعون عن هذه الخرافات باسم احترام آراء الناس وأفكارهم واعتقاداتهم.

أمّا رسول الله فأنّه لم يمنع عن تلك العقائد الخرافية التي تضرّ بالمجتمع فحسب، بل كان يكافح حتى الأفكار التي كانت قد تؤيّده وتدعم هدفه، وكان يسعى الى أن يكون الناس أبناء الدليل والمنطق لا القصص والخرافات.

فقد روى البرقي في كتابه «المحاسن» بسنده عن أبي الحسن موسى بن

جعفر عليه السلام أنه قال : لما قبض إبراهيم ابن رسول الله ﷺ جرت في موته ثلاث سنن : أمّا واحدة : فأنّه لما قبض انكسفت الشمس فقال الناس : أمّا انكسفت الشمس لموت ابن رسول الله ، فصعد رسول الله ﷺ المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

«أيّها الناس ! إنّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله يجريان بأمره مطيعان له ، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته . فإذا انكسفا أو أحدهما صلّوا» .

ثم نزل من المنبر فصلّى بالناس الكسوف^(١) . إنّ فكرة كسوف الشمس لموت ابن رسول الله كان ممّا يرسّخ العقيدة برسول الله في نفوس الناس ، وهو من ثمّ يؤدي الى انتشار رسالته ولكنه ﷺ لم يرض أن يتأيد بالخرافة .

إنّ كفاح رسول الله ﷺ ضد الخرافات و على رأسها عبادة الأصنام والأوثان واتّخاذ بعض المخلوقات أرباباً لم يكن دأبه في رسالته فحسب بل إنّ كان يكافح الأوهام والخرافات حتّى في دور طفولته وصباه . فقد روى المحدث المجلسي في موسوعته «بحار الأنوار» عن كتاب «المنتقى في أحوال المصطفى» للكاظمي من العامّة ، بسنده عن ابن عباس عن حليلة السعدية أنّها قالت «فلما تمّ له ثلاث سنين قال لي يوماً : يا أمّاه ! مالي لا أرى أخويّ بالنهار ؟ قلت له : يا بنيّ أنّها يرعيان غنّيات ، قال : فمالي لا أخرج معها ؟ قلت له : تحبّ ذلك ؟ قال : نعم . فلما أصبح دهنته وكحلّته وعلّقت في عنقه خيطاً فيه جزع يمانية فنزعها ثم قال لي : مهلاً يا أمّاه ! فإنّ معي من

(١) المحاسن للبرقي : ٣١٣ .

يحفظني»^(١).

الخرافات في عقائد العرب الجاهليين:

إنَّ عقائد جميع أمم العالم كانت حين طلوع فجر الإسلام خليطاً بأنواع من الخرافات والأساطير، فالأساطير الساسانية واليونانية كانت تسود على أفكار أمم كانت تعدُّ من أرقى أمم العالم يومذاك. وحتى اليوم يوجد بين أمم العالم خرافات كثيرة لا تستطيع الحضارة الحاضرة أن تنفيها من حياة الناس.

وقد سجّل التاريخ خرافات وأساطير كثيرة للناس في شبه جزيرة العرب، جمع كثيراً منها السيد محمود الآلوسي في كتاب أسماه «بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب» مع ذكر شواهد لها من الشعر الجاهلي وغيره، بمراجعة هذا الكتاب ومثله يواجه المرء شيئاً كثيراً من الخرافات قد ملأت عقول العرب الجاهليين، وكانت هذه الأساطير إحدى عوامل التخلف فيهم عن سائر أمم العالم آنذاك، وكانت كذلك أكبر سدٍّ أمام تقدّم الإسلام فيهم أيضاً، ولهذا كان النبي ﷺ يسعى جاهداً أن يحبط تلك الأساطير والأوهام من آثار الجاهلية، فحينما أرسل «معاذ بن جبل» إلى اليمن أمرة قائلاً: «وأمت الجاهلية إلاّ ماسنّه الإسلام، وأظهر أمر الإسلام كلّ صغيره وكبيره»^(٢).

وهنا نأتي نحن بنماذج من خرافاتهم:

(١) بحار الانوار ١٥ : ٣٩٢.

(٢) تحف العقول: ٢٥.

أ - إشعال النار للاستسقاء :

كانت الجزيرة العربية تواجه الجفاف في أكثر فصول السنة، فكان الناس يجمعون حطباً من شجر القشر والسَّلْع فيربطونها بذيل الثور ثُمَّ يسوقونه إلى سفح الجبل فيضرمون النار في حزمة الحطب فتشتعل، ويبدأ الثور يركض ويخور وهم يرون ذلك تقليداً للبرق والرعد؛ فالبرق النار في الحطب والرعد خوار الثور والبقر، ويرون ذلك مفيداً لهطول الأمطار!

ب - يضربون الثور لتشرب البقرة :

كانوا يردون بقطيع البقر الماء وقد يشرب الثور ولا تشرب الأبقار، فيرون ذلك من وجود الجن في قرون الثور فيضربون الثور لتشرب البقر! ويقول شاعرهم في ذلك :

فإِنِّي إِذَا كَالثَّورِ يُضْرَبُ جَنْبُهُ إِذَا لَمْ يَعِفْ شَرْباً وَعَافَتْ صَوَاحِبُهُ !
ج - يكون الحمل السالم لتصحّ الإبل :

كانوا إذا مرضت الإبل وظهر في فمها أو على أطرافها قروح أو بثور، يأتون ببعير سالم فيكون شفاهه وساعديه وذراعيه، لتصحّ سائر الإبل كما يتوهمون حسب خرافاتهم. وقد يحتمل بعض المتأخرين من المؤرخين أن ذلك كان عملاً وقائياً بل علاجاً علمياً! لكننا حينما نرى أنهم يفعلون ذلك بواحد من الإبل بدلاً من الكل، نعلم أن ذلك لم يكن إلا خرافة ووهماً.

د - يحبسون بعيراً على القبر ليحشر الميت عليه :

كانوا إذا مات كبير منهم حفروا قرب قبره حفيرة وحبسوا بها بعيراً وتركوه يموت جوعاً وعطشاً، يزعمون أن الميت يركبه ولا يبق راجلاً بلا راحلة!.

هـ - يعقرون بعيراً عند قبر الميت :

كانوا إذا مات كريم منهم كان ينحر الإبل لاضيفه، يعقر أقرباؤه
بعيراً عند قبره تكريماً للميت وثناء عليه !
وحارب الإسلام كل هذه الأوهام، بل أنّها إنّما كانت ظلماً للحيوان،
وإذا ما قارناها نحن بأحكام الإسلام بشأن حماية الحيوان رأينا أنّ الإسلام
كان ثورة على هذه الأفكار السائدة في ذلك المحيط الجاهل . ويكفيها من
بين عشرات الأحكام أنّ الإسلام قرّر للحيوان حقوقاً على صاحبه^(١) .
و - علاج المرضى :

كانوا يرون أنّ الملدوغ والممسوع لو كان معه شيء من النحاس
مات، وكانوا يعالجونها بإناطة عقود وقلائد الذهب والفضة بربقتها وكانوا
يعالجون عضّة الكلب المكلوب (داء الكلب) بدم كبير القبيلة أو شيخ
العشيرة يضعونه على موضع الجراح ! وقد جاء هذا المعنى في هذا البيت
المعروف :

أحلامكم لسقام الجهل شافية كما دماؤكم تشفي من الكلب
وكانوا إذا ظهرت على أحد منهم سمات مسّ الجنون لجؤوا لطرد
الأرواح الشريرة منه إلى عظام الموقى والأقشعة الملوثة بالأوساخ
والقاذورات فعلقوها بربقتها . ولدفع الجنون عن الجنين والبنين كانوا يعلقون
سنّ السنور والثعلب بخيط فيعلقونها برقابهم . وكانت الأم إذا رأت في فم
أو شفاه أولادها بثوراً حملت على رأسها طبقاً وطافت على دور القبيلة
فجمعت شيئاً من الخبز والتمر وأطعمتها الكلاب ليطيب بنوها . وكان نساء
الحَيّ يراقبن أبناءهن كيلا يأكلوا شيئاً من ذلك الخبز والتمر فيصابوا بذلك

(١) انظر هذا الصدد كتاب من لا يحضره الفقيه ٢ : ٢٨٦ - ٢٩٢ .

الداء. وإذا استمرّ مرض أحدهم قالوا أنّه قتل حيّة أو غيرها من الجنّ، وللاعتذار من الجنّ كانوا يصنعون بعيراً من الطين يحملونه التمر والحنطة والشعير ويتركونه ببعض شعاب الجبال، فإذا رأوا الحمل بعد ذلك قد تغيّر شيء منه قالوا إنّ الهدية قبلت وسيطيب المريض، وإلاّ قالوا: إنّهم استقلوا الهدية فلم يقبلوا بها!.

وكانوا إذا دخلوا قرية وخافوا الجنّ أو الطاعون صاحوا في مدخل القرية عشر مرّات بصوت الحمير (النهيق) وقد يعلّقون برقابهم عظم الثعلب! وكانوا إذا ضلّوا في البيداء نزعوا ملابسهم فلبسوها بالملقوب كي ينقلبوا إلى أهلهم! وكانوا عند السفر يربطون خيطاً بغصن شجرة أو فرعها، فإذا رجعوا ووجدوه كما هو اطمأنّوا إلى وفاء أزواجهم وعدم خيانتهم لهم، أمّا إذا فقدوه أو وجدوه قد حُلّ اتهموا أزواجهم بخيانتهم من ورائهم. وكانوا إذا سقط سنّ من أسنان أطفالهم رموا به إلى جهة الشمس وقالوا: أيّتها الشمس اعطينا سنّاً أحسن من هذا! وكانت المرأة التي لا يبق لها أولادها تطأ القتيل سبع مرّات ويرون أنّ ذلك نافع لها ليبقى لها ولدها بعد هذا.

هذه نماذج من الخرافات التي كانت قد خيّمت على محيط حياة العرب في عهد الجاهلية فجعلت منه عهداً مظلماً أسودّ ومنعت عقولهم من الرقيّ والنمو.

المرأة في المجتمع الجاهلي:

كانت المرأة لديهم كسلعة تباع وتشتري، تماماً كالحيوانات، ولا يورثونها، ويرثونها مع التركة، ولا حدّ لتزويج الرجال منهنّ، ويعظّمهنّ

ليذهبوا ببعض ما آتوهن -كما في القرآن الكريم- ويتزوجن بزوجات آبائهم، ويمنعون أزواجهن إذا طلقوهن ان يتزوجن بغيرهم إلا بإذنهن، ولا يكون ذلك إلا بمال.

أما الإسلام فيكفينا منه تغييراً لهذا الوضع واصلاحاً له قول رسول الله ﷺ في خطبته في حجة الوداع:

«أيها الناس: انّ لنسائكم عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً، فحقكم عليهن أن لا يوطئن أحداً فرشكم، ولا يدخلن أحداً تکرهونه بيوتكم إلا بإذنكم، وإن لا يأتين بفاحشة، فإن الله قد أذن لكم أن تعظوهن وتهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضرباً غير مبرح، فإذا انتهين وأطعنكم فعليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكتاب الله، فاتقوا الله في النساء واستوصوا بهن خيراً»^(١).

مبدأ العرب، والعرب العاربة:

إن ماكتبه العرب عنهم بعد الاسلام مزيج بالأساطير، وقد ظل تأريخهم تأريخاً مبهماً حتى أواسط القرن الماضي حيث جد علماء الآثار والحفريات الأثرية التاريخية من الغربيين في قراءة آثارهم المنقوشة بالخط المسند على الأبراج والهياكل والنصب والأحجار، فاستقر رأي هؤلاء الباحثين الغربيين على أن العرب الجنوبيين في اليمن هم من الموجة السامية الأخيرة التي بدأت في أواخر الألف الثاني ق م، أي في حدود الألف قبل الميلاد، أي قرابة خمسة عشر قرناً قبل الاسلام، اتجهت من شمال الجزيرة الى جنوبها، لامن

(١) تحف العقول : ٣٠ ط بيروت .

بابل العراق^(١) بينما نرى في التاريخ النقلي المتوارث أن الهجرة كانت من بابل الى اليمن، فمثلاً:

ذكر المسعودي في أوائل من تكلموا بالعربية عن نسل نوح ببابل العراق بعد الطوفان قال: وكان من تكلم بالعربية: يعرب وجرهم، وعاد، وثمود، وعملاق، وطسم، وجديس، ووبار، وعييل وعبد ضخم، فسار يعرب بن قحطان بن عابر بن شالخ بن ارفخشد بن سام بن نوح (اي الجيل الخامس بعد نوح) بمن تبعه من ولده.. فحلّ باليمن.

وسار بعده عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه، فحلّ بالأحقاف وأداني الرمل بين عمان وحضرموت واليمن وتفرّق هؤلاء في الأرض فانتشر منهم ناس كثير: منهم جيرون بن سعد بن عاد حلّ بدمشق فصر مصرها، وجمع عمد الرّخام والمرمر إليها وشيّد بنيانها وسماها «إرم ذات العماد».

قال المسعودي: وهذا الموضع بدمشق في هذا الوقت -وهو سنة اثنتين وثلاثين وثلاثمائة- سوق من أسواقها عند باب المسجد الجامع يعرف بجيرون، وهو بنيان عظيم كان قصر هذا الملك (جيرون) عليه أبواب من نحاس عجيبة، بعضها على ما كانت عليه، وبعضها من مسجد الجامع.

وسار بعد عاد بن عوص: ثمود بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، بولده ومن تبعه، فنزلوا الحجر الى قُرع، نحو وادي القرى بين الشام والحجاز ونبيهم صالح عليه السلام.

وسار بعد ثمود: جديس بن عابر بن إرم بن سام بن نوح، بولده

(١) العصر الجاهلي، لشوقي ضيف: ٢٥ - ٢٨.

ومن تبعه، وهؤلاء نزلوا اليمامة .

وسار بعد جديس : عملاق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح، بولده ومن تبعه فنزل هؤلاء أكناف الحرم والتهائم، ثم انضافوا الى ملوك الروم فلكتهم الروم على مشارف الشام والغرب والجزيرة من ثغور الشام فيما بينهم وبين فارس، منهم السميدع بن هوبر، ومنهم أذينة بن السميدع .

ثم سار طسم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح بعد عملاق بن لاوذ بولده ومن تبعه، فكان منزلهم باليمامة، واسمها إذ ذاك جرّ، وكانت أفضل البلاد وأكثرها خيراً فيها صتوف الشجر والأعنان، وهي حدائق ملتفة وقصور مصطفة، وكثرت طسم فلكت عليها عملوق بن جديس .

فكان عملوق يحكم طسم وجديس، ولكن كثرت جديس فلكت عليها الأسود بن غفار. وكان عملوق ظلوماً غشوماً لا ينهائ شيء عن هواه، وكان قد قهر على جديس وتعدي عليهم. وترافع اليه زوجان من جديس تنازعا في ولدهما عمن يكون بعد الطلاق فحكم الملك أن يؤخذ الولد منها ويجعل في غلبانه، فقالت فيه شعراً ذمته به وبلغ قولها الملك فغضب، وأمر أن لا تتزوج امرأة من جديس فتزف الى زوجها حتى تحمل اليه فيفترعها قبل زوجها، فلقوا من ذلك ذلاً طويلاً، ولم تزل تلك حالتهم حتى تزوجت أخت الأسود ملك جديس ففعل بها كسائر نساءها، فخرجت تقول شعراً تحرض به قومها جديس على طسم . فصنع الأسود طعاماً كثيراً ودعا إليه عملوق ومن معه من رؤساء طسم باليمامة فأجابوه، فوثبت جديس عليهم بأسيا ففهم فقتلوهم عن آخرهم ومضوا إلى ديارهم فانتهبوها .

قال المسعودي : وسار بعد طسم بن لاوذ : وبار بن أميم بن لاوذ بن

إرم بن سام بن نوح، بولده ومن تبعه من قومه، فنزل برمل عاج، وأصابهم نقمة من الله فهلكوا لبغيهم في الأرض.

وسار بعد وبار بن أميم: عبد ضخم بن إرم بن سام بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا الطائف، ثم هلك هؤلاء ببعض غوائل الدهر فدفنوا، ولهم ذكر في الشعر الجاهلي.

وسار بعد عبد ضخم بن إرم: جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه، وطافوا البلاد حتى أتوا مكة فنزلوها (بعرفات)، وبعد ظهور زمزم نزلوا حول البيت بمكة).

وسار أميم بن لاوذ بن إرم بعد جرهم بن قحطان فحل بأرض فارس، فالفرس من ولد كيومرث بن أميم بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح على خلاف في ذلك.

ونزل ولد كنعان بن حام بن نوح بلاد الشام فبهم عرفت تلك الديار فقليل: بلاد كنعان.

قال المسعودي: وقد ذكر جماعة من أهل السير والأخبار: أنّ جميع من ذكرنا من هذه القبائل كانوا أهل خيم وبدواً مجتمعين في مساكنهم من الأرض. وأنّ أميا وأولاده (أي الفرس) هم أول من ابتنى البنيان ورفع الحيطان وقطع الأشجار وسقف السقوف واتخذ السطوح.

وقد كان من ذكرنا من الأمم لا يحدد الصانع عزّ وجلّ، ويعلمون أنّ نوحاً عليه السلام كان نبياً. ثم دخلت عليهم بعد ذلك شبه ومالت نفوسهم الى ما تدعو اليه الطوائع من الملاذ والتقليد، وكان في نفوسهم هيبة الصانع والتقرب إليه بالتماثيل وعبادتها لظنهم أنّها مقربة لهم اليه.

وكان عييل بن عوص بن إرم بن سام بن نوح نزل هو وولده ومن

تبعه بلاد الجحفة بين مكة والمدينة، فهلكوا بالسيل فسمي ذلك الموضع بالجحفة لإجفافها بهم.

وكان يثرب بن قامة بن مهليل بن إرم بن عييل نزل هو وولده ومن تبعه المدينة فسميت به يثرب، وهؤلاء أيضاً هلكوا ببعض غوائل الدهر وآفاته.

وقد أخبر الله جلّت قدرته عن أهلك من قوم عاد وثمود فقال تعالى ﴿كَذَّبَتْ ثمود وعاد بالقارعة فأثماً ثمود فأهلكوا بالطاغية وأثماً عاد فأهلكوا بريحٍ صرصرٍ عاتية﴾^(١) ارسل الله على عاد الريح العقيم فخرجت عليهم من وادٍ لهم (بصورة سحب مركوم) ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ... قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مِمَّنْزِلُنَا﴾ وتباشروا بذلك، فلما سمع هو ذلك منهم قال لهم ﴿بل هو ما استعجلتم به ريح فيها عذاب اليم﴾^(٢).

ولما دثرت هذه الأمم من العرب والقبائل خلت منهم الديار فسكنها غيرهم من الناس، فنزل قوم من بني حنيفة اليمامة واستوطنوها. وقد كانوا نزلوا بلاد الجحفة بين مكة والمدينة.

واختلفوا في بني حضور ف قيل إنهم من ولد يافث بن نوح، ومنهم من الحقههم بمن ذكرنا من العرب البائدة ممن سمينا، وكانت أمة عظيمة ذات بطش وشدة. ومنهم من رأى أن ديارهم كانت بلاد جند قنسرين إلى تلّ ماسح إلى خناصره إلى بلاد سورية، وهذه المدن في هذا الوقت مضافة إلى أعمال حلب من بلاد قنسرين من أرض الشام. ومن الناس من رأى أنهم

(١) الحاقة : ٤ - ٦.

(٢) الأحقاف : ٢٤.

كانوا بأرض السماوة وأنها كانت عمائر متصلة ذات جنان ومياه متدفقة، وذلك بين العراق الى حدّ الحجاز والشام، وهي الآن براري وقفار وديار خراب. وقد كان الله بعث إليهم شعيب بن مهدّم بن حضور بن عدي: نبياً ناهياً لهم عما كانوا عليه، وهو غير شعيب بن نويل. فجدّ شعيب بن مهدم في دعائهم وخوفهم وتوعّدهم، وظهرت له معجزات ودلائل أظهرها الله على يديه تدلّ على صدقه وتثبت حجته على قومه، فقتلوه.

وكان في عصره نبيّ آخر هو برخيا بن اجنيا بن رزنائيل بن شالتان، من أسباط يهودا بن إسرائيل بن إسحاق بن إبراهيم، فأوحى الله إليه أن يأمر بعض الملوك في الشام بغزو العرب أصحاب شعيب بن مهدّم، فسار إليهم في جنوده وغشى دارهم بعساكره، فاستعدّوا لحربه ولكن انفضّت جنودهم وتفرّقت جموعهم وولّت كتائبهم وأخذهم السيف فحصدوا أجمعين وبشأنهم - قيل - قال الله تعالى ﴿ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأُسْنا إِذا هم منها يركضون ﴾^(١).

العرب من ولد قحطان:

قال المسعودي: «ودثرت العرب العاربة عدا ولد قحطان من يعرب، فدثرت عاد وثمود والعمالقة وجرهم وطسم وجديس ووبار وعييل، وسائر من سميّنا، ودخل من بقي ممّن ذكرنا في العرب الباقية الى هذا الوقت، وهم ولد قحطان ومعد، ولانعلم أن قبلاً بقي يشار إليه في الأرض من العرب

(١) مروج الذهب ٢: ١٠٩ - ١٣١ بتصرف - الأنبياء: ١٢.

الأولى غير معد وقحطان»^(١).

وقال: «الواضح من أنساب اليمن وما تدين به كهلان وحمير ابنا قحطان الى هذا الوقت قولاً وعملاً، وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير، والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الأمم، ووجدت عليه الأكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والأنجاد، وبلاد حضرموت والشحر والأحقاف، وبلاد عمان وغيرها من الأمصار: أن الصحيح في نسب قحطان: أنه قحطان بن عابر ابن شالخ بن قنان بن ارفخشذ بن سام بن نوح. وكان لعابر ثلاثة أولاد: فالغ وقحطان وملكبان. وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكراً منهم يعرب، وولد ليعرب: يشجب، وولد ليشجب: عبد شمس فتملك وقاتل وسى فلقب: بالسبأ لسبيه السبایا. وولد لسبأ: حمير وكهلان، وأما العقب في قحطان من ولد هذين: حمير وكهلان. هذا هو المتفق عليه عند أهل الخبرة والمتيقن لديهم. وكان قحطان شرياني اللسان وأما تكلم يعرب بالعربية بخلاف لسان قحطان أبيه»^(٢).

ملوك اليمن:

قال المسعودي «وفد عبيد بن شريّة الجُرهمي على معاوية فسأله عن أخبار اليمن وملوكها وتواريخ سنيها، فذكر: أن أول ملوك اليمن: سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، ثم ملك بعده الحارث بن شدّاد بن ملظاظ

(١) مروج الذهب ٢: ٢٤ ط بيروت.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٥، ٤٦ ط بيروت.

ابن عمرو. ثمَّ ملك بعده أبرهة بن الرائش وهو أبرهة ذو المنار، ثمَّ ملك بعده افريقس بن أبرهة. ثمَّ ملك بعده أخوه العبد بن أبرهة، ثمَّ ملك بعده الهدهاد بن شرحبيل بن عمرو وهوذ والصرّح، ثمَّ ملكت بعده بلقيس بنت الهدهاد سبع سنين، ثمَّ ملك سليمان بن داود عليه السلام ثلاثاً وعشرين سنة. ثمَّ ملك بعده ارحبعم بن سليمان سنة، ثم رجع الملك الى حمير فملك من بعد ارحبعم بن سليمان: ناشر النعم بن يعفر بن عمرو ذي الأذعار، ثم ملك بعده عمرو بن شمر بن أفريقس، ثمَّ ملك بعده تتبع الأقرن بن عمرو، وهو تتبع الأكبر، ثم ملك بعده ابنه ملكيكرب بن تتبع. ثمَّ ملك بعده تتبع أبو كرب اسعد بن ملكيكرب، ثمَّ ملك بعده كلال بن مثوب، ثم ملك بعده تتبع بن حسان بن تتبع، ثمَّ ملك بعده مرثد، ثمَّ ملك بعده أبرهة بن الصبّاح، ثمَّ ملك بعده ذو شناتر بن زُرعة، ثمَّ ملك بعده لخنيعه ذو شناتر، في مجموع مدّة ألف وتسعمائة وسبع وعشرين سنة. هذا ماحكى عن عبيد بن شريّة في ترتيب ملوك اليمن^(١).

ونترك هنا ذكر بقيّة ملوك اليمن وماوقع على عهدهم، لنأتي على ذلك بعد ذكر انتشار العرب من اليمن الى الحجاز ويثرب والعراق والشام. ورجّحنا ذكر خبر عبيد بن شريّة الجرهمي في هذا الباب للاختصار، ولترجيح المسعودي له بقوله «ولم يصح عند كثير من الاخباريين -أي المؤرخين- من أخبار من وفد على معاوية من أهل الدراية بأخبار الماضين وسير الغابرين العرب وغيرهم من المتقدمين فيها، إلّا خبر عبيد بن شريّة واخباره آياه عمّا سلف من الأيام وما كان فيها من الكوائن والحوادث

(١) مروج الذهب : ٢ : ٦٠ - ٦٢ ط بيروت .

وتشعب الأنساب. وكتاب عبيد بن شريّة متداول في أيدي الناس مشهور»^(١).

سيل العرم وتفرّق الأزد في البلدان:

ذكر الله تعالى في القرآن الكريم أنّه أرسل على أهل بلاد سبأ سبأ سبلاً سماه سيل العرم، وقال المسعودي: «لا خلاف بين ذوي الرواية والدراية: أنّ العرم هو المسناة التي قد احكم عملها لتكون حاجزاً بين ضياعهم وبين السيل»^(٢)، وكان فرسخاً في فرسخ، بناء لقمان بن عاد بن عاديا الأكبر^(٣). وهذا السد هو الذي كان يردّ عنهم السيل فيما سلف من الدهر اذا حان أن يغشى أمواهم وقد كانت أرض سبأ قبل ذلك يركبها السيل، وكان ملك القوم في ذلك الزمان يقرب الحكماء ويدنيهم ويؤثرهم ويحسن إليهم، فجمعهم من أقطار الأرض للالتجاء إلى رأيهم والأخذ من محض عقولهم، فشاور في دفع ذلك السيل وحصره، وكان ينحدر من أعالي الجبال هابطاً على رأسه حتى يهلك الزرع ويسوق من حملته البناء. فأجمع القوم رأيهم على عمل مصاريف له إلى البراري تقذف به إلى البحر. فحضر الملك المصارف حتى انحدر الماء وانصرف وتدافع إلى تلك الجهة، واتخذ السد في الموضع الذي كان فيه بدء جريان الماء، من الجبل إلى الجبل، من الحجر الصلد والحديد بطول فرسخ، وكان وراء السد والجبال أنهار عظام وقد

(١) مروج الذهب: ٢٥١ ط بيروت.

(٢) مروج الذهب ٢: ١٦٣، ١٦٤.

(٣) مروج الذهب ٢: ١٦١.

اتَّخَذُوا مِنْ تِلْكَ الْمِيَاةِ نَهْرًا بِمَقْدَارٍ مَعْلُومٍ يَنْتَهِي فِي جَرِيَانِهِ إِلَى الْخِرَاقِ، وَكَانَ فِي هَذَا الْخِرَاقِ لِلْأَخْذِ مِنْ تِلْكَ الْأَنْهَارِ ثَلَاثُونَ نَقْبًا مُسْتَدِيرَةً فِي اسْتِدَارَةِ الذَّرَاعِ طَوْلًا وَعَرْضًا مَدَوَّرَةً عَلَى أَحْسَنِ هَنْدَسَةٍ وَأَكْمَلَ تَقْدِيرٍ، وَكَانَتْ الْمِيَاهُ تَخْرُجُ مِنْ تِلْكَ الْأَنْقَابِ فِي مَجَارِيهَا حَتَّى تَأْتِيَ الْجَنَانَ فَتُرْوِيهَا سَقِيًّا، وَتَعْمَّ شَرْبَ الْقَوْمِ.

ثُمَّ إِنَّ تِلْكَ الْأُمَمَ بَادَتْ وَضَرَبَهَا الدَّهْرُ بِضَرْبَاتِهِ وَطَحَنَهَا بِكُلِّكَلِهِ، وَمَرَّتْ عَلَيْهَا السَّنُونَ، وَعَمِلَ الْمَاءُ فِي أَصُولِ ذَلِكَ الْخِرَاقِ وَأَضْعَفَهُ مَرَّ السَّنِينَ عَلَيْهِ وَتَدَافَعَ الْمَاءُ حَوْلَهُ. وَأَتَى أَبْنَاءَ قَحْطَانَ إِلَى هَذِهِ الدِّيَارِ وَتَغَلَّبُوا عَلَى مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْقُطَّانِ، وَلَمْ يَعْلَمُوا الْآفَةَ فِي السَّدِّ وَالْخِرَاقِ وَضَعْفَهُ، وَعِنْدَ تَنَاهِي السَّدِّ وَالْبَنِيَانِ فِي الضَّعْفِ عَنْ تَحْمِلِهِ غَلَبَ الْمَاءُ عَلَى السَّدِّ وَالْخِرَاقِ وَالْبَنِيَانِ إِبَانِ زِيَادَةِ الْمَاءِ، فَقَذَفَ بِهِ فِي جَرِيهِ وَرَمَى بِهِ فِي تِيَارِهِ وَاسْتَوْلَى الْمَاءُ عَلَى تِلْكَ الدِّيَارِ وَالْجَنَانَ وَالْعِمَائِرِ وَالْبَنِيَانِ، حَتَّى انْقَرَضَ سَكَّانُ تِلْكَ الْأَرْضِ وَزَالُوا عَنْ تِلْكَ الْمَوَاطِنِ^(١)، وَذَلِكَ عِنْدَمَا انْتَهَتْ الرِّئَاسَةُ فِيهِمْ إِلَى عَمْرِو بْنِ عَامِرٍ بْنِ مَاءِ السَّمَاءِ بْنِ حَارِثَةَ الْغَطْرِيفِ بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ أَمْرِءِ الْقَيْسِ بْنِ مَازِنِ بْنِ الْأَزْدِ بْنِ الْغَوْتِ بْنِ كَهْلَانَ بْنِ سَبَأٍ^(٢).

قَالَ الْمَسْعُودِيُّ: «وَرَأَى عَمْرُو فِي النَّوْمِ سَيْلَ الْعَرَمِ، فَعِلِمَ أَنَّ ذَلِكَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَأَنَّ بِلَادَهُمْ سَتُخْرَبُ، فَكَتَمَ ذَلِكَ وَاخْفَاهُ وَأَجْمَعَ أَنَّ يَبِيعُ كُلُّ شَيْءٍ لَهُ بِأَرْضِ سَبَأٍ وَيَخْرُجُ مِنْهَا هُوَ وَوَلَدُهُ فَابْتَنَعَ النَّاسُ مِنْهُ جَمِيعَ مَالِهِ بِأَرْضِ مَأْرَبٍ.

(١) مروج الذهب ٢: ١٦٢، ١٦٣ ط بيروت.

(٢) مروج الذهب ٢: ١٦١ ط بيروت.

فلما اجتمعت لعمر بن عامر أمواله أخبر الناس بشأن سيل العرم فقال: قد رأيت انكم ستمزقون كل ممزق، واني أصف لكم البلدان فاختراروا أيها شتم. فنزل جمع من الأزدي بقصر عمان المشيد ففيل لهم: أزد عمان. ولحق وادعة بن عمرو الأزدي وجمع معه بشعب كروء وهي أرض همدان فانتسبوا إليهم. وسكن جمع منهم بطن مَرَّ فسَمُوا خزاعة لانخزاعهم عمّن كان معهم من الناس وهم بنو عمرو بن لحيّ. ولحق الأوس والخزرج ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر يثرب فسكنوه. ولحق بنو غسان ببصري وحفير من أرض الشام. ولحق مالك بن فهم الأزدي وولده بالعراق فسكنوه.

وخرج من كان بمأرب من الأزدي يريدون أرضاً يقيمون بها، فساروا حتّى إذا كانوا بنجران تخلف أبو حارثة بن عمرو بن عامر ودِعبل بن كعب فانتسبوا إلى مذحج، وخرج عمرو بن عامر وولده من مأرب فسار حتّى إذا كان بين السّرة ومكّة أقام هنالك أناس من بني نصر من الأزدي. وسار عمرو بن عامر وبنو مازن حتّى نزلوا بين بلاد الأشعرين وعكّ على ماء يقال له غسان بين واديّين يقال لهما زبيد ورَمَع، فأقاموا على غسان فسَمُوا به، والسّرة: جبل يقال له الحجاز أيضاً سكن الأزدي في سهله وجبله وما قاربه من ظهري، وإنما سَمِيَ السّرة ظهر هذا الجبل كما يقال لظهر الدابة السّرة، وهو جبل يبدأ من تخوم الشام يفرز بين الحجاز وبين مايلي أعمال دمشق والأردن وبلاد فلسطين»^(١).

«وتخلف في مأرب مالك بن اليمان بن مُهم بن عدي بن عمرو بن

(١) مروج الذهب ٢: ١٧٠ - ١٧٤ ط بيروت.

مازن بن الأزد، فأصبح ملك مأرب بعد من خرج منه الى أن كان من أمرهم ما كان من الهلاك»^(١).

قال المسعودي: وكان أهل مأرب يعبدون الشمس، فبعث الله اليهم رسلاً يدعونهم الى الله ويزجرونهم عما هم عليه، ويذكرونهم آلاء الله ونعمته عليهم، فجدوا قوهم وردوا كلامهم وأنكروا أن يكون لله عليهم نعمة وقالوا لهم: إن كنتم رسلاً فادعوا الله أن يسلبنا ما أنعم به علينا ويذهب عنا ما أعطانا فدعت عليهم رسلهم فأرسل الله عليهم سيلاً هدم سدّهم وغشى الماء أرضهم فأهلك شجرهم وأباد خضرأ عنهم وأزال أنعامهم وأموالهم! فأتوا رسلهم فقالوا: ادعوا الله أن يخلف علينا نعمتنا ويخصب بلادنا ويرد علينا ما شرد من أنعامنا، ونعطيكُم موثقاً أن لا نشرك بالله شيئاً. فسألت الرسل ربها فأجابهم الى ذلك وأعطاهم ما سألوا. فأخصبت بلادهم واتسعت عمائرهم الى أرض فلسطين والشام قرى ومنازل وأسواقاً. فأتتهم رسلهم فقالوا: موعدكم أن تؤمنوا بالله، فأبوا إلا طغياناً وكفراً فزّقههم الله كل ممزّق»^(٢).

ولابدّ هنا من استدراك:

كان هذا مهذب ماكتبه العرب عنهم بعد الاسلام، تأريخاً نقلياً ظنيّاً، بل مزيجاً بالأساطير. وظل هكذا مبهماً حتى أواسط القرن الماضي، حيث جدّ علماء الآثار والحفريات الأثرية التاريخية الغربيون في قراءة آثارهم المنقوشة بالخط المسند على الأبراج والهياكل والنصب والأحجار، فاستقرّ

(١) مروج الذهب ٢: ١٧٢.

(٢) مروج الذهب ٢: ١٧٤، ١٧٥.

رأي الباحثين من علماء العرب على ما يلي موجزاً:

إن العرب الجنوبيين في اليمن ليسوا من هجرة بابل بالعراق، بل هم من الموجة السامية الأخيرة التي بدأت في أواخر (الألف الثاني ق م وأوائل الألف ق م)، أي في حدود خمسة عشر قرناً قبل الاسلام، متجهة من شمال الجزيرة نحو جنوبها، لا من خارجها وكانت مملكة سبأ في جنوب اليمن وعاصمتها مأرب، ولهجتهم السبائية هي إحدى اللهجتين الأساسيتين: المنبثقة في اللغة اليمنية العربية القريبة من العربية الشمالية الحجازية والتهامية والحبشية.

واللهجة الاخرى: المعينية لمملكة معين في جوف اليمن، وهي المملكة الثانية من الممالك الخمس هناك.

والمملكة الثالثة: مملكة قَتَبان في الجنوب الغربي لسبأ، وعاصمتها قَمَم.

والمملكة الرابعة: الاوسانية جنوبي قَتَبان.

والمملكة الخامسة: مملكة حضرموت، وعاصمتها شبوة.

وكانت الدولة المعينية في القرن العاشر قبل الميلاد، واستولت على مملكة قَتَبان ومملكة حضرموت، ووجدت نقوشهم في شمالي الحجاز في دادان من منطقة العُلا، وفي الحجر أو مدائن صالح طبرستان.

وفي (القرن السابع ق م) غلب السبائيون على المعينيين بل على الجنوب كله والشمال، واتخذوا مأرب حاضرة لهم، ومنهم بلقيس، نحو (٢٧٠ ق م).

وفي (١١٥ ق م) نازعهم ملوك ظُفار وذو ريدان الحميريون وغلبوا عليهم وعلى الدول الجنوبية فتلقَّبوا باسم ملوك ذي ريدان واليمان وسبأ

وحضرموت، وكانت لهم تجارات الى الهند ومصر وافريقية الشرقية .
وفي (٢٤ ق م) اتجه الرومان الى الملاحة في البحر الأحمر فاستولوا
على ميناء عدن وأخذوها قاعدة لتموين سفنهم، فسلّوا بذلك تجارة
الحميريين، فساءت أحوالهم الاقتصادية، وأهملوا شؤونهم العمرانية، وأخذ
الخراب يدبّ في البلاد.

وفي منتصف القرن الرابع الميلادي حاربهم ملوك الحبشة واستولوا
على بلادهم وظلّوا بها عشرين عاماً. وأخذت القبائل الحجازية تغير
عليها.

فأخذ كثير من عشائر اليمن يهاجرون الى الشمال .
وهكذا اختلطت بل امتزجت لغتهم مما أعدّ لانتصار العربية الشمالية
الحجازية على العربية الجنوبية اليمنية في أواخر العصر الجاهلي .
وسبّب المنافسة الشديدة بين فارس وبيزنطة بعثات دينية مسيحية الى
اليمن، فاعتنقها أهل نجران في القرن الخامس الميلادي . وناهضها ملوك حمير
وآخريهم ذو نؤاس وحاول القضاء على المسيحيين بنجران (أصحاب
الآخدود). فأوعزت بيزنطة الى النجاشي أن يغزو اليمن، فغزاها في
(٥٢٥ م) واستولى عليهم وضّمّها الى بلاده . وظل هذا الاحتلال الحبشي
لليمن نحو خمسين عاماً.

وأخيراً استنجد أهلها (سيف بن ذي يزن) بالفرس، فردّوا الأحباش
وظلّوا بها حتى سنة (٦٣٨ م) إذ اعتنق الاسلام الحاكم الفارسي على اليمن
بادان^(١) في السنة السابعة للهجرة، فأقره رسول الله على عمله على اليمن،

(١) العصر الجاهلي لشوقي ضيف : ٢٧ ، ٢٨ .

فكان عليها حتى توفي رسول الله ﷺ .

ومن أجل أن نصل الى مدى عظمة الحضارة الحديثة الإسلامية فإن علينا أن ندرس الحضارات السائدة يومئذ :

الحضارة في الامبراطوريتين الفارسية والرومية:

يهتمنا للوصول الى مدى بركات الدعوة الإسلامية أن نطلع على حال الناس :

أولاً - في محيط نزول القرآن الكريم، وبيئة ظهور الإسلام وتناميهِ .
ثانياً - في أرقى نقاط العالم يومئذ فكراً وأدباً واخلاقاً وحضارة .
لأنرى التاريخ يعرفنا بأرقى نقطة في ذلك العهد سوى الإمبراطوريتين الفارسية والرومية، وإن من تمام البحث أن ندرس أوضاع هاتين الدولتين من مختلف النواحي كي يتضح لنا مدى أهمية الحضارة التي أتى بها الإسلام .
ونحن اذ نتبين نقاط الضعف في العرب أو الفرس أو الروم قبل الإسلام لانريد من ذلك إلا الوصول الى الحقائق في تعاليم الإسلام السامية، ولأمانع لدينا عن تبين الواقع وتشرح الحقائق وبيان العقائد الخرافية والواقع السيئ قبل ظهور الإسلام وحينه، سواء كنا عرباً أو فرساً أم من الروم .

دولة الفرس حين ظهور الاسلام:

المعروف أن بعثة رسول الإسلام ﷺ كانت في سنة (٦١١ م) المصادف لعهد خسرو پرويز (٥٩٠ - ٦٢٨ م) وعلى عهده هاجر الرسول ﷺ من مكة المكرمة الى المدينة المنورة (٦٢٢ م) وهو مبدأ

التأريخ الهجري القمري والشمسي .

وفي هذه الأيام كان يحكم القسم الأعظم من العالم المتحضر يومئذ الدولتان الكبيرتان والقويتان الروم الشرقية وإيران الساسانية، وكانت هاتان منذ مدة مديدة في حرب مستمرة في سبيل الاستيلاء على الحكم في العالم، امتدت هذه الحروب من عهد السلطان انوشيروان (٥٣١ - ٥٨٩ م) وحتى عهد خسرو پرويز أي أكثر من أربعة وعشرين عاماً. وقد أثرت الخسائر الفادحة والمصاريف الباهضة التي كانتا تتحملانها في هذه الحروب في قدرتها حتى لم يبق منها سوى شبح مخيف خاو .

ونحن من أجل أن ندرس أحوال الناس في ظل الفرس من مختلف الجهات علينا أن نطلع على أوضاع الحكومات من بعد انوشيروان وحتى دخول المسلمين الى إيران .

الحضارة الايرانية:

إنّ اكبر نقد يرد على الحكم القائم يومئذ هو أنّه كان حكماً ديكتاتورياً استبدادياً فردياً، ولاشك أنّ العقل الفردي ليس كالعقل الجماعي، فالظلم والمساومة أقلّ في الحكومة الجماعية من الحكومة الفردية، ولاشكّ ان شكل الحكم بما يؤثر في كيفية سلوك الناس .

انّ الملوك الساسانيين كانوا ذوي أبهة وفخفة، فالبلاط الساساني وجماله وبهاؤه كان ممّا يحار فيه الناظرون، وذلك من كثرة ما جمعوا فيه من الجواهر والأشياء النفيسة والثمينة ومن الصور والنقوش ما يحير العقول .

وقد شرح بعض المؤرخين بعض ترف خسرو پرويز، منهم حمزة الإصفهاني في كتابه «سنّي ملوك الأرض» إذ كتب يقول: «كان لخسرو

پرويز ثلاثة آلاف امرأة، واثنان عشر ألف جارية مطربة وراقصة. وله ستة آلاف حارس. وله ثمانية آلاف وخمسمائة من الخيل الجياد للطراد، واثنان عشر ألف من البغال لحمل أثقاله مع ألف بعير. وله تسعمائة وستون فيلاً للقتال»^(١).

إنّ نظام المجتمع على عهد الساسانيين كان نظاماً طبقياً بل كان من قبل ذلك قديماً وأما اشتد على عهدهم. كتب أحد المحققين من المؤرخين الإيرانيين بشأن الطبقات في عهدهم يقول :

«إنّ من أشد عوامل التفرقة في الإيرانيين هو النظام الطبقي المتشدد الذي كان يطبقه الساسانيون في إيران، وإن كانت جذوره ممتدة منذ القدم إلا أنّ الساسانيين كانوا قد تشدّدوا في تطبيقه جدّاً؛ فالملكية الفردية كانت محصورة تقريباً في سبع أسر خاصة بينما كان عامة الناس محرومين من ذلك تقريباً. ونفوس إيران إذ ذاك مائة وأربعون مليوناً تقريباً، وإذا افترضنا أنّ الأسر السبع كانت تبلغ سبعمائة ألف، وأضفنا إلى ذلك أمراء الثغور وأصحاب الأملاك الصغار الذين كانوا يتمتعون بشيء من حق الملكية وافترضنا أنّهم أيضاً سبعمائة ألف، كان الذي يتمتّع بحق الملكية مليوناً ونصف المليون من مجموع مائة وأربعين مليوناً»^(٢).

وقد نقل مؤلف كتاب «إيران في عهد الساسانيين» عن أحد المؤرخين الغربيين أنّه يقول : «إنّ العيال والفلاحين في إيران على عهد الساسانيين

(١) سني ملوك الارض : ٤٢٠ .

(٢) بالفارسية : تاريخ اجتماعي ايران ٢ : ٢٤ - ٢٦ .

كانوا يعيشون بمنتهى الذلة والمسكنة والتعاسة، وكان من تكليفهم في الحروب أن يمشوا من وراء العسكر كأنهم قد كتب عليهم أن يكونوا عبيداً أرقاء، من دون أن ينالوا على أعمالهم هذه الشاقة شيئاً^(١).

وذكر الكاتب الإسلامي شكيب أرسلان يقول :

«إنّ العمال والفلاحين كانوا محرومين من أي شيء من الحقوق الاجتماعية بل كان عليهم عبء مصارف الأشراف وثقلهم، فلم يكن لهم أيّ نفع في حفظ هذا النظام، ولذلك كان كثير من الفلاحين والطبقات السفلى في المجتمع قد تركوا أعمالهم فراراً عن أداء الضرائب والمكوس يلتجئون الى الصوامع والدير والكنائس والبيع»^(٢).

أجل، إنّ نسبة قليلة أقلّ من الواحد والنصف في المائة من المجتمع الإيراني كان يتمتع بكلّ شيء، أمّا أكثر من ثمان وتسعين بالمائة من الناس في إيران كانوا كالعبيد الأرقاء.

اختصاص التعليم بالطبقة الممتازة:

إنّ أطفال الأثرياء وأولي النعمة والجاه فقط هم الذين كان لهم الحقّ في أن يتعلموا، أمّا الطبقات الوسطى وسائر الناس فقد كانوا ممنوعين عن ذلك! وقد اعترف بهذا النقص في الحضارة الفارسية القديمة حتّى أولئك الذين كانوا يحاولون الاعتزاز بتلك الحضارة. فقد ذكر الفردوسي الشاعر الحماسي الفارسي في ديوان شعره الحماسي قصة تشهد على ذلك، وقد وقعت

(١) بالفارسية : ایران در زمان ساسانیان : ٤٢٤ .

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : ٧٠ - ٧١ .

القصة على عهد أنوشيروان أي في العهد الساساني الذهبي، وتشهد هذه القصة على أن الأكثرية الساحقة من الناس لم يكن لهم حق التعلم.

يقول الفردوسي: كان أنوشيروان بحاجة إلى المعونة المالية لقتال الروم، فإن أكثر من ثلاثمائة ألف جندي إيراني كانوا يحاربون الروم وهم في إعواز شديد للأسلحة والطعام. وكانوا قد أبلغوا أنوشيروان بذلك، فاضطرب أنوشيروان وخاف على مصيره من ذلك، ودعا إليه وزيره العالم «بُزرك مِهر» ليشاوره في الأمر، ويقول أنوشيروان: إن علي الوزير أن يذهب إلى بلاد مازندران ليجمع المال اللازم لذلك من الناس، ويقول بزرگ مِهر: إن الخطر قريب وعلينا أن نفكر في الخلاص السريع ولذلك يقترح علي الملك أن يقترض من الناس فيقبل الملك علي أن يعجل في الأمر، ويبعث بزرگ مِهر رسله إلى القرى والمدن القريبة ليبلغوا أغنياءها بالأمر.

ويحضر تاجر يعمل في تجارة الأحذية ويستعد لدفع جميع مصاريف الحرب بشرط واحد هو: أن يسمح لولده بالتعلم والوزير لا يرى مانعاً عن إجابة ملتمسه، فيسرع إلى خسرو أنوشيزوان ويبلغ الملك أمل الرجل، فيغضب أنوشيروان لذلك وينهر وزيره ويقول له: ما هذا الطلب الذي تتقدم به أنت؟ ليس من الصلاح أن نستجيب لهذا الطلب، فإنه بخروجه عن طبقته ينخر في كيان النظام الطبقي، وهذا ضرره أكثر من نفع ما يدفعه من الذهب والفضة! فإن ابن التاجر إذا تعلّم فأصبح عالماً ذا فنّ وهب له علمه آذاناً صاغية وعيوناً ناظرة، فإذا جلس ابني علي سرير الملك واحتاج إلى كاتب استخدمه ولم يبق للعلماء من أبناء البيوتات والأسر سوى أن يتحسّروا

ويحسدوا ابن التاجر^(١) ومع هذا وصفوه بالعاذل .

وفي فتنة مزدك قتل ثمانين ألفاً من أصحابه^(٢) ليقتلح جذور الفتنة ! بينما جذور الفتنة كانت تكمن في التمايز الطبقي وكنز الثروات بيد الأثرياء الأغنياء، وحكر الثراء والمقام بأيدي طبقة خاصة، الى جانب حرمان الأكثرية الساحقة، وسائر المفاصد الأخرى . في حين يحاول أنوشيروان أن يسكّت الناس بالضغط وقوة السلاح !

وبصدد توجيه نسبة صفة العدالة الى أنوشيروان يقول إدوارد براون : «وذلك لشدة بطشه بالزنادقة المزدكيين ممّا حبّبه إلى مؤيد المجوس، وهم الذين أثبتوا له هذه الصفة»^(٣) . ووصفوه بأنّه كان قد علّق خارج قصره سلسلة ليحركها المظلومون، فينبّهونه بذلك ويدعونه الى العدل بشأنهم^(٤) .

ودليل الكذب فيه هو أنّهم يقولون بعد ذلك : أنّه لم يحركها في طول هذه المدة إلّا حماراً !

وكذلك قالوا «كان فيمن وفد إليه من رسل الملوك وهداياها والوفود من المماليك في العراق : رسول لملك الروم قيصر بهدايا والطاف، فنظر الرسول الى إيوانه وحسن بنيانه، ومع ذلك اعوجاج ميدانه ! فقال : كان ينبغي أن يكون الصحن مربّعاً؟ فقليل له : إنّ عجوزاً لها منزل في جانب

(١) بالفارسية : تاريخ اجتماعي إيران : ٦١٨ .

(٢) مروج الذهب : ١ : ٢٦٤ .

(٣) بالفارسية : تاريخ أدبي إيران : ١ : ٢٤٦ .

(٤) بالفارسية : تاريخ اجتماعي ايران : ١١ : ٦١٨ .

الاعوجاج منه، وأنّ الملك أرادها على بيعه وارغبها فأبت فلم يكرهها الملك وبقي الاعوجاج من ذلك على ماترى! فقال الرومي: هذا الاعوجاج الآن أحسن من ذلك الاستواء»^(١).

عجيب! ألا يحضر من يريد أن يبني هكذا قصر عظيم هندسة وتصميماً خاصاً له وهكذا يقدم على البناء بدون أرضية كافية وهندسة خاصة؟! فيخرج القصر معوجّ الميدان. - كما نقل المسعودي-، من يصدق هذا؟! أجل لا يبعد أن يكون موازنة المجوس وأصحاب البلاط قد وضعوا هذه القصص له شكراً له على ما قدّمه لهم من خدمات تذكر فتشكر.

وأعجب من ذلك أن حاول بعض الشعوبيين أن يضع حديثاً على لسان رسول الله ﷺ يصف انوشيروان^(٢) بالعدالة: «ولدت في زمن الملك العادل» وخبراً يقول: إنّ علياً عليه السلام حينما دخل مدائن كسرى نزل في إيوانه وأخرج جمجمة فأحيى صاحبها وسأله عن حاله فقال: أنّه انوشيروان وهو لكفره محروم عن الجنة ولكنّه لعدله لا يعذب بالنار! ومما يشهد على أنّ أصحاب البلاط كانوا يمدحونه ويثنون عليه وينشرون عنه الجميل ممّا ليس فيه ما يذكره الفردوسي في «الشاهنامه»: أنّ الوزير بزرگ مهر كان وزيراً لانوشيروان مدة ثلاثة عشر عاماً، ثم غضب عليه خسرو پرويز فألقاه في السجن وكتب إليه رسالة قال له فيها: انّ علمك هو الذي أدّى بك الى القتل! فكتب بزرگ مهر في جوابه يقول له: كنت أفيد من عقلي ما كان الحظّ يساعدي، والآن إذ ليس لي حظّ فسأفد من حلمي وصبري إنّ

(١) مروج الذهب ١: ٢٦٤.

(٢) بالفارسية: تاريخ اجتماعي ايران ١١: ٦١٨.

كنت قد حرمت من كثير من أعمال الخير والبر، فقد استرحت أيضاً من كثير من أعمال السوء والشر، إن كنت قد سلبت منصب الوزارة فقد أعفيت من ألم الظلم فيها أيضاً، فما يضرني ذلك؟!

فلما بلغت هذه الرسالة ليد خسرو پرويز حضر عليه وأمر أن يجده أنفه وتقطع شفتاه! فلما سمع بزرك مهر ذلك قال: أجل إن شفتي يستحقان أكثر من ذلك! فقال خسرو: لماذا؟ قال بزرك مهر: لأني أتنيت عليك بها عند الخاصة والعامة بما لم يكن فيك، ونشرت عنك جميلاً لم تكن أهلاً له، يا أسوأ الملوك! بعد أن أيقنت بطهري وبري أردت قتلي بسوء الظنون؟! إذن فمن يأمل عدلك ومن يعتمد قولك؟!

فغضب خسرو پرويز من هذا الكلام وأمر بضرب عنقه^(١).

وكذلك كان أكثر الحكام الساسانيين ذوي سياسة خشنة بالعصا الغليظة، وحتى العلماء وأصحاب الأعمال لم تكن لهم قيمة لدى بلاطهم، إذ كان القادة الساسانيون مستبدّين بآرائهم بحيث لا يجروا أحد على اظهار نظره لديهم، ولهذا كان عامة الإيرانيين غير راضين عنهم ولكنهم كانوا خائفين منهم^(٢).

وقتل خسرو پرويز ابنه شيرويه ليصل الى الملك كما نقل المسعودي^(٣).

وملك بعد شيرويه حتى يزدجرد آخر ملوك الساسانيين عدد يتراوح

(١) الشاهنامه ٦ : ٢٦٠ - ٢٥٧. وروى القصة المسعودي في مروج الذهب ١٠ : ٢٧٦.

(٢) بالفارسية : ايران در زمان ساسانيان : ٣١٨.

(٣) مروج الذهب ١ : ٢٨٠.

ذكرهم في التاريخ بين ستة إلى أربعة عشر رجلاً وامراً وهذا يعني أن الحكومة تغيرت في مدة أربع سنين أكثر من ست مرات إلى أربع عشرة مرة. فما حال دولة يحدث فيها أربعة عشر انقلاباً دموياً في مدة أربع سنين فقط! فكل من يصل للملك يقتل كل من يدعيه غيره، ويفعل ما يراه موطداً لأركان ملكه، فالأب يقتل ابنه والابن يقتل أباه، وكل من كان يصل إلى الملك كان يقتل أقرباءه أي أبناء الملوك الآخرين دفعا للخطر، كان القادة ينادون بالملك للأطفال والنساء وبعد عدة أسابيع يقتلونهم ويجلسون آخرين بمكانهم. وهكذا كانت الدولة الساسانية تسير إلى هاوية الهلاك.

حروب إيران والروم:

بعد وقوع عدد من الحروب بين إيران والروم عقد أنوشيروان صلحاً مع الروم اسمه بالصلح الدائم. وبعد مدة ساءت ظنون أنوشيروان بالروم فأعدّ العدة وجهّز الجيوش للهجوم على الروم واشتعلت نيران الحرب، وفي فترة قليلة نسبياً فتح الفرس سورية وأحرقوا مدينة أنطاكية ونهبوا آسيا الصغرى، واستمرت الحروب حتى عشرين عاماً وحتى فقد كل من المعسكرين إمكاناتهم وطاقاتهم فيها، وبعد خسائر كثيرة عقدوا الصلح بينهم مرة أخرى ورجعوا إلى حدودهم السابقة كما كانت شريطة أن يدفع الروم كل عام عشرين ألف دينار من الذهب إلى إيران.

وبعد أن تملّك في الروم «قي پاريوس» بدأ هجوماً عنيفاً على إيران بغية الانتقام منها، واستمرت هذه الحروب سبع سنين. ومات عنها أنوشيروان وتملك بعده ابنه خسرو پرويز وفي عام ٦١٤ م بدأ پرويز

الفصل الاول / البيئة العربية والظروف العالمية قبيل ظهور الاسلام ١٦٣

هجوماً عنيفاً على الروم وفتح في الحملة الأولى الشام وفلسطين وأفريقيا، ونهب اورشليم وأحرق كنيسة القيامة ومزار السيد المسيح وهدم المدن، وانتهت هذه الحروب بقتل أكثر من تسعين ألف مسيحي!

وكان هذا بعد بعثة رسول الإسلام ﷺ فتفاءل المشركون بغلبة الفرس عبدة النيران على الروم المسيحيين واغتم المسلمون لذلك، وانتظر رسول الله ﷺ الوحي فنزلت الآيات الأوائل من سورة الروم ﴿الْمُغْلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفِرْحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (١).

وقد تحقق نبأ القرآن الكريم بشأن الروميين بعد عشر سنين أي في سنة ٦٢٧م تقريباً فاستعاد هرقل مدينة نينوى (الموصل) ولم يمض شيء حتى قتل خسرو پرويز على يد ابنه شيرويه، ومات شيرويه بعد ثمانية أشهر، وبعد شيرويه حكم إيران في مدة أربع سنين أكثر من عشرة قادة أربعة منهم نساء وانتهى الأمر بهجوم العرب المسلمين وقد ساعدت هذه الحروب التي استمرت أكثر من خمسين عاماً على تقدم الفتوحات الإسلامية مساعدة جادة مؤثرة، وذلك إذ تعلقت مشيئة الله بأن ينتشر نور الإسلام.

اضطراب الوضع الديني:

وأهم اضطراب كان يسود إيران على عهد الساسانيين هو الاضطراب الديني. إن «أردشير بابكان» مؤسس سلسلة الساسانيين كان ابن موبذ من موابذة المجوس ووصل الى السلطة بمساعدة علماء المجوس، ولذلك قام بنشر

دينهم في أطراف مملكته بكلّ ما قدر عليه. فأصبح الدين الرسمي والعام لإيران على عهد الساسانيين هي المجوسية، وبما أنّ سلطة الساسانيين إنّما تحققت بتأييد موابذة المجوس لذلك كانوا في رعاية تامة من قبل البلاط الساساني، وكانوا أقوى طبقة في المجتمع الطبقى الإيراني، وكان الحكّام الساسانيون في الواقع متعّينين بتعيين من الموابذة المجوس، فاذا تمرد أحد الحكّام على العلماء الروحانيين كانوا يقابلونه بشدّة، وكذلك كان الملوك الساسانيّون يقبلون على طبقة رجال الدين أكثر من أية طبقة أخرى، ولذلك كان الموابذة في إطراد وكثرة، وكان الساسانيون يفيدون منهم لتأييد سلطانهم، ويقيمون لهم في أطراف إيران معابد النيران وفي كلّ منها عدد كثير منهم، حتّى كتبوا أنّ خسرو پرويز بنى معابد نيران كانت تسع لإثني عشر ألف «هيربد» من العباد يصلّون ويتلون الأناشيد الدينية^(١).

وهكذا كانت المجوسية دين البلاط الرسمي، وكان الموابذة المجوس يسعون لتهدئة الطبقات الكادحة والمحرومة من المجتمع بحيث لا يحسّون كثيراً بآلامهم.

وهذه الصلاحيات اللاحدودة المخوّلة للموابذة المجوس وضغطهم الشديد على عموم الناس أثر في إبعاد الناس عن المجوسية، فكان أكثر الناس يحاولون أن يجدوا لانفسهم ديناً غير دين طبقة الأشراف. ومن ناحية أخرى: فإنّ دين المجوس كان قد فقد حقيقته تماماً، فقد بلغ تقدّيس النيران إلى تحريم ضرب الحديدية الحماية بالنار بالمطرقة لأنّها بمجاورتها النار كانت قد تقدّست بقداسة النار المقدسة! وهكذا شكّلت

(١) بالفارسية: تاريخ تمدن ساسانی ١ : ١ .

الخرافات والأساطير أكثر أصول عقائد زرادشت، أما حقائق دينه فقد تركت المجال لعدد من الشعائر الخاوية الميَّنة التي كان المواذة يضيفون كل يوم إليها خرافات جديدة .

ومن ناحية ثالثة : كانت الثقافة الرومانية والهندية قد وجدت طريقها إلى إيران على عهد أنوشيروان، وسبب اصطكاك العقائد الزرادشتية مع العقائد المسيحية والأديان الأخرى يقظة الإيرانيين وأصبحوا يتألمون بما في الدين الزرادشتي من الخرافات والمطالب الواهية، وسبب كل هذا اختلاف العقائد والآراء في إيران وشيوع الأديان والمذاهب الأخرى، والشك والتردد في آخرين، حتى ترك أكثر الناس ما كانوا يعتقدون به قبل ذلك، وشمل الإلحاد والاضطراب كل أنحاء إيران^(١).

الحضارة الرومّية:

أما الروم فلم تكن بأحسن حالاً من إيران، فالحروب الداخلية والخارجية التي كانت تكابدها دائماً ضد إيران على أراضي «أرمينستان» وغيرها كانت قد أعجزت الناس وجعلتهم مستعدين لاستقبال أيّ تغيير للأوضاع الراهنة آنذاك. إنّ رجال الكنيسة حيناً اخذوا زمام الحكم بأيديهم في الروم جعلوا يمارسون الضغط الشديد بالنسبة إلى الوثنيين ولم تكن الفتنة تنطفيء بين الوثنيين والمسيحيين فكانت الاختلافات الدينية أكثر من كل شيء في الروم، وكان ضغط رجال الكنيسة قد أدّى بكثير من الناس إلى الحرمان والفقر، وكانت هذه الاختلافات تنخر في كيان قدرة

(١) بالفارسية : تاريخ اجتماعي ايران ٢ : ٢٠ فما بعد .

الامبراطورية الرومية .

وعدا هذا فقد كان البيض في شمال الروم في إصكاك وصدام مع الصُفر في شرق الروم في سبيل الحصول على أكثر النقاط صلاحاً للزراعة والاستثمار، وكانت هذه الصدمات أحياناً تؤدي إلى خسائر فادحة عظيمة من الطرفين، وكان هذا قد تسبب في انقسام الامبراطورية الرومية إلى قسمين : شرقي وغربي . ويرى المؤرخون أن الأوضاع الاجتماعية والمالية والسياسية الرومية في القرن السادس كانت في اضطراب شديد، ولا يرون في اقتدار الروم على استعادة سلطتها على بعض النقاط المسلوقة منها دلالة على قدرة الروم، بل يرون ذلك من فقدان النظام الحاكم في إيران لانضباطه وكيانه القوي .

إذن : فالامبراطوريتان اللتان كانتا تدعيان السيادة السياسية على العالم يومئذ كانتا حين طلوع فجر الإسلام تعيشان مرحلة الشيخوخة والهزم، ومن البديهي أن هذه الأوضاع المضطربة كانت قد أوجدت في الشعبين استعداداً بل استقبلاً لدين جديد ينظم أوضاعهم هذه من جديد منقذاً لهم مما هم فيهم من الاضطراب والقلق .

وإذ قرأنا هذا عن أوضاع هاتين الامبراطوريتين فلنقرأ عن دوليتين عربيّتين تابعتين لهما :

ملوك الحيرة من اليمن:

بعد قرنين من الميلاد وفي أوائل القرن الثالث، هبط بعض الطوائف العربية من بني لخم اليمنيين في الأراضي المجاورة للفرات في العراق، على عهد الفرس الساسانيين .

وكان الفرس الساسانيون يحكمون العراق، ولكن القرى والمزارع العراقية الساسانية كانت تتعرض من حين لآخر لغارات القبائل العربية البدوية من ناحية بادية الصحراء الحجازية، فكانوا بحاجة الى عرب يملكونهم على ثغور العراق فيكفونهم غارات البدو، فلكوا هؤلاء اللّخميّين. وبني هؤلاء اللّخميّون في هذه المنطقة عدداً من المدن أو القرى والقلاع أهمها الحيرة قرب الكوفة على حافة بادية الصحراء الحجازية، ولفظ الحيرة تحرّف عن حِرتا السُريانية وتعني القبّة والحرم، أو المعسكر والخيم^(١) وساعد جوّ هذا البلد و مناخه ومأواه على عمرانها والحضارة فيه، ومن مظاهر الحضارة فيه أنهم تعرّفوا على الخطّ والكتابة به، ومنهم انتقل الى عرب الحجاز^(٢).

ومن تاريخهم المنقول نكتفي نحن هنا بما ذكره اليعقوبي والمسعودي ونعلّق عليه بما يلزم:

نقل اليعقوبي عن أهل العلم بالرواية قالوا: لما تفرق أهل اليمن، قدم مالك بن فهم بن غنم بن دوس، حتّى نزل أرض العراق في أيام ملوك الطوائف (الفرس) فأصاب قوماً من العرب من معدّ وغيرهم بالجزيرة (الموصل) فلّكوه عليهم عشرين سنة.

وتكهّن جذيمة الأبرش (التنوخى)، وعمل صنمين سماهما (الضيزنان) واستهوى بهما أحياء من العرب، وصار بهم الى العراق، فسار من ارض البصرة الى ارض الجزيرة (الموصل) حتّى صار الى ناحية على شط الفرات

(١) العصر الجاهلي، لشوقي ضيف: ٤٤.

(٢) فتوح البلدان: ٤٥٧ ط اوريا.

بالقرب من الأنبار يقال لها : بقّة .

وكان يملك تلك الناحية امرأة يقال لها الزّبَاء^(١) .

فلما صار جذيمة الى أرض الأنبار، واجتمع له من أجناده ما اجتمع قال لهم : اني عزمّت على أن أرسل الى الزّبَاء (زُئْبُوَة) فأتروّجها فأجمع ملكها الى ملكي !

فقال غلام له يقال له قصير : إنّ الزّبَاء (زُئْبُوَة) لو كانت ممن تقبل نكاح الرجال لسبقت اليها ! .

فكتب اليها . فكتبت اليه : أن أقبل اليّ أزوّجك نفسي ! فارتحل اليها . فلما دخل عليها .. قتلته فقطّعته «وكان يعاصر اردشير بن بابك وشاهپور ابن اردشير»^(٢) .

فلما قتل جذيمة ملك مكانه ابن اخته : عمرو بن عدي (ومن هنا سمّوا : بني عدي) بن نصر (ومن هنا سمّوا : بني نصر) ابن ربيعة (فهم من بني ربيعة) ابن عمرو بن الحارث بن مالك بن غنم بن ثمارة بن لَحْم ومن هنا سموا : اللَّحْمِيّين ، ولتكرار اسم المنذر فيهم بعد هذا سمّوا بمناذرة العراق بازاء غساسنة الشام .

قال المسعودي : وكان على الحيرة ابن عم جذيمة : عمرو بن عبد الحميّ التنوخي ، فلما صرف عمرو بن عدي وجوه جندخاله جذيمة التنوخي إلى

(١) محوّفة كلمة : زُئْبُوَة ملكة تدمر النبطية التي كانت تحكم الأنباط بالشام عن الرومان ، وطغت فتمرّدت عليهم ، فحاربوها حتى قضوا عليها عام (٢٧٣ م) - العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف : ٣٢ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٦٥ .

نفسه ومناهم بالمال والحال، فانصرف اليه منهم بشر كثير، التقى هو وعمرو ابن عبدالحى التنوخي بالقتال حتى خافوا الفناء، فخضع التنوخي لابن عدي وتمّ الأمر له^(١).

قال اليعقوبي: ثم ملك امرؤ القيس بن عمرو^(٢).

ثم ملك أخوه الحارث بن عمرو.

ثم ملك عمرو بن امرئ القيس.

قال المسعودي: ثم ملك النعمان بن امرئ القيس^(٣).

قال اليعقوبي: ثم ملك المنذر بن (النعمان بن) امرئ القيس.

ثم ملك النعمان (ابن المنذر) وحكم ثماني وثلاثين سنة، عاصر فيها من ملوك الفرس: يزدجر الأول^(٤) وبهرام گور. وكان من اشد ملوك العرب نكايه في أعدائه. غزا الشام مراراً وأكثر من المصائب في أهلها وسبى وغنم. وجنّد الجند على نظام خاص عرف به، فكان عنده من الجيش كتيبتان: إحداهما مؤلفة من رجال الفرس اسمها «الشهباء» والأخرى من

(١) مروج الذهب ٢ : ٧١ فكان ملكه مائة سنة ٢ : (٦٦ و ٧٤)، وفي اليعقوبي ١ : ٢٠٩

خمساً وخمسين سنة. بل نصبه شاهپور بن اردشير الساساني في (٢٤١ - ٢٧١ م) أي

ثلاثين سنة فقط - العصر الجاهلي لشوقي ضيف : ٤٤.

(٢) ملك (٢٧٢ م)، وكأنه غزا لبنان فهلك على شرقي جبل الدروز ودفن هناك سنة

(٣٢٨ م) كما في نقش التارة على قبره في أطلال معهد روماني اكتشفه دوسو وماكلر

عام (١٩٠١ م) كما في العصر الجاهلي : ٣٥، فقد ملك (٥٨)، ويقاربه المسعودي ٢ :

٧٤ ستين سنة، وفي اليعقوبي ١ : ٢٠٩ (٣٥) سنة.

(٣) مروج الذهب ٢ : ٧٤.

(٤) من ٣٩٩ - ٤٢٠ م. العصر الجاهلي لشوقي ضيف : ٤٤.

عرب تنوخ اسمها «الدوسر» فكان يغزو بهما من لا يدين له من العرب^(١).
تتبع أخباره بالتفصيل جرجي زيدان في كتابه «العرب قبل الاسلام» .
قال اليعقوبي : وهو الذي بنى «الخورنق»^(٢) فبينما هو جالس ينظر منه
الى ما بين يديه من الفرات وما عليه من النخل والأجثة والأشجار إذ ذكر
الموت فقال : وما ينفع هذا مع نزول الموت وفراق الدنيا ؟ ! فتنسك واعتزل
الملك . وإياه عنى عدي بن زيد العبادي حيث يقول :
وتفكر ربّ الخورنق إذ أشدَّ عرف يوماً وللهدى تفكير
سرّه حاله وكثرة ما يد سسك ، والبحر معرض والسدير
فارعوى قلبه وقال : وما غب طة حيّ الى الممات يصير^(٣)
قال المسعودي : وملك (بعده ابنه) الأسود بن النعمان .

(١) للتفصيل انظر : العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان .

(٢) وكان سبب بنائه الخورنق : انّ يزددجرد بن بهرام شاه بن شاهپور ذي الأكتاف ، ولد
له ابنه بهرام ، فسأل عن منزل برّي مري صحيح من الأدوية والأسقام فدلّ على ظهر
الحيرة ، فأمر يزددجرد النعمان هذا ببناء مسكن له ولابنه بهرام ، فأمر النعمان رجلاً
يقال له سمّار أن يبني له ذلك فبناه ، فلما فرغ من بنائه تعجّبوا من حسنه واتقان عمله
فوقوه أجره ، فقال : لو علمت أنّكم تصفون بي ما أنا أهله وتوفوني أجري لكنت
بنيته بناء يدور مع الشمس حيثما دارت ! فغضب النعمان وقال : كنت قادراً على أن
تبني ما هو افضل منه ولم تبنيه كذلك ؟ ! ثم أمر به فطرح من أعلى الجوسق من رأس
الخورنق ، فجرى ذلك مثلاً في العرب يقال : جزاء سمّار (الطبري ٢ :
٦٥) ، (الاغانى ٢ : ١٤٤ - ١٤٦ ط دار الكتب) .. والجوسق معرب كلمة : كوشك ،
وهو الغرفة العالية الخاصة في أعلى القصر . والخورنق كذلك معرب كلمة : خورنگاه
أي المطعم .

(٣) اليعقوبي ١ : ٢٠٩ ، ٢١٠ ط بيروت .

وملك (بعده ابنه) المنذر بن الأسود^(١).

ثم ملك بعده عمرو بن المنذر^(٢) قال اليعقوبي: وهو ابن هند، وكان يلقَّب بمضطرَّط الحجارة (لشدَّته على العرب). وكان قد جعل الدهر يومين: يوماً يصيد فيه ويوماً يشرب، فاذا جلس لشربه أخذ الناس بالوقوف على بابه حتى يرتفع مجلس شربه.. فلم يزل طَرَفَة بن العبد يهجو ويهجو أخاه قابوساً ويذكرهما بالقبيح ويشبِّب باخت عمرو ويذكرها بالعظيم.. ويساعده على هجائه المتلمِّس. فقال لهما عمرو: قد طال ثواكما، ولا مال قبلي، ولكن قد كتبت لكما الى عاملي بالبحرين يدفع لكل واحد منكما مائة ألف درهم! فأخذ كل واحد منهما صحيفة. واستراب المتلمِّس بأمره، فلما صارا عند نهر الحيرة لقيا غلاماً عبادياً^(٣) فقال له المتلمِّس: أتحسن أن تقرأ؟

(١) مروج الذهب ٢: ٧٤ و في اليعقوبي ١: ٢١٠: المنذر بن النعمان. من (٥١٥ م) معاصراً لُقباد الساساني وفي عهده كان الحارث الغساني قد أقام دولته في الشام للروم، فاشتبك المنذر معه في حروب طاحنة أسر فيها ابناً للحارث فقتله سنة (٥٤٤ م) وهو صاحب يوم حليلة المعروف بالقرب من قنسرين وفيها قتل (٥٥٤ م)، فلك أربعين عاماً تقريباً، وقال المسعودي: (٣٤)، واليعقوبي: (٣٠).

(٢) مروج الذهب ٢: ٧٤. من (٥٥٤ - ٥٦٩ م) وساءت العلاقة بينه وبين قُباد الساساني في أوائل ملكه (قبل ٥٥٩ م) فعزله قباد وولّى مكانه الحارث بن عمرو أمير كندة، ثم توفى قباد (نحو ٥٥٩ م) وتملك خسرو أنوشيروان فأعاد المنذر الى حكم الحيرة فحارب الحارث فهزمه وقتله. ولُقَّب محرِّق العرب لأنه حرَّق قوماً من العرب من بني تميم في يوم أواره باليمامة وفاءً بنذره - العصر الجاهلي، لشوقي ضيف: ٤٥. وحيث عاد الى الحكم توهم اليعقوبي التعدد فقال: ثم ملك عمرو بن المنذر الثاني ١: ٢١٠ ط بيروت.

(٣) أي نصرانياً، أهل عبادة، وقراءة في الكتب.

قال : نعم . قال : اقرأ هذه الصحيفة : فاذا فيها : إذا أتاك المتلمس فاقطع يديه ورجليه . فطرح الصحيفة وقال لطرفة : في صحيفتك مثل هذا ! قال : لا يجترئ على قومي بهذا وأنا بذلك البلد أعز منه ! ومضى الى عامل البحرين بصحيفته دون أن يقرأها . فلما قرأ العامل صحيفته قطع يديه ورجليه وصلبه ! .

ثم ملك أخوه قابوس بن المنذر^(١) .

قال المسعودي : وملك النعمان بن المنذر (الرابع) وهو الذي يقال له : أبيت اللعن ، اثنتين وعشرين سنة^(٢) ولتكرار اسم المنذر فيهم سموا : المناذرة . قال اليعقوبي : وكان مع المنذر أهل بيت من امرئ القيس بن زيد ، وكان من أهل ذلك البيت عدي بن زيد العبادي (النصراني) وكان خطيباً شاعراً قد كتب العربية والفارسية ، وكان المنذر قد جعل عندهم ابنه النعمان فأرضعوه وكان في حجورهم .

وكتب كسرى الى المنذر بأن يبعث له بقوم من العرب يترجمون له الكتب . فبعث بعدي بن زيد وأخوين له ، فكانوا في كتابه يترجمون له . فلما مات المنذر قال كسرى لعدي بن زيد : هل بقي من أهل هذا البيت من يصلح للملك ؟

قال : نعم ، إن للمنذر ثلاثة عشر ولداً كلهم يصلح لما يريد الملك !

(١) اليعقوبي ١ : ٢١١ وهو الذي اشتبك مع المنذر بن الحارث التنوخي الغساني في معارك أهمها معركة عين أباغ سنة (٥٧٠ م) هزم فيها من المنذر الغساني - العصر الجاهلي ، لشوقي ضيف : ٤١ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٧٥ ، من (٥٨٠ - ٦٠٢) العصر الجاهلي لشوقي ضيف : ٤٦ .

فبعث فأقدمهم ومعهم النعمان الذي ربّاه أهل بيت عديّ بن زيد .
فأنزلهم عديّ بن زيد كل واحد على جدته، وكان يفضل أخوة
النعمان عليه في النزّل ويريههم أنه لا يرجوه، ويخلو بهم رجلاً رجلاً ويقول
لهم : إن سألكم الملك : هل تكفوني العرب ؟ فقولوا له : لن نكفيكمهم ! الا
النعمان فقد قال له : إن سألك الملك عن اخوتك فقل : إن عجزت عنهم فأنا
عن العرب اعجز !

فلما امر كسرى عدي بن زيد أن يدخلهم عليه، جعل يدخلهم رجلاً
رجلاً، فاذا سأهم : هل تكفوني ما كنتم تكفون ؟ قالوا : لن نكفيك العرب !
الا النعمان فانه لما دخل عليه قال له : هل تستطيع أن تكفيني العرب ؟
قال : نعم ! قال : فكيف تصنع باخوتك ؟ قال : إن عجزت عنهم فأنا عن
غيرهم أعجز ! . فملّكه وكساه وألبسه اللؤلؤ ! فخرج وقد ملّك عليهم .

وكان الأسود بن المنذر يحضنه أهل بيت أشراف من الحيرة يقال لهم
بنومرينا، وكان منهم رجل شاعر مارد يقال له عدي بن أوس بن مرينا،
لما رأى ذلك أمر قوماً من خاصة النعمان وأصحابه أن يذكروا عديّ بن
زيد عنده ويقولوا : إنه يزعم أن الملك (النعمان بن المنذر) عامله وأنه هو
ولاه ولولاه ماوّلني، وكلاماً نحو هذا !

فلم يزالوا يتكلمون بذلك بحضرة النعمان حتى أحفظوه وأغضبوه على
عديّ بن زيد . فكتب النعمان اليه : عزمت عليك الازرتني ! فاستأذن
كسرى، وقدم عليه، فأمر النعمان بحبسه في حبس لا يصل اليه فيه أحد ! .
فجعل عديّ يقول الشعر في محبسه ويستعطف النعمان ويذكر له
حرمته و يعظه بذكر الملوك المتقدمين، فلم ينفعه ذلك . وجعل أعداؤه من
آل مرينا يحملون عليه النعمان ويقولون له : إن أفلت قتلك وكان سبب

هلاكك ! .

وكان لعديّ عند كسرى أخوان يقال لأحدهما، أبيّ، والآخر: سُميّ،
و ابنه عمرو بن عدي، فكتب اليهم شعراً.. فقام أخوه وابنه ومن معها الى
كسرى فكلّماه في أمره .

فكتب كسرى الى النعمان يأمره بتخلية سبيله، ووجّه في ذلك
رسولاً... وابتدأ الرسول به... فبلغ النعمان مصير رسول كسرى الى عديّ،
فلما خرج من عنده وجّه اليه النعمان من قتله: وضع على وجهه وسادة حتى
مات: ثم قال للرسول: إنّ عديّاً قد مات. وأعطاه وأجازته وتوثق منه أن
لا يخبر كسرى إلا أنه وجده ميّتاً! وكتب الى كسرى: أنه قدمات ! .

انتقام ابن عديّ لأبيه :

وقال: وكان عمرو بن عديّ يعمل لكسرى عمل أبيه في ترجمة
الكتب... وطلب كسرى يوماً جارية وصف صفتها فلم توجد له، فقال له
عمرو بن عدي: أيها الملك! عند عبدك النعمان بنات له وقرايات على أكثر
مما يطلب الملك، ولكنه يرغب بنفسه عن الملك ويزعم أنه خير منه ! .

فوجّه كسرى الى النعمان يأمره أن يبعث اليه ابنته ليتزوّجها !

فقال النعمان: أما في عين السواد وفارس ما يبلغ الملك حاجته ؟ !

فلما انصرف الرسول أخبر كسرى بقول النعمان .

فقال كسرى: وما يعني بالعين ؟

فقال عمرو بن عدي: أراد البقر! ذهاباً بابنته عن الملك !

فغضب الملك وقال: ربّ عبد قد صار الى اكبر من هذا ثم صار

أمره الى تباب! وأمسك عنه شهراً، ثم كتب اليه بالقدوم عليه .

وبلغت النعمان كلمته فعلم ما أراد، فحمل سلاحه وما قوى عليه

ولحق بجبلي طيء، وهو مصاهرهم على سعدى بنت حارثة منهم، فسأل طيئاً أن يمنعه من كسرى فقالوا: لا قوة لنا به! فانصرف عنهم.

وجعلت العرب تمتنع من قبوله. حتى نزل في بطن ذي قار في بني شيبان، فلقى هاني بن مسعود الشيباني، فدفع اليه سلاحه وأودعه بنته وحرمته ومضى الى كسرى فنزل ببابه، فأمر به فقيد، ثم وجه به الى «خائقين» وطرح تحت الفيلة فداسته حتى قتلتها فقرب للأسود فاكلته!.

وجه كسرى الى هاني بن مسعود: أن ابعث إلي مال عبي الذي عندك وسلاحه وبناته! (١)

قال: وكان النعمان أودعه ابنته وأربعة آلاف درع. فأبى هاني وقومه أن يفعلوا، فوجه كسرى بالجيش من العرب والعجم، فالتقوا بذي قار، فأتاهم حنظلة بن ثعلبة العجلي فقلدوه أمرهم قالوا هاني: ذمتك ذمتنا ولا نخفر ذمتنا! فحاربوا الفرس، فهزموهم ومن معهم من العرب، فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم (٢).

فيروي عن رسول الله أنه قال: هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبني نصر (٣).

(١) اليعقوبي ١: ٢١٢ - ٢١٥. ونقل الطبري ٢: ٢٠٦ عن أبي عبيدة معمر بن المثنى عن بعضهم: أن هاني بن مسعود لم يدرك هذا الأمر، وإنما هو هاني بن قبيصة بن هاني بن مسعود. وهو الثبت عندي. وكذلك ذكره المسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٧.

(٢) اليعقوبي ١: ٢١٥.

(٣) اليعقوبي ١: ٢١٢ والمسعودي في التنبيه والإشراف: ٢٠٨ قال: قيل: إن ذلك كان قبل الهجرة، وإن أناساً من بكر بن وائل من البحرين واليمامة جاؤوا الموسم، كانوا

يريدون المضي الى بكر بن وائل مع بني شيبان بالعراق لنجدتهم، فوقف عليهم النبي ﷺ يعرض نفسه عليهم، ودعاهم الى الايمان بالله . . فوعدوا النبي ﷺ ان نصرهم الله على الأعاجم آمنوا به وصدقوا بنبوته ! فدعا لهم النبي بالنصر . فلما بلغه ظهورهم على الأعاجم قال : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، وبني نصرورا .

وقال في مروج الذهب ١ : ٣٠٧ : وكان حرب ذي قار في ملك خسرو پرويز، وهو اليوم الذي قال فيه النبي ﷺ : هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، ونصرت عليهم بي . وكانت بعد بعثته لتمام أربعين سنة من مولده، وفي رواية أخرى : بعد وقعة بدر بأربعة أشهر .

وروى القصة بالتفصيل الطبري ٢ : ١٩٣ - ٢١٢ عن محمد بن هشام الكلبي عن كتاب حماد الراوية الكوفي، ولكنه روى عن الكلبي قال : اني كنت استخرج أخبار العرب وأنساب آل نصر بين ربيعة ومبالغ أعمار من عمل منهم لآل كسرى وتاريخ سنيهم، من بيع الحيرة .

وعزّز ذلك الطبري فقال : وكان أمر آل نصر بن ربيعة ومن كان من ولاية ملوك الفرس وعملهم على ثغر العرب الذين هم ببادية العراق، متعلماً (معلوماً) عند أهل الحيرة مثبتاً عندهم في أسفارهم وكنائسهم - الطبري ١ : ٦٢٨ .

وعلى صحة الحديث النبوي لعلّ العلة فيه هو أن بنات النعمان كنّ نصاريّ مترهّبات، وكان خسرو پرويز كافراً مجوسياً زرادشتياً لا تحل له النصرانية . ويدل على ذلك خبران رواهما المسعودي في مروج الذهب قال :

كانت حرقة بنت النعمان بن المنذر اذا خرجت الى بيعتها يُفرش لها طريقها بالحريير والديباج، مغشى بالخزّ والوشى، فتقبل في جواربها حتى تصل الى بيعتها وترجع الى منزلها .

ولما وفد سعد بن أبي وقاص القادسية أميراً عليها قتل رستم وهزم الله الفرس،

سائر ملوك الحيرة ومصيرها:

قال المسعودي: «ثم ملك الحيرة جماعة من الفرس، حتى بلغ عدد الملوك بالحيرة ثلاثة وعشرين ملكاً من بني نصر وغيرهم من العرب والفرس، وكان مدة ملكهم ستمائة وأثنتين وعشرين سنة وثمانية أشهر. وبدأ عمران الحيرة من أوائل المائة الثانية من هؤلاء الملوك فكان عمرانها من

أنت حرقة بنت النعمان في حفدة من قومها وجواربها وهنّ في زيّها عليهنّ المسوح والمقطعات السود، مترهّبات، يطلبن صلته - ٢ : ٧٩.

وقال : وكانت هند بنت النعمان بن المنذر مترهبة في دير لها بالحيرة، فركب المغيرة بن شعبة اليها وهو أمير الكوفة يومئذٍ . وهند قد عميت، فلما جاء المغيرة الى الدير استأذن عليها، فاتتها جاريتها فقالت لها : هذا المغيرة بن شعبة يستأذن عليك ؟ فقالت هند لجاريتها : التي اليه أثاثاً، فألقت له وسادة من شعر، ودخل المغيرة فقعدها عليها وقال : أنا المغيرة : فقالت له : قد عرفتك عامل المدرة (الكوفة) فما جاء بك ؟ قال : أتيتك خاطباً اليك نفسك ! فقالت : أما والصليب لو أردتني لدين أو جمال ما رجعت الا بحاجتك، ولكنّي اخبرك الذي أردت له ! قال : وماهو ؟ قالت : أردت أن تتزوّجني حتى تقوم في الموسم في العرب فتقول : تزوجت ابنة النعمان ! قال : ذلك أردت ! - مروج الذهب ٣ : ٢٥ ط بيروت .

وعليه فهنّ نصارى مترهّبات لا يحلن لكافر مجوسيّ زرادشتي . وعلى أي حال فالعاديون النصاريّ وهم أخلاط من العرب وغيرهم، والأحلاف من الأنباط من بقايا سكان العراق من الآراميين والأكديين كانوا يجاورون الاكثريّة العرب في الحيرة، وكانت فيهم جالية فارسية تتمهن الحرف والمهن، وفيهم بعض اليهود، فكانت الحيرة سوقاً تجارية وزراعية كبرى، ومتأثرة بالثقافة الفارسية العامة في المنطقة - العصر الجاهلي : ٤٧ .

بدوه إلى أن بنيت الكوفة فتناقص عمرانها : خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة^(١)، ثم لم يزل عمرانها يتناقص إلى أيام المعتضد حيث استولى عليها الخراب . وكان جماعة من خلفاء بني العباس كالسفاح والمنصور والرشيد وغيرهم ينزلونها ويطلقون المقام بها ، لطيب هوائها وصفاء جوهرها وصحة تربتها وصلابتها ، وقرب الخورنق والنجف منها . وقد كان فيها أديرة كثيرة فيها كثير من الرهبان ، فلما تداعى الخراب إليها لحقوا بغيرها . قال المسعودي «وهي في هذا الوقت ليس بها إلا الصدى والبوم»^(٢) .

غساسنة الشام:

وفي القرن الخامس الميلادي هاجرت جماعات من أطراف الجزيرة إلى جهة شمالها الغربي بجوار حدود المملكة الرومية فأسسوا دولة الغساسنة التي كانت تحت حماية الأمراء الروميين تبعاً للقسطنطينية ، كما كان حكام الحيرة عمالاً لملوك الفرس .

وتحضرّت دولة الغساسنة نوعاً ما ، فهي كانت تجاور «دمشق» من ناحية ومدينة «بصرى» التاريخية من ناحية أخرى ، فهي كانت تحت تأثير الحضارة الرومية . وبما أنّ الغساسنة كانوا في خلاف مع مناداة الحيرة اللّخميين ومن ورائهم الفرس ، لذلك كانوا يوالون الرومانيين . وقد بلغ عدد

(١) وروي في الطبري عن الكلبي : أنّ الحيرة بنيت مع الأنبار على عهد بختنصر (نبوخذ نصر) فلما هلك بختنصر تحول أهلها إلى الأنبار فخربت الحيرة ، إلى أن عمرت الحيرة مرة أخرى باتخاذ عمرو بن عدي اللّخمي إياها منزلاً لنفسه ، فعمرت الحيرة خمسمائة وبضعاً وثلاثين سنة إلى أن وضعت الكوفة ونزلها الإسلام (الطبري ٢ : ٤٣)

(٢) مروج الذهب ٢ : ٨١ ط ٢ .

أمرائهم بضعة عشر رجلاً، واليك تفصيل خبرهم :

ملوك الشام من اليمن:

قال المسعودي : «وتفرقت قبائل العرب لما كان بمأرب فسارت غسّان الى الشام^(١)، وهم من ولد مازن بن الأزد، وإنما غسّان ماء لم يزل عمرو بن عامر حين خرج من مأرب مقيماً على هذا الماء، وهو ما بين زبيد ورمع وادي الأشعرين بأرض اليمن .

وكانت قضاة بن مالك بن حمير بن سبأ أوّل من نزل الشام من عرب اليمن، واتّصلوا بملوك الروم ودخلوا في النصرانية، فلّكّوهم على من بالشام من العرب . وأوّل من ملك منهم النعمان بن عمرو بن مالك، ثم ملك بعده عمرو بن النعمان بن عمرو، ثم ملك بعده الحواري بن النعمان .

ثم وردت سليح من قضاة أيضا الشام فغلبت على تنوخ من قضاة وتنصّرت فلّكها الروم على العرب الذين بالشام، وهم ولد سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاة أيضاً .

فلما سارت غسّان الى الشام غلبت على من بالشام من العرب فلّكها الروم على العرب، فكان أوّل ملك من ملوك غسّان بالشام : الحارث بن عمرو بن عامر بن حارثة، ثم ملك بعده الحارث بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو بن عامر بن حارثة، وملك بعده النعمان بن الحارث بن جبلة بن

(١) هذا، وقد سبق آنفاً أن هجرتهم كانت في القرن الخامس الميلادي، أي بعد سيل العرم بعديد من القرون، فالتاريخ الأثري أي المستند على المكتشف من آثارهم لا يدل على أسبق من ذلك .

الحارث بن ثعلبة، ثم ملك بعده المنذر بن الحارث بن جبلة بن ثعلبة بن جفنة بن عمرو، ثم ملك بعده عوف بن المنذر، ثم ملك بعده الحارث بن المنذر، وكان هذا على عهد بعثة رسول الله ﷺ ودعاه النبي ﷺ إلى الإسلام ورغبه فيه ولم يسلم، وملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة بن الحارث، وهو الذي أسلم وارتد عن دينه خوف العار والقود. فجميع من ملك من ملوك غسان بالشام أحد عشر ملكاً، وكانت ديار ملوك غسان باليرموك والمجولان وغيرهما من غوطة دمشق واعمالها، ومنهم من نزل الأردن من أرض الشام^(١).

وقال اليعقوبي: «كانت قضاة أول من قدم الشام من العرب، فصارت إلى ملوك الروم ودخلوا في النصرانية فلكوهم فكان أولهم: تنوخ ابن مالك بن فهم بن تيم الله بن الأسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة.

ثم ورد بنو سليح بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة إلى الشام فغلبوا على تنوخ من بني قضاعة، ودخلوا في ذمة الروم وتنصروا وأقاموا على ذلك. فلما تفرقت الأزدي بسيل العرم وصار من صار منهم إلى تهامة، ومن صار إلى يثرب، ومن صار إلى عمان، صارت غسان إلى الشام فقدموا أرض البلقاء»^(٢).

وقال اليعقوبي: «فسأل بنو غسان بني سليح أن يدخلوا معهم فيما دخلوا فيه من طاعة ملك الروم، وأن يقيموا في بلادهم لهم ما لهم وعليهم

(١) مروج الذهب ٢: ٨٣ - ٨٦ ط بيروت.

(٢) اليعقوبي ١: ٢٠٦ ط بيروت.

ماعليهم. فكتب رئيس سليح وهو يومئذ «دهمان بن العمّلق» الى ملك الروم، وهو يومئذ «نوشر» وكان منزله بانطاكية، فأجابهم الى ذلك بشروط (منها دفع أتاوة يقبضها ملك الروم) فأقاموا بذلك أزمانا حتى وقعت بين رجل من غسان يقال له «جذع» ورجل من أصحاب ملك الروم مشاجرة على الأتاوة حتى ضرب الغساني الرومي بسيفه فقتله.

فحمل عليهم صاحب الروم من قبل ملك الروم بجماعة من العرب من قضاة، فأقاموا مليًا يحاربونه ببصرى من أرض دمشق، ثم صاروا الى «المخفق» فلمّا رأى ملك الروم صبرهم على الحرب ومقاومتهم جيوشه كره أنّ تكون ثلثة عليهم، وطلب القوم الصلح على أنّ لا يكون عليهم ملك من غيرهم، فأجابهم ملك الروم الى ذلك، وكان رئيس غسان يومئذ «جفنة بن عليّة بن عمرو بن عامر»، فلّك عليهم، وتنصّرت غسان، واستقام اللّذي بينهم وبين الروم وصارت أمورهم واحدة، فأقاموا بالشام مملكة من قبل صاحب الروم.

وكان أوّل ملك جلّ قدره وعلا ذكره من غسان بعد جفنة بن عليّة: الحارث بن مالك بن الحارث بن غضب بن جشم بن الخزرج بن حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر بن ثعلبة بن حارثة. وملك بعده: الحارث الأكبر ابن كعب بن عليّة بن عمرو بن عامر. ثمّ ملك أخوه الحارث الأعرج بن كعب فنزل الجولان. ثمّ ملك أخوه الحارث الأصغر، ثمّ ملك. جبلة بن المنذر. ثمّ ملك الحارث بن جبلة. ثمّ ملك الأيهم بن جبلة. ثمّ جبلة بن الأيهم»^(١).

(١) اليعقوبي ١: ٢٠٦، ٢٠٧ ط بيروت.

والحارث بن جبلة منهم هو الذي وقعت بينه وبين المنذر بن امرئ القيس اللخمي المعركة الهائلة في «قنسرين» فكان من جرائها قتل المنذر ودخول «قنسرين» في حوزة الحارث بن جبلة، فأعجب الروم بشجاعته وهابوا سطوته فبالغوا في ترقيته وتقريبه والخلع عليه، ومنحه الامبراطور جوستينان سنة ٥٢٩ م لقب (البطريك). وغزا الفرس بلادهم سنة ٦١٤ م فاستولوا على اورشليم ودمشق الشام فانحط أمرهم^(١).

وذكر المسعودي من أواخر ملوك غسان: الحارث بن المنذر وقال: وكان هذا على عهد بعثة رسول الله، ودعاه النبي ﷺ الى الإسلام ورغبه فيه فلم يسلم. وملك بعده جبلة بن الأيهم بن جبلة، وهو الذي أسلم وارتد عن الإسلام خوف القود والعار^(٢) وذلك أن رجلاً فزارياً وطأ ازاره، وكان الخليفة الثاني قد أحسن وفادته ورفع من شأنه ووضعه في مرتبة المهاجرين الأولين، فلطم الفزاري على رأسه، فشكاه الفزاري الى الخليفة فلما أحس بأن الخليفة سيقبض منه للفزاري فرّ الى القسطنطينية.

وروى اليعقوبي في حوادث السنة الثالثة عشرة في بداية خلافة الخليفة الثاني: «أن جبلة بن الأيهم الغساني كان في ثلاثين ألفاً من قومه مع الروم في وقعة اليرموك، فلما انهزم الروم في اليرموك رجعوا الى مواضعهم، فأرسل إليه يزيد بن أبي سفيان: أن اقطع على أرضك بالخراج والجزية، فأبى وقال: أنا رجل من العرب، وإنما يؤدي الجزية العلوج^(٣) وأتى جبلة

(١) سيرة المصطفى: ١٧.

(٢) مروج الذهب ٢: ٨٤، ٨٥ ط بيروت.

(٣) اليعقوبي ١: ١٤٢ ط بيروت.

الى الخليفة فقال له : خُذ مِنِّي الصدقة - يعني الزكاة - كما تصنع بالعرب ؟ قال : بل الجزية - اذ لم تسلم - والا فالحق بمن هو على دينك ، يريد الروم . فخرج جبلة في ثلاثين الفا من قومه وهم نصارى حتى لحق بأرض الروم . فندم عمر على ما كان منه في أمر جبلة وقومه»^(١) .

ولد إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام:

بدأ اليعقوبي في أواخر الجزء الأول من تاريخه فصلاً بهذا العنوان وقال في بدايته «وإنما أخرنا خبر إسماعيل وولده وختمنا بهم أخبار الأمم ، لأن الله - عز وجل - ختم بهم النبوة والملك ، واتصل خبرهم بخبر رسول الله ﷺ»^(٢) وكذلك فعلنا نحن : وقد سبق نقل مقال المسعودي إذ قال : الواضح من أنساب اليمن وما تدين به كهلان وحمير أبناء قحطان إلى هذا الوقت قولاً وعملاً ، وينقله الباقي عن الماضي والصغير عن الكبير ، والذي وجدت عليه التواريخ القديمة للعرب وغيرها من الامم ، وعليه وجدت الأكثر من شيوخ ولد قحطان من حمير وكهلان بأرض اليمن والتهائم والأنجاد ، وبلاد حضرموت والشحر والأحقاف ، وبلاد عمان وغيرها من الأمصار : أن الصحيح في نسب قحطان : أنه قحطان بن عابر بن شالخ بن قينان بن أرفخشذ بن سام بن نوح ، وقد كان لعابر ثلاثة أولاد : فالغ وقحطان وملكبان وولد لقحطان أحد وثلاثون ذكراً منهم يعرب بن قحطان ، وكان قحطان سرياني اللسان ، وقد ثبت أن قحطان هو يقطن بالسريانية

(١) اليعقوبي ١ : ١٣٧ ط النجف .

(٢) اليعقوبي ١ : ٢٢١ ط بيروت .

وإنما عرب فقيل: قحطان وزعم الهيثم بن عدي: أن جرهم بن عابر بن سبأ بن يقطن، هو قحطان^(١).

وتكلم يعرب وجرهم وعاد وثمود وعملاق ووبار وعبيل وجديس وعبد ضخم بالعربية فسار يعرب بن قحطان من بابل حتى حل باليمن^(٢). وسار عبد ضخم بن إرم بن نوح بولده ومن تبعه فنزلوا «الطائف» وسار جرهم بن قحطان بولده ومن تبعه وطافوا البلاد حتى أتوا «مكة» فنزلوها^(٣).

وقال عند ذكره أخبار مكة وبناء البيت ومن تداوله من جرهم وغيرها: إن جرهم بادروا نحو مكة وعليهم الحارث بن مضاض بن عمرو ابن سعد بن الرقيب بن ظالم بن هيني بن نبت بن جرهم، حتى أتوا الوادي ونزلوا مكة واستوطنوها مع إسماعيل.

وقال قبل هذا: إن بني كركر وعليهم السميدع بن هوبر بن لاوي بن قيطور بن كركر بن حيدان، عدت الماء والمرعى واشتد بها الجهد، فيممت نحو تهامة يطلبون الماء والمرعى والدار الخصبة، فأشرف رؤادهم وهم المتقدمون منهم لطلب الماء على الوادي فنظروا الطير ترتفع وتنخفض، فهبطوا الوادي ونظروا إلى العريش على الربوة الحمراء الذي اتخذته هاجر ليكون مسكناً لها وفيه هاجر وإسماعيل، وقد زمت حول الماء بالأحجار ومنعته من الجريان فسلم الرواد عليها واستأذنوها في نزولهم وشربهم من

(١) مروج الذهب ٢: ٤٥ ونؤكد هنا ما قدمناه في عنوان: مبدأ العرب، ص: ١٠٧.

(٢) مروج الذهب ٢: ١١٠.

(٣) مروج الذهب ٢: ١٢١ و ١٢٢.

الماء، فأنست إليهم وأذنت لهم في النزول. فتلقوا من وراءهم من أهلهم وأخبروهم خبر الماء، فنزلوا الوادي مطمئنين مستبشرين بالماء، وبما أضاء الوادي من نور النبوة وموضع البيت الحرام فرحين، وتكلم إسماعيل بالعربية خلاف لغة أبيه.

ف قيل في بني كركر هؤلاء: إنهم من جرهم، وقيل إنهم من العماليق، وإن جرهم تسامعت ببني كركر ونزلهم الوادي وما فيه من الخصب وإدراار الضرع فبادروا نحو مكة^(١) واستوطنوها مع إسماعيل، وتزوج إسماعيل: سامة بنت مهلهل بن سعد بن عوف بن هيني بن نبت بن جرهم.

وعاش إسماعيل مائة وسبعاً وثلاثين سنة، وولد له اثنا عشر ولداً ذكراً وهم: نابت، وقيدار، وأدييل، وميشام، ومشعم، ودوما، ودوام، ومشأ، وحداد، وثيما، ويطور، وناقش، وكل هؤلاء قد انسل.

وقبض إسماعيل وله مائة وسبع وثلاثون سنة، فدفن في المسجد الحرام حيال الموضع الذي فيه الحجر الأسود^(٢).

وقال اليعقوبي: إن ولد جرهم بن عامر لما صار أخوتهم من بني قحطان بن عامر^(٣) إلى اليمن فملكوا، صاروا هم إلى أرض تهامة فجاوروا

(١) لا يخفى أن هذا خلاف ما مر من خبر القمي في تفسيره عن الصادق عليه السلام، وأن جرهم كانت نازلة بعرفات، وأنها أول من ألتقى بهاجر وسكن معها حول زمزم.

(٢) كذا في مروج الذهب ٢: ١٩ - ٢١ وسيأتي الصحيح عن اليعقوبي أنه دفن في الحجر، ولذلك سمي حجر إسماعيل، لاحتال الحجر الأسود. ولعل الأسود زيادة تحريف من النساخ.

(٣) كذا، وقد مر تأكيد المسعودي في نسب قحطان: أنه قحطان بن عابر، وأن جرهم هو ابن قحطان. وفي موضع آخر أن جرهم هو الجد الثامن للحارث بن مضا

إسماعيل بن إبراهيم . فتزوج إسماعيل : الحنفاء بنت الحارث بن مضاض الجرهمي ، فولدت له اثني عشر ذكراً» ثم ذكر أسماءهم فقال «وهذه الأسماء تختلف في الهجاء واللغة لأنها مترجمة من العبرانية» ثم قال : فلما كملت لإسماعيل مائة وثلاثون سنة توفي فدفن في الحجر .

فلما توفي إسماعيل ولي البيت بعده نابت بن إسماعيل . ثم افترق ولد إسماعيل فمنهم من افترق في البلاد يطلبون السعة وهم الكبار منهم ، وكان من بقي منهم في الحرم من ولد إسماعيل صغاراً فولي البيت المضاض بن عمرو الجرهمي جدّ ولد إسماعيل . ولم يكن أحد يقوم بأمر الكعبة في أيام جرهم غير ولد إسماعيل وكانت جرهم في أيامها تطيعهم ، تعظيماً منهم لهم ومعرفة بقدرهم ، غير أنّ ولد إسماعيل كانوا يسلمون ملك مكة لجرهم للخوالة .

فقام بأمر الكعبة بعد نابت أمين ثم يشجب بن أمين ثم الهميسع ثم أدد ثم عدنان بن أدد ثم معدّ بن عدنان ، ثم نزار بن معد ، ثم إياد^(١) ثم خرجت ولاية البيت من أيديهم إلى خزاعة^(٢) ، وسنذكر خبره فيما يأتي . هذا ما قاله اليعقوبي بشأن الجمع بين ولاية البيت وملك مكة .

وقال المسعودي : لما قبض إسماعيل قام بالبيت بعده نابت بن إسماعيل ، ثم غلبت جرهم على ولد إسماعيل من بعد نابت فقام بأمر البيت

الجرهمي الذي نزل ببني جرهم بمكة . وهو الصحيح الذي يدلّ عليه ما مرّ من خبر

علي بن إبراهيم القميّ عن الصادق عليه السلام ، في تفسيره : ١ : ٦١ .

(١) اليعقوبي ١ : ٢٢١ - ٢٢٦ ط بيروت .

(٢) اليعقوبي ١ : ٢٣٨ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٩ .

بعده أناس من جرهم: أولهم الحارث بن مضا. وكان ينزل هناك في الموضع المعروف بقعيقعان في أعلى مكة وكان كل من دخل مكة بتجارة عثرها عليه.

وكان السميذع بن هوبر بن لاوي بن قبطور بن كركر بن حيدان ينزل ببني كركر في أجباد من أسفل مكة، فأخذ يعثر من دخل مكة من ناحيته، فنازع الحارث بن مضا سلطانه.

فخرج الحارث بن مضا ملك جرهم تتفقع معه الرماح والدرق، فسمي الموضع بقعيقعان لما ذكرنا، وخرج السميذع ملك العماليق ومعه الجياد من الخيل، فعرف الموضع بأجباد إلى هذا الوقت. فكانت للعماليق وهم على جياد الخيل على جرهم، فسمي الموضع فاضحاً إلى هذا الوقت لفضيحة جرهم.

وصارت ولاية البيت وملك مكة إلى العماليق. ثم اصطلحوا ونحروا الجزر وطبخوا فسمي الموضع بـ (المطابخ) إلى الآن^(١).

ثم كانت بينهم وقعة أخرى كانت لجرهم على العماليق، وأقاموا ولاية البيت نحو ثلاثمائة سنة، آخر ملوكهم الحارث بن مضا الأصغر بن عمرو ابن الحارث بن مضا الأكبر، وزادوا في بناء البيت ورفعوه على ما كان عليه من بناء إبراهيم عليه السلام^(٢).

وقال اليعقوبي: إن السميذع كان ملك العماليق نازع المضا سلطانه فلما ظهر عليه المضا مضى السميذع والعماليق إلى الشام فكان هناك ملك

(١) ورواه ابن هشام في سيرته عن ابن اسحاق : ١ : ١١٧ .

(٢) مروج الذهب ٢ : ٢٢ - ٢٣ ط بيروت .

العمالقة بالشام واستقام الأمر لمضاض حتى توفي. ثم ملك بعده الحارث بن مضاض، ثم ملك عمرو بن الحارث بن مضاض، ثم ملك المعتسم بن الظليم، ثم ملك الحواس بن جحش بن مضاض، ثم ملك عداد بن صداد ابن الجندل بن مضاض، ثم ملك فينحاص بن عداد بن صداد، ثم ملك الحارث بن مضاض بن عمرو. وكان هذا آخر من ملك من جرهم. وطغت جرهم وبغت وفسقت في الحرم، فسلب الله عليهم الذر فأهلكوا به عن آخرهم وذلك في عصر أدد بن الهميسع بن أمين من ذرية إسماعيل، وكان ينكر على جرهم أفعالهم فلما هلكت عظم شأنه في قومه وجل قدره^(١).

وقال المسعودي: وبغت جرهم في الحرم وطغت، حتى فسق رجل منهم في الحرم يسمى اساف، بامرأة تدعى نائلة، فسخها الله عز وجل حجرين صيرا بعد ذلك وثنين وعبدا تقرباً بهما إلى الله تعالى. فبعث الله على جرهم الرعاف والنمل وغير ذلك من الآفات، فهلك كثير منهم. وكثر ولد إسماعيل وصاروا ذوي قوة ومنعة فغلبوا على أخوالهم جرهم وأخرجوهم من مكة فلحقوا بجهينة في موضع يقال له: أضم، فأتاهم في بعض الليالي السيل فذهب بهم. وصارت ولاية البيت في ولد اياد بن نزار ابن معد ثم إلى خزاعة. ثم إلى قصي^(٢).

(١) اليعقوبي ١: ٢٢٢ ط بيروت.

(٢) مرجع الذهب ٢: ٢٣ - ٣١. وروى ابن هشام في سيرته عن ابن إسحاق: أن جرهما بنوا بمكة واستحلوا حلالاً من الحرم، فظلموا من دخلها من غير أهلها، وأكلوا ما كان يهدى إلى الكعبة من مال، فلما رأى بنو كنانة وبنو خزاعة ذلك أجمعوا لحربهم وأخرجهم من مكة، فأذنوا بالحرب فأقتتلوا، فغلبت كنانة وخزاعة على

وقد روى الكليني في (فروع الكافي) عن الصادق عليه السلام قال: إن جرهم غلبت بمكة على ولاية البيت، فكان يلي ذلك منهم كابر عن كابر، حتى بغوا واستحلوا حرمتها وأكلوا مال الكعبة وظلموا من دخلها، فلما بغوا وعتوا واستحلوا فيها بعث الله عز وجل عليهم الرعاف والنمل وأفناهم^(١).

نقل المجلسي ذلك في (البحار) ثم نقل عن الفيروز آبادي أن النملة هي قروح في الجنب كالنمل وبثور تخرج في الجسد بالتهاب واحترق ثم يرم مكانها يسيراً ثم يدب إلى موضع آخر كالنمل^(٢).

وننتقل هنا الى ذكر خبر المدينة يثرب، وإتيان تبتان أسعد أبي كرب اليمنى إليها وتهوده بها ومروره في رجوعه بمكة، ثم خبر أصحاب الأخدود باليمن، ثم دخول الأحباش النصارى إلى اليمن وأصحاب الفيل منهم، ثم دخول الفرس المجوس إليها. ثم نرجع إلى بقية أخبار مكة والبيت الحرام وولاته ولاسيما انتقال الأمر إلى خزاعة، وإنما قدمنا هنا ما تقدم منها على خبر تبتان أسعد وأصحاب الفيل.

يثرب بين اليهود والأوس والخزرج:

نقلنا فيما مرّ رواية المسعودي في سبب انتشار العرب من اليمن بعد

جرهم فنفوهم من مكة فخرج عمرو بن الحارث بن مضاى الجرهمي بغزالي الكعبة وبحجر الركن فدفنها في زمزم (سيرة ابن هشام ١ : ١١٩). ودفن زمزم (سيرة ابن هشام ١ : ١١٨). وأطلق هو ومن معه من جرهم إلى اليمن، فحزنوا على ما فارقوا من أمر مكة حزناً شديداً (سيرة ابن هشام ١ : ١٢٠).

(١) فروع الكافي ٤ : ٢١١.

(٢) وتجدّه كذلك في سائر كتب اللغة ومنها : المنجد .

سيل العرم، ونزول الأوس والخزرج يثرب «المدينة» وهنا ننقل خبر
 يعقوبي في ذلك لما فيه من التفصيل الخاص بهذا الصدد: قال يعقوبي: إنَّ
 تفرق أهل اليمن في البلاد وخروجهم عن ديارهم كان بسبب سيل العرم،
 وكان رئيس القوم عمرو بن عامر بن حارثة بن امرئ القيس بن ثعلبة بن
 مازن بن الأزد، وكان كاهناً، فتكهن أنَّ بلاد اليمن تغرق، فأظهر غضبه على
 بعض ولده وباع مرباعه وخرج هو وأهل بيته، فصاروا إلى بلاد «عك» ثم
 ارتحلوا إلى «نجران» فحاربهم مذحج، ثم ارتحلوا عن نجران فرَّوا «بمكة»
 وبها يومئذ «جرهم» فحاربوهم حتَّى أخرجوهم عن البلد، فصاروا إلى
 «المحفة» ثم ارتحلوا إلى «يثرب» فتخلَّف بها الأوس والخزرج إنا حارثة
 ابن ثعلبة بن عمرو بن عامر، ولحق بها جماعة من الأزد من غير إني
 حارثة فصاروا حلفاء لهم.

وكانت يثرب منازل اليهود، وكانوا أكثر من الأزد والأوس والخزرج
 فغلبوهم وقهروهم، حتَّى كان الرجل من اليهود ليأتي منزل الأوسي أو
 الخزرجي أو الأزدي فلا يميَّكه دفعه عن ماله وأهله^(١)، وكان رجل يقال له
 «القطيوني» قد تملَّك على اليهود فتملَّك على الأزد والأوس والخزرج فسامهم
 سوء العذاب.

فخرج مالك بن العجلان الخزرجي إلى تبع أبي كرب تبتان أسعد بن
 ملكيكرب^(٢) فأعلمه بغلبة قريظة والنضير عليهم^(٣) فسار أبو كرب اليمني اليهم

(١) يعقوبي ١: ٢٠٣، ونؤكِّد أيضاً ما قدَّمناه في عنوان: مبدأ العرب: ١٠٧.

(٢) تبتان أسعد اسم مركب كمعد يكرب، وتبتان من التبتانة بمعنى الفطانة.

(٣) يعقوبي ١: ١٩٧.

بجيشه حتى قتل من اليهود مقتلة عظيمة^(١) وخلف فيهم ابناً له بين أظهرهم فقتله اليهود، فرحف إليهم وحاربهم^(٢).

وروى الطبري وابن هشام عن ابن إسحاق : أن تبّان أسعد قد أقبل من قبل المشرق على المدينة وخلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة . فقدّمها مرةً أخرى لاستئصال أهلها وهدمها .

وكان في المدينة من أحبار اليهود حبران عالمان راسخان في العلم من بني قريظة أحدهما كعب والآخر أسد، فلما سمعا بما يريد تبّان أسعد من هلاك أهل المدينة وهدمها جاءا إليه فقالا له : أيها الملك ! لا تفعل ذلك ، فانك إن أبيت ألا ماتريد حيل بينك وبينها ولم تأمن عليك عاجل العقوبة ! فقال لهما : ولم ذلك ؟ فقالا : هي مهاجر نبي يخرج من هذا الحرم من قريش في آخر الزمان تكون داره وقراره ! فتناهى عند ذلك عما كان يريد بالمدينة .

وكان تبع تبّان أسعد وقومه أصحاب أوثان يعبدونها، فلما سمع منها ذلك أعجبه فاتّبع دينها اليهودية وانصرف عن المدينة واصطحبها معه^(٣) .
وروى ابن شهر آشوب في (المناقب) عن ابن إسحاق : أن تبع الأول لما سار في الآفاق فوصل الى مكة فلم يعظمه أهلها، غضب عليهم، فقال له وزيره عمياريسا : إنهم جاهلون ومعجبون بهذا البيت ! فعزم الملك على أن يخرب البيت، فأخذه الله بالصداع وبدأ ينزل من أذنيه وعينيه وأنفه وفه

(١) اليعقوبي ١ : ٢٠٤ .

(٢) اليعقوبي ١ : ١٩٧ .

(٣) تهذيب سيرة ابن هشام ١ : ٢٠ والطبري ٢ : ١٠٥ .

ماء نثن، وعجز أطباؤه عنه، فلما أمسى جاء عالم من العلماء الذين كانوا معه الى وزيره واستأذن منه على الملك، فاستأذن له الوزير، فلما خلا بالملك قال له: هل أنت نويت في هذا البيت أمراً؟ قال: أجل، فقال العالم: تُب من ذلك ولك خير الدنيا والآخرة! فقال: قد تبت مما كنت نويت. فعوفي في الساعة! فأمن بالله وبإبراهيم الخليل، وخلع على الكعبة سبعة أثواب. وهو أول من كسا الكعبة.

ثم خرج الى يثرب -وهي أرض فيها عين ماء- فاعتزل أربعاءة. عالم من الذين كانوا معه وجاءوا الى باب الملك وقالوا: إننا خرجنا من بلداننا وطفنا معك زماناً حتى جئنا الى هذا المكان، والآن نحن نريد المقام هنا الى آخر أعمارنا! فسألهم الوزير عن حكمة ذلك؟ قالوا: أيها الوزير! إن شرف البيت بمكة بشرف محمد صاحب القبلة إليها وصاحب القرآن والمنبر واللواء، مولده بمكة وهجرته الى ها هنا، وإننا على رجاء أن ندركه أو يدركه أولادنا! فلما سمع الملك ذلك أذن لهم وبني لهم دوراً^(١).

وهذا الخبر وإن لم يصرح بكون العلماء الذين كانوا مع تبّع النبي الأول يهوداً فالظاهر منه أنهم كانوا يهوداً وأن نبأهم بمولد رسول الله ومهاجره كان من بشائر شريعة موسى عليه السلام وأيضاً لم ينص الخبر على يهودية تبّع بل فيه أنه لما تاب مما كان قد نواه من هدم البيت وعوفي آمن بالله وبإبراهيم الخليل، لكن يظهر من اصطحابه لعلماء اليهود مكرماً لهم سامعاً منهم أن المقصود بإيمانه بالله أنه كان قبل ذلك فاسقاً غير مؤمن في العمل بدينه. وعلى هذا فهذا الخبر أكثر انسجاماً مع ما أخبر به القرآن

الكريم من سبق اليهودية الى اليمين على عهد بلقيس وسليمان وهم قبل تبّع بسبعة قرون تقريباً، بينما الخبر المعروف في أكثر التواريخ بأن تبّع الأول كان أول من آمن باليهودية بدعوة علماء اليهود في مدينة يثرب وأنه أول من دعا أهل اليمن الى ذلك، لا يوافق كتاب الله كما يأتي .

بل روى الصدوق عن ابن عباس أنه كان يقول : لا يشتهنّ عليكم أمر تبّع فإنه كان مسلماً، وروي عن الصادق عليه السلام أنه قال : إنّ تبّع قال للأوس والخزرج : كونوا ها هنا حتّى يخرج هذا النبي، فأما أنا فلو أدركته لخدمته وخرجت معه^(١) .

وروى الطبرسي عن سهل بن سعد عن النبي ﷺ أنه قال : لا تسبّوا تبعاً فإنه كان قد أسلم^(٢) .

فقرّب النفر الذين أشاروا عليه من هذيل فقطّع أيديهم وأرجلهم، ثم مضى حتّى قدم مكّة، فطاف بالبيت وحلق رأسه، وأقام بمكّة ستة أيام ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم .

وأمره ولاية البيت من جرهم بتطهيره، وأن لا يقربوه دماً ولا ميتة، وجعل له باباً ومفتاحاً، وكساه ثياباً يمينية . ثمّ خرج متوجّهاً الى اليمن بمن معه من جنوده والحبرين .

فلما وصل الى اليمن دعا قومه الى الدخول في اليهودية . وكانت باليمن نار يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضرّ المظلوم . فأبوا عليه اليهودية حتّى يحاكموه الى النار . فخرج رجال من قومه بأوثانهم

(١) إكمال الدين : ١٦٨ ط النجف .

(٢) مجمع البيان ٩ : ٦٦، وبه قال البيضاوي في أنوار التنزيل ٢ : ٤١٩ .

ومايتقربون به في دينهم حتى قعدوا للنار عند مخرجها التي تخرج منه، وخرج الحبران متقلدين مصاحفهما في أعناقهما حتى قعدوا عند مخرج النار، فخرجت النار إليهم فأكلت الأوثان وماقربوا معها ومن حملها من رجال حمير، ولما أقبلت نحو الحبرين هابوها وحادوا عنها، فذمرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها، فصبروا حتى غشيتهم، وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما تعرق جباههما ولم تضرهما. فأجمعت عند ذلك حمير على اليهودية.

فكذلك كان أصل اليهودية باليمن^(١).

ولا يظهر من خبر تبّع تبّان أسعد بن كليكرب هذا وتهود اليمن معه أكان قبل نسخ اليهودية بشريعة عيسى عليه السلام أو بعد ذلك، إلا أنه كان بعد بلقيس وسليمان بن داود -وهو من أنبياء بني إسرائيل بعد موسى- كان بعدهم بسبعة قرون تقريباً كما في التواريخ، وبعد تبّع تبّان أسعد هذا بمدة غير قصيرة استولى على اليمن الثالث من أولاده بعد حسان وعمر: زرعة ابن تبّان أسعد، يكنى ذا نؤاس، وشاع أتباع دين المسيح عليه السلام على عهده في مدينة نجران، فجعل يطلبهم ويحرّقهم بالاخدود. وروى ابن هشام عن ابن

(١) تهذيب سيرة ابن هشام ٢٠، ٢١. والطبري ٢: ١٠٥ - ١٠٨ كذا، وتبّع هذا هو الملك العشرون من ملوك اليمن المعروفين المعدودين في كتب التاريخ، والعاشر هي بلقيس ثم سليمان بن داود ثم آبنه أرحبعم بن سليمان. وسليمان من أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى، والبعد الزمني بين بلقيس وسليمان وتبّع هذا حسب كتب التأريخ سبعة قرون تقريباً، ومعنى هذا أن اليمن كانت مسبوقة باليهودية كما حكى القرآن الكريم ﴿وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله﴾ (النمل: ٢٤) لا الأوثان والعجب أن لم يجد من المؤرخين من تنبّه لذلك أو تعرض له.

إسحاق^(١) والطبري عنه وعن الكلبي^(٢): أن زرعة ذا نؤاس تهوّد فتسمّى يوسف والتبس هذا على المسعودي فذكره: يوسف ذو نؤاس بن زرعة^(٣).

أصحاب الاخدود:

روى القميّ في تفسيره بسنده عن عطاء عن ابن عباس: أن ذا نؤاس -وهو آخر من ملك اليمن من حمير- تهوّد، واجتمعت معه حمير على اليهودية، وسمّى نفسه يوسف، وأقام على ذلك حيناً من الدهر. ثمّ أخبر أن بنجران بقايا قوم على دين النصرانية، وكانوا على دين عيسى عليه السلام وعلى حكم الانجيل ورأس ذلك الدين: عبد الله بن بريا^(٤) فحملة أهل دينه على

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣١، ٣٢.

(٢) الطبري ٢: ١١٩.

(٣) مروج الذهب ٢: ٥٢.

(٤) تفسير القميّ ٢: ٤١٤. وروى العياشي في تفسيره بإسناده عن جابر عن الامام الباقر عليه السلام أنّه قال: أرسل علي عليه السلام الى أسقف نجران يسأله عن أصحاب الاخدود، فأخبره بشيء: فقال عليه السلام: ليس كما ذكرت، ولكن ساخبرك عنهم: إن الله بعث رجلاً حبشياً نبياً -وهم حبشية- فكذبوه فقاتلهم فقتلوا أصحابه وأسروه وأسروه ثمّ بنوا له حيراً ثم ملأوه ناراً، ثمّ جمعوا الناس فقالوا: من كان على ديننا وأمره فليعتزل، ومن كان على دين هؤلاء فليرم نفسه في النار! فجعل أصحابه يتهافتون في النار! فجاءت امرأة معها صبيّ لها ابن شهر، فلما هجمت هابت ورقت على ابنها، فنادى الصبيّ لاتهابي وأرميني ونفسك في النار، فإنّ هذا -والله- في الله قليل! فرمت بنفسها في النار وصبيّها.

رواه العلامة الطباطبائي في تفسيره ثم قال: ورواه السيوطي في الدر المنثور عن علي عليه السلام بطريقين وعن الحسن عليه السلام أيضاً (الميزان ٢٠: ٢٥٧).

أَنْ يسير اليهم ويحملهم على اليهودية ويدخلهم فيها، فسار حتى قدم نجران، فجمع من كان بها على دين النصرانية ثم عرض عليهم دين

وروى ذيل الخبر عن المرأة وطفلها المسعودي في (مروج الذهب ٢ : ٧٨) .
وروى الطبرسي في (جمع البيان) عن سعيد بن جبير : أَنَّ اهل اسفندهان كانوا مجوساً فلما انهزموا قال عمر : ما هم يهود ولا نصارى فليسوا من اهل الكتاب . فقال علي ^{عليه السلام} : بلى قد كان لهم كتاب رفع ، وذلك أَنَّ ملكاً لهم سكر فوقع على ابنته أو قال : على اخته فلما أفاق قال لها : كيف المخرج مما وقعت فيه ؟ قالت : تجمع أهل مملكتك وتخبرهم أَنَّك ترى نكاح البنات وتأمرهم أَنْ يحلّوه ! فجمعهم فأخبرهم ! فأبوا أَنْ يتابعوه ، فخذّ لهم أخدوداً في الأرض ، وأوقد فيه النيران وعرضهم عليها فمن أبى قبول ذلك قذفه في النار ، ومن أجاب خلّى سبيله . رواه الطباطبائي ... في (الميزان ٢٠ : ٢٥٦) ثم قال ورواه السيوطي في (الدر المنثور) .

وقيل : أَنَّ الذين خدّوا الاخدود ثلاثة : تبع صاحب اليمن ، وقسطنطين بن هلائي حين صرف النصارى عن التوحيد الى عبادة الصليب ، ونبوخذ نصر ملك بابل حين ادعى الربوبية وأمر الناس أن يسجدوا له فأمتنع دانيال وأصحابه ، فألقاهم في النار ! نقله محققو سيرة ابن هشام ١ : ٣٢ .

وأحتمل التعدد العلامة الطباطبائي في تفسيره (الميزان ٢ : ٢٥٧) .

وقال السيد هاشم الحسني في كتابه (سيرة المصطفى : ٢٢) «ذلك -ويقصد به خبر اخدود اليمنى- جاء في بعض التفاسير ولكن لا تؤكد التفاسير الموثوقة، وليس بعيداً أَنْ يكون من الاسرائيليات التي أدخلها كعب الأخبار وأمثاله» .

من هنا يظهر أَنَّ السيد الحسني ساعده الله لم يحسن النظر في روايات أخبار القصة ، والأفليس في طريق أي رواية من أخبارها كعب الأخبار وأمثاله ، نعم إحدى روايات ابن إسحاق تنتهي الى وهب بن منبه اليماني ، وهو مثل كعب الأخبار ، ولكن هذا الخبر لا يتناسب أن يعدّ من الاسرائيليات ، فأنه ليس لصالح بني إسرائيل واليهود بل لصالح النصارى على اليهود ، فكيف يكون من الاسرائيليات ؟ !

اليهودية والدخول فيها، فأبوا عليه، فجادهم وحرص الحرص كله فأبوا عليه وامتنعوا من اليهودية والدخول فيها واختاروا القتل فخذّ لهم اخدوداً جعل فيه الحطب وأشعل فيه النار، فمنهم من أحرق بالنار ومنهم من قتل بالسيف، ومثّل بهم كلّ مُثْلَة. فبلغ عدد من قتل وأحرق بالنار عشرين ألفاً.

وأفلت منهم رجل يدعى دوس ذو ثعلبان على فرس له^(١). -أو جبار، أو حيار، أو حيّان، ابن فيض، أو قيض^(٢) - حتّى قدم على صاحب الروم فأخبره بما بلغ ذو نؤاس منهم، واستنصره عليه. فقال له قيصر: بعدت بلادك من بلادنا ونأت عناً، فلا تقدر على أن نتناولها بالجنود، ولكنّي سأكتب لك الى ملك الحبشة -فأنّه على هذا الدين وهو أقرب الى بلادكما منّا- فينصرك. وكتب معه قيصر الى ملك الحبشة يأمره بنصرهم على من بغى عليهم. هذا على رواية ابن إسحاق^(٣).

وعلى رواية هشام الكلبي: قدم على ملك الحبشة رأساً، ومعه إنجيل قد أحرقّت النار بعضه، فأعلمه ما ركبه ذو نؤاس منهم. فقال له: الرجال عندي كثير وليست عندي سفن، وأنا كاتب الى قيصر أن يبعث اليّ بسفن أحمل فيها الرجال. فكتب الى قيصر بذلك وبعث اليه بالإنجيل المحرّق. فبعث إليه قيصر بسفن كثيرة^(٤).

(١) تفسير القميّ ٢ : ٤١٤ ط النجف الأشرف .

(٢) الطبري ٢ : ١٣٧ .

(٣) الطبري ٢ : ١٢٤ .

(٤) الطبري ٢ : ١٢٤ .

فوجه النجاشي الى اليمن أربعة آلاف رجل عليهم أرباط بن
أصحمة^(١) فعبرت الحبشة الى اليمن من بلاد ناصع والزَّيلع - وهو ساحل
الحبشة - الى بلاد غلافقة من ساحل زبيد من أرض اليمن^(٢) وعرض البحر
بين الساحلين : مسيرة ثلاثة أيام، وهو أقل المواضع في البحر عرضاً، وبين
الساحلين جزيرة الى جانب الحبشة تسمى سقطرة، وأخرى الى جانب اليمن
تسمى العقل^(٣).

فسار إليهم ذو نؤاس، فلما التقوا افترق قومه وانهمزوا بعد حروب
طويلة، فلما رأى ذو نؤاس ضرب فرسه فاقتحم به البحر فأغرق نفسه
خوفاً من العار^(٤).

وهو الذي أخبر الله تعالى عنه في كتابه فقال : ﴿ قتل أصحاب
الأخدود النار ذات الوقود إذ هم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين
شهود ومانقمو منهم إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد الذي له ملك
السموات والأرض والله على كل شيء شهيد ﴾^(٥).

(١) الطبري ٢ : ١٣٢ بخمسة أسانيد عن ابن عباس وعطاء بن يسار وغيرها. وذكر
العدد عن الكلبي وابن إسحاق سبعين ألفاً والأول أوفق بوسائط النقل القديمة قطعاً،
والثاني أبعد جداً. أما الاسم : أرباط بن أصحمة، فهو كما في تهذيب سيرة ابن هشام
١ : ٢٤ ومروج الذهب ٢ : ٥٢، وفي اليعقوبي ١ : ٢٠٠ : أرباط فقط.

(٢) مروج الذهب ٢ : ٥٢.

(٣) مروج الذهب ١ : ٤٣٩.

(٤) تهذيب سيرة ابن هشام ١ : ٢٤ واليعقوبي ١ : ١٩٩ ومروج الذهب ٢ : ٥٢.

(٥) البروج ٤ : ٩. وورد خبره في سيرة ابن هشام عن ابن إسحاق ١ : ٣٧. وفي
الطبري عنه أيضاً ٢ : ١٢٣، وعن هشام الكلبي ٢ : ١٩. واليعقوبي ١ : ٢٠٠.

أرباط أو أبرهة:

روى ابن هشام^(١) والطبري^(٢) عن ابن إسحاق، وعن غيره بخمسة طرق^(٣) واليعقوبي^(٤) والمسعودي^(٥): أنَّ الذي بعثه النجاشي على الأحباش إلى اليمن هو أرباط بن أصحمة. وأَنَّهُ أقام باليمن في سلطانه سنين، ثُمَّ نازعه في أمر الحبشة باليمن أبرهة الحبشي، وكان في جنده، حتَّى تفرقت الحبشة عليها، فأنحاز إلى كلِّ واحدٍ منها طائفة منهم، واستعدوا للحرب بينهم^(٦). وروى الطبري بالطرق الخمسة: أنَّ أرباط لما غلب على اليمن أعطى الملوك -ويعني بهم شيوخ العشائر والقبائل اليمنية- واستذل الفقراء. فقام رجل من الحبشة يقال له: أبرهة أبو يكسوم، فدعا إلى طاعته فأجابوه، فقاتل أرباط^(٧).

وروى عن هشام الكلبي: أنَّ النجاشي لما بلغه ماكان من ذي نواس جهَّز إليه سبعين ألفاً عليهم قائدان: أحدهما أبرهة -ولم يذكر الآخر- فلما

والمسعودي ٢: ٥١. وكان هذا بدء نفوذ الأحباش النصاري في اليمن وتهامة

وماجاورها سنة ٥٢٥ م.

(١) سيرة ابن هشام ١: ٤١.

(٢) الطبري ٢: ١٢٥.

(٣) الطبري ٢: ١٣٧.

(٤) اليعقوبي ١: ١٧٣.

(٥) مروج الذهب ٢: ٧٨.

(٦) الطبري ٢: ١٢٨.

(٧) الطبري ٢: ١٣٧.

صاروا الى صنعاء ورأى ذو نواس أن لا طاقة له بهم ركب فرسه واقتحم البحر فكان آخر العهد به ذلك . وأقام أبرهة ملكاً على اليمن، ولكنه لم يبعث الى النجاشي بشيء فقيل للنجاشي: إنه قد خلع طاعتك ورأى أنه استغنى بنفسه عنك . فوجه إليه جيشاً عليه رجل من أصحابه يقال له: أرياط فلما حلّ بساحته بعث إليه أبرهة: أنه يجمعني وإياك البلاد والدين، والواجب عليّ وعليك أن ننظر لأهل بلادنا وديننا ممن معي ومعك، فإن شئت فبارزني، فأيتنا ظفر بصاحبه كان الملك له، ولم تقتل الحبشة فيما بيننا؟! فرضي أرياط بذلك، فاتعدوا موضعاً يلتقيان فيه .

وعزم ابرهة على المكر بأرياط فأكمن له عبداً له يقال له: ارنجدة، في وهدة قريبة من الموضع الذي التقيا فيه، فلما التقيا سبق أرياط فطعنه بحربته يريد رأسه، وزالت الحربة عن رأس ابرهة ولكنها شرمت أنفه، فلُقب بالأشرم من ذلك . ونهض ارنجدة من الحفرة فزرق بحربته المزراق رأس أرياط فأنفذها فيه فقتله بها . وكتب الى النجاشي بما رضي به عنه وأقره على عمله^(١).

أصحاب الفيل:

روى الطبري بالطرق الخمسة عن ابن عباس وعطاء بن يسار وغيرهما: أن أبرهة الأشرم أبا يكسوم لما غلب على اليمن رأى الناس أيام الموسم يتجهزون للحج الى البيت الحرام، فسأل: أين يذهب هؤلاء الناس؟ قالوا: يحجّون الى بيت الله بمكة، قال: ممّ هو؟ قالوا: من حجارة، قال:

(١) الطبري ٢: ١٢٨ وعن ابن إسحاق ٢: ١٢٩ .

فما كِسوته؟ قالوا: ما يُذهب به إليه من ها هنا من الوسائل، فقال: قسماً بالمسيح لأبنيّن لكم خيراً منه!

فبنى لهم كنيسة عملها بالرخام الأسود والأصفر والأبيض والأحمر، وحلّاه بالذهب والفضة، وحفّها بالجواهر، وجعل لها أبواباً عليها صفائح الذهب، وجعل لها حجاباً، كانوا يلطّخون جدرها بالمسك ويوقدون فيها بالمندل (او الصندل، وهو عود هندي طيّب الرائحة لاسيّما عند الاحتراق) وأمر الناس أن يحجّوا إليها فحجّ إليها كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيه رجال يتعبّدون ويتألّهون ويتنسّكون له^(١) وروي عن ابن إسحاق: أنّه سمّاها «القلّيس»^(٢) أي البناء المرتفع كالقُبلة^(٣).

وروى الشيخ الطبرسي في (مجمع البيان) عن محمد بن إسحاق قال: إنّ إبرهة أبا يكسوم بنى بيتاً باليمن وجعل لها قباباً من ذهب وأمر أهل مملكته بالحج إليها يضاهي بها البيت الحرام.

فخرج رجل من بني كنانة حتّى قدم اليمن فقعد فيها -يعني لحاجة الانسان- فدخلها ابرهة فوجد العذرة بها فقال: من اجترأ عليّ بهذا؟ فقيل له في ذلك فقال: ونصرانيّ لأهدمنّ ذلك البيت حتّى لا يحجّه حاجّ أبداً! وأذن قومه ومن اتبعه من أهل اليمن بالخروج، فتتبّعه ناس أكثرهم من عك والأشعريين وخنعم، فخرج يحثّ السير حتّى أتى الطائف فطلب

(١) الطبريّ ٢ : ١٣٧ .

(٢) الطبريّ ٢ : ١٣٠ .

(٣) قاله السهيلي في: الروض الأنف في شرح السيرة . وقيل: إنّ ابرهة كان قد جشم أهل اليمن في بنيان هذه الكنيسة أن ينقلوا إليها الحجارة وألرخام من قصر بلقيس على فراسخ .

٢٠٢ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

منهم دليلاً، فبعثوا معه دليلاً من هذيل يقال له: نفيل فخرج بهم يهديهم، حتى إذا كانوا بالمعّس -وهو على ستة أميال من مكة- نزلوا وبعثوا مقدّمهم إلى مكة .

فقال قريش: لا طاقة لنا اليوم بقتال هؤلاء القوم، وخرجوا إلى رؤوس الجبال، ولم يبق بمكة غير عبد المطلب بن هاشم، وأخذ بعضا دقي الباب يقول:

لا همّ إنّ المرء يمنع رحله فامنع حلالك^(١)

لا يغلّبوا بصليهم ومحالهم عدواً محالك^(٢)

أن يدخلوا البيت الحرام إذا فأمر ما بدالك^(٣)

وروى الشيخ المفيد في (الأمالي) بسنده عن الصادق عليه السلام عن أبيه عن جدّه قال: لما قصد أبرهة بن الصباح ملك الحبشة مكة لهدم البيت تسرعت الحبشة فأغاروا عليها وأخذوا سرحاً لعبد المطلب بن هاشم، فجاء عبد المطلب إلى الملك فاستأذن عليه فأذن له، وهو في قبة ديباج على سرير له، فسلم عليه فردّ أبرهة السلام وجعل ينظر في وجهه فراقه حسنه وجماله وهيئته، فقال له: هل كان في آبائك هذا النور والجمال الذي أراه لك؟

(١) الحلال بالكسر جمع الحلة: القوم النزول فيهم كثرة .

(٢) المحال بالكسر: القوة والشدة .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٥٤٠ - ٥٤٢ باختصار وفي سيرة ابن هشام: إنّ كنت تاركهم وقبلتنا فامر ما بدالك . وقد روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: يبعث عبد المطلب أمة وحده عليه بهاء الملوك وسياء الأنبياء، وذلك أنّه أوّل من قال بالبداء، وذلك .. أنّه أخذ بحلقة باب الكعبة وجعل يقول: يا ربّ إنّ نهلك فامر ما بدالك . (اصول الكافي ١ : ٤٤٧ ط آخوندي).

قال : نعم أيها الملك كلّ آبائي كان لهم هذا النور والجمال والبهاء ! فقال له ابرهة : لقد فقتم الملوك فخراً وشرفاً ويحق أن تكون سيد قومك ! ثمّ أجلسه معه على سريره ...

ثمّ قال لعبد المطلب : فيم جئت ؟ فقد بلغني سخاؤك وكرمك وفضلك ، ورأيت من هيئتك وجمالك وجلالك ما يقتضي أن انظر في حاجتك ، فسلني ماشئت .

فقال له عبد المطلب : إنّ أصحابك عدوا على سرح لي فذهبوا به فبرهم برده !

فتغيظ الحبشي من ذلك وقال لعبد المطلب : لقد سقطت من عيني ! جئتني تسألني في سرحك وأنا قد جئت لهدم شرفك وشرف قومك ، ومكرمتكم التي تتميزون بها من كلّ جيل ، وهو البيت الذي يحجّ اليه من كلّ صقع في الأرض ، فتركت مسألتي في ذلك وسألتني في سرحك ! فقال له عبد المطلب : لست برّب البيت الذي قصدت لهدمه ، وأنا ربّ سرحي الذي أخذه أصحابك ، فجئت أسألك فيما أنا ربّه ، وللييت ربّ هو أمتع له من الخلق كلّهم وأولى به منهم !

فقال الملك : ردّوا عليه سرحه . وانصرف عبد المطلب الى مكّة . ودخل الملك بالفيل الأعظم وكان فيلاً أبيض عظيم الخلقة له نابان مرصّعان بأنواع الدرر والجوهر وقد زين بكلّ زينة حسنة وكان الملك يباهي به ملوك الأرض فدخل ومعه الجيش لهدم البيت ، فكانوا إذا حملوه على دخول الحرم أناخ وإذا تركوه رجع مهرولاً !

فقال عبد المطلب لغلبنه : ادعوا اليّ ابني ... فلمّا جاؤا بعبد الله أقبل إليه وقال : اذهب يا بني حتّى تصعد أبا قبيس ، ثمّ اضرب ببصرك ناحية

البحر فانظر أي شيء يجيء من هناك وخبرني به .
فصعد عبد الله أبا قبيس فما لبث أن جاء طير أباييل مثل السيل
والليل، فجاء عبد الله إلى أبيه فأخبره الخبر . فقال : انظر يا بني ما يكون
من أمرها بعده ، فاخبرني به . فنظرها فإذا هي قد أخذت نحو عسكر
الحبشة ، فأخبر عبد المطلب بذلك ، فخرج عبد المطلب وهو يقول : يا أهل
مكة اخرجوا الى المعسكر فخذوا غنائمكم !

فخرجوا ينظرون الى الطير فإذا ليس من الطير الا ومعه ثلاثة
أحجار : في منقاره ورجليه يقتل بكل حصة واحداً من القوم . فلما أتوا
على جميعهم انصرف الطير ، ولم يُرَ قبل ذلك الوقت ولا بعده . وأتوا
العسكر فإذا هم أمثال الحشب النخرة^(١) .

وروى الكليني في (روضة الكافي) والصدوق في (علل الشرائع)
بسندهما عن الباقر عليه السلام قال : أرسل الله عليهم طيراً جاءتهم من قبل
البحر ... مع كل طير ثلاثة أحجار : حجران في مخالبه وحجر في منقاره ،
فجعلت ترميهم بها حتى جدّرت أجسادهم ، فقتلهم الله عز وجل بها .
وما كانوا قبل ذلك رأوا شيئاً من ذلك الطير ولا شيئاً من الجدري^(٢) .

وقال القمي في تفسيره : كانت الطيور ترفرف على رؤوسهم وترمي
أدمغتهم ، فيدخل الحجر في دماغهم ويخرج من أذبارهم فتنتقض أبدانهم ،
فكانوا كما قال الله تعالى كالعصف المأكول وهو التبن الذي أكل بعضه وبقي

(١) امالي المفيد : ١٨٤ ط النجف ، و ٣١٢ ط غفاري . والبحار ١٥ : ١٣٠ نقلاً عنه

وعن مجالس ابن الشيخ الطوسي : ٥٠ .

(٢) روضة الكافي : ٨٤ ط طهران ، وعلل الشرائع : ١٧٦ ط طهران .

بعضه . ثم روى عن الصادق عليه السلام : أن أصل الجدري من ذلك الذي أصابهم في زمانهم^(١) .

وروى الشيخ الطبرسي في (مجمع البيان) عن العياشي بإسناده إلى هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام قال : أرسل الله على أصحاب الفيل طيراً مثل الخطاف أو نحوه، في منقاره حجر مثل العدسة، فكان يحاذي برأس الرجل فيرميه بالحجر فيخرج من دبره، فلم تزل بهم حتى أتت عليهم^(٢) . وفي خبر الصدوق في (علل الشرائع) بسنده عن الصادق عليه السلام قال : ومن أفلت منهم انطلقوا حتى بلغوا حضرموت - واد بالين - فأرسل الله عليهم سيلاً فغرقهم، فلذلك سمي حضرموت حين ماتوا فيه^(٣) .

وروى الطبري بخمسة طرق : أن الطير أقبلت من البحر أبابيل، مع كل طير منها ثلاثة أحجار : حجران في رجليه وحجر في منقاره، فقدفت الحجارة عليهم، لاتصيب شيئاً إلا هشمته، وإلا نطت ذلك الموضع، فكان ذلك أول ما كان الجدري والحصبة والأشجار المرة، فأهدتهم الحجارة، وبعث الله سيلاً فذهب بهم فألقاهم في البحر^(٤) .

قال المسعودي : وكان قدومه مكة يوم الأحد لسبع عشرة ليلة خلت من المحرم^(٥)، وكان ملك أبرهة على اليمن إلى أن هلك ثلاثاً وأربعين سنة،

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٤٢ .

(٢) مجمع البيان ١٠ : ٥٤٠ - ٥٤٢ .

(٣) علل الشرائع : ١٧٦ ط طهران .

(٤) الطبري ٢ : ١٣٨ وعن ابن إسحاق . ورواه ابن هشام في السيرة عنه أيضاً ١ :

٥٦ .

(٥) مروج الذهب ٢ : ٥٤ ط بيروت .

لأربعين سنة من ملك كسرى، قبل مولد رسول الله بخمسين يوماً^(١).
قال ابن إسحاق: ولما ردّ الله الحبشة عن مكّة وأصابهم بما أصابهم
به من النقمة قالت العرب بشأن قريش: إنّهم أهل الله، فقد قاتل الله عنهم
وكفاهم مؤونة عدوّهم، وكان شعراء قريش يفخرون بذلك في شعرهم
كثيراً.

فلما بعث الله تعالى محمداً - صلى الله عليه [وآله] وسلّم - جعل قصّة
اصحاب الفيل ممّا يحدّثه على قريش من نعمته وفضله عليهم^(٢) فقال تعالى
﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ وَأَرْسَلَ
عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾.

قال ابن هشام: الأبايل: الجماعات، وأما السجّيل، فقد ذكر بعض
المفسّرين: أنّهما كلمتان بالفارسية: سنج يعني الحجر، وجلّ يعني الطين،
جعلتهما العرب كلمة واحدة تعني الحجارة من هذين الجنسين: الحجر
والطين، وهي حجارة شديدة صلابة. والعصف المأكول هو ورق الزرع الذي
لم يقصّب^(٣) أي أصابته آكلة الديدان فأكلت بعضه وبقي بعضه الآخر.

بينما رجّح الشيخ محمد عبده في تفسيره: أنّ الطير الذي ورد في الآية
الكريمة من الجائز أنّ يكون من نوع البعوض أو الذباب الذي يحمل جراثيم
بعض الأمراض الفتّاكة، وأن تكون تلك الحجارة من الطين المسموم الذي

(١) مروج الذهب ٢: ٥٣ و ٢٧٤ ط بيروت.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٥٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ٥٥، ورواه الطوسي في التبيين ١٠: ٤١١ وعنه في مجمع البيان

٥: ٢٨١ عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

تحمله الرياح يتعلق بأرجل تلك الطيور، فإذا أصاب إنساناً انتقل المكروب الى جسده، فأحدث فيه بعض الجروح، وبالتالي ينتهي الى فساد الجسم ! ولا نجد نحن وجها لهذا التفسير بل التأويل مادام القرآن ينص على أنها طيور مرسلة بالحجارة. نعم أصيىوا بها بالجُدري فأتوا به كما مرّ في الخبر عن الصادق عليه السلام .

وما أحبّ أن أعرض لتأويل هذه الطير الأبايل التي رمت الحبشة بحجارة من سجيل فجعلتهم كعصفٍ مأكول لأني أوتر دائماً أن أقبل النصّ وأفهمه كما قبله وفهمه المسلمون الأوّلون حين تلاه النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلّم^(١) .

وكانت هذه القصة في الفترة بين عيسى ونبينا -على نبينا وآله وعليه السلام- وقبل بعثته بأربعين عاماً، في عام ميلاده ﷺ، فالفترة كانت فترة شريعة عيسى عليه السلام وهؤلاء كانوا نصارى، ولكنهم كانوا منحرفين فيها عن الحق، وعملهم هذا لم يكن حرباً مع المشركين لردعهم عن شركهم ودعوتهم الى شريعة عيسى عليه السلام، بل كان هدماً لبيت إبراهيم عليه السلام بل بيت الله، ولم يكن هذا من شريعة عيسى عليه السلام بل خروجاً عنه وبغياً وعدواناً وطغياناً وعُتواً فلذلك أهلكوا.

دخول الفرس المجوس الى اليمن:

وكان من ظلم أبرهة أن بعث الى أبي مرة يوسف بن ذي يزن وكان من أشرف الين فزاع منه امراته ريحانة بنت ذي جدن، وكانت ذات جمال

(١) امرأة الإسلام لطف حسين : ٢٩ .

وقد ولدت لأبي مرّة معديكرب، فولدت لأبرهة: مسروق بن أبرهة.
وهرب أبو مرة سيف بن ذي يزن^(١).

فروى الطبري عن الكلبي: أنّ أبا مرّة سيف بن ذي يزن خرج من
اليمن فلحق بعمر بن المنذر من ملوك بني المنذر بالحيرة، فسأله أن يكتب
له إلى كسرى كتاباً يعلمه فيه بقدره وشرفه وما فزع إليه فيه. فقال عمرو:
لا تعجل، فإنّ لي عليه في كلّ سنة وفادة، وهذا وقتها.

فأقام قتله حتّى وفد عليه معه، فدخل عمرو بن المنذر على كسرى
فذكر له شرف ذي يزن وحاله، واستأذن له. فأذن له كسرى. فدخل،
فأوسع عمرو له فلماً رأى كسرى ذلك عرف شرفه وقد كان ابن ذي يزن
قال قصيدة بالحميرية في مدح كسرى، فلماً ترجمت له أعجب بها، فأقبل
عليه ولطف به وسأله: ما الأمر الذي نزع بك؟ قال: أيها الملك! إنّ
السودان قد غلبونا على بلادنا وركبوا منّا اموراً شنيعة أجلّ الملك عن
ذكرها، فلو أنّ الملك تناولنا بنصره من غير أن نستنصره لكان بذلك حقيقاً
لفضله وكرمه وتقدّمه على سائر الملوك، فكيف وقد نزعنا اليه مؤمّلين له،
راجين أن يقسم الله عدوّنا وينصرنا عليهم وينتقم لنا به منهم! فان رأى
الملك أن يصدّق ظنّنا ويحقّق رجاءنا، ويوجه معي جيشاً ينفون هذا العدو
عن بلادنا فيزدادها إلى ملكه فعل، فإنّها من أخصب البلدان وأكثرها خيراً،
وليست كما يلي الملك من بلاد العرب.

فقال انوشيروان: قد علمت أنّ بلادكم كما وصفت، فأبى السودان
غلبوا عليها: الحبشة أم السند؟ قال ابن ذي يزن: بل الحبشة.

(١) الطبري ٢: ١٣٠ عن ابن اسحاق و١٤٢ عن هشام الكلبي وعنه سائر الحديث.

قال أنوشيروان : اني لاحبّ أنْ أصدّق ظنّك وأنْ تنصرف بحاجتك ، ولكنّ مسلك الجيش الى بلادك مسلك صعب أكره أنْ أغرر جندي به ، وسأنظر فيما سألت .

فلم يزل مقيماً عنده حتى هلك .

ونشأ معديكرب بن ذي يزن مع أمّه ريحانة في حجر أبرهة ، وأخبرته أمّه أن أباه هو سيف بن ذي يزن ، واقتصّت عليه خبره ، فلبث حتى مات الأشرم ومات ابنه يكسوم ، وتملّك اخوه مسروق ، فخرج ابن ذي يزن الى ملك الروم ، ولم يذهب الى كسرى لابطائه عن أبيه ، ولكنّه وجد قيصر أو هرقل لموافقته للحبشة في دينهم يحامي عنهم ، فانكفاً راجعاً الى كسرى ، فاعترضه يوماً - وقد ركب - فصاح به : أيّها الملك انّ لي عندك ميراثاً ! فدعا به كسرى وقال : من أنت ؟ وما ميراثك ؟ قال : أنا ابن الشيخ اليماني ذي يزن الذي وعدته أنْ تنصره فمات بحضرتك ، فتلك العدة حق لي وميراث يجب عليك الخروج لي منه . فقال له : أقم حتى أنظر في أمرك .

ثم إنّ كسرى استشار وزراءه في توجيه الجند معه ، فقال المؤبدان^(١) إنّ لهذا الغلام حقاً بوعدك لأبيه وموته ببابك وفزع هذا اليك . وفي سجون الملك رجال ذووا نجدة وبأس ، فلو أنّ الملك وجّههم معه ، فإنّ أصابوا ظفراً كان له ، وإنّ هلكوا كان قد استراح وأراح أهل مملكته منهم ، ولم يكن ذلك ببعيد عن الصواب .

قال كسرى : هذا الرأي . وأمر بمن كان في السجون من هذا الضرب

(١) لقب عالم المجوس ، ومن هنا يظهر أنّ الاستشارة كانت استفتاء شرعياً : هل يجب عليه شيء أو لا ؟

أن يحصوهم، فأحصوا فبلغوا ثمانمائة نفر، ففوّد عليهم قائداً من أساورته^(١) يقال له: وهرز -أو بهروز- كانوا يعدلون به بألف أستوار، وقوّاهم وجهّزهم وأمر بحملهم في ثمانى سفن في كلّ سفينة مائة رجل.

فركبوا البحر ففرقت من السفن الثمانية سفينتان، وسلمت ست سفن، وخرجوا بساحل حضرموت، فنزل وهرز على سيف البحر فجعل البحر وراء ظهره. ولحق بمعديكرب بن سيف بشر كثير.

وسار اليهم مسروق في مائة ألف من الحبشة وحمير والأعراب فلما نظر مسروق الى قلعة من مع وهرز أرسل إليه: ماجاء بك وليس معك إلا من أرى، ومعى من ترى؟ قد غرّرت بنفسك وأصحابك، فإن أحببت أدّنت لك فرجعت الى بلادك، وإن أحببت أجّلتك حتى تشاور أصحابك وتنظر في أمرك، وإن أحببت ناجزتك الساعة.

ورأى وهرز أنّه لا طاقة له بهم، فأرسل الى مسروق: بل تضرب بيني وبينك أجلاً، وتعطينى موثقاً وعهداً ألا يقاتل بعضنا بعضاً حتى ينقضي الأجل ونرى رأينا. ففعل مسروق ذلك.

وأقام كلّ واحد منهما في عسكره حتى مضت عشرة أيام، وكان مع وهرز ابنه، فخرج ذات يوم على فرس له حمله الى عسكرهم فقتلوه. فلما لم يبق من الأجل إلا يوم واحد أمر بالسفن التي كانوا فيها فأحرقت، وأمر بما كان معهم من فضل كسوة فأحرق ولم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم، ثم أمر بفضل الزاد فألقى في البحر، ثمّ قام فيهم خطيباً فقال: أمّا ما حرقت

(١) جمع الاسوار، وهو كما يقال اليوم في الفارسية: الاستوار، رتبة من الرتب العسكرية.

من سفنكم فإني أردت أن تعلموا أنه لا سبيل إلى بلادكم أبداً، وأما ما حرّقت من ثيابكم فإنه كان يغيظني إن ظفرت بكم الحبش أن يصير ذلك إليهم، وأما ما ألقيت من زادكم في البحر فأني كرهت أن يطعم أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوماً واحداً بعد اليوم، فإن كنتم قوماً تقاتلون معي وتصبرون فأعلموني ذلك. فقالوا: نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا أو نظفر!

فلما كان صبح اليوم الذي انقضى فيه الأجل عبأ أصحابه وأقبل عليهم يحضّمهم على الصبر. وأمرهم أن يوتروا ويعدّوا قسيهم، ولم يكن لليمنيين نشاب قبل ذلك اليوم، فقال لأصحابه: إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقاً بالبنجكان^(١).

وأقبل مسروق في جمع لا يرى طرفاه طويلاً يميناً ويساراً، وهو على فيل وعلى رأسه تاج وبين عينيه ياقوتة حمراء مثل البيضة. ثم نزل من الفيل فركب فرساً، فأخرج وهرز نشابة فوضعها في كبد قوسه وقال لهم: ارموا، فرموا، ورمى مسروقاً في جبهته فسقط عن دابته، وقتل من ذلك الرشق الواحد جماعة كثيرة من جيش الأحباش، ولما رأوا أصحابهم مسروقاً صريعاً انفضوا، حتى كان الاستوار يأخذ من الحبشة ومن حمير والأعراب الخمسين والستين فيسوقهم مكثّفين لا يمتنعون منه، ولكن وهرز قال لهم: اقصدوا قصد السودان فلا تبقوا منهم أحداً أمّا حمير والأعراب فكفّوا عنهم، فقتل أكثر الحبشة، وغنم الفرس من عسكرهم ما لا يعدّ

(١) كلمة فارسية من پنج بمعنى الخمسة، تعني: النشاب ذو شعب خمسة من النصال الحديدية.

ولا يحصى كثرة .

وأقبل وهرز حتى دخل صنعاء وفرّق عماله في مخاليف اليمن فغلب على البلاد^(١) وكان ذلك سنة ٥٧٥ م^(٢).

قال المسعودي: فتوّج وهرز: معديكرب بن سيف بتاج كان معه والبسة بدنة^(٣) وقفاّزات من الفضة ورثبه في ملكه على اليمن وكتب بالفتح الى أنوشيروان .

وأّت معديكرب الوفود تهنئه بعود الملك اليه، من أشراف العرب وزعمائها، وفيهم: عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد، وأبو الصلت الثقفي، فدخلوا اليه وهو في أعلى قصره بمدينة صنعاء، المعروف بغمدان^(٤) وعلى يمينه ويساره أبناء المقاول والملوك .

فتقدم عبد المطلب بن هشام فتمدّحه، فرحّب بهم معديكرب بن سيف .

وأقام معديكرب ملكاً على اليمن، واصطنع عبيداً من الحبشة يمشون

(١) الطبري ٢ : ١٤٢ - ١٤٧ .

(٢) سيرة المصطفى : ٢٣ .

(٣) البدنة هنا : شيء شبه الدرع إلا أنّها تصير قدر البدن فقط .

(٤) غمدان كعثان، قصر باليمن بناه يشرخ بن يحصب على أربعة وجوه : أحمر وأبيض وأصفر وأخضر، وبني في داخله قصرًا بسبعة سقوف بين كل سقوفين أربعون ذراعاً، وجعل في أعلاه مجلساً بناه بالرخام الملون وجعل سقفه رخامة واحدة، وجعل على كل ركن من أركانه تمثال أسد من شبه كانت الريح تدخل في دبره وتخرج من فيه فيسمع له صوت كالزئير، وخربه عثمان بن عفّان قاله المسعودي وقال : رأيته قد انهدم بنيانه وصار تلاً عظيماً من تراب، كأن لم يكن . مروج الذهب ٢ : ٢٢٩ .

بين يديه بالحراب، فركب في بعض الأيام من باب قصره المعروف بغمدان بمدينة صنعاء، فلمّا صار إلى رحبتها عطفت عليه الحراب من الحبشة فقتلوه بحراهم. وكان ملكه أربع سنين، وهو آخر ملوك اليمن من قحطان، فعدد ملوكهم سبعة وثلاثون ملكاً.

ولما قتلت الحبشة معديكرب في الرحبة بحراهم، كان بصنعاء خليفة لوهرز في جماعة من العجم، ممّن كان ضمهم وهرز إلى معديكرب، فركب وأتى على من كان هنالك من الحبشة وضبط البلد. وكتب بذلك إلى وهرز وهو بباب أنوشيروان الملك^(١) وذلك بمدائن طيسفون من أرض العراق، فاعلم وهرز الملك بذلك، فسيّره في البر في أربعة آلاف من الأساورة وأمره أن لا يبقى على أحدٍ من بقايا الحبشة ولا على جعد قطط الشعر^(٢) شرك السودان في نسبه. فأتى وهرز اليمن حتّى نزل في صنعاء فلم يترك بها أحداً من السودان إلّا قتلهم. وملك أنوشيروان وهرز على اليمن إلى أن هلك بصنعاء^(٣).

وعن الكلبي: أنّه لما بلغ أنوشيروان موت وهرز بعث إلى اليمن أستواراً يدعى «وين» وكان جبّاراً مسرفاً، وكان ذلك في آخر ملك أنوشيروان، فلمّا مات أنوشيروان وخلفه ابنه هرمز عزل «وين» واستعمل

(١) مات أبرهة لأربعين من ملك كسرى وملك يكسوم عشرين سنة ثم ملك مسروق ثلاث سنين ثم ملك معديكرب أربع سنين، ومجموع ملك كسرى: ثمان وأربعون سنة، فلا يتم التوفيق بين هذا كله.

(٢) الجعد والقطط: قصر الشعر وفتله.

(٣) مروج الذهب ٢: ٥٧ - ٦٢ ط بيروت.

مكانه المروزان^(١)، فلما ملك ابن هرمز: خسرو پرويز كتب الى المروزان: أن استخلف من شئت وأقبل الي، فاستخلف المروزان ابنه خور خسرو على اليمن وسار فأتى الطريق وحمل الى خسرو پرويز، ثم بلغ خسرو پرويز أن خور خسرو يتأدب بأداب العرب ويروي أشعارهم فعزله وولى بمكانه بادان، وهو آخر من قدم من ولاية العجم^(٢).

وذكر المسعودي مساحة اليمن وحدوده فقال: وبلد اليمن طويل عريض، حده ممّا يلي مكّة الى الموضع المعروف بطلحة الملك سبع مراحل - والمرحلة من خمسة فراسخ الى ستة - ومن صنعاء الى عدن تسع مراحل، ومن وادي وحاً الى ما بين مفاوز حضرموت وعمان عشرون مرحلة، والوجه الآخر هو بحر اليمن وهو بحر الهند والصين والقلزم، وجميع ذلك يكون: عشرين مرحلة في ست عشرة مرحلة^(٣).

(١) الطبري ٢: ١٧١ وأظنّ أن اسمه: المهورزان وكان ملك كسرى انوشيروان ثمانياً وأربعين سنة كما في الطبري ٢: ١٧٢.

(٢) الطبري ٢: ٢١٥ وجاء أسمه في الطبري ٣: ٢٢٧: بادام، وهو الراجح حسب المعنى في الفارسية، وهو الذي بعث رسول الله ﷺ على عهده، وفي آخر السنة السادسة للهجرة بعث رسول الله الى خسرو پرويز كتاباً يدعوه فيه الى الاسلام، فغضب خسرو پرويز وبعث الى بادام هذا بأن يرسل إليه رسول الله مقيداً، وبعث بادام رجالاً الى المدينة فأخبرهم رسول الله بهلاك خسرو پرويز فقتلوا ذلك ولما رجعوا الى اليمن ووصل الرسول بهلاك خسرو پرويز أسلم بادام ومن معه من أبناء الفرس في اليمن وبعثوا باسلامهم الى رسول الله، فأقرّه رسول الله على عمله فكان عليه حتى توفي رسول الله ﷺ. راجع سيرة ابن هشام ٢: ٧١.

(٣) مروج الذهب ٢: ٦٤ ط بيروت.

وذكر اليعقوبيّ سواحل اليمن وهي: عدن ساحل صنعاء، والمنذب، وغلافقة، والحردة، والشرجة، وعثر، والحمضة، والسرين، وحدة (أو الحديدية) وقال: وتسمّى كور اليمن: الخاليف، وهي: أربعة وثمانون مختلفاً. ثمّ أتى باسمائها وقال: هذه بلدان مملكة اليمن وبلادها. وكان ملوك اليمن في صدر عهدهم يدينون بعبادة الأصنام، ثمّ إنّ احباراً من اليهود صاروا اليهم (مع تتبّ تبان أسعد) فعلموهم دين اليهودية فدأبوا بدين اليهود وتلوا التوراة. ولم يكونوا يتجاوزون اليمن إلّا أنّهم ربّما أغاروا على بعض البلدان فيرجعون إلى بلادهم ودار ملكهم^(١).

أسواق العرب:

وكانت للعرب في اليمن وغيره أسواق يجتمعون بها في تجارتهم، ويأمنون فيها على دمايتهم وأموالهم بخفارة خاصّة: فمنها سوق «عدن» كان يقوم في أوّل يوم من شهر رمضان وكان بخفارة الأبناء - أي أبناء الفرس حكام اليمن - وهم كانوا يعشرونهم بها لقاء خفارتهم لهم، ومنها كان يحمل الطيب إلى سائر الآفاق.

ثمّ سوق «صنعاء» كان يقوم في النصف من شهر رمضان بخفارة

(١) اليعقوبي ١: ٢٠٠، ٢٠١. وقد علّقنا على هذا سابقاً بمعارضته لنقل القرآن الكريم بأنّ الهدد أخبر سليمان بن داود عنهم بقوله ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ... وَإِنِّي وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وإن بلقيس قالت ﴿إِنِّي اسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ونقل المؤرخون أنّ سليمان بن داود حكم اليمن عشرين عاماً ثمّ ملكها ابنه أرحبهم بن سليمان، وإن بلقيس كانت قبل تتبّ تبان الأسعد بعشرة ملوك في سبعمائة سنة قريباً. فأظن الخبر هذا من الاسرائيليات.

الأبناء أيضاً.

ثمّ سوق «الرايبة» بمضرموت، ولم يكن يوصل إليها إلاّ بخفارة خاصّة، لأنها لم تكن أرض مملكة، فكان من عزّها بزّ، وكانت الخفارة فيها لكندة.

ثمّ سوق «عكاظ» بأعلى نجد، كان يقوم في شهر ذي القعدة، وكان أكثر من يحضرها من مضر وسائر قريش وقليل من سائر العرب، وبها كانت مفاخرات العرب ومهادناتهم بعد حملاتهم - أي دياتهم.

ثمّ سوق «ذي المجاز» يرتحلون منها إلى مكّة للحج. ومنها «دومة الجندل» كان يقوم في شهر ربيع الأول، وكانت بين بني كلاب والغساسنة أيّهم غلب قام بها.

ثمّ سوق «المشقر» في مدينة هَجَرَ، كانت في جُمادى الأولى، يقوم بها بنو تميم.

ثمّ سوق «صحار» كان يقوم في أوّل يوم من رجب، ولم تكن بحاجة إلى الخفارة لأنّها في الشهر الحرام.

ثمّ سوق «ريّا» بخفارة آل الجلندي وهو كان يعشّروهم بها لذلك. ثمّ سوق «الشُحْر» شُحْرُ مُهْرَه، في ظلّ الجبل الذي عليه قبر هود النبي ﷺ، وكان يقوم بها بنو مهرة بلا خفارة خاصّة.

وكان في العرب قوم يحضرون هذه الأسواق فيستحلّون بها المظالم، ولذلك كانوا يسمّون (المحلّون)^(١) كانوا من قبائل أسد وطيء وبني بكر وبني عامر. وكان من العرب من ينصب نفسه لنصرة المظلوم والمنع من سفك

(١) وبعد الإسلام انتقل هذا الاسم إلى الخوارج.

الدماء وارتكاب المنكر يسمّون (الذّادة المحرّمون) كانوا من بني عمرو بن تميم وبني حنظلة، ومن هذيل، وبني شيبان، وبني كلب، فكان هؤلاء يلبسون السلاح للدفاع عن الناس^(١).

وكانت العرب تقيم الشعر مقام الحكمة والعلم، فإذا كان في القبيلة الشاعر الماهر المميّز الكلام المصيب المعاني أحضره في أسواقهم هذه التي كانت تقوم لهم في السنة حتّى تجتمع العشائر والقبائل فتسمع شعره، ويجعلون ذلك فخراً من فخرهم وشرفاً من شرفهم، وكانوا به يتفاضلون ويتناضلون ويمدحون ويعابون، ويتمثلون ويختصمون. وقد عدّ اليعقوبي عدداً كثيراً من شعرائهم^(٢).

وكان للعرب حكام يتحاكمون إليهم في منازعاتهم وموارثهم ومباهمهم ودمائهم، فكانوا يحكمون أهل الشرف والصدق والأمانة والرئاسة والسّن والمجد والتجربة، إذ لم يكن لهم دين يرجعون الى شرعه. وقد عدّ اليعقوبي عدداً غير قليل من هؤلاء الحكّام القضاة: قضاة التحكيم^(٣).

وكانت أديان العرب مختلفة باختلاف المجاورات لأهل الملل: فدخل قوم من العرب في دين اليهود، ودخل آخرون في النصرانية، وتزندق منهم قوم فقالوا بالثنوية: فأما من تهوّد منهم فان قوماً من الأوس والخزرج بعد خروجهم من اليمن لمجاورتهم يهود خيبر وقريظة والنضير تهوّدوا، وتهوّد قوم من بني الحارث بن كعب وقوم من بني غسان، وقوم من جذام، وإنّ

(١) اليعقوبي ١: ٢٧٠، ٢٧١ ط بيروت.

(٢) اليعقوبي ١: ٢٦٢ - ٢٦٩.

(٣) اليعقوبي ١: ٢٥٨.

تَبَعَ الْيَمَنِي حَمْلَ حَبْرِينَ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَأَبْطَلَ الْأَوْثَانَ وَتَهَوَّدَ مِنْ بَالَيْنِ^(١).
وَأَمَّا مَنْ تَنَصَّرَ مِنْ أَحْيَاءِ الْعَرَبِ: فَقَوْمٌ مِنْ قَرِيْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ عَبْدِ
الْعَزَّى مِنْهُمْ وَرَقَّةُ بْنُ نُوْفَلٍ، وَمِنْ بَنِي تَمِيمٍ، وَبَنِي تَغْلِبَ، وَمِنْ الْيَمَنِ طِيءٌ
وَمَذْحِجٌ وَبَهْرَاءٌ وَسَلِيحٌ وَتَنُوخٌ وَغَسَّانٌ وَلَحْمٌ وَتَزْنَدَقُ جَمْعُ مِنْهُمْ حَجَرُ بْنُ
عَمْرٍو الْكَنْدِيُّ وَغَيْرُهُ^(٢).

وَرَوَى الْكَلْبِيُّ فِي (فُرُوعِ الْكَافِي) بِسَنَدِهِ عَنِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: كَانَ فِي
أَيْدِيهِمْ أَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ مِنْ تَحْرِيمِ الْأُمْهَاتِ وَالْبَنَاتِ وَمَا حَرَّمَ اللَّهُ فِي
النِّكَاحِ، إِلَّا أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْتَحِلُّونَ امْرَأَةَ الْأَبِ وَابْنَةَ الْأَخْتِ وَالْجَمْعَ بَيْنَ
الْأَخْتَيْنِ، وَكَانَ فِي أَيْدِيهِمُ الْحَجُّ وَالتَّلْبِيَّةُ وَالْغَسْلُ مِنَ الْجَنَابَةِ إِلَّا مَا أَحْدَثُوا
فِي تَلْبِيَّتِهِمْ وَفِي حُجَّتِهِمْ مِنَ الشَّرْكِ^(٣).

وَرَوَى أَيْضًا بِسَنَدِهِ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: إِنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى
شَيْءٍ مِنَ الْحَنِيفِيَّةِ: يَصِلُونَ الرَّحِمَ، وَيَقْرُونَ الضَّيْفَ، وَيَحْجُونَ الْبَيْتَ، وَيَتَّقُونَ
مَالَ الْيَتِيمِ، وَيَكْفُونَ عَنْ أَشْيَاءٍ مِنَ الْحَارِمِ مَخَافَةَ الْعُقُوبَةِ، وَكَانُوا يَأْخُذُونَ
مِنْ لَحَاءِ شَجَرِ الْحَرَمِ فَيَعْلِقُونَهُ فِي أَعْنَاقِ الْأَبْلِ فَلَا يَجْتَرِئُ أَحَدٌ أَنْ يَأْخُذَ
مِنْ تِلْكَ الْأَبْلِ حَيْثَمَا ذَهَبَتْ^(٤).

(١) مَرَّ مَفْصَّلُ هَذَا الْخَبَرِ وَعَلَّقْنَا عَلَيْهِ بِأَنَّهُ مُنَافٍ لِمَا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِنْ سَبْقِ الْيَهُودِيَّةِ
إِلَى الْإِسْلَامِ عَلَى عَهْدِ بَلْقِيسَ وَسُلَيْمَانَ أَيُّ قَبْلِ تَبَعَ هَذَا سَبْعَةَ قُرُونٍ.

(٢) الْيَعْقُوبِيُّ ١: ٢٥٤ - ٢٥٧.

(٣) فُرُوعُ الْكَافِي ١: ٢٢٣.

(٤) فُرُوعُ الْكَافِي ١: ٢٢٣.

أولاد معد بن عدنان:

نرجع هنا الى ذكر بقية أخبار مكّة وولادة ألبيت من أولاد عدنان، فنقول: قال اليعقوبي: كان عدنان أول من كسا الكعبة^(١) ونصب أنصاب الحرم بمكّة. وكان أشرف أولاده معدّ ابن عدنان، ولما ضاقت مكّة بهم وخرج كثير من ولد إسماعيل لم يخرج هو منها، وكان له عشرة أولاد، منهم قضاة وبه كان يكتى، وانتقل قضاة بأهله وأولاده الى اليمن وأصبح لهم عدد كثير، فانتسب جميع من كان باليمن من ولد معدّ الى قضاة، وانتمت قضاة الى حمير فحسبوا معهم.

وساد من ولد معدّ نزار بن معدّ فأقام بمكّة فكان سيد بني أبيه وعظيمهم. وأصبح له من الولد أربعة: مضر وإياد وربيعه وأنمار، ولما حضرت نزار الوفاة قسم ميراثه على ولده هؤلاء الأربعة: فأعطى مضر ناقته الحمراء فسّمى مضر الحمراء، وأعطى ربيعة فرسه فسّمى ربيعة الفرس، وأعطى إياد غنمه وكانت برقاء^(٢) فسّمى إياد البرقاء، وأعطى أنماراً جارية له تسمى بجيلة فسّمى بها، وأرتحل أنمار بن نزار الى اليمن فتزوج في بجيلة وختّم، فانتسب ولده الى أخوالهم فمنهم في بجيلة ومنهم في خثعم، فحسبوا معهم.

وصار ربيعة بن نزار الى بطن عرق^(٣) ثمّ كثر ولده وولد ولده

(١) هذا، وقد سبق أن أول من كساه ثبّان أسعد اليمنى، وقبله هاجر ام إسماعيل.

(٢) البرقاء من الشبابة التي في خلال صوفها الأبيض طاقات سود - مجمع البحرين.

(٣) من مواقيت الاحرام ومنازل طريق الحجاز الى العراق، آخر العتيق وأول تهامة عن

فانتشروا حتى أمتلأت بطون وديان الفرات في العراق من جماهير قبائل ربيعة : من عَنَزَة بن أسد، والنَّير بن قاسط وبكر بن وائل بن قاسط، وعجل ابن لجيم، وحنيفة بن لجيم، وتيم بن ثعلبة وقيس بن ثعلبة، وعبد القيس بن أفضى.

ووقع حرب بين بني النمر بن قاسط وعبد القيس فسارت عبد القيس حتى نزلت اليمامة من أرض الين، فكان فيها وفي تهامة جمع من أولاد معد ابن عدنان، فأقبلت إليهم مذحج تريد غزوهم فالتقوا في موضع سлан، فكان الظفر لبني ربيعة بن معد بن عدنان وهزمت مذحج، فسُمِّي «يوم السلان».

وأقبل بنو كندة من اليمنيين لحرب ربيعة أيضاً، وعلى كندة سلمة بن الحارث الكندي، وقد استمد من بعض الملوك لذلك، فالتقوا بموضع خزان، ففضت جموع كندة، فصالحهم سلمة، فسُمِّي «يوم خزان».

ثم تحارب سلمة مع أخيه شرحبيل بن الحارث الكندي، فاقترمت ربيعة فكان بنو عبد القيس مع شرحبيل وسائر ربيعة مع سلمة، فكان لهم العلو على قيس وقتل شرحبيل الكندي، فسُمِّي «يوم الكلاب».

ومن عشائر ربيعة : بنو شيبان وبنو تغلب، وقتل جساس بن مرة الشيباني : كليب بن ربيعة التغلبي، فاشتبكت الحروب بينهم ودامت أربعين سنة سُمِّيَت «حروب البسوس».

وتشارك بنو شيبان وبنو عجل من بني بكر بن وائل من عشائر ربيعة في الدفاع عن هانيء بن مسعود الشيباني أمام جيوش كسرى من

العجم ومن معهم من العرب من بني معد بن عدنان وقحطان مع إياس بن قبيصة الطائي، فالتقوا بذي قار فتحاربوا فهزم بنو عجل وبنو شيبان أولئك، فكان أول يوم انتصرت فيه العرب من العجم في «يوم ذي قار».

وصار إياد بن نزار بن معد بن عدنان إلى اليمامة فولد له أولاد انتسبوا في القبائل، ثم انتقل قسم منهم إلى الحيرة فنزلوا الخورنق والسدير وبارق، وأجلاهم كسرى عن ديارهم فأنزلهم تكريت -مدينة قديمة على شطّ دجلة من أرض الموصل- ثمّ أخرجهم عن تكريت إلى بلاد الروم فنزلوا بأنقرة من أرض الروم، وجماهير قبائلهم: نزار ومالك ويقدم وحقاقة.

وساد من ولد نزار من معدّ: مضر بن نزار فكان سيّد ولد أبيه وكان كريماً حكيماً.

فولد مضر بن نزار: الياس بن مضر وعيلان بن مضر.

فولد عيلان بن مضر: قيس بن عيلان وأصبح العدد والمنعة في ولد قيس، وجماهير قبائلهم: عدوان، وفهم، ومحارب، وباهلة، وفزارة، وسليم، وعامر، ومازن، وسلول، وثقيف، وكلاب، وعقيل، وقشر، والحريش، وعوف. ولقبائل قيس عيلان عشرة حروب مشهورة، منها حرب داحس والغبراء بين فزارة وعبس.

وبان فضل إلیاس بن مضر وشرفه، وظهرت منه امور جميلة حتّى رضوا به رضاً لم يرضوا بأحدٍ من ولد إسماعيل مثله، فأنكر عليهم ماغيروا من سنن آبائهم فردّهم إلى سنن آبائهم حتّى رجعت سنتهم على أولها، فكانت العرب تعظم إلیاس تعظيم أهل الحكمة. وله من الولد: عامر، وعمرو، وعمير، وألقابهم: مدركة، وطابخة، وقبعة.

وولد لطابخة بن الياس : أد بن طابخة، ففترعت من ولده أربع قبائل هي : الرباب، وضبة، ومزينة، وتيم . وأصبح العدد في تيم حتى امتلأ بهم البلاد . فن جهاير قبائلهم : كعب، وحنظلة، وبنو دارم، وبنو زارة، وبنو عمرو بن تيم، وبنو أسد بن تيم، ولهم حروب معروفة^(١).

وكان بنو عمرو بن عامر بن ربيعة قد نزلوا مدينة مأرب باليمن، فلما انهض السد بسيل العرم اعتزلوا سائر ربيعة وانخزعوا إلى مكة فسموا خزاعة لانخزاعهم هذا^(٢) وتزوج منهم قعة بن الياس فانتسب ولده اليهم^(٣).

وكانت حجابة البيت لإياد بن نزار^(٤)، فنازعه عليها مضر، وثار الحرب بينهما وكانت على إياد^(٥) فلما أرادوا الرحيل عن مكة قلعوا الحجر الأسود وحملوه على جمل فلم ينهض فدفنوه وخرجوا، وبصرت بهم امرأة من خزاعة حين دفنوه . فلما بعدت إياد اشتد ذلك على مضر وأعظمه قريش وسائر مضر، فقالت الخزاعية لقومها : اشترطوا على قريش وسائر مضر أن يصيروا اليكم حجابة البيت حتى أدلكم على الركن، ففعلوا ذلك، فلما أظهروا الركن صيروا إليهم الحجابة^(٦) ووليت خزاعة أمر البيت وأول من وليه منهم^(٧) عمرو بن لحي بن قعة بن الياس - فهو من مضر التي انتمت

(١) اليعقوبي ١ : ٢٢٣ - ٢٢٩ .

(٢) مروج الذهب : ٢ : ٢٩ .

(٣) اليعقوبي ١ : ٢٢٣ .

(٤) اليعقوبي ١ : ٢٣٨ .

(٥) مروج الذهب : ٢ : ٢٩ .

(٦) اليعقوبي ١ : ٢٣٨ .

(٧) مروج الذهب : ٢ : ٢٩ .

إلى خزاعة - وهو أول من غير دين إبراهيم عليه السلام^(١).

وولد مدركة بن الياس: هذيلًا، وخزيمة، وغالبًا، وحارثة: وكان العدد منهم في بني سعد بن هذيل، وكانوا فصحاء شعراء أصحاب نجدة وحروب وغارات على تعبير اليعقوبي. وأما حارثة بن مدركة فدرج صغيراً ومات، وأما بنو غالب فانتسبوا في بني خزيمة، لأنه كان يعد له الفضل والسؤدد حتى كان أحد حكام العرب.

فولد خزيمة بن مدركة: أسد، والهون، وكنانة. وانتقل ولد أسد إلى اليمن، وهم: دودان، وكاهل، وعمر، وهند، والصعب، وتغلب. وكان العدد في بني دودان، ومنه تفرقت قبائل بني أسد: قعين، وفقعس، ومنقذ، وديان، والبة، ولاحق، وحرثان، ورثاب، وبنو الصيداء، وانتشر ولده في اليمن، ومن قبائلهم: جذام، ولخم، وعاملة، وبنو عمرو بن أسد، وكانت منتشرة من تهامة إلى قصور الحيرة: الخورنق والسدير وبارق، وكانت محاربة لكندة في اليمن ومخالفة لطيء في العراق، ثم تحاربوا وأخذ بعضهم من بعض سبايا، ثم ردوا الظعائن.

وولد كنانة بن خزيمة: النضر، وحدال، وسعداء، ومالكاً، وعوفاً، ومخرمة، وعلياً، وغزوان، وجرولاً، والحارث، وعبد مناة. والعدد في أبناء عبد مناة هذا، فمنهم: بنو ليث، وبنو الدئل، وبنو ضرة، وبنو غفار، وبنو جذيمة، وبنو مدلج. فهذه جماهير قبائل كنانة. والنضر بن كنانة هو الذي سمته أمه قريشاً وهو تصغير قرش وهي

(١) اليعقوبي ١: ٢٣٨. واسمه في المسعودي: عمرو بن لحي بن عامر ٢: ٢٩ ط

دويبة بحريّة، فولد النضر بن كنانة: الصلت ويخلد ومالك، وكان النضر يكنّى أبا الصّلت، وصار ولد الصّلت مع خزاعة ولم يبق من يخلد أحد يعرف.

وإنّما أصبح مالك بن النضر عظيم الشأن، وكان له من الولد: فھر والحارث وشيبان، وأختلفوا في أسم فھر هل أسمه فھر؟ أو أسمه قريش ولقبه فھر، ومنه القرشيون فقط. وظهر في فھر بن مالك علامات فضل في حياة أبيه، فلمّا هلك أبوه قام مقامه.

وكان لفھر بن مالك من الولد: غالب، والحارث، ومحارب وجندلة، وكان غالب أفضلهم وأظهرهم مجداً، فلمّا مات هو شرف غالب وعلا أمره. وكان له من الولد: لؤي، وتيم، وتغلب، ووهب، وكثير، وحرّاق. وساد لؤي من بينهم، فلمّا مات غالب بن فھر قام لؤي بن غالب مقامه. وكان للؤي من الولد: كعب، وعامر، وسامة، وخزيمة، وعوف، والحارث الجشم، وسعد، فصار عامر الى عمان وتزوج امرأة من مدينة قرن في اليمن، وكان له من الولد: حسل ومعيص وعويص. ونزح خزيمة الى بني شيبان فانتسب ولده الى بني ربيعة. ونزح الحارث الجشم وسعد الى هزان فانتسبوا إليهم. وانتمى عوف بن لؤي الى عوف بن سعد بن ذبيان في أرض غطفان.

وكان أعظم هؤلاء شرفاً وقدرًا كعب بن لؤي حتّى أن قريشاً أرّخت من موته، وكان له من الولد: مرة، وعدي، ومنه بنو عدي رهط عمر بن الخطاب، وهصيص ومنه بنو جمح وبنو سهم.

وساد مرّة بن كعب، وولد له: يقظة وتيم ومنه بنو تيم رهط أبي بكر ابن أبي قحافة عتيق التيمي، وكلاب، وساد من بينهم كلاب هذا. وكان

لكلاب بن مرة من الولد: قصي، وزهرة.

وكان اسم قصي: زيداً، إلا أن أباه كلاباً مات وهو صغير في حجر أمه، وقدم رجل من بني عذرة من قضاة يقال له: ربيعة بن حرام العذري فتزوجها وخرج بها الى قومه وحملت زيداً معها فلما بعد من دار قومه سمته قصياً. فلما شب عرف أنه ابن كلاب بن مرة وأن قومه كانوا آل الله وفي حرمه فكره قصي الغربة وأحب أن يخرج الى قومه، وخرج في الشهر الحرام في حجاج قضاة حتى قدم مكة وأقام بها وتزوج حبي ابنة حليل الخزاعي^(١) وهو آخر من ولي البيت من خزاعة^(٢) فولدت له عبد مناف، وعبد الدار، وعبد العزى، وعبد قصي.

قال المسعودي: وكانت ولاية البيت ثلاث خصال: الاجازة بالناس من عرفة، والافاضة بالناس غداة النحر الى منى، والنسيء للشهور الحرم. وكانت النساء في بني مالك بن كنانة، وذلك أن العرب كانت إذا فرغت من الحج وأرادت الرجوع اجتمعت الى شريف كنانة فيقوم فيهم فيقول: اللهم إني قد أحللت أحد الصفرين: الصفر الأول، وأنسأت الآخر للعام المقبل^(٣). قال اليعقوبي: وكان الحج واجازة الناس من عرفات للغوث بن مرّ الملقب بالصوفة، وكانت الحجابة لخزاعة. فلما حضر الحج جمع قصي إليه قومه من بني فهر بن مالك وحال بين صوفة وبين الاجازة، فعلمت بنو بكر وخزاعة أن قصياً سيصنع بهم كما صنع بصوفة فسيحول بينهم وبين الأمر

(١) اليعقوبي ١: ٢٢٩ - ٢٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ١٢٣ ومروج الذهب ٢: ٣١.

(٣) مروج الذهب ٢: ٣٠ ويقصد بالصفر الأول: محرم.

بمكة وحجابه البيت. فأنحازوا عنه وصاروا الى صوفة، فأجمع قصي لحربهم واستعد من إخوانه من الرضاعة في بني عذرة من قضاة، وقيل أنهم وافوا يريدون الحج فأعانوه، فاقتتلوا قتالاً شديداً بالأبطح وكثرت القتلى في الفريقين ثم تداعوا الى الصلح بالتحاكم الى يعمر بن عوف من بني كنانة، ففضي بينهم بأن قصياً أولى بالبيت وأمر مكة من خزاعة، وأن كل دم أصابه قصي من خزاعة وبني بكر فهو موضوع، وأن ما أصابت خزاعة وبني بكر من قریش ففيه الدية، فودوا خمساً وعشرين بدنة وثلاثين حرجاً، أي قطعاً من الغنم.

وروى بعضهم: أنه لما تزوج قصي حبيبة ابنة حليل الخزاعي، أوصى حليل عند موته بولاية البيت الى قصي.

وقال آخرون: بل دفع حليل الخزاعي مفتاح البيت الى أبي غبشان سليمان بن عمرو، فاشتره قصي منه بزق خمر على إيل قعود - وهي الناقة التي يقتعدها الراعي في كل حاجته - فجرى مثلاً في العرب فقالوا: أخس من صفقة أبي غبشان. ووثبت خزاعة فقالت: لا نرضى بما صنع أبو غبشان، ف وقعت بينهم الحرب.

فولي قصي البيت وأمر مكة والحكم^(١) واستقام أمره فعشر على من دخل مكة من غير قریش^(٢) ولم يكن في الحرم بمكة بيت، إنما كانوا يكونون بها نهاراً فاذا أمسوا خرجوا، وكانوا في الشعاب ورؤوس الجبال، فجمع

(١) اليعقوبي ١: ٢٣٨ - ٢٤٠ وكان ذلك في النصف الأول من القرن الخامس الميلادي

كما في سيرة المصطفى: ٣٠.

(٢) مروج الذهب ٢: ٣٢.

قصي قبائل قريش فقسّم بينهم منازلهم فأمر لقبائل قريش بالأبطح بمكة، وقسّمه بينهم أرباعاً، فكانت قريش كلّها بالأبطح خلا بني محارب والحارث ابن فهر، وبني تميم الأدرم، وبني عامر بن لؤي، فأنّهم نزلوا الظواهر. فلما استقامت له الامور قدم البيت فبناه بنياناً لم يبنه أحد، كان طول جدرانها تسع أذرع فجعله ثماني عشرة ذراعاً، وسقف البيت بخشب شجر الدوم -وهو شجر ضخّم يشبه النخل- وبني دار الندوة الى جانب الصفا. فكانوا لا يتشاورون في أمر ولا يعقدون لواء للحرب ولا يختنون، ولا يتناكحون إلا في دار الندوة. وحفر بئر العجول^(١).

وقال ابن اسحاق: حدثني أبي اسحاق بن يسار عن الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: سمعته يقول: فولي قصي البيت وأمر مكة، فكانت اليه الحجابة -وهي مفاتيح البيت- والسقاية، والرفادة وأتخذ لنفسه دار الندوة^(٢) جعل بابها إلى جهة الكعبة، فكانت قريش تقضي امورها فيه، فكانوا لا يتشاورون في أمر نزل بهم، ولا يعقدون لواء لحرب قوم من غيرهم إلا في داره -دار الندوة- يعقده لهم أحد ولده، حتّى الجارية من قريش كانت إذا بلغت أن تتدرّع -أي تلبس الدراعة وهي ستر كالعباءة القصيرة- لم تكن تتدرّع إلا في داره -دار الندوة- ففيها كان يشقّ لها درّاعتها ثمّ ينطلق بها أهلها^(٣).

(١) اليعقوبي ١ : ٢٤٠ .

(٢) صارت الدار في الإسلام الى حكيم بن حزام بن خويلد فاشتراها منه معاوية بمائة ألف درهم وأدخلها في المسجد .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٣١ - ١٣٢ .

وكان قصي هو الذي فرض الرفاة على قريش وأمرهم بها فقال «يامعشر قريش! إنكم جيران الله وأهل بيته، أهل الحرم، وإن الحاج ضيف الله وزوار بيته، وهم أحق الضيف بالكرامة، فاجعلوا لهم طعاماً وشراباً أيام الحج حتى يصدروا عنكم».

فكانوا يخرجون لذلك كل عام من أموالهم خرجاً فيدفعونه إليه فيصنعه طعاماً للناس أيام منى، فيأكله من لم يكن له سعة ولا زاد وجرى ذلك فيهم حتى ظهر الإسلام.

فلما كبر قصي ودق عظمه، رأى أن عبد مناف قد شرف في زمانه وهو ثاني أبنائه وبكره هو عبد الدار، فقال له: أما والله يابني لا لحقك بهم وإن كانوا قد شرفوا عليك: لا يدخل الكعبة رجل حتى تفتحها أنت لهم، ولا يعقد أحد لواء حرب لقريش إلا أنت، ولا يشرب أحد بمكة إلا من سقايتك، ولا يأكل أحد من أهل الموسم طعاماً إلا من طعامك، ولا تقطع قريش أمراً من أمورها إلا في دارك. فأعطاه الحجابة واللواء والسقاية والرفاة ودار الندوة التي لا تقضي أمراً من أمورها إلا فيها، فجعل إليه قصي كل ما كان بيده من أمر قومه، وكان قصي لا يخالف ولا يرد عليه شيء صنع^(١).

وقال اليعقوبي: إن قصياً قسّم أمره بين ولده: فجعل السقاية والرئاسة لعبد مناف، والدار لعبد الدار، والرفاة لعبد العزى، وحافتي الوادي لعبد قصي. ومات قصي ودفن بالحجون.

ورأس عبد مناف بن قصي وجل قدره وعظم شرفه، ولما كبر أمره

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٣٦ - ١٣٧.

جاءته خزاعة وبنو الحارث من كنانة فسألوه أن يعقد بينهم الحلف ليعزّوا به، فعقد بينهم الحلف الذي يقال له: حلف الأحابيش.

وولد لعبد مناف: هاشم - وأسمه عمرو - وعبد شمس، والمطلب ونوفل، وأبو عمرو، وحنّة، وتماضر، وأربع بنات.

وشرف هاشم بعد أبيه وجلّ أمره، واصطلحت قريش على أن يولّوا هاشماً الرئاسة والسقاية والرفادة^(١).

وروى ابن إسحاق عن أبيه أسحاق بن يسار، عن الحسن بن محمد ابن علي بن أبي طالب أنه قال لنييه بن وهب الهاشمي: إن قصي بن كلاب جعل كلّ ما كان بيده من أمر قومه إلى عبد الدار، وكان قصي لا يخالف ولا يردّ عليه شيء صنعه، فأقامت قريش على ذلك ليس بينهم اختلاف وتنازع، حتّى أنتهى الأمر في عبد الدار إلى حفيده: عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار!

ثمّ أجمع بنو عبد مناف بن قصي: عبد شمس وهاشم والمطلب ونوفل، أجمعوا على أن يأخذوا مابأيدي بني عبد الدار بن قصي جعله اليهم من الحجابة واللواء والسقاية والرفادة، ورأوا أنّهم أولى بذلك منهم لشرفهم عليهم وفضلهم في قومهم، ففترقت عند ذلك قريش: فكانت طائفة مع بني عبد مناف على رأيهم يرون أنّهم أحقّ به من بني عبد الدار لمكانهم في قومهم، وطائفة مع بني عبد الدار يرون أن لا ينزع منهم ما كان قصي جعل اليهم.

فكان مع بني عبد مناف بنو أسد بن عبد العزّي بن قصي، وبنو زهرة

ابن كلاب، وبنو تميم بن مرة، وبنو الحارث بن فهر.
وكان مع بني عبد الدار: بنو مخزوم، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو
عدي بن كعب.
وعقد كل قوم على أمرهم حلفاً مؤكداً على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم
بعضهم بعضاً:

فیزعمون أن بعض نساء بني عبد مناف أخرجت لهم جفنة مملوءة
طيباً، فوضعوها لأحلافهم في المسجد عند الكعبة، ثم غمس القوم أيديهم
فيها، فتعاقدوا وتعاهدوا مع حلفائهم ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على
أنفسهم، فسمّوا (المطّيين).

وتعاقد بنو عبد الدار وتعاهدوا مع حلفائهم عند الكعبة حلفاً مؤكداً
على أن لا يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً، فسمّوا (الأحلاف).

ثمّ تداعوا الى الصلح على أن يعطوا بني عبد مناف: السقاية
والرفادة، وأن تكون الحجابة واللواء والندوة لبني عبد الدار كما كانت،
فرضي كل واحد من الفريقين بذلك وتحاجزوا عن الحرب^(١) هكذا يقتصر
هذا الخبر على ذكر بني عبد مناف وبني عبد الدار دون ذكر شخص خاص
منهم، ولكنّه بدأ بذكر عامر بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن
قصي، من بني عبد الدار، فلا يناسب أن يكون معارضه المعاصر هاشم بن
عبد مناف بن قصي، بل إما عبد المطلب أو أحد أبنائه ليكن أن يكون
متزامناً معه معاصراً له من حيث سلسلة النسب.

واختصر اليعقوبي هذا فقال: واصطلحت قريش على أن يولّوا هاشماً

الرئاسة والسقاية والرفادة^(١) والظاهر أنّه يريد من «هاشم» هنا بني هاشم لا هاشم نفسه، والمقصود من بني هاشم هو عبد المطلب أبه، كما أنّه قد ذكر بشأن عبد المطلب: أنّ بني عبد الدار لما رأوا حال عبد المطلب وأنّه قد حاز الفخر مشوا الى بني سهم فقالوا لهم: امنعونا من بني عبد مناف! فلما رأى ذلك بنو عبد مناف: بنو المطلب وبنو هاشم وبنو نوفل -واختلف في بني عبد شمس فقال الزبيري: لم يكونوا فيهم- اجتمعوا، فخرجت أمّ حكيم بنت عبد المطلب وأخرجت طيباً في جفنة فوضعتها في الحجر، فتطّيب بنو عبد مناف، وأسد، وزهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث، فسّمّي حلفهم: حلف المطّيبين.

فلما سمعت بذلك بنو سهم ذبحوا بقرة وقالوا: من أدخل يده في دمها ولعن منه فهو منّا، فأدخلت أيديها بنو عبد الدار، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي، وبنو مخزوم، فسّمّي حلفهم: حلف اللعقة^(٢).
قال اليعقوبي: وكان هاشم أوّل من سنّ الرحلتين: رحلة الشتاء الى الشام ورحلة الصيف الى الحبشة واليمن.
وذلك أنّ تجارة قريش كانت لا تعدو مكّة فكانوا في ضيق، حتّى

(١) اليعقوبي ١: ٢٤٢.

(٢) اليعقوبي ١: ٢٤٨. وفي ج ٢: ١٧ ذكر حلف الفضول فقال «وحضر رسول الله حلف الفضول وقد جاوز العشرين» وقد قال في وفاة عبد المطلب: وتوفي عبد المطلب ولرسول الله ثماني سنين ٢: ١٣ إذن فحلف الفضول كان بعد اثني عشر عاماً بعد عبد المطلب: أمّا الذي كان على عهد عبد المطلب فإنما هو حلف اللعقة (حلف الأحلاف) دون حلف الفضول، أمّا حلف الفضول فقد تأخّر عنه بأكثر من اثني عشر عاماً ولم أر من تنبّه له.

ركب هاشم إلى الشام إلى قيصر، فقال له: أيها الملك إن لي قوماً من تجار العرب، فتكتب لهم كتاباً يؤمنهم ويؤمن من تجاراتهم حتى يأتوا بما يستطرف من أدم^(١) الحجاز وثيابه. ففعل قيصر ذلك، فانصرف هاشم فجعل كلما مرّ بحيّ من أحياء العرب أخذ من أشرافهم الأيلاف - أي العهد - أن يأمنوا عندهم وفي أرضهم، فأخذ الإيلاف من الشام إلى مكة^(٢) وذلك قول الله تعالى: ﴿لأيلاف قريش إيلافهم رحلة الشتاء والصيف فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾^(٣).

وخرج هاشم بتجارات عظيمة يريد الشام، فجعل يمر بأشراف العرب فيحمل لهم التجارات ولا يلزمهم لها مؤونة حتى صار إلى «غزة» فتوفي بها. وأما لقب بهاشم - وأسمه عمرو - لأنه كان يهشم الخبز ويصب عليه المرق واللحم فيطعمهم بمكة ومنى وعرفات والمزدلفة يترد لهم الخبز في السمن واللحم والسويق، ويأمر بجياض من أدم فتجعل في موضع زمزم، فيسقي الناس فيها من الآبار التي بمكة^(٤) أما زمزم فقد كانت جرهم طمته ولم يحفر بعد.

وقد نقل اليعقوبي خبراً عن تاجر من بني كلاب حضر موسم الحج فوصف لنا كيفية رفاة هاشم فقال:

قال الأسود بن شعر الكلبي: كنت عسيفاً - أي عاملاً - لعقيلة من

(١) الأدم بفتح الحاء: جمع الأديم: الجلد المدبوغ، والأدم بضم الدال: بضميتين: جمع الأدام للطعام.

(٢) اليعقوبي ١: ٢٤٤.

(٣) قريش: ١ - ٤.

(٤) اليعقوبي ١: ٢٤٢ - ٢٤٤.

عقائل الحيّ، أركب الصعبة والذلول، لا أبقى مطرحاً من البلاد أرتجي فيه ربحاً من الأموال إلاّ ركبْتُ اليه من الشام بأثاثه وخرثيته -أي متاعه- أريد كبة العرب أي جماعتهم.

فعدت من الشام وقد دهم الموسم، فدفعت الى الموسم مسدفاً -أي ليلاً- فحبست الركاب حتّى انجلى عني قيص الليل، واذا جزر تنحر وأخرى تساق للنحر، وطهاة يطهون الطعام للأكل. فبهمني ما رأيت فتقدّمت أريد عميدهم. وعرف رجل شأني فقال: أمامك، فدنوت، فإذا رجل على عرش سام، تحته نمرقة، قد كار -أي لفّ- عمامة سوداء، وأخرج من ملائمتها جمّة شعر فينانة -أي كفّن الشجر في الطول والحسن- كان الشعرى تطلع من جبينه وفي يده مخصرة، وحوله مشيخة جلّة، منكسّوا الأذقان، ما منهم احد يُفيض بكلمة، ودونهم خدّم مشرّون الى أنصافهم، واذا برجل مجهر على نشز من الأرض ينادي: يا وفد الله هلمّوا الى الغداء، وإنسيان على طريق من طعم يناديان: يا وفد الله من تغدّ فليرجع إلى العشاء. فقلت لرجل كان الى جانبي: من هذا؟ أريد العميد؟ فقال: أبو نضلة هاشم بن عبد مناف. فخرجت وأنا اقول: هذا والله المجد، لا مجد آل جفنة!

وكان هاشم لما أراد الخروج الى الشام حمل امرأته وأبنة شيبة بن هاشم ليجعل أهلّه عند أهلها بالمدينة «يثرب» بني عديّ بن النجار. ولما بلغ نبأ وفاة هاشم الى مكّة قام بأمر مكّة بعده أخوه المطلب بن عبد مناف. فلما كبر شيبة بن هاشم وبلغ المطلب بن عبد مناف وصف حال شيبة ابن أخيه هاشم، خرج الى المدينة حتّى دخلها عشاءً -أي قرب العشية- فأتى بني عديّ بن النجار وعرفه القوم ورأى غلاماً على ما وُصف

له فقال: هذا ابن هاشم؟ قال القوم: نعم، فذهب به معه.
ودخل المطلب مكة وخلفه شيبة بن هاشم، والناس في أسواقهم
ومجالسهم، فقاموا يرحبون به ويحيونه ويسألونه: من هذا معك؟ فيقول:
عبدى أبتعته بيثرب! ثم دخل سوق الحزورة -الى جانب المسجد الحرام-
فابتاع له حلة، ثم أدخله داره.
فلما كان العشي -أي العصر- ألبسه الحلة، ثم خرج به معه فأجلسه
معه في مجلس بني عبد مناف فأخبرهم خبره. ولكن غلب عليه اسم: عبد
المطلب.

وأراد المطلب أن يشارك في رحلة الشتاء الى اليمن، فقال لعبد
المطلب: أنت يا بن أخي أولى بموضع أيبك، فقم بأمر مكة.
ثم رحل فتوفي في سفره ذلك بردمان -من حصون اليمن- فقام عبد
المطلب بأمر مكة وساد وشرف. وأقرت له قريش بالشرف^(١).

حفر بئر زمزم:

قال ابن إسحاق: كانت جرهم قد دفنت زمزم حين ظعنوا من
مكة^(٢).

وقال اليعقوبي: قال محمد بن الحسن: لما تكامل لعبد المطلب مجده
وأقرت له قريش بالفضل رأى في المنام وهو في الحجر أن آتياً أتاه فقال

(١) اليعقوبي ١: ٢٤٤ - ٢٤٦.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ١١٦.

له : قم يا أبا البطحاء وأحفر زمزم حفيرة الشيخ الأعظم^(١).
وروى ابن إسحاق بثلاث وسائط عن علي بن أبي طالب أنه قال : قال
عبد المطلب : إني لنأثم في الحجر إذ أتاني آتٍ فقال : أحفر طيبة ، قال :
قلت : وما طيبة ؟ قال : ثم ذهب عني . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي
فلمت فيه ، فجاءني فقال : أحفر برة ، قال : قلت : فما برة ؟ قال : ثم ذهب
عني ؟ . فلما كان الغد رجعت الى مضجعي فلمت فيه ، فجاءني فقال : أحفر
المضنونة ، قال : فقلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عني فلما كان الغد
رجعت الى مضجعي فلمت فيه فجاءني فقال : أحفر زمزم ، قال : قلت : وما
زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً ولا تدم ، تسقي الحجيج الأعظم ، وهي بين الفرت
والدم ، عند نقرة الغراب الأعصم^(٢) ، عند قرية النمل .
فلما بين له شأنها ودلّ على موضعها وعرف أنه قد صدق الرؤيا غدا
بمغوله ومعه أبنة الحارث بن عبد المطلب - ليس له يومئذ ولد غيره - فحفر
فيها .

فلما بدا لعبد المطلب الحجارات التي طوي بها البئر عرفت قريش أنه
قد أدرك حاجته ، فقاموا إليه فقالوا : يا عبد المطلب إننا بئر أبينا اسماعيل ،
وان لنا فيها حقاً فاشركنا معك فيها ، قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد
خصصت به دونكم وأعطيته من بينكم . فقالوا له : فانصفنا فإننا غير تاركيك
حقاً نخاصمك فيها ! قال : فاجعلوا بيني وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه
قالوا : كاهنة بني سعد : هذيم . قال : نعم . وكانت باشراف الشام .

(١) اليعقوبي ١ : ٢٤٦ .

(٢) الغراب الذي في جناحيه بياض .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بني أبيه بني عبد مناف، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا حتى إذا كانوا ببعض المفاوز بين الحجاز والشام فني ماء عبد المطلب وأصحابه فظموا حتى أيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من معهم من قبائل قريش فأبوا عليهم وقالوا: إنا بمفازة، ونحن نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم.

فلما رأى عبد المطلب ماصنع القوم وما يتخوف منه على نفسه وأصحابه قال لهم: إني أرى أن يحفر كل رجل منكم حفرة لنفسه بما بكم الآن من القوة، فكلما مات رجل دفعه أصحابه في حفرة ثم واروه، حتى يكون آخركم واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعاً. قالوا: نعم، وقام كل واحد منهم فحفر حفرة ثم قعدوا ينتظرون الموت عطشاً.

ثم قال عبد المطلب لأصحابه: ارتحلوا فعمى الله أن يرزقنا ماء ببعض البلاد، وتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعثت به انفجرت من تحت خفها عين من ماء عذب، فكبر عبد المطلب وكبر أصحابه، ثم نزل فشرب وشرب أصحابه وأستقوا حتى ملأوا أسقيتهم. ثم دعا سائر قريش فقال: هلموا إلى الماء فقد سقانا الله فاشربوا وأستقوا. فجاءوا فشربوا وأستقوا، ثم قالوا: قد -والله- قضى لك علينا يا عبد المطلب، فلا نخاصمك في زمزم أبداً، فإن الذي سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذي سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً. فرجعوا^(١).

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٥٠ - ١٥٣ . ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣ :

وروى يعقوب بن محمد بن الحسن أنه قال: كانت قريش تفسد ذلك الحوض الذي كان يسقي منه عبد المطلب وتكسره، فرأى في المنام أيضاً: أن قم فقل: اللهم إني لا أحله لمغتسل إنما هو حل للشارب. فقام عبد المطلب فقال ذلك، فلم يكن يفسد ذلك الحوض أحد إلا رُمي بداء من ساعته، فتركوه.

وكان لما حفر - وجد سيوفاً وسلاحاً وغزلاً - من ذهب - مقرطاً مجزّعاً ذهباً وفضة! فلما رأت قريش ذلك قالوا: يا أبا الحارث! أعطنا من هذا المال الذي أعطاك الله فإنها بئر أبينا إسماعيل فاشركنا معك، فقال: امهلوني. فلما استقام له الأمر جعل الذهب صفائح على باب الكعبة، وكان أول من حلّى الكعبة بعد حلّيها على عهد جرهم^(١).

وقال المسعودي: حفر عبد المطلب بن هاشم بئر زمزم، وكانت مطوية، و ذلك في ملك كسرى قباد، فاستخرج منها غزالي ذهب عليها الدرر والجوهر وغير ذلك من الحلي، وسبعة أسياف قلعية وسبعة أدرع سوانج، فضرب من الأسياف باباً للكعبة، وجعل إحدى الغزالين صفائح ذهب في الباب، وجعل الاخرى في الكعبة وجعل باب الكعبة مذهّباً^(٢).

(١) يعقوب بن محمد بن الحسن بن علي بن ابراهيم مرفوعاً في فروع

الكافي ١ : ٢٤٦ ، ٢٤٧

(٢) مروج الذهب ٢ : ١٠٣ .

الفصل الثاني

كيف نشأ النبي ﷺ

إيمان عبد المطلب:

قال المسعودي: قد تنازع الناس في عبد المطلب: فمنهم من رأى أنّ عبد المطلب وغيره من آباء النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- كان مشركاً إلا من صحّ إيمانه. ومنهم من رأى أنّ عبد المطلب كان مؤمناً موحداً وأنه لم يشرك بالله عزّ وجلّ، ولا أحد من آباء النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- وأنه نقل في الأصلاب الطاهرة، وأنه -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- أخبر: أنه وُلد من نكاح لا من سفاح. وهذا موضع فيه تنازع بين الإمامية وغيرهم من الفرق في النصّ والأختيار: وليس كتابنا هذا للحجاج فنذكر حجة كلّ فريق منهم.

وكان عبد المطلب يوصي ولده بصلة الأرحام وإطعام الطعام ويرغبهم ويرهبهم فعل من يرقب معاداً وبعثاً ونشوراً، وقد أوصى أبا طالب بالنبي

-صلى الله عليه [وآله] وسلم-^(١).

وروى الصدوق في (الخصال) بسنده عن الصادق عليه السلام : أنَّ النبي صلى الله عليه [وآله] وسلم - قال لعلي عليه السلام : إنَّ عبد المطلب سنَّ في الجاهلية خمس سنن أجراها الله له في الإسلام : حرَّم نساء الآباء على الأبناء وأنزل الله عز وجل ﴿ ولاتنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء ﴾^(٢) ووجد كنزاً^(٣) فأخرج منه الخمس وتصدَّق به ، وأنزل الله عز وجل ﴿ وأعلموا أنَّ ماغنمتم من شيءٍ فإن لله خمسهُ ﴾^(٤) . ولما حفر بئر زمزم سمّاها : سقاية الحاج ، وأنزل الله عزَّ وجلَّ ﴿ أجعلتم سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ﴾^(٥) . وسنَّ عبد المطلب في القتل مائة من الإبل فأجرى الله ذلك في الإسلام . ولم يكن للطواف عدد عند قريش فسنَّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط فأجرى الله ذلك في الإسلام . يا علي ! إنَّ عبد المطلب كان لا يستقسم بالأزلام ، ولا يعبد الأصنام ، ولا يأكل ما ذبح على النصب ، ويقول : أنا على دين أبي إبراهيم عليه السلام^(٦) .

وروى الكليني في (الكافي) رواية عن الصادق عليه السلام بثلاث طرق : عن مقرن وزرارة ومفضل بن عمر عنه عليه السلام قال : يحشر عبد المطلب يوم القيامة

(١) مروج الذهب ٢ : ١٠٣ و ١٠٨ .

(٢) النساء : ٢٢ .

(٣) يمكن أن يكون المقصود منه ما وجده مما كانت جرهم قد دفنته في بئر زمزم من هدايا الكعبة ، كما مرَّ .

(٤) الأنفال : ٤١ .

(٥) التوبة : ١٩ .

(٦) الخصال : ٣١٢ ط غفاري .

أُمَّةٌ وحده، عليه سماء الأنبياء وهيبة الملوك^(١).

وروى الشيخ المفيد في (الاختصاص) بسنده عن عبد الرحمن بن خالد مولى المنصور العباسي قال: أخرج إليّ بعض ولد سليمان بن علي العباسي كتاباً بخطّ عبد المطلب وإذا هو شبيه بخطّ الصبيان وهو: بسمك اللهم، ذكر حقّ عبد المطلب بن هاشم من أهل مكّة على فلان بن فلان الحميري من أهل زول^(٢) صنعاء، عليه ألف درهم فضة طيبة كيلاً بالحديد، ومتى دعاه بها أجابه، شهد الله والملائكة^(٣). وهذا يدلّ على إيمانه بالله والملائكة.

وقال اليعقوبي: إنّ كان يوحد الله عزّ وجلّ، وقد رفض عبادة الأصنام، وسنّ سنناً سنّها رسول الله ونزل بها القرآن، وهي: الوفاء بالندى، ومائة من الإبل في الدية، وأن لا تنكح ذات محرم، ولا تؤقّي البيوت من ظهورها، وقطع يد السارق، والنهي عن قتل المؤدّة والمباهلة، وتحريم الخمر، وتحريم الزنا والحّدّ عليه، والقرعة، وأن لا يطوف أحد بالبيت عرياناً، وإضافة الضيف، وأن لا ينفقوا إذا حجّوا إلّا من طيب أموالهم، وتعظيم الأئمة الحرم، ونفي ذوات الريات فكانت قريش تقول: عبدالمطلب ابراهيم الثاني^(٤).

(١) أصول الكافي ١: ٤٤٦ و ٤٤٧، اي وحده في الايمان دون معاصريه.

(٢) ذكره ياقوت في معجم البلدان فقال: اسم مكان باليمن وجد بخط عبد المطلب بن

هاشم.

(٣) الاختصاص: ١٢٣ ط غفاري وذكره ابن النديم في الفهرست. ولا تؤكّد نسبة

الكتاب الى الشيخ المفيد.

(٤) اليعقوبي ٢: ١٠، ١١ ط بيروت.

وقال الشهرستاني في (الملل والنحل): كان يأمر ولده بترك الظلم والبغي ويحثهم على مكارم الأخلاق وينهاهم عن دنيا الأمور، وكان يقول في وصاياه: إنه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى يُنتقم منه وتصيبه عقوبة، وهلك رجل ظلوم لم تصبه عقوبة فليل لعبد المطلب في ذلك ففكر فقال: والله إن وراء هذه الدار داراً يُجزى فيها المحسن بإحسانه ويُعاقب فيها المسيء بإساءته^(١).

أبناء عبد المطلب والذبيح منهم:

روى الصدوق في (الخصال) بسنده عن الصادق عن أبيه عليه السلام عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سئل رسول الله ﷺ عن ولد عبد المطلب فقال: عشرة والعباس. يعني أحد عشر رجلاً.

ثم قال الصدوق: أسنهم الحارث -وبه كان يكنى عبد المطلب- وعبد العزى وهو أبو هب، وأبو طالب -وهو عبد مناف- وضرار، والزبير، والغيداق، والمقوم، والحجل، وحمزة، والعباس، وعبد الله^(٢).

وروى فيه بسنده عن الباقر عليه السلام قال: كان عبد المطلب ولد له تسعة، فنذر في العاشر: إن رزقه الله غلاماً: أن يذبحه فلما ولد عبد الله لم يكن يقدر أن يذبحه ورسول الله ﷺ في صلبه، فجاء بعشر من الأبل وساهم عليها وعلى عبد الله، فخرجت السهام على عبد الله، فزاد عشراً، فلم تزل

(١) الملل والنحل للشهرستاني نقلاً عن البحار ١٥: ١٢١. وللتفصيل انظر الصحيح ١:

١٤٩ - ١٥٤.

(٢) الخصال: ٤٥٢، ٤٥٣.

السهم تخرج على عبد الله ويزيد عشراً، فلما أن بلغت مائة خرجت السهام على الإبل، فقال عبد المطلب: ما أنصفت ربِّي، فأعاد السهام ثلاثاً فخرجت على الإبل فقال: الآن علمت أن ربِّي قد رضي، ففحرها^(١).

وروي في (عيون الأخبار) بسنده عن علي بن الحسين بن فضال قال: سألت الرضا عليه السلام عن معنى قول النبي ﷺ: أنا ابن الذبيحين؟ قال: «يعني إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام وعبد الله بن عبد المطلب» إلى أن قال: «فإن عبد المطلب كان قد تعلّق بحلقة باب الكعبة ودعا الله أن يرزقه عشرة بنين، ونذر لله عز وجل أن يذبح واحداً منهم متى أجاب الله دعوته.

فلما بلغوا عشرة قال: قد وفى الله لي، فلاؤفين لله عز وجل: فأدخل ولده الكعبة وأسهم بينهم، فخرج سهم عبد الله أبي رسول الله ﷺ وكان أحبّ ولده إليه، ثمّ آجالها ثانية فخرج سهم عبد الله، ثمّ آجالها ثالثة فخرج سهم عبد الله! فأخذه وعزم على ذبحه! فاجتمعت قريش ومنعته من ذلك، واجتمع نساء عبد المطلب يبكين ويصحن، وقالت ابنته عاتكة: يا أبتاه اعذر فيما بينك وبين الله في قتل ابنك. قال: وكيف اعذر يا بنيّه؟ قالت: اعمد إلى تلك السوائم التي لك في الحرم فاضرب القداح على ابنك وعلى الإبل واعط ربك حتى يرضى.

فبعث عبد المطلب إلى إبله فأحضرها وعزل منها عشراً وضرب بالسهم فخرج سهم عبد الله، فما زال يزيد عشراً عشراً حتى بلغت مائة، فاضرب فخرج السهم على الإبل، فكبرت قريش تكبيرة إرتجت لها جبال

تُهامه ! فقال عبد المطلب : لا ، حتّى أضرب بالقداح ثلاث مرات فضرب ثلاثاً كلّ ذلك يخرج السهم على الإبل ! فلما كانت في الثالثة اجتذبه الزبير وأبو طالب واخواتهما من تحت رجله فحملوه - وكان خذّه على الأرض فانسلخت جلدة خذّه - وأقبلوا يرفعونه ويقبّلونه ويمسحون عنه التراب . وأمر عبد المطلب أن تنحر الإبل بالحزورة^(١) ولا يمنع أحد منها .

فكانت لعبد المطلب خمس من السنن أجراها الله عزوجل في الإسلام : حرّم نساء الآباء على الأبناء ، وسنّ الدية في القتل مئة من الإبل ، وكان يطوف بالبيت سبعة أشواط ، ووجد كنزاً^(٢) فأخرج منه الخمس ، وسمّى زمزم حين حفرها : سقاية الحاج . ولولا أن عبد المطلب كان حجة وانّ عزمه على ذبح ابنه عبد الله شبيهاً بعزم إبراهيم على ذبح ابنه إسماعيل لما افتخر النبي ﷺ بالانتساب اليها لأجل انها الذبيحان ، في قوله : أنا ابن الذبيحين . والعلة التي من أجلها دفع الله عزوجل الذبح عن إسماعيل هي العلة التي من أجلها دفع القبح عن عبد الله ، وهي كون النبي والأئمة المعصومين - صلوات الله عليهم - في صليبيها ، فبركة النبي والأئمة عليهم السلام دفع الله الذبح عنها^(٣) .

قال اليعقوبي : وكان اسم عبد الله (عبد الدار) و (عبد قصي) فلما

(١) الحزورة كدحرجة : تل معروف في مكة كان يتخذ سوقاً - كما في الصحاح وقد نقل الخبر ابن إسحاق في سيرته يقول : فيما يزعمون . ثمّ جاء بالخبر ناسباً الى عبد المطلب أنّه ذبح للأصنام : وهو مردود بما رويناہ سنداً معتبراً عن أئمة أهل البيت عليهم السلام .

(٢) لعلّه - كما سبق - هو مادفنته جرحهم في زمزم من هدايا الكعبة .

(٣) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ٢١٢ ط لاجوردي .

كان الفداء قال عبد المطلب : هذا عبد الله فسمّاه به^(١) وكان ذلك بعد حفر زمزم بعشر سنين^(٢)، ولعبد الله ٢٠ سنة .

فربّما يقال هنا : إن عبد المطلب الذي قال عنه المؤرخون : أنّه كان يقطع يد السارق، ويمنع من طواف العراة، وينهى عن دنيّات الأمور، تاركاً للأصنام مجاب الدعوة .. كيف يسمّي أبناءه عبد مناف، ومناف اسم صنم، وعبد العزّي، والعزّي كذلك وثن من الأوثان، ثمّ كيف جاز له التصرّف في شخص غيره -ولو ابنه- هذا التصرّف ؟ وهل لأحد أن يرى صحة نذر كهذا تكون الضحية فيه نفساً محترمة مثل عبد الله ؟!

طرح هذا السؤال السيد المرتضى في (الصحيح من السيرة)^(٣) ثمّ نقل عن المحقق السيد محمد مهدي الروحاني القمي أنّه أشار إلى : أنّنا نلاحظ أنّ عبد المطلب قد سار في إيمانه سيراً تكاملياً، فنجدّه في أوّل أمره يسمّي أبناءه عبد مناف وعبد العزّي، ولكنّه يتقدّم في إيمانه حدّاً يُرهب به أبرهة الحبشي صاحب الفيل، ويقول عنه المؤرخون ما ذكره وذكرناه، ولا شكّ أنّه بعد ميلاد حفيده محمد ﷺ لما رأى وسمع الكثير من العلامات الدالة على نبوته، وشهد وعاین الكثير من الدلالات والكرامات بأمر عينيه، بلغ الحدّ الأعلى في إيمانه .

وعليه فلا مانع من أنّ يكون في أوّل أمره يرى لنفسه أنّ ينذر نذراً كهذا، وقد أمر الله نبيّه إبراهيم بذبح ولده إسماعيل، ونذرت امرأة عمران

(١) اليعقوبي ٢ : ٩ .

(٢) اليعقوبي ٢ : ٩ يعلم ذلك بما ذكره في سنّ زواج عبد الله .

(٣) الصحيح من سيرة النبي الأعظم (ص) السيرة ١ : ٦٥ - ٧٠ .

ما في بطنها محرراً لخدمة بيت المقدس . كما أشار الى هذا ابن شهر آشوب فقال وتصور عبد المطلب أنّ ذبح الولد أفضل قرابة لما علم من أمر اسماعيل ، ثم ذكر الخبر^(١).

الزواج الميمون

تزويج عبد الله بآمنة:

قال اليعقوبي: وبعد حفر زمزم بعشر سنين، وبعد الفداء عن عبد الله بسنة واحدة كان تزويجه بآمنة بنت وهب، وكان سنّه يوم تزويجها أربعاً وعشرين سنة^(٢).

وقال ابن إسحاق: خرج عبد المطلب بابنه عبد الله حتى أتى به الى دار وهب بن عبد مناف بن زهرة -وهو يومئذ سيد بني زهرة نسباً وشرفاً- فخطب ابنته آمنة لعبد الله، وكانت آمنة أفضل امرأة في قريش نسباً وموضعاً، فزوجه إياها وأملكها. وفي داره دخل عبد الله على آمنة، فحملت برسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم-^(٣).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٢٠ ط قم .

(٢) اليعقوبي ٢ : ٩ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٥ ، ورواه عنه الطبري ٢ : ٢٤٣ . هذا ، وقد أورد المجلسي في (البحار) في باب بدء خلقته خبراً يتضمن تفصيلاً مطوّلاً في خطبة آمنة وزفافها استغرق من الطبعة الحديثة من ص ٢٦ إلى ١٠٤ ، أي ثماني وسبعين صفحة من الجزء ١٥ ، قال في أوله «قال الشيخ أبو الحسن البكري استاذ الشهيد الثاني في كتابه المسمّى بكتاب الأنوار : حدثنا أسيافنا وأسلافنا الرواة لهذا الحديث عن أبي عمرو الأنصاري

وروى الطبرسي في (الاحتجاج) عن الكاظم عن علي عليه السلام أنه قال :
 إنّ آمنة بنت وهب رأت في المنام انه قيل لها : إنّ مافي بطنك سيّد، فإذا
 ولدته فسمّيه محمداً. ثمّ قال علي عليه السلام : فاشتقّ الله له اسماً من أسمائه، فإنّ
 الله المحمود وهذا محمد^(١). وفي هذا المعنى روى الطبرسي في (إعلام الوری)
 عن سفيان بن عيينه أنّه قال : أحسن بيت قالته العرب هو قول أبي طالب
 للنبي ﷺ .

وشقّ له من اسمه كي يحلّه فذو العرش محمود وهذا محمد
 ثمّ قال : وقال غيره : إنّ هذا البيت لحسان بن ثابت في قطعة له
 أوّلها :

سألت كعب الأخبار ووهب بن منبّه وابن عباس قالوا جميعاً : لما أراد الله أن يخلق
 محمداً قال للملائكة . . . وقال المجلسي في آخر الخبر : «أقول : إنّما أوردت هذا الخبر
 مع غرابته وإرساله للإعتقاد على مؤلفه واشتغاله على كثير من الآيات والمعجزات التي
 لا تنافيا سائر الاخبار بل تؤيدها» هذا، والشهيد الثاني استشهد سنة ٩٦٦ وقد
 حكى محقق البحار : الشيخ الرّباني عن «رياض العلماء» عن بعض المؤرخين : أنّه رأى
 نسخة عتيقة من كتاب «الأنوار الكبرى» تأريخ كتابتها سنة ٦٩٦ وآلسمهودي في
 كتابه «تأريخ المدينة» الذي ألفه سنة ٨٨٨ ذكر البكري صاحب الأنوار فقال : إنّ
 سيرة البكري الكذب والبطلان ! وعلى هذا فكيف يمكن أن يكون من مشايخ الشهيد
 الثاني ؟ !

أمّا أبو الحسن البكري من مشايخ الشهيد الثاني فهو الصديقي الشافعي المتوفى
 بالقاهرة سنة ٩٥٢ كما في «شذرات الذهب» وليس هو صاحب كتاب الأنوار، ولكن
 التّبس عند الشيخ المجلسي أحدهما بالآخر فأحسن به الظن كما قال، وأورد أخباره
 الباطلة الكاذبة في بحاره . ساعه الله وغفر له ولنا .

ألم تر أنّ الله أرسل عبده ببرهانه والله أعلى وأمجّد^(١)
وقال ابن إسحاق: ويتحدث الناس: أنّ آمنه بنت وهب كانت
تحدث: أنّها حين حملت رأت أنّه خرج منها نور رأت به قصور بصرى من
أرض الشام، وقيل لها: إنّك قد حملت بسيد هذه الأمة فإذا وقع إلى الأرض
فقلولي: أعينه بالواحد من شر كلّ حاسد، ثمّ سمّيه محمداً^(٢).
ثمّ روى بسنده عن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب أنّه حدث عن
حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية عن آمنه بنت وهب أنّها قالت لها: رأيت
حين حملت به أنّه خرج مني نور أضاء لي قصور بصرى من أرض الشام،
ثمّ والله ما رأيت من حمل قط كان أخفّ عليّ ولا أيسر منه، ووقع حين
ولدته واضعاً يديه على الأرض رافعاً رأسه إلى السماء.

(١) وروى السيد زيني دحلان: أنّ أمّه ذكرت ما فات لعبد المطلب فسّمّاه محمداً (ص)
ولكنّها هي سمّته أحمد، ثمّ ذكر خمسة أبيات من شعر أبي طالب (رض) يسمّي النبي
فيها بأحمد (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون، المعروف بالسيرة الحلبية ٩٢ -
١٠٠).

(٢) سيرة ابن هشام ١: ١٦٦ ورواه عنه الطبري ٢: ١٥٦ ورواه عنه ابن شهر آشوب
في المناقب ١: ٢٩. وقال في (الروض الأنف) وابن فورك في (الفصول): أنّ أميحة بن
جلاح وحران بن ربيعة وسفيان بن مجاشع كانوا قد التقوا بمن له علم بالكتاب الأوّل
فأخبروهم بمبعث النبي وباسمه، فلمّا سمعوا بذكر رسول الله وقرب زمانه وأنّه من
الحجاز طمعوا أن يكون ولدًا لهم فسمّوا أبناءهم باسمه محمداً، ولا يعرف من تسمّى
بهذا الاسم قبله إلّا هؤلاء الثلاثة في العرب. لهذا، ولكنّ السيد زيني دحلان في
(السيرة الحلبية ١: ٩٣) بلغ بعدد من تسمّى بهذا الاسم إلى ستة عشر رجلاً وذكر
شعراً في ذلك يقول:

إنّ الذين سمّوا باسم محمّد من قبل خير الناس ضعف ثمان

ثم روى بسنده عن ثور بن يزيد: أن نفرًا من أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قالوا له: يا رسول الله أخبرنا عن نفسك، قال: نعم، أنا دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخى عيسى، وحين حملت بي أمي رأت أنه خرج منها نور أضاء لها قصور الشام^(١). ففعل قوله في بداية هذا الحديث قبل هذا «ويتحدث الناس» ليس إشارة إلى وهن الخبر بل إلى

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٧١ - ١٧٥ وروى الطبري بسنده عن ثور بن يزيد الشامي عن مكحول الشامي عن شداد بن أوس، قال: بينا نحن جلوس عند رسول الله ! إذ أقبل شيخ كبير من بني عامر وهو سيدهم، يتوكأ على عصا، فثل بين يدي النبي قائماً وقال: يا بن عبد المطلب ! إني أنبت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس، أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء، ألا وأنت فوّهت بعظيم، وإنما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل، وأنت بمن (أي من قوم) يعبد هذه الحجارة والأوثان فالك وللنبوة ؟ ! ولكن لكل قول حقيقة فأنبئني بحقيقة قولك وبدء شأنك .

فأعجب النبي بمسأله وقال له: يا أخا بني عامر ! إن هذا الحديث الذي تسألني عنه نبأ ومجلساً، فاجلس، فثنى رجله وجلس . فقال له النبي: يا أخا بني عامر إن حقيقة قولي وبدء شأني: إني دعوة أبي إبراهيم وبشرى أخى عيسى بن مريم، وإني كنت بكر أمي .. ثم إن أمي رأت في المنام أن الذي في بطنها نور، وإنها قالت: فجعلت أتبع بصري النور والنور يسبق بصري حتى أضاءت لي مشارق الأرض ومغاربها (الطبري ٢: ١٦١) . ورواه بنفس السند (الكازروني) في (المنتقى) في مولود المصطفى) وقد أخرج ابن أبي الحديد مختصره في (شرح نهج البلاغة) عن الطبري . والظاهر أن هذا الخبر هو ما رواه ابن إسحاق عن ثور بن يزيد إلا أنه نسي السند بعده فقال: «عن بعض أهل العلم ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي» وقد توفي خالد سنة ١٠٨ كما عن (تهذيب التهذيب) ولعله لهذا إنما نقل قطعة من الخبر بالمعنى.

اشتهاره بين الناس، كما رواه الطبرسي في (إعلام الوري) وبدأ بقوله : فمن ذلك ما استفاض في الحديث أن أم رسول الله ﷺ لما وضعت رأت نوراً^(١). وروى يعقوب عن الصادق عليه السلام : أنه كان بين تزويج أبي رسول الله بأمه وبين مولده عشرة أشهر.

الميلاد الميمون

قال : وروى عن أمه إنها قالت : لما وضعت رأيت نوراً ساطعاً بدا مني حتى أفرعني، ولم أر شيئاً مما يرينه النساء .
قال : وروى بعضهم : أنها قالت : سطع مني النور حتى رأيت قصور الشام . ولما وقع الى الأرض قبض قبضة من تراب، ثم رفع رأسه الى السماء^(٢).

(١) إعلام الوري : ١٠ .

(٢) روى مفصل الخبر علي بن إبراهيم القمي في تفسيره مرسلأ : عن آمنة أم النبي أنها قالت : لما حملت برسول الله لم أشعر بالحمل ولم يصبني ما أصاب النساء من ثقل الحمل، ورأيت في نومي كأن آتيا أتاني فقال لي : قد حملت بخير الأنام .
ثم وضعت يتي الأرض بيديه وركبتيه، ورفع رأسه الى السماء وخرج مني نور أضاء ما بين السماء الى الأرض، ورميت الشياطين بالنجوم وحجبوا من السماء، ورأت قريش الشهب تتحرك وتزول وتسير في السماء، ففزعوا وقالوا : هذا قيام الساعة، واجتمعوا الى الوليد بن المغيرة - وكان شيخاً كبيراً مجرباً - فسألوه عن ذلك فقال : انظروا الى هذه النجوم التي يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، فإن كانت قد زالت فهي الساعة، وإن كانت هذه ثابتة فهو لأمر قد حدث .

وكان بمكة رجل يهودي يقال له : يوسف ، فلما رأى النجوم تتحرك وتسير في السماء خرج الى نادي قريش فقال : يامعشر قريش ! هل ولد فيكم الليلة مولود ؟ فقالوا : لا ، فقال : أخطأتم والتوراة . قد ولد في هذه الليلة آخر الأنبياء وأفضلهم ، وهو الذي نحمده في كتبنا أنه إذا ولد ذلك النبي رجعت الشياطين وحجبوا من السماء . فرجع كل واحد إلى منزله يسأل أهله : فقالوا : قد ولد لعبد الله بن عبد المطلب ابن .

فقال اليهودي : اعرضوه عليّ . فمشوا معه إلى باب آمنة فقالوا لها : أخرجي ابنيك ينظر إليه هذا اليهودي . فأخرجته في قاطه ، فنظر في عينيه وكشف عن كتفه فرأى شامة سوداء عليه شعرات . فسقط إلى الأرض مغشياً عليه ، فضحكوا منه . فقال : أتضحكون ؟ يامعشر قريش ! هذا نبيّ السيف ليبيدكم ، وذهبت النبوة من بني إسرائيل إلى آخر الأبد . وتفرّق الناس يتحدثون بخبر اليهودي .

قال علي بن إبراهيم : فلما رميت الشياطين بالنجوم وأنكروا ذلك اجتمعوا إلى إبليس فقالوا : قد منعنا من السماء وقد رمينا بالشهب . فقال : اطلبوا فإنّ أمراً قد حدث في الدنيا . فرجعوا وقالوا : لم نر شيئاً . فقال إبليس : أنا له بنفسي . فجال ما بين المشرق والمغرب حتّى انتهى إلى الحرم فرآه مخفواً بالملائكة وجبريل على باب الحرم بيده حربة . فأراد إبليس أن يدخل فصاح به جبرئيل : إخساً يا ملعون : فجاء من قبل جراء فصار مثل الصّدّ (الجبل المرتفع) ثمّ قال : يا جبرئيل حرف أسألك عنه ؟ قال : وما هو ؟ قال : ما هذا ؟ وما اجتماعكم في الدنيا ؟ فقال : هذا نبي هذه الأمة قد ولد وهو آخر الأنبياء وأفضلهم . قال : هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا . قال : ففي أمته ؟ قال : بلى . قال : قد رضيت (تفسير القميّ ١ : ٣٧٣ ، ٣٧٤ ط النجف) . . . ولنحتفظ في الذاكرة بقوله : «قال : هل لي فيه نصيب ؟ قال : لا» لنقارنه بما سنقرأه في قصّة شق صدره ﷺ من أنّ جبرئيل خاصّة أخرج من صدره نصيب الشيطان !

حملت به أمه في أيام التشريق عند الجمرة الوسطى. وكانت في منزل عبد الله. وولدت في شعب أبي طالب في دار محمد بن يوسف^(١) في الزاوية القصوى عن يسار الداخل للدار، وقد أخرجت الخيزران ذلك البيت فصيرته مسجداً يصلي فيه الناس^(٢).

ونقل المجلسي عن كتاب (حدايق الرياض) و(التواريخ الشرعية) للشيخ المفيد أنه قال: السابع عشر من ربيع الأول مولد سيدنا رسول الله ﷺ عند طلوع الفجر من يوم الجمعة عام الفيل^(٣).

ومع قول يوسف اليهودي في مكة في آخر الخبر السابق عن آمنة: «ذهبت النبوة من بني إسرائيل الى آخر الأبد» لا يمكن أن نرمي الخبر بأنه يهودي من الاسرائيليات.

نعم في الخبر من الاستبعاد أن الوليد بن المغيرة معروف بما وصف به في الخبر ولكن عند ظهور الاسلام، فهل كان كذلك قبل ذلك بأكثر من أربعين عاماً، أي من قبل الأربعين من عمره حتى بعد الثمانين؟

(١) قال المجلسي في هامش البحار: قال المؤرخون: كانت هذه الدار للنبي ﷺ فوهبها لعقيل بن أبي طالب، فباعها أولاده لمحمد بن يوسف أخ الحجاج الثقفي فاشتهرت بدار محمد بن يوسف فأدخلها في قصره الذي كانوا يسمونه البيضاء وبعد انقضاء دولة بني أمية حجت خيزران أم الهادي والرشد فأفرزتها من القصر وجعلتها مسجداً، وهو الآن يصلى ويزار فيه (البحار ١٥ : ٢٥٠، ٢٥٢) وقال السيد الأمين في (أعيان الشيعة): وبقي المسجد في حالته تلك حتى استولى الوهابيون على مكة فهدموه ومنعوا من زيارته، على عادتهم في المنع عن التبرك بآثار الأنبياء والصالحين، بل جعلوه مريضاً للدواب (أعيان الشيعة ٣ : ٧).

(٢) اصول الكافي ١ : ٤٣٩، وذكره المسعودي ٢ : ١٧٤.

(٣) بحار الانوار ١٥ : ٢٥١.

وقال الطبرسي: ولد يوم الجمعة عند طلوع الشمس، السابع عشر من شهر ربيع الأول عام الفيل، وذلك لأربع وثلاثين سنة مضت من ملك كسرى أنوشيروان^(١).

وقال السيد ابن طاووس في (الإقبال): إن الذين أدركناهم من العلماء كان علمهم على أن ولادته المقدسة ﷺ كانت يوم الجمعة السابع عشر من ربيع الأول في عام الفيل عند طلوع فجره^(٢).
ولذلك قال الشيخ المجلسي رحمه الله: إعلم أنه اتفقت الإمامية - إلا من شذ منهم - على أن ولادته ﷺ كانت في السابع عشر من شهر ربيع الأول، وذهب أكثر المخالفين إلى أنها كانت في الثاني عشر منه، واختاره الكليني رحمه الله^(٣).

(١) اعلام الوری: ٥. ووصف كسرى فقال: «وهو قاتل مزدك والزنادقة ومبيريهم، وهو الذي زعموا أن رسول الله عناه فقال: ولدت في زمن الملك العادل الصالح» وهذا أول كتاب نراه ينقل هذا مرسلاً بل موهناً له بأنه من زعم من زعمه من بعض الناس! ولم أجده قبل نقل الشيخ الطبرسي في أي كتاب من العامة والخاصة، بل مرّ خبر يخالفه أنه قال ﷺ: «هذا أول يوم انتصف فيه العرب من العجم، وبني نصرُوا» وقد انتصروا على كسرى أنوشيروان فكيف يصنفه بأنه العادل الصالح؟!

وقال ابن شهر آشوب: ولد بمكة عند طلوع الفجر من يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيع الأول بعد خمسة وخمسين يوماً من هلاك أصحاب الفيل. وقالت العامة: يوم الاثنين الثامن أو العاشر منه. وروى رواية الطبرسي في أنوشيروان ١: ١٧٢.

(٢) بحار الانوار ١٥: ٢٥١.

(٣) بحار الأنوار ١٥: ٢٤٨.

وأشار الشيخ الإربلي إلى الاختلاف في تأريخ ولادته ﷺ ثم قال: أقول: إن اختلافهم في يوم ولادته سهل، إذ لم يكونوا عارفين به وبما يكون منه، وكانوا أميين لا

الوليد لدى جدّه وعمّه:

قال ابن إسحاق: فلما وضعت أمّه -صلى الله عليه وآله- أرسلت إلى جدّه عبد المطلب: إنه قد ولد لك غلام فأتته فانظر إليه. فأتاه فنظر إليه. فحدثته بما رأت حين حملت به وما قيل لها فيه وما أمرت به أن تسميه. فأخذه عبد المطلب فدخل به الكعبة وقام يدعو الله ويشكر له ما أعطاه^(١).

روى ابن الشيخ في أماليه بسنده عن كتاب أبان بن عثمان الأحمري الكوفي مولى بني بجلة من أصحاب الصادق عليه السلام عنه قال: أتى به عبد المطلب لينظر إليه وقد بلغه ما قالت أمّه، فأخذه فوضعه في حجره ثم عوّذه

يعرفون ضبط مواليد أبنائهم، فأما اختلافهم في موته فعجيب! ولا عجب من هذا أيضاً مع اختلافهم في الأذان والإقامة، بل اختلافهم في موته أعجب، فإن الأذان ربما ادعى كل قوم أنهم روي فيه رواية، فأما يوم موته فيجب أن يكون معيّناً معلوماً (كشف الغمة ١: ١٥).

ونقل السيد المرتضى في (الصحيح) هذا الكلام للاربطي ثم علق عليه يقول: وأعجب من ذلك اختلافهم في الكثير الكثير من الأمور التي كانوا يمارسونها مع النبي ﷺ عدة مرات يومياً طيلة أعوام عديدة، حتى أنك لتجدهم يرون التناقضات عنه ﷺ في أفعال الوضوء والصلاة، وهم كانوا يؤدونها معه خمس مرات يومياً، بل قد تجد بعضهم يقول: إنهم كانوا يعرفون أنه يقرأ في صلاة الظهر والعصر من اضطراب لحيته (الصحيح ١: ٨٠ نقلاً عن الصحيح للبخاري ٦: ٩٠ و ٩٣ ط ١٣٠٩ ومسند أحمد ٥: ١٠ و ١٢ والسنن الكبرى للبيهقي ٢: ٣٧ و ٥٤ عن الصحيحين).

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٦٨، ١٦٩ ورواه الطبري عنه ٢: ١٥٧ بزيادة.

بأركان الكعبة وقال فيه شعراً:

الحمد لله الذي أعطانني هذا الغلام الطيب الأردان

قد ساد في المهد على الغلمان^(١)

وروى ابن شهر آشوب عن (كتاب الإبانة) لابن بسطة قال: ولد النبي ﷺ مقطوع السرة مختوناً، فحكى ذلك لجده عبد المطلب فقال: ليكوننّ لابني هذا شأن^(٢).

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: لما جاء آمنة بنت وهب داء المخاض حضرتها فاطمة بنت أسد امرأة أبي طالب فلم تزل معها حتى طلقت ووضعت، فقالت إحداها للأخرى: هل ترين ما أرى؟ فقالت: وما ترين؟ قالت: هذا النور الذي قد سطع ما بين المشرق والمغرب. وجاء أبو طالب فأخبرته فاطمة بالنور الذي قد رأت، فقال أبو طالب: أمّا إنك ستلدين غلاماً يكون وصي هذا المولود^(٣).

وفاة عبدالله:

روى اليعقوبي عن الصادق عليه السلام أنّه توفي بعد شهرين من مولد محمد -صلى الله عليه وآله- وسلم. ثمّ قال: وقال بعضهم: إنّهُ توفي قبل أن يولد، وهذا غير صحيح، لانّ الاجماع على أنّه توفي بعد مولده! وقال آخرون: بعد سنة من مولده. وكانت وفاته بالمدينة في دار تعرف بدار

(١) أمالي ابن الشيخ: ١٧١ كما في البحار ١٥: ٢٥٨.

(٢) المناقب ١: ٣٢.

(٣) روضة الكافي ٣٠٢. وروى مثله بسند آخر ابن شهر آشوب في المناقب ١: ٢٣.

النابعة بين أخواله بني النجار^(١).

والمعروف بمن قال إن عبد الله توفي قبل أن يولد محمد ﷺ محمد ابن إسحاق فقد ذكر - كما في سيرة ابن هشام والطبري والطبرسي -: أن عبد الله لم يلبث أن هلك وأم رسول الله حامل به^(٢).

ثم الواقدي، فقد روى الطبري عنه عن الزهري: أن عبد المطلب كان قد بعث عبد الله إلى المدينة كي يحمل لهم قرأ فأت بالمدينة، فحين أبطأ عبد الله على عبد المطلب بعث إليه الحارث في طلبه فوجده قد مات. ثم قال الواقدي: والتبث عندنا أن عبد الله بن عبد المطلب أقبل من الشام في غير لقریش، فنزل بالمدينة وهو مريض، فأقام بها حتى توفي، ودفن في الدار الصغرى للنابعة على اليسار إذا دخلت الدار، ليس بين أصحابنا في هذا اختلاف^(٣).

ولعلّ اليعقوبي يقابل بالإجماع هذه الدعوى بعدم الخلاف في ذلك، سيما وهو يروي خبره بوفاته بعد ميلاد الرسول بشهرين عن الصادق جعفر ابن محمد ﷺ فيرى على نفسه أن يدافع عنه ولو بمقابلة دعوى عدم الخلاف بدعوى الإجماع.

ويوافق اليعقوبي الكليني من دون نسبة إلى الصادق ﷺ فيقول:

(١) اليعقوبي ٢ : ١٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٧ . والطبري ٢ : ١٦٥ وإعلام الوری : ٩ .

(٣) الطبري ٢ : ١٦٥ و ٢٤٦ . وقال في ١٦٥ : أما هشام الكلبي فأنه قال : توفي عبد الله بعد ما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون شهراً .

وأما الدار التي دفن فيها أبو النبي فقد كانت قائمة حتى بعد عام ١٣٩٠ هـ ثم هدمت في توسيع فلجة مسجد النبي ﷺ ولم يبق لها أي أثر .

وتوفي أبوه عبد الله بالمدينة عند أخواله، وهو ابن شهرين^(١) فلعلّه لم يعتد برواية يعقوبي لإرسالها، أو لم يطلع عليها.

أمّا المسعودي فقد ذهب إلى ما ذهب إليه ابن إسحاق والواقدي إذ قال: وكان أبوه عبد الله غائباً بأرض الشام فانصرف مريضاً فأتت بالمدينة ورسول الله ﷺ حمل. ثم قال: ومنهم من قال: أنّه مات بعد مولد النبي بشهر، ومنهم من قال: أنّه مات في السنة الثانية من مولده^(٢).

وروى المجلسي عن (المنتقى في مولد المصطفى) للكارزوني من العامة: أنّ عبد الله خرج إلى الشام في غير من قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم ثمّ انصرفوا فرّوا بالمدينة، وعبد الله يومئذ مريض فقال اتخلف عند أخوالي بني عديّ بن النجار فأقام عندهم مريضاً شهراً، ومضى أصحابه فقدموا مكة فسألهم عبد المطلب عن عبد الله فقالوا: خلفناه عند أخواله بني عدي وهو مريض. فبعث إليه عبد المطلب أكبر ولده الحارث، فوجده قد توفي، فأخبره أخواله بمرضه وبقياهم عليه. وما ولوا من أمره حتّى قبروه، فرجع الحارث إلى أبيه فأخبره فحزن عليه وإخوته وأخواته حزناً ووجدوا شديداً. ورسول الله يومئذ حمل. ولعبد الله يوم توفي خمس وعشرون سنة. ثم قال: وروي: أنّه توفي بعد ما أتى على رسول الله سبعة أشهر، ويقال: ثمانية وعشرون شهراً.

ثم روى الكارزوني عن الواقدي: أنّ عبد الله ترك من الإرث قطع

(١) اصول الكافي ١: ٤٣٩.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢٧٤.

٢٦٠..... موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

غنم وخمسة جمال ومولاته بركة وهي أمّ أيمن حاضنة رسول الله^(١) وقال الطبرسي: عاش صلى الله عليه وآله مع أبيه سنتين وأربعة أشهر. ثمّ قال: وقيل: إنّ أباه صلى الله عليه وآله مات والنبي ابن سبعة أشهر^(٢).

وقال الأربلي: عاش مع أبيه سنتين وأربعة أشهر. ثمّ قال: وقيل: مات أبوه وعمره سبعة أشهر^(٣).

والاربلي في كلامه هذا يحاكي كلام الطبرسي، والقول الأوّل هو قول هشام الكلبي كما قال الطبري: وأمّا هشام الكلبي فأثّه قال: توفي عبد الله أبو رسول الله بعد ما أتى على رسول الله ثمانية وعشرون شهراً^(٤). ومما يؤيد رواية ابن إسحاق بوفاة عبد الله قبل ميلاد الرسول أنّا لا نعثر على أي خبر أو أثر عن عبد الله حين ميلاد الرسول، وأنما نجد جدّه عبد المطلب يلتمس له الموضع.

رضاع النبي صلى الله عليه وآله:

روى المجلسي عن الكازروني في (المنتقى) عن برّة الخزاعية: أنّ أوّل من أَرْضَعَ رسول الله -صلى الله عليه وآله- ثوية -مولاة أبي لهب عمّ النبي- بلبن ابن لها يقال له مسروح، قبل أن تقدم حلّمة، أياماً. وكانت قد أرضعت قبله حمزة بن عبدالمطلب وأرضعت بعده أبا سلمة بن

(١) البحار ١٥ : ١٢٤، ١٢٥ عن المنتقى في مولد المصطفى لحمد بن مسعود الكازروني وفي ص ١١٦ نقل عن كتاب العدد: أنّه ورث ذلك عن أمه.

(٢) إعلام الوري: ٩ ط النجف.

(٣) كشف الغمة ١ : ١٦ ط تبريز.

(٤) الطبري ٢ : ١٦٥ ط المعارف.

عبد الأسد المخزومي .

وكانت -ثوية- تدخل على رسول الله -صلى الله عليه وآله- وسلم- فيكرمها، وكان يبعث إليها رسول الله بعد الهجرة بكسوة وصلة، وكانت قد أسلمت، فماتت بعد فتح خيبر^(١).

وروى عن الكليني في (فروع الكافي) بسنده عن الصادق عليه السلام قال :
إنّ علياً ذكر لرسول الله ابنة حمزة، فقال رسول الله ﷺ : أما علمت أنّها
ابنة أخي من الرضاعة . ثمّ قال الصادق عليه السلام : وكان رسول الله وعمّه حمزة
قد رضعا من امرأة^(٢).

وقال اليعقوبي : كان أوّل لبن شربه بعد أمّه لبن «ثوية» مولاة أبي
هلب . وقد أرضعت ثوية هذه حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب،
وأبا سلمة بن عبد الأسد المخزومي^(٣).

والطبري روى الخبر نفسه الذي رواه الكازروني، بسنده إلى برة ابنة
أبي تجزأة عن طريق الواقدي^(٤).

وقال الطبرسي في (إعلام الوري) : وكانت ثوية مولاة أبي هلب بن
عبد المطلب أرضعت النبي ﷺ بلبن ابنها مسروح، قبل أن تقدم حليمة،
وتوفيت ثوية مسلمة سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها قبلها . وكانت ثوية

(١) البحار ١٥ : ٣٨٤ عن المنتقى في مولد المصطفى لمحمد بن مسعود الكازروني .

(٢) البحار ١٥ : ٣٤٠ عن فروع الكافي ٢ : ٤١ و ٤٢ ورواه الصدوق في الفقيه ٣ :

٢٦٠ والطوسي في التهذيب ٧ : ٢٩٢ . وراجع مفتاح الكتب الأربعة ١٤ : ٣٤٠ و

٣٤٣ .

(٣) اليعقوبي ٢ : ٩ .

(٤) الطبري ٢ : ١٥٨ .

قد أرضعت قبل حمزة بن عبد المطلب عمه، فلذلك قال رسول الله لابنة حمزة: إنها ابنة أخي من الرضاعة. وكان حمزة أسنّ من رسول الله بأربع سنين^(١).

وروى ابن شهر آشوب رواية الطبري^(٢).
وقال الاربلي في (كشف الغمة): أرضعته ثوية مولاة أبي هب، قبل قدوم حليلة أياماً بلبن ابنها مسروح، وتوفيت ثوية مسلمة سنة سبع من الهجرة، ومات ابنها قبلها. وكانت ثوية قد أرضعت قبله عمه حمزة عليه السلام، فلهذا قال عليه السلام وقد حدث في التزويج بابنة حمزة: إنها ابنة أخي من الرضاعة. وكان حمزة أسنّ منه بأربع سنين^(٣).

(١) إعلام الوری: ٦ ط النجف. ويقال: انه عليه السلام لما افتتح مكة سأل عنها وعن ابنها فاخبر انها ماتا، كما عن الاستيعاب والروض الاتف وشرح المواهب.

(٢) المناقب ١: ١٧٣ ط قم.

(٣) كشف الغمة ١: ١٥، والعبارة هي عبارة الطبرسي في إعلام الوری بدون اسناد. وقد ثقل على بعض غلاة ولادة أئمة أهل البيت عليهم السلام أن يقرّوا لمولاة أبي هب أن تكون أوّل من أرضعت النبي عليه السلام، فلم يسلموا لها بذلك، ثم حاولوا أن يسدّوا هذا الفراغ الزماني بعد ميلاده وقبل دفعه الى حليلة السعدية بما رواه الكليني قوله بسنده الى علي بن أبي حمزة البطائني عن أبي بصير عن الصادق عليه السلام أنه قال: لما ولد النبي مكث أياماً ليس له لبن، فألقاه أبو طالب على ثدي نفسه فأنزل الله فيه لبناً فوضع منه أياماً! حتّى وقع أبو طالب على حليلة السعدية فدفعه اليها (أصول الكافي ١: ٤٤٨) هذا، وقد روى الكشي في رجاله في ذم علي بن أبي حمزة البطائني أخباراً كثيرة تتهمه بالكذب وتلعنه، فلعنة الله عليه. غفر الله للكليني وابن شهر آشوب والمجلسي إذ رووا هذا الكذب، ورحم الله الشيخ الزباني الشيرازي محقق البحار (١٥) إذ علّق على هذا الكذب بقوله: الحديث لا يخلو عن غرابة، وفي اسناده جماعة لا يحتج بحديثهم

الرضاع الميمون

رضاعه من حليلة السعدية:

روى ابن إسحاق بسنده إلى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب عن حليلة بنت أبي ذؤيب السعدية أنها كانت تقول: إنها خرجت من بلدها مع زوجها الحارث بن عبد العزى من بني هوازن ومعها رضيعها عبد الله بن الحارث، ومعها نسوة من بني سعد كل واحدة منهن تلمس رضيعاً ترضعه ترجو المعروف من أبيه. وذلك في سنة مجدبة لم تبق لهم شيئاً، وما أرض أجذب من بلاد بني سعد. فما كان في ثديها ما يغني صبيها الرضيع حتى كانوا ما ينامون ليلهم من بكائه من الجوع، ومعها ناقة لها مسنة ما ترشح بشيء يغذيهم، وكانت هي على أتان يتخلف عن الركب ضعفاً وهزالاً. حتى قدموا إلى مكة، فابقيت امرأة ممن مع حليلة إلا أخذت رضيعاً لها سوى حليلة وكلما كان يعرض رسول الله ﷺ على امرأة منهن يقال لها إنه يتيماً، كانت تأباه ليطمه. وبقيت حليلة لم تأخذ رضيعاً، ولم يبق رضيع سوى رسول الله ﷺ، قالت حليلة: فقلت لزوجي: واللّه إنّي لأكره أن أرجع وأنا بين صواحي لم آخذ رضيعاً، واللّه لاذهبن إلى ذلك اليتيم فلاخذنه، قال صاحبي: لا عليك أن تفعل عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة. قالت: فذهبت إليه فأخذته - وما حملني على أخذه إلا أنّي لم أجد غيره - ورجعت به إلى رحلي ووضعت في حجري وأقبل عليه ثدياي بما

شاء من لبن فشرب حتى روي، وشرب معه أخوه فروي. وقام زوجي الى ناقتنا فإذا ضرعها مليء باللبن فحلب ما شرب وشربت معه حتى روينا، فقال لي صاحبي: يا حليلة لقد أخذت نسمة مباركة، فقلت والله إني لأرجو ذلك.

ثم قدمنا منازلنا من بلاد بني سعد، فلم نزل نتعرف من الله الزيادة والخير، وكانت غنمي ترجع إلينا بعد العصر شباعاً قد إمتلأ ضرعها من اللبن، وترجع غنم القوم جياعاً لا ترشح بقطرة لبن. وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- يشب ما لا يشبه الغلمان، فلم يبلغ سنتيه من الرضاعة حتى غلظ واشتد جسمه، حتى إذا مضت سنتاه وفصلته، فقدمنا به على أمه ونحن أحرص شيء على مكثه فينا لما نرجو من بركته، فكلمنا أمه فلم نزل بها حتى ردتته معنا فرجعنا به.

قالت حليلة: وبعد مقدمنا به بأشهر إحتملناه فقدمنا به على أمه. فقالت آمنة: ما أقدمك به وقد كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك؟

فقلت: قد بلغ الله بابني وقضيت الذي عليّ، وتخوفت الأحداث عليه، فأديته إليك كما كنت تحبين.

فقالت: افتخوفت عليه الشيطان؟ قالت: قلت: نعم. قالت: كلاً والله ما للشيطان عليه من سبيل. ثم أخبرتها بما رآته منه حين حمله ووضعه.

قال ابن اسحاق: حدثني بعض أهل العلم: انّ ممّا هاج أمه السعدية على رده الى أمه: أنّ نفراً من نصارى الحبشة رأوه فنظروا إليه وسألوه عنها وقلبوه ثم قالوا لها: إنه يكون لهذا الغلام شأن نحن نعرف أمره،

وأرادوا أن يأخذوه إلى بلدهم، حتى كادت أن لا تنفلت به منهم.
قال ابن إسحاق: يتحدث الناس: إنها لما قدمت به إلى مكة نحو أهله
افتقدته في الناس، وكلما التستته لم تجده، فأتت عبد المطلب فقالت له: إني
قد قدمت بمحمد البارحة، فلما كنت بأعلى مكة افتقدته فوالله ما أدري
أين هو؟

فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله أن يرده عليه، فوجده رجلان
من قريش أحدهما ورقة بن نوفل بن أسد - ابن عم خديجة - فأتيا به عبد
المطلب فقالا له: هذا ابنك وجدناه بأعلى مكة. فأخذه عبد المطلب فجعله
على عنقه وطاف به الكعبة يعوده ويدعو له ثم أرسل به إلى أمه آمنة^(١).

قصة شق الصدر!

إن خبر رضاع النبي ﷺ من حليلة السعدية من المسلم به من
أخبار التاريخ إجمالاً، إلا أن عمدة ما ورد بتفصيل الخبر فيه خبران ذكرهما
الطبري:

الخبر الأول: رواية ابن إسحاق عن الجهم بن أبي الجهم عن عبد الله
ابن جعفر بن أبي طالب، عن حليلة السعدية. وقد رواها الطبري عن ابن

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٧١ - ١٧٧ بتصرف ورواه عنه الطبري ٢: ١٥٨، ١٦٠،
ورواه عنها ابن أبي الحديد في شرح النهج ٣: ٢٥٢، ٢٥٣ وروى المجلسي عن
الكاظمي في (المنتقى): أن رسول الله لما تزوج بخديجة سمعت به حليلة فقدمت على
رسول الله فشكت إليه جذب البلاد وهلاك الماشية. فكلّم رسول الله خديجة فأعطتها
أربعين شاة وبعيراً، فانصرفت إلى أهلها. وبعد الإسلام قدمت عليه فاستأذنت عليه،
فقال: أمي أمي، وعمد إلى رداءه فبسطه لها فقعدت عليه (البحار ١٥: ٤٠١).

إسحاق يصف الجهم بأنه مولى عبد الله بن جعفر، بينما رواها عنه ابن هشام في سيرته يصف الجهم بأنه مولى الحارث بن حاطب الجمحي. وفي الخبر عن حليلة أنها قالت: إنه ﷺ كان -بعد رجوعنا به من أمه بأشهر- مع أخيه -عبد الله بن الحارث السعدي- في بهم^(١) لنا خلف بيوتنا إذ أتانا أخوه يشتد ويقول: ان أخي القرشي قد أخذه رجلان عليها ثياب بيض، فأضجعاه فشققا بطنه و...! فخرجت أنا وأبوه نحوه فوجدناه قائماً منتقعاً وجهه! فقلنا له: ما لك يا بني؟ قال: جاءني رجلان عليها ثياب بيض فأضجعاني وشققا بطني فالتسا فيه شيئاً لا أدري ما هو!^(٢).

والخبر الثاني: رواية الطبري أيضاً بسنده عن ثور بن يزيد الشامي، عن مكحول الشامي، عن شداد بن أوس. والظاهر أن هذا الخبر هو ما رواه ابن إسحاق عن ثور بن يزيد أيضاً إلا أنه نسي ما بعد ثور من السند فقال «عن بعض أهل العلم، ولا أحسبه إلا عن خالد بن معدان الكلاعي» ثم اختصره وتصرّف فيه ما قد نسيه كالسند، فقرب فيه من الخبر السابق إذ قال فيه عن النبي ﷺ أنه قال: استرضعت في بني سعد، فبينما أنا مع أخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا، إذ أتاني رجلان عليها ثياب بيض بطست من ذهب مملوؤة ثلجاً، ثم أخذاني فشققا بطني، واستخرجا قلبي فشققاه، فاستخرجا منه علقة سوداء فطرحاها، ثم غسلوا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى أنقياه^(٣).

(١) البهم: الصغار من الغنم.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ١٧١ - ١٧٤، والطبري ٢: ١٥٨ - ١٦٠.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ١٧٥.

بينما نرى في رواية الطبري . بسنده عن ثور بن يزيد نفسه عن مكحول الشامي عن شداد بن أوس عن النبي -صلى الله عليه وآله [وسلم- أنه قال : وكنت مسترضعاً في بني ليث بن بكر، فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلي في بطن واد مع أتراب لي من الصبيان نتقاذف بالجلّة^(١) إذ أتانا رهط ثلاثة معهم طست من ذهب مليء ثلجاً، فأخذوني من بين أصحابي، فخرج أصحابي هرباً حتى انتهوا إلى شفير الوادي... ثم انطلقوا هرباً مسرعين إلى الحيّ يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم. فعمد أحدهم فأضجعني على الأرض... ثم شقّ ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي... ثم أخرج أحشاء بطني فغسلها بذلك الثلج... ثم أعادها مكانها. ثم قام الثاني منهم... ثم أدخل يده في جوفي فأخرج قلبي، فصده ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها... فإذا أنا بخاتم في يده... فختم به قلبي فامتلاً نوراً وذلك نور النبوة والحكمة، ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم في قلبي دهرًا. ثم قام الثالث... فأمرّ يده ما بين مفرق صدري إلى منتهى عانتي فالتأم ذلك الشقّ بإذن الله، ثم أخذ بيدي فأنهضني^(٢).

فترى رواية الطبري هذه عن شداد بن أوس تختلف عن رواية ابن إسحاق في : المكان الذي جرى فيه الحادث، وفي : عدد الأشخاص الذين جاؤوه، وفي : الكيفية التي وقع عليها، إلى غير ذلك مما اشتملت عليه رواية

(١) الجلّة بالفتح : بحر البعير، ومنه الإبل الجلّالة، والحيوان الجلّال، وهذا ما يبعدنا عن تصديق الخبر أيضاً.

(٢) الطبري ٢ : ١٦٠ - ١٦٢.

الطبري من الخصوصيات التفصيلية التي لم تتفق معها رواية ابن اسحاق، مع أن كليهما تَمَرَّان بثور بن يزيد الكلاعي الشامي المتوفى في ١٥٥ كما في كتب الرجال ومنها «تهذيب التهذيب»، ولذلك نرى ابن إسحاق يسحق موارد الخلاف في هذا الخبر باختصاره للتفصيلات الواردة فيه، وبالتصرف في عدد الملائكة، فبينما نجد خبر ثور بن يزيد عن شداد بن أوس يذكر عدد الملائكة الحاضرين للقيام بالعمليّة على رسول الله : ثلاثة، نجد ابن إسحاق قد أعاد العدد الى اثنين كي يتوافق العدد فيه مع ما في خبر الجهم عن عبد الله بن جعفر .

وكذلك في عدد من معه، فبينما نجد خبر ثور عن شداد يذكر «مع أتراب لي من الصبيان» نرى ابن إسحاق قد أعاد العدد الى فرد بنفس النسبة التي في خبر الجهم عن ابن جعفر «مع أخ لي»، وكذلك بالتصرف في المكان الذي جرى فيه الحادث، فبينما نجد خبر ثور عن شداد يذكر مكان الحادث «منتبذ من أهلي في بطن واد» نرى ابن إسحاق قد أعاده الى «خلف بيوتنا» .

وكذلك بالتصرف في حال الرسول حينئذ : فبينما نرى خبر ثور عن شداد يذكر «نتقاذف بالجلّة» نرى ابن إسحاق قد أبى على النبي اللعب بالجلّة ولو في صغره وأصرّ على تكرير ما في خبر الجهم «نرعى بهما لنا» أي نرعى الصغار من الغنم، وليت شعري إذا كان الذي أو الذين معه أترابه وهو كما في خبر الجهم بعد أشهر من فصاله فكيف يرعى الغنم ؟!

وإنّ هذا لعمري لدليل على وضع الخبر وقصر حبل الكذب ! وهذا الاختلاف بذاته لمن الدواعي التي تثير الشكوك حول هذه الحادثة، وبخاصة إذا نظرنا الى أسانيد هذه الروايات وعرضناها على الأصول التي لا بد من

توفرها لقبول الرواية، وإن كان لم يقنع بهذا القدر من التشكيك كثير من كتاب السيرة^(١).

وحينما تراجع تراجم الرجال نجد أن أرباب التراجم قد رجحوا ثوابن يزيد بأنه: شامي كان يرى القدر، أي هو من القدرية وأنا أرى أن القدرية التي ينسب إليها الشاميون في شعاع أفكار الأمويين هي أن أعمال العباد بقدر مقدّر قد قضى به الله، لا القدر بمعنى يجتمع مع إرادة الإنسان واختياره.

وعلى هذا فهو متهم بوضع ما يؤيد به مذهبه القدري الجبري، كما قال السيد المرتضى العاملي:

«ألا تعني هذه الرواية أنه ﷺ كان مجبراً على عمل الخير، وليس لارادته فيه أي أثر أو فعالية أو دور؟! لأن حظّ الشيطان قد أبعد عنه بشكل قطعي وقهري، وبعملية جراحية، وهل إذا كان الله يريد أن لا يكون عبده شريكاً محتاج في أعمال قدرته إلى عمليات جراحية كهذه على رأي من الناس ومسمع؟!»^(٢) هذا إلى خمس نقاط أخرى نقد بها السيد المرتضى هذا الخبر. ولعله أخذ هذا المعنى عن رواية جاهلية عن أمية بن أبي الصلت: أنه دخل على أخته فنام على سرير في ناحية البيت، فانشق جانب من السقف في البيت، وإذا بطائرین قد وقع أحدهما على صدره ووقف الآخر مكانه، فشقّ الواقع على صدره صدره، فأخرج قلبه، فقال الطائر الواقف للطائر الذي على صدره: أوعى؟ قال: وعى، قال: أقبل؟

(١) السيد الحسنی فی کتابه: سيرة المصطفى: ٤٦ بعد أن اعترف بما في ذلك من التشكيك.

(٢) الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ١: ٨٦.

قال : أبي، ثم ردّ قلبه بموضعه^(١).

هَذَا، وقد روى المجلسي في بحاره هذا الخبر عن الكازروني في كتابه (المنتقى في مولد المصطفى) بنفس السند ثم علّق عليه الكازروني يقول : هذا حديث حسن غريب بهذا السياق، يعدّ في أفراد محمد بن يعلى، وكان يلقّب بزنبور، وليس بذاك، ولمكحول عن شداد أحاديث غير أنّها مرسلّة. ثم علّق المحقق الرباني الشيرازي يقول : محمد بن يعلى ضعّفه ابن حجر في «التقريب» وحكى عن أبي حاتم أنّه قال : متروك، وقال الخطيب : يتكلم فيه . توفي ٢٠٥هـ^(٢).

أمّا الخبر الأوّل عن عبدالله بن جعفر فهو عن مولاة الجهم بن أبي الجهم، وإن كان عبد الله بن جعفر يخالط بني أميّة بجسده ولا يخالطهم بفكره وعقيدته، فما مولاة من ذلك ببعيد^(٣).

ولا يحضرني الآن كتاب عبد الكريم الخطيب اذ نقل عنه السيد المرتضى: أنّه ناقش في كتابه سند رواية ابن إسحاق إذ قال «عن بعض أهل العلم»^(٤). وكذلك محمد حسين هيكّل في كتابه^(٥).

(١) كما في الأغاني ٣ : ١٨٨ - ١٩٠ .

(٢) البحار ١٥ : ٣٩٦ - ٤٠٠ .

(٣) ولعلّه هو مولاة أبو اللّسلاس الذي روى فيه الطبري عن أبي مخنف : أنّه دخل على مولاة والناس يعزّونه بمقتل الحسين عليه السلام ، فقال : هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين ! فحذّفه عبدالله بن جعفر بنعله وقال : يا بن اللّخناء اللّحسين تقول هذا ! (الطبري ٥ : ٤٦٦) .

(٤) الصحيح ١ : ٨٤ عن كتاب : النبي محمد : ١٩٦ .

(٥) حياة محمد : ٧٣ .

وقد ناقش هذا الخبر الشيخ أبو ريّة، نقاشاً موضوعياً سليماً في كتابه القيم «أضواء على السنّة المحمّدية» فنقل تشكيك استاذة الشيخ محمّد عبده في تفسيره إذ قال «والحقّ عندنا أنّه ليس للشيطان سلطان على عباد الله المخلصين، وخيرهم الأنبياء والمرسلون. أمّا ما ورد في حديث إزالة حظّ الشيطان من قلبه -صلى الله عليه وآله- وسلّم- فهو من الأخبار الظنية، لأنّه من رواية الآحاد، ولمّا كان موضوعها عالم الغيب، والايان بالغيب من قسم العقائد، وهي لا يؤخذ فيها بالظنّ، لقوله تعالى ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾ كُنّا غير مكلفين بالايان بمضمون تلك الأحاديث في عقائدنا»^(١).

والشيخ عبده إذ ينفي سلطان الشيطان على المخلصين من عباد الله يستند الى ما جاء في سورة الحجر من الكتاب العزيز في قوله سبحانه ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمَخْلُصِينَ قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾^(٢) وقد جاء أبو ريّة بهذه الآيات ثمّ قال: فكيف يدفعون الكتاب بالسنّة، أو يعارضون المتواتر الذي يفيد اليقين، بأحاديث الآحاد التي لا تفيد الا الظنّ إن صحّت^(٣).

وقال: وقد نصّت هذه الروايات على أنّ صدره -صلوات الله عليه-

(١) تفسير القرآن الحكيم ٣: ٢٩١، ٢٩٢ كما في الأضواء: ١٨٨.

(٢) الحجر: ٣٩ - ٤٢.

(٣) أضواء: ١٨٨.

قد شُقَّ وأُخرجت منه العلقة السوداء! وحظَّ الشيطان كما يقولون، وكأنَّ العملية الأولى لم تنجح فأعيد شقَّ صدره، ووقع ذلك مرّات عديدة بلغت خمساً، أربع منها باتفاق كما يقولون: في الثالثة من عمره، وفي العاشرة، وعند مبعثه، وعند الإسراء، ومرة خامسة فيها خلاف. وقد قالوا: إنَّ تكرار الشق إنما هو زيادة في تشريف النبي^(١).

وفي تفسير الآية الأولى من سورة الإسراء وبمناسبة حديث الإسراء قال الشيخ الطبرسي في تفسيره «وقد وردت روايات كثيرة في قصة المعراج في عروج نبينا إلى السماء ورواها كثير من الصحابة. وتنقسم مجلتها إلى أربعة وجوه» إلى أن قال «ورابعها: ما لا يصحّ ظاهره ولا يمكن تأويله إلا على التعسف البعيد، فالأولى أن لا نقبله» إلى أن قال «وأما الرابع: فنحو ما روي أنه شُقَّ بطنه وغسلته الملائكة، ذلك لانه ﷺ كان طاهراً مطهراً من كل سوء وعيب، وكيف يطهر القلب وما فيه من الاعتقاد، بالماء^(٢).

ولهذا لم يذكر هذا الخبر ضمن أخباره عن النبي ﷺ في كتابه (إعلام الوري).

وفي نفس الوقت نرى البعض يعتبر هذا الخبر من إرهاصات النبوة ومثار إعجاب وتقدير خُصَّ به نبينا ﷺ ولم يحصل لأيٍّ من الأنبياء السابقين كالحلي في كتابه: (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)^(٣)

(١) اضواء : ١٨٧ .

(٢) مجمع البيان ٦ : ٦٩ ط بيروت .

(٣) المعروف بالسيرة الحلبية ١ : ٣٦٨ .

والبوطي في كتابه : (فقه السيرة)^(١) والسيد الحسيني في كتابه : (سيرة المصطفى) مع الاعتراف بضعف مستنده^(٢).

وعلق عليه السيد المرتضى فقال متسائلاً: ولم يختص نبينا بهذه العملية ولم تحصل لأي من الانبياء السابقين؟! أفهل يعقل أن يكون هو بحاجة الى هذه العملية فقط دون سائر الانبياء؟ إذن فكيف يكون أكملهم وأفضلهم؟! أم يقولون: قد كان فيهم للشيطان حظاً أيضاً ولكنه لم يقتطع منهم بعملية جراحية كهذه، ولذلك أصبح هذا أفضلهم وأكملهم؟!^(٣).

ولا تخلو كتب السيرة والحديث عند غير الإمامية عن هذه الرواية غالباً حتى بعض الصحاح كصحيح مسلم، فقد روى بسنده عن أنس بن مالك قال: إن رسول الله أتاه جبرئيل وهو يلعب مع الغلمان فأخذه وصرعه فشقّ عن قلبه فاستخرج القلب فاستخرج منه علقة فقال: هذا حظّ الشيطان منك، ثمّ غسله في طستٍ من ذهب بماء زمزم، ثمّ لأمه ثمّ أعاده الى مكانه. وجاء الغلمان يسعون الى أمّه -يعني ظره- فقالوا: إنّ محمّداً قد قتل، فاستقبلوه وهو منتقع اللون! قال أنس: وقد كنت أرى أثر ذلك المخيط في صدره^(٤). وهي عند الإمامية قصّة لم يصحّحها حديث ولا اعتبار، وهم برآء من هذه وأمثالها. وقد نقلها المحدث المجلسي في بحاره عن كتاب (فضائل شاذان بن جبرئيل القمي) نقلاً عن يسميه الواقدي. ثمّ

(١) فقه السيرة : ٥٣ .

(٢) سيرة المصطفى : ٤٦ .

(٣) الصحيح في السيرة ١ : ٨٦ .

(٤) صحيح مسلم ١ : ١٠١ - ١٠٢ بأربعة طرق .

قال المجلسي: أقول: هذا الخبر-وان لم نعتد عليه كثيراً، لكونه من طرق المخالفين- إنما أوردته لما فيه من الغرائب!

وعلق عليه المحقق الرباني الشيرازي يقول: نحن في غنى من أن نسرد كل ما عثرنا عليه مما جاء في فضائله من المعاجز وخوارق العادات كما كان كاتبو سيرته من القدماء يفعلون ذلك، فنحن لا نحتاج في إثبات عظمتة إليها، بعد ما ملأت فضائله الآفاق^(١).

وأين هذه الصورة عن النبي ﷺ عن ذلك الوصف الذي يصفه به صنوه وصهره وأخوه ثم وصيه علي عليه السلام إذ قال في كلام له «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»^(٢).

وروى ابن أبي الحديد: أن بعض أصحاب الامام الباقر عليه السلام سأل عن قوله سبحانه ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَانَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رِصْدًا﴾^(٣)؟ فقال عليه السلام: «يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم ويؤدّون إليهم تبليغ الرسالة، ووكل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فصل من الرضاع، يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشر ومكاره الأخلاق»^(٤).

(١) البحار ١٥ : ٣٥٣ - ٣٥٧ - الهامش .

(٢) نهج البلاغة، القسم الأول: الخطبة القاصعة: ١٩٢، المقطع ١١٨ عن مسعدة بن صدقة عن الامام الباقر عليه السلام .

(٣) الجن: ٢٧ .

(٤) شرح النهج للمعتزلي ١٣ : ٢٠٧، وعنه في البحار ١٥ : ٣٦١ .

وفود عبد المطلب على سيف بن ذي يزن:

روى الصدوق في (إكمال الدين) بسنده عن ابن عباس قال: لما ظفر سيف بن ذي يزن بالحبشة - وذلك بعد مولد النبي ﷺ بستين - أتاه وفد العرب وأشرفها وشعراؤها بالتهنئة، تقدمه وتذكر ما كان من بلائه وطلبه بثأر قومه.

فأتاه وفد من قريش ومعهم عبد المطلب بن هاشم، وأمّية بن عبد شمس، وعبد الله بن جدعان، وأسيد بن خويلد بن عبد العزى (كذا)، ووهب بن عبد مناف (أبو آمنة أم النبي) وأناس من وجوه قريش. فقدموا عليه في صنعاء، فاستأذنوا فإذا هو في رأس قصر يقال له (غمدان) فدخل عليه الآذن فأخبره بمكانهم فأذن لهم، فلما دخلوا عليه دنا عبد المطلب منه فاستأذنه في الكلام، فقال: إن كنت ممن يتكلم بين يدي الملوك فقد أذنا لك. فتكلم عبد المطلب فقال فيما قال: نحن - أيها الملك - أهل حرم الله وسدنة بيته، أشخصنا إليك الذي أبهجنا من كشف الكرب الذي فدحنا، فنحن وفد التهنة لا وفد المرزئة. قال: وأيهم أنت أيها المتكلم؟ قال: أنا عبد المطلب بن هاشم. فأقبل عليه وعلى القوم فقال: مرحباً وأهلاً ومستنخاً سهلاً، قد سمع الملك مقالتكم وقبل وسيلتكم، فلکم الكرامة ما أقتم والحياء إذا ظعنتم.

ثم أمر بهم إلى دار ضيافة الوفود فأقاموا شهراً لا يصلون إليه ولا يأذن لهم بالانصراف، ثم انتبه لهم فأرسل إلى عبد المطلب فأخلى له مجلسه وأدناه، ثم قال له: يا عبد المطلب: إنني مفوض إليك من سرّ على أمر ما لو كان غيرك لم أبح له به، ولكنني رأيتك معدنه فأطلعتك عليه، فليكن عندك

مطوياً حتى يأذن الله فيه فإن الله بالغ أمره: إني أجد في الكتاب المكنون والعلم المخزون الذي اخترناه لأنفسنا وحجبناه دون غيرنا خبراً عظيماً وخطراً جسيماً فيه شرف الحياة وفضيلة الوفاة، للناس عامة ولرهطك كافة ولك خاصة.

فقال عبد المطلب: فما هو؟ فقال: إذا ولد بتهامة غلام بين كتفيه شامة، كانت له: الإمامة ولكم به الدعامة إلى يوم القيامة. هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد، اسمه محمد، يموت أبوه وأُمُّه ويكفله جدّه وعمّه. وقد ولد سراراً والله باعته جهاراً وجاعل له منّا أنصاراً، ليعزّ بهم أوليائه ويذلّ بهم أعداءه، يضرب بهم الناس عن عُرض^(١) ويستبيح بهم كرائم الأرض، يكسر الأوثان ويخمد النيران ويعبد الرحمان ويزجر الشيطان، قوله فصل وحكمه عدل، يأمر بالمعروف ويفعله وينهى عن المنكر ويبطله.

فقال عبد المطلب: فهل الملك ساري بإفصاح فقد أوضح لي بعض الايضاح؟

فقال ابن ذي يزن: والبيت ذي الحجب، والعلامات على النصب، إنك يا عبد المطلب لجده غير كذب، فخرّ عبد المطلب ساجداً لله! فقال له ابن ذي يزن: فهل أحسست شيئاً مما ذكرته؟ قال: كان لي ابن كنت به معجباً وعليه رقيقاً، فزوجته بكريمة من كرائم قومي: اسمها آمنة بنت وهب، فجاءت بغلام سمّيته محمّداً، مات أبوه وأُمُّه، وكفلته أنا وعمّه!

فقال سيف بن ذي يزن: إنّ الذي قلت لك كما قلت، فاحتفظ بابنك واحذر عليه اليهود فإنهم له أعداء ولن يجعل الله لهم عليه سبيلاً!

(١) العرض بضم العين: من يعترض لهم.

ثمَّ أمر لكلِّ رجلٍ من القوم بعشرة أعبد وعشر إماء وحلي من البرود ومائة من الابل وخمسة أرطال ذهب وعشرة أرطال فضة وكرش مملوئة عنبراً؛ وأمر لعبدالمطلب بعشرة أضعاف ذلك وقال: اذا حال الحول فأتني فمات ابن ذي يزن قبل أن يحول الحول^(١).

هذا، وقد سبق في ذكر ملوك اليمن قول المسعودي بأن يكسوم بن ابرهة الأشرم ملك اليمن بعد هلاك أبيه ابرهة بالأبائيل عشرين عاماً، ثمَّ ملك أخوه مسروق بن أبرهة ثلاث سنين، وأنَّ سيف بن ذي يزن كان قد مضى إلى قيصر يستنجده -وذلك قبل هلاك يكسوم بأربع سنين- فأبى أن ينجده وقال: أنتم يهود الحبشة نصارى، وليس في الديانة أن ننصر المخالف على الموافق. فمضى إلى كسرى انوشيروان فاستنجده، فوعده أنوشيروان بالنصرة على السودان، ولكنه شغل بحرب الروم فمات سيف بن ذي يزن. على بابه. فأتى بعده ابنه معديكرب بن سيف، فوجه معه اصيهب الديلم ويعرف في أهل السجون، فقتل وهرز من الحبشة ثلاثين ألفاً، ثمَّ توجَّ وهرز معديكرب بتاج كان معه ورثه في ملكه على اليمن.

وأنت معديكرب الوفود من العرب تهنئه بعود الملك اليه، وفيهم عبد المطلب بن هاشم وأمّية بن عبد شمس، وخويلد بن أسد بن عبد العزى، وأبو الصلت الثقي أبو أمّية بن أبي الصلت، فدخلوا عليه في أعلى قصره المعروف بغمّدان بمدينة صنعاء وقد تقدمهم عبد المطلب فتكلّم فقال فيما قال: نحن أهل حرم الله وسدنة بيته... إلى آخر ما مرّ من الخبر السابق عن (اكمال الدين) ثمَّ قال المسعودي: ولمعديكرب بن سيف بن ذي يزن

(١) اكمال الدين : ١٧٤ - ١٧٧ ط النجف .

كلام كثير مع عبد المطلب، وكوائن أخبره بها في أمر النبي وبدء ظهوره،
بشّر به عبد المطلب وأخبره عن أحواله وما يكون من أمره^(١).

ولاحظنا أنّ رواية الصدوق عن ابن عباس كانت مصحّفة في اسم
أبي خديجة: خويلد بن أسيد بن عبد العزّي إلى: أسيد بن خويلد بن عبد
العزّي. وقد ذكره المسعودي صحيحاً.

وروى الطبرسي الخبر مرفوعاً إلى ابن عباس أيضاً وقال في آخره:
روى هذا الحديث الشيخ أبو بكر البيهقي في كتابه (دلائل النبوة) من
طريقين^(٢) والظاهر أنهما ما أورده الصدوق عن ابن عباس.

ورواه الكراجكي في كتابه (الكنز) كذلك بنفس السند، كما في
البحار^(٣) ومن المعلوم أنّ ابن عباس لم يدرك ذلك. لكنّ الكازروني نقل
الخبر في كتابه (المنتقى في مولد المصطفى) باسناده إلى محمد بن عبد العزيز
عن أبيه عبد العزيز بن عفير، عن أبيه عفير بن عبد العزيز عن أبيه عبد
العزيز بن السفر عن أبيه السفر بن عفير، عن أبيه عفير بن زرعة بن سيف
ابن ذي يزن قال: لما ظفر جدّي سيف على الحبشة - وذلك بعد مولد النبي
بستينين - أتت وفود العرب وأشرافها وشعراؤها لتهنئته، وتذكر ما كان من
بلائه وطلبه بثأر قومه.. ثمّ ساق الحديث مثل ما تقدم برواية الصدوق، ثمّ
قال الكازروني: هذا الحديث دال على أن الوفاة إلى ابن ذي يزن كان في
سنة ثلاث من مولد رسول الله ﷺ، والأصح أنها كانت في سنة سبع،

(١) مروج الذهب ٢ : ٥٨ .

(٢) إعلام الوري : ١٥ - ١٧ .

(٣) كنز الكراجكي : ٨٢ - ٨٤ كما في البحار ١٥ : ١٩١ .

لأنّه يقول عبد المطلب فيه : توفي أبوه وأُمّه وكفلته أنا وعمّه . وأمّ رسول الله لم تمت حتّى بلغ ست سنين .

ففرى أنّ الكازروني قد تنبّه الى هذه الغلطة ولكنّه لم يغلطها بل غلّط بداية الرواية إذ قالت : وذلك بعد مولد النبي بسنتين . بدون أيّ مرجّح فيما بين هذين النّصّين . ثمّ لم يغلّط قوله : وكفلته أنا وعمّه . فامعنى ذكر كفالة عمّه أبي طالب الى جانب جدّه عبد المطلب ؟! ثمّ لم يَر أيّ تناقض بين هاتين الجملتين : هذا حينه الذي يولد فيه أو قد ولد . وقوله : وقد ولد سراراً !

والمسعودي قد اختصر الخبر على عادته في (مروج الذهب) ولكنّه صرّح : بأن سيف بن ذي يزن كان يهودياً ولذلك أبي قيصر أن ينصره ، وأبي هو أن ينتصر أو يظهر له النصرانية فينصره ، بل عدل الى الملك غير العادل أنوشيروان عابد النيران فطلب منه الأعوان على الأحباش النصرائي . وهؤلاء وإن كانوا على غير حقيقة النصرانية ولذلك أهلك الله كثيراً منهم بطير أبابيل ، ولكن فما الدليل على العقيدة الحقّة لدى سيف الين ؟ أهله يكفي لذلك رواية أبنائه المسلمين بعد المائتين بل أكثر من الهجرة ، تقصّ على المسلمين جملة جمّة من مجدّهم سيف الين ؟ !

وأنما قلت بعد المائتين بل أكثر من الهجرة ،، إذ لا نرى أيّ أثر لهذا الخبر لا عند ابن إسحاق ولا في سيرة ابن هشام ولا الطبري ، بل نراه في اليعقوبي باختصار^(١) ، ثمّ في (إكمال الدين) للصدوق منقولاً عن ابن السائب الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس وابن عباس لم يدرك الأمر ولم يسنده

ولم يسند عنه، وإنما ينتهي إسناده إلى أحفاد سيف لامجاد الاجداد .
 وليس في رواية الشيخ الصدوق للخبر حجة بعد ذكره المرفوع
 المقطوع، وقد روى عليه السلام أكثر من ستين صفحة من نفس الكتاب قصة الملك
 الهندي بلوهرو والحكيم الهندي بوذاسف، ثم عقبه بقوله : ليس هذا الحديث
 وما شاكله من أخباره مما أعتمده ... وجميعها في الصحة من طريق الرواية
 دون ما قد صحّ من الأخبار. ثم قال : ولا يراد لهذا الحديث وما يشاكله
 في هذا الكتاب معنى آخر، وهو : أن جميع أهل الوفاق والخلاف يميلون إلى
 مثله من الأحاديث، فإذا ظفروا به من هذا الكتاب حرصوا على الوقوف
 على سائر ما فيه^(١).

الاستسقاء برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

روى المجلسي عن الكازروني في (المنتقى) في ما حدث سنة سبع من
 مولده صلى الله عليه وآله وسلم بسنده إلى مخزومة بن نوفل القرشي عن أمه ربيعة بنت صبي
 قالت : تتابعت على قريش سنون اقحلت الفرع وأرمت العظم، فبينما أنا
 راقدة - اللهم - أو مهومة ومعني صنوي، فإذا أنا بهاتف صيّت يصرخ
 ويقول : يامعشر قريش ! إن هذا النبي المبعوث منكم هذا إيان نجومه، فحيي

(١) اكمال الدين : ٦٠٠ . نعم روى في (قرب الاسناد) عن الحسن بن ظريف عن معمر
 عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عليه السلام أنه قال في كرامات رسول الله «ومن ذلك
 أن سيف بن ذي يزن حين ظفر بالحبشة، وفد عليه وفد من قريش فيهم عبد المطلب
 فسألهم عنه ووصف لهم صفته، فأقروا جميعاً بأن هذه الصفة في محمد، فقال : هذا أوان
 مبعثه، ومستقره أرض يثرب وموته بها» قرب الأسناد : ١٣٢ - ١٤٠ كما في البحار
 ١٧ : ٢٢٦ . فإذا قبلنا بهذا الاجمال فالتفاصيل المشتملة على ذلك التهاوت مردودة .

هلا بالحيا والخصب، ألا فانظروا رجلاً منكم طوالاً عظماً أبيض بضاً، أشمّ العرين، سهل الخدين، له فخر يكظم عليه، ألا فليخلص هو وولده وليدلف إليه من كلّ بطن رجل، ألا فليشتوا من الماء، وليستوا من الطيب، وليطوفوا بالبيت سبعاً، ألا وليكن فيهم الطيب الطاهر لذاته، ألا فليستق الرجل وليؤمن القوم، ألا فغتم - إذا شتم - وعشتم ! قالت : فأصبحت مذعوراً قد قفّ جلدي وولد عقلي، واقتصصت رؤيائي، فوالحرمة والحرم إن بقي أبطحي إلا قال : هذا شيبة الحمد .

فتنامت إليه قريش، وانقضّ إليه من كلّ بطن رجل، فشئوا ومسوا واستلموا وطوفوا، ثم ارتقوا أبا قبيس، وطفق القوم يدلفون حوله حتى قرّوا بذروة الجبل، واستكنفوا جانيه . ومعه ابن ابنه محمد وهو يومئذ غلام قد أيفع، فاعتضده فرفعه على عاتقه ثم قال : «اللهم سادّ الخلة وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلم ومسؤول غير مبخل، وهذه عبيدك وإماؤك بفناء حرمك، يشكون اليك سنتهم التي اذهبت الخفّ والظلف، فاسمعي اللهم وامطرنّ علينا غيثاً مريعاً مُعَدَقاً» .

قالت : فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها واكتظّ الوادي

بشجيجه^(١)

فقلت شعراً :

بشيبة الحمد أسقى الله بلدتنا فقد فقدنا الحيا واجلوذ المطر^(٢)

(١) الشجيج : الماء المصبوب، أو صوته .

(٢) اجلوذ : كثر وامتدّ وقت تأخره .

فجاد بالماء جونيّ له سَبَلٌ سَحّاً، فعاشت به الأنعام والشجر^(١)
مبارك الاسم يستسقى الغمام به ما في الأنام له عدل ولا خطر^(٢)
ورواه اليعقوبي في تأريخه^(٣)، والسهيلي في (الروض الأتف) عن البستي
النيسابوري بإسناده عن دقيقة ايضاً، مستشهداً به لمعنى قول أبي طالب
بشأن النبي ﷺ إذ قال:

وأبيضٌ يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للأرامل
قال: فان قيل: كيف قال أبو طالب هذا، ولم يره استسقى قط، وإنما
كانت استسقاءاته ﷺ بالمدينة في الحضر والسفر، وفيها شهود سرعة إجابة
الله له ؟!

فالجواب: إنّ أبا طالب قد شاهد من ذلك في حياة عبد المطلب ما
دلّه على ما قال.

وإنما قال السهيلي هذا تعليقاً على رواية ابن هشام: دعا النبي ﷺ
للناس حين القحط، فنزل المطر، فقال رسول الله ﷺ: لو أدرك أبو طالب
هذا اليوم لسره! فقال له بعض أصحابه: كأنك يا رسول الله أردت قوله

(١) الجون: اللون الاسود، والجونيّ نسبة اليه، والمراد هنا: السحاب الأسود المركوم.
والسبل بفتحيتين: المطر النازل قبل الوصول للأرض. وله سبل اي له جريان. سحّاً:
أي منصّباً.

(٢) البحار ١٥: ٤٠٣، ٤٠٤ عن المنتقى في مولد المصطفى للكازروني: الباب الرابع من
القسم الثاني، وأخرج الحديث ابن الأثير في أسد الغابة ٥: ٤٥٤ وأبن حجر في
الإصابة ٤: ٢٩٦ والحلي في السيرة ١: ١٣١.

(٣) اليعقوبي ٢: ١٢.

-وقرأ البيت - قال : أجل^(١) .

وفاة أم النبي ﷺ، وكفالة جدّه وعمّه له:

قال ابن إسحاق «وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- مع أمّه آمنة بنت وهب وجدّه عبد المطلب بن هاشم في كلاءة الله وحفظه، ينبتّه الله نباتاً حسناً لما يريد به من كرامة» .

ثمّ روى عن عبد الله بن حزم أنّه «لما بلغ رسول الله ستّ سنين قدمت به إلى أخواله من بني النجار لزيارتهم، فلما رجعت إلى مكّة ماتت بالأبواء بين مكّة والمدينة» .

وفسر ابن هشام خؤولة بني النجار لرسول الله بأنّ أمّ عبد المطلب كانت من بني النجار^(٢) .

وروى المجلسي عن الكازروني في (المنتقى) عن ابن عباس وغيره : أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كان مع أمّه آمنة، فلما بلغ ستّ سنين خرجت به إلى أخواله بني النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أمّ أيمن تحضنه، وهم على بعيرين، فنزلت به في دار النابغة -التي توفيّ ودفن فيها عبد الله- فأقامت عندهم شهراً... ثمّ رجعت به أمّه إلى مكّة، فلما كانت بالأبواء توفيت فقُبرت هناك . ورجعت أمّ أيمن بالنبي إلى مكّة^(٣) .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٠٠ في المتن وعن الروض الأنف في الهامش .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٧٧ .

(٣) ثمّ لما مرّ رسول الله في عمرة الحديبية بالأبواء قال : إنّ الله قد أذن لي في زيارة قبر أمي . فأقْبَلَ رسول الله قبرها فبكى عنده وقال : أدركتني رحم، رحمتها فبكيت . ثمّ أصلح قبرها . وروي عن بريرة قال : لما فتح رسول الله مكّة أتى قبراً فجلس إليه

والظاهر أنَّ هذه الرواية للكارزوني عن ابن عباس هي ما رواه الصدوق في (إكمال الدين) بسنده عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما تمت لرسول الله ست سنين قدمت به أمه آمنة على أخواله من بني النجار فأتت بالأبواء بين مكة والمدينة.

فبقي رسول الله ﷺ يتيم لا أب له ولا أم، فازداد عبد المطلب رقة له وحفظاً. فكان يوضع لعبد المطلب فراش في ظل الكعبة لا يجلس عليه أحد إجلالاً له، وكان بنوه يجلسون حوله حتى يخرج عبد المطلب. فكان رسول الله ﷺ يخرج وهو غلام فيمشي حتى يجلس على الفراش! فيعظمون ذلك أعماقه ويأخذونه ليؤخروه، فيقول لهم عبد المطلب إذا رأي ذلك منهم: دعوا أبني فوالله إن له لشأناً عظيماً! إني أرى أنه سيأتي عليكم يوم وهو سيديكم، إني أرى عزته عزة تسود الناس! (١)

ثم يحمله فيجلسه معه ويمسح ظهره ويقبله ويقول: ما رأيت قبله من

وجلس الناس حوله وهو يبكي، ثم قام. فاستقبله عمر فقال: يا رسول الله ما الذي أبكاك؟ قال: هذا قبر أُمِّي، سألت ربي الزيارة فأذن لي. كما في البحار ١٥: ١٦٢ عن المنتقى، الفصل الثالث فيما كان سنة ست من مولده. وروى مسلم في صحيحه حديث الرسول في زيارة أمه هكذا: استأذنت ربي في زيارة أُمِّي فأذن لي، فزوروا القبور تذكركم الموت. كما في صحيح مسلم ٣: ٦٥ ط ١٣٣٤ كتاب الجنائز. ورواه عنه الطبرسي في إعلام الوري: ٩. ورواه عنه أيضاً الاربلي في كشف الغمة ١: ١٦ ط تبريز.

(١) وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام نحوه (أصول الكافي ١: ٤٤٨) وذكر مثله (اليعقوبي ٢: ٩) وفي تأريخ وفاة آمنة قال الكليني: وماتت أمه آمنة وهو ابن أربع سنين (أصول الكافي ١: ٤٣٩).

هو أطيّب منه ولا أظهر قط، ولا جسداً ألين منه ولا أطيّب ! ثمّ يحملّه على عنقه فيطوف به أسبوعاً.

وكانت هذه حالته حتّى ادركت عبد المطلب الوفاة.

فبعث الى أبي طالب، فدخل عليه وهو في غمرات الموت ومحمّد على صدره، فبكى وقال لأبي طالب : يا أبا طالب ! انظر أن يكون هذا من جسدك بمنزلة كبّدك، فإنّي قد تركت بنيّ كلّهم وأوصيتك به، لأنّك من أمّ أبيه .
يا أبا طالب ! ان ادركت أيّامه فاعلم أنّي كنت من أبصر الناس وأعلم الناس به، فإن استطعت أن تتبّعه فافعل، وانصره بلسانك ويدك ومالك، فإنّه والله سيسودكم ويملك ما لم يملك أحد من بني آباي .
يا أبا طالب ! ما أعلم أحداً من آبائك مات عنه أبوه على حال أبيه، ولا أمّه على حال أمّه، فاحفظ الوحدة .

هل قبلت وصيتي ؟ فقال : نعم، قد قبلت، والله عليّ بذلك شهيد .

فقال عبد المطلب : فدّ يدك اليّ . فضرب يده على يده .

ثمّ قال عبد المطلب : الآن خُفّف عليّ الموت ! ثمّ لم يزل يقبّله ويقول : أشهد أنّي لم أقبل أحداً من ولدي أطيّب ريحاً منك، ولا أحسن وجهاً منك . ثمّ مات . ورسول الله ابن ثمانين سنين^(١) وبه قال الكليني في الكافي^(٢) .

(١) روى المجلسي عن الكازروني في المنتقى قال : مات عبد المطلب وهو ابن ثنتين وثمانين سنة . وقالت أمّ أيمن : رأيت رسول الله يبكي خلف سرير عبد المطلب . وسئل رسول الله : أتذكر موت عبد المطلب ؟ فقال : نعم أنا يومئذ ابن ثمانين سنين (البحار ١٥ : ١٦٢ عن المنتقى : الفصل الثالث) ورواه عن (العدد) وأضاف : حتّى دفن بالحجون (البحار ١٥ : ١٥٦) .

(٢) أصول الكافي ١ : ٤٣٩ .

فضمّه أبو طالب الى نفسه لا يفارقه ساعة من ليلٍ ولا نهار، وكان ينام معه حتّى بلغ، لا يأتمن عليه أحداً^(١).

(١) ثمّ روى الصدوق بسنده الى ابن اسحاق عن العباس بن عبد الله، عن أبيه عبد الله بن معبد، عن أبيه معبد بن العباس بن عبد المطلب - أو بعض أهله - قال : كان يوضع لعبد المطلب جدّ رسول الله فراش في ظل الكعبة، فكان لا يجلس عليه أحد من بنيهِ إجلالاً له، وكان رسول الله يأتي حتّى يجلس عليه، فيذهب أعمامه يؤخرونه، فيقول جدّه عبد المطلب : دعوا ابني فيمسح ظهره ويقول : إن لابني هذا شأنًا .
ثمّ قال : فتوفي عبد المطلب والنبي ﷺ ابن ثمانين سنين : بعد عام الفيل ثمانين سنين .

(والخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٧٨، وفي تهذيب السيرة : ٤١) ثمّ قال الشيخ الصدوق : إنّ أبا طالب كان مؤمناً ولكنّه كان يستر الإيمان ويظهر الشرك ليكون أشدّ تمكناً من تصرف رسول الله ﷺ .

ثمّ روى بسنده عن الاصمعي بن نباتة قال : سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول : والله ما عبد أبي - ولا جدي عبد المطلب ولا هاشم ولا عبد مناف - صنّاً قط . قيل : فما كانوا يعبدون ؟ قال : كانوا يصلّون الى البيت على دين إبراهيم عليه السلام متمسكين به . ثمّ روى بسنده عن الصادق عليه السلام قال : إنّ أبا طالب أظهر الكفر وأسرّ الإيمان، فلمّا حضرته الوفاة أوحى الله الى رسول الله : اخرج منها فليس لك بها ناصر ! فهاجر الى المدينة (إكمال الدين : ١٦٩ - ١٧٢) .

وروي في (الخصال) بسنده عن الصادق عليه السلام قال : هبط جبرئيل على رسول الله ﷺ فقال : يا محمّد ! إنّ الله عزّ وجلّ قد شفعك في خمسة . في بطن حملك، وهي آمنه بنت وهب بن عبد مناف، وفي صلب أنزلك، وهو عبد الله بن عبد المطلب . وفي حجر كفلك، وهو عبد المطلب بن هاشم، وفي بيت آواك، وهو عبد مناف بن عبد المطلب أبو طالب، وفي أخ كان لك في الجاهلية . قيل : يا رسول الله ! من هذا الأخ ؟ فقال : كان أنسي وكنت أنسه، وكان سخيّاً يطعم الطعام . ثمّ قال الصدوق : اسمه :

قال ابن إسحاق: وكان عبد المطلب يوصي برسول الله عمه أبا طالب، وذلك أن عبد الله وأبا طالب كانا أخوين لأُمّ واحدة هي فاطمة بنت عمرو المخزومي. فكان رسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- بعد عبد المطلب مع عمه أبي طالب، وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- بعد جدّه، فكان إليه ومعه. وولي بعده السقاية على زمزم أصغر أبنائه العباس^(١).

وقال اليعقوبي: وأوصى عبد المطلب الى أبي طالب برسول الله وقال

له:

أوصيك يا عبد مناف بعدي	بمفرد بعد أبيه فرد
فارقه وهو ضجيع المهد	فكنت كالأم له في الوجد
تدنيه من أحشائها والكبد	فأنت من أرجى بني بعدي
لدفع ضيم، أو لشدّ عقد	

الجلّاس بن علقمة (الخصال ١: ٢٩٢، ٢٩٤) وروى مثله بسند آخر في معاني الأخبار: ٤٥ والأُمالي ٦ ورواه الكليني في أصول الكافي ١: ٤٤٦ وروى الصفار في (قرب الإسناد: ٢٧) بسنده عن الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله: إني مستوهد من ربي أربعة، وهو واهبهم لي إن شاء الله تعالى: آمنة بنت وهب، وعبد الله ابن عبد المطلب، وأبو طالب بن عبد المطلب، ورجل من الأنصار جرت بيني وبينه ملحّة، وروى الطبرسي في (إعلام الوری: ١٠) عن هشام بن عروة عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: ما زالت قریش كاعّة عني حتّى مات أبو طالب عليه السلام. (١) فلم تزل إليه حتّى قام الاسلام، وهي بيده، فأقرّها رسول الله له على ما مضى من ولايته، فهي الى آل العباس بولاية العباس إياها الى هذا اليوم (سيرة ابن هشام ١: ١٨٩).

قال: وأوصى اليه بسقاية زمزم. وأوصى بالحكومة وأمر الكعبة الى ابنه الزبير.

وأعظمت قريش موته، وغسلوه بالماء والسكر، ولقوه في حلتين من حلل اليمن قيمتها ألف مثقال ذهب! وطرح عليه المسك حتى ستره، وحمل على أيدي الرجال عدة أيام! إعظاماً وإكراماً وإكباراً لتغيبه في التراب^(١). ولما غيب عبد المطلب، احتجب ابنه الزبير بفناء الكعبة مدعياً للرئاسة، وادّعاها معه الوليد بن ربيعة المخزومي، وابن جُدعان التيمي.

وكفل رسول الله بعده عمه أبو طالب، فكان خير كافل. فكان أبو طالب سيداً شريفاً مطاعاً مهيباً، مع املاقه^(٢) وربته فاطمة بنت أسد بن هاشم امرأة أبي طالب وأمّ أولاده^(٣).

وروى ابن شهر آشوب عن الأوزاعي^(٤) قال: كان النبي في حجر

(١) وروى عن رسول الله أنه قال: إن الله يبعث جدي عبد المطلب أمة وحده، في هيئة الأنبياء وزي الملوك (اليقوي ٢: ١٣) ورواها الكليني في أصول الكافي بأسانيد ثلاثة مختلفة والفاظ متقاربة (أصول الكافي ١: ٤٤٦، ٤٤٧).

(٢) ثم روى عن علي عليه السلام أنه قال: ساد أبي فقيراً، وما ساد فقير قبله، (اليقوي ٢: ١٤).

(٣) قال: وأسلمت فكانت مسلمة فاضلة، فلما توفيت قال رسول الله كما يروى: اليوم ماتت أمي! ثم كفنها بقميصه، ونزل في قبرها وأضطجع في لحدها. فقيل له: يا رسول الله! لقد اشتدّ جزعك على فاطمة؟ قال: إنها كانت أمي، إذ كانت لتجيع صبيانها وتشبعني، وتشعثهم وتدهني! وكانت أمي! (اليقوي ٢: ١٤).

(٤) عبد الرحمن بن عمرو بن أبي عمرو الأوزاعي الفقيه ثقة جليل من السابقة مات سنة ١٥٧ (تقريب التهذيب).

عبد المطلب، فلما أتى عليه اثنان ومائة سنة ورسول الله ابن ثمانين سنين، جمع بنيه وقال: محمد يتيم فأووه وعائل فاغنوه واحفظوا وصيتي فيه. فقال أبو لهب: أنا له! فقال: كفّ شرك عنه! فقال عباس: أنا له، فقال: أنت غضبان لعلك تؤذيه! فقال أبو طالب: أنا له، فقال: أنت له. فأمسكه أبو طالب في حجره وقام بأمره يحميه بنفسه وماله وجاهه في صغره من اليهود المرصدة له بالعداوة، ومن غيرهم من بني أعمامه، ومن العرب قاطبة، الذين يحسدونه على ما آتاه الله من النبوة.

وروى عن الخرقوشي في (شرف المصطفى): أنه لما حضرت عبد المطلب الوفاة دعا ابنه أبا طالب فقال له: يا بني! قد علمت شدة حبي لمحمد ووجدني به، فانظر كيف تحفظني فيه! فقال أبو طالب: يا أبة لا توصني بمحمد، فإنه ابني وابن أخي!

فلما توفي عبد المطلب كان أبو طالب يؤثره بالنفقة والكسوة على نفسه وعلى جميع أهله، وكان إذا أراد أن يعشي أولاده أو يغديهم يقول: كما أنتم حتى يحضر ابني، فيأتي محمد فيأكلون^(١).

سفر النبي ﷺ الأول مع عمه إلى الشام:

روى الصدوق في (إكمال الدين) بسنده إلى ابن عباس عن أبيه العباس بن عبدالمطلب عن أبي طالب قال: خرجت إلى الشام تاجراً سنة ثمان من مولد النبي، وكان في أشد ما يكون من الحر، فلما أجمعت على المسير قال لي رجال من قومي ما تريد أن تفعل بمحمد؟ وعلى من تخلّفه؟

فقلت : لا أريد أن أخلفه على أحد من الناس، أريد أن يكون معي . فقيل : غلام صغير في حرٍّ مثل هذا تخرجه ؟ فقلت : والله لا يفارقني حيث ما توجهت أبداً، فأبني لأوطيء له الرجل . فذهبت فحشوت له حشية كساءً وكتاناً . وكنا ركبناً كثيراً، فكان والله البعير الذي عليه محمدٌ أمامي لا يفارقني فكان يسبق الركب كله، فكان إذا اشتدَّ الحرُّ جاءت سحابة بيضاء مثل قطعة ثلج فتقف على رأسه لا تفارقه وهي تسير معنا^(١) وفي التفسير المنسوب الى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادي عليه السلام قال : ان رسول الله كان يسافر الى الشام مضارباً لحديجة بنت خويلد، وكان من مكة الى بيت المقدس مسيرة شهر، فكانوا في حمارة القيط يصيبهم حرٌّ تلك البوادي وربما عصفت عليهم فيها الرياح وسفت عليهم الرمال والتراب وكان الله تعالى في تلك الأحوال يبعث لرسول الله غمامة تظله فوق رأسه تقف بوقوفه وتزول بزواله، إن تقدم تقدمت وإن تأخر تأخرت وإن تيامن تيامنت وإن تياسر تياسرت، فكانت تكف عنه حرّ الشمس من فوقه . وكانت تلك الرياح المثيرة لتلك الرمال والتراب تسفيها في وجوه قريش ورواحلها حتى إذا دنت من محمد ﷺ هدأت وسكنت ولم تحمل شيئاً من رمل ولا تراب وهبت عليه ريحاً باردة ليّنة، حتى كانت قوافل قريش يقول قائلها : جوار محمد أفضل من خيمة، فكانوا يلوذون به ويتقربون إليه، فكان الروح يصيبهم بقربه وان كانت الغمامة مقصورة عليه^(٢) .

وفي رواية الصدوق عن ابن عباس عن أبي طالب قال فلما قربنا من

(١) إكمال الدين : ١٧٨ .

(٢) تفسير الإمام : ٦٠ كما في البحار ١٧ : ٣٠٨ .

بصرى الشام^(١) إذا نحن بصومعة، فنزلنا تحت شجرة عظيمة قريبة من الراهب قليلة الأغصان ليس لها حمل، كان الركبان ينزلون تحتها، فلما رأى بجيرا الراهب^(٢) ذلك اتخذ طعاماً ثم جاء به فأكل وأكلنا معه.

ثم قال: يا غلام أسألك عن ثلاث خصال بحق اللات والعزى إلا أخبرتهما. فغضب رسول الله ﷺ عند ذكر اللات والعزى وقال: لا تسألني بهما، فوالله ما أبغضت شيئاً كبغضهما، وإنهما صئان من حجارة لقومي. فقال بجيرا: هذه واحدة. ثم قال: فبالله إلا ما أخبرني. فقال: سل عما بدا لك، فأنتك قد سألتني بإلهي وألهك الذي ليس كمثله شيء. فقال: أسألك عن نومك وهيئتك وأمورك ويقظتك. فأخبره عن نومه وهيئته وأموره وجميع شأنه، فوافق ذلك ما عند بجيرا من صفته التي عنده. فانكب عليه بجيرا فلم يزل يقبل يديه مرّة ورجليه مرّة ويقول فيما يقول: أنت دعوة إبراهيم وبشرى عيسى، أنت المقدّس المطهر من أنجاس الجاهلية. ثم التفت إليّ وقال: ما يكون هذا الغلام منك فأني أراك لا تفارقه؟ قال أبو طالب: قللت: هو ابني، فقال: ما هو بابنك وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون والده الذي ولده حياً ولا أمّه. فقال: قلت: إنه ابن أخي وقد مات أبوه وأمّه حامله به، وماتت أمّه وهو ابن ست سنين. فقال: صدقت، هكذا هو، ولكن أرى لك أن تردّه إلى بلده عن هذا الوجه، فلئن رأوا هذا الغلام وعرفوا منه الذي عرفت أنا لابتغوه شراً، وأكثر ذلك هؤلاء اليهود!

(١) بصرى هي مدينة حوران، فتحت صلحاً لخمس بقين من ربيع الأوّل سنة ثلاث عشرة، وهي أوّل مدينة فتحت بالشام. وردّها رسول الله ﷺ مرّتين: هذه هي الأولى.

(٢) حسبه المسعودي من عبد قيس من عرب الشام، مروج الذهب ٢: ١٠٢.

قال أبو طالب : فقلت : كلاً، لم يكن الله ليضيّعه ! .
ثمّ خرجنا به الى الشام فلمّا توصّلنا الشام إزدحم الناس ينظرون الى وجه رسول الله ﷺ وجاء حَبْرٌ عظيم كان اسمه نسطورا ينظر إليه لا يتكلم بشيء، فعل ذلك ثلاثة أيام متوالية، فلمّا كان اليوم الثالث دار خلفه كأنه يلتمس منه شيئاً، فقلت له : يا راهب كأنّك تريد منه شيئاً ؟ فقال : أجل إنّني أريد منه شيئاً، ما اسمه ؟ قلت : محمّد بن عبد الله، فتغيّر لونه ثمّ قال : فترى أن تأمره أن يكشف لي عن ظهره لانظر اليه، فكشف عن ظهره فلمّا رأى الخاتم^(١) انكبّ عليه يقبّله ويبكي، ثمّ قال : يا هذا اسرع برّد هذا الغلام الى موضعه الذي ولد فيه، فإنّك لو تدري كم عدّوا له في أرضنا لم تكن بالذي تقدمه معك .

وروى بسنده الى يعلى بن سبابه^(٢) قال : كان مع رسول الله سنة خروجه الى الشام : خالد بن أسيد بن أبي العاص وطليق بن أبي سفيان بن أمية، فكانا يحكيان أنّهما لمّا توسطتا سوق بُصرى إذا بقوم من الرهبان قالوا لهم : نحبّ أن تأتوا كبيرنا هاهنا في الكنيسة العظمى . فذهبنا معهم حتّى دخلنا معهم الكنيسة العظيمة البنيان، فإذا كبيرهم قد توسّطهم وحوله تلامذته وقد نشر كتاباً بين يديه فأخذ ينظر إلينا مرة وفي الكتاب مرّة، ثمّ قال لأصحابه : ما صنعتم شيئاً، لم تأتونني بالذي أريد، وهو الآن ها هنا !

(١) روى السهيلي في (الروض الأنف) خبراً عن الخاتم هذا يفيد أنّه كان كبيض الحمام على غضروف كتفه الأيسر حوله نقاط من الخال عليها شعرات . وقال ابن هشام كان مثل أثر محجمة الحجاماة القابضة على اللحم، كما في سيرته ١ : ١٩٣، متنأ وهامشاً .
(٢) في إكمال الدين : يعلى النسابة، والصحيح عن المناقب ١ : ٤٠ .

ثم قال لنا : من أنتم ؟ فقلنا : رهط من قريش ، فقال : من أي قريش ؟ فقلنا من بني عبد شمس ، فقال لنا : معكم غيركم ؟ فقلنا : بلى (كذا) معنا شاب من بني هاشم نسّميه يتيم بني عبد المطلب ، فقام واتكى على صليب من صلبانه وهو يفكر ، وحوله ثمانون رجلاً من البطارقة والتلامذة ، فقال لنا : فيجب عليكم أن تُرونيه ، فقلنا له : نعم فجاء معنا .

وفي سوق بُصرى إذا نحن بمحمّد قائم في السوق ، فأردنا أن نقول للقس : هو هذا ، فإذا هو سبقنا فقال : هو هو ، قد عرفته والمسيح ، فدنا منه وقبل رأسه وقال : أنت المقدّس ، ثم أخذ يسأله عن أشياء من علاماته ، فأخذ يخبره النبي ﷺ فسمعناه يقول : لئن أدركت زمانك لأعطين السيف حقّه ! ثم قال لنا : أتعلمون ما معه ؟ معه الحياة والموت ، من تعلق به حيي طويلاً ، ومن زاغ عنه مات موتاً لا يحيى بعد أبداً هذا الذي معه الذبح الأعظم ! ثم قبل رأسه ورجع راجعاً^(١) .

وقد نقل ابن إسحاق خبر بحيرا بلا اسناد فقال فيه : كان في بصرى من أرض الشام صومعة لم يزل فيها أبداً راهب كان اليه علم النصرانية عن كتاب لهم يتوارثونه كابراً عن كابر ، فكان فيها إذ ذاك راهب يقال له

(١) إكمال الدين : ١٧٨ - ١٨٥ بتصرف واختصار . وخبر بحيرا رواه ابن شهر آشوب في المناقب ١ : ٣٨ ، ٣٩ عن الطبري والظاهر أنّه الطبري الامامي صاحب (دلائل الإمامة) والآ فالخبر لا يطابق ما في تأريخ الطبري . واختار الطبرسي أن يرويه عن ابن إسحاق : إعلام الوري : ١٧ ، ١٨ . وكذلك الاربلي في كشف الغمة ١ : ٢٢ نقل ما ذكره ابن إسحاق . والخبر في سيرة ابن هشام ١ : ١٩١ - ١٩٤ . وفي الطبري ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٨ . وأشار اليه اليعقوبي ٢ : ١١ واختصره المسعودي ١ : ٨٩ . وقال : واسم بحيرا في النصارى سرجيس ، وكان للنبي اثنتا عشرة سنة .

بحيرا، كانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك، فلا يكلمهم ولا يعرض لهم، حتّى خرج أبو طالب في ركب ذلك العام تاجراً إلى الشام، وتعلّق به رسول الله فرّق له أبو طالب فخرج به معه، فلمّا كان الركب قريباً من صومعة بحيرا، كان قد رأى - وهو في صومعته - رسول الله وقد أطلّته من بين الركب غمامة، ونزلوا في ظل شجرة قريباً منه، فاظلمت الغمامة الشجرة وتدلت أغصانها على رسول الله. فلمّا رأى ذلك بحيرا نزل من صومعته وصنع لهم طعاماً كثيراً ثمّ ارسل اليهم فقال: يا معشر قريش اني قد صنعت لكم طعاماً فأحبّ أن تحضروه كلكم كبيركم وصغيركم حرّكم وعبدكم! فانتم ضيف وقد أحببت أن اكرمكم وأصنع لكم طعاماً تأكلون منه. فاجتمعوا إليه وتخلّف رسول الله من بين القوم في رحال القوم تحت الشجرة، فقال بحيرا: يا معشر قريش! لا يتخلّفن أحد منكم عن طعامي. قالوا له: يا بحيرا! ما تخلّف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك، إلّا غلام أحدث القوم سنّاً تخلّف في رحالهم، فقال: ادعوه فليحضر هذا الطعام معكم، فقام إليه رجل منهم فاحتضنه حتّى أجلسه مع القوم.

فلمّا رآه بحيرا جعل يلحظه لحظاً شديداً وينظر الى أشياء من جسده قد كان يجدها عنده من صفته، حتّى اذا فرغ القوم من طعامهم وتفرّقوا قام إليه بحيرا فقال له: يا غلام! أسألك بحق اللات والعزّى إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه. فقال رسول الله: لا تسألني باللات والعزّى، فو الله ما أبغضت شيئاً قطّ كبغضها! فقال بحيرا: فبالله إلّا ما أخبرتني عمّا أسألك عنه، فقال له: سألني عمّا بدا لك، فجعل يسأله عن أشياء من حاله في نومه وهيئته وأموره، وجعل رسول الله يخبره، فكان يوافق ذلك ما عند بحيرا من صفته. ثمّ نظر الى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من

صفته التي عنده .

فلما فرغ أقبل على عمّه أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابني ، قال بحيرا : ما هو بابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حياً ! قال : فأنّه ابن أخي . قال : فما فعل أبوه قال : مات وأُمّه حبلى به . قال : صدقت ، فارجع بابن أخيك الى بلده واحذر عليه اليهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغته شراً ، فأنّه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم ، فاسرع به الى بلاده .

فلما فرغ عمّه من تجارته خرج به حتى أقدمه مكة^(١) .

هكذا ينتهي الخبر عند ابن إسحاق ، وهكذا نقله عنه الطبري في تأريخه ، ولكنّه روى بعده رواية أخرى أسندها الى أبي موسى الأشعري الأنصاري - المدني - من دون أن يسندها الى أحدٍ قبله ، قال في آخرها : فلم يزل يناشده حتى ردّه ، وزوّده الراهب بزيت وكعك وبعث معه أبو بكر بلالاً^(٢) .

ورواه الدياربكري في كتابه (تأريخ الخميس) ثمّ نقل عن الحافظ الدميّاطي أنّه أشكل على هذا الخبر - إرسال أبي بكر بلالاً مع الرسول - بأنّ أبا بكر لم يكن يومئذ يملك بلالاً بل كان يملكه أميّة بن خلف ، وإنّما اشتراه أبو بكر بعد ثلاثين عاماً ! ثمّ ذهب الى أنّ أبا بكر لم يكن في ذلك السفر

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٩١ - ١٩٤ والخبر في السيرة بلا سند ، وأسنده الطبري اليه عن عبد الله بن أبي بكر . وذكر مثله الكازروني في (المنتقى) بسند طويل الى داود بن الحصين (البحار ١٥ : ٤٠٩) .

(٢) الطبري ٢ : ٢٧٧ - ٢٧٢ ط المعارف وص ٣٤ ط الإستقامة . والسيرة الحلبية ١ : ١٢٠ وسيرة دحلان ١ : ٤٩ والبداية والنهاية ٢ : ٢٨٥ والفتاوى لابن حبان ١ : ٤٤ .

أصلاً! ولذلك قال الذهبي بشأن هذا الخبر: اظنه موضوعاً، بعضه باطل^(١)
ورواه الترمذي في سننه ثم قال: حسن غريب!
وقد نقل الطبري عن الكلبي: أنّ أبا طالب خرج برسول الله إلى
بصرى وهو ابن تسع سنين^(٢). والمعروف أنّ أبا بكر كان أصغر من
النبي ﷺ بأكثر من سنتين، فكيف يكون ما ذكر؟!

وقد ألمح إلى التشكيك فيها جماعة من المؤرخين - كما سبق - منهم أبو
الفداء في تأريخه الكبير، وجاء فيه: إنّ أحد رواها هو أبو بكر بن أبي
موسى عن أبيه الأشعري، وقد دخل في الإسلام في السنة السابعة من
الهجرة، ولا بدّ أن تكون حينئذ من مرسلات الصحابة. وشكك في الرواية:
أنّها اشتملت على أنّ أبا طالب أرجع النبي ﷺ - كما زعم الرواي - مع
بلال الحبشي وأبي بكر، وقد كانا يوم ذاك أصغر منه سنّاً، حيث إنّ أبا بكر
في ذلك الوقت لم يتجاوز العاشرة، وبلال الحبشي كان أقلّ من ذلك فكيف
يصح أن يرده أبو طالب إلى مكّة من تلك المسافة البعيدة وفي تلك الصحراء
الخيفة مع طفلين صغيرين؟^(٣)

ثمّ الرواية - كما مرّ - عن أبي موسى الأشعري، وهو أنصاري مدنيّ،
والمعروف أنّه ولّد قبل البعثة بثماني سنين، وقدم إلى المدينة بعد الهجرة بسبع
سنين، ورحلة الرسول مع عمّه أبي طالب إلى الشام كانت قبل البعثة باثنتين
وثلاثين سنة، وقبل الهجرة بخمس وأربعين سنة، وقبل اتصال أبي موسى

(١) تأريخ الخميس ١ : ٢٥٩ والسيرة الحلبية ١ : ١٢٠ وسيرة مغلطاي : ١١ .

(٢) الطبري ٢ : ٢٧٨ .

(٣) البداية والنهاية ٢ : ٢٨٥ .

بالرسول بأكثر من خمسين سنة، فكيف روى هذا الخبر بلا اسناد الى أحدٍ قبله ؟!

والرواية الأولى نقلناها عن الصدوق في (إكمال الدين) بسنده الى ابن عباس، وكانت تنتهي بقول أبي طالب: وعجلت به حتى رددته الى مكة^(١). وقد ذكر الدياربكري الرواية عن ابن عباس أيضاً ولكنه جاء في آخرها: فوقع في قلب أبي بكر اليقين والتصديق قبل ما نبأ^(٢) وعلى هذا يكون إيمان أبي بكر قد سبق نبوة النبي فضلاً عن ميلاد علي عليه السلام! ولهذا قال الصفوري الشافعي: وكان إسلامه قبل أن يولد علي بن أبي طالب^(٣) وتوهم النووي أن سنّ أبي بكر في هذه السفرة كان خمس عشرة، بل عشرين سنة، فقال كان أبوبكر أسبق الناس إسلاماً، أسلم وهو ابن عشرين سنة وقيل: خمس عشرة سنة^(٤) وقد مرّ أنّ خبر ابن عباس كان خليّاً عن هذه الاضافة، وإنّ المعروف أنّ أبا بكر كان أصغر من النبي بأكثر من سنتين، ولم يكن مع النبي في رحلته هذه، كما ذهب اليه مغلطاي في سيرته^(٥) والدمياطي كما في (تأريخ الخميس)^(٦) ولا أظنه إلا موضوعاً باطلاً كما ذهب إليه الذهبي^(٧) من موضوعات معاوية كما روى خبرها ابن أبي

(١) إكمال الدين : ١٨٢ .

(٢) تأريخ الخميس : ١ : ٢٦١ .

(٣) نزهة المجالس : ٢ : ١٤٧ .

(٤) الغدير : ٧ : ٢٧٢ .

(٥) سيرة مغلطاي : ١١ .

(٦) تأريخ الخميس : ١ : ٢٥٩ .

(٧) تأريخ الخميس : ٢ : ٢٥٩ والسيرة الحلبية : ١ : ١٢٠ . وقال الحسني في سيرته : ولكن

تلك المرويات على كثرتها وشهرتها بين المؤرخين والمؤلفين في سيرته لا يكاد يثبت منها شيء عند عرضها على أصول علم الدراية، كما أشرنا الى بعض عيوبها في كتابنا (الموضوعات في الآثار والأخبار) : (سيرة المصطفى: ٤٩) ولكنه عاد في ص ٥٦ فقال «وإذا كنت قد وقفت موقف المتصلب في كتابي (الموضوعات) من بعض المرويات التي يرويها المدائني عن بعض من تستروا بصحبة النبي ﷺ ورواها غيره من المؤرخين (كما رواها الصدوق في (إكمال الدين وإتمام النعمة) فإني لا أقف نفس الموقف من حديث بحيرا الراهب، فمن الجائز أن يكون قد رأى النبي ولكن دوره معه لا يعدو أن يكون دور من يرقب له النبوة عندما وجد فيه بعض العلامات التي وصفته بها الكتب القديمة كالنوراة والانجيل وغيرها.. أما بقية الأحداث والحوار التي روتها كتب التأريخ والحديث وأدعت وقوعها في تلك الرحلة، فلو صحت لترك أثراً في مكة وما جاورها بل في شبه الجزيرة بكاملها، ولم يحدث شيء من ذلك» .

وفصل هذا المعنى فقال : «إن تلك الأحداث والكرامات التي يدعيها الرواة، وبخاصة ما كان منها في طريقه الى الشام مع تلك الحشود لم تترك أثراً على المكين الذين رافقوه في تلك الرحلة، فلا محمد قد احتج بها عليهم يوم كانوا يطاردونه من بيت الى بيت وفي شعاب مكة وبطاحها، ولا حدث أحد من المؤرخين بأن رفاقه في تلك الرحلة كانوا يتحدثون بها لمن رجعوا إليهم في مكة وما جاورها، كل ذلك مما يرجح استبعادها» .

وقال : «نهت في كتابي (الموضوعات) على ما يرويه المحدثون والمؤرخون مما جرى له في طريقه الى الشام وهو في قافلة تتألف من مائة وثمانين من التجار ومعانينهم : كحديث الغمامة التي كانت تظله، والمياه التي كانت تتفجر من بطون الصحراء التي كانت تتعرض فيها حياة العشرات من المسافرين للموت عطشاً، والأشجار اليابسة التي كانت تعود اليها الحياة فتثمر من ساعتها أنواعاً من الثمار، الى كثير من أمثال ذلك» .

الحديد في شرحه لنهج البلاغة عن المدائني .

كان الله يسلك بالنبي ﷺ طريق المكارم:

روى الشريف الرضي في «نهج البلاغة» عن علي عليه السلام أنه قال في وصف الرسول ﷺ : «ولقد قرن الله به من لدن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم ليله ونهاره»^(١).

وروى ابن أبي الحديد في شرحه : أن بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام سأل عن قول الله تعالى ﴿إِلَّا مَنْ آرتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَانَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ رَصْدًا﴾^(٢) فقال عليه السلام : يوكل الله تعالى بأنبيائه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليهم تبليغهم الرسالة، ووكل بمحمد ملكاً عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده إلى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشر ومساوىء الأخلاق^(٣).

وروى الطبري في تأريخه بسنده عن محمد بن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام قال : سمعت رسول الله يقول : ما هممت بشيء مما كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرتين، كل ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثم ما هممت بسوء حتى أكرمني الله برسالته.

هذا، ولم يكن فيما رويناه إلا تظليل الغمامة إذا اشتد الحر، وعند نزوله عند الشجرة .

(١) نهج البلاغة : الخطبة القاصعة : ١٩٢ / المقطع ١١٨ عن سعدة بن صدقة عن الباقر عليه السلام .

(٢) الجن : ٢٧ .

(٣) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٣ : ٢٠٧ و عنه في البحار ١٥ : ٣٦١ .

قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة : لو أبصرت لي غنمي، حتّى أدخل مكة فأسمر^(١) بها كما يسمر الشباب فخرجت أريد ذلك، حتّى إذا جئت أول دار من دور مكة سمعت عزفاً بالدف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوّج ابنة فلان. فجلست أنظر اليهم، فضرب الله على أذني فنمت، فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً. ثمّ أخبرته الخبر.

ثمّ قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعلي. فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر، فضرب الله على أذني، فما أيقظني إلاّ مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر. ثمّ ما هممت بعدها بسوء، حتّى أكرمني الله برسالته^(٢).

وقال ابن إسحاق: شبّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقذار الجاهلية، لما يريد به من كرامة ورسالة، حتّى بلغ أن كان رجلاً، أفضل قومه مروءة، وأحسنهم خلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جواراً، وأعظمهم حليماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانةً حتّى ما اسمه في قومه إلاّ الأمين، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تدنس الرجال، تنزهاً وتكرماً، جمع الله فيه كلّ ذلك^(٣).

(١) سهرة الليل.

(٢) الطبري ٢: ٢٧٩ ورواه عنه ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٧.

(٣) سيرة ابن هشام ١: ١٩٤ ثمّ قال: وذكر لي: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كان مما يحدث به عمّا كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته أنه قال: لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل الحجارة لبعض ما نلعب به، فإني أقبل معهم وأدبر، وكلنا قد أخذ إزاره فجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة فتعرّى! إذ لكني

حرب الفجار:

روى أبو الفرج الإصبهاني: أنه كانت للعرب حروب أربع سميت بالفجار، لما استحل فيها من المحارم:

فالفجار الأول: كان بين كنانة وهوازن. وكان السبب فيه: أن بدر ابن معشر الكناني كان حَدِثًا منيعاً في نفسه، فحضر سوق عكاظ ومعه حيي من كنانة، وعقد لنفسه مجلساً يفتخر فيه، فتصدى له الأحمير بن مازن

لاكم ثم قال: شدّ عليك إزارك، وما أراه! فأخذته وشددته عليّ، ثم جعلت أحمل الحجارة على رقبتك وإزاري عليّ من بين أصحابي.

وقال السهيلي في (الروض الأتف) في التعليق على هذه القصة: «وهذه القصة إنما وردت في الحديث الصحيح (!) في حين بنیان الكعبة: أن رسول الله كان ينقل الحجارة مع قومه إليها، وكانوا يحملون أزهرهم على عواتقهم لتقيهم الحجارة! وكان رسول الله يحملها على عاتقه وإزاره مشدود عليه، فقال له العباس: يا ابن أخي لو جعلت إزارك على عاتقك. ففعل فسقط مغشياً عليه! فضمه العباس إلى نفسه وسأله عن شأنه، فأخبره أنه نودي من السماء: أن أشدد عليك إزارك يا محمد! ثم قال: إزاري إزاري! فشدّ عليه إزاره، فقام يحمل الحجارة» ثم قال: «فإن صحّ حديث ابن إسحاق أن ذلك كان في صغره إذ كان يلعب مع الغلمان، فحمله على أن هذا الأمر كان مرتين: مرة في صغره، ومرة في أول اكتهاله (!) عند بنیان الكعبة! وقال القسطلاني قريباً منه في فتح الباري ١: ٤٠١.

أما نحن فنقول: إن صحّ من هذه القصة شيء فإمّا نحتمل قصة ابن إسحاق - وقد روى نحوه ابن أبي الحديد عن أمالي محمد بن حبيب - أمّا أنه كان ذلك عند اكتهاله! بأمر عمّه العباس! ومعه رجال قومه كذلك! فهذا ممّا لا يحتمله عقل أي عاقل قط. وللتفصيل انظر الصحيح للسيد جعفر مرتضى ١: ١٣٦ - ١٤٤.

ومعه حيي من بني هوازن، فكادت الحرب أن تقع ثم رأوا أن الخطب يسير فتراجعوا عن الحرب، وحيث كان سوق عكاظ في رجب الحرام سميت الحادثة فجاراً.

والفجار الثاني: كان بين قريش وهوازن. وكان السبب فيه: أن فتية من قريش تعرّضوا لامرأة من هوازن، فهاجت الحرب ووقع القتال وأريق دماء يسيرة، وكان على قريش حرب بن أمية بن عبد شمس فتحل دية ما وقع وتصلح.

والفجار الثالث: كان بين كنانة وهوازن أيضاً. وكان السبب فيه: أن رجلاً من كنانة كانت عليه دية لرجل من هوازن فافتقر وعجز عنها فلما حضروا سوق عكاظ قام الرجل صاحب الدية من هوازن فعيّر بني كنانة بذلك، فقام إليه كناني فضربه، فتهايج الحيّان الى الحرب، ثم رأوا أن الخطب يسير فتحملت كنانة الدية فتراجعوا.

والفجار الرابع: كان بين كنانة وقريش وبين هوازن وقيس عيلان. وكان السبب فيه: أن النعمان بن المنذر ملك الحيرة كان يبعث في كلّ عام قافلة تجارة بالبزّ والطيب الى سوق عكاظ لتباع هناك، ثم يشتري له بشمها من آدم الطائف ما يحتاج اليه^(١) وكان لا يعرض لها أحد من العرب حتى قتل النعمان رجلاً من قيس فكان بلعاء بن قيس بعد ذلك يُغير على قافلة النعمان وكان البرّاض بن قيس الكناني بمكة في جوار حرب بن أمية بن عبد شمس فوثب على رجل من هذيل فقتله، فأخرجه حرب بن أمية من

(١) الأغاني ١٩: ٧٤ - ٨٠ ط بولاق، باختصار. والآدم بفتحين: جمع الآدم: الجلد

جواره فلحق بالنعمان بن المنذر، فاجتمع عنده بعروة الرّحال من هوازن، فقال النعمان لهما: من منكما يجير لطائمي -أي القوافل التجارية- فتصدّي عروة لذلك، ونازعه البرّاض، فلما توجه عروة لينصرف بالقافلة^(١) قال له البرّاض الكناني: اتجيرها على كنانة؟! قال: نعم وعلى الخلق كله! فخرج فيها عروة الرّحال، وخرج البرّاض يطلب غفلته، حتّى إذا كان في وادي تيمن بعالية نجد^(٢) أو أواره قريبة من تيمن الى جانب فذك، نزل عروة ليلة وجلس في سهرة تغنيّه قينة ويشرب فيها الخمر، الى أن قام فنام، فدخل عليه البرّاض الكناني ليقتله، فاعتذر اليه عروة فلم يسمع منه وقتله^(٣) في الشهر الحرام^(٤) شهر رجب^(٥) فلذلك سميّ الفجار.

وكانت قريش وكنانة في الشهر الحرام بعكاظ، وهوازن كذلك، فأقّى آت قريشاً وقال لهم: إنّ البرّاض الكناني قد قتل عروة الرّحال من هوازن! فارتحلت كنانة وقريش ولم تشعر هوازن بالأمر ثمّ بلغ الخبر الى هوازن فاتبعوا قريشاً فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتّى جاء الليل، والتقوا بعد هذا اليوم أياماً وعلى كلّ قبيل من قريش وكنانة رئيس منهم، وعلى كلّ قبيل من قيس وهوازن رئيس منهم. قال ابن إسحاق: وكان قائد قريش وكنانة حرب بن أميّة بن عبد شمس^(٦) فاقتتلوا في رجب،

(١) اليعقوبي ٢ : ١٥ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ١٩٦ .

(٣) الأغاني ١٩ : ٧٥ .

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ١٩٦ .

(٥) اليعقوبي ٢ : ١٥ .

(٦) سيرة ابن هشام ١ : ١٩٦ - ١٩٨ .

وكان عندهم الشهر الحرام الذي لا تسفك فيه الدماء، فسمي الفجار لأنهم فجروا في شهر حرام.

أما بنو هاشم من قريش، فقد روي: أن أبا طالب قال: هذا ظلم وعدوان وقطيعة واستحلال للشهر الحرام، فلا أحضره ولا أحد من أهلي! فقال حرب بن أمية وعبدالله بن جُدعان التيمي: لا نحضر أمراً تغيب عنه بنو هاشم، فأخرج الزبير بن عبدالمطلب مستكراً على رأس قبيل من بني هاشم.

وقالوا لأبي طالب: يابن مطعم الطير وساقى الحجيج! لا تغب عنا، فإننا نرى مع حضورك الظفر والغلبة. قال: فاجتنبوا الظلم والعدوان، والقطيعة والبهتان فإني لا أغيب عنكم.

فقالوا: ذلك لك. فلم يزل يحضر حتى فتح عليهم. فقيل: إن أبا طالب كان يحضر ومعه رسول الله، فإذا حضر هزمت كنانة قيساً، فعرفوا البركة بحضوره.

وروي عن رسول الله أنه قال: شهدت الفجار مع عمي أبي طالب، وأنا غلام.

وروي بعضهم: أنه شهد الفجار وهو ابن عشرين سنة، وطعن أبا براء ملاعب الأسنة فأرداه عن فرسه، وجاء الفتح من قبله^(١).

(١) اليعقوبي ٢: ١١٥ - ١١٦ وقال قبل هذا: شهد رسول الله الفجار وله سبع عشرة سنة.

وقال ابن هشام: حدثني أبو عبيدة النحوي، عن أبي عمرو بن العلاء: أنه لما بلغ رسول الله أربع عشرة سنة أو خمس عشرة سنة، هاجت حرب الفجار بين قريش وكنانة وبين قيس عيلان. وشهد رسول الله بعض أيامهم، أخرجه أعمامه

معهم . وقال رسول الله «كنت أنبل مع أعمامي» أي أردّ عليهم نبل عدوّهم إذا رموهم بها .

وقال ابن إسحاق : هاجت حرب الفجار ورسول الله ابن عشرين سنة . وإنما سمي يوم الفجار بما استحلّ هذان الحيّان : كنانة وقيس عيلان من المحارم بينهم فيه (سيرة ابن هشام ١ : ١٩٥ - ١٩٨) .

ولهذا قال في (السيرة الحلبية ١ : ١٢٨) : أنّ سبب الفجار كان في رجب الحرام أمّا الحرب فكان في شعبان . وبهذا برّر مشاركة أبي طالب ومعه رسول الله في الحرب . ولكنّ السيد المرتضى رأى أنّ هذا التوجيه لا يعتمد على أيّ سند تاريخي ، فلم يجد مجالاً للتعويل عليه ، وشك في صحة القصة . (الصحيح ١ : ٩٥) .

ولا يخفى أنّ ابن إسحاق والطبري لم يرويا مشاركة النبي ولا حضوره في الحرب ، وإنما روى ابن هشام حضوره مع أعمامه ومساعدته لهم في الحرب وهو ابن خمس عشرة سنة . وروى اليعقوبي حضوره فقط وله سبع عشرة سنة ، ثمّ روى عن غيره حضوره ومشاركته في الحرب وهو ابن عشرين سنة (اليعقوبي ٢ : ١٥) .

وقال المسعودي : كان مولده عليه الصلاة والسلام عام الفيل ، وكان بين عام الفيل وعام الفجار عشرون سنة (٢ : ٢٦٨) وقال : وقد قدمنا في كتابنا الأوسط أخبار الأحلاف والفجارات الأربعة : فجار الرجل - أو فجار بدر بن معشر - وفجار القرد ، وفجار المرأة ، والفجار الرابع هو فجار البرّاض الذي كان فيه القتال وكان النبي - صلى الله عليه وآله - قد حضر وشاهد الفجار الرابع (٢ : ٢٧٦) وقال : أنّه ﷺ شهد يوم حرب الفجار وذلك في سنة إحدى وعشرين (من مولده) وهي حرب كانت بين قريش وقيس عيلان ، وكانت لقيس على قريش ، وإنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما شاهدها صارت لقريش على قيس ، وكان على قريش يومئذ عبدالله بن جدعان التيمي ، وكانت هذه إحدى الدلائل المنذرة بنبوته ﷺ التيمن بحضوره (٢ : ٢٨٦) . وقد يكون الاختلاف في سن النبي في حضوره الفجار ناشئاً من

ميلاد علي عليه السلام:

قال الكليني في «اصول الكافي»: «بعد عام الفيل بثلاثين سنة ولد أمير المؤمنين عليه السلام»^(١).

وقال الشريف الرضي في «خصائص الأئمة»: «ولثلاث عشرة ليلة خلت من رجب، بعد عام الفيل بثلاثين سنة، ولد في البيت الحرام علي عليه السلام»^(٢).

وقال شيخه المفيد في «الارشاد»: في «يوم الجمعة الثالث عشر من شهر رجب سنة ثلاثين من عام الفيل، ولد -علي عليه السلام- بمكة في البيت الحرام -ولم يولد قبله ولا بعده مولود في بيت الله تعالى- سواه، إكراماً من الله تعالى جلّ اسمه له، واجلالاً لمحلّه في التعظيم»^(٣).

وذكره معاصراه: المسعودي في «مروج الذهب» قال: «وكان مولده في الكعبة...»^(٤) والآخر: الحسن بن محمد القميّ في كتابه «تأريخ قم» الذي ألفه للصاحب بن عباد سنة ٣٧٨ قال: «سنة ثلاثين من عام الفيل، وفي

تعدد الفجارات ووقوعها في طول هذه السنين وعدم تعيين حضوره في الرابع منها.
(١) اصول الكافي ١: ٤٥٢ وبعده: وبقي بعد قبض النبي ثلاثين سنة وقتل سنة أربعين من الهجرة وهو ابن ثلاث وستين سنة. ثمّ روى بسنده عن الصادق عليه السلام قال: كان بين رسول الله وأمير المؤمنين ثلاثون سنة. وكأنه استند الى هذا الخبر في تأريخ ميلاد علي عليه السلام.

(٢) خصائص الأئمة: ٣٩ ط مشهد.

(٣) الارشاد: ٩ ط الحيدرية ومسار الشيعة: ٥١ ط مصر.

(٤) مروج الذهب ٢: ٣٤٨ ط بيروت.

رواية : سنة ثمان وعشرين منه ، كانت ولادة أمير المؤمنين في الكعبة . .^(١) .
وكشف الشيخ الطوسي عن مصدر القول الأخير في كتابه «مصباح
المتهجد» فقال : «عن عتاب بن أسيد : ولد . . وللنبي ثمان وعشرون سنة ،
وقبل نبوته باثنتي عشرة سنة ، وكذلك عن ابن عياش»^(٢) .

وروى الفتحال النيسابوري في «روضة الواعظين» عن جابر بن
عبدالله الأنصاري قال : سألت رسول الله ﷺ عن ميلاد علي بن أبي
طالب عليه السلام ، فقال : «لقد سألتني عن خير مولود ولد في شبه المسيح عليه السلام
كان في زماننا رجل زاهد عابد يقال له : المبرم بن دعيب بن الشقيان ، قد
عبد الله مائتين وسبعين سنة ، لم يسأل الله حاجة . فبعث الله إليه أبا طالب ،
فلما أبصره المبرم قام إليه وقبّل رأسه وأجلسه بين يديه ، ثمّ قال له : من
أنت ؟ فقال : رجل من تهامة ، فقال : من أيّ تهامة ؟ قال : من بني هاشم .
فوثب العابد فقبّل رأسه مرة ثانية ثمّ قال : يا هذا ، إنّ العليّ الأعلى ألهمني
إلهاماً . قال أبو طالب : وما هو ؟ قال : ولدٌ يولد من ظهرك ، وهو وليّ الله
عز وجل .

فلما كانت الليلة التي ولد فيها علي عليه السلام أشرقت الأرض ، فخرج أبو
طالب وهو يقول : أيها الناس ، ولد في الكعبة وليّ الله عز وجل»^(٣) ورواه
ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٤) والكنجي الشافعي (ت ٦٥٨) في كتابه

(١) عن الترجمة الفارسية للحسن بن علي القميّ ، ترجمه للوزير فخر الدين سنة ٨٦٥
ص ١٩١ ط سنة ١٣٥٣ هـ .

(٢) مصباح المتهجد : ٥٦٠ ط حجر .

(٣) روضة الواعظين : ٩٦ .

(٤) المناقب ١ : ٣٥٨ ط قم .

«كفاية الطالب في مناقب علي بن أبي طالب» مسنداً^(١).

وروى المغازلي في «المناقب» مرفوعاً الى علي بن الحسين عليه السلام قال :
كنا عند الحسين عليه السلام إذ أقبلت امرأة قالت : أنا زبدة بنت قريبة بن العجلان
من بني ساعدة . فقلت لها : فهل عندك شيء تحادثينا به ؟ فقالت : إي والله ،
حدثني أم عمارة الساعدية : أنها كانت ذات يوم في نساء العرب ، إذ أقبل
أبو طالب كئيباً حزيناً فقلت له : ما شأنك ؟ فقال : إن فاطمة بنت أسد في
شدة من المخاض . ثم أخذ بيدها وجاء بها الى الكعبة وقال لها : اجلسي
على اسم الله^(٢).

وروى ابن الصباغ المالكي بسنده عن موسى بن جعفر عليه السلام قال :
«دخل النبي صلى الله عليه وآله المسجد الحرام يوماً فرأى فيه أبا طالب مهموماً مغموماً .
فقال له : يا عم ، ما لي أراك مغموماً ؟ فقال : إن فاطمة قد أخذها الطلق .
فأخذ النبي بيد أبي طالب وأتيا فاطمة الى الكعبة وادخلها النبي الكعبة
وقال لها : اجلسي باسم الله ، فإن هذا المولود المكرّم ينبغي أن يولد في هذا
الموضع المحرّم»^(٣).

وروى الصدوق في «الأمالى» و«علل الشرائع» و«معاني الأخبار»
بسنده عن أبي حمزة الثمالي ثابت بن دينار عن سعيد بن جبير قال : قال
يزيد بن قعنب : «كنت جالساً مع العباس بن عبدالمطلب وفريق من بني

(١) كفاية الطالب : ٢٦٠ .

(٢) المناقب لابن المغازلي المالكي : ورواه عنه ابن الصباغ المالكي في الفصول المهمة :
١٤ ورواه عنه ابن البطريق الحلي من المائة السادسة مسنداً الى علي بن
الحسين عليه السلام ، كما في كتاب : علي وليد الكعبة : ٤٧ ط النجف .

(٣) الفصول المهمة : ١٤ ط الحيدرية .

عبد العزى، بإزاء بيت الله الحرام إذا اقبلت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين، وكانت حاملاً به لتسعة أشهر، وقد أخذها الطلق، فقالت :
«يا ربّ إنّي مؤمنة بك وبما جاء من عندك من رسل وكتب، وإنّي مصدّقة بكلام جدّي إبراهيم الخليل، وأنّه بنى البيت العتيق فبحقّ الذي بنى هذا البيت، وبحقّ المولود الذي في بطني .. إلّا ما يسّرت عليّ ولادتي» .
فراينا البيت قد انشقّ عن ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا وعاد الى حاله . فرمنا أنّ يفتح لنا قفل الباب فلم يفتح، فعلمنا أنّ ذلك من أمر الله تعالى»^(١).

ورواه الطوسي في «أماليه» بسنده عن الصادق عليه السلام عن آبائه، قال :
«كان العباس بن عبدالمطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق من بني هاشم الى فريق من عبدالعزى، بإزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد حاملة بأمير المؤمنين .. فوقفت بإزاء البيت الحرام -وقد أخذها الطلق- فرمت بطرفها نحو السماء ودعت .. فلما دعت رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا ثمّ عادت الفتحة والترقت بإذن الله ..

وبقيت فاطمة في البيت ثلاثة أيام، وأهل مكة يتحدثون بذلك في أفواه السكك، وتحدث المخدّرات في خدروهن . فلما كان بعد ثلاثة أيام انفتح البيت من الموضع الذي كانت دخلت فيه، فخرجت فاطمة وعليّ على

(١) أمالي الصدوق : ١١٤ وعلل الشرائع ١ : ١٣٥ ط النجف . ومعاني الأخبار : ٦٠ ط النجف .

يديها»^(١).

وروى القتال النيسابوري في «روضة الواعظين» خبراً مختصراً عن علي بن الحسين عليه السلام قال :

«إن فاطمة بنت أسد، ضربها الطلق وهي في الطواف، فدخلت الكعبة، فولدت أمير المؤمنين فيها»^(٢).

وفي آخر خبر موسى بن جعفر عليه السلام قال : «فولدت علياً في الكعبة، طاهراً مطهراً لم يكن فيه كثافة (كذا) وولد مختوناً مقطوع السرة، ووجهه يضيء كالشمس، فسماه أبو طالب علياً، وحمله النبي وأتى به الى البيت»^(٣).

وفي عام الولادة قال صاحب مجلة «العمران» المصرية : عبد المسيح الانطاكي : «وعام مولده عليه صلوات الله هو العام المبارك الذي بدى فيه برسول الله صلى الله عليه وآله ، فأخذ يسمع اهتاف من الأحجار والأشجار ومن السماء، وكشف عن بصره فشاهد أنواراً واشخاصاً، وفي هذا العام ابتدأ بالتبذل والإنقطاع والعزلة في جبل حراء. وكان صلى الله عليه وآله ييتم بذلك العام وبولادة سيدنا علي عليه السلام ، وكان يسميه «سنة الخير والبركة».

وعندما بلغت البشرية بولادة المرتضى قال المصطفى :

«لقد ولد لنا الليلة مولود، يفتح الله علينا به أبواباً كثيرة من النعمة

(١) أمالي الطوسي ٢ : ٣١٧ بثلاثة طرق ورواه ابن شهر آشوب في المناقب ١ : ٣٥٩ عنه عليه السلام مختصراً.

(٢) روضة الواعظين : ١٠٠ .

(٣) الفصول المهمة : ١٤ ط الحيدرية .

والرحمة» وكان قوله هذا أول نبؤته، فإن المرتضى -عليه صلوات الله- كان ناصره والمحامي عنه وكاشف الغماء عن وجهه، وبسيفه ثبت الإسلام ورسخت دعائمه وتمهدت قواعده»^(١).

حلف الفضول:

وانتهى الفجار في شوال، وفي ذي القعدة كان حلف الفضول^(٢). قال اليعقوبي «وكان سبب حلف الفضول: أن قريشاً تحالفت أحلافاً كثيرة على الحمية والمنعة:

فتحالف المطيئون؛ وهم: بنو عبد مناف، وبنو أسد، وبنو زهرة، وبنو «تيم»، وبنو الحارث بن فهر، على أن لا يسلموا الكعبة، ما أقام جراء، وثبير، وما بلّ بحر صوفة وصنعت عاتكة أو البيضاء بنت عبدالمطلب طيباً

(١) مجلة العمران المصرية، كما في كتاب: علي وليد الكعبة: ٦١ ولم يعين عدد المجلة ولا سنتها.

علق الصحافي المصري عبد المسيح الأنطاكي بكلامه هذا على قصيدته «العلوية المباركة» التي تحتوي على خمسة آلاف بيت في حياة أمير المؤمنين عليه السلام من دون أن يستند في ذلك إلى مصدر من حديث أو تأريخ، وإن كان كلامه هذا مما يساعد عليه الاعتبار بسائر الأخبار المعتبرة.

وعلى المعتبر من الخبر في تأريخ ولادته عليه السلام يكون عمره عند بعثة الرسول ﷺ عشر سنين، وعلى ما رواه الطوسي عن ابن عياش وابن غياث يكون عمره في الثانية عشرة وعلى الأكثر في الثالثة عشرة، وعند إعلان الدعوة وتعميمها في الخامسة عشرة أو السادسة عشرة من عمره.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢٧٠.

فغمسوا أيديهم فيه (فسمّوا المطيّين).

وتحالفت اللعقة؛ وهم: بنو عبد الدار، وبنو مخزوم، وبنو جمح، وبنو سهم، وبنو عدي؛ على أن يمنع بعضهم بعضاً ويعقل بعضهم عن بعض، وذبحوا بقرة فغمسوا أيديهم في دمها، (فسمّوا لعقة الدّم، والأحلاف). فكانت قريش (أي الأحلاف) تظلم في الحرم الغريب ومن لا عشيرة له:

حتّى أتى رجل من بني أسد بن خزيمة بتجارة فاشتراها رجل من بني سهم^(١) فأخذها السهميّ وأبى أن يعطيه الثمن؛ فكلّم قريشاً واستجار بها وسألها اعانته على أخذ حقّه فلم يأخذ له أحد بحقه؛ فصعد الأسدي أبا قبيس فنادى بأعلى صوته:

يا آل فهر لمظلوم بضاعته بطن مكّة نائي الأهل والنفر
إنّ الحرام لمن تمّت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
وقيل: إنّ الرجل كان قيس بن شيبه السلمي باع متاعاً من أبي خلف الجمحي وذهب بحقه، فقال هذا الشعر. وقيل: بل قال:
يا آل قصيّ كيف هذا في الحرم وحرمة البيت وأخلاق الكرم
أظلم، لا يُمنع منّي من ظلم^(٢).

فكان أوّل من سعى في ذلك الزبير بن عبد المطلب فشئى في قبائل

(١) صرح البلاذري في أنساب الأشراف ٢ : ١٢ وكذلك المسعودي أنّه: العاص بن وائل السهمي أبو عمرو بن العاص، ولعلّ الرواة اتّفقوا فكثّوا عنه ولم يصرّحوا به. ورواها ابن أبي الحديد ١٥ : ٢٥ عن الزبير بن بكار وزاد في الشعر:
هل منصف من بني سهم فرتجع ما غيبوا، ام حلال مال معتمر
(٢) اليعقوبي ٢ : ١٧.

قريش فاجتمعوا في دار الندوة، وهم: بنو هاشم، وبنو المطلب، وبنو زهرة، وبنو تيم، وبنو الحارث بن فهر، فاتفقوا على أنهم ينصفون المظلوم من الظالم. ثم ساروا إلى دار عبد الله بن جدعان فتحالفوا هنالك. وقال الزبير ابن عبدالمطلب في ذلك:

حلفت لنعقدن حلفاً عليهم وان كنا جميعاً أهل دار
نسّميه الفضول إذا عقدنا يعزّ به الغريب لدى الجوار
ويعلم من حوالي البيت أننا أباة الضيم نهجر كلّ عار^(١)
ثم انصفوا الرجل التاجر الغريب من القرشي العاص بن وائل السهمي^(٢).

فروى ابن اسحاق بسنده عن رسول الله -صلى الله عليه وآله] وسلم- أنه كان يقول لقد شهدت في دار عبدالله بن جدعان حلفاً ما أحب أن لي به حمر النعم، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت^(٣).
ثم روى: أنه كان بين الحسين بن علي عليه السلام وبين الوليد بن عتبة بن أبي سفيان -والوليد يومئذ أمير على المدينة أمره عليها عمه معاوية بن أبي

(١) مروج الذهب ٢ : ٢٧١ . الطبقات الكبرى ١ : ١٢٩ ط بيروت .
(٢) البداية والنهاية ٢ : ٢٩٢ والسيرة الحلبية ١ : ١٣٢ وسيرة دحلان ١ : ٥٣ .
(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٤١ وأنساب الأشراف ٢ : ١٢ - ١٥ بخمسة طرق وألفاظ متقاربة واليعقوبي ٢ : ١٧ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٣ وتأريخ الخميس ١ : ٢٦١ والسيرة الحلبية ١ : ١٣١ والسيرة النبوية لدحلان ١ : ٥٣ وروى البلاذري أنه قدم مكة رجل تاجر من خثعم ومعه ابنة له يقال لها : القنول، فعلقها نبيه بن الحجاج السهمي فلم يرح حتى نقلها إلى منزله بالقهر والغلبة ! فدلّ أبوها على أهل حلف الفضول فأتاهم فأخذوها من نبيه ودفعوها إلى أبيها (أنساب الأشراف ٢ : ١٤) .

سفيان - منازعة في مال كان بينها بذى المروة - قرية بوادي القرى - فكان الوليد تحامل على الحسين عليه السلام في حقه، فقال له الحسين: احلف بالله لتنصفني من حقي أو لاخذن سيفي ثم لأقومن في مسجد رسول الله، ثم لأدعون بحلف الفضول!

وكان عبدالله بن الزبير عند الوليد فقال: وأنا أحلف بالله لئن دعا به لأخذن سيفي ثم لأقومن معه حتى ينصف من حقه او نموت جميعاً!

وبلغ هذا المسور بن مخزومة بن نوفل الزهري فقال مثل ذلك!

وبلغ ذلك الى عبدالرحمن بن عثمان التيمي فقال مثل ذلك!

فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضي عليه السلام ^(١) ثم روى: أن محمد بن جبير بن مطعم العدوي قدم على عبدالملك بن مروان - وكان محمد بن جبير أعلم الناس بقريش - فقال له عبدالملك: يا أبا سعيد ألم تكن نحن وانتم - يعني بني عبد شمس وبني نوفل ابن عبد مناف - في حلف الفضول؟ قال: أنت أعلم، قال عبدالملك: لتخبرني يا أبا سعيد بالحق من ذلك. فقال: لا والله، لقد خرجنا نحن وانتم منه! قال: صدقت ^(٢).

وقد روى أبو هلال العسكري الخبر الذي رواه ابن اسحاق عن تحامل الوليد على حق الإمام الحسين عليه السلام في أرض له بذى المروة، على

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٤٢ وأنساب الأشراف ٢ : ١٤ والبداية والنهاية ٢ : ٢٩٣ والسيرة الحلبية ١ : ١٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ١ : ٥٣ والكامل لابن الأثير ٢ : ٤٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ١٤٣ والبلاذري في أنساب الأشراف ٢ : ١٤ عن الواقدي والكلبي وشرح النهج للمعتزلي ١٥ : ٢٢٧ عن الزبير بن بكار.

غير مارواه ابن اسحاق، فقال: كان بين الحسين عليه السلام وبين معاوية كلام في أرض للحسين. فقال الحسين لابن الزبير: خيرّه في ثلاثة والرابعة الصّيلم -أي الصّدام المسلّح-: أن يجعلك أو ابن عمر بيني وبينه، أو يشتريه مني، أو يقرّ بحقيّ ثمّ يسألني أن أهبه له، فإنّ أبي فوالذي نفسي بيده لأهتفنّ بحلف الفضول^(١).

وليس مفاد نداء ابن الزبير بحلف الفضول إلى جانب الإمام الحسين عليه السلام أنّه كان وقتاً مخلصاً في ذلك، بل كان إلى معاوية وعامله الوليد أقرب منه إلى الحسين عليه السلام، ولكّنه كان يتعرّز بهذا وأمثاله. فقد جاء في رواية لأبي الفرج: أنّ معاوية قدم المدينة فلم يزره الإمام الحسين عليه السلام فأظهر معاوية انزعاجه من ذلك، فأغراه به ابن الزبير! فلم يستجب له معاوية، فقال له ابن الزبير: أما والله أنّي وإياه ليد عليك بحلف الفضول! فقال له معاوية: من أنت وحلف الفضول؟!^(٢).

ومما ورد في قدوم محمّد بن جبير بن مطعم على عبد الملك بن مروان وسؤاله منه عن دخول بني عبد شمس في حلف الفضول، يظهر أنّهم كانوا بصدد تقرير هذا المعنى على الناس، ولذلك روى راويتهم أبو هريرة: أنّ بني أمية كانوا في حلف الفضول، وأنّ أبا سفيان كان ممّن دعا الناس إليه مع العباس بن عبد المطلب، ولعلّ حشر العباس معه لتبديد التهمة عن الرواية. وإنّ كان لم يتابعه عليه أحد بل أنكره غير واحد من المؤرّخين^(٣).

(١) الأوائل ١: ٧٣، ٧٤.

(٢) الأغاني ٨: ١٠٨ ط ساسي.

(٣) السنن الكبرى للبيهقي. والبداية والنهاية ٢: ٢٩١ والسيرة الحلبية ١: ١٣١ والسيرة النبوية لدحلان ١: ٥٣.

وقد قرر غير واحد من المؤرخين أنَّ سببه كان عصيان العاص بن وائل السهمي على الرجل التاجر الغريب وحبسه حقه، وقد سبق أنَّ بني سهم وبني عبد شمس كانوا من الأحلاف في لعقة الدَّم، فيكون معنى دعوة أبي سفيان إليه ودخول بني أمية فيه أنَّهم دخلوا في حلف خلاف حلف الأحلاف في لعقة الدَّم، وهذا ما لم يقله أحد.

وقد روى ابن اسحاق عن رسول الله ﷺ أنَّه قال: ما كان من حلف في الجاهلية فإنَّ الإسلام لم يزد إلاَّ شدةً^(١).

وروى ابن منظور هذا الحديث في «لسان العرب» فقال: يريد المعاهدة على الخير ونصرة الحق، وبذا يجتمع هذا الحديث وحديث آخر له هو «لا حلف في الإسلام» على أنَّ يكون المراد من هذا الحديث الثاني النهي عما كانت تفعله الجاهلية من المحالفة على الفتن والقتال بين القبائل والغارات.

وقيل: إنَّ الحديث الثاني وهو «لا حلف في الإسلام» جاء لاحقاً، قاله الرسول -صلى الله عليه وآله- وسلَّم- زمن الفتح، فهو ناسخ للحديث الأوَّل^(٢).

ولعلَّ خصوصية بعد الفتح أنَّ يشمل إمضاءه ﷺ في هذا الحديث للحلف الذي كان قد عقده جدُّه عبد المطلب مع جمع من خزاعة، فلمَّا قتلت قريش عدداً من خزاعة استنصروا النبيَّ استناداً إليه فكان فتح مكة مستنداً

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٤٠ وعن الترمذي ٤ : ١٤٦ وفتح الباري ٨ : ١٧٣ والمصنف

للحافظ عبد الرزاق ١٠ : ٣٧٠ وفي هامشه عن مسلم والدارمي .

(٢) لسان العرب مادة حلف، وعنه في هامش سيرة ابن هشام ١ : ١٤٠ .

اليه .

وهذا يدلّ على أنّ الإسلام بما أنّه مع مقتضيات العقل والفطرة الطبيعية الإنسانية لذلك يستجيب لكلّ ما ينسجم مع أهدافه السامية ممّا فيه خير الانسان وصلاحه . وقد أمضى هذين الحلفين من عبد المطلب مع خزاعة والزبير في حلف الفضول لما فيها من الفضل والعدل ، ولو كان هناك أي حلف آخر ينسجم مع أهدافه لأمضاه كذلك . أمّا ما رواه عنه ﷺ ممّا يدلّ على لزوم التمسك بكلّ الأحلاف الجاهلية فإنّما هي دعوة خبيثة مريضة في أغراضها اللا إسلامية .

أمّا عن علل استجابة من استجاب لهذا الحلف فبإمكاننا أن نعدّ ثلاثة عوامل :

أ - استجابة لنداء الوجدان الاخلاقي الانساني والدافع الفطري وحكم عقولهم .

ب - حفاظاً على قدسية مكّة المكرمة وكرامة أهلها في نفوس العرب أي ثاراً لكرامتهم .

ج - دفاعاً عن منافعهم ومصالحهم المادية في قوافلهم ورحلاتهم التجارية ووفود العرب اليهم .

رعي النبي ﷺ للغنم:

لم يروَ عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أنّ رسول الله ﷺ كان يرعى الأغنام ، اللهم إلّا ما رواه الشيخ الصدوق في (علل الشرائع)، بسنده الى الامام الصادق عليه السلام أنّه قال «ما بعث الله نبياً قطّ حتّى يسترعيه الغنم ، يعلمه بذلك رعيه الناس» وأيضاً فيه عنه عليه السلام قال : «إنّ الله عزّ وجلّ أحبّ

لأنبيائه من الأعمال : الحرث والرعي ، ثلثا يكرهوا شيئاً من قطر السماء»^(١) ورواه الكليني في (فروع الكافي) هكذا «إنَّ الله جعل أرزاق أنبيائه في الزرع والضرع ، ثلثا يكرهوا شيئاً من قطر السماء»^(٢) .

ورواه البخاري بسنده الى أبي هريرة عنه أنه كان يقول «ما بعث الله نبياً إلا رعى الغنم . فقال أصحابه : وأنت ؟ قال : نعم ، كنت أرهاها على قراريط ، لأهل مكة»^(٣) وبما أنَّ الخبر مشتمل على جملة «لأهل مكة» لذلك ذكره البخاري في كتاب الإجارة ، ولذلك فسروا القراريط بأنها : أجزاء الدراهم والدنانير يشتري بها الحوائج الحقةرة !

ولكن في شرح الحديث في (فتح الباري) نقل عن إبراهيم الحربي أنه كان يقول : إنَّ العرب ما كانت تعرف القراريط ، وإنما هي اسم لمكان في مكة . ويؤيد هذا أنَّ لفظ الخبر في بعض رواياته : بالقراريط ، وفي أخرى : بأجياد ، ممَّا يفيد أنَّ القراريط وأجياداً اسم لمكان واحد او متداخل او

(١) علل الشرائع : ٢٣ .

(٢) فروع الكافي ١ : ٤٠٣ أضاف الى ذلك ما رواه الطبري في تأريخه بسنده عن محمد ابن الحنفية عن أبيه علي عليه السلام قال : «سمعت رسول الله يقول : «قلت ليلة لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكة - لو أبصرت لي غنمي حتى أدخل مكة -» (الطبري ٢ : ٢٧٩ ورواه عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج) .

وأضاف اليه ما نقله الشيخ الطبرسي في «إعلام الوري» عن علي بن ابراهيم القمي في كتابه قال : «وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب» (اعلام الوري : ٣٦ والمناقب ١ : ٤٣ وليس في تفسيره) .

(٣) فتح الباري وبهامشه البخاري ٤ : ٣٦٣ وسيرة ابن هشام ١ : وعنه في السيرة الحلبية ١ : ١٢٥ وسيرة دحلان ١ : ٥١ .

متقارب. ولا يضّر لفظ: على' قراريط، إذ هو اسم جبلٍ كما نقله الطريحي في (المجمع) عن الجوهري قال «وأما القيراط الذي جاء في الحديث فقد جاء تفسيره فيه: أنّه مثل جبل أحد» فيكون المعنى: أنّه ﷺ قد رعى الغنم على ذلك الجبل بأجياد، وهذا هو الأوفق بالاعتبار فإنّ الرعي لا يكون في سهل مكّة في البلد.

وحاول بعضهم أن يوجّه فهم البخاري للحديث بما نقل في (فتح الباري) عن بعضهم قولهم: لا يعرف مكان في مكّة بهذا الاسم. وردّه السيد المرتضى العاملي بقوله: إنّ عدم معرفيته الان لا يستلزم عدم معرفيته في ذلك الزمان^(١).

فلا يبق' إلّا أن نشك قوياً في أن يكون ﷺ قد رعى لغير أهله بأجر، ولا يجدي البخاري لفظ رواية عن أبي هريرة: لأهل مكّة، فإنّ بعضها يقول: لأهلي.

وإذا كان الراوي هو أبو هريرة فلم يبق ما يعيّن معنى إجارة رسول الله نفسه لأهل مكّة.

على أن أبا هريرة ممّن لا يمكن الاعتماد عليه أصلاً. هذا، وقد روى اليعقوبي وابن كثير عن عمّار بن ياسر أنّه قال: «أنّه ما كان أجيراً لأحد قط»^(٢).

وقد تقول في (فتح الباري) شرحاً لفلسفة رعيه للغنم، وتبعه بعض

(١) الصحيح ١: ١٠٩.

(٢) اليعقوبي ٢: ٢١. والبداية والنهاية: ٢٩٦.

كتاب السيرة كالحلبي وزيني دحلان^(١) ولا نراه يتفق والقواعد العقائدية بشأن الأنبياء والمرسلين. فإنَّ صحَّ رعيه للغنم أصلاً -وهو الصحيح- فلا علة له سوى ما جاء في رواية الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق عليه السلام، في كتابه (علل الشرائع).

ويمكن تفصيل ذلك التعليل بما نقله السيد المرتضى العاملي من قول البعض: إنَّ الرعي فيه تحمل مسؤولية آحاد متفرقة، وهو يناسب المهمة التي سوف توكل اليه، الأمر الذي من شأنه أن يروِّض النفس ويزيدها اندفاعاً نحو طلب الخير للآخرين من رعايته لهم والحرص على ما ينفعهم. وقد كان الله تعالى يهتم في رفع مستوى تحمُّل وملكات وقدرات نبيِّه ليواجه المسؤولية العظمى، ولكن بالطرق العادية والطبيعية، كما هو معلوم^(٢).

السفر الثاني للنبي ﷺ الى الشام، وزواجه بخديجة:

روى القطب الراوندي في كتابه (الخرائج والجرائع)، عن جابر أنه قال: كان سبب تزويج خديجة محمداً: أنَّ أبا طالب قال: يا محمد: إني أريد أن أزوّجك، ولا مال لي اساعدك به، وإنَّ خديجة قرابتنا، وتخرج كلَّ سنة قريشاً في مالها مع غلمانها، يتجرّ الرجل لها ويأخذ وقر بعير ممّا أتى به.

(١) فتح الباري ٤ : ٣٦٤ وسيرة دحلان ١ : ٥١ والسيرة الحلبية ١ : ١٢٦ وقال فيه : انَّ رعي الغنم صعب لأنه أصعب البهائم، وهو يوجب أن يستشعر القلب رأفة ولطفاً، فإذا انتقل الى رعاية البشر كان قد هذب أولاً من الحدة الطبيعية والظلم الغريزي ! .
(٢) الصحيح ١ : ١١٠ .

فهل لك أن تخرج؟ قال: نعم.

فخرج أبو طالب إليها وقال لها ذلك، ففرحت وقالت لعلامها ميسرة: أنت وهذا المال كله بحكم محمد ﷺ.

وربحا في ذلك السفر ربحاً كثيراً. فلما انصرفا قال ميسرة: لو تقدمت يا محمد إلى مكة وبشّرت خديجة بما قد ربحنا لكان أنفع لك! فتقدم محمد على راحلته.

وكانت خديجة في ذلك اليوم جالسة في غرفة لها مع نسوة، فظهر لها محمد راكباً، ونظرت خديجة إلى غمامة عالية على رأسه تسير بسيره! فقالت: إنّ لهذا الراكب لشأناً عظيماً لئنه جاء إلى داري! فإذا هو محمد قاصد إلى دارها، فنزلت حافية إلى باب الدار! فلما رجع ميسرة حدثت: أنّه ما مرّ بشجرة ولا مدرة إلا قالت: السلام عليك يا رسول الله! ولما رأى بحيرا الراهب الغمامة تسير على رأسه حيثما سار تظللّه النهار، خدمنا. فقالت: يا محمد اخرج وأحضرني عمك أبا طالب الساعة.

ثمّ بعثت إلى (ابن^(١)) عمّها ورقة بن نوفل بن أسد: أن زوجني من محمد إذا دخل عليك.

فلما حضر أبو طالب قالت: أخرجنا إلى (ابن) عمي ليزوجني من محمد، فقد قلت له في ذلك،

(١) فيه وفي الكافي ٥ : ٣٧٥ والسيرة الحلبية ١ : ١٢٩ أن ورقة كان عمّ خديجة، وهو غير صحيح لأنّ ورقة هو ابن نوفل بن أسد وخديجة هي بنت خويلد بن أسد، فهما ابنا عم.

فقاما ودخلا على (ابن) عمّها، وخطبها أبو طالب منه^(١).

الخطيب أبو طالب:

وروى الكليني في (فروع الكافي) بسنده عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أنّه قال :

لما أراد رسول الله ﷺ أن يتزوج خديجة بنت خويلد، أقبل أبو طالب في أهل بيته ومعه نفر من قريش حتّى دخل على ورقة بن نوفل (ابن) عمّ خديجة، فابتدأ أبو طالب بالكلام فقال :

«الحمد لربّ هذا البيت، الذي جعلنا من زرع إبراهيم وذرية إسماعيل، وأنزلنا حرماً آمناً، وجعلنا الحكماء على الناس، وبارك لنا في بلدنا الذي نحن فيه.

ثمّ إنّ ابن أخي هذا -يعني رسول الله- لا يوزن برجل من قريش إلّا رجح، ولا يقاس بأحد منهم إلّا عظم عنه، ولا عدل له في الخلق، وإن كان مُقلّداً في المال، فإنّ المال رقد جار وظل زائل. وله في خديجة رغبة ولها فيه رغبة. وقد جئتُك لنخطبها اليك برضاها وأمرها. والمهر عليّ في مالي، الذي سألتُموه، عاجله وآجله. وله -وربّ هذا البيت- حظّ عظيم ودين شائع ورأي كامل» ثمّ سكّ أبو طالب.

فتكلّم ابن عمّها وتلجّج، وقصر عن جواب أبي طالب وأدركه القطع والبهر، وكان رجلاً من القسيسين^(٢).

(١) البحار ١٦ : ٣ و ٤ عن الخرائج : ١٤٠ بتصرف .

(٢) وعليه فلا يصح ما رواه في البحار ١٦ : ١٩ عن الكازروني في كتابه (المنتقى) عن

فقال خديجة مبتدئة : يا (ابن) عمّاه أنّك وإن كنت أولى بنفسي مني في (الغياب) فلست أولى بي من نفسي في الشهود. قد زوجتك يا محمد نفسي، والمهر عليّ في مالي، فأمر عمّك فلينحر ناقة فليولم بها، وادخل عليّ أهلك.

فقال أبو طالب : اشهدوا عليها بقبولها محمّداً، وضمانها المهر في مالها. فقال بعض قريش : وا عجباه ! المهر عليّ النساء للرجال ؟! فغضب أبو طالب غضباً شديداً وقام عليّ قدميه وقال : اذا كانوا مثل ابن أخي هذا طُلبت الرجال بأغلى الأثمان وأعظم المهر، واذا كانوا أمثالكم لم يزوّجوا إلّا بالمهر الغالي ! ونحر أبو طالب ناقة. ودخل رسول الله ﷺ بأهله^(١).

الواقدي قال : فلمّا أتمّ أبو طالب خطبته تكلم ورقة بن نوفل فقال : «الحمد لله الذي جعلنا كما ذكرت، وفضلنا عليّ ما عدّدت، فنحن سادة العرب وقادتها، وأنتم أهل ذلك كلّ، لا تنكر العشيرة فضلكم، ولا يردّ أحد من الناس فخركم وشرفكم. وقد رغبتنا بالاتصال بجيلكم وشرفكم. فاشهدوا عليّ - معاشر قريش - بأنّي قد زوجت خديجة بنت خويلد من محمّد بن عبد الله عليّ أربعائة دينار» ثمّ سكّت ورقة. وتكلّم أبو طالب وقال : قد احببت أن يشركك عمّها، فقال عمّها : اشهدوا عليّ - يا معشر قريش - أني قد أنكحت محمّد بن عبد الله خديجة بنت خويلد، وشهد عليّ بذلك صناديد قريش. فأمرت خديجة جواريتها أن يرقصن ويضربن بالدفوف ! وقالت : يا محمّد مر عمّك أبا طالب ينحر بكرة من بكراتك واطعم الناس عليّ الباب ! وهلمّ فتمّ القيلولة مع أهلك !.

من تولى تزويج خديجة؟!

وروى الصدوق في: (كتاب من لا يحضره الفقيه) مرسلًا: أنه لما تزوج النبي خديجة بنت خويلد خطبها أبو طالب إلى أبيها - ومن الناس من يقول إلى عمها - ثم روى الخطبة ثم قال: فتزوجها ودخل بها من الغد، فكان أول ما حملت ولدت عبدالله بن محمد ﷺ^(١).

وروى ابن اسحاق في سيرته: أن خديجة بنت خويلد عرضت على رسول الله أن يخرج في ما لها إلى الشام تاجرًا مع غلامها ميسرة، فقبل رسول الله وخرج حتى قدم الشام، فباع سلعته واشترى ما أراد، ثم أقبل قافلًا إلى مكة ومعه ميسرة، فلما قدم مكة على خديجة حدثها ميسرة عن قول الراهب وعمّا كان يرى من إضلال الملكين إياه.

فلما أخبرها ميسرة بما أخبرها به بعثت إلى رسول الله فقالت له: يا بن عمّ، إني قد رغبت فيك لقربتك وسيطتك في قومك وأمانتك وحسن خلقك وصدق حديثك. ثم عرضت عليه نفسها. فلما قالت ذلك لرسول الله ذكر ذلك لأعمامه. فخرج معه عمّه حمزة

(١) البحار عن كتاب من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٩٧ ح ٤٣٩٨ وروى الخطبة الطبرسي في إعلام الوري: ١٤٠ وابن شهر آشوب في المناقب ١: ٤١، ٤٢ عن الجويني في السيرة عن الحسن والواقدي وأبي صالح والعتبي، وعن ابن بطة في الابانة، وعن الزمخشري في ربيع الابرار وفي تفسيره، وعن الخرگوشي في شرف المصطفى وروى الخطبة البيهقي في تأريخه عن عمار بن ياسر ٢: ٢٠ والأوائل ١: ١٦٢. والسيرة الحلبية ١: ١٣٩.

ابن عبد المطلب حتى دخل على خويلد بن أسد، فخطبها إليه فتزوجها^(١). بل مرَّ أن الذي نهض معه ﷺ هو أبو طالب، وهو الذي خطب خطبة النكاح، وكان أسنَّ من حمزة، وهو الذي كفل محمداً، فلم يكن حمزة ليتزعم الأمر دون أبي طالب، وأبو طالب هو أخو عبد الله لأمه دون سائر إخوانه أبناء عبد المطلب. وحمزة لا يكبر النبي إلا بستتين أو أربع. وانفرد ابن إسحاق بأنَّ خويلداً أبرم هذا الزواج، أمّا غير ابن إسحاق فقد ذكروا أنَّ خويلداً كان قد قُتل في حرب الفجار أو مات في عامه^(٢) وأنَّ الذي زوج خديجة ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد كما مرَّ، أو

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٩٩- ٢٠١ وليس في سيرة ابن هشام ما رواه الحلبي في سيرته ١ : ١٣٨ عن ابن إسحاق : أنَّ خديجة قالت له : يا محمد ألا تتزوج ؟ قال من ؟ قالت : أنا ! قال : ومن لي بك ؟ أنت أيم قريش وأنا يتيم قريش ! وترده الأخبار المعتمدة في الباب سيّما ما في خطبة أبي طالب من نعت النبي ﷺ وبني هاشم .

(٢) الخبر في طبقات ابن سعد ١ : ١٣٢، ١٣٣ عن الواقدي قال : الثبت عندنا المحفوظ عن أهل العلم من حديث عروة بن الزبير عن عائشة، وعن عكرمة عن ابن عباس : أنَّ عمها عمرو بن أسد زوجها رسول الله صلى الله عليه وآله [وآله] وسلّم وأنَّ أباهما مات قبل الفجار . وذكره الطبري ٢ : ٢٨٢ . والكامل ١ : ٢٥ ونقل أصل خبر وفاته في عام الفجار المجلسي في البحار ١٦ : ١٩ عن الكازروني في المنتقى عن الواقدي أيضاً . وذكر الخبر اليعقوبي ٢ : ٢٠ . وتأريخ الخميس ١ : ٢٦٤ . والسيرة الحلبيّة ١ : ١٣٨ . وكشف الغمّة ٢ : ١٣٩ عن كتاب معالم العترة النبوية للجنابذي الحنبلي عن ابن عباس أيضاً . وذكر الطبرسي مثل ابن إسحاق في إعلام الوري : ١٣٩ ثم قال : وقيل : زوجها عمرو بن أسد .

عمّها عمرو بن أسد^(١)، أو أخوها عمرو بن خويلد بن أسد، كما في (الروض الأنف) و(شرح المواهب).

خديجة تعرض نفسها على النبي ﷺ:

وجاء في رواية اليعقوبي عن عمار بن ياسر ما يفيد أنّ خبر سفر النبيّ بأموال خديجة الى الشام وأنّ خديجة احبته حيث حدّثها غلامها ميسرة بأخباره، وأنّها بعثت الى النبيّ ﷺ فعرضت نفسها عليه... كان هذا قد شاع في الناس يومذاك فكانوا يقولون: إنّها استأجرته بشيء من أموالها، وكان عمار بن ياسر يقول «أنا أعلم الناس بتزويج رسول الله خديجة بنت خويلد... إنّ ما كان ممّا يقول الناس أنّها استأجرته بشيء، ولا كان اجيراً لأحد قط...

بل كنّا نمشي يوماً بين الصفا والمروة إذ بخديجة بنت خويلد واختها هالة، فلمّا رأت رسول الله جاءني هالة اختها فقالت: يا عمار ما لصاحبك حاجة في خديجة؟ قلت: والله ما أدري. فرجعت فذكرت ذلك له، فقال: ارجع فواضعها وعدها يوماً نأتيها فيه، ففعلت.

فلما كان ذلك اليوم أرسلت الى عمرو بن أسد (عمّها) وطرحت عليه جبراً ودهنت لحيته بدهن أصفر...

ثمّ جاء رسول الله في نفر من أعمامه، يتقدّمهم أبو طالب، فخطب أبو طالب فقال. ثمّ روى الخطبة المذكورة ثمّ قال: فتزوجها وانصرف^(٢).

(١) المصادر السابقة في الهامش ١.

(٢) اليعقوبي ٢: ٢٠٠ والبداية والنهاية: ٢٩٥.

هَذَا، ولم يرد لفظ الاستيجار فيما نعلم من الأخبار إلا في أخبار ثلاثة :

الأول : ما رواه الصدوق في (إكمال الدين) بسنده إلى بكر بن عبد الله الأشجعي عن آبائه : أن رفاق رسول الله في سفره إلى الشام قالوا لابي الموهب الراهب عنه : إنه يتيم أبي طالب أجير خديجة^(١) .
ورواه ابن شهر آشوب في (المناقب)^(٢) .

الثاني : ما ساقه ابن شهر آشوب في «المناقب» أيضاً قال : كانت خديجة قد استأجرت النبي ﷺ على أن تعطيه بكرين ويسير مع غلامها ميسرة إلى الشام^(٣) .

الثالث : ما رواه الدّولابي الحنفي في «الذرية الطاهرة» بسنده عن الزهري قال : لما استوى رسول الله وبلغ أشده - وليس له كثير مال - استأجرت خديجة - بنت خويلد إلى سوق حُباشة - وهو سوق بتهامة واستأجرت معه رجلاً آخر من قريش . فقال رسول الله : ما رأيت من صاحبة لأجير خيراً من خديجة^(٤) ورواه الطبري في تأريخه عن ابن سعد

ونقل الخبر محقق البحار المحرم الرباني الشيرازي بهامش البحار ١٦ : ١٩ وعلق عليه يقول : «قلت : فيها غرابة وشذوذ، ولم يرد ذلك من طرق الإمامية بل ورد من طريق لا يعتمد عليه» وذلك لأنه يشتمل على أن خديجة سقته ذلك اليوم، أي الخمر، فلما أصبح أنكر ثم أمضاه !

(١) كشف الغمة ٢ : ١٣٥ ، ١٣٦ . وذكر مثله الطبرسي في اعلام الوری : ١٣٩ .

(٢) إكمال الدين : ١٨٦ .

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ : ٤١ ط قم .

(٤) الذرية الطاهرة : ٤٩ ورواه الاربلي في كشف الغمة ٢ : ١٣٥ ، ١٣٦ ط تبريز عن

صاحب الطبقات بسنده عن الزهري أيضاً، لكنّه عقّبه يقول : «قال محمد بن سعد : قال الواقدي : فكلّ هذا مغلط»^(١).

هل كان النبي ﷺ أجيراً لخديجة أو مضارباً؟

ولئن كان ما افتتحنا به الفصل من خبر (الخرائج) عن جابر لا يعيّن نوع المعاملة وأنما يقول «يتجر الرجل لها ويأخذ وقر بعير ممّا أتى به» ممّا هو أعمّ من الإجارة والوكالة والمضاربة؛ فإنّ ما جاء في التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عن أبيه الهادي عليه السلام يصرّح بذلك فيقول : إنّ رسول الله ﷺ كان يسافر إلى الشام مضارباً لخديجة بنت خويلد^(٢) وكذلك ابن اسحاق يقول «كانت خديجة بنت خويلد امرأة تاجرة ذات مال وشرف، تستأجر الرجال في مالها وتضاربهم إياه بشيء تجعله لهم منه»^(٣). وعلى هذا فقد يكون سفره ﷺ إلى الشام لا لكونه أجيراً لخديجة،

كتاب «معالم العترة النبوية» للجنابزي الحنبلي بسنده عن الزهري أيضاً. وذكر مثله الطبرسي في إعلام الوري: ١٣٩ ط النجف.

(١) الطبري ٣ : ٢٨١ ، ٢٨٢ .

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام : ١٦ كما في البحار ١٧ : ٣٠٨ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ١٩٩ ورواه عنه الطبري ٢ : ٢٨٠ وعنه الجنابزي الحنبلي في معالم العترة النبوية كما في كشف الغمّة ٢ : ١٣٤ . وعلّق المحقق في سيرة ابن هشام يقول : المضاربة المقارضة . وقال الإمام الحميني في تحرير الوسيلة ١ : ٦٠٨ «وتسمّى المضاربة قراضاً، وهي عقد واقع بين شخصين على أن يكون رأس المال في التجارة لأحدهما والعمل من الآخر، ولو حصل ربح يكون بينهما» ولعلّ الأمر قد التبس على المحقق .

بل مضارباً بأموالها .

ومجمل القول : إنّ رواية اليعقوبي عن عمار بن ياسر تنفي أن يكون النبيّ أجيراً لأحد حتّى خديجة، كما تنفي أن يكون قد رعى الغنم لأحد من المكيين، كما ادّعي عن أبي هريرة .

والعمل لا يتنافى مع العبقرية والنبوة، ولا يضع من شأن الانسان مهما كان، بل هو من أفضل الطاعات اذا كان في سبيل العيال والأولاد وخير الناس، ولكنّ تأريخ محمد منذ ولادته الى أن بلغ سنّ الرجولة وأصبح زوجاً لخير امرأة عرفها تأريخ المرأة، ومواقف جدّه ثم عمّه والمراحل التي عاش فيها معها عزيزاً موفور الكرامة، لا يفارقهما في ليل أو نهار، يبذلان في سبيل راحته واطمئنانه العالي والنفس، من تتبّع ذلك وأدرك أنها منذ طفولته كانا يترقبان له مستقبلاً يهز العالم من أقصاه الى أقصاه ويحدث تحولاً في تأريخ البشرية، وأنها كانا يخافان عليه دعاة الأديان وطواغيت العرب .. لا بدّ وأن يقف على أقل التقادير موقف المشكك من تلك المرويات التي تنصّ على أنّه كان يرعى الغنم للمكيين بالقراريط، ويذهب بعد ذلك أجيراً الى الشام في تجارة خديجة بقسم من الأرباح، سيّما بعد رواية اليعقوبي عن عمار بن ياسر أنّه لم يكن أجيراً لأحد من الناس، وأنّ زواجه من خديجة لم يكن مسبقاً بمعاملة بينها، بل كان بناءً على رغبته بعد أن وجدت فيه الرجل الذي يمكن أن ترتاح اليه، وقد بلغت الأربعين، وأشرف قريش يطعمون في زواجها بالطمع في ثرائها. أمّا محمد بن عبد الله ﷺ فقد وجدت فيه حسب المعلومات التي توفرت لديها عنه ضرباً آخر من الرجال لا تستغويه متعة الدنيا، فطلبتة الى نفسها وأرسلت اليه من يشجعه على خطبتها من عمّها أو ابن عمّها .

وليس بغريب على المرأة الفاضلة كخديجة أن تطلب لنفسها محمد بن عبد الله ﷺ وتفضله على سادة مكة وأشرفها، فلقد كان في القصة في صفاته التي لم يعرف العرب لها مثيلاً ماضيهم وحاضرهم. واجتهد خصومه أن يجدوا في حياته ولو نزوة تخدش تأريخه المجيد، أو مغزاة منه لنيل جاه أو اصطياد ثروة أو انحراف مع غرائز الشباب التي تثور وتتمرد أحياناً على العقل والخلق والحكمة، فلم يجدوا شيئاً من ذلك. وكان قد جمع إلى ذلك من صباغة الوجه وجمال التركيب ما لم يتوفر في أحد سواه كما وصفوه:

فقد جاء في رواية عمرو بن شمر عن جابر أنه قال: قلت لأبي جعفر محمد بن علي الباقر صف لي رسول الله. قال: كان نبي الله أبيض الوجه مشرباً بحمرة، أدعج العينين، مقرون الحاجبين، شثن الأطراف كأن الذهب أفرغ على برائه، عظيم مشاشة المنكبين. اذا التفت التفت جميعاً من شدة استرساله. سريته سائلة من لُبته الى سرته كأنها وسط الفضة المصفاة، وكأن عنقه الى كاهله إبريق فضة، يكاد أنفه إذا شرب الماء أن يرد الماء. واذا مشى تكفأ كأنه ينزل من صيب، لم ير مثل نبي الله قبله ولا بعده^(١).

إذن، فليس بغريب إذا خطبته خديجة لنفسها، وظلت تشاطره آلامه وتناصره بقلبها وعقلها وما لها حتى لحقت برّبها قبل هجرته إلى المدينة بسنة أو سنتين عن خمسة وستين عاماً^(٢).

(١) الكافي ١ : ٤٤٣ .

(٢) انظر سيرة المصطفى: ٦٢، ٦٣ .

أوهام واهية:

ولكن ليس معنى هذا أن نصدّق ما نقله الحلبي في سيرته: أنّه دخل على خديجة قبل التزويج، فأخذت يده فضمته الى صدرها! ^(١) كما لا نشكّ في كذب ما نقله: أنّ عمّها كان يأنف من أن يزوّجها من محمّد يتيم أبي طالب فاحتالت عليه هي حتّى سقته الخمر، فزوّجها في حال سكره، فلمّا أفاق ووجد نفسه أمام الأمر الواقع لم يجد بداً من القبول ^(٢) ممّا يتناقض وأخلاق الرسول الكريم وخديجة أمّ المؤمنين، ولا نراه إلّا كذباً موضوعاً لم يقصد به سوى الحطّ والوضع من كرامة النبيّ الكريم وتنقيصه من قبل أعداء الاسلام أو الحمق والمغفلين. ونعوذ بالله من هذا الهراء ^(٣).

وإنّ كون خديجة هي التي عرضت نفسها على النبيّ، وأنّه لم يكن هو الذي تقدّم بطلب يدها، لخير جواب لما جاء في كلمات بعض المستشرقين من اتّهام باطل بأنّه ﷺ إنّما تزوج خديجة طمعاً في مالها.

ولم يبق هذا التقدير والحبّ من خديجة للنبيّ من طرف واحد، بل قابله النبيّ بالحبّ والتقدير لها في أيام حياتها وبعد مماتها، حتّى لقد كان ذلك يثير بعض أزواجه. ويرى الشيخ آل ياسين هذا دليلاً آخر على بطلان هذه الدعوى الواهية ^(٤).

(١) السيرة الحلبيه ١ : ١٤٠ .

(٢) السيرة الحلبيه ١ : ١٣٨ ، ١٤٠ .

(٣) انظر الصحيح للسيد المرتضى ١ : ١١٧ - ١١٩ .

(٤) كتاب النبوة : ٦٣ .

بل إن حياة النبي من بدايتها الى نهايتها لخير شاهد على أنه ما كان يقيم للمال أي وزن! وقد انفتحت خديجة أموها برغبتها في سبيل الله والدعوة الى دينه وليس على النبي وملذاته.

وهكذا تفعل الحرة العاقلة اللبيرة كما فعلت خديجة، فلا تغرها بهرجة الدنيا وزخرفها وزبرجها، ولا تبحث عن المال والشهرة، ولا عن اللذة والشهوة.. وإنما يكون نظرها الى الأخلاق الفاضلة والسجايا الكريمة، لأنها هي التي تسخر المال والجاه والقوة في سبيل الانسانية^(١).

دوافع زواج النبي ﷺ:

والماديون الذين ينظرون الى كل شيء من ناحية المال والمادة، يزعمون: أن خديجة بما أنها كانت ذات مال تتاجر به، كانت أحوج ما تكون الى رجل «أمين» لإدارة أمور تجارتها، لذلك اندفعت للزواج بمحمد «الصادق الأمين» وكان النبي ﷺ يعلم بوضعها المالي وحياتها الكريمة لذلك قبل خطوبتها مع ما بينها من تفاوت العمر!

إلا أن الذي نراه في التأريخ هو أن دوافع خديجة للزواج بالصادق الأمين كانت دوافع معنوية لا مادية، والشاهد لذلك:

١ - ما رواه ابن اسحاق قال: وكانت خديجة قد ذكرت لورقة بن نوفل بن أسد -ابن عمها-. ما ذكر لها غلامها ميسرة من قول الراهب، وما كان يرى منه اذ كان الملكا يظلمه. وكان ورقة نصرانياً قد تتبع الكتب وعلم من علم الناس فقال لها: لئن كان هذا حقاً يا خديجة فان محمداً لنبي

(١) انظر: الصحيح للسيد المرتضى ١: ١١٩، ١٢٠.

هذه الامة، وقد عرفت أنه كائن لهذه الأمة نبيّ ينتظر، هذا زمانه^(١).
 ٢ - إن سبقها الى الإيمان بالإسلام ورسالة رسول الله ﷺ بحيث كانت أول امرأة آمنت به، لما يشهد في صفحات التأريخ بأن زواجها كان منبعثاً من إيمانها وبطهارة الصادق الأمين، وإن حياة خديجة وما ورد بشأنها من الروايات والأحاديث لما يوضح هذا الموضوع بما لا يدع فيه أي شبهة، على من أراد التفصيل في ذلك أن يراجع الروايات الواردة في فضلها وفضيلتها.

عمر خديجة ومهرها:

روى الدّولابي في كتابه: «الذريّة الطاهرة» بسنده عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس .. ثم قال: وبلغني أنّ رسول الله ﷺ تزوّج خديجة على اثنتي عشرة أوقية ذهباً، وهي يومئذ ابنة ثمان وعشرين سنة^(٢).

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٣.

(٢) الذريّة الطاهرة : ٥٢ وعنه في كشف الغمّة ٢ : ١٣٩ . وروى الصّفّار عن حمّاد بن عيسى قال : سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول : قال أبي : ما زوّج رسول الله ﷺ شيئاً من بناته ولا تزوّج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونشّ، يعني نصف أوقية (البحار ٢٢ : ١٩٧ ، ١٩٨ عن قرب الاسناد : ١٠) .

وروى الخبر الكليني بسنده عنه قال : سمعته يقول : قال أبي : ما زوّج رسول الله ﷺ سائر بناته ولا تزوّج شيئاً من نسائه على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونشّ . والأوقية : أربعون درهماً ، والنشّ : عشرون درهماً .
 ثم روى عن حمّاد عن ابراهيم بن أبي يحيى عن الصادق عليه السلام قال : وكانت الدراهم وزن ستة يومئذ .

ونقل ذلك عنه الإربلي في «كشف الغمة» بواسطة كتاب الجنابذي^(١)، ثم نقل عن الجنابذي قوله: «وعن ابن عباس: أنه تزوجها وهي ابنة ثمان وعشرين سنة»^(٢) ولم يسنده إلى أي سند، وما في كتاب الدولابي ليس

وروى بسنده عن حذيفة بن منصور عنه عليه السلام قال: كان صداق النبي ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً، وهو نصف الأوقية.

وروى بسنده عن معاوية بن وهب قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ساق رسول الله ﷺ إلى أزواجه اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: نصف الأوقية: عشرون درهماً، فكان ذلك خمسمائة درهم. قلت: بوزننا؟ قال: نعم.

وروى بسنده عن أبي العباس قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن الصداق هل له وقت (يعني الحد للمهر قال: لا، ثم قال: كان صداق النبي ﷺ اثنتي عشرة أوقية ونشاً، والنش نصف الأوقية، والأوقية: أربعون درهماً، فذلك خمسمائة درهم (البحار ٢٢: ٢٠٥، ٢٠٦ عن فروع الكافي ٢: ٢٠).

وروى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ما تزوج رسول الله ﷺ شيئاً من نسائه ولا زوج شيئاً من بناته على أكثر من اثنتي عشرة أوقية ونش، والأوقية: أربعون درهماً، والنش: عشرون درهماً (البحار ٢٢: ١٩٨ عن معاني الأخبار: ٦٤، ٦٥).

وكذلك ذكر المهر الطبرسي في إعلام الوري: ١٤٠ مرسلأ وابن شهر آشوب في المناقب ١: ١٦١ عن (تاج التراجم). ويبدو من لحن هذه الأخبار أنها ناظرة إلى رد ما كان يروى بغير هذا المعنى في مبلغ صداق أزواج النبي ﷺ ولا سيما خديجة رضي الله عنها.

(١) كشف الغمة ٢: ١٣٧.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٣٩.

كذلك، بل روى خبراً عن عمّار بن أبي عمّار، عن ابن عباس - فيما يحسب ابن حمّاد - (كما في الكتاب) في تزويج خديجة بمباشرة أبيها ووليّتها لذلك. ثمّ قال: وبلغني.. وذكر مهرها وعمرها كما مر. والظاهر أنّ القائل: وبلغني هو ابن حمّاد الدوّلابي - كما فهم كذلك الاربلي - ولا ابن عباس، ولكن خلط ابن الخشاب الجناذري فناذ الفهم والنقل الصحيح فنسب ذلك الى ابن عباس على غير أساس. والله هو العاصم من الخطأ في القياس والمقياس، ومن وسأوس الخنّاس في صدور الناس.

وعلى هذا، فينحصر الخبر بكون عمر خديجة عند زواجها بالرسول في الثامنة والعشرين، في مرفوعة الدوّلابي فحسب، ومن دون أن تصح نسبة ذلك الى ابن عباس.

أما الخبر المشتهر عن كونها في الأربعين من عمرها: فاليعقوبي لم يصرح بذلك ولكنه ذكر في وفاتها أنها توفيت «ولها خمس وستون سنة»^(١) وهذا يقتضي أن يكون عمرها حين زواجها حسب المشهور أربعين سنة. أمّا الطبري فقد نقل عن الكلبي قوله: «وخديجة يومئذ ابنة أربعين سنة»^(٢).

والمسعودي في «مروج الذهب» قال: «وهي يومئذ بنت أربعين» وفي «التنبيه والإشراف» أنها توفيت ولها خمس وستون سنة^(٣). ونقل سبط ابن الجوزي عن الواقدي قوله: توفيت وهي بنت خمس

(١) اليعقوبي ٢ : ٣٥.

(٢) الطبري ٣ : ٢٨٠.

(٣) مروج الذهب ٢ : ٢٨٧ والتنبيه والإشراف : ١٩٩، ٢٠٠.

وستين سنة^(١) والاربلي في «كشف الغمة» نقل عن «معالم العترة النبوية» للجنابذي عن ابن سعد صاحب الطبقات: يرفعه إلى حكيم بن حزام قال: «توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة، وهي ابنة خمس وستين»^(٢) فيكون عمرها في زواجها أربعين سنة. والكارزوني قال: «فتزوجها وهو ابن خمس وعشرين سنة، وخديجة يومئذ بنت أربعين سنة»^(٣).

ومعنى كل هذا أن المؤرخين القدامى كالكلبي والواقدي وكاتبه ابن سعد واليعقوبي متفقون على المشهور في سن خديجة في زواجها أي الأربعين، وإن كان الاسناد الوحيد ينحصر في حكيم بن حزام إذ يذكر تاريخ وفاتها عليها السلام وهي عمته، إذ هو حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد، فهو أعلم بها، ولا يعارضه شيء اللهم إلا ما انفرد به ابن حماد الدولابي بقوله: وبلغني.. من غير اسناد، فلا يصح اعتياده.

هل كانت خديجة متزوجة؟

قال ابن هشام: «وكانت قبله عند أبي هالة بن مالك.. فولدت له هند بن أبي هالة، وزينب بنت أبي هالة. وكانت قبل أبي هالة عند عتيق ابن عابد المخزومي فولدت له: عبد الله، وجارية تزوجها صيفي بن أبي

(١) تذكرة الخواص: ٣٠٤ ط النجف.

(٢) كشف الغمة ٢: ١٣٩.

(٣) بحار الأنوار ١٦: ١٩.

رفاعة»^(١).

أما الطبري فقد روى عن الكلبي عن أبيه قال: «وكانت قبله عند عتيق بن عابد المخزومي... فولدت لعتيق جارية، ثم توفي عنها. وخلف عليها أبو هالة بن زرارة بن نباش... ثم توفي عنها فخلف عليها رسول الله وعندها هند بن أبي هالة»^(٢).

وروى الدولابي في «الذرية الطاهرة» بذلك أخباراً ثلاثة عن الزهري ومحمد بن إسحاق وقتادة بن دعامة، وروى رابعاً عن الليث بن سعد فعكس فذكر أبا هالة ثم عتيق^(٣) فهو مردود، وخبر قتادة نقله الاربلي في كتابه^(٤).

وقال ابن شهر آشوب في كتابه (المناقب) في ترتيب أزواجه: تزوج بمكة أولاً خديجة بنت خويلد. قالوا: وكانت عند عتيق بن عائذ المخزومي، ثم عند أبي هالة زرارة بن نباش الاسيدي^(٥).

وروى أحمد البلاذري وأبو القاسم الكوفي في كتابيهما، والمرضى في (الشافى) وأبو جعفر في (تلخيص الشافى): أن النبي تزوج بها وكانت عذراء. يؤكد ذلك ما ذكر في كتابي (الأنوار) و(البدع): أن رقية وزينب كانتا ابنتي هالة اخت خديجة^(٦)!

(١) ابن هشام ٤ : ٢٩٣.

(٢) الطبري ٣ : ١٦١.

(٣) الذرية الطاهرة : ٤٥ - ٤٧.

(٤) كشف الغمّة ٢ : ١٣٨ ، ١٣٩.

(٥) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٥٩.

(٦) المناقب ١ : ١٥٩. والظاهر أنه يقصد بكتاب الأنوار: كتاب الأنوار ومفتاح السرور

والأفكار لأبي الحسن البكري المتقدم الذكر سابقاً، وهو مخطوط، سرد عنه المجلسي قصة زواجه من صفحة ٢٠ الى ٧٧ ج ١٦ ثم قال «أما أوردت تلك الحكاية (١) لاشتغالها على بعض المعجزات والغرائب (١) وإن لم نثق بجميع ما اشتملت عليه، لعدم الاعتماد على سندها كما أومأنا إليه، وإن كان مؤلفه من الأفاضل والأماثل» يقول ذلك لأنه التبس عليه ببكري آخر هو من مشايخ الشيخ الشهيد، كما قال قبل هذا، وعلق عليه المحقق الرباني الشيرازي بأن هذا البكري ليس هو البكري من مشايخ الشيخ الشهيد، بل هو متقدم عليه وعلى ابن تيمية المتوفى ٧٢٨ هـ ومعروف بالكذب وقد حكى هو أيضاً: أنها كانت قد تزوجت قبله برجلين أحدهما عمرو الكندي (١) والثاني عتيق بن عائد (البحار ١٦ : ٢٢).

وكتاب (البدع) هو كتاب أبي القاسم الكوفي المذكور قبل ذلك، وهو (الاستغاثة في بدع الثلاثة) وقال فيه: إن الإجماع من الخاص والعام من أهل الآثار ونقله الأخبار على أنه لم يبق من أشراف قريش ومن ساداتهم وذوي النجدة منهم إلا من خطب خديجة ورام تزويجها فامتنعت على جميعهم من ذلك، فكيف يجوز - في نظر أهل الفهم - أن تكون خديجة يتزوجها أعرابي من تميم، وتمتنع من سادات قريش وأشرافها؟! ألا يعلم ذوو التمييز والنظر أنه من أبين المحال وافظع المقال؟! (ص ٧٠).

والإجماع - فيما نعلم - من أهل الآثار ونقله الأخبار من الخاص والعام على خطبة خديجة من قبل جميع أشراف قريش، اللهم إلا ما انفرد بحكايته (١) البكري المذكور آنفاً فيما حكاه مما هو أشبه بقصص العامة من التأريخ المسند والخبر المعتبر قال: فلما ماتا خطبها عقبة بن أبي معيط، والصلت بن أبي مهاب - ولكل منهما أربعمائة عبد وأمة - وخطبها أبو جهل بن هشام، وأبو سفيان، وخديجة لا ترغب في واحد منهم (البحار ١٦ : ٢٢).

وأما (تلخيص الشافي) فلا يبق إلا هو، والظاهر أنه أخذه من كتاب أبي القاسم

أما الطبرسي فقد ذكر الخبر بلا خلاف فيه^(١) ونقله عنه المجلسي في (البحار) كذلك أيضاً^(٢).

أولاد خديجة من النبي ﷺ:

روى الصفار بسنده عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ولد لرسول الله ﷺ من خديجة: القاسم والطاهر، وأم كلثوم، ورقية، وزينب وفاطمة^(٣).

الكوفي، وقد عرفت حاله ومستنده.

(١) إعلام الوری: ١٣٩.

(٢) البحار ٢٢: ٢٢٠ وعكس في (الاستيعاب) وفي (شرح المواهب) فقالا: كانت تحت أبي هالة بن زارة التميمي (لا التيمي) ومات أبو هالة في الجاهلية وقد ولدت له هنداً، فهو أخو فاطمة بنت خديجة، وكان هند فصيحاً بليغاً وصافاً فروى عنه الحسن عليه السلام حديث صفة النبي قال: حدثني خالي هند بن أبي هالة^(*). وقد شهد بدرًا وقيل: أهدأ. وقتل مع علي عليه السلام يوم الجمل. وولدت خديجة لأبي هالة أيضاً هالة بن أبي هالة. وبعد تزوجها عتيق بن عابد (كذا) المخزومي فولدت له هنداً بنت عتيق، وقد أسلمت وصحبت. راجع ترجمة خديجة في (الاستيعاب).

(٣) البحار ٢٢: ١٥١ عن قرب الإسناد: ٦ الصواب تقديم زينب على فاطمة طبقاً للخبر التالي.

(*) روى الحديث الشيخ الصدوق في معاني الأخبار: ٧٩ الحيدري. والشيخ الطوسي في مكارم الاخلاق: ٧ وابن الأثير في أسد الغابة ٥: ٧٢ ط. إسماعيليان. وراجع: نسب قريش لمصعب الزبيری: ٢٢ وأسد الغابة ٥: ١٢ و ١٣ و ٧١ والإصابة ٣: ٦١١، ٦١٢ والسيرة الحلبية ١: ١٤٠. فن الصعب جداً دعوى ابن شهر آشوب بكارتها وإنكار زوجها السابقين وأولادها منهم بما يتضمن ذلك من خبر الحسن المجتبي عن خاله هند في صفة النبي ٩ ثم ما الداعي إلى ذلك؟

٣٤٠ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

وروى الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: ولد لرسول الله صلى الله عليه وآله من خديجة: القاسم والطاهر - وهو عبد الله - وأم كلثوم، ورقية، وزينب وفاطمة^(١).

وقال الكليني: ولد له منها قبل مبعثه: القاسم، ورقية، وزينب وأم كلثوم، وولد له بعد المبعث: الطيب والطاهر وفاطمة وروى أيضاً: أنه لم يولد بعد المبعث إلا فاطمة عليها السلام، وأن الطيب والطاهر ولدا قبل مبعثه^(٢).

وقال الشيخ الطبرسي: فأول ما حملت ولدت عبد الله بن محمد وهو الطيب «الطاهر» والناس يغلطون فيقولون: ولد له منها أربعة بنين القاسم وعبد الله والطيب والطاهر، وأنما ولد له منها ابنان، الثاني: القاسم، وقيل: إن القاسم أكبر، وهو بكره، وبه كان يكنى. وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة^(٣).

وقال ابن شهر آشوب: أولاده: وله من خديجة: القاسم وعبد الله، وهما الطاهر والطيب، وأربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة.. وفي (الأنوار)، و(الكشف)، و(اللمع)، وكتاب البلاذري: أن زينب ورقية كانتا ربيبتيه من جحش. فأما القاسم والطيب فأتتا بمكة صغيرين، مكث القاسم سبع ليال^(٤).

(١) المصدر عن الخصال ٢: ٣٧. وروى فيه بسنده عن الصادق عن رسول الله صلى الله عليه وآله في خبر قال: «وإن خديجة رحمها الله ولدت مني طاهراً - وهو عبد الله وهو المطهر - وولدت مني القاسم، وفاطمة ورقية وأم كلثوم وزينب».

(٢) اصول الكافي ١: ٤٣٩، ٤٤٠.

(٣) إعلام الوري: ١٤٠.

(٤) المناقب ١: ١٦١، ١٦٢.

وروى المجلسي عن الكازروني عن ابن عباس قال : أول من ولد لرسول الله بمكة قبل النبوة القاسم وبه كان يكنى، ثم ولد له زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم ولد له في الإسلام عبد الله فسمي الطيب والطاهر. وأمهم جميعاً خديجة بنت خويلد. وكان أول من مات من ولده القاسم ثم مات عبد الله بمكة، فقال العاص بن وائل السهمي. قد انتقطع ولده فهو ابتر، فأنزل الله تعالى ﴿إِنْ شِئْنَاكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(١).

وقيل : إن الذكور من أولاده ثلاثة والبنات أربع : أولهن زينب، ثم القاسم، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة، ثم رقية، ثم عبد الله وهو الطيب والطاهر^(٢). وقال ابن اسحاق : ولدت لرسول الله ولده : القاسم -وبه كان يكنى- والطاهر، والطيب، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة عليها السلام. فأما القاسم والطيب والطاهر فهلكوا في الجاهلية، وأما بناته فكلهن أدركن الإسلام فأسلمن وهاجرن.

وقال ابن هشام : أكبر بنيه القاسم، ثم الطيب، ثم الطاهر، وأكبر بناته رقية، ثم زينب، ثم أم كلثوم، ثم فاطمة^(٣).

وقال اليعقوبي : ولدت له قبل أن يبعث : القاسم، ورقية، وزينب، وأم كلثوم، وبعد ما بعث : عبد الله وهو الطيب والطاهر، -لأنه ولد في الإسلام- وفاطمة^(٤).

(١) الكوثر : ٣.

(٢) البحار ٢٢ : ١٦٦ عن (المنتقى في مولد المصطفى) الباب الثامن فيما كان سنة خمس وعشرين من مولده.

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٠٢.

(٤) اليعقوبي ٢ : ٢٠.

روى الطبري عن هشام الكلبي عن أبيه قال: فولدت لرسول الله ثمانية: القاسم والطيب، والطاهر، وعبد الله، وزينب، ورقية، وأم كلثوم، وفاطمة^(١).

وقال المسعودي: ولد له - من خديجة - القاسم - وبه كان يكنى وكان أكبر بنيه سناً - ورقية، وأم كلثوم، وولد له بعد ما بعث: عبد الله - وهو الطيب والطاهر لأنه ولد في الإسلام، وفاطمة^(٢).

وعلق المحقق على قول ابن اسحاق بموت القاسم قبل الإسلام يقول: في موت القاسم في الجاهلية خلاف، فقد ذكر السهيلي في (الروض الأنف) عن الزبير «أن القاسم مات رضيعاً، وأن رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم - دخل على خديجة بعد موت القاسم وهي تبكي، فقالت: يا رسول الله لقد درّت لبينة القاسم، فلو كان عاش حتى يستكمل رضاعه لهُون عليّ!

فقال: إن شئتِ أسمعتك صوته في الجنة؟ فقالت: بل أصدق الله ورسوله ثم قال: وفي هذا دليل على أن القاسم لم يهلك في الجاهلية^(٣).

وروى الكليني في (فروع الكافي) بسنده عن عمرو بن شمر عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام قال: دخل رسول الله على خديجة حين مات القاسم ابنها وهي تبكي، فقال لها: ما يبكيك؟ فقالت: درّت دريرة فبكيت. فقال: يا خديجة أما ترضين إذا كان يوم القيامة أن تجيئي إلى باب الجنة

(١) الطبري ٣: ١٦١.

(٢) مروج الذهب ٢: ٢٩١.

(٣) هامش سيرة ابن هشام ١: ٢٠٢ عن (الروض الأنف).

وهو قائم فيأخذ بيدك فيدخلك الجنة وينزلك أفضلها . وذلك لكل مؤمن .
 إِنَّ اللَّهَ أَحْكَمُ وَأَكْرَمُ أَنْ يَسْلُبَ الْمُؤْمِنَ ثَمَرَةَ فُؤَادِهِ ثُمَّ يَعَذِّبَهُ بَعْدَهَا أَبَدًا^(١) .
 والقاسم - كما مر - بكر أولاده وأكبرهم ولا اختلاف في أنّه ولد وبعده
 ثلاثة من اخواته في الجاهلية، وقد نقل المجلسي عن الكازروني قال : قيل :
 كان بين كلّ ولدين لخديجة سنة، وقيل : إنّ القاسم - والطيب - عاشا سبع
 ليال، وعن جبير بن مطعم قال : مات القاسم وهو ابن سنتين^(٢) إذن فلا
 يكون موته إلا في الجاهلية أيضاً .

وقد روى الكليني في (فروع الكافي) بسند آخر عن عمرو بن شمر
 عن جابر عن الإمام الباقر عليه السلام أيضاً قال : توفي طاهر ابن رسول
 الله ﷺ فهني رسول الله خديجة عن البكاء، فدخل عليها وهي تبكي
 فقال لها : ما يبكيك ؟ ألم أنك ؟ ! فقالت : بلى يا رسول الله، ولكن درّت
 عليه الدريرة فبكيت . فقال لها : أما ترضين أن تجديه قائماً على باب الجنة،
 فإذا رآك أخذ بيدك فأدخلك أطهرها مكاناً وأطيبها ؟ قالت : وإنّ ذلك
 كذلك ؟ قال : فإن الله أعزّ وأكرم من أن يسلب عبداً ثمرة فؤاده فيصبر
 ويحتسب ويحمد الله عزّ وجلّ ثمّ يعذّبه^(٣) .

فهذا هو الصحيح الراجح ولا أتردد في عدم وحدة الخبرين ولا
 أحتمل التعدد بل أحتمل أنّه وقع سهو من أحد الرواة للخبر في الطريق
 السابق فأخطأ اسم الطاهر والتبس عليه بالقاسم . وأمّا خبر (الروض...)

(١) البحار ١٦ : ١٦ و ١٩ عن فروع الكافي ١ : ٥٩ .

(٢) البحار ٢٢ : ١٦٦ عن (المنتقى...) للكازروني .

(٣) البحار ١٦ : ١٦ عن فروع الكافي ١ : ٦٠ .

عن الزبير، فهي مرسله لا أظنها إلا مسروقة عن خبر عمرو بن شمر عن جابر بالطريق الذي وقع فيه الخطأ والالتباس، ولا يقع من هذا أيّ تشكيك في موت القاسم قبل الإسلام، كما لا ريب في موت عبدالله الطيّب الطاهر بعد البعثة^(١).

(١) خلافاً (لهيكل) في كتابه إذ قال : أما القاسم وعبد الله فلم يعرف عنها إلا أنّها ماتا طفلين في الجاهلية لم يتركاً أثراً يبقّى أو يذكر؛ لكنّها من غير شك قد ترك موتها في نفس أبويها ما يتركه موت الابن من أثر عميق، وترك موتها من غير شك في نفس خديجة ما جرح أمومتها جرحين دامين وهي لا ريب (١) وقد اتجهت عند موت كلّ واحد منها في الجاهلية إلى آلهتها الأصنام تسألها : ما بالها لم تشملها برحمتها وبرّها . (حياة محمّد : ١٢٨) ولا ريب في بطلان ظنونه، فلا مستند لزعمه هذا، وليس إلاّ حدساً ناشئاً من قياس خديجة بسائر نساء قريش . ونحن إذ تبيننا أن دوافع زواجها برسول الله إنّما كانت دوافع معنوية، وذلك لأنّها كانت قد سمعت من ابن عمها ورقة بن نوفل النصرانيّ وغلماها ميسرة عن الراهب النصرانيّ أن محمّداً نبيّ آخر الزمان فتزوجت به لذلك، وأضفنا إلى ذلك كراهته للأصنام حتّى أنّه حينما أقسم عليه بجيرا الراهب بالأوثان قال : إنّها أبغض خلق الله إليه . . فلا يمكننا مع ذلك أن نقول : إنّها كانت تلجأ في موت أولادها إلى الأصنام وهنّ أبغض خلق الله إلى حبيبها محمّد ﷺ .

ولا يفوتنا هنا أنّ ننوّه إلى أنّ القسطلاني قال : قيل : ولد له ولد قبل المبعث يقال له عبد مناف (١) ومع هذا يكون أولاده اثني عشر كلّهم ولدوا في الإسلام سوى هذا (المواهب اللدنية ١ : ١٩٦) والظاهر أن مستنده ما نقله المقدسي عن قتادة قال : ولدت خديجة لرسول الله عبد مناف في الجاهلية، وولدت له في الإسلام غلامين وأربع بنات : القاسم وبه كان يكنى : أبا القاسم فعاش حتّى مشى ثمّ مات، وعبد الله مات صغيراً . وأمّ كلثوم، وزينب، ورقية، وفاطمة (البدء والتاريخ ٤ : ١٣٩، ٥ : ١٦) وقول قتادة هذا شاذ يتنافى مع كلّ ما تقدّم عن غيره وهو كثير مستفيض مشهور، كما

مولد فاطمة عليها السلام :

مرّ في خبر الصفّار عن الإمام الباقر عليه السلام ، والصدوق في «الخصال» عن الإمام الصادق عليه السلام أيضاً: أن عُدَّت فاطمة عليها السلام في آخر عداد أولاد خديجة من رسول الله ﷺ . وكذلك كان في كلام كلّ من الكليني والطبرسي وابن شهر آشوب . وفي قول ابن إسحاق وابن هشام واليعقوبي

مر ويشبه هذا في الشذوذ ما ذهب إليه أبو القاسم الكوفي إذ قال : كانت لخديجة أخت اسمها هالة ، تزوجها رجل مخزومي فولدت له بنتاً اسمها هالة ، ثمّ خلف عليها رجل تميمي يقال له أبو هند ، فأولدها ولداً اسمه هند ، وكان لهذا التميمي امرأة أخرى قد ولدت له زينب ورقية فماتت ومات التميمي فلحق ولده هند بقومه ، وبقيت هالة -أخت خديجة- والطفلتان من التميمي وزوجته الأخرى فضمتهم خديجة إليها . وبعد أن تزوجت بالرسول ﷺ ماتت هالة فبقيت الطفلتان في حجر خديجة والرسول ﷺ ، وكان العرب يزعمون أن الربيبة بنت فنسبتها إليه ، مع أنها ابنتا أبي هند زوج اختها (الاستغاثة : ٦٨) .

وروى الحافظ عبد الرزاق في مصنّفه عن عمر بن دينار عن الحسن بن محمد بن علي قال : إنّ أبا العاص بن الربيع كان زوجاً لبنت خديجة (المصنّف ٥ : ٢٢٤) . وقال مغلطاي في سيرته : وخلف عليها (خديجة) أبو هالة النباش بن زرارة فولدت له هنداً والحارث وزينب (سيرة مغلطاي : ١٢) .

فعلى الأول تكون زينب ورقية من ضرة هالة أخت خديجة ، وعلى الثاني والثالث تكون زينب بنت خديجة من زوجها السابق أو الأسبق . ولكن لا مجال لهذه الأقوال بعد تصريح نصّ الخبرين المعترين للصفار والصدوق المسندين الى الإمامين الباقر والصادق عليه السلام «ولد لرسول الله من خديجة» وفيهم رقية وزينب ، وليست العبارة نسبة الأبوة أو البنوة لتحمل على عادة العرب في نسبة الرائب فتحتمل صدق مقال صاحب الاستغاثة : كان العرب يزعمون أن الربيبة بنت فنسبتها إليه .

والطبرسي والمسعودي .

وافتح الكليني في «أصول الكافي»: «باب مولد فاطمة» وقبل أن يفتح الباب وفي آخر الباب السابق حسب النسخ الموجودة من الكتاب، أورد بسند صحيح عن الإمام الباقر عليه السلام قال: «ولدت فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله بعد مبعث رسول الله بخمس سنين . وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً»^(١) ثم افتتح الباب فقال: ولدت فاطمة -عليها وعلى بعلمها السلام-، بعد مبعث رسول الله بخمس سنين، وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً، بقيت بعد أبيها خمسة وسبعين يوماً»^(٢) وكذلك في «روضة الكافي» قال: ولدت بعد البعثة بخمس سنين^(٣).

والظاهر أنه يستند في ذلك الى ما رواه في الأصول قبيل الباب، صحيحاً.

والخبر -كما مر- ليس فيه جملة «وقريش حينئذ تبني البيت» مما جاء فيما رواه عنه عليه السلام الاربلي في «كشف الغمة» عن كتاب «تأريخ مواليد ووفيات أهل البيت» لابن الحشاش يرفعه عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «ولدت فاطمة بعد ما أظهر الله نبوة نبيه وأنزل عليه الوحي بخمس سنين، وقريش تبني البيت، وتوفيت ولها ثمان عشرة سنة وخمسة وسبعون يوماً» ثم قال: «وفي رواية صدقة: «ثمان عشرة سنة وشهر وخمسة عشر

(١) أصول الكافي ١ : ٤٥٧ .

(٢) أصول الكافي ١ : ٤٥٨ .

(٣) روضة الكافي : ٢٨١ .

يوماً ثم قال «وكان عمرها مع أبيها بمكة ثمانية سنين»^(١). وهكذا مرَّ الاربلي على هذا الخبر المرفوع لابن الخشاب مرور الكرام من دون أن يلاحظ عليه التناقض فيه؛ فهو من جانب يقول: ولدت فاطمة بعد البعثة، ومن جانب آخر يقول: وقريش تبني الكعبة! وهذان الأمران لا يجتمعان؛ فإنَّ البيت بُني قبل البعثة بخمس سنين لا بعدها. اللهم إلا أن نقول بأن الجملة: «وقريش تبني البيت» مزيد مردود من الراوي، وإلا فأصل الخبر مردود الى أهله.

ويشبه هذا الخبر المرفوع لابن الخشاب عن أبي جعفر الباقر عليه السلام في جملة: «وقريش تبني الكعبة» خبر آخر مسند لابن حماد الدؤلابي «الحنفي» في كتابه «الذرية الطاهرة» بسنده عن يحيى بن شبل عن أبي جعفر قال: «دخل العباس عليّ بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول الله وأحدهما يقول لصاحبه: أيتنا أكبر؟ فقال العباس: ولدت يا علي قبل بناء قريش البيت بسبع سنوات، وولدت ابنتي وقريش تبني البيت، ورسول الله يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، قبل النبوة بخمس سنين»^(٢). والظاهر أن المراد بأبي جعفر هو الباقر عليه السلام كما في أخبار أخرى عنه مصرحة باسمه في الكتاب ومنها خبر قبل هذا عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «توفيت فاطمة بعد النبي ﷺ بخمس وتسعين ليلة في سنة إحدى عشرة».

وإن كان الراوي المباشر للخبر السابق: يحيى بن شبل، لم أجده في

(١) كشف الغمّة ٣: ٧٥ ط تبريز.

(٢) الذرية الطاهرة: ١٥٢.

مظانه من كتب الرجال .

والغريب أنَّ الاربلي روى الخبرين وغيرهما بادئاً لها بقوله : «ونقلت من كتاب : «الذرية الطاهرة» للدولابي، ولكنه حذف الأسناد بادئاً لهذا الخبر بقوله : «وقيل ..» من دون أن يشير الى أنه يرويه عن أبي جعفر الباقر عليه السلام . فلعله لم ينتبه لذلك^(١) .

وعلى أي حال فالخبران عاميان معارضان لما رواه الكليني عنه عليه السلام

بسند صحيح .

أما عن الصادق عليه السلام فقد روى الطبري الإمامي في «دلائل الإمامة» بسنده عنه عليه السلام قال : «ولدت فاطمة في جمادى الآخرة : اليوم العشرين منها سنة خمس وأربعين من مولد النبي ﷺ فأقامت بمكة ثمان سنين»^(٢) .

وقال اليعقوبي : «وبعد ما بعث : عبد الله - وهو الطيب والطاهر، لأنه ولد في الإسلام - وفاطمة»^(٣) ومثله المسعودي^(٤) .

وكذلك ذكر ابن عبد البر في (الاستيعاب) في ترجمة خديجة : أنَّ الطيب قد ولد بعد النبوة، وولدت بعده أم كلثوم، ثم فاطمة .

ولكنَّ الشيخ المفيد قال : «كان مولد السيدة الزهراء سنة اثنتين من المبعث»^(٥) وتبعه تلميذه الشيخ الطوسي فقال في «المصباح» : «في اليوم العشرين من جمادى الآخرة سنة اثنتين من المبعث كان مولد فاطمة في

(١) كشف الغمّة ٢ : ١٢٨ ، ١٢٩ ط تبريز .

(٢) دلائل الإمامة : ١٠ .

(٣) تأريخ اليعقوبي ٢ : ٢٠ .

(٤) مروج الذهب ٢ : ٢٩١ .

(٥) كما في بحار الأنوار ٤٣ : ٩ عن الإقبال عن حدائق الرياض للشيخ المفيد .

بعض الروايات» ثم قال: «وفي رواية أخرى: سنة خمس من المبعث» ثم قال: «والعامة تروي أن مولدها قبل المبعث بخمس سنين»^(١).

وأقدم نص على ذلك منهم فيما بأيدينا هو مارواه ابن حماد الدّولابي «الحنفي» في كتابه «الذرية الطاهرة» وقال به الاصفهاني (ت ٣٥٦ هـ) في «مقاتل الطالبين»^(٢) وقال سبط ابن الجوزي في «تذكرة الخواص»: «وأما فاطمة عليها السلام قال علماء السير: ولدتها خديجة وقريش تبني البيت الحرام قبل النبوة بخمس سنين، وهي أصغر بنات رسول الله»^(٣) والمحجّ الطبري في «ذخائر العقبى»^(٤) روى رواية ابن حماد الدّولابي عن الباقر عليه السلام عن عباس. وقال الزرندي الحنفي في «نظم درر السمطين»^(٥) ومغلطاي في سيرته^(٦) والديار بكري في «تاريخ الخميس» وأضاف القول بسبع سنين قبل البعثة، بل واثنى عشرة سنة قبلها^(٧).

وإن كان المحجّ الطبري والديار بكري عقبا ذلك بنقل ما يدل من الحديث على أن نطفة فاطمة قد انعقدت من ثم جاء به جبرئيل الى النبي ﷺ من الجنة، وقد نقل ذلك المرعشي النجفي في ملحقات «احقاق الحق» عنها وعن ميزان الاعتدال، ولسان الميزان، والروض الفائق، ونزهة

(١) المصباح للطوسي ٥٥٤ ط الهند.

(٢) مقاتل الطالبين : ٣٠ ط النجف.

(٣) تذكرة الخواص : ٣٠٦ ط النجف.

(٤) ذخائر العقبى : ٥٣.

(٥) نظم درر السمطين : ١٧٥.

(٦) سيرة مغلطاي : ١٧.

(٧) تاريخ الخميس ١ : ٢٧٧.

المجالس، ومجمع الزوائد، وكنز العمال ومنتخبه، ومحاضرة الأوائل، ومقتل الحسين للخوارزمي، وتأريخ بغداد للخطيب البغدادي، ومفتاح النجاة، ومستدرك الحاكم، وتلخيصه للذهبي، وأخبار الدول، والمناقب لابن المغازلي، والمناقب لعبد الله الشافعي، والآلي المصنوعة، وإعراب ثلاثين سورة^(١).

ومن الخاصة عن العامة عن الصحابة عن النبي ﷺ روى الصدوق بسنده عن طاووس اليماني عن ابن عباس عن عائشة عن النبي ﷺ^(٢) وروى في «عيون المعجزات» عن حارثة بن قدامة عن سلمان عن عمار عن فاطمة عليها السلام^(٣).

ومن الخاصة عن الأئمة عليهم السلام روى الصدوق في «علل الشرائع» عن الباقر عليه السلام^(٤) وفي «معاني الأخبار» عن الصادق عليه السلام^(٥) والقمي في تفسيره كذلك^(٦) والصدوق أيضاً في (الأمالي) و(العيون) عن الرضا عليه السلام^(٧). كل ذلك مما يؤيد أو يدل على كون ولادتها بعد البعثة. وقد تقدم أن المشهور في سن خديجة حين الزواج بالنبي هو أنها كانت في الأربعين والنبي

(١) إحقاق الحق ١٠ : ١ - ١٠.

(٢) علل الشرائع ١ : ١٨٣ ط النجف الأشرف.

(٣) عيون المعجزات، كما في البحار ٤٣ : ٨.

(٤) علل الشرائع ١ : ١٨٣ ط النجف الأشرف.

(٥) معاني الأخبار : ٣٧٧ ط النجف الأشرف.

(٦) تفسير القمي، كما في البحار ٤٣ : ٦.

(٧) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١ : ١١٦ ط قم وعنه في البحار ٤٣ : ٤ وعن أمالي الصدوق.

في الخمس والعشرين وقد بعث في الأربعين، فخديجة حينئذٍ فيما بعد الخمس والخمسين، وهو سن اليأس من الحمل ولكن لغير القرشية والكنانية والنبطية، كما هو مقرر في الفقه، وخديجة قرشية، وهذا يعني أنّ قابلية الحمل كانت موجودة لا تزال عند خديجة، وأنّ عمرها حينئذٍ كان، لا يأتى من الحمل^(١).

عليّ عند النبي ﷺ:

نصّ بعض المؤرخين أنّه بعد بناء البيت بسنة، وقبل البعثة بالنبوة بأربع سنين كانت سنة إصابة قريش بقحط شديد كان من آثاره أن تكفل الرسول ﷺ بعيشة عليّ عليه السلام عنده في داره مع أولاده^(٢) فقد نقل الطبرسي

(١) صحيح أنّ حمل المرأة في هذه السن العالية نادر الوقوع، ولكن قد وقع في التاريخ نماذج منه، وحتىّ اليوم: فقد نشرت جريدة «إطلاعات» الإيرانية بتاريخ ٢٠ اردبهرشت ١٣٥١ هجري شمسي: أنّ امرأة تدعى «شوشنا» وضعت في «اصفهان» ولداً ولها من العمر ٦٦ عاماً، ولها ثمانية أولاد أكبرهم عمره ٥٠ وأصغرهم ٢٥ سنة. وبتأريخ ٢٨ بهمن ١٣٥١ هجري شمسي أيضاً نشرت: أنّ امرأة علوية تدعى «أكرم موسوي» ولها ٦٦ عاماً ولزوجها ٧٤ عاماً، وضعت توأماً في «بندر عباس». ونقلت الجريدة عن الطبيب: أنّ أكبر امرأة ولدت لحد الآن عمرها ٦٧ عاماً.

(٢) وقال ابن شهر آشوب في «المناقب»: ذكر أبو القاسم في أخبار أبي رافع من ثلاثة طرق: أنّ النبي ﷺ حين تزوّج خديجة قال لعمّه أبي طالب: إني أحب أن تدفع إليّ بعض ولدك يعينني على أمري ويكفيني، وأشكر لك بلاءك عندي. فقال أبو طالب: خذ أيّهم شئت. فأخذ علياً عليه السلام (المناقب ٢: ١٨٠). ولا يمكن التسليم لظاهر هذا الخبر، إذ كيف يمكن أن يكون النبي ﷺ أخذه إليه «حين تزوّج خديجة» في حين أنّ علياً عليه السلام ولد بعد ثلاثين سنة من عام الفيل - عليّ المشهور - وهو عليه السلام قد تزوّج

في «إعلام الورى» عن «دلائل النبوة» للبيهقي (ت ٥٤٨ هـ) بسنده عن مجاهد بن جبر (ت ١٠١) قال: «كان ممّا أنعم الله على عليّ بن أبي طالب عليه السلام وأراد به الخير: أن قريشاً أصابتهم أزمة شديدة، وكان أبو طالب ذا عيال كثيرة، فقال رسول الله ﷺ للعباس عمّه - وكان من أيسر بني هاشم - يا عباس! إنّ أخاك أبا طالب كثير العيال، وأصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق حتى تخفّف عنه من عياله.

فانطلقا إليه وقالوا له ذلك، فقال: اتركوا لي عقيلاً وخذوا من شئتم. فأخذ رسول الله ﷺ علياً فضمّه إليه. فلم يزل عليّ مع رسول الله ﷺ حتى بعثه الله نبياً فاتّبعه علي وآمن به وصدّقه»^(١).

ونقل ابن شهر آشوب في «المناقب» عن مغازي محمد بن اسحاق، والبلاذري والطبرسي، والبستي، والخردوشي، والثعلبي، والواحدي، والخوارزمي في أربعينه، والنسوي في المعرفة، عن مجاهد.. وفيه: وأخذ رسول الله علياً وهو ابن ست سنين، كسّنه يوم أخذه أبو طالب^(٢). أي من أبيه عبد المطلب عند وفاته.

ونقله الاربلي في «كشف الغمّة» عن «المناقب» للخوارزمي عن ابن إسحاق^(٣).

خديجة قبل ذلك بخمس سنين على المشهور أيضاً! اللهم إلّا أن يحمل الخبر على خلاف المشهور في ميلاد عليّ أو زواج خديجة طه عليه السلام أو المسامحة في قوله «حين تزوّج خديجة» بأكثر من سبع سنين.

(١) إعلام الورى: ٣٨، ٣٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٧٩، ١٨٠.

(٣) كشف الغمّة ١: ٧٩.

ونقله البحراني في «حلية الأبرار» بسند الصدوق الى محمد بن إسحاق عن مجاهد بن جبر^(١) وفي موضع آخر عن تفسير الثعلبي عنه^(٢). ومجاهد بن جبر المكي الكوفي مولى بني مخزوم (ت ١٠١) هو راوي الخبر لابن إسحاق.

والخبر موجود في «سيرة ابن هشام» عن ابن إسحاق عن ابن جبر^(٣) وكذلك في الطبري^(٤) وكذلك في «المستدرک علی الصحیحین» للحاكم النيسابوري^(٥).

وقال البلاذري في «أنساب الأشراف»: «قالوا: وكان أبو طالب قد أقل وأقتر، فأخذ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- علياً ليخفف عنه مؤنته، فنشأ عنده»^(٦).

وروى الخبر أبو الفرج في «مقاتل الطالبين» بسنده عن سهل بن سعد الساعدي قال: «كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قد أخذ علياً من أبيه وهو صغير، في سنة أصابت قريشاً وقحط ناهم، وأخذ حمزة جعفرًا، وأخذ العباس طالباً، ليكفوا أباهم مؤنتهم ويخففوا عنه ثقلهم، وكان أبو طالب يحب عقيلاً ولذلك قال: دعوا لي عقيلاً وخذوا من شتم.

(١) حلية الأبرار ١ : ٢٣١.

(٢) حلية الأبرار ١ : ٢٣٩.

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٢، ٢٦٣.

(٤) الطبري ٢ : ٣١٣.

(٥) المستدرک علی الصحیحین ٣ : ١٣٦.

(٦) أنساب الأشراف ٢ : ٩٠.

فقال رسول الله: اخترت من اختار الله لي عليكم: علياً^(١).
ونقله ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن البلاذري والإصفهاني
هكذا: إن قريشاً أصابتها أزمة وقحط، فقال رسول الله -صلى الله عليه
[وآله] وسلّم- لعميه حمزة والعباس: ألا نحمل ثقل أبي طالب في هذا
المحل؟ فجاءوا اليه وسألوه أن يدفع إليهم ولده ليكفوه أمرهم، فقال: دعوا
لي عقيلاً وخذوا من شتم -وكان شديد الحب لعقيل- فأخذ العباس طالباً
وأخذ حمزة جعفرأ، وأخذ محمد -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- علياً عليه السلام

(١) مقاتل الطالبين: ١٥، هذا وفي بعض التواريخ، ويحضرني الآن منها «شرح
الأخبار» للقاضي النعمان المصري المغربي التميمي الشيعي الفاطمي الإسماعيلي، فيه أنه
كان بين كل واحد من ولد أبي طالب عشر سنين (ج ١: ١٨٨) فإذا كان لعلي عليه السلام
يومئذ ست سنين كان لجعفر ست عشرة سنة ولعقيل ست وعشرون سنة ولطالب
ست وثلاثون سنة، ولذلك يبدو الخبر غريباً.

ولعله لهذا انفرد القاضي بذكر سبب آخر لذلك سوى القحط قال: إن سببه في
ذلك: أن أشراف العرب والسادات منهم كانوا إذا شب لأحدهم الولد وأراد تقويمه
وتأديبه، دفعه إلى شريف من أشراف قومه ليولي ذلك منه ويستخدمه فيما يقوم به،
لئلا يدل في ذلك عليه دلالة الولد على الوالد. وكان لأبي طالب ثلاثة من الولد
(كذا) فلما شب عقيل دفعه أبو طالب إلى عباس أخيه، ولما شب جعفر دفعه إلى حمزة
أخيه، ولما شب علي دفعه إلى رسول الله -صلوات الله عليه وآله-.

وفي رواية أخرى: أنه دفع جعفرأ إلى عباس، وعلياً عليه السلام إلى رسول الله ﷺ،
وأبى عقيلاً عنده. فلما لحق رسول الله ﷺ بالرجال وبان بنفسه وتأهل كان
علي عليه السلام عند رسول الله (ج ١: ١٨٨).

فالمغربي وإن أغرب في خبره هذا ولكنه ابتعد بذلك عن الغرابة في أعمار هؤلاء
الأبناء.

وقال لهم: قد اخترت من اختاره الله لي عليكم: علياً. قالوا: فكان علي ﷺ في حجر رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- منذ كان عمره ست سنين.

وهذا يطابق قوله ﷺ: «لقد عبدت الله قبل أن يعبدني أحد من هذه الأمة سبع سنين» وقوله: «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعة، ورسول الله حينئذ صامت ما أذن له في الإنذار والتبليغ».

وذلك لأنه إذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه إلى رسول الله من أبيه وهو ابن ست، فقد صحَّ أنه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين، وابن ست تصحَّ منه العبادة إذا كان ذا تمييز، على أن عبادة مثله هي التعظيم والإجلال وخشوع القلب واستخذاء الجوارح إذا شاهد شيئاً من جلال الله سبحانه وآياته الباهرة. ومثل هذا موجود في الصبيان^(١).

هذا ما نقله ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن البلاذري والإصفهاني، وقد مرَّ عليك خبرهما ورأيت البلاذري قد اختصر الخبر جداً في سطر ونصف تقريباً، والإصفهاني رواه بسنده عن سهل بن سعد الساعدي، وقد خلا كلاهما عن ذكر عمر علي ﷺ يومذاك. ولعله نقله عن نسخة أخرى منها.

نعم نقل الخبر ابن شهر آشوب في «المناقب» عن عدة منهم البلاذري والطبري والخوارزمي والخرگوشي والواحدي والثعلبي والبستي والنسوي، ومغازي محمد بن إسحاق، عن مجاهد أيضاً، وفيه: وأخذ رسول الله علياً

(١) شرح النهج ١ : ١٥ .

وهو ابن ست سنين، كسنته يوم أخذه أبو طالب^(١) أي من أبيه عبد المطلب عند وفاته. ولم يعين ذلك عن أبي واحد ممن أخذ منهم الخبر. ومهما كان، فان كلام ابن أبي الحديد توجيه وجيه لكلام الإمام عليه السلام.

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٧٩ - ١٨٠.

الفصل الثالث

البعثة النبويّة المباركة

كان النبي ﷺ منذ بدء أمره محدثاً مسدداً:

روى الشريف الرضي في «نهج البلاغة» عن علي عليه السلام أنه قال في وصف الرسول ﷺ: «ولقد قرن الله به من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم ومحاسن أخلاق العالم، ليله ونهاره»^(١).

وروى ابن أبي الحديد في شرحه: أن بعض أصحاب الإمام الباقر عليه السلام سأله عن قول الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَداً﴾^(٢) فقال عليه السلام: «يوكل الله تعالى بأنبياؤه ملائكة يحصون أعمالهم، ويؤدون إليهم تبليغهم الرسالة. ووكل بمحمد ملكاً

(١) نهج البلاغة، الخطبة القاصعة: ٢٩٢ / المقطع: ١١٨ عن مسعدة بن صدقة عن

الباقر عليه السلام.

(٢) الجن: ٢٧.

عظيماً منذ فصل عن الرضاع يرشده الى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصده عن الشرّ ومساوئ الأخلاق»^(١).

ولعلّ من مصاديق ذلك ما رفعه ابن اسحاق يقول: ذكر لي: أنّ رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- كان ممّا يحدث به عمّا كان الله يحفظه به في صغره وأمر جاهليته! أنّه قال: «لقد رأيتني في غلمان قريش ننقل الحجارة لبعض ما نلعب به، فأنيّ أقبل معهم وأدبر، وكلّنا قد أخذ إزاره فجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة فتعرّى! إذ لمني لاكم ثمّ قال: شدّ عليك إزارك، وما أراه فأخذه وشدّته عليّ، ثمّ جعلت أحمل الحجارة على رقبتى وإزاري عليّ من بين أصحابي»^(٢).

وإنّ كان الطبري يروي في تأريخه بسنده عن محمّد بن الحنفية عن أبيه عليّ عليه السلام قال: «سمعت رسول الله يقول: ما هممت بشيء ممّا كان أهل الجاهلية يعملون به غير مرّتين، كلّ ذلك يحول الله بيني وبين ما أريد من ذلك، ثمّ ما هممت بسوء حتّى أكرمني الله برسالته.

قلت ليلةً لغلام من قريش كان يرعى معي بأعلى مكّة: لو أبصرت لي غنمي حتّى أدخل مكّة فأسمر بها كما يسمر الشباب (!) فخرجت أريد ذلك، حتّى إذا جئت أول دار من دور مكّة، سمعت عزّفاً بالدّف والمزامير، فقلت: ما هذا؟ قالوا: هذا فلان تزوّج ابنة فلان. فجلست أنظر اليهم، فضرب الله على أذني فتمت، فما أيقظني إلّا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي، فقال: ما فعلت؟ فقلت: ما صنعت شيئاً، ثمّ أخبرته الخبر.

(١) شرح النهج ١٣: ٢٠٧.

(٢) ابن هشام ١: ١٩٤.

ثم قلت له ليلة أخرى مثل ذلك، فقال: افعل، فخرجت فسمعت حين دخلت مكة مثل ما سمعت حين دخلتها تلك الليلة، فجلست أنظر، فضرب الله على أذني، فما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبي فأخبرته الخبر، ثم ما همت بعدها بسوء حتى أكرمني الله برسالته»^(١).

هذا من مصاديق التسديد في السيرة، وأما في الفكرة: فنه ما رواه الصدوق في «إكمال الدين» بسنده عن العباس بن عبد المطلب عن أبي طالب في خبر بحيرا الراهب أنه قال للنبي ﷺ: «يا غلام! أسألك بحق اللات والعزى... فزعموا أن رسول الله قال له: لا تسألني باللات والعزى، فوالله ما أبغضت شيئاً قط بُغِضَها»^(٢).

أما قوله في الخبر السابق: «لكني لاكم ثم قال: شدّ عليك إزارك، وما أراه» فنفهم منه أنه -بناءً على ذلك وعلى ما ورد في كثير من الأخبار- كان محدثاً، من ذلك: ما رواه الصفار (ت ٢٩٠ هـ) في كتابه «بصائر الدرجات» بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: من الرسول؟ من النبي؟ من المحدث؟ فقال: «الرسول: الذي يأتيه جبرئيل فيكلمه قبلاً كما يرى أحدكم صاحبه الذي يكلمه، فهذا الرسول» إلى قوله: «وأما المحدث، فهو: الذي يسمع كلام الملك فيحدثه، من غير أن يراه، ومن غير أن يأتيه في النوم»^(٣).

(١) الطبري ٢: ٢٧٩ ورواه عنه ابن أبي الحديد ١٣: ٢٠٧.

(٢) إكمال الدين: ١٧٨ - ١٨٥. وابن هشام ١: ١٩٣ عن ابن إسحاق مرفوعاً.

(٣) كما في البحار ١٨: ٢٧٠ عن بصائر الدرجات: ١٠٩. ونحوه خبر آخر فيه عنه عن الباقر عليه السلام أيضاً وآخر عنه عن الصادق عليه السلام.

وما رواه الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن الأحول قال : سألت أبا جعفر عن الرسول والنبيّ والمحدّث ؟ قال : «الرسول : الذي يأتيه جبرئيل قبلاً فيراه ويكلّمه، فهذا الرسول» الى قوله : «وأما المحدّث، فهو : الذي يحدّث فيسمع، ولا يعاين، ولا يرى في منامه»^(١).

ثمّ كان نبياً مُبشّراً:

وفي نفس الخبرين عن معنى النبوة المجردة أي بلا رسالة، قال في الخبر الأول : «والنبيّ : الذي يؤقّي في النوم، نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، ونحو ما كان يأخذ رسول الله ﷺ من السّبات إذا أتاه جبرئيل في النوم. فهكذا النبيّ» وقال في الخبر الثاني : «وأما النبيّ فهو : الذي يرى في منامه نحو رؤيا إبراهيم عليه السلام، ونحو ما كان رأى رسول الله ﷺ من أسباب النبوة قبل الوحي، حتّى أتاه جبرئيل من عند الله بالرسالة».

وروى ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن الإمام الباقر عليه السلام : «وكّل (الله) بمحمّد ﷺ ملكاً عظيماً منذ فُصل عن الرضاع، يرشده الى الخيرات ومكارم الأخلاق، ويصدّه عن الشرّ ومساوئ الأخلاق. وهو الذي كان يناديه : السلام عليك يا محمّد يا رسول الله وهو شاب لم يبلغ درجة الرسالة بعد، فيظن أنّ ذلك من الحجر والأرض، فيتأمل فلا يرى شيئاً»^(٢).

وفي التفسير المنسوب الى الإمام الحسن العسكري عليه السلام عن أبيه قال :

(١) أصول الكافي ١ : ١٧٦ ونحوه خبران آخران فيه عنه وعن الرضا عليه السلام .

(٢) شرح نهج البلاغة ١٣ : ٢٠٧ .

«إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا تَرَكَ التَّجَارَةَ إِلَى الشَّامِ، وَتَصَدَّقَ بِكُلِّ مَا رَزَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ تِلْكَ التَّجَارَاتِ، كَانَ يَغْدُو كُلَّ يَوْمٍ إِلَى حِرَاءٍ يَصْعَدُهُ وَيَنْظُرُ مِنْ قُلْلِهِ إِلَى آثَارِ رَحْمَةِ اللَّهِ، وَإِلَى أَنْوَاعِ عَجَائِبِ رَحْمَتِهِ وَبِدَائِعِ حِكْمَتِهِ، وَيَنْظُرُ إِلَى أَكْنَافِ السَّمَاءِ وَأَقْطَارِ الْأَرْضِ وَالْبَحَارِ وَالْمَفَاوِزِ وَالْفَيَافِي، فَيَعْتَبِرُ بِتِلْكَ الْآثَارِ، وَيَتَذَكَّرُ بِتِلْكَ الْآيَاتِ، وَيَعْبُدُ اللَّهَ حَقَّ عِبَادَتِهِ»^(١).

وقال القطب الراوندي في «قصص الأنبياء»: ذكر علي بن إبراهيم وهو من أجلّ رواة أصحابنا قال: «إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا أَتَى لَهُ سَبْعٌ وَثَلَاثُونَ سَنَةً، كَانَ يَرَى فِي نَوْمِهِ كَأَنَّهُ آتِيًّا أَتَاهُ فَيَقُولُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَانَ بَيْنَ الْجِبَالِ يَرَعَى غَنَمًا (لَأَبِي طَالِبٍ)، فَنَظَرَ إِلَى شَخْصٍ يَقُولُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا جَبْرَائِيلُ، أَرْسَلَنِي اللَّهُ إِلَيْكَ لِيَتَّخِذَكَ رَسُولًا. وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَكْتُمُ ذَلِكَ، فَأَنْزَلَ جَبْرَائِيلُ بِمَاءٍ مِنَ السَّمَاءِ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ قُمْ فَتَوَضَّأْ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ عَلَى الْوَجْهِ وَالْيَدَيْنِ مِنَ الْمِرْفَقِ، وَمَسَحَ الرَّأْسَ وَالرِّجْلَيْنِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَعَلَّمَهُ الرُّكُوعَ وَالسُّجُودَ»^(٢).

ونقل ذلك ابن شهر آشوب في كتابه «المناقب» وقبل ذلك بدأ فصل المبعث ببيان درجات البعثة فقال: «ولبعثته درجات: أولها: الرؤيا

(١) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام كما في البحار ١٨ : ٢٠٥.

(٢) قصص الأنبياء : ٣١٨ وليس في تفسير القميّ فالظاهر أنّ الطبرسي نقله عن الراوندي في «إعلام الوري» : ٣٦، وعنه ابن شهر آشوب في المناقب ١ : ٤٣ ولعلّه لهذا نقله المجلسي عن المناقب . وفي آخر خبر الطبرسي : فلما تمّ له أربعون سنة أمره بالصلاة وعلمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها فكان يصلي ركعتين ركعتين في كلّ وقت» .

الصادقة، والثانية: ما رواه الشعبي، وداود بن عامر^(١): أن الله قرن جبرئيل بنوة نبيه ثلاث سنين يسمع حسه ولا يرى شخصه، ويعلمه الشيء بعد الشيء، ولا ينزل عليه القرآن. فكان في هذه المدّة مبشراً غير مبعوث الى الأمّة». .

ويقصد بما رواه الشعبي: ما رواه ابن سعد في «الطبقات» عن الواقدي بسنده عنه قال: قرن إسرائيل بنوة رسول الله ثلاث سنين، يسمع حسه ولا يرى شخصه، ثم كان بعد ذلك جبرئيل عليه السلام^(٢).

ويقصد بما رواه داود عن عامر الشعبي أيضاً: ما رواه الطبري أيضاً قال: أنزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنوته إسرائيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء، ولم ينزل القرآن على لسانه. فلما مضت ثلاث سنين قرن بنوته جبرئيل عليه السلام^(٣). فنزل القرآن على لسانه عشر سنين بمكة، وعشر سنين بالمدينة^(٤).

وقال الطبري بعد هذا: فلعل الذين قالوا: كان مقامه بمكة بعد الوحي عشراً، عدّوا مقامه بها من حين أتاه جبرئيل بالوحي من الله عزّ وجلّ، وأظهر الدعاء الى التوحيد وعدّ الذين قالوا: كان مقامه ثلاث عشرة سنة، من أوّل الوقت الذي استنّبى فيه، وكان المقرون به إسرائيل، وهي السنون الثلاث التي لم يكن أمر فيها بإظهار الدعوة^(٥).

(١) كذا في المناقب ١ : ٤١ والصحيح : مارواه داود عن عامر الشعبي .

(٢) الطبقات ١ : ١٩١ والطبري ٢ : ٣٨٦ عنه .

(٣) الطبري ٢ : ٣٨٧ .

(٤) الطبري ٢ : ٣٨٧ ورواه ابن سعد في الطبقات ١ : ١٢٧ وابن كثير في البداية والنهاية ٣ : ٤ واليعقوبي ٢ : ٢٣ مرسلاً . وروى الحاكم في المستدرک ٢ : ٦١ عن

ولكن يبقُ أن ابن شهر آشوب بدّل جبرئيل بإسرافيل سهواً.
أما من طرقنا فلا أقلّ ممّا ذكره الشيخ المفيد في «الاختصاص» قال :
«قُرّن إسرافيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين، يسمع الصوت ولا يرى شيئاً،
ثمّ قرن به جبرئيل عليه السلام عشر سنين، وذلك حيث اوحى اليه، فأقام بمكة
عشر سنين ثمّ هاجر إلى المدينة فأقام بها عشر سنين»^(١).

وهذا يعني أنّ تلك السنوات الثلاث كانت منذ بدء البعثة في الأربعين
من عمره ﷺ إلى الثالث والأربعين، كما نصّ عليه داود بن عامر في
خبره. وابن داود لم يذكر أنّه لم يكن يرى شخصه، وأنما نصّ عليه خبر
الشعبي وما ذكره الشيخ المفيد وابن شهر آشوب. فعلى ماذا كان قبل
البعثة؟

قبل أن نقف وإياكم على مختلف الأخبار في هذا المضمار، لنعد فنعيد
النظرة على واقع حال الرسول ﷺ فيما قبل البعثة من حيث العبادة
والديانة.

والحقيقة هي أنّ واقع الحال في البعثة وما قبلها غير بيّن، فالقرآن
الكريم يقول : ﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾^(٢) فحيث لم يكن
يدري قبل بعثته ما الكتاب ولا الإيمان فهل لم يكن كذلك يؤمن ويتدبّر
بكتاب أو دين كما هو ظاهر لفظ القرآن الكريم؟ أم ماذا؟
وأقدم ما نعلم من السابقة التاريخية لهذا التساؤل - مع الأسف - ليس

سعيد بن المسيب أنّ القرآن نزل على الرسول وهو ابن ثلاث وأربعين .
(١) الاختصاص : ١٣٠ ، و لا تؤكد نسبة الاختصاص إلى الشيخ المفيد .
(٢) الشورى : ٥٢ .

عصر الرسول نفسه أو المعصومين من عترته عليه السلام، بل حتى بعد عصر الغيبة الصغرى وفي بدايات الغيبة الكبرى، فقد طرح هذا السؤال نفسه ضمن مسائل علم الأصول، واليك نماذج من ذلك :

السيد المرتضى علم الهدى عليه السلام يقول في كتابه «الذريعة الى أصول الشريعة» : «قد استقصينا هذا الكلام وفرغناه في كتاب «الذخيرة»^(١) ويقرّره كذلك في «الذريعة» فيقول : «هل كان رسول الله صلى الله عليه وآله متعبداً بشرائع من تقدّمه من الأنبياء عليهم السلام ؟ في هذا الباب مسألتان : إحداها : قبل النبوة، والأخرى : بعدها . وفي المسألة الأولى ثلاثة مذاهب : أحدها : أنّه صلى الله عليه وآله ما كان متعبداً قطعاً . والآخر : أنّه كان متعبداً قطعاً . والثالث : التوقف . وهذا هو الصحيح . والذي يدلّ عليه : أنّ العبادة بالشرائع تابعة لما يعلمه الله تعالى من المصلحة بها في التكليف العقلي، ولا يمتنع أن يعلم الله تعالى أن لا مصلحة للنبيّ قبل نبوته في العبادة بشيء من الشرائع، كما أنّه غير ممتنع أن يعلم أن له في ذلك مصلحة، وإذا كان كلّ واحد من الأمرين جائزاً، ولا دلالة توجب القطع على أحدهما، وجب التوقف .

وليس يقتضي علمه صلى الله عليه وآله بأنّ غيره نبيّ أن يتعبّد بشريعته، بل لا بد من أمر زائد على هذا العلم . ولو ثبت أنّه حجج أو اعتمر قبل نبوته لقطع به على أنّه كان متعبداً، وبالتنظي لا يثبت مثل ذلك . ولم يثبت أنّه تولى

(١) حقق الكتاب المحقق السيد أحمد الحسيني، وطبع في مؤسسة النشر الإسلامي بقم المقدّسة سنة ١٤١١ هـ في ٦٠٧ صفحة، يبدأ فيه باب النبوات من ٣٢٢ الى ٤٠٨ ولم أجد الكلام المذكور فيه ولا في سائر أبواب الكتاب، بل التحويل على الذخيرة لا يوجد في الذريعة أيضاً : ٢ : ٥٩٥ ط جامعة طهران .

التذكية بيده، ولو ثبت أنه ذكّي بيده لجاز أن يكون من شرع غيره في ذلك الوقت أن يستعين بغيره في الزكاة فذكّي على سبيل المعونة لغيره، ولا شبهة في أن أكل لحم المذكّي غير موقوف على الشرع، لأنه بعد الزكاة يصير مثل كلّ مباح.

وليس لمن قطع على أنه ما كان متعبداً أن يتعلّق بالقول: بأنه لو كان متعبداً بشيء من الشرائع لكان فيه متبعاً لصاحب تلك الشريعة ومقتدياً به، وذلك لا يجوز، لأنه أفضل الخلق، واتباع الأفضل للمفضول قبيح. ذلك أنه غير ممتنع أن يوجب الله تعالى عليه بعض ما قامت عليه الحجة به من بعض الشرائع المتقدمة لا على وجه الاقتداء بغيره فيها ولا الاتّباع»^(١).

وقال المحقّق أبو القاسم الحلّي - طيّب الله رمسه - في أصوله: «لو كان متعبداً بشرع من قبله لكان طريقه إلى ذلك إما الوحي أو النقل، ويلزم من الأوّل: أن يكون شرعاً له لا شرعاً لغيره، ومن الثاني: التحويل على نقل اليهود، وهو باطل، لأنه ليس بتواتر، لما تطرق إليه من القدر المانع من إفادة اليقين. ونقل الآحاد منهم لا يوجب العمل، لعدم الثقة.

ولو كان متعبداً بشرع غيره لوجب عليه البحث عن ذلك الشرع، لكنّ ذلك باطل، لأنه لو وجب لفعله، ولو فعله لاشتهر، ولوجب على الصحابة والتابعين والمسلمين إلى يومنا هذا متابعتة على الخوض فيه، ونحن نعلم من الدّين خلاف ذلك»^(٢).

(١) الذريعة إلى أصول الشريعة ٢: ٥٩٥، ٥٩٦ ط جامعة طهران.

(٢) كما في البحار ١٨: ٢٧٥ - ٢٧٦ باختصار. أما في كتابه «معارج الأصول» المطبوع

فالسيد المرتضى توقّف، والمحقق نفى وأنكر، ولكنّ تلميذه العلامة عاد فتوقّف: فقد قال -قدّس الله روحه- في شرحه على «مختصر الأصول» لابن الحاجب: «اختلف الناس في أنّ النبي ﷺ هل كان متعبداً بشرع أحد من الأنبياء قبله قبل النبوة؟ أم لا؟ فذهب جماعة إلى أنّه كان متعبداً. ونفاه آخرون.

والمشتبون اختلفوا: فذهب بعضهم إلى أنّه كان متعبداً بشرع نوح، وآخرون: بشرع إبراهيم، وآخرون: بشرع موسى، وآخرون: بشرع عيسى، وآخرون: بما ثبت أنّه من الشرع».

ولم يتكلم العلامة فيه بما ينمّ عن مختاره وأما قرّر مختار ابن الحاجب الشافعي (ت ٦٤٦ هـ) بأنّه كان متعبداً بما ثبت بالتواتر أنّه من شرع قبله، عيسى بل موسى عليه السلام، فإنّ شريعة عيسى هي شريعة موسى عليه السلام في الأعم الأغلب.

وقرّر استدلاله لذلك «بما نقل نقلاً -يقارب التواتر- أنّه كان يصليّ ويحجّ ويعتمر ويطوف بالبيت، ويتجنّب الميتة ويذكّي ويأكل اللحم، ويركب الحمار (!) وهذه أمور لا يدركها العقل، فلا مصير إليها إلّا من الشرع». ولكنّه ردّ استدلال غيره على هذا المذهب نفسه: «بأنّ عيسى كان

فكما يلي: فائدة: اختلف الناس في النبي ﷺ هل كان متعبداً بشرع من قبله؟ أم لا؟ وهذا الخلاف عديم الفائدة، لأننا لا نشك في أن جميع ما أتى به لم يكن نقلاً عن الأنبياء عليهم السلام، بل عن الله تعالى بواسطة الملك، وتُجمع على أنّه ﷺ أفضل الأنبياء، وإذا أجمعنا على ثمة المسألة فالدخول بعد ذلك فيها كلفة: ١٢١. انتهى، وقد ذكر العلامة الطهراني للمحقق كتاباً آخر في الأصول باسم «نهج الوصول» الذريعة ٢٤: ٤٢٦، ٤٢٧ فلعل المجلسي نقل كلامه من ذلك الكتاب، ولم يسمّه.

مبعوثاً إلى جميع المكلفين، والنبي كان من المكلفين، فيكون عيسى مبعوثاً إليه» فقال: «لا نسلم عموم دعوة من تقدّمه».

ولكنّه قال: إنّ الشرع المنقول إليه إن كان آحاداً فهو غير مقبول وأما إذا كان متواتراً فقد كان يعمل به من دون لزوم المخالطة لأرباب تلك الشريعة، حتّى يلزم عدم تعبد به من عدم مخالطة لهم. فالنتيجة: أنّه كان يعمل بما ثبت بالتواتر أنّه شرع قبله، بدليل نقلي يقارب التواتر كما قال. وقد تقدّم من السيد المرتضى: أنّه لو ثبت لقطع به على أنّه كان متعبداً، ولكنّه لم يثبت عنه، التظني لا يثبت مثل ذلك.

أما النصوص المتقدمة فإنما دلّت على أنّه ﷺ كان في فكره وسلوكه الديني العقائدي العقلي والعملي محدثاً مسدداً.

وبخصوص الصلاة فقد مرّ خبر القطب الراوندي عن علي بن إبراهيم القمي: أنّه بعد ما «أتى عليه سبع وثلاثون سنة... نزل عليه جبرئيل وأنزل عليه ماءً من السماء وعلمه الوضوء والركوع والسجود»^(١) فقط، لا الصلاة بحدودها وأوقاتها في تمام الخبر: «فلما تمّ له أربعون سنة علمه حدود الصلاة ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان يصلي ركعتين ركعتين في كلّ وقت»^(٢) ممّا يدلّ عليه كثير من معتبر الأخبار، في تفصيل تشريع الصلوات في أبواب عديدة من «وسائل الشيعة» وكذلك لدى العامة أيضاً.

وأما شأنه ﷺ في كثير من المناسك والمناهي والتروك فليكن كشأن آبائه وأجداده الأجداد ممّا دلّ عليه كثير من الأخبار التاريخية وغيرها كما

(١) قصص الأنبياء: ٣١٧، ٣١٨.

(٢) إعلام الوري: ٣٦ ط النجف الأشرف.

مرّ في محله، أمّا أكثر من ذلك التحنّت بالحنيفية «الإبراهيمية» فلا نصّ يصرّح به، ولا دليل عليه.

وإنّ كان المولى المجلسي -قدس الله سره- قال: «إنّ الذي ظهر لي من الأخبار المعتمدة والآثار المستفيضة هو: أنّه ﷺ كان قبل بعثته -منذ أكمل الله عقله في بدو سنّه- نبياً مؤيداً بروح القدس، يكلمه الملك ويسمع الصوت، ويرى في المنام... وكان يعبد الله بصنوف العبادات إمّا موافقاً لما أمر به الناس بعد التبليغ، وهو أظهر، أو على وجه آخر، إمّا مطابقاً لشريعة إبراهيم عليه السلام أو غيره ممّن تقدّمه من الأنبياء، لا على وجه كونه تابعاً لهم وعاملاً بشريعتهم، بل بأنّ ما أوحى إليه كان مطابقاً لبعض شرائعهم، أو على وجه آخر، نسخ بما نزل عليه بعد الإرسال. ولا أظنّ أن يخفى صحة ما ذكرت على ذي فطرة مستقيمة وفطنة غير سقيمة... ولنذكر بعض الوجوه لزيادة الاطمئنان، على وجه الإجمال» ثمّ ذكر وجوها ستة^(١).

ولنعدّ لتستثني من نفينا لنصّ صريح في الإجابة على السؤال بهذا الشأن: ما رواه الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن أبي حمزة الثمالي قال: «سألت أبا عبد الله عليه السلام عن العلم أهو شيء يتعلمه العالم [منكم] من أفواه الرجال؟ أم في الكتاب عندكم تقرؤونه فتعلمون منه؟

قال: الأمر أعظم من ذلك وأوجب، أمّا سمعت قول الله عزّ وجل: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾^(٢) ثمّ قال: أي شيء يقول أصحابكم في هذه الآية؟ أيقرون أنّه

(١) بحار الأنوار ١٨ : ٢٧٧ - ٢٨١ .

(٢) الشورى : ٥٢ .

كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان؟ فقلت: لا أدري - جعلت فداك - ما يقولون، فقال: بلى قد كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان، حتى بعث الله - عز وجل - الروح التي ذكر في الكتاب، فلما أوحاها اليه علم بها العلم والفهم، وهي الروح التي يعطيها الله - عز وجل - من شاء، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم»^(١).

فسؤال الثمالي في هذا الخبر من الإمام الصادق عليه السلام وإن كان عن مصدر العلم للعالم الإلهي الرباني، ولم يكن السؤال عن حال الرسول صلى الله عليه وآله قبل البعثة من حيث الديانة والعبادة إلا أن الإمام أجابه بما اشتمل على ذلك إذ قال: بأن مصدر العلم للعالم الإلهي الرباني هي الروح التي يعطيها الله من شاء من عباده، فإذا أعطاها عبداً علّمه الفهم، بعد ما كان في حال لا يدري ما الكتاب ولا الايمان، كما في نص القرآن.

ولكن المولى المجلسي فسّر الروح هنا بروح القدس وقال كما مرّ: «كان منذ أكمل الله عقله في بدو سنّه نبياً مؤيداً بروح القدس» ولذلك أجاب عن الاستدلال بالآية يقول: «وأما استدلالهم بقوله تعالى: ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ فلا يدلّ إلا على أنّه صلى الله عليه وآله كان في حال لم يكن يعلم القرآن وبعض شرائع الايمان، ولعلّ ذلك كان في حال ولادته قبل تأييده بروح القدس، كما دلّت عليه رواية أبي حمزة وغيرها»^(٢).

إذن يبقى علينا أن نبيّن معنى الروح:

قد روى الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن أبي بصير قال:

(١) أصول الكافي ١: ٢٧٣، ٢٧٤.

(٢) البحار ١٨: ٢٨١.

سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحاً مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾؟ قال: «خلق من خلق الله أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ يخبره ويسدده، وهو مع الأئمة من بعده»^(١).

وروى فيه بسنده عنه أيضاً قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٢) قال: «خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، كان مع رسول الله ﷺ، وهو مع الأئمة، وهو من الملكوت»^(٣).

وروى فيه بسنده عنه أيضاً قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: ﴿يسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾ قال: خلق أعظم من جبرئيل وميكائيل، لم يكن مع أحد ممن مضى غير محمد ﷺ، وهو مع الأئمة يسددهم، وليس كل من طلب وجد»^(٤).

وروى فيه بسنده عن المفضل بن عمر قال: سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته، مرخى عليه ستره؟ فقال: «يا مفضل، إن الله تبارك وتعالى جعل في النبي ﷺ خمسة أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب، وأقى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه امن وعدل، وروح القدس فيه

(١) أصول الكافي ١ : ٢٧٣ .

(٢) الإسراء : ٨٥ .

(٣) أصول الكافي ١ : ٢٧٣ .

(٤) أصول الكافي ١ : ٢٧٣ .

حمل النبوة - فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس فصار إلى الإمام - وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو - والأربعة الأرواح تنام وتغفل وتلهو وتسهو - وروح القدس كان يرى به^(١).

ونقله المجلسي وقال في بيانه: «أي كان يرى النبي والإمام بروح القدس ما غاب عنه في أقطار الأرض والسماء وما دون العرش»^(٢).

فإذا ضمنا إلى ذلك أنه لم يكن يرى جبرئيل ولا أي ملك قبل نزول وحي القرآن عليه وإنما كان يسمع ويحس ولا يرى الشخص، كما مر في الخبر المعتبر، أنتج: أن هذا الروح - روح القدس - أيضاً لم يكن معه قبل نزول وحي القرآن عليه، وإنما أوتي به بعد ذلك أو معه، لا قبله منذ اكتمال عقله في بدو سنّه كما ذهب إليه المولى المجلسي - قدس الله سره -.

وتعليق الكلام على الوصف إن كان مُشعراً بالعلية - كما هو الحق - فقد علّق الإمام عليه السلام وجود هذه الروح على وصف الرسالة: «كان مع رسول الله» في الخبرين الأولين، وليس حتى النبوة، مما يشعر بأن هذه الروح - روح القدس - كانت مصاحبة مع وصف الرسالة ومتزامنة في البداية معها، لا قبلها، حتى مع النبوة، فضلاً عما قبلها. ولا يقدح في هذا خلوه الخبر الثالث من هذا التعليق، فإنه بصدد النفي عن غيره لا الإثبات له.

وبعد كل ما تقدم، فإن ما نستطيع الجزم به هو: أنه ﷺ كان مؤمناً موحداً يعبد الله ويلتزم بما ثبت له أنه شرع الله تعالى، وبما يؤدّي إليه عقله الفطري السليم، والمؤيد المسدّد، فكان أفضل الخلق واكملهم خلقاً

(١) أصول الكافي ١ : ٢٧٣ .

(٢) بحار الأنوار ١ : ٢٦٤ .

وخلقاً وعقلاً... وعليه فإذكر عنه مما يتنافى مع التسديد وفقاً لشرع الله، لا أساس له من الصحة... كالخبر عن استلامه الأصنام! ذلك ما نقله القاضي عياض في كتابه «الشفاء في أحوال المصطفى» ثم نقل عن أحمد بن حنبل: أنه حديث موضوع^(١).

مع أن المؤرخين - ومنهم المسعودي - عدّوا عدداً من العرب الجاهليين لم يشاركوا الجاهلية في شركها، كقيس بن ساعدة الإيادي، وأمّية بن أبي الصلت الثقفي، وزيد بن عمرو بن نفيل العدوي، وأبيه عمرو بن نفيل أخي الخطاب بن نفيل أبي عمر بن الخطاب، وكان زيد يرغب عن عبادة الأصنام ويعيبها، فأولع به عمّه الخطاب سفهاء مكّة وسلّطهم عليه فأذوه، فصار إلى الشام يبحث عن الدّين فسّمته النصارى ومات بالشام^(٢).

فعدّوا ابنه سعيد بن زيد أحد العشرة المبشرة بالجنة^(٣) وعدّوه من الحنفاء حتّى أنّهم رووا: أنّ زيدا مرّ على النبي ﷺ وهو يأكل مع سفيان ابن الحرث من سفرة قدّمت لهما فيها شاة ذبحت لغير الله تعالى، فدعواه إلى الطعام فرفض زيد وقال: أنا لا آكل ممّا تذبحون على أنصابكم، ولا آكل إلّا ما ذكر اسم الله عليه! فنذ ذلك اليوم لم ير النبي يأكل ممّا ذبح على النّصب حتّى بُعث^(٤).

(١) كما في السيرة الحلبية ١: ١٢٥ و ٢٧٠. والسيرة النبوية لدحلان ١: ٥١. راجع الصحيح ١: ١٥٨.

(٢) مروج الذهب ١: ٨٢ - ٨٩.

(٣) مروج الذهب ١: ٨٤.

(٤) صحيح البخاري ٥: ٥٠ و ١١٨: ٧ وفي شرحه: فتح الباري في شرح صحيح البخاري ٧: ١٠٨ و ١٠٩. ومسنّد أحمد ١: ١٨٩. والسيرة الحلبية ١: ١٢٣.

ثم كان نبياً رسولاً:

روى الصفار بسنده عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام: من الرسول؟ من النبي؟ من المحدث؟ فقال: «الرسول... والنبي... ومنهم من تجمع له الرسالة والنبوة، فكان رسول الله رسولاً نبياً: يأتيه جبرئيل قبلاً فيكلمه ويراه، ويأتيه في النوم»^(١).

وروى الكليني بسنده عن الأحول قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن الرسول؟ والنبي؟ والمحدث؟ قال: الرسول... وأما النبي... وكان محمد صلى الله عليه وآله حين جمعت له النبوة وجاءته الرسالة من عند الله يبعثه بها

والروض الأنف ١ : ٢٥٦.

والأخير تنبه الى تساؤل فطرحة يقول: «كيف وفق الله زيداً الى ترك ما ذبح على النصب وما لم يذكر اسم الله عليه، ورسوله - صلى الله عليه وآله وسلم - كان أولى بهذه الفضيلة في الجاهلية، لما ثبت من عصمة الله له».

ولكنه تساهل في الجواب على هذا التساؤل فقال يعتذر لذلك: «ليس في الرواية أنه - صلى الله عليه وآله وسلم - قد أكل من السفرة (١) وعلى فرض أنه قد أكل فإن شرع إبراهيم عليه السلام إنما جاء بتحريم الميتة لا بتحريم ما ذبح لغير الله تعالى (١) أما زيد فلعله امتنع عن أكل ما ذبح لغير الله برأيه، لا بشرع متقدم! وكذلك رجح العسقلاني في «فتح الباري في شرح صحيح البخاري» أن زيداً قد أدرك ذلك برأيه (١)

ونقول: لئن أدرك ذلك زيد برأيه ولم يدرك النبي صلى الله عليه وآله ذلك، فلقد كانت النبوة بزيد أليق منها به صلى الله عليه وآله، والعياذ بالله من فضيلة لابن عم الخليفة تمحق حتى فضيلة النبوة!

(١) بصائر الدرجات: ٣٧١ ط ١٣٨١ هـ.

جبرئيل ويكلّمه بها قبلاً»^(١).

وقد مرّ ما ذكره الشيخ المفيد: «قُرْن إِسْرَافِيل برسول الله ﷺ ثلاث سنين، يسمع الصوت ولا يرى شيئاً. ثمّ قرن به جبرئيل عشرين سنة، وذلك حيث أُوحي إليه. فأقام بمكّة عشر سنين، ثمّ هاجر الى المدينة فأقام بها عشر سنين. وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة»^(٢).

وروى الصدوق بسنده عن محمّد بن مسلم عن الباقر عليه السلام قال: «لقد مكث رسول الله ﷺ بمكّة ثلاث سنين مختفياً خائفاً يترقب، ويخاف قومه والناس. وما أجاب رسول الله ﷺ أحد قبل علي بن أبي طالب وخديجة -صلوات الله عليهما-»^(٣).

فأولاً - كان الخوف والاختفاء حتّى عن قومه فضلاً عن سائر الناس. وثانياً - مع ذلك كانت الدعوة قد شملت علياً وخديجة واستجابا له ومعه.

وروى فيه بسنده عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: «مكث رسول الله ﷺ بمكّة بعد ما جاءه الوحي عن الله -تبارك وتعالى- ثلاثة عشر سنة، منها ثلاث سنين مختفياً خائفاً لا يظهر، حتّى أمره الله أن يصدع بما أمر به، فأظهر الدعوة حينئذٍ»^(٤).

وروي فيه بسنده عنه عن الصادق عليه السلام أيضاً قال: «كان رسول الله ﷺ مختفياً بمكّة خائفاً ثلاث سنين ليس يُظهر أمره، وعلي معه وخديجة، ثمّ أمره

(١) أصول الكافي ١ : ١٧٦.

(٢) الاختصاص : ١٣٠ ط الغفاري . ولا تؤكّد صحة نسبة الكتاب الى الشيخ المفيد .

(٣ و٤) إكمال الدين : ١٨٩ و ١٩٧ كما في البحار ١٨ : ١٧٧ و ١٨٨ .

اللَّهُ أَنْ يَصْدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ، فَظَهَرَ رَسُولُ اللَّهِ وَأُظْهِرَ أَمْرُهُ»^(١).
وروى علي بن إبراهيم القمي قال: «سئل الصادق عليه السلام عن قوله [تعالى]: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ﴾ كيف كان؟ وإنما أنزل القرآن في طول عشرين سنة؟ فقال: إنه نزل جملة واحدة في شهر رمضان إلى البيت المعمور ثم نزل من البيت المعمور إلى النبي في طول عشرين سنة»^(٢).

ورواه العياشي في تفسيره^(٣) ورواه الكليني في «أصول الكافي» بإسناده عن القمي عن أبيه إلى حفص بن غياث عنه عليه السلام^(٤) واستند إليه الشيخ الصدوق في عقائده^(٥).

والله يعود ما رواه الطبري في تأريخه بسنده عن ابن عباس وسعيد ابن المسيب قالا: «أنزل على رسول الله الوحي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة»^(٦).

وأوضح منه ما مرّ عن الطبري أيضاً بسنده عن عامر الشعبي قال: «إن رسول الله نزلت عليه النبوة وهو ابن أربعين سنة، فقرن بنبوته إسماعيل ثلاث سنين، فكان يعلمه الكلمة والشيء ولم ينزل القرآن. فلما مضت ثلاث سنين قرن بنبوته جبرئيل فنزل القرآن على لسانه عشرين

(١) إكمال الدين : ١٩٧ .

(٢) تفسير القمي ١ : ٦٦ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٨٠ .

(٤) أصول الكافي ١ : ٦٢٨ .

(٥) عقائد الصدوق : ٥٦ .

(٦) الطبري ٢ : ٢٩٢ . ورواه الحاكم في المستدرک ٢ : ٦١٠ .

سنة : عشرًا بمكة وعشرًا بالمدينة»^(١).

والذي نريده من هذه الروايات هو أن مبدأ نزول القرآن الكريم كان متأخرًا عن النبوة بثلاث سنين، فإذا لاحظنا الروايات القائلة بأن مدّة نزول القرآن على النبي استغرقت عشرين عامًا، مع الروايات القائلة بأن مدّة مكث النبي بعد النبوة بمكة كانت ثلاث عشرة سنة، استنتجنا : أن مبدأ نزول القرآن كان بعد النبوة بثلاث سنين، إذ لا شك أن القرآن كان ينزل عليه حتى عام وفاته^(٢).

نعم روى الطبري كذلك عن ابن سعد عن الواقدي بسنده عن الشعبي أيضاً قال : «قرن إسرائيل بنوة رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ثلاث سنين، يسمع حسّه ولا يرى شخصه، ثمّ كان بعد ذلك جبرئيل عليه السلام قال الواقدي : فذكرت ذلك لمحمد بن صالح بن دينار فقال : والله يابن أخي لقد سمعت عبد الله بن أبي بكر بن حزم، وعاصم بن عمر ابن قتادة يحدثان في المسجد ورجل عراقي يقول لهما هذا، فانكراه جميعاً وقالوا : ما سمعنا ولا علمنا إلا أن جبرئيل هو الذي قرّن به، وكان يأتيه الوحي من يوم نبيء الى أن توفي -صلى الله عليه وآله وسلم-^(٣).

ولكن قال عنه صاحب «التهيد» : «هذه الرواية وإن كان فيها أشياء لا نعرفها، ولعلها من اجتهاد الشعبي الخاص، لكن الذي نريده من هذه

(١) الطبري ٢ : ٣٨٧ وابن سعد في الطبقات ١ : ١٢٧ ومثله اليعقوبي مرسلًا ٢ : ٢٣

وابن كثير في البداية والنهاية ٣ : ٤ عن ابن حنبل، والسيوطي في الإتقان ١ : ٤٥.

(٢) التهيد ١ : ٨٢.

(٣) الطبري ٢ : ٣٨٧ وفي الطبقات ١ : ١٩١.

الرواية هو جانب تحديد نزول القرآن في مدة عشرين عاماً وأن نزوله تأخر عن البعثة بثلاث سنين»^(١).

وقد مرَّ أن الطبري جمع بهذا القول بين القول المشهور بأن مقام الرسول بمكة بعد الدعوة كان إلى ثلاث عشرة سنة، وبين ما رواه هو عن ابن عباس بأن مقامه بها كان إلى عشر سنين، فالعشر سنين من حين أتاه جبرئيل بالوحي القرآني من الله عز وجل وإظهاره الدعوة إلى التوحيد، وثلاث عشرة سنة من أول البعثة بالنبوة^(٢).

ولا نريد بنقل قول الشعبي أو ما قاله الشيخ المفيد في «الاختصاص» إثبات اختصاص إسماعيل بالثلاث سنين الأولى من النبوة، واختصاص جبرئيل بالوحي القرآني بعد ذلك، على خلاف المعروف والمشهور في أخبار البعثة.

أخبار البعثة:

وقبل أن نقف على طرف من أخبار البعثة: لنقف على الأخبار التي تعين يوم المبعث، ولا تعوزنا النصوص فيه: فقد روى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «لا تدع صيام يوم سبع وعشرين من رجب، فإنه اليوم الذي أنزلت فيه النبوة على محمد ﷺ»^(٣) ورواه الصدوق^(٤) والطوسي^(٥)

(١) التمهيد ١ : ٨٣.

(٢) الطبري ٢ : ٣٨٧.

(٣) الفروع من الكافي ٢ : ١٤٩ ط الآخوندي.

(٤) من لا يحضره الفقيه ٢ : ٩٠ عن الحسن بن راشد عن الصادق عليه السلام . وثواب

الأعمال : ٩٩ ط الغفاري .

(٥) تهذيب الأحكام ١ : ٤٣٨.

وروى مثله ابن الشيخ الطوسي في أماليه^(١).
 وروى الكليني عنه عليه السلام أيضاً قال: «يوم سبعة وعشرين من رجب
 بُيِّء فيه رسول الله صلى الله عليه وآله»^(٢).
 وروى بسنده عن الرضا عليه السلام قال: «بعث الله عز وجل محمداً رحمة
 للعالمين، في سبع وعشرين من رجب، فن صام ذلك اليوم كتب الله له
 صيام ستين شهراً»^(٣) ورواه الطوسي^(٤).
 وروى الصدوق بسنده عنه عليه السلام أيضاً قال: «بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله
 لثلاث ليال بقين من رجب، وصوم ذلك اليوم كصوم سبعين عاماً»^(٥).
 وروى الطوسي بسنده عن الهادي عليه السلام قال: «يوم السابع والعشرين
 من رجب يوم بعث الله محمداً صلى الله عليه وآله الى خلقه رحمة للعالمين»^(٦).
 وروى ابن شهر آشوب عن ابن عباس وأنس بن مالك قالوا:
 «أوحى الله الى محمد صلى الله عليه وآله يوم الاثنين السابع والعشرين من
 رجب»^(٧) ومن العامة روى المتقي الهندي في «كنز العمال» عن البيهقي في

(١) أمالي ابن الشيخ : ٢٨ .

(٢) الفروع من الكافي ١ : ٤٦٩ ط الآخوندي .

(٣) الفروع من الكافي ٢ : ١٤٩ ط الآخوندي .

(٤) تهذيب الأحكام ١ : ٤٣٨ .

(٥) ثواب الأعمال : ٨٣ ط الغفاري .

(٦) التهذيب ١ : ٤٣٨ الى خبرين آخرين رواهما الشيخ في مجالسه : ٣٤٩ عن

الصادق عليه السلام وفي مصباح المتجهد عن الجواد عليه السلام في صيام ذلك اليوم من دون ذكر

للبعثة . وراجع وسائل الشيعة ٧ : ٣٢٩ .

(٧) المناقب ١ : ١٧٣ .

«شعب الإيمان»، عن سلمان الفارسي قال: «في رجب يوم وليلة من صام ذلك اليوم وقام تلك الليلة كان كمن صام مائة سنة وقام مائة سنة، وهو ثلاث بقين من رجب، وفيه بعث الله محمدًا»^(١).

وأورد الحلبي في سيرته عن الديماطي في سيرته عن أبي هريرة قال: «من صام يوم سبع وعشرين من رجب، كتب الله تعالى له صيام ستين شهراً، وهو اليوم الذي نزل فيه جبرئيل على النبي بالرسالة، وأول يوم هبط فيه جبرئيل»^(٢).

وإن كانت النصوص من جانب العامة تعوزهم في تعيين يوم المبعث الشريف، فقد مرّ ما لا إغواز معه من النصوص في ذلك من طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام، ولكن لا بد لنا ولا محيص عن الاعتراف بإغواز النصوص في كيفية بدء البعثة.

كيفية بدء البعثة:

رُوي أنّ الإمام الحسن العسكري عليه السلام قال وهو يصف بعثة النبي محمد صلى الله عليه وآله: «... حتى استكمل سنّ الأربعين، ووجد الله قلبه الكريم أفضل القلوب وأجلّها، وأطوعها وأخشعها، فأذن لأبواب السماء ففتحت، وأذن للملائكة فنزلوا ومحمد صلى الله عليه وآله ينظر إلى ذلك، فنزلت عليه الرحمة من لدن ساق العرش، ونظر إلى الروح الأمين جبرئيل المطوّق بالنور طاووس الملائكة، هبط إليه وأخذ بضبعه وهزّه وقال: يا محمد! اقرأ، قال: ما أقرأ؟

(١) منتخب كنز العمال بهامش المسند ٣: ٣٦٢.

(٢) السيرة الحلبية ١: ٣٨٤ وفي آخره دعمٌ لدعوى الشعبي.

قال: يا محمد! ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الإنسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾^(١) ثم أوحى إليه ما أوحى وصعد جبرئيل إلى ربه.

ونزل محمد من الجبل وقد غشيه من عظمة الله وجلال أبهته ما ركبته الحمى النافضة، وقد اشتد عليه ما كان يخافه من تكذيب قريش إيّاه ونسبته إلى الجنون، وقد كان أعقل خلق الله وأكرم بريته، وكان أبغض الأشياء إليه الشياطين وأفعال المجانين، فأراد الله أن يشجع قلبه ويشرح صدره، فجعل كلما يمرّ بحجر وشجر ناداه: السلام عليك يا رسول الله^(٢). هذا الخبر هو مما يدل على أن أول سورة نزلت - أو الآيات الأولى - هي هذه الآيات الخمس الأول من سورة العلق، ولكنّه الخبر الوحيد الذي يدلّ على أنّها نزلت في بداية البعثة في اليوم ٢٧ رجب.

أول ما نزل من القرآن:

أمّا ما يدلّ على أنّها أول ما نزل: ففي تفسير القمي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾^(٣) قال: ذلك أن أول سورة نزلت كانت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثمّ أبطأ جبرئيل عن رسول الله ﷺ. فقالت خديجة: لعلّ ربك قد تركك فلا يرسل إليك؟

(١) العلق: ١ - ٥.

(٢) التفسير المنسوب إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام. كما في البحار ١٨: ٢٠٦.

(٣) الضحى: ٣.

فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴾^(١).

وروى الكليني بسنده عن الصادق عليه السلام قال: «أَوَّلُ مَا نَزَلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾ وآخر ما نزل عليه ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾^(٢) ورواه الصدوق أيضاً^(٣).

ونقل العلامة الطبرسي عن كتاب «الإيضاح» لأحمد الزاهد بإسناده عن سعيد بن المسيّب عن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «سألت النبي ﷺ عن ثواب القرآن، فأخبرني بثواب سورة سورة على نحو ما نزلت من السماء، فأوّل ما نزل عليه بمكة: فاتحة الكتاب، ثمّ اقرأ باسم ربك، ثمّ ن والقلم»^(٤).

هذه الأخبار هي كلّ ما جاءنا في أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام في أوّل ما نزل من القرآن غير مقيدة له ببداية البعثة، اللهم إلّا ما مرّ أولاً عن تفسير الإمام عليه السلام.

والتفسير هذا فيه ما لا يعرف بل ينكر، ممّا طعن به بعض المحقّقين في نسبته إلى الإمام عليه السلام، ولكنّ ذلك لا يقتضي أكثر من استظهار أنّ الراوي كان يحضر عند الإمام عليه السلام فيسأله عن أشياء من تفسير القرآن، وبعد رجوعه إلى داره كان يثبت ذلك لديه نقلاً بالمعنى كما فهمه، فربّما زاد أو نقص أو أخلّ حسبما تتحمّله طاقته وتسعه ظرفيته. وهذا إنّما يقتضي

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٢٨.

(٢) أصول الكافي ٢ : ٦٢٨.

(٣) عيون أخبار الرضا ٢ : ٦.

(٤) مجمع البيان ١٠ : ٤٠٥.

الاحتياط في تلقي ما جاء فيه بالقبول، باشتراط مطابقتها أو موافقته لسائر الآثار الصحيحة، ولا أقلّ من عدم مخالفته لها، ولا يقتضي عدم الاعتماد عليه إطلاقاً^(١).

وليس لنا في كيفية البعثة غير هذا الخبر المنفرد كما ترى - من تفسير الإمام - سوى نصّ علي بن إبراهيم القميّ، فيما إذا تلقيناه كالنص عند إعواز النصوص.

قال: «وكان بين الجبال يرعى غنماً لأبي طالب، فنظر الى شخص، يقول له: يا رسول الله! فقال له: مَنْ أنت؟ قال: جبرئيل، أرسلني الله إليك ليتخذك رسولاً... ونزل جبرئيل وأنزل عليه ماءً من السماء وقال: يا محمد! قم وتوضّأ للصلاة. وعلمه جبرئيل الوضوء وغسل الوجه واليدين من المرفق، ومسح الرأس والرجلين الى الكعبين، وعلمه السجود والركوع. فلما تمّ له ﷺ أربعون سنة أمره بالصلاة وعلمه حدودها، ولم ينزل عليه أوقاتها، فكان رسول الله ﷺ يصليّ ركعتين ركعتين في كلّ وقت.

وكان علي بن أبي طالب يألفه ويكون معه في مجيئه وذهابه ولا يفارقه، فدخل علي عليه السلام الى رسول الله ﷺ وهو يصليّ، فلما نظر إليه يصليّ قال: يا أبا القاسم! ما هذه؟ قال: الصلاة التي أمرني الله بها. فدعاه الى الإسلام، فأسلم وصليّ معه. وأسلمت خديجة. فكان لا يصليّ إلا رسول الله وعلي وخديجة.

فلما أتى لذلك أيام دخل أبو طالب الى رسول الله ﷺ ومعه جعفر، فنظر الى رسول الله وعي عليه السلام بجانبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صل

جناح ابن عمك . فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر، فلما وقف جعفر على يساره برز رسول الله ﷺ من بينهما وتقدم .

فلما أسلم عليّ وخديجة وجعفر أسلم زيد (بن حارثة الكلبي) بعدهم . فكان يصلي خلف رسول الله : علي وجعفر وزيد وخديجة^(١) .

وهذا النص من القمي وإن لم يكن نصاً من إمام معصوم كما هو المفروض في الخبر عن تفسير الإمام عليّ، ولكنه على أحسن الظن بالقمي، وباستبعاد أكيد أن يكون قد أخذ ذلك عن غيرهم عليهم السلام، لا يقل شأناً عن النص عند إعواز النص، بل يفضل النص السابق عن تفسير الإمام، بإفرازه - خبر التفسير - وتظافر أخبار غير قليلة من الخاصة والعامة تنص على بدء بعثة الرسول بصلاته ثم صلاة علي وخديجة ثم زيد وجعفر بن أبي طالب بتوصية أبيه أبي طالب، من دون نص على نزول شيء من القرآن، ببدء بعثة النبي ﷺ في الأربعين من عمره . وسننقل هنا عينة من هذه الأخبار . وقبل ذلك لنثريث قليلاً في خبر علي بن إبراهيم القمي عندما يلفت

النظر من ذكر السجود قبل الركوع، فهل في ذلك عناية خاصة ؟

لم نقف على عناية خاصة في ذلك حتى عثرنا على رواية رواها ابن أبي الحديد في «شرح النهج» بسنده عن حكيم مولى زاذان قال : سمعت علياً عليه السلام يقول : «صليت قبل الناس سبع سنين، وكنت نسجد ولا نركع . وأول صلاة ركعنا فيها صلاة العصر، فقلت : يا رسول الله، ما هذا ؟ قال :

(١) إعلام الوری : ٣٦ ، ٣٧ ولم نجد في تفسيره، ورواه عنه ابن شهر آشوب بتغيير

يسير كما مر .

أمرتُ به»^(١).

أخبار الصلاة:

مرّ تحت عنوان «عليّ عند النبيّ» عن ابن أبي الحديد مآتمه :
«اختلف في سنّ عليّ عليه السلام حين أظهر النبيّ ﷺ الدعوة إذ تكامل له أربعون سنة : فالأشهر من الروايات أنّه كان ابنَ عشر، وذكر شيخنا أبو القاسم البلخي وغيره من شيوخنا وكثير من أصحابنا المتكلمين : أنّه كان ابن ثلاث عشرة سنة، ثمّ ذكر خبر البلاذري والإصفهاني في ضمّ النبيّ عليّاً إليه منذ كان عمره ست سنين، ثمّ قال : وهذا يطابق قوله عليه السلام : «لقد عبدت الله قبل أن يعبده أحد من هذه الأمة سبع سنين» وقوله : «كنت أسمع الصوت وأبصر الضوء سنين سبعة، ورسول الله ﷺ حينئذٍ صامت ما أذن له في الإنذار والتبليغ».

وذلك لأنّه اذا كان عمره يوم إظهار الدعوة ثلاث عشرة سنة، وتسليمه الى رسول الله ﷺ من أبيه وهو ابن ست، فقد صحّ أنّه كان يعبد الله قبل الناس بأجمعهم سبع سنين^(٢).

وروى الكليني بسنده عن سعيد بن المسيّب قال : سألت علي بن الحسين عليه السلام : ابن كم كان علي بن أبي طالب يوم أسلم ؟ فقال : أو كان كافراً قط ؟ ! إنّما كان لعلي عليه السلام حيث بعث الله عزّ وجلّ رسوله ﷺ عشر سنين، ولم يكن يومئذٍ كافراً، ولقد آمن بالله تبارك وتعالى ورسوله ﷺ

(١) شرح النهج ١٣ : ٢٢٩ .

(٢) شرح النهج ١ : ١٥ .

وسبق الناس كلهم الى الإيمان بالله ورسوله، وإلى الصلاة ثلاث سنين، وكانت أول صلاة صلاها مع رسول الله الظهر ركعتين^(١).

وروى الشيخ المفيد في «الإرشاد» بسنده الى يحيى بن عفيف بن قيس الكندي عن أبيه عفيف قال: كنت جالساً مع العباس بن عبد المطلب عليه السلام بمكة قبل أن يظهر أمر النبي صلى الله عليه وآله، فجاء شاب فنظر الى السماء حين تطلعت الشمس، ثم استقبل الكعبة فقام يصلي. ثم جاء غلام فقام عن يمينه، ثم جاءت امرأة فقامت خلفها، فرجع الشاب فرجع الغلام والمرأة، ثم رفع الشاب فرفعها، ثم سجد الشاب فسجدا. فقلت: يا عباس، أمر عظيم! فقال العباس: أمر عظيم، أتدري من هذا الشاب؟ هذا محمد بن عبد الله ابن عبد المطلب، ابن أخي، أتدري من هذا الغلام؟ هذا علي بن أبي طالب ابن أخي، أتدري من هذه المرأة؟ هذه خديجة بنت خويلد. إن ابن أخي هذا حدثني أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين الذي هو عليه، ولا والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة^(٢).

وروى الطبرسي خبر ضم النبي علياً اليه في صغره عن كتاب «دلائل النبوة» للبيهقي (ت ٤٥٨) بسنده عن ابن إسحاق عن ابن جبر، وروى قبله

(١) روضة الكافي: ٢٧٩.

(٢) الإرشاد: ٢٠، ٢١. ومن أقدم من بحث هذا الموضوع كلامياً هو المتكلم المعتزلي الأقدم الشيخ أبو جعفر الإسكافي المتوفى في ٢٤٠ هـ في كتابه: المعيار والموازنة: ٦٦ - ٧٨ بتحقيق الشيخ المحقق الحمودي. وقد أكثر النقل عن الإسكافي ابن أبي الحديد المعتزلي في شرح النهج. ومن الباحثين الأقدمين في الموضوع بعد الإسكافي: القاضي النعمان المصري في كتابه: شرح الأخبار: ١٧٨ - ١٩١، فراجع.

بسند البيهقي عن عفيف الكندي قال :

كنت امرأً تاجراً، فقدمت منى أيام الحج، وكان العباس بن عبد المطلب امرأً تاجراً، فأتيته أبتاع منه وأبيعه. فبينما نحن كذلك إذ خرج رجل من خباء، وأخذ يصليّ تجاه الكعبة، ثم خرجت امرأة فقامت تصليّ معه بصلاته، وخرج غلام وأخذ يصليّ معه بصلاته. فقلت: يا عباس، ما هذا الدين؟ فقال: هذا محمد بن عبد الله يزعم أن الله أرسله، وأن كنوز كسرى وقيصر ستفتح عليه، وهذه امرأته خديجة بنت خويلد، آمنت به، وهذا الغلام ابن عمه علي بن أبي طالب آمن به، قال عفيف: فليتي كنت آمنت به يومئذ فكنت أكون ثانياً تابعه^(١).

وروى الخبر هذا ابن شهر آشوب في «المناقب» عن كتاب «المبعث» لابن إسحاق، و«تأريخ الطبري» بثلاثة طرق، و«الإبانة» للعكبري، بأربعة طرق، و«تأريخ النسوي»، والماوردي، ومسند أبي يعلى ويحيى بن معين، وتفسير الثعلبي وعن عبد الله بن أحمد بن حنبل^(٢) بأسانيدهم عن عفيف الكندي وأنه أخو الأشعث بن قيس الكندي^(٣) وأن العباس قال له: إن ابن أخي هذا حدثني: أن ربّه ربّ السماوات والأرض أمر بهذا الدين، ثم قال: والله ما على ظهر الأرض على هذا الدين غير هؤلاء الثلاثة.

وعن ابن إسحاق عن عفيف قال: فلما خرجت من مكة إذا أنا

(١) إعلام الوری : ٣٨.

(٢) مسند الامام أحمد ١ : ٢٠٩.

(٣) ورواه القاضي النعمان في شرح الأخبار ١ : ١٧٩ قال : أتيت مكة لأبتاع من عطرها وثيابها.

بشباب جميل على فرس قال : يا عفيف ما رأيت في سفرك هذا ؟ فقصصت عليه فقال : لقد صدقك العباس ، والله إن دينه لخير الأديان ، وإن أمته أفضل الأمم . قلت : فلمن الأمر من بعده ؟ قال : لابن عمه وخنته على بنته ، يا عفيف الويل كل الويل لمن يمنعه حقه .

ثم نقل عن ابن إسحاق قال : إن النبي كان إذا حضرت الصلاة خرج إلى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من قومه ، فيصليان الصلوات فيها ، فإذا أمسيا رجعا . فمكثا كذلك زماناً .

ثم إن أبا طالب رأى النبي وعلياً يصليان فسأل عن ذلك فقال النبي : إن هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبينا إبراهيم عليه السلام . وقال علي : يا أبت آمنت بالله وبرسوله وصدقته بما جاء به وصدقت معه لله . فقال له : أما إنه لا يدعو إلا إلى خير ، فالزمه .

ولكنه نقل عن كتاب الشيرازي قال : إن النبي ﷺ لما نزل الوحي عليه أتى المسجد الحرام وقام يصلي فيه ، فاجتاز به علي - وكان ابن تسع سنين - فناداه : يا علي أقبل إلي ، فأقبل إليه مليئاً ، فقال له : إنني رسول الله إليك خاصة ، وإلى الخلق عامة ، تعال يا علي فقف عن يميني وصل معي . فقال : يا رسول الله حتى أمضي وأستاذن والدي ! قال : اذهب فإنه سيأذن لك . فانطلق يستأذنه في اتباعه ، فقال : يا ولدي : تعلم أن محمداً - والله - أمين منذ كان ، امض واتبعه ترشد وتفلاح . فأقى علي عليه السلام ورسول الله قائم يصلي في المسجد ، فقام عن يمينه يصلي معه ، فاجتاز بهما أبو طالب وهما يصليان ، فقال : يا محمد ما تصنع ؟ قال : أعبد إله السماوات والأرض ، ومعني أخي علي يعبد ما أعبد يا عم ... فضحك أبو طالب حتى بدت نواجذه .

ولكنه نقل عن ابن الفياض في «شرح الأخبار» عن أمير

المؤمنين ﷺ قال : مرّ علينا أبو طالب ونحن ساجدان، فأخذ بيدي وجعل يرغّبني في ذلك ويمضي عليه^(١).

ونقل عنه عن أبي أيوب الأنصاري قال : سمعت النبي يقول : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين، وذلك أنّه لم يؤمن بي ذكر قبله.

ونقل عن ابن شيرويه الديلمي في «الفردوس» عن جابر قال : قال النبي ﷺ : لقد صلّت الملائكة عليّ وعلى عليّ بن أبي طالب سبع سنين قبل الناس، وذلك أنّه كان يصليّ ولا يصليّ معنا غيرنا. أو : لم يصلّ فيها غيري وغيره. أو : لم يصلّ معي رجل غيره.

ونقل عن (مسند أحمد بسنده) عن ابن عبّاس^(٢). وعن تأريخ الطبري والبلاذري وجامع الترمذي و«الإبانة» للعكبري، و«الفردوس» للديلمي

(١) شرح الأخبار: ١٧٧ و ١٧٩ للقاضي النعمان المصري المغربي التميمي الشيعي الفاطمي الاسماعيل، المتوفى في ٣٦٣ هـ. وقد أطلق ابن شهر آشوب عليه لقب : الفيّاض هنا وفي كتابه الآخر : معالم العلماء : ١٣٦ قال : «ابن الفيّاض القاضي النعمان ابن محمّد، ليس بامامي، وكتبه حسان». ولم نجد أحداً غير ابن شهر آشوب لقبه بهذا. والخبر : عن حبة العرفي قال : رأيت علياً عليه السلام ضحك على المنبر، ولم أره ضحك ضحكاً أكثر منه حتّى بدت نواجذه، ثمّ قال : بينما أنا ورسول الله ﷺ ببطن نخلة نصليّ إذ ظهر علينا أبو طالب، فقال : ماتصنعان يا بن أخي ؟ فدعاه رسول الله ﷺ ورغبه في الإسلام فقال : ما أرى بالذي تقول وتصنع بأساً... ثمّ قال علي عليه السلام : اللهم لا أعرف عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي غير نبيّها - قالها ثلاث مرات ثمّ قال - لقد صليت قبل أن يصليّ أحد سبعا - يعني سبع سنين. ورواه ابن حنبل في المسند ١ : ٩٩.

(٢) مسند الامام أحمد ١ : ٣٧٣ ط ١.

و«فضائل الصحابة» لابن حنبل بسندهم عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال : أول من صلى معي علي^(١) .

ونقل عن ابن حنبل في «مسند العشرة» و«فضائل الصحابة» والترمذي في «الجامع الصحيح» والنسوي في «المعرفة» وابن بطة العكبري في «الإبانة» بسندهم عن حبة العرني قال : سمعت علياً يقول : «أنا أول من صلى مع رسول الله» .

وفي «مسند العشرة» و«فضائل الصحابة» لابن حنبل عن العرني عن علي عليه السلام بلفظ : «اللهم لا أعرف أن عبداً من هذه الأمة عبدك قبلي ، غير نبيك» قالها ثلاث مرّات .

وفي مسند أبي يعلى بلفظ : «ما أعلم أحداً من هذه الأمة بعد نبيها عبد الله غيري» .

وفي مسندي أحمد وأبي يعلى عن العرني عنه عليه السلام قال : «صليت قبل أن يصلي الناس سبعاً»^(٢) .

ونقل عن سنن ابن ماجه القزويني وتاريخ الطبري عن عبّاد بن عبد الله الرواجني قال : سمعت علياً قال : «أنا عبد الله وأخو رسول الله ، وأنا الصديق الأكبر ، لا يقوها بعدي إلا كاذب مفتر؛ صليت مع رسول الله سبع سنين» .

ونقل عن سنن ابن ماجه وتفسير التعلبي عن عبد الله بن أبي رافع

(١) ورواه البلاذري في أنساب الأشراف ٢ : ٩٣ .

(٢) في مسند أبي يعلى ، الورق ٣١ / بسنده عن حبة العرني عنه عليه السلام : خمس سنين .
أو : سبع سنين .

عن أبيه قال : إِنَّ عَلِيًّا صَلَّى مُسْتَخْفِيًّا مَعَ النَّبِيِّ سَبْعَ سِنِينَ وَأَشْهَرَ .
ونقل عن «شرف النبي» للخرگوشي قال : جاء جبرئيلُ الرسولَ
بأعلى مكة وعلمه الصلاة فانفجرت من الوادي عين حتى توضعاً جبرئيل بين
يدي رسول الله ، وتعلم رسول الله ﷺ من الطهارة ، ثم أمر به
عليًّا عليه السلام (١) .

والاربلي في «كشف الغمة» ذكر خبر ابن اسحاق في ضم النبي عليًّا
اليه ، وأخبار مسند أحمد بن حنبل ، ثم نقل عن «المناقب» للخوارزمي عن
عبدالله بن مسعود خبراً يشبه خبر عفيف الكندي ، قال : إنَّ أوَّل شيء
علمته من أمر رسول الله ﷺ : أَنِّي قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي عُمُومَةٍ لِي فَأَرْشَدُونَا
عَلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ فَاتَّهَيْنَا إِلَيْهِ وَهُوَ جَالِسٌ إِلَى مِنْ ثَمَّ ، فَجَلَسْنَا
إِلَيْهِ . فَبَيْنَا نَحْنُ عِنْدَهُ إِذْ أَقْبَلَ رَجُلٌ مِنْ بَابِ الصَّفَا تَعْلُوهُ حِمْرَةٌ ، وَلَهُ وَفْرَةٌ
جَعْدَةٌ إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، بَرَّاقُ الشَّيَا ، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ ، كَثَّ
اللَّحْيَةِ ، دَقِيقُ الْمَسْرُوبَةِ (٢) شَتْنُ الْكَفَيْنِ ، حَسَنُ الْوَجْهِ ، مَعَهُ مَرَاهِقٌ أَوْ مُحْتَلَمٌ ،
تَقْفُوهُ امْرَأَةٌ ، قَدْ سَتَرَتْ مُحَاسِنَهَا ، حَتَّى قَصَدُوا نَحْوَ الْحَجَرِ فَاسْتَلَمَهُ ، ثُمَّ اسْتَلَمَ
الْغُلَامُ ثُمَّ اسْتَلَمَتْهُ الْمَرْأَةُ ، ثُمَّ طَافَ بِالْبَيْتِ سَبْعًا ، وَالْغُلَامُ وَالْمَرْأَةُ يَطُوفَانِ مَعَهُ .
فَقُلْنَا : يَا أَبَا الْفَضْلِ إِنَّ هَذَا الدِّينَ لَمْ نَكُنْ نَعْرِفُهُ فَيْكُم ، أَوْ شَيْءٌ حَدَثَ ؟ قَالَ :

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ١٤ - ١٩ . هذا هو الفصل الثاني في الجزء الثاني من
الكتاب ، والفصل الأول : المسابقة في الإسلام من ٤ إلى ١٣ . وأما خبر ابن إسحاق في
ضم النبي عليًّا عليه السلام إليه ، فقد نقله في فصل الطهارة والرتبة : ١٧٩ عن الطبري
والبلاذري والواحدي والعلبي وشرف النبي وأربعين الخوارزمي ومغازي ابن
إسحاق ..

(٢) المسربة : الشعر الدقيق من الصدر إلى السرة .

هذا ابن أخي محمد بن عبد الله، والغلام علي بن أبي طالب، والمرأة امرأته خديجة بنت خويلد، ما على وجه الأرض أحد يعبد الله تعالى بهذا الدين إلا هؤلاء الثلاثة.

ثم قال: ومثله عن عفيف الكندي... وقال: وكان عفيف ابن عم الأشعث بن قيس. ورواه أحمد بن حنبل في مسنده والنطنزي في «الخصائص» ثم نقل عن «الخصائص» في قوله تعالى: ﴿وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾^(١) قال: إنما نزلت في النبي وعلي خاصة، لأنها أول من صلى وركع^(٢)، فعن علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ: «نزلت علي النبوة يوم الاثنين، وصلى علي معي يوم الثلاثاء».

ونقل خبر ابن أبي رافع بهذا المعنى عن «المناقب» للخوارزمي قال: صلى النبي يوم الاثنين وصلى علي من الغد يوم الثلاثاء، قبل أن يصلي الناس مع النبي سبع سنين وأشهر.

ونقل عن مسند أحمد بن حنبل بسنده عن علي عليه السلام قوله -الذي نقله ابن شهر آشوب عن سنن ابن ماجه وتاريخ الطبري- «أنا عبد الله وأخو رسوله ﷺ، وأنا الصديق الأكبر، لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر، ولقد صليت قبل الناس بسبع سنين»^(٣).

وروى البحراني خبر ابن إسحاق عن مجاهد بن جبر في ضم النبي

(١) البقرة: ٤٣.

(٢) ونقله ابن شهر آشوب في المناقب ٢: ١٣ عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وعن الباقر عليه السلام.

(٣) كشف الغمّة ١: ٧٩ - ٨٩.

عليّاً عليه السلام وهو صغير، في «حلية الأبرار» عن الصدوق بسنده عن ابن اسحاق^(١) وفي موضع آخر عن تفسير الثعلبي^(٢) ثم روى الأخبار المارّة عن مسند أحمد بن حنبل، ومناقب ابن شهر آشوب، والكليني والصدوق.

ومن العامّة بعدما نقل ابن إسحاق خبر المجاهد بن جبر قال: ذكر بعض أهل العلم: أنّ رسول الله كان اذا حضرت الصلاة خرج الى شعاب مكة وخرج معه علي بن أبي طالب مستخفياً من أبيه ومن جميع أعمامه وسائر قومه، فيصليان الصلوات فيها فإذا أمسيا رجعا. فمكثنا كذلك ما شاء الله أن يمكثنا.

ثم إنّ أبا طالب عثر عليها يوماً وهما يصليان، فقال لرسول الله: يا بن أخي، ما هذا الدين الذي أراك تدين به؟ قال: أي عمّ، هذا دين الله ودين ملائكته ودين رسله ودين أبيينا إبراهيم، بعثني الله به رسولا إلى العباد.

وذكروا: أنّه قال لعليّ: أي بُني، ما هذا الدين الذي أنت عليه؟ فقال: يا أبت، آمنت بالله وبرسول الله، وصدّقته بما جاء به، وصليت معه لله واتبعته، فقال له: أمّا أنّه لم يدعك إلا إلى خير فالزمه^(٣).

وقال البلاذري: «وصلّى مع رسول الله -صلّى الله عليه وآله وسلم- وهو ابن إحدى عشرة سنة، وهو الثبت» ثمّ نقل أقل من ذلك^(٤).

(١) حلية الأبرار ١ : ٢٣٢ .

(٢) حلية الأبرار ١ : ٢٣٩ .

(٣) السيرة النبويّة ابن هشام ١ : ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

(٤) أنساب الأشراف ٢ : ٩٠ .

ثم روى بسنده عن زيد بن أرقم قال: أوّل من صلّى مع رسول الله علي بن أبي طالب^(١).

ونقل المحقق بهامشه عن مسند أبي يعلى بسنده عن حبة العري عنه أنّه قال: ما أعلم أحداً من هذه الأمة بعد نبيها عبد الله قبلي، لقد عبدته قبل أن يعبدّه أحد منهم خمس سنين. أو قال: سبع سنين. وعنه قال: بعث رسول الله يوم الاثنين وأسلمت يوم الثلاثاء^(٢).

أجل، هذه عيّنة وافية من أخبار الباب، وهي كما رأيناها خالية عن ذكر القرآن ونزوله والقراءة منه في صلاتهم ولكن -قال صاحب التمهيد- «لا شك أن النبي ﷺ كان يصلي منذ بعثته، وكان يصلي معه عليّ عليه السلام وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة، «ولا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»... فلا بد أن سورة الفاتحة كانت مقرونة بالبعثة»^(٣).

«وإن كان أوّل ما نزل من القرآن سورة العلق أو آي منها فلم سميت سورة الحمد بفاتحة الكتاب؟ إذ ليس المعنى: أنها كتبت في بدء المصحف، لأنّ هذا الترتيب شيء حصل بعد وفاة النبي ﷺ أو لا أقلّ في عهد متأخّر من حياته فرضاً، في حين أنها كانت تسمّى بفاتحة الكتاب منذ بدايات نزولها».

وللإجابة يقول: «أمّا الآيات الخمس من سورة العلق فهي أوّل آيات نزلت، وأمّا سورة الحمد فهي أوّل سورة كاملة نزلت، ولذلك سميت

(١) أنساب الأشراف ٢: ٩٢، ٩٣.

(٢) هامش أنساب الأشراف ٢: ٩٢.

(٣) التمهيد ١: ٩٦.

بفاتحة الكتاب، ثم لم ينزل من القرآن تباعاً إلا بعد الفترة»^(١).

فترة الوحي:

في تفسير القمي عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله سبحانه: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ قال: ذلك أن أول سورة نزلت كانت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثم أبطأ جبرئيل عن رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت خديجة: لعل ربك قد تركك فلا يرسل إليك؟ فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾^(٢).

وهذا اللفظ المروي هنا في هذا الخبر عن خديجة عليها السلام أخف وطأة والأمر فيه أيسر مما رواه الطبري بسنده عن عبد الله بن شداد قال: ثم أبطأ عليه جبرئيل فقالت له خديجة: ما أرى ربك إلا قد قلاك (١) فأنزل الله عز وجل: ﴿والضحى﴾^(٣) وقد خلا عنه مارواه ابن إسحاق والطبري عنه عن عبد الله بن الحسن عن أمه فاطمة بنت الحسين عن جدتها خديجة في بدء نبوة الرسول^(٤) بل كأن ابن إسحاق أراد أن يبريء خديجة عن نسبة تلك المقولة إليها فبدأ برواية خبر عن عبد الله بن جعفر عن رسول الله قال:

أمرت أن أبشّر خديجة ببيت من قصب (أي ذهب) لا صخب فيه ولا

(١) التمهيد ١ : ٨٠ - ٨٣.

(٢) تفسير القمي ٢ : ٤٢٨.

(٣) الطبري ٢ : ٣٠٠، والتفسير ٣٠ : ١٦٢.

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٥، والطبري عنه ٢ : ٣٠٣.

نصب . وقال : حدثني من أثق به : أن جبرئيل عليه السلام أتى رسول الله فقال : أقرىء خديجة السلام من ربها . فقال رسول الله : يا خديجة ، هذا جبرئيل يُقرئك السلام من ربك . فقالت خديجة : الله السلام ومنه السلام وعلى جبرئيل السلام . ثم قال ابن إسحاق :

ثم فتر الوحي عن رسول الله فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه ، فجاءه جبرئيل بسورة الضحى : يُقسم له ربه - وهو الذي أكرمه بما أكرمه به - أنه ما ودّعه وما قللاه ، ويقول : ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبك ، وما عندي من مرجعك إليّ خير لك مما عجلت لك من الكرامة في الدنيا ﴿ ولسوف يعطيك ربك ﴾ من الفلج^(١) في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿ فترضى ﴾ ثم يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامة في عاجل أمره ومنه عليه في يتمه وعيلته وضلالته ، واستنقاذه من ذلك كله برحمته ﴿ وأما بنعمة ربك ﴾ بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فاذكرها وادعُ إليها . فجعل رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم - يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله^(٢) .

ولو كان كذلك فلا ينسجم هذا مع ما رواه الطبرسي عن ابن عباس قال : احتبس الوحي عنه صلى الله عليه وآله خمسة عشر يوماً ، فقال المشركون : إن محمداً قد ودّعه ربه وقللاه ، ولو كان أمره من الله لتتابع الوحي عليه ، فنزلت السورة^(٣) .

(١) الفلج : الفوز والغلبة .

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ - ٢٥٩ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٧٦٤ .

وهذا لا ينسجم مع ما روى الطبري عن ابن عباس أيضاً في سنوات البعثة إذ قال : بعث رسول الله ﷺ لأربعين سنة، فكث بمكة ثلاث عشرة سنة^(١) فهل عني بذلك أنه ﷺ قرأ القرآن على المشركين معلناً لهم الدعوة منذ بدء البعثة حتى إذا احتبس عنه الوحي خمسة عشر يوماً قالوا فيه ذلك ؟

وروى الطبري عن ابن شهاب عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال : قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي : بينا أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض. قال رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - : فجئته منه فرقاً^(٢) وجئت فقلت : زملوني، زملوني ! فدثروني فأنزل الله عز وجل : ﴿ يَا أَيُّهَا الْمَدَّثِرُ قم فأنذر وربك فكبر ﴾^(٣) الى قوله : ﴿ والرجز فاهجر ﴾ قال : ثم تتابع الوحي^(٤).

وحسب تعبير الخبر فان جابراً يصف حديث رسول الله أنه كان يحدث عن فترة الوحي، والفترة من الفتور، وهو لا يكون في الوحي إلا بين وحيين، فلا يكون إلا بعد بدء الوحي، وفي نفس الخبر نص بالإشارة الى سبق نزول ملك الوحي إليه في حراء : « فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي » وفي آخر الخبر : « ثم تتابع الوحي » في مقابل « فتر الوحي ».

(١) الطبري ٢ : ٢٩٢ بطريقتين .

(٢) جئته : خفت وفزعت، وفرقاً . خوفاً وفزعاً .

(٣) المدثر : ١ - ٣ .

(٤) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ ط بولاق وفي التأريخ ٣ : ٣٠٦ ط دار المعارف . ونقله

الطوسي في التبيان ١٠ : ١٧١ .

فالخبر إذن لا يدلّ على أنّ الآيات من سورة المدثر هي أول ما نزل عليه^(١) وإن نُقل ذلك عن جابر نفسه، كما في ما روى الطبري عن ابن شهاب عن ابن سلمة قال :

سألت جابر بن عبد الله : أيّ القرآن أنزل أول ؟ فقال : ﴿ يا أيها المدثر ﴾ فقلت : ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ فقال : لا أخبرك إلا ما حدثنا النبيّ قال : جاورت في حراء فلما قضيت جواربي هبطت فاستبطنت الوادي فنوديت فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقُدّامي فلم أر شيئاً، فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض... » .

وفي لفظ آخر : « فنظرت عن يميني فلم أر شيئاً، وعن شمالي فلم أر شيئاً، ونظرت امامي فلم أر شيئاً، ونظرت خلفي فلم أر شيئاً، فرفعت رأسي فرأيت شيئاً... » .

نعم ليس في هذين اللفظين من الخبر مأمّر في اللفظ الأسبق « فإذا الملك الذي جاءني بحراء » وأيضاً ليس فيهما ما كان في الأسبق أنّه ﷺ كان يحدث عن فترة الوحي، مع أنّ الراوي هو أبو سلمة بن عبد الرحمن نفسه، وهذا غريب ! والراوي عنه هو الزهري، ولكنه لم يفهم من الخبر ما ادّعاه أبو سلمة بل ونسبه إلى جابر في اللفظين المتأخرين من الخبر دون الأوّل، ولذلك فإنّ الزهري فيما رواه عنه الطبري في حديثه عن فترة الوحي روى اللفظ الأوّل للخبر ثمّ قال : وكان أوّل شيء أنزل عليه ﴿ اقرأ باسم ربك الذي خلق ﴾ حتّى بلغ ﴿ ما لم يعلم ﴾^(٢) فقد عوّل على الخبر

(١) كما في الميزان ٢٠ : ٨٣ .

(٢) الخبر في التفسير ٢٩ : ٩٠ ط بولاق وفي التاريخ ٣ : ٣٠٤ - ٣٠٦ . وفي البخاري

بلفظه الأوّل لا الآخرين، كما فعل البخاري فرواه دونها، وإن كان مسلم قد رواهما معاً.

فالمعول على اللفظ الأوّل للخبر دون الآخرين، حيث أقر راوي الخبر أبو سلمة بنقله عن جابر من دون القول بأن أوّل ما نزل سورة المدثر، وإن كان قد أضاف ذلك إليه في اللفظين الآخرين (فالعهد) فيها على الراوي دون جابر، فليس من باب الظن والاجتهاد من جابر، كما في «التمهيد»^(١) وعلى هذا فليس القول بأن أوّل ما نزل هو سورة المدثر من جابر، بل هو من نسبة أبي سلمة إلى جابر، دون ثبات على هذه النسبة فقد روى هو عنه خلافها أيضاً.

نعم لا يمكن تأييد ما في الخبر عنه ﷺ أنه قال: «فجئت منه فرقاً» أي خفت منه خوفاً أو فزعت منه فزعاً، لأنه بظاهره يتنافى مع ما رواه العياشي في تفسيره عن زرارة قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف لم يخف رسول الله فيما يأتيه من قبل الله أن يكون ذلك ممّا ينزع به الشيطان؟ فقال عليه السلام: «إن الله إذا اتخذ عبداً رسولاً أنزل عليه السكينة والوقار، فكان يأتيه من قبل الله عز وجلّ مثل الذي يراه بعينه»^(٢).

وروى الصدوق في «التوحيد» بسنده عن محمد بن مسلم ومحمد بن مروان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «ما علّم رسول الله ﷺ أن

١ : ٤ وفي صحيح مسلم ١ : ٩٨ ، ٩٩ .

(١) التمهيد ١ : ٩٤ .

(٢) تفسير العياشي - وعنه في البحار ١٨ : ٢٦٢ .

جبرئيل عليه السلام من قبل الله إلا بالتوفيق»^(١).

إذن فالتوفيق الإلهي بالوقار والسكينة المنزلة على رسول لا يتركه ليفزع خوفاً من النظر إلى ملك الوحي جبرئيل حتى ولو كان بصورته الأصلية إن صح التعبير.

أما اليعقوبي فقد قال في نزول سورة المدثر: وبُعث رسول الله لما استكمل أربعين سنة... وعلى جبرئيل جبة سندس، وأخرج له درنوفاً من درانيك الجنة، فأجلسه عليه، وأعلمه أنه رسول الله وبلغه عن الله وعلمه: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ وأتاه من غد وهو متدثر فقال: ﴿يا أيها المدثر قم فأُنذِر﴾^(٢).

هل نزل القرآن في دور الكتمان؟

ومما يؤيد عدم نزول القرآن في دور الكتمان أننا لا نجد من آيات القرآن، مما لا خلاف في نزوله قبل سورة الحجر التي في أواخرها قوله سبحانه: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾^(٣) وهي السورة الرابعة والخمسون في ترتيب النزول، وقبلها في النزول سورة الشعراء وهي السابعة والأربعون التي في أواخرها قوله سبحانه: ﴿وأنذِر عشيرتك الأقربين﴾^(٤) لا نجد في كل ذلك ما يتناسب مع مرحلة الكتمان، بل من خصائص السور

(١) التوحيد: ٢٤٢ وعنه في البحار ١٨: ٢٥٦.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢: ٢٣.

(٣) الحجر: ٩٤.

(٤) الشعراء: ٢١٤.

المكيّة - ومنها هذه السور - خطابها المشركين وجدالها. معهم في شركهم وكفرهم وجحودهم للمبدأ والمعاد، ممّا لا يتناسب بظاهره مع الكتان بل الإعلان.

فسور النمل والقصص والإسراء ويونس وهود ويوسف وحتى الحجر، وهي السور النازلة بعد الشعراء وقبل الحجر، هي سور تساور المشركين وتحاورهم في كثير من آياتها، وسورة الحجر بالخصوص تقول في بدايتها: ﴿ربما يؤدّ الذين كفروا لو كانوا مسلمين ذرهم يأكلوا ويتمتعوا ويلههم الأمل فسوف يعلمون وما أهلكنا من قرية إلاّ ولها كتابٌ معلوم ما تسبق من أمة أجلها وما يستأخرون وقالوا يا أيّها الذي نُزّل عليه الذكر أنّك لمجنون لو ما تأتينا بالملائكة إنّ كنت من الصادقين﴾^(١) فهل هي من الكتان في شيء؟! بل قال العلامة الطباطبائي في تفسيره في التعريف بسورة الحجر: «تتضمن السورة على الكلام حول استهزاء الكفار بالنبي ﷺ ورميه بالجنون، ورمي القرآن الكريم بأنّه من أهازير الشياطين. ففيها تعزية للنبي ﷺ وأمر بالصبر والثبات والصفح عنهم وتطبيبٌ لنفسه الشريفة وإنذار وتبشير.

وتتضمن السورة على قوله تعالى: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ والآية تقبل الانطباق على ما ضبطه التأريخ أنّ النبي ﷺ اكنتم في أوّل البعثة - ثلاث سنين أو أربعاً أو خمساً - لا يعلن دعوته، لاشتداد الأمر عليه، فكان لا يدعو إلاّ آحاداً ممّن يرجو منهم الإيمان، يدعوهم خفية ويُسِرّ اليهم الدعوة، حتّى أذن له ربّه في ذلك وأمره أن يعلن دعوته.

وتؤيِّده الروايات الماثورة من طرق الشيعة وأهل السنة: أَنَّه ﷺ كان يكتُم في أوَّل بعثته سنين لا يظهر فيها دعوته لعامة الناس حتَّى أنزل الله عليه: ﴿فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين إِنَّا كَفِينَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ فخرج الى الناس وأظهر الدعوة. فالسورة مكِّيَّة نازلة في أوَّل الدعوة العلنية^(١).

ثمَّ لم يبيِّن أَنَّهُ ﷺ اذا كان - كما قال - لا يدعو إلاَّ آحاداً خفيةً وسراً ممَّن يرجو منهم الإيمان، فأين كان المستهزئون وبماذا كانوا يستهزئون؟ وكيف كان استهزاؤهم حتَّى انَّ الرسول ﷺ دعا عليهم فكفاه الله شرَّهم وشرَّ استهزائهم؟ واذا كان آخر هذه السورة بداية الإذن بالإعلان فما معنى أن تكون السورة لتعزية الرسول وصابره؟!

ولا يختص هذا الإشكال بالعلامة الطباطبائي، فقد درج الجميع على هذا القول بلا بيان لهذا الإجمال.

ولعلَّه التفاتاً الى هذا الإشكال ودفعاً له قال السيد المرتضى في «الصحيح»: بعد أن أُنذر عشيرته الأقربين انتشر أمر نبوته في مكَّة، وبدأت قريش تتعرض لشخصه ﷺ بالاستهزاء والسخرية وأنواع التهم^(٢).

ومن قبله السيد الحسيني فقال في «سيرة المصطفى»: لقد تحدَّث - بعد دعوته ﷺ عشيرته الأقربين - جميع الناس في مكَّة عن دعوته، وتسربت أنبأؤها لخارج مكَّة ولم يعد أمرها خافياً على أحد من سكان مكَّة.

(١) الميزان ١٢: ٩٥، ٩٦.

(٢) الصحيح ٢: ٢٦.

وجوارها بعد أن أعلنها بصراحة على بني عمومته وعشيرته^(١). ومعنى ذلك أن الأمر اختلف بعد دعوة العشيرة عما قبلها فأما تسربت الدعوة بعد ذلك أمّا ما قبلها فالسر والكتان. ولكننا لا نجد فيما أوحى قبل ذلك ما يختلف عما بعده بل نجد الأمر نفسه قبله. فنجد بداية سورة الشعراء تقول: ﴿لعلك باخع نفسك أن لا يكونوا مؤمنين إن نشأ نُزِّل عليهم من السماء آية فظَلَّت أعناقهم لها خاضعين وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسأتِهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن﴾^(٢).

وتقول في أواخرها: ﴿نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين وإنه لفي زبر الأولين أو لم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل ولو نزلناه على بعض الأعجمين فقرأه عليهم ما كانوا به مؤمنين كذلك سلكناه في قلوب المجرمين لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون فيقولوا هل نحن منظرون أقبعنا يستعجلون أفرأيت إن متّعناهم سنين ثم جاءهم ما كانوا يوعدون ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون وما أهلكننا من قرية إلا لها منذرون ذكرى وما كنا ظالمين وما تنزلت به الشياطين وما ينبغي لهم وما يستطيعون إنهم عن السمع لمعزولون فلا تدع مع الله إلهاً آخر فتكون من المعذّبين وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتّبعك من المؤمنين﴾^(٣).

(١) سيرة المصطفى: ١٣٣.

(٢) الشعراء: ٣ - ٦.

(٣) الشعراء: ١٩٣ - ٢١٥.

فإذا يعني كلّ هذا الخطاب والعتاب بل التهديد بالعذاب والاعذار بالانذار؟ وهل كلّ هذا من الكتمان في شيء؟ والآية الأخيرة هل تعني أن يخفض جناحه لمن اتّبعه من المؤمنين بالدعوة الخاصة، خاصّة؟ أم مع من يؤمن به من عشيرته الأقربين في هذه الدعوة الخاصّة فحسب؟ أو يؤخذ بطلاق الآية وعمومها؟

والعلامة الطباطبائي في تفسيره قال في بيان الغرض من هذه السورة: «غرض هذه السورة تسليّة النبي ﷺ قبال ما كذّبه قومه وكذّبوا بكتابه النازل عليه من ربّه. وقد رموه تارة بأنّه مجنون وأخرى بأنّه شاعر، وفيها تهديدهم مشفقاً ذلك بإيراد قصص جمع من الأنبياء وهم: موسى وإبراهيم ونوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليه السلام، وما انتهت اليه عاقبة تكذيبهم، لتتسلّى به نفس النبي ﷺ ولا يحزن بتكذيب أكثر قومه، وليعتبر المكذبون. والسورة من عتائق السور المكية وأوائلها نزولاً، وقد اشتملت على قوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتكَ الْأَقْرَبِينَ﴾»^(١).

ثمّ لم يبيّن متى كان تكذيب أكثر قومه له؟ وأين كان المكذبون؟ وبماذا كانوا يكذبون؟ وبماذا يعتبرون؟ وهو بعد لم يدع عشيرته الأقربين وإنما يدعوهم بعد نزول الآية في آخر هذه السورة نفسها! فكيف التوفيق؟! والسورة التي تسبق الشعراء في ترتيب النزول هي سورة الواقعة، وهي في أوائلها تتلّت الناس يوم القيامة: ﴿وكنتم أزواجاً ثلثة فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة وأصحاب المشئمة ما أصحاب المشئمة والسابقون السابقون أولئك المقربون في جنات النعيم﴾ ثمّ تقسم هؤلاء السابقين من

أصحاب اليمين الى: ﴿ثلة من الأولين وقليل من الآخرين﴾^(١) وتعود فتقول: ﴿لأصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال في سموم وحميم وظل من يحموم لا بارد ولا كريم﴾^(٢) وتتابع النعوت والأوصاف فتقول: ﴿فأما إن كان من المقربين فروح وريحان وجنة نعيم وأما إن كان من أصحاب اليمين فسلام لك من أصحاب اليمين وأما إن كان من المكذبين الضالين فنزل من حميم وتصلية جحيم﴾^(٣) فما معنى الأولين والآخرين من السابقين من أصحاب اليمين؟ فهل كل ذلك فيمن استجاب للدعوة الخاصة السرية؟ ومن هم؟ وكم هم؟ وما معنى أصحاب الشمال ولم تشملهم الدعوة؟ وكذلك سائر السور التي سبقت الواقعة.

ولكن في مقابل كل ذلك مما يؤيد سرية المرحلة الأولى من الدعوة ونزول القرآن فيها: هو - من جانب - التناسب الكمي فيما بين منازل من القرآن الى سورة الحجر مع تلك الفترة، ومن جانب آخر: عدم التناسب أو على الأقل استبعاد أن تكون دعوة العشيرة الأقربين قد حصلت حسب آية: ﴿وأندر عشيرتك الأقربين﴾ من سورة الشعراء السابعة والأربعين في ترتيب النزول من دون أن تكون المرحلة السابقة سرية مكتومة، أي بعد أن تمر على الدعوة زهاء ثلاث سنين من الدعوة العلنية العامة، مما لا يتناسب ودعوة العشيرة خاصة بعد كل هذه المدة الطويلة من الدعوة العامة.

(١) الواقعة : ١٣ - ١٤ .

(٢) الواقعة : ٣٨ - ٤٤ .

(٣) الواقعة : ٨٨ - ٩٤ .

حديث الإنذار:

اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ نَلْتَزِمَ بِأَنَّ الدَّعْوَةَ كَانَتْ بَعْدَ مَقَاتِعَةِ قَرِيْشٍ لِلرَّسُولِ وَحَصَارِهِمْ إِيَّاهُ وَبَنِي هَاشِمٍ فِي شَعْبِ أَبِي طَالِبٍ فِي حُدُودِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ لِلْبُعْثَةِ، عَلَى مَا رَوَاهُ فَرَاتُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ الْكُوفِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ مُسْنَدًا عَنْ أَبِي رَافِعٍ -مَوْلَى الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ- قَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ جَمَعَ وَلَدَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِي الشَّعْبِ، وَهُمْ يَوْمُئِذٍ -وَلَدُهُ لَصْلِبِهِ وَأَوْلَادُهُمْ- أَرْبَعُونَ رَجُلًا. فَصَنَعَ لَهُمْ رَجُلٌ شَاةً وَثَرَدَ لَهُمْ ثَرِيدَةٌ فَصَبَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ الْمَرْقَ وَاللَّحْمَ، ثُمَّ قَدَّمُوهَا إِلَيْهِمْ فَأَكَلُوا مِنْهُ حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ سَقَاهُمْ عُسًا وَاحِدًا مِنْ لَبَنٍ فَشَرَبُوا كُلَّهُمْ مِنْ ذَلِكَ الْعُسِّ حَتَّى رَوَوْا^(١).

فَقَالَ أَبُو هُبَيْرٍ: وَاللَّهِ إِنَّ مِنَّا نَفَرًا يَأْكُلُ أَحَدُهُمُ الْجَفْرَةَ^(٢) وَمَا يَصْلَحُهَا فَمَا تَكَادُ تُشْبِعُهُ، وَيَشْرَبُ الْفَرْقَ مِنَ النَّبِيذِ فَمَا يَرُويهِ، وَإِنَّ ابْنَ أَبِي كَبْشَةَ^(٣) دَعَانَا عَلَى رَجُلٍ شَاةً وَعُسٍّ مِنْ شَرَابٍ فَشَبِعْنَا وَرَوَيْنَا، إِنَّ هَذَا هُوَ السَّحَرُ الْمُبِينُ!

ثُمَّ دَعَاهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ وَرَهْطِي الْمَخْلَصِينَ، وَأَنْتُمْ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبُونَ وَرَهْطِي الْمَخْلَصُونَ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا جَعَلَ لَهُ أَخًا مِنْ أَهْلِهِ وَوَارِثًا وَوَصِيًّا وَوَزِيرًا، فَأَيُّكُمْ يَقُومُ

(١) الْعُسُّ: الْقَدَحُ الْكَبِيرُ.

(٢) الْجَفْرَةُ مَوْنَتُ الْجَفْرِ وَهُوَ مِنْ أَوْلَادِ الْمَعَزِ مَا فَصَلَ عَنْ أُمِّهِ وَبَدَأَ بِالرَّعْيِ بَعْدَ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، كَمَا فِي النِّهَايَةِ لِلْجَزَرِيِّ.

(٣) هُوَ رَجُلٌ مِنْ خِزَاعَةِ خَالِفِ قَرِيْشًا فِي عِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، شَبَّهَ بِهِ، كَمَا فِي النِّهَايَةِ لِلْجَزَرِيِّ.

فبإيعني على أنه أخي ووزير ووارثي دون أهلي، ووصيي وخليفتي (في أهلي) ويكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟ فأمسك القوم.

فقال: واللّه ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن! فقام علي عليه السلام وهم ينظرون اليه كلهم، فبايعه وأجابه الى مادعاه اليه^(١).

وقد يؤيد دعوى ابن أبي رافع بأن ذلك الجمع وتلك الدعوة كانت في الشعب أي بعد الإعلان: أن أبا هب يلتهب بمشاهدته المعجزة فيتهم الرسول بالسر وينبزه بكنية ابن أبي كبشة مما اعتاد عليه المشركون بالنسبة اليه ﷺ فالحالة ليست حالة مفاجأة بعد سرّ وكتان وإنما تناسب سابق خبر أو علم أو اعلان.

وكذلك يؤيد كون ذلك في الشعب بعد الإعلان: أن الأمر أمر انذار لا إخبار، والتبشير أنسب ببدء الإخبار من الإنذار، وأن الرسول لم يبدأهم بالدعوة اليه والى رسالته، بل الى بيعته ليكون خليفته بعده، ثم أنذرهم: ليقومن قائمكم أو لتكونن في غيركم ثم لتندمن! فالحالة والموقف - كذلك - ليس موقف مفاجأة ومبادأة بعد سرّ وكتان، بل تناسب سابق علم وإعلان. ولعلّه ﷺ أمر بهذه الدعوة في الشعب تحدياً لكبرياء قريش، ولما فيها من يأس للكافرين.

والظاهر أن خبر أبي رافع خبر حاضر ناظر مباشر إذ هو مولى العباس بن عبد المطلب وهو من بني هاشم المدعوين والمجتمعين، فلعلّه كان مصطحباً لمولاه هذا، ولا نجد فيما بأيدينا مباشراً غيره سوى علي عليه السلام،

(١) تفسير فرات: ١١٣ كما في البحار ١٨: ٢١٢.

ورجل من أصحاب النبي من ولد عبد المطلب، لم يُعرَف بسوى هذا - روى عنه الخبر: السيد ابن طاووس في «سعد السعد» عن الجزء الخامس من تفسير محمد بن العباس الحجام بسنده عن مبارك بن فضالة والحسن البصري قالا:

إن قوماً خاضوا في أمر علي عليه السلام بعد الذي كان من وقعة الجمل، فقال رجل من أصحاب النبي ﷺ: ويلكم ماتريدون من أول سابق بالإيمان بالله والإقرار بما جاء من عند الله؟ لقد كنت عاشر عشرة من ولد عبد المطلب إذ أتانا علي بن أبي طالب عليه السلام فقال: أجيئوا رسول الله إلى غداء غد في منزل أبي طالب.

فلما ولى تغامزنا وقلنا: أترى محمداً أن يشبعنا اليوم؟ وما منا يومئذ من العشرة رجلاً إلا وهو يأكل الجذعة^(١) السمينة ويشرب الفرق^(٢) من اللبن.

فغدوا عليه في منزل أبي طالب، وإذا نحن برسول الله، فحييناه بتحية الجاهلية وحيانا هو بتحية الإسلام: فأول ما أنكرنا منه ذلك. ثم أمر بجفنة من خبز ولحم فقدمت إلينا، ووضع يده اليمنى على ذروتها وقال: بسم الله، كلوا على اسم الله. فتغيرنا لذلك ثم تمسكنا لحاجتنا إلى الطعام، وذلك أننا جوعنا أنفسنا للميعاد بالأمس. فأكلنا حتى أنهينا، والجفنة كما هي مدققة ثم دفع إلينا عساً من لبن - وكان علي يخدمنا - فشربنا كلنا حتى رؤينا والعس

(١) الجذعة: الغنم له سنة تامة - مجمع البحرين.

(٢) الفرق: بالفتح أو الكسر فالسكون: السقاء الممتلئ، وكيل كبير للبن، من أكبال المدينة.

على حاله .

حتى إذا فرغنا قال : يا بني عبد المطلب : إني نذير لكم من الله عز وجل ، إني أتيتكم بما لم يأت به أحد من العرب ، فإن تطيعوني ترشدوا وتفعلوا وتنجحوا . إن هذه مائدة أمري الله بها فصنعها لكم كما صنع عيسى بن مريم عليه السلام لقومه ، فمن كفر بعد ذلك منكم فإن الله يعذبه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين ، واتقوا الله واسمعوا ما أقول لكم . واعلموا - يا بني عبد المطلب - أن الله لم يبعث رسولا إلا جعل له أخاً ووزيراً ووصياً ووارثاً من أهله ، وقد جعل لي وزيراً كما جعل للأنبياء قبلي ، وإن الله قد أرسلني الى الناس كافة وأنزل عليّ : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وقد والله أنبأني به وسمّاه لي ، ولكن أمرني أن أدعوكم وأنصح لكم وأعرض لكم ، لئلا يكون لكم الحجة فيما بعد ، وأنتم عشيرتي وخالص رهطي ، فأيتكم يسبق اليها على أن يؤاخيني في الله ويؤازرني في الله عز وجل ، ومع ذلك يكون لي يداً على جميع من خالفني فأتخذه وصياً وولياً ووزيراً يؤدّي عني ويبلغ رسالتي ويقضي ديني من بعدي وعداتي مع أشياء أشرت بها ؟! فسكتوا . فأعادها ثلاث مرات ويسكتون ، ويشب فيها علي عليه السلام فلما سمعها أبو لهب قال : تبتاً لك يا محمد ولما جئتنا به ، ألهذا دعوتنا ؟!

فقال صلى الله عليه وسلم : أمّا والله لتقومن أو يكون في غيركم !

فوثب علي عليه السلام فقال : يا رسول الله أنا لها .

فقال رسول الله : يا أبا الحسن أنت لها ، قضي القضاء وجفّ القلم ، يا علي اصطفاك الله بأولها وجعلك وليّ آخرها^(١) .

فهذا خبر آخر عن مباشر آخر لم يُعرّف بأكثر من أنه عاشر عشرة من المدعوين من العشيرة الأقربين بني عبد المطلب، ومن أصحاب رسول الله . ويختلف عن خبر أبي رافع بإبدال موعد الدعوة من الشعب الى منزل أبي طالب - ولا يهم هذا بعد أن كان منزل أبي طالب في شعبه لأكثر من عامين - ومن عدد الأربعين الى العشيرة، وسيأتي الجمع بينهما، وبتفصيل أكثر أيضاً.

ولكنه يشترك مع خبر أبي رافع في استبعاد أن تكون الدعوة للإعلان بالنبوة بعد الكتان . بل تقريب أن تكون مسبقة بالإعلان لا الكتان، فقال الرسول لا زال لا يناسب ذلك .

سوى علي عليه السلام وهذين الصحابيين : أبي رافع ورجل من آل عبد المطلب لانجد فيما بأيدينا من رواية الخبر مباشراً آخر . ولعله لدفع وهم عدم اشتها القصة قال الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان» : وقد فعل ذلك النبي واشتهرت القصة بذلك عند الخاص والعام .

ثم أورد عن الثعلبي في تفسيره الخبر المأثور عن البراء بن عازب الأنصاري - وهو ثالث صحابي راوٍ للخبر غير مباشر فيه - قال : لما نزلت هذه الآية جمع رسول الله بني عبد المطلب - وهم يومئذ أربعون رجلاً - الرجل منهم يأكل المسنة (الجفرة) ويشرب العس . فأمر علياً عليه السلام برجل شاة فأدّمها^(١)، ثم قال : ادنوا بسم الله، فدنا القوم عشرة عشرة فأكلوا حتى صدروا، ثم دعا بقعب^(٢) من لبن فجرع منه جرعة ثم قال لهم : اشربوا بسم

(١) أدّمها : صنع منها أداماً أي طعاماً .

(٢) القعب : إناء من خشب للسوائل .

اللَّهُ، فشربوا حتى رُؤوا.

فبدرهم أبو لهب فقال: هذا ما سحركم به الرجل. فسكت يومئذ ولم يتكلم. ثم دعاهم من الغد على مثل ذلك من الطعام والشراب، ثم أذرهم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب! إني أنا النذير اليكم - من الله عز وجل - والبشير، فأسلموا وأطيعوني تهتدوا، ثم قال: من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي (في أهلي) يفضي ديني، فسكت القوم، فأعادها ثلاثاً كل ذلك يسكت القوم ويقول علي عليه السلام: أنا. فقال المرة الثالثة: أنت. فقام القوم وهم يقولون لأبي طالب: أطع ابنك فقد أمره عليك؟! (١).

ولا يمتاز الخبر عن الأولين بشيء سوى ما يمكن أن يجمع به بين عددي المدعوين في الخبرين: العشرة والأربعين، وذلك أن ابن عازب قال: فدنا القوم عشرة عشرة. وقد قال من قال: وهم يومئذ أربعون رجلاً. وسوى الخبر السابق عن تفسير الحجاج لانجد فيما بأيدينا أي خبر آخر عن أي رجل آخر من بني هاشم بل بني عبد المطلب من العشيرة الأقربين للنبي ﷺ المدعوين بهذه الدعوة الخاصة، حتى عن العباس عمه الحاضر في تلك الدعوة والمحجم عن الاستجابة لدعوة الرسول، مما جعله علي عليه السلام سبباً لوراثته من ابن عمه النبي دون عمه العباس، إن صح التعبير بالوارثة، وذلك:

فما رواه السيد ابن طاووس في «سعد السعود» عن تفسير الحجاج أيضاً عن الحسين بن الحكم الجري بأسناده ومنها عن الطبري بسنده عن

(١) جمع البيان للطبرسي ٧: ٣٢٢ عن تفسير الثعلبي.

ربيعة بن ناجد: أن رجلاً قال لعلي عليه السلام: يا أمير المؤمنين لم ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال علي عليه السلام: هاؤم! ثلاث مرّات حتّى أشرأب الناس ونشروا آذانهم ثم قال: دعا رسول الله، أو جمع بني عبد المطلب، كلّهم يأكل الجذعة ويشرب الفرق، فصنع لهم مدّاً من طعام فأكلوا حتّى شبّوا، وبقي الطعام كما هو كأنه لم يمس ثم دعا بغمراً^(١) فشربوا حتّى رَوُوا وبقي الشراب كأنه لم يمس ولم يشربوا^(٢) ثم قال: يا بني عبد المطلب إنّي بعث إليكم خاصّة، وإلى الناس عامّة، وقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم، فأأيكم يبايعني على أن يكون أخي وصاحبي ووارثي؟ فلم يقم إليه أحد.

فقمّت -وكنّت أصغر القوم سنّاً- فقال: اجلس. ثم قال (قوله) ثلاث مرّات كلّ ذلك أقوم إليه فيقول لي: اجلس حتّى كانت الثالثة، فضرب يده على يدي. فلذلك ورثت ابن عمّي دون عمّي^(٣).

ورواه الصدوق في «علل الشرائع» بسنده عن ربيعة بن ناجد^(٤). وكذلك الطبري في تأريخه^(٥) ولم نجد الخبر في كتاب الحبري المطبوع في طبعتين^(٦).

(١) الغمّر: القدح الصغير.

(٢) التكملة من الطبري ٢ : ٣٢١.

(٣) سعد السعود: ١٠٤، ١٠٥ ط الحيدرية. واسم الراوي في النسخة المطبوعة: أبي ربيعة بن ماجد، وفي البحار ١٨ : ٢١٤ أبي ربيعة بن ناجد وفي علل الشرائع ربيعة ابن ناجد وكذلك في الطبري ٣ : ٣٢١ وهو الصحيح.

(٤) علل الشرائع: ٦٧ كما في البحار ١٨ : ١٧٧.

(٥) تأريخ الطبري ٢ : ٣٢١.

(٦) طبعة السيد أحمد الحسيني. وطبعة السيد محمد رضا الحسيني الجلالي.

وهذا الخبر كالأخبار السابقة إنما ينسجم مع كون الدعوة في الشعب أو بعد الإعلان لا مع السر والكتان، ولا سيما بالنظر الى قوله ﷺ : «إني بعثت اليكم خاصة، والى الناس عامة». وهذه الجملة وإن كانت تنسجم مع المبادأة بالدعوة إلا أن سائر الجمل في كلام الرسول لا تنسجم وذلك. والخبر ليس فيه عدد المدعوين، ولكن...

روى مختصره فرات بن ابراهيم في تفسيره مسنداً عن علي عليه السلام قال : دعاهم فجمعهم على فخذة شاة وقعب من لبن، وإن فيهم يومئذ ثلاثين رجلاً^(١).

ونقله القمي في تفسيره فقال : نزلت بمكة فجمع رسول الله بني هاشم وهم أربعون رجلاً، كل واحد منهم يأكل الجذعة ويشرب القربة، فاتخذ لهم طعاماً يسيراً، وأكلوا حتى شبعوا، فقال رسول الله : من يكون وصيي ووزيري وخليفتي ؟ فقال لهم أبو هب : جزماً سحركم محمد. فنفروا. فلما كان اليوم الثاني أمر رسول الله ففعل لهم مثل ذلك، فقال لهم رسول الله : أيكم يكون وصيي ووزيري وخليفتي ؟ فقال أبو هب : جزماً سحركم محمد. فنفروا.

فلما كان اليوم الثالث أمر رسول الله ففعل لهم مثل ذلك فقال لهم رسول الله : أيكم يكون وزيري وينجز عداي ويقضي ديني ؟ فقام علي عليه السلام فقال : أنا يا رسول الله. فقال رسول الله : أنت هو. وكان أصغرهم سنّاً وأحمشهم - أي أدقهم - ساقاً وأقلهم مالاً^(٢).

(١) تفسير فرات : ١١١ و ١١٢، كما في البحار ١٨ : ٢١١، ٢١٢.

(٢) تفسير القمي ٢ : ١٢٤ ط النجف الأشرف.

وأول ما في هذا الخبر المختص بل المختزل بل المنقول بالمعنى لا النص هو أنه عبر عن المدعوين ببني هاشم لا بني عبد المطلب، ففوت المطعن على ابن تيمية ومن شاكله ممن طعن في الخبر بأن بني عبد المطلب لم يبلغوا يومئذ أربعين رجلاً. ولكن الخبر كسوابقه إنما ينسجم مع كون الدعوة في الشعب أو بعد الإعلان لامع السر والكتان، ولا مع مبادأتهم بالدعوة.

والطريق المسند للخبر عن علي عليه السلام غير منحصر بربيعة بن ناجد فالسيد كما رواه عنه في «سعد السعود» رواه في «الطرف» عن الأعمش^(١)، والصدوق الذي رواه عن بن ناجد رواه أيضاً بسند الأعمش عن عبد الله ابن الحارث بن نوفل عن علي عليه السلام قال: لما أنزلت ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ أي رهطك المخلصين، دعا رسول الله ﷺ بني عبد المطلب وهم إذ ذاك أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فقال: أيكم يكون أخي ووارثي ووزير ووصيي وخليفتي فيكم بعدي؟ فعرض عليهم ذلك رجلاً رجلاً، كلهم يأبى ذلك حتى أتى علي فقلت: أنا. يارسول الله، فقال: يا بني عبد المطلب هذا أخي ووارثي ووصيي ووزير ووصيي وخليفتي فيكم بعدي. فقام القوم يضحك بعضهم إلى بعض ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع وتطيع لهذا الغلام^(٢).

والخبر كسوابقه إنما ينسجم مع كون الدعوة في الشعب أو بعد الإعلان لا مع السر والكتان، ولا مع مبادأتهم بالدعوة، بل فيه تعريض بأبي طالب وكأنه عُرف بالسمع للرسول.

(١) علل الشرائع : ٦٨ كما في البحار ١٨ : ١٧٨ .

(٢) الطرف : ٧ كما في البحار ١٨ : ١٧٩ .

والسيد ابن طاووس والشيخ الصدوق قد اختصرا الخبر متناً وسنداً، وأكملها: الشيخ الطوسي في أماليه بطريقين عن الأعمش عن عبد الله بن الحارث بن نوفل عن عبد الله بن عباس عن علي عليه السلام قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ على رسول الله صلى الله عليه وآله دعاني فقال لي: يا علي، إن الله تعالى أمرني أن أنذر عشيرتي الأقربين، فضقت بذلك ذرعاً وعرفت أنني متى أبادهم بهذا الأمر أرى منهم ما أكره، فصمتُ على ذلك، فجاءني جبرئيل فقال: يا محمد أنك إن لم تفعل ما أمرت به عذبك ربك! فاصنع لنا يا علي - صاعاً من طعام واجعل عليه رجل شاة، واملاً لنا عُسّاً من لبن. ثم أجمع لي بني عبد المطلب حتى أكلهم وأبْلَغهم ما أمرت به.

ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم أجمع، وهم يومئذ أربعون رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، فيهم أعمامه: أبو طالب وحمة والعبّاس وأبو هب... فلما اجتمعوا له دعاني بالطعام الذي صنعت لهم، فجئت به، فلما وضعته تناول رسول الله صلى الله عليه وآله حِذْمَةً^(١) من اللحم فتنفها بأسنانه ثم ألقاها في نواحي الصفحة ثم قال: خذوا بسم الله. فأكل القوم حتى صدروا ما لهم بشيء من الطعام حاجة، وما أرى إلا مواضع أيديهم. وأيم الله الذي نفس علي بيده إن كان الرجل الواحد منهم ليأكل ما قدّمت لجميعهم. ثم جثتهم بذلك العُس فشربوا حتى رووا جميعاً، وأيم الله إن كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله. فلما أراد رسول الله أن يكلمهم بדרه أبو هب إلى الكلام فقال: لشدّ ما سحركم صاحبكم! فتفرّق القوم ولم يكلمهم رسول الله.

فقال لي من الغد: يا علي، إن هذا الرجل قد سبقني إلى ما سمعت من

(١) الحِذْمَة: القطعة، وفي الطبري: حِذْيَةٌ من اللحم: ما قطع طولاً.

القول فتفرّق القوم قبل أن أُكلّمهم. فعُدّ لنا من الطعام بمثل ما صنعت ثمّ اجمعهم لي. ففعلت ثمّ جمعتهم فدعاني بالطعام فقربته لهم، ففعل كما فعل بالأمس، وأكلوا حتّى ما لهم به من حاجة، ثمّ قال: اسقهم، فجثّتهم بذلك العسّ فشربوا حتّى رويوا منه جميعاً.

ثمّ تكلم رسول الله فقال: يا بني عبد المطلب إنّّي -والله- ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل ممّا جثّتهم به، إنّّي قد جثّتهم بخير الدنيا والآخرة، وقد أمرني الله عزّوجلّ أن أدعوكم إليه، فأيّكم يؤمن بي ويؤازرني على أمرٍ فيكون أخي ووصيي ووزيرٍي وخليفتي (في أهلي) من بعدي؟

فأمسك القوم وأحجموا عنها جميعاً.

فقمت ... فقلت: أنا -يا بني الله- أكون وزيرك على ما بعثك الله به. فأخذ بيدي -وإنّي لأحدثهم سنّاً وأرمصهم عيناً وأعظمهم بطناً وأحمشهم ساقاً- ثمّ قال: إنّ هذا أخي ووصيي ووزيرٍي وخليفتي فيكم فاسمعوا له وأطيعوا...

فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: قد أمرك أن تسمع لابنك وتطيع^(١).

وأما كئّيٰ ^{عليه} بدقّة الساق وعظم البطن ورمص العين أي وسخه عن صغر سنّه ويختلف هذا اللفظ من الخبر عن سوابقه بالنصّ على المبادأة بأمره معهم بهذه الدعوة. وإنّ كان ينقص عن خبر تفسير الحجام بعدم «انذار»

(١) إمامي الطوسي: ٢٠، ٢١ كما في البحار ١٨: ١٩١، ١٩٢ وروى مثله فرات بن إبراهيم في تفسيره: ١٠٨، ١٠٩.

فيه، كسوابقه.

ورواية الخبر عن عبد الله بن عباس نوع اعتراف بعدم إسلام أبيه العباس يومذاك بهذه الدعوة الخاصة المكررة ثلاثاً، بينما فيه - ما كان في الخبر السابق - من التعريض بأبي طالب وكأنه قد عُرف فيهم بالسمع والطاعة للرسول، كما فيه - وكما في سوابقه - معرفة أبي هب السابقة عن النبي بما وصفه بالسحر، فكأنه أمر قد عرف من قبل، وإن كان نص الخبر بالمبادأة.

وأحد الطريقين اللذين روى بهما الطوسي الخبر هو طريق الطبري إلى ابن عباس^(١) في تأريخه وتفسيره^(٢) واللفظ في الموضعين «وخليفتي فيكم» لا

(١) وطريق الطبري هكذا : حدثنا ابن محمد قال : حدثنا سلمة قال : حدثني محمد بن إسحاق (صاحب المغازي) عن عبد الغفار بن القاسم، عن المنهال بن عمرو، عن عبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، عن عبد الله بن عباس، عن علي بن أبي طالب قال ... ولكن الخبر لا يوجد في سيرة ابن هشام بصفته تهذيباً (١) لسيرة ابن إسحاق.

ولكن نقل نص ابن إسحاق القاضي النعمان المصري في كتابه : شرح الأخبار ١ : ١٠٦، ١٠٧ لا بلفظ المتكلم عن علي عليه السلام بل بلفظ حكاية الغائب وقول أبي هب فيه هكذا : لو لم تستدلوا على سحر صاحبكم إلا بما رأيتموه صنع في هذا الطعام واللبن لكفاكم. وهذا يدل على سابق معرفتهم باتهام النبي بالسحر. وقول الرسول فيه «وخليفتي فيكم» وليس خليفتي في أهلي.

(٢) تأريخ الطبري ٣ : ٣١٩ - ٣٢١ وتفسيره ١٩ : ٧٤، ٧٥ ط بولاق ولكنه في تفسيره حذف جملة «خليفتي فيكم» واستبدلها بجملة «كذا وكذا» في الموضعين فقال في الموضع الأول : «فأيكم يؤازرنى على هذا الأمر على أن يكون أخى وكذا وكذا» ! وفي الموضع الثاني : «إن هذا أخى وكذا وكذا» ! أما ابن كثير الشامي فكأنه استكثر هذه

«خليفتي في أهلي» والواسطة بين الطوسي والطبري : جماعة عن أبي المفضل عن الطبري، فمن أضاف أو حرّف؟ ليت شعري !
وقد مرّ عن الطبرسي أنّه روى الخبر في تفسيره «مجمع البيان» عن تفسير الثعلبي عن البراء بن عازب .

ورواه في «إعلام الوري» عن تفسيري الثعلبي النيسابوري وأبي

الجملة على علي عليه السلام فع اعتاده في تأريخه على تأريخ الطبري مع ذلك لم يعتمد عليه هنا بل عوّل على تفسيره كما فعل ذلك في تفسيره ٣ : ٣١٥ والبداية والنهاية ٣ : ٤٠٠ والسيرة النبوية له ١ : ٤٥٩ .

وجاء في «فلسفة التوحيد والولاية» للمرحوم الشيخ محمد جواد مغنية مامعناه : أنّ من القدماء الذين روى نص النبي على علي بالخلافة عندما دعا عشيرته وبلغهم رسالة ربه كل من : ابن حنبل في مسنده وابن الأثير في كامله . ومن المتأخرين : محمد عبد الله عثان في «تأريخ الجمعيات» ومحمد حسين هيكل في الطبعة الأولى من «حياة محمد» ولكنّه في الطبعة الثانية لما بعد في مقابل «خمسمائة جنيه» ! أخذها من «جماعة» حرّف منه جملة «خليفتي من بعدي» الى «خليفتي في أهلي» وبهذا قد مسخ الحديث المذكور . انظر : فلسفة التوحيد والولاية : ١٧٩ و ١٣٢ .

وجاء في التعليقة على «أعيان الشيعة» أنّ الدكتور هيكل في مقابل شراء الف نسخة من كتابه قد حرف الحديث ومسّخه في الطبعة الثانية منه واقتصر على جملة : أيكم يؤازرنّي على هذا الأمر .

هكذا ما حكاه السيد الحسيني في «سيرة المصطفى» : ١٣ ، ١٣١ . والصحيح ما في «الصحيح» : أن هيكل بعد أن ذكر في الطبعة الأولى من حياة محمد : ١٠٤ نص الطبري في التأريخ : عاد في الطبعة الثانية ١٣٥٤ هـ صفحة : ١٣٩ فحذف «خليفتي فيكم» واقتصر على قوله : «ويكون أخي ووصيي» أمّا الخمسمائة جنيه فإنّها كانت ثمن ألف نسخة من كتابه كلّ نسخة بنصف جنيه . فلا منافاة ولا خلاف ، ولكنّه الاعتساف وخلاف الشرع والإنصاف .

سعيد الخرگوشي، بعنوان: ممّا ذكره الرواة، من دون تعيين راوٍ خاص قال: جمع بني عبد المطلب في دار أبي طالب وهم أربعون رجلاً يومئذٍ يزيدون رجلاً أو ينقصون رجلاً، وكان قد صنع لهم فخذ شاة مع مدّ من البر وأعدّ لهم صاعاً من اللبن، وقد كان الرجل منهم يأكل الجذعة في مقام واحد ويشرب القربة من الشراب. ثمّ أمر بتقديمه لهم، فقدم وأكلت الجماعة من ذلك اليسير حتّى علّوا منه، ولم يبيّن فيه ما أكلوه وما شربوه منه.

ثمّ قال لهم بعد أن شبّعوا ورووا: يا بني عبد المطلب إنّ الله قد بعثني الى الخلق كافة، وبعثني إليكم خاصّة فقال: ﴿وأندّر عشيرتك الأقربين﴾ وأنا أدعوكم الى كلمتين خفيفتين في الميزان تملكون بها العرب والعجم وتنقاد لكم بهما الأمم وتدخلون بها الجنة وتنجون بهما من النار: شهادة أن لا إله الا الله وأنّي رسول الله. فمن يجيبني الى هذا الأمر ويؤازرني على القيام به حتّى يكون أخي ووصيي ووزير ووارثي وخليفتي من بعدي؟! فلم يجب أحد منهم. فقام علي عليه السلام وقال: أنا يا رسول الله أوأزرك على هذا الأمر، فقال: اجلس فأنت أخي ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي، فنهض القوم وهم يقولون لأبي طالب: يهنك اليوم أن دخلت في دين ابن أخيك وقد جعل ابنك أميراً عليك^(١).

ولم يذكر الطبرسي لهذه الرواية اسم راوٍ خاص، وقد يكون نقلاً بالمعنى دون لفظ خاص، ومهما كان فإن هذا اللفظ ينسجم مع المبادأة بالدعوة، ويشترك مع سوابقه في عدم الإنذار فيه اللهم إلا مفهوم قوله: «وتنجون بهما من النار» بلا بيان النار أي نار هي؟ وأيضاً في آخره ما

يُشعر باستشعار القوم الميل الى دينه من أبي طالب عليه السلام فهو عن ذلك .
 أمّا ابن شهر آشوب في «المناقب» فقد أشار الى ما ذكره الطبري في
 تأريخه وقبله محمد بن إسحاق في كتابه وأحمد في مسنده وفضائل الصحابة
 والخروشي في تفسيره عن أبي رافع والبراء بن عازب وابن عباس وربيعة
 ابن ناخذ وأضاف ابن جبير، وأدخل أخبارهم بعضها في بعض ثم نقل نظم
 الخبر في شعر دعل الخزاعي وستة مقاطع من شعر الحميري ومقطعين من
 العوني^(١).

هذا ما ذكره بعنوان «مسابقته في البيعة» في فضائل علي عليه السلام، ولكنه
 قبل ذلك في مبعث النبي قال: روى أنه لما نزل قوله: ﴿وأندر عشيرتك
 الأقربين﴾ صعد رسول الله ذات يوم الصفا فقال: يا صباحاه! فاجتمعت
 اليه قريش فقالوا: مالك؟ قال: أرايتكم إن أخبرتكم أن العدو مصبحكم
 أو ممسيكم ماكنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى. قال: فإني نذير لكم بين يدي
 عذاب شديد! فقال أبو لهب: تباً لك ألهذا دعوتنا! فنزلت سورة ^(٢) تبّت
 واكتفى المجلسي في باب المبعث^(٣) من «المناقب» بهذا الفصل وهذا النقل فقط،
 فبدأ وكأن هذا كل ما يرويه ابن شهر آشوب في هذه الآية.
 بينما الخبر مرسل، أول ما فيه أنه ليس إنذاراً للأقربين بل لقريش فهو
 على خلاف لفظ الآية.

(١) المناقب ١ : ٢٤ - ٢٦ . وذكر مختصر الخبر الاربلي في «كشف الغمة» ١ : ٣٢٧ - ٣٢٨
 عن ابن البطريق في «العمدة» وقال : «سبق ذكره أبسط من هذا» . ولكني لم أجده فيه
 قبل هذا .

(٢) المناقب ١ : ٤٦ .

(٣) البحار ١٨ : ١٩٧ .

ولعلّه لهذا قدّم الطبري في تأريخه حول الآية رواية ابن عباس ثمّ ابن ناجد السابقين، وقد نقل الأوّل عن ابن إسحاق، ثمّ عاد فنقل عنه -وجعله ثالثاً وآخر ما نقل حول الآية- عن الحسن البصري قال: لما نزلت هذه الآية على رسول الله: ﴿وأُنذِرَ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله بالأبطح ثمّ قال: يا بني عبد المطلب، يا بني عبد مناف، يا بني قصي، ثمّ فخذ قريشاً قبيلة قبيلة حتّى مرّ على آخرهم فقال: إني أدعوكم الى الله وأُنذركم عذابه^(١).

ولكنّ الطبري -كما نذكر في مثل هذا النقل من ضعف الإرسال في السند ومن الإشكال في متنه ودلالته، وكأنتها لم يريا بين معنى الآية وما نقله من عمل الرسول بها أيّ تناف أو خلاف.

والظاهر أنّ ما أرسله ابن شهر آشوب هو ما في «الدر المنثور» عن البخاري وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه وابن أبي حاتم وسعيد بن منصور عن ابن عباس. وعلى هذا فتكون الرواية عن ابن عباس على صورتين: الأولى عنه عن علي عليه السلام في يوم الدار والدعوة، والثانية هذه الموقوفة عليه من دون اسناد عن أبيه العباس أو علي عليه السلام، فالأولى هي الأولى بالقبول سنداً وموافقة للكتاب، والثانية مقطوعة مخالفة لظاهر الآية: «الأقربين» فهي هراء.

وأظهر منها هراء ما في «الدر المنثور» أيضاً عن أحمد والبخاري ومسلم والترمذي وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في «شعب الإيمان» وفي «الدلائل» عن أبي هريرة قال: لما نزلت

(١) الطبري ٣: ٣٢٢ والخبر في التفسير ١٩: ٧٥ ط بولاق.

هذه الآية ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ دعا رسول الله قريشاً وعمّ وخصّ فقال: يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإنّي لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً. يا معشر بني كعب بن لؤي... يا معشر بني قصي... يا معشر بني عبد مناف... يا بني عبد المطلب... في كلّها يقول: أنقذوا أنفسكم من النار فإنّي لا أملك لكم ضرراً ولا نفعاً. وفي آخر الخبر: يا فاطمة بنت محمّد انقذي نفسك من النار فإنّي لا أملك لك ضرراً ولا نفعاً، إلّا أنّ لكم رحماً وسأبّلها ببلاها!

فهذه الرواية أبعد ما تكون من الآية حيث تقول: إنّ الله جلّ جلاله جعل يدعو قريشاً قبيلة قبيلة، فكأن أبا هريرة يعمّم الإنذار قريشاً عامة، بينما الآية تصرّح بالعشيرة الأقربين، وهم إمّا بنو عبد المطلب أو بنو هاشم. وكأنّ أبا هريرة -أو من أجرى هذا الهراء على لسانه- كان ناظراً إلى هذا الإشكال بالخلاف بين عمل الرسول بالتعميم ومفاد الآية بالتخصيص، فقال: «وعمّ وخصّ» وهو لا يرفع الإشكال. ثمّ كيف دعاهم فجمعهم فأنذرهم بهذا؟ وكيف جمع معهم ابنته فاطمة وكم كان عمرها يومئذ؟ وابن كان أبو هريرة يوم نزول الآية وقد أسلم قبل وفاة النبيّ ببضع سنين والخبر مقطوع عليه. فهو مردود.

وأبعد من ذلك في الابتعاد بمفاد الآية عن الإمام علي عليه السلام وفضله وسبقه ما في «الدر المنثور» أيضاً عن الطبراني وابن مردويه عن أبي امامة قال: لما نزلت ﴿ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ جمع رسول الله بني هاشم فأجلسهم على الباب، وجمع نساءه وأهله فأجلسهم في البيت، ثمّ أطلع عليهم فقال: يا بني هاشم اشتروا أنفسكم من النار، واسعوا في فكاك رقابكم وافتكّوها بأنفسكم من الله فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً. ثمّ

أقبل على أهل بيته فقال: يا عائشة بنت أبي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا أم سلمة ويا فاطمة بنت محمد، ويا أم الزبير عمّة رسول الله، اشتروا (كذا) أنفسكم من الله واسعوا في فكاك رقابكم فإنّي لا أملك لكم من الله شيئاً ولا أغني!

نقل كلّ ذلك العلامة الطباطبائي في تفسيره «الميزان» وعلّق على هذه الرواية الثالثة فقال: فقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ آية مكّيّة في سورة مكّيّة، ولم يقل أحد بنزل الآية بالمدينة، فأين كانت يوم نزولها عائشة وحفصة وأم سلمة ولم يتزوج النبي ﷺ بهنّ إلا في المدينة؟ ثمّ قال: فالمعتمد من الروايات ما يدلّ على أنّه ﷺ خصّ بالإنذار يوم نزول الآية بني هاشم أو بني عبد المطلب. ثمّ يقول: ومن عجيب الكلام قول الآلوسي بعد نقل الروايات: وإذا صحّ الكلّ (بنقل الصحاح) فطريق الجمع أن يقال بتعدد الإنذار! (١).

ومن نافلة القول أن نقول: لا يرد عندنا أيّ احتمال في افتعال هذه الأقوال حول هذه الآية، سوى الابتعاد بمفادها حسب الخبر الصحيح عمّا في ذلك من الدليل على سبق علي عليه السلام في الإيمان وسبق قول الرسول له: «أنت أخي ووصيي ووارثي وخليفتي من بعدي». ولكنّ لاحافضة لكذب:

ومهما تكن عند امرئ من خليقة وإنّ خالها تخفى على الناس تُعلم
نعم من الرواة من لم يكن يفكر في شيء سوى الفخر بأسلافه، فلم يأبه بذكر شيء سوى ذلك.

نجد مثال ذلك في هذا الموضوع عند اليعقوبي حيث روى الخبر عن الفضل بن عبدالرحمن الهاشمي من ولد ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب. قال: أمره الله عز وجل أن ينذر عشيرته الأقربين، فوقف على «المروة» ثم نادى بأعلى صوته: يا آل فهر؛ فاجتمعت إليه بطون قريش حتى لم يبق أحد منهم، فقال له أبو لهب: هذه فهر، فنادى: يا آل غالب فانصرف غيرهم (وهكذا... حتى نادى) يا آل هاشم فأقام بنو عبدالمطلب، فقال أبو لهب: هذه هاشم قد اجتمعت. فجمعهم في دار الحارث بن عبد المطلب (!) وكانوا أربعين رجلاً يزيدون رجلاً أو ينقصونه. فصنع لهم طعاماً فأكلوا عشرة عشرة حتى شبعوا، وكان جميع طعامهم رجل شاة وشرابهم عساً من لبن، وإن منهم من يأكل الجذعة ويشرب الفرق. ثم أنذرهم وأعلمهم تفضيل الله إياهم واختصاصه لهم إذ بعثه بينهم وأمره أن ينذرهم (!)

فقال أبو لهب: خذوا على يد صاحبكم قبل أن يأخذ على يده غيركم، فإن منعتموه (أي حاميتموه) قُتِلْتُمْ، وإن تركتموه ذللتُم! فقال أبو طالب: يا عورة؛ والله لننصرنه ثمّ لتعيننّه. يابن أخي إذا أردت أن تدعو إلى ربك فأعلمنا حتى نخرج معك بالسلاح. وأسلم يومئذ جعفر بن أبي طالب، وعتبة بن الحارث^(١).

أمّا علي فلا كلام عنه! وأمّا هذه الدعوة بهذه الكيفية فقد انفرد بها اليعقوبي، وهي عجيبة غريبة، بعيدة عن الحكمة والمعقول، فهي مردودة. ولا يفوتني في الخاتمة أن الفت نظر القراء الكرام إلى أن ما عدا هذا الخبر الأخير من أخبار الإنذار في يوم الدار للأقربين من العشيرة، تكاد

تُجمع على أنَّ المعدَّ للطعام وطابخه لهم هو علي عليه السلام دون سواه لا خديجة ولا جوارِها ولا فاطمة بنت أسد... قد يكون في ذلك سرُّ إلهي... وقد يكون ذلك ممَّا يؤيِّد كون الدعوة أيام المحاصرة في شعب أبي طالب عليه السلام.

الفصل الرابع

إعلان الدعوة

مرحلة الدعوة العلنية العامة:

روى الصدوق في «إكمال الدين» بإسناده عن عبد الله بن علي الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: مكث رسول الله ﷺ بمكة بعد ما جاءه الوحي عن الله تبارك وتعالى ثلاث عشرة سنة، مستخفياً منها ثلاث سنين، خائفاً لا يظهر حتى أمر الله عز وجل أن يصدع بما أمر، فأظهر حينئذ الدعوة^(١).

وروى العياشي في تفسيره عن الحلبي عن الصادق عليه السلام قال: اكتم رسول الله ﷺ بمكة سنين ليس يظهر، وعليّ معه وخديجة، ثم أمره الله أن يصدع بما يؤمر، فظهر رسول الله ﷺ فجعل يعرض نفسه على قبائل العرب، فإذا أتاهم قالوا: كذاب، امض عنا^(٢).

وروى الصدوق في «معاني الأخبار» و«الخصال» بسنده عن أبان بن

(١) إكمال الدين: ١٩٧ كما في البحار ١٨ : ١٧٧ .

(٢) تفسير العياشي ٢ : ٢٥٣ .

عثمان الأحمر البجلي الكوفي قال: كان المستهزئون (برسول الله) خمسة من قريش: الوليد بن المغيرة المخزومي، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب، والحارث بن الطلائع الثقفي^(١). ورواه العياشي بزيادة: فلما قال الله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ علم رسول الله أنه قد أخزاهم، فأماهم الله بشرّ ميتات^(٢).

وقال القمي في تفسيره: إنّ النبوة نزلت على رسول الله يوم الاثنين وأسلم علي يوم الثلاثاء ثمّ أسلمت خديجة زوج النبي ﷺ، ثمّ دخل أبو طالب الى النبي وهو يصلي وعلي بجانبه، وكان مع أبي طالب جعفر، فقال له أبو طالب: صلّ جناح ابن عمك، فوقف جعفر على يسار رسول الله، فبدر رسول الله من بينهما. فكان رسول الله يصلي، وعلي وجعفر وزيد بن حارثة وخديجة يأتون به.

فلما أتى لذلك ثلاث سنين أنزل الله عليه ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾^(٣).

والمستهزئون برسول الله خمسة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل السهمي، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن طلائع الخزاعي.

أمّا الوليد: فكان رسول الله دعا عليه - لما كان يبلغه من أيدائه واستهزائه - فقال: اللهم اعم بصره واثكله بولده! فعمي بصره... ومّرّ

(١) الخصال ١: ٢٧٨، ٢٧٩.

(٢) تفسير العياشي ٢: ٢٥٢.

(٣) الحجر: ٩٤ - ٩٥.

برجل من خزاعة وهو يريش نبالاً له فوطاً على بعضها فأصاب عقبه قطعة من ذلك فدميت. فرّ رسول الله ومعه جبرئيل فقال جبرئيل: يا محمد، هذا الوليد بن المغيرة، وهو من المستهزين بك؟ قال: نعم، فلما مرّ أشار جبرئيل إلى ذلك الموضع (من النبل في عقبه) فرجع الوليد إلى منزله ونام على سريرته، فسال منه الدم حتى صار إلى فراش ابنته، فانتبهت فقالت: انحلّ وكاء القربة! قال الوليد: ما هذا وكاء القربة ولكنه دم أبيك، فاجمعي لي ولدي وولد أخي فإني ميت. فجمعتهم.

فقال لعبد الله بن أبي ربيعة: إنّ عُمارة بن الوليد بأرض الحبشة بدار مضيعة، فخذ كتاباً من محمد إلى النجاشي أن يرده! ثمّ فاضت نفسه. ومرّ ربيعة بن الأسود^(١) برسول الله، فأشار جبرئيل إلى بصره فعمي ومات.

ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار جبرئيل إلى بطنه فلم يزل يستسقي حتى انشق بطنه.

ومرّ العاص بن وائل فأشار جبرئيل إلى رجله، فدخل عود في أخمص قدميه وخرج من ظاهره ومات.

ومرّ به الحارث بن طلائة فأشار جبرئيل إلى وجهه، فخرج إلى جبال تهامة فأصابته من السماء ديم فاستسقى حتى انشق بطنه. فهذا هو قول الله: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾.

فخرج رسول الله ﷺ فقام على الحجر فقال: «يا معشر قريش،

(١) كذا، ولم يذكر كذلك من قبل، والظاهر أنّ ربيعة هنا مصحف: أبي زمعة الأسود بن المطلب!

يامعشر العرب، ادعوكم الى شهادة أن لا إله إلا الله وأنني رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة».

فاستهزأوا به وقالوا: جُنَّ محمد بن عبد الله. ولم يجسروا عليه لموضع أبي طالب^(١).

وظاهر هذا الأخير هو المبادأة بالدعوة العلنية، بعد ثلاث سنين من نزول النبوة عليه ﷺ كما صرح به في أول مقاله، وكما مرّ في الخبر الأول عن تفسير العياشي عن الصادق عليه السلام.

وأيضاً ظاهر الأخير من كلام القميّ أنّ ذلك كان بعد هلاك المستهزئين به لاقبله، ولكنّ مقاله خلو من الاجابة على أن هؤلاء المستهزئين بماذا كانوا يستهزئون في مرحلة الكتان؟

أمّا طلب الوليد من عبد الله بن ربيعة أن يأخذ من محمد كتاباً الى النجاشي بأرض الحبشة أن يردّ عمارة بن الوليد الى مكة، فلا يلزم سابق الإعلان فقط بل يستلزم أن يكون ذلك بعد الهجرة الى الحبشة واكتشاف ميل النجاشي الى الدين الجديد! والقمي في مقاله هذا مرّ عليه مرور الكرام وكأنّه لم يلتفت الى هذه المفارقة الواضحة، وكذلك كلّ من نقل عنه مقاله هذا.

أمّا الطبرسي في تفسيره فقد قال: ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ عن ابن عباس وابن جريج ومجاهد وابن زيد والزجاج: أي أظهر وأعلن وأبشّر وصرّح بما أمرت به غير خائف. وقال الزجاج: والصدع في الزجاج

والجدار بينونة بعضه عن بعض. وعن أبي مسلم: ﴿وأعرض عن المشركين﴾ أي لا تلتفت إليهم ولا تخف منهم. ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ أي شرّ المستهزئين واستهزاءهم بأنّ أهلكتناهم.

فعن ابن عباس وابن جبير: أنّهم كانوا خمسة نفر من قريش: العاص بن وائل، والوليد بن المغيرة، وأبو زمعة الأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن قيس.

وعن محمد بن ثور: كانوا ستة رهط، وسادسهم: الحارث بن الطلائة.

قالوا: أتى جبرئيل النبي ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت، فقام جبرئيل ورسول الله إلى جنبه، فرّبه الوليد بن المغيرة المخزومي فأومى بيده إلى ساقه، فرّ الوليد على قين لحزاعة وهو يجر ثيابه فتعلقت بثوبه شوكة، فنعه الكبر أن يخفض رأسه فينزعها، وجعلت تضرب ساقه فخدشته، فلم يزل مريضاً حتى مات.

ومرّ به العاص بن وائل السهمي فأشار جبرئيل إلى رجله فوطأ العاص على شوكة فدخلت في أخمص رجله فلم يزل يحكّها حتى مات. ومرّ به الأسود بن المطلب بن عبد مناف فأشار إلى عينه فعمي. وقيل: رماه بورقة خضراء فعمي وجعل يضرب رأسه على الجدار حتى هلك.

ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار إلى بطنه فاستسقى حتى مات. وقيل: أصابته السموم فصار أسود، فأتى أهله فلم يعرفوه فطردوه فمات.

ومرّ به الحارث بن الطلائة فأومى إلى رأسه فامتخط قيحاً فمات.

وقيل : إنّ الحرث بن قيس أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فما زال يشرب حتى انقذ بطنه فمات^(١).

ولئن كان الطبرسي صاحب التفسير هذا قد لخص بعض الأخبار عن غير الأئمة الأطهار عليهم السلام بشأن هؤلاء المستهزين، في كتابه هذا «مجمع البيان» تبعاً للشيخ الطوسي في كتابه «التبيان» وإن كانت رواية ابن عباس فيما رواه مقطوعة عليه دون أن يسندها إلى علي عليه السلام فإن الطبرسي الآخر صاحب «الاحتجاج» قد روى بشأن المستهزين خبراً مبسوطاً عن الإمام الكاظم عن جده الحسين عليه السلام فيما أجاب به علي عليه السلام حبراً يهودياً شامياً جاء إلى مجلس فيه أصحاب رسول الله : أبو معبد الجهني وعبد الله بن مسعود وعبد الله بن عباس^(٢) مما يكشف لنا عن مصدر خبر ابن عباس عن ذلك.

ولئن كان الخبر في «الاحتجاج» مرسلًا مرفوعاً فقد رواه الصدوق في كتابيه «معاني الأخبار» و«الخصال» مسنداً، قال : فأما المستهزون فقال الله عز وجلّ له : ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِينَ﴾ فقتل الله خمستهم، قد قتل كل واحد منهم بغير قتلة صاحبهم، في يوم واحد :

أما الوليد بن المغيرة : فإنه مرّ بنبل لرجل من بني خزاعة قد راشه في الطريق، فأصابته شظية منه فانقطع أكحل^(٣) حتى أدماه فمات وهو يقول : قتلني ربّ محمد.

(١) مجمع البيان ٦ : ٥٣٣، ٥٣٤.

(٢) الاحتجاج ٢ : ٣١٤ - ٣٢٢.

(٣) الاكل : عرق الحياة في اليد - القاموس .

وأما العاص بن وائل السهمي: فإنه قد خرج في حاجة إلى كداء^(١) فتدهده^(٢) تحته حجر فسقط فتقطع قطعة قطعة فمات وهو يقول: قتلني رب محمد.

وأما الأسود بن عبد يغوث: فإنه خرج يستقبل ابنه زمعة ومعه غلام له، فاستظل بشجرة تحت كداء، فأتاه جبرئيل عليه السلام فأخذ رأسه فنطح به الشجرة فقال لغلامه: امنع هذا عني: فقال: ما أرى أحداً يصنع بك شيئاً إلا نفسك! فقتله وهو يقول: قتلني رب محمد.

قال الصدوق: وفي خبر آخر قول آخر: أن النبي ﷺ قد دعا عليه أن يعمي الله بصره وأن يشكله ولده، فلما كان ذلك اليوم جاء حتى صار إلى كداء فأتاه جبرئيل عليه السلام بورقة خضراء فضرب بها وجهه فعمي، وبقي حتى أكله الله بولده يوم بدر ثم مات.

وأما الحارث بن الطلائع: فإنه خرج من بيته في السموم فتحول حبشياً فرجع إلى أهله فقال: أنا الحارث فغضبوا عليه فقتلوه وهو يقول: قتلني رب محمد.

وأما الأسود بن المطلب: فإنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه غلبة العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشق بطنه فمات وهو يقول: قتلني رب محمد. وذلك أنهم كانوا بين يدي رسول الله ﷺ فقالوا له: يا محمد ننتظر بك إلى الظهر فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك! فدخل النبي منزله فأغلق عليه باباً مغتماً بقولهم. فأتاه جبرئيل عليه السلام

(١) كداء - كسماء - جبل بأعلى مكة. القاموس ومراسد الإطلاع.

(٢) تدهده: تدحرج.

ساعة فقال له : يا محمد، السلام يقرئك السلام وهو يقول : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ أظهر أمرك لأهل مكة وادع، ﴿ وأعرض عن المشركين ﴾ قال : يا جبرئيل كيف أصنع بالمستهزئين وما أوعدوني ؟ قال له : ﴿ إنا كفيناك المستهزئين ﴾ قال : يا جبرئيل كانوا عندي الساعة بين يدي ؟ فقال : قد كفيتهم . فأظهر أمره عند ذلك^(١) .

أما هذا المقطع الأخير من الخبر فهو صريح في أن قوله سبحانه : ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ليس بداية مرحلة الدعوة العلنية، بل كان بادئاً بها من قبل مواجهاً ومقابلاً بها المشركين ومنهم هؤلاء المستهزئون، قد بلغت المواجهة بعد الاستهزاء إلى حد التهديد بالقتل إن لم يرجع عن قوله، وأن قوله سبحانه ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ ليس إلا إخباراً برفع المانع بعد وجود المقتضي كما يقولون، لا إيجاداً للمقتضي . فكيف التوفيق ؟ وعلى هذا فعنى الإعراض عن المشركين هنا هو عدم الاعتناء والاعتداد بتهديدهم . ومعنى قوله ﴿ فاصدع ﴾ هو عدم ترتيب الأثر على تهديدهم بدخول الدار وغلق الباب والامتناع عن الدعوة بالرسالة، وليس البدء بها .

وقد مرّ في خبر الطبرسي : قالوا : أتى جبرئيل النبي ﷺ والمستهزئون يطوفون بالبيت . . . ولا نجد هذا في خبر الكاظم عن علي عليه السلام ، ومتى كان ذلك هل قبل نزول الآية أم بعدها ؟

نجد جواب ذلك فيما رواه الراوندي في « الخرائج والجرائح » قال : روي أنّه لما نزل ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين ﴾ بشّر النبي أصحابه : أن الله كفاه أمرهم يعني خمسة نفر، فأتى

الرسول ﷺ البيت والقوم في الطواف وجبرئيل عن يمينه .
فرَّ الأسود بن المطلب، فرمى (جبرئيل) بورقة في وجهه خضراء
فأعمى الله بصره وأكله بولده .
ومرَّ به الأسود بن عبد يغوث فأوماً الى بطنه فاستسقى ماء فمات
حبناً^(١) .

ومرَّ به الوليد بن المغيرة فأوماً الى جرح كان في أسفل رجله فانتقض
بذلك فقتله .

ومرَّ به العاص بن وائل السهمي فأشار الى أخمص رجله فخرج على
حمار له يريد الطائف فدخلت في (أخمص رجله) شوكة فقتلته .
ومرَّ به الحارث بن طلائة فأوماً اليه فتقيأ قيحاً فمات^(٢) .

إذن فإتيان جبرئيل بالرسول الى البيت ومرور هؤلاء المستهزئين به
في طوافهم حول البيت، وإيماء الرسول اليهم بالتعريف وإيماء جبرئيل اليهم
بالعذاب، كان بعد نزول جبرئيل عليه بالآيات وتبشيريه لأصحابه بها
وبهلاك المستهزئين حسب ما جاء فيها .

أمّا ما اختصره الطبرسي في تفسيره عن ابن عباس وابن جبير ومحمد
ابن ثور، فقد نقله ابن شهر آشوب عنهم فقال : كان المستهزئون به جماعة
منهم : الوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، وأبو
زمعة الأسود بن المطلب، والعاص بن وائل السهمي، والحارث بن قيس
السهمي، وعقبة بن أبي معيط وقهيلة بن عامر الفهري، والأسود بن الحرث،

(١) حبناً : من عظم البطن تورماً من الاستسقاء .

(٢) البحار ١٨ : ٢٤٠ .

وأبو أجيحة سعيد بن العاص، والنضر بن الحرث العبدي، والحكم بن العاص بن أمية، وعتبة بن ربيعة، وطعيمة بن عدي، والحرث بن عامر بن نوفل، وأبو البخترى العاص بن هاشم بن أسد، وأبو جهل، وأبو لهب. وكلهم قد أفناهم الله بأشد نكال.

وكانوا قالوا له: يا محمد ننتظر بك الى الظهر، فإن رجعت عن قولك وإلا قتلناك! فدخل منزله وأغلق عليه بابه، فأتاه جبرئيل ساعته فقال له: يا محمد، السلام يقرأ عليك السلام وهو يقول: ﴿اصدع بما تؤمر﴾ وأنا معك وقد أمرني ربي بطاعتك.

فلما أتى البيت رمى الأسود بن المطلب في وجهه بورقة خضراء وقال: اللهم اعم بصره واثكله بولده. فعمي وأثكله الله بولده. وروى: أنه أشار الى عينه فعمي فكان يضرب رأسه على الجدار حتى هلك.

ثم مرّ به الأسود بن عبد يغوث فأومى الى بطنه فاستسقى ماء ومات حبناً.

ومرّ به الوليد فأومى الى جرح اندمل في بطن رجله من نبل فتعلقت به شوكة فن فخدشت ساقه ولم يزل مريضاً حتى مات.

ومرّ به العاص فعابه، فخرج من بيته فلفحته السموم، فلما انصرف الى داره لم يعرفوه فباعدوه فمات غماً. وروى أنهم غضبوا عليه فقتلوه. وروى أنه وطأ على شبرقة^(١) فدخلت في أخمص رجله فقال: لدغت فلم يزل يحكّها حتى مات.

(١) الشبرق: نبت حجازي يؤكل وله شوكة.

ومرّ به الحارث بن طلائلة فأومئ إلى رأسه فتقيّاً قيحاً. ويقال: لدغته الحية. ويقال: خرج إلى كداء فتدهده عليه حجر فتقطع. وأما الأسود بن الحارث: فإنه أكل حوتاً مالحاً فأصابه العطش فلم يزل يشرب الماء حتى انشقت بطنه.

فأما قهيلة بن عامر: فخرج يريد الطائف ففقد ولم يوجد. وأما عيطلة: فإنه أتى بشوك فأصاب عينيه فسالت حدقته على وجهه. وقيل: استسقى فمات.

وأما أبو هلب: فإنه (مات بعد بدر والخبر عن أبي رافع قال) سأل أبا سفيان عن قصة بدر (ونحن حضور) فقال: إنا لقيناهم فلقينا رجالاً بيضاً على خيل بلق بين السماء والأرض لا يقوم لها شيء، وأيم الله مع ذلك مامكت الناس، لقيناهم فنحناهم أكتافنا فجعلوا يقتلوننا ويأسروننا كيف شاؤوا.

(قال أبو رافع) فقلت لأُمّ الفضل زوجة العباس: تلك الملائكة (فسمعتني أبو هلب) فجعل يضربني، فضربت أُمّ الفضل على رأسه بعمود الخيمة، ففلقت رأسه بشجرة منكرة، ورماه الله بالعدسة (الطاعونية) فعاش سبع ليال (ومات) وكانت قريش تتقي العدسة، فتركه ابنه ثلاثاً لا يدفنه، حتى رمته قريش على جدار بأعلى مكة وقذفوا عليه الحجارة حتى واروه بها^(١).

وروى ابن إسحاق خبر المستهزين عن عروة بن الزبير قال: كان عطاء المستهزين خمسة نفر من ذوي الأسنان والشرف في قومهم:

من بني أسد بن عبد العزى: الأسود بن المطلب .
 ومن بني زهرة: الأسود بن عبد يغوث .
 ومن بني مخزوم: الوليد بن المغيرة .
 ومن بني سهم: العاص بن وائل .
 ومن بني خزاعة: الحارث بن الطلائة .
 فلما تمادوا في الشرّ وأكثروا برسول الله الاستهزاء، أنزل الله تعالى عليه ﴿ فاصدع بما تؤمر ﴾ وأتى جبرئيل رسول الله وهم يطوفون بالبيت، فقام وقام رسول الله الى جنبه، فرّ به الأسود بن عبد المطلب فرمى في وجهه بورقة خضراء فعمي . ومرّ به الأسود بن عبد يغوث فأشار الى بطنه فاستقى بطنه فمات حبناً (أي انتفاخاً) ومرّ به الوليد بن المغيرة فأشار الى أثر جرح بأسفل كعب رجله كان قد أصابه قبل ذلك بسنين، فانتفض به فقتله . ومرّ به العاص بن وائل فأشار الى أخمص رجله فخرج على حمار له يريد الطائف فربض به على شبارقة (شجرة) فدخلت في أخمص رجله شوكة فقتلته . ومرّ به الحارث بن الطلائة فأشار الى رأسه فامتخط قيحاً فقتله^(١) .
 والخبر السابق نقله ابن شهر آشوب عن تفسير محمد بن ثور وهو عن التابعي سعيد بن جبير وعن ابن عباس مقطوعاً عليه، وإنما جاء اسم أبي رافع في آخر الخبر، ولعله هو الراوي المعاصر الناقل لابن عباس . وقد مرّ في خبر الصدوق عن الكاظم عن علي عليه السلام أنّ ابن عباس كان حاضراً في المجلس سامعاً للخبر عن علي عليه السلام، فلعلّ ما بين الخبرين من خلاف جاء من رواية أبي رافع أو ادخال ابن عباس للخبرين بعضهما في بعض .

والمستهزئون في هذا الخبر سبعة عشر رجلاً فصلّ مقتل تسعة منهم وأجل الباقين، وآخر المذكورين بالتفصيل أبو هب مع التصريح بمقتله بعد بدر، والمومى اليه منهم خمسة فحسب فلعلّ هذا هو وجه الجمع المعقول بين الخبرين، ولعلّه هو وجه اختصار الخبر عند الطبرسي.

وإذا استثنينا خبر تفسير القميّ بما فيه ممّا يلزم حدوثه بعد الهجرة الى الحبشة، فلا يبقى في سائر الأخبار إلّا عدم وضوح باعث الاستهزاء في حال اختفاء الدعوة، ممّا لم نجد الجواب المقنع عنه، اللهم إلّا أن نقول - كما في خبر الصدوق وابن عبّاس - بأنّ الصدع بالأمر لم يكن بداية إعلان بل كان عن امتناع وقع للتهديد الأكيد من هؤلاء المستهزئين كما مرّ، وهو المتعيّن الراجع.

وقد مرّ في خبر الراوندي في «الخرائج» والطبرسي في «المجمع» وابن شهر آشوب في «المناقب» عن ابن عبّاس وابن جبير وتفسير محمّد بن ثور: أنّ الرسول ﷺ أتى البيت ومعه جبرئيل عن يمينه والقوم في الطواف. فأبى طواف كان هذا لهم جميعاً بعد تهديدهم إياه؟

لعلّنا نجد جواب هذا فيما رواه ابن هشام عن ابن إسحاق في سيرته: أنّ نفرّاً من قريش اجتمعوا الى الوليد بن المغيرة - وكان ذا سنّ فيهم وقد حضر الموسم - فقال لهم: يامعشر قريش! إنّّه قد حضر هذا الموسم. وإنّ وفود العرب ستقدم عليكم فيه، وقد سمعوا بأمر صاحبكم هذا، فأجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً، ويردّ قولكم بعضه بعضاً^(١). لنا من هذا النص التصريح بأنّ مناسبة عقد هذا المؤتمر بل المؤامرة

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٨.

على الرسول ﷺ كانت هي حضور موسم الحج أو العمرة ووفود العرب إليهم لذلك وهم قد سمعوا بأمره ﷺ .

وتختلف صورة الخبر لدى القمّي في تفسيره قال: كان الوليد بن المغيرة شيخاً كبيراً مجرباً من دُهاة العرب... وكان له مال كثير وحدائق (في الطائف) وكان له عشرة بنين بمكة، وعشرة عبيد عند كلّ عبد ألف دينار يتّجّر بها - وتلك هي القنطار في ذلك الزمان - ولذا كان قد قال لقريش: أنا أتوحد بكسوة البيت سنّةً وعليكم في جماعتكم سنة، ولذلك سمّاه الله ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾^(١).

وكان رسول الله ﷺ يقعد في الحجر فيقرأ القرآن... فاجتمعت قريش الى الوليد فقالوا: يا أبا عبد شمس، ما هذا الذي يقول محمّد؟ أشعر هو؟ أم كهانة؟ أم خُطْب؟ فقال: دعوني أسمع كلامه. فدنا من رسول الله ﷺ فقال: يا محمّد أنشدني من شعرك! قال: ما هو شعر، ولكنّه كلام الله الذي ارتضاه لملائكته وأنبيائه. فقال: اتل عليّ منه شيئاً. فقرأ رسول الله ﷺ ﴿حم السجدة﴾ فلما بلغ الى قوله: ﴿فان أعرضوا فقل أنذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود﴾^(٢) اقشعرّ الوليد وقامت كلّ شعرة في رأسه ولحيته. ومَرَّ الى بيته ولم يرجع الى قريش من ذلك. فمشوا الى أبي جهل (عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي) فقالوا له: يا أبا الحكم، إنّ أبا عبد شمس قد صبا الى دين محمّد، أما تراه لم يرجع إلينا!

(١) المذّثر: ١١.

(٢) فضّلت: ١٣.

فغدا أبو جهل اليه فقال له : يا عمّ، نكّست رؤوسنا وفضحتنا وأشمت بنا عدونا وصبوت إلى دين محمد؟!

فقال : ما صبوت إلى دينه ولكنّي سمعت منه كلاماً صعباً تقشعرّ منه الجلود! فقال له أبو جهل : أخطب هو؟ قال : لا، إنّ الخطب كلام متصل، وهذا كلام منثور ولا يشبه بعضه بعضاً. قال : أفشعر هو؟ قال : لا، أما إنّّي قد سمعت أشعار العرب بسيطها ومديدها ورمليها ورجزها، وما هو بشعر. قال : فما هو؟ قال : دعني أفكر فيه!

فلما كان من الغد قالوا : يا أبا عبد شمس، ما تقول فيما قلناه؟ قال : قولوا : هو سحرّ فإنّه آخذ بقلوب الناس.

فأنزل الله على رسوله في ذلك : ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له مالاّ ممدوداً وبنين شهوداً ومهدت له تمهيداً ثمّ يطمع أن أزيد كلاًّ إنّ الله كان لآياتنا عنيداً سأرهقه صعوداً إنّهُ فكر وقدّر فقتل كيف قدّر ثمّ قتل كيف قدّر ثمّ نظر ثمّ عبس وبسر ثمّ أدبر واستكبر فقال إنّ هذا إلّا سحرّ يؤثر إنّ هذا إلّا قول البشر سأصليه سقر وما أدراك ما سقر...﴾^(١) وكان من المستهزئين برسول الله^(٢).

وعلى هذا فقوله سبحانه : ﴿سأصليه سقر﴾ و﴿سأرهقه صعوداً﴾ كان تصعيداً في تهديده وإنذاره قبل تبشير الرسول بكفاية شرّه بهلاكه والمستهزئين معه بقوله ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ وهذا أيضاً ممّا يلزم كون الصدع بأمره قبل هذا بغير قليل، حتّى تكون وفود العرب في الموسم - كما

(١) المدثر : ١١ - ٢٧ .

(٢) تفسير القميّ ٢ : ٣٩٣ ، ٣٩٤ وعنه في إعلام الوريّ : ٤١ ، ٤٢ .

قال الوليد - قد سمعوا بأمره ﷺ، فإنّ الدعوة السريّة أو غير العلنية لا يبلغ صداها هذا الحد أبداً، بحيث يختار المشركون في كيفية مواجهتهم لهم في الموسم. ولعلّ الوليد بعد موقفه هذا ونزول هذه الآيات فيه بالتهديد قابل هو وأصحابه النبيّ بالتهديد الشديد والأكيد لتحديد دعوته دون حضور الموسم، ثمّ حضروا طواف الموسم فوسمهم جبرئيل بعذاب الله الشديد في الدنيا قبل الآخرة، وبذلك كفى رسول الله شرّهم وشرّ استهزائهم له ولرسالته. فانطلق الرسول بخطبته العامّة في الموسم على حجر إسماعيل حول البيت في مطاف المسجد الحرام.

ومما يؤيّد ذلك تعبير الرسول ﷺ في تلك الخطبة، إذ هي بالإضافة الى مخاطبة قريش تحتوي على الخطاب للعرب، وهو اذا ضمّ الى مخاطبة قريش - مثلاً - دلّ على العرب ممّا عداهم لا هم.

فلننظر الى نصّ الخطاب:

خُطْبُ النبي ﷺ للدعوة العلنية:

بعد أن حكى القميّ في تفسيره قصّة هلاك المستهزئين قال: «فخرج رسول الله ﷺ فقام على «الحجر» فقال:

«يامعشر قريش، يامعشر العرب، أدعوكم الى شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّي رسول الله، وآمركم بخلع الأنداد والأصنام، فأجيبوني تملكوا بها العرب وتدين لكم العجم، وتكونوا ملوكاً في الجنة».

فاستهزأوا منه وقالوا: جُنّ محمد بن عبد الله. ولم يجسروا عليه

لموضع أبي طالب^(١).

فالخطاب لقريش عامة وللعرب بالأعم، والمقام الذي اختاره لخطابه العام هذا هو حجر إسماعيل حول البيت في مطاف المسجد الحرام أي أجمع بجامع الحجّ وأشرف مواقفه فكان كما روى ابن هشام عن ابن إسحاق: وصدرت العرب من ذلك الموسم بأمر رسول الله ﷺ، فانتشر ذكره في بلاد العرب كلّها^(٢).

وهذا هو ما كان يحذره أولئك المستهزون المهذّون لمنعه عن الإعلان بدعوته في ذلك الموسم العام.

ولكن هل كان هذا هو البيان الأوّل العام لدعوته العلنية العامة؟ أمّا يعقوبي فيقول: وأقام رسول الله بمكة ثلاث سنين... يدعو إلى توحيد الله عزّ وجلّ وعبادته، والاقرار بنبوّته ويكتم أمره... حتّى قالت قريش: إنّ فتى ابن عبد المطلب ليكلّم من السماء... ثمّ أمره الله أن يصدع بما أرسله به فأظهر أمره وقام «بالأبطح» فقال:

«إني رسول الله، أدعوكم إلى عبادة الله وحده وترك عبادة الأصنام التي لا تنفع ولا تضر، ولا تخلق ولا ترزق، ولا تحيي ولا تميت» فاستهزأت به قريش وآذته.

وكان المؤذون له جماعة منهم: أبو لهب، والحكم بن أبي العاص، وعقبة بن أبي معيط، وعدي بن حمراء الثقفي، وعمرو بن الطلاطلة الخزاعي.

(١) تفسير التقيّ ١: ٣٧٩. وعنه في إعلام الوري: ٣٩.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٢٩١.

وكان المستهزئون به : العاص بن وائل السهمي والحارث بن قيس بن عدي السهمي، والأسود بن المطلب بن أسد، والوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزُّهري. وكانوا يוכלون به صبيانهم وعبيدهم فيلقونه بما لا يحب^(١).

فهو يروي أوّل خطبة له بالأبطح لا الحجر، فلعله قبل الموسم. ثمّ هو يرى قصة المستهزئين بعد الصدع بالأمر، وكأنّه يرى صدعه بالأمر بمعنى أنّه «عاب عليهم آهتهم، وذكر هلاك آبائهم الذين ماتوا كفاراً»^(٢) أو هو مرحلة ما بعد الصدع.

ثمّ هو يرى فرقاً بين المؤذنين له وهم خمسة والمستهزئين به وهم خمسة آخرون. فلعلّ محمّد بن ثور الذي عدّهم سبعة عشر رجلاً قد خلط بينهم.

وقبله قال ابن إسحاق: فلمّا بادى رسول الله ﷺ قومه بالإسلام - وصدع به كما أمره الله - لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه حتّى ذكر آهتهم وعابها، فلمّا فعل ذلك أعظموه وناكروه وأجمعوا على خلافه وعداوته إلّا من عصم الله منهم بالإسلام^(٣).

فهل يعني ذلك أنّه لما بادى قومه لم يبعد منه قومه ولم يردّوا عليه حتّى صدع بأمره كما أمره الله فذكر آهتهم وعابها، فأنكروا ذلك وأعظموه وعادوه وأجمعوا على خلافه؟ لعلّه يعني ذلك.

(١) اليعقوبي ٢ : ٢٤ .

(٢) اليعقوبي ٢ : ٢٤ .

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٢٢ .

وإذا كان كذلك فلعلّه ﷺ بعد مرحلة الدعوة السرية، وبعد مرحلة الدعوة الخاصة للأربعين للأقربين من العشيرة بني عبد المطلب أو بني هاشم، بادى قومه بدعوته العامة العلنية دون هذا المعنى من الصدع بالأمر، فبدأ بخطبته على «الصفاء» الخالية من هذا المعنى من الصدع بالأمر أي عيب الآلهة وذكرها بالسوء كما في «المناقب» لابن شهر آشوب قال: روي أنّه لما نزل قوله ﴿وانذر عشيرتک الأقربين﴾ (أي بعد هذه المرحلة) صعد رسول الله - ذات يوم - الصفاء، فقال: يا صباحاه! فاجتمعت إليه قريش فقالوا: مالك؟ قال: رأيتمكم إنّ أخبرتم أنّ العدو مصبحكم أو ممسيكم ما كنتم تصدّقونني؟ قالوا: بلى، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد.

قال قتادة: ثمّ إنّ خطب فقال: أيها الناس، إنّ الرائد لا يكذب أهله، ولو كنت كاذباً لما كذبتكم، والله الذي لا إله إلا هو، إنّّي رسول الله إليكم حقّاً خاصّة وإلى الناس عامّة، والله لتموتون كما تنامون، ولتبعثون كما تستيقظون، ولتحاسبون كما تعملون، ولتجزؤن بالإحسان إحساناً وبالسوء سوءاً، وإنّها الجنة أبداً أو النار أبداً. وإنّكم أوّل من أنذرتهم^(١).

وهذه الجملة الأخيرة من هذه الخطبة على «الصفاء» هي التي تحملنا على القول: بأنّها أوّل خطبة، فالخطبة «بالأبطح» ثمّ الخطبة «بالحجر» في الموسم. فلعلّ هذا هو وجه الجمع المعقول بين الخطب الثلاث.

من هم المقتسمون؟

وكأننا نجد فيما رواه الطوسي ثمّ الطبرسي في تفسيرهما عن ابن عبّاس

ومقاتل، نجد فيه المتّمسّ لأمر هذا الموسم، فقد قال مقاتل في قوله سبحانه: ﴿كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين﴾^(١) إنّهم هم الذين اقتسموا طرق مكة يصدون عن رسول الله ﷺ والايان به.

وقال ابن عباس: إنّهم كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد بن المغيرة «أيّام الموسم» يقولون لمن أتى مكة: لا تغتروا بالخارج منا المدّعي النبوة. فأنزل الله بهم عذاباً فأتوا شرّ ميتة.

وجعلوا القرآن عضين أي جزّوه أجزاءً فقالوا: سحر، وقالوا: مفترى، وقالوا: أساطير الأولين^(٢) وكذلك روى الطبرسي في «جمع البيان» عن الكلبي: أنّ المقتسمين كانوا ستة عشر رجلاً خرجوا الى عقاب مكة أيّام الحج على طريق الناس (الحجاج) على كلّ عقبة أربعة منهم، ليصدّوا الناس عن النبي ﷺ، وإذا سألهم الناس عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا: أحاديث الأولين وأباطيلهم^(٣).

فلعلّ الوليد في بدايات الموسم بعث هؤلاء الستة عشر رجلاً على طرق مكة مقتسمينها فيما بينهم يصدّون من أتى مكة عن الايمان برسول الله ﷺ، ولكنهم كما اقتسموا طرق مكة فيما بينهم قد اقتسموا القول في القرآن بين مكذب وقائل: إنّ سحر وقائل إنّ أساطير الأولين.

ثمّ إنّ الوليد جمع اليه هؤلاء النفر من قريش وقال لهم: اجمعوا فيه رأياً واحداً ولا تختلفوا فيكذب بعضكم بعضاً ويرد قولكم بعضه بعضاً.

(١) الحجر: ٩٠، ٩١.

(٢) جمع البيان ٦: ٥٣١.

(٣) جمع البيان ٦: ٥٤٩.

فقالوا: فأنت يا أبا عبد شمس فقل وأقم لنا رأياً تقول به... ثم قال لهم: إن أقرب القول فيه أن تقولوا هو ساحرٌ جاء بقول هو سحر يفرّق به بين المرء وأبيه وبين المرء وأخيه وبين المرء وزوجه وبين المرء وعشيرته. فنفرقوا عنه بذلك، فجعلوا يجلسون بسبل الناس حين قدموا الموسم لا يمرّ بهم أحد إلا حذّروه إيّاه وذكروا لهم أمره، فأنزل الله فيه قوله: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً...﴾^(١).

ثم نزل فيه خاصّة وفي خمسة من أصحابه: ﴿إنّا كفيناك المستهزئين﴾ ولعلّ سائر السبعة عشر رجلاً الذين عدّهم محمد بن ثور في تفسيره عن ابن عباس وابن جبير - على رواية ابن شهر آشوب - من المستهزئين، هم من المقتسمين مع المستهزئين، الذين روى الطبرسي هنا عن ابن عباس أنّهم كانوا ستة عشر رجلاً بعثهم الوليد، فعه يكونون سبعة عشر رجلاً. وقد ذكر عذاب ثلاثة منهم عدا المستهزئين وإن كان لم يذكر عذاب الجميع إلا بالاجمال، دون التفصيل.

والموسم - كما لاحظتهم - ذكر في كلا الأمرين: المقتسمين، والمستهزئين، من دون تفريق بينهما ممّا يحمل بظاهره على أوّل موسم بعد إعلان الدعوة العامّة، فإن كانت طبيعة الأمور تقتضي فاصلاً زمنياً أطول من موسم واحد بين الأمرين - كما هو ظاهر الحال - فمن المحتمل أن يكون الاقتسام في الموسم الأوّل، ثمّ محاولة الاعتبار بالتجربة من اختلاف آرائهم وأقوالهم في الرسول والقرآن، فالسعي في توحيد آرائهم وأقوالهم فيها في الموسم الثاني، وأنّ ما نزل في الوليد والمستهزئين والمقتسمين في سورتي

(١) سيرة ابن هشام ١: ٢٨٨، ٢٨٩.

الحجر والمدثر كان في الموسم الثاني بعد إعلان الدعوة لا الأول .

ما نزل من القرآن قبل «فاصدع»:

إذ وقفنا على الحوادث المشار إليها بقوله سبحانه ﴿ كما أنزلنا على المقتسمين الذين جعلوا القرآن عضين ﴾^(١) وقوله سبحانه ﴿ فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزئين ﴾^(٢) والآيات من أواخر سورة الحجر، وهي الرابعة والخمسون في ترتيب النزول^(٣) أي يسبقها من القرآن في النزول ست وخمسون سورة، ولنا فيها آيات وإشارات إلى ما يسبق ما أشير إليه في هذه الآيات الأخيرة من سورة الحجر مما يدخل في تأريخ الإسلام، فلنقف عليها على ترتيبها على التوالي :

رتّبوا في ترتيب النزول بعد سورة العلق : سورة القلم التي تفتتح بالآية : ﴿ ن والقلم وما يسطرون ما أنت بنعمة ربك بمجنون ﴾ مما يوحي إلى أنّ هذه الجملة إنما هي تنزيه له عما اتّهم به المشركون من الجنون، كما في الآية بعدها : ﴿ فستبصر ويبصرون بأيكم المفتون ﴾ وكما في الآية بعدها : ﴿ فلا تطع المكذبين ﴾ و ﴿ ولا تطع كلّ حلاف مهين هّماز مشاء بنميم مناع للخير معتد أثيم عتلّ بعد ذلك زنيم أن كان ذا مال وبنين اذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ﴾^(٤) وليس من التأويل اذا بحث الدارس لهذه

(١) الحجر : ٩٠ ، ٩١ .

(٢) الحجر : ٩٤ ، ٩٥ .

(٣) التمهيد : ١ : ١٠٥ وتلخيصه ١ : ٩٨ .

(٤) القلم : ١٠ - ١٥ .

الآيات عن الشخص المعين المعني بها، بل الظاهر من الآيات هو ذلك وما عداه خلاف الظاهر.

ونقل الطبرسي ثلاثة أقوال في ذلك: قيل يعني الوليد بن المغيرة فإنه عرض على النبي المال ليرجع عن دينه. وقيل يعني: الأخنس بن شريق الثقفي. وقيل: يعني: الأسود بن عبد يغوث^(١) بينما لم نجد خلافاً في المعني بأوصاف سورة المدثر: ﴿ذرني ومن خلقت وحيداً وجعلت له ملاماً ممدوداً وبنين شهوداً﴾ أنه الوليد. وحقاً وجدناه الوحيد الذي يوصف في الأخبار التاريخية بذلك الوصف في المال والبنين ليس سواء ولم يوصف الآخرون معه بذلك الوصف في المال والبنين، فهو الأولى أن يكون المقصود عند الإطلاق والترديد.

أمّا متى تليت عليه الآيات؟ وأي آيات؟ ومن تلى؟ وكيف؟ وما هو تفصيل عرضه المال على الرسول ليرجع عن دينه أو عن الإعلان به ودعوته إليه؟ وكيف منع عن هذا الخير؟ فلم يبق لنا من تفسير المفسرين الأوائل، ولا الأخبار التاريخية إلا هذه الأقوال الثلاثة على الترديد فقط، فضلاً عما يحلّ لنا التنافي بين هذه الآيات من القرآن ودور الكتان.

وأسطع من ذلك ما في أواسط السورة من قوله سبحانه: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٍ النَّعِيمِ أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾^(٢) فهل يمكننا أن نحكم أن هذا أيضاً من القرآن في دور الكتان؟! بل هو إعلام وإعلان.

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٠١ .

(٢) القلم : ٣٤ - ٣٦ .

بل روى ابن شهر آشوب في «المناقب» عن ابن عباس: أن الوليد ابن المغيرة أتى قريشاً فقال: إن الناس يجتمعون غداً بالموسم وقد فشا أمر هذا الرجل في الناس، وهم يسألونكم عنه فما تقولون؟ فقال أبو جهل: أقول إنه مجنون، وقال أبو هب: أقول إنه شاعر، وقال عتبة بن أبي مُعيط: أقول إنه كاهن. فقال الوليد: بل أقول هو ساحر يفرّق بين الرجل والمرأة وبين الرجل وأخيه وأبيه. فأنزل الله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرون﴾^(١). وفي العلق قبل القلم قالوا: إن المعنى بالآية: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ هو الوليد أيضاً إذ كان ينهى الناس عن أن يطاع رسول الله وعن الصلاة^(٢) وقيل: هو أبو جهل، فإنه حاول أن يطمأ رقة الرسول في سجده في الصلاة في المسجد الحرام^(٣) ولكن عبرته الى القلم، إذ قالوا إن النازل من العلق قبل القلم إنما هي الآيات الخمس الأوائل، وأمّا هذه الآية فهي متأخرة في النزول عن تلك، فلعلنا نعود إليها فيما بعد.

وثالثة السور - «المزمل»:

وعاشرة آياتها: ﴿واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرًا جميلاً وذرني والمكذّبين أولي النعمة ومهلهم قليلاً﴾^(٤) قال في «المجمع»: قيل: نزلت في صناديد قريش والمستهزئين^(٥) وأليس من الإعلان الآيات التالية في السورة: ﴿إنا أرسلنا اليكم رسولا شاهداً عليكم كما أرسلنا الى فرعون

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٤٨.

(٢) تفسير القمي ٢: ٤٣٠.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٧٨٢ عن صحيح مسلم.

(٤) المزمل: ١٠، ١١.

(٥) مجمع البيان ١٠: ٥٧٣.

رسولاً... فكيف تتقون إن كفرتم يوماً يجعل الولدان شيباً... إنَّ هذه تذكرة فمن شاء اتخذ الى ربه سبيلاً^(١).

ورابعة السور - «المدثر»:

وفيهما الآيات بشأن الوليد بن المغيرة المخزومي، وقد مرَّ خبره مع المستهزئين. وقد مرَّ قبل خبر جابر بن عبد الله الأنصاري عن الرسول ﷺ أنها أول سورة نزلت عليه بعد الفترة بعد حراء، وعليه تكون ثانية السور لا الرابعة، ويمكن الجمع بينها بمثل الكلام في سورة العلق، بأنَّ منازل ثانياً بعد الفترة هي حتى الآية العاشرة، أي الى ما قبل ما يتعلق بالوليد، ثمَّ نزل باقيها - بعد المزمل - رابعاً.

وهذا الصدد قال العلامة الطباطبائي «والسورة مكّية من العتائق النازلة في أوائل البعثة وظهور الدعوة» لكنّه قال بعد هذا: واحتمل بعضهم أن تكون السورة أول ما نزل على النبي ﷺ عند الأمر بإعلان الدعوة بعد إخفائها مدّة في أوّل البعثة. ثمَّ قال «وهذا لا يتعدّى طور الاحتمال»^(٢) فما معنى قوله «في أوائل البعثة وظهور الدعوة»؟ أمّا أن تكون هي أول سورة نزلت من القرآن فقد قال: يكذّبه نفس آيات السورة الصريحة في سبق قراءته القرآن على القوم وتكذيبهم به وإعراضهم عنه ورميهم له بأنّه «سحر يؤثر»^(٣) ويصدق مثل ذلك في سابقتيه المزمل والقلم، ولم يقل بمثل

(١) المزمل : ١٥ - ١٩ .

(٢) الميزان ٢٠ : ٧٩ .

(٣) الميزان ٢٠ : ٧٩ .

هذا هناك. بل قبل أن تكون العلق أول سورة كاملة^(١). وفيها ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى أرأيت إن كذب وتولى... كلاً لئن لم ينته لنسفعاً بالناصية ناصية كاذبة خاطئة فليدع ناديه﴾ أفليست هذه أيضاً كتلك الآيات صريحة في سبق أمره بالتقوى وتكذيبهم له واعراضهم عنه؟ ولم يقل مثل ذلك هنا، والأمر واحد.

السورة الخامسة - «الفاتحة»:

فقد قال اليعقوبي: إنها الفاتحة^(٢) والظاهر أنها هي رواية جابر بن زيد^(٣) أما خبر ابن عباس فلم يعرض للفاتحة. ومّرّ ترجيح أن تكون الفاتحة - كما هو معنى الفاتحة - فاتحة كتاب الله. وقد يوجّه عدم ذكر ابن عباس للفاتحة بأنّ العلق ما بعد من القرآن في دور الإعلان والفاتحة كانت نازلة من قبل. وهي السورة الوحيدة - في عداد هذه السور الأوائل - التي ليس فيها ما يقتضي أو يستدعي سبق شيء من القرآن أو الإسلام قبلها.

سادسة السور - «المسد»:

سورة تبّت أو أبي هب أو المسد، قال القميّ في تفسيرها: إنّ أمّ جميل بنت صخر بن حرب «أبي سفيان»^(٤) كانت تنمّ على رسول الله أي تنقل أحاديثه إلى الكفار، ولما اجتمع زوجها أبو هب مع قريش في «دار

(١) الميزان ٢٠ : ٣٢٢.

(٢) اليعقوبي ٢ : ٣٣.

(٣) التمهيد ١ : ١٠٣ وتلخيصه ١ : ٩٥.

(٤) كذا في القميّ، وهو غلط، فهي بنت حرب أخت أبي سفيان كما يأتي عن مجمع البيان.

الندوة» وبايعهم على قتل محمد رسول الله، نزلت السورة^(١) وهذا يعني أن السورة نزلت بعد مؤتمر قريش بقتل الرسول، وهذا لا يتفق مع كونها السورة السادسة أي الأوائل، فهو مردود.

ومن الطبرسي يعلم أن ما قاله القمي في معنى «حمالة الخطب» هو قول عن ابن عباس^(٢) أما في سبب نزولها فقد روى عن البخاري عن سعيد ابن جبير عن ابن عباس قال : صعد رسول الله ﷺ ذات يوم الصفا فقال : يا صباحاه ! فأقبلت إليه قريش فقالوا له : مالك ؟ فقال : أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أما كنتم تصدقوني ؟ قالوا بلى . فقال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ! فقال أبو لهب تبّاً لك ، ألهذا دعوتنا جميعاً ؟ ! فأنزل الله هذه السورة^(٣).

وهذا كما ترى صريح في حصر منازل من القرآن في دور الكتمان في السور الخمس الأوائل السابقة على المسد، وأما المسد فهي أول سورة من دور الإعلان. والخبر مروى عن ابن جبير عن ابن عباس، وعنهما روى خبر الإنذار في يوم الدار للعشيرة الأقربين أي الدعوة الخاصة بين الكتمان والإعلان كما مرّ، وذلك لا يتفق مع هذا عنها.

ولكن لا ريب أن سورة الهمز لا تناسب الكتمان أيضاً، فكيف

التوفيق ؟

وروى الطبرسي أيضاً في قوله سبحانه ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٤٨ .

(٢) مجمع البيان ١٠ : ٨٥٢ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٨٥١ .

عن ابن عباس قال : لما نزلت هذه الآية صعد رسول الله على الصفا فقال :
يا صباحاه ! فاجتمعت اليه قريش ، فقالوا : مالك ؟ فقال ... فقال أبو لهب :
تباً لك ألهذا دعوتنا جميعاً ؟

فأنزل الله تعالى : ﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ الى آخر السورة^(١)
وهذا أيضاً كذلك يتنافى مع الدعوة الخاصة ليوم الدار للأقربين من العشيرة
من ناحية ، وأيضاً من ناحية أخرى يتنافى مع خبر ابن عباس في ترتيب
النزول إذ يقتضي نزول المسد بعد الشعراء أو العكس أو استثناء آية الإنذار
وما يلزمها من الشعراء ولم ينقل ذلك عنه .

ولكن روى الطبرسي أيضاً ما يصلح شأناً لنزول السورة من دون
هذه الملازمات ، قال : عن سعيد بن المسيب قال : كانت لأُمِّ جميل بنت
حرب أخت أبي سفيان قلادة فاخرة من جوهر فقالت : لأنفقنها في عداوة
محمد ! قال الطبرسي : ولما أُنذر النبيّ أبا لهب بالنار قال : إن كان ما تقول
حقاً فإنّي أفندي بآلي وولدي^(٢) فأنزل الله : ﴿ ما أغنى عنه ماله وما كسب
سيصلى ناراً ذات لهب وامرأته حمالة الحطب في جيدها جبل من مسد ﴾
بدل القلادة . وهذا لا يستلزم ما كان يستلزمه الخبران عن ابن عباس ،
ولكنه يستلزم سبق الإعلان والمجاهرة حتّى حدّ العداء الحادّ من أبي لهب
وامرأته .

وقد روى الطبرسي أيضاً في شدة عدائه ونصبه للنبيّ ما يدلّ على
ذلك في أوائل الإعلان : عن طارق المحاربي قال : بينا أنا بسوق ذي الحجاز ،

(١) مجمع البيان ٨ : ٣٢٣ .

(٢) مجمع البيان ١٠ : ٨٥٢ .

إِذْ أَنَا بَشَابٌ (كذا) يقول: أَيُّهَا النَّاسُ قولوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تفلحوا. وإذا برجل خلفه يرميه قد أدمى ساقيه وعرقوبيه ويقول: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ كَذَّابٌ فَلَا تَصَدِّقُوهُ. فقلت: مَنْ هَذَا؟ فقالوا: هُوَ مُحَمَّدٌ يزعم أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَهَذَا عَمَّهُ أَبُو هَلْبٍ يزعم أَنَّهُ كَذَّابٌ^(١).

فقوله: هُوَ مُحَمَّدٌ يزعم أَنَّهُ نَبِيٌّ، في جواب: مَنْ هَذَا، يُشعر بأنَّ هَذَا كان في بداياته.

السورة الثامنة - «الأعلى»^(٢):

وروى العياشي في تفسيره عن عقبة بن عامر الجهني قال: لَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: اجعلوها في سجودكم. ورواه أيضاً في «الدر المنثور» عن أحمد وأبي داود وابن ماجه وابن المنذر وابن مردويه عن عقبة عنه ﷺ^(٣).

وتمام الخبر: وَلَمَّا نَزَلَ: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾^(٤) قَالَ ﷺ: اجعلوها في ركوعكم. والواقعة هي السورة السادسة والأربعون، وهذا يدلُّ على ما مرَّ عن أَنَّ الصَّلَاةَ كانت في أوائل تشريعها بسجود بلا ركوع، ثُمَّ شُرِّعَ الرُّكُوعُ بعد ذلك.

ومرَّ عن ابن شهر آشوب في «المناقب» عن تفسير القُطَّان عن ابن مسعود: أَنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ: مَا أَقُولُ فِي السُّجُودِ فِي الصَّلَاةِ؟

(١) مجمع البيان ١٠ : ٨٥٢.

(٢) السر في عدم ذكرنا لبعض السور هو عدم اشتغالها على الآيات ذات الإشارة الى الحوادث التاريخية.

(٣) الميزان ٢٠ : ٢٧٠.

(٤) الواقعة : ٧٤.

فنزل: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ وسأله: ما أقول في الركوع؟ فنزل: ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ فكان أوّل من قال ذلك^(١).

والسورة العاشرة - «الضحى»:

أو الحادية عشرة هي «سورة الضحى» وفي تفسير القميّ في سبب نزولها روى عن أبي الجارود عن الباقر عليه السلام في قوله: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾ قال: ذلك إنّ أوّل سورة نزلت كانت ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ ثمّ أبطأ عن رسول الله صلّى الله عليه وآله، فقالت خديجة: لعلّ ربك قد تركك فلا يرسل اليك. فأنزل الله تبارك وتعالى: ﴿ما ودّعك ربك وما قلى﴾^(٢) وهذا يقتضي أن تكون الضحى الثانية لا العاشرة.

وقيل: سألت اليهود رسول الله صلّى الله عليه وآله عن ذي القرنين وأصحاب الكهف وعن الروح. فقال: سأخبركم غداً. ولم يقل: إنّ شاء الله، فاحتبس عنه الوحي هذه الأيام، فاغتمّ لشماتة الأعداء. فنزلت السورة تسلياً لقلبه^(٣) وهذا يقتضي أن تكون السورة مدنيّة بعد الثمانين لا عاشرة المكيّات.

وعن ابن عباس قال: احتبس الوحي عنه صلّى الله عليه وآله خمسة عشر يوماً فقال المشركون: إنّ محمداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من الله لتتابع عليه^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب ٢: ١٤ - ١٩.

(٢) تفسير القميّ ٢: ٤٢٨.

(٣) مجمع البيان ١٠: ٧٦٤.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٧٦٤.

وقيل : إنّ النبي ﷺ رُمِيَ بحجر في اصبعه فقال مخاطبها :
 هل أنتِ إلّا اصبع رُميتِ وفي سبيل الله ما لقيتِ
 فكث ليلتين أو ثلاثاً لا يوحى اليه، فقالت له أمّ جميل بنت حرب
 امرأة أبي لهب : يا محمد ما أرى شيطانك إلّا قد تركك، لم أره قريبك منذ
 ليلتين أو ثلاث ! فنزلت السورة^(١).

ولا يتنافى خبر ابن عباس مع هذا الأخير إلّا في عدد أيام احتباس
 الوحي عنه ﷺ فقد تكون أمّ جميل هي السبب في إشاعة الخبر بين
 المشركين ممّا أشاع بينهم ذلك، فهي حمالة الخطب، وهذا من خطبها .
 أمّا العدد المذكور في خبر أمّ جميل : (ليلتين أو ثلاث)، فهو يوحى
 كأنما الوحي كان قبل ذلك مستمراً كلّ يوم وليلة، وهذا لم يُعهد عنه ﷺ
 ولم ينقل، فالراجح هو عدد ابن عباس : خمسة عشر يوماً، أو مقاتل :
 أربعين يوماً^(٢).

ولكن عن البرقي بإسناده عن رجل من أهل البصرة قال : رأيت
 الحسين بن علي عليه السلام يطوف بالبيت فسألته عن قول الله تعالى : ﴿وَأَمَّا
 بنعمة ربك فحدث﴾ فقال : أمره أن يحدث بما أنعم الله عليه من دينه^(٣) .
 وقال القمي في معنى الآية : أي بما أنزل الله عليك وأمرك به^(٤) .
 ونقل الطبرسي عن مجاهد والزجاج : أي بلغ ما أرسلت به وحدثت

(١) مجمع البيان ١٠ : ٧٦٤ .

(٢) مجمع البيان ١٠ : ٧٦٤ .

(٣) تفسير البرهان ٤ : ٤٧٤ .

(٤) تفسير القمي ٢ : ٤٢٨ .

٤٦٠ موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

بالنبوة التي آتاها الله، وهي أجل النعم. وعن الكلبي (هشام بن محمد ت ٢٠٦) قال: يريد بالنعمة: القرآن اذ كان القرآن أعظم ما أنعم الله عليه به، فأمره أن يقرأه^(١).

وقال ابن إسحاق: ثم فتر الوحي عن رسول الله فترة من ذلك حتى شق ذلك عليه فأحزنه، فجاءه جبرئيل بسورة الضحى يقسم له ربه وهو الذي أكرمه بما أكرمه به: أنه ما ودّعه وما قللاه، ويقول: ما صرمك فتركك وما أبغضك منذ أحبّك، وما عندي من مرجعك إليّ خير لك مما عجّلت من الكرامة في الدنيا ﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ من الفلج (الفوز والغلبة) في الدنيا والثواب في الآخرة ﴿فترضى﴾. ثم يعرفه الله ما ابتدأه به من كرامته في عاجل أمره ومثله عليه في يؤتمه وعيلته وضلالته واستنقاذه من ذلك كله برحمته... ﴿وأما بنعمة ربك﴾ بما جاءك من الله من نعمته وكرامته من النبوة فاذكرها وأدع إليها. فجعل رسول الله -صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم- يذكر ما أنعم الله به عليه وعلى العباد به من النبوة سرّاً إلى من يطمئن إليه من أهله^(٢).

ثم يقول: فلما دخل الناس في الإسلام أرسالاً من الرجال والنساء حتى فشا ذكر الإسلام بمكة وتحدث به... قال الله تعالى له: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ فأمر رسوله أن يصدع بما جاءه منه وأن يباذي الناس بأمره وأن يدعو إليه. وكان -فيما بلغني- بين ما أخفى رسول الله أمره واستتر به من مبعثه إلى أن أمره الله تعالى بإظهار دينه ثلاث

(١) مجمع البيان ١٠ : ٧٦٨.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧ - ٢٥٩.

سنيين... كان فيها أصحابه اذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى شعاب مكة فاستخفوا بصلاتهم من قومهم. فبينما رسول الله في نفر من أصحابه في شعب من شعاب مكة يصلّون إذ ظهر عليهم نفر من المشركين، فعابوا عليهم ما يصنعون^(١)؛ وكأنّ هذه الحادثة كانت هي المناسبة لإعلان الدعوة. أمّا قبل ذلك فإنّما كان يذكر النبوة لمن كان يطمئن اليه من أهله سرّاً. إذن فكيف اطلعت عليه أمّ جميل فاحتطبت عليه الى المشركين فأشاعوا عليه أنّ الوحي منقطع عنه؟! اللهم إلا أن نخلص من ذلك كما خلع ابن إسحاق فلم يقل بشيء من ذلك، وإنّما قال: ثمّ فتر الوحي عنه فترة حتّى شق عليه وأحزنه فجاءه جبرئيل بسورة الضحى.

ولم يقل ما الذي نزل من القرآن قبلها حتّى في ابتداء تنزيله، ولكنّه بعد أن ذكر ابتداء النزول في شهر رمضان قال: ثمّ تتام الوحي اليه -صلى الله عليه وآله وسلم- وهو مؤمن بالله ومصدّق بما جاءه منه قد قبله بقبوله وتحمل منه ما حمل على رضا العباد وسخطهم... فمضى على أمر الله على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى^(٢) ثمّ يقول: ثمّ فتر الوحي... فلو كان ﷺ إنّما جعل يذكر النبوة سرّاً الى من يطمئن اليه من أهله بعد قوله ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾^(٣) فكيف ومن أين علم به قومه فيتحمل ما يلقاه منهم من الخلاف والأذى؟!

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٠ - ٢٨٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٢٥٧.

(٣) ابن هشام ١ : ٢٥٨.

والسورة الثانية عشرة - «الشرح»:

هي متتالية للضحى إن لم نقل بوحدهما كما نقل ذلك الفخر الرازي عن طاووس بن كيسان اليماني وعمر بن عبد العزيز، وجاء في بعض أخبار الأئمة الأطهار عليهم السلام ^(١) وأفقي به بعض فقهاءنا ^(٢).

واختلفوا في معنى الوزر في قوله: ﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ ويبدو لي بقرينة وحدة سياق السورتين أنَّ المقصود بالوزر ما تحمله من ثقل انقطاع الوحي عنه واحتباسه، وهو العسر الذي تحمله واليسر بعده تجديد الوحي اليه واليوم وقد فرغ من ذلك الهمم والغم فعليه أن ينصب في التحديث بما أنعم الله عليه من النبوة ﴿فاذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب﴾.

وقال صاحب كتاب النظم في تفسير السورة: إنَّ الله بعث نبيّه وهو مُقلٌّ مخفٌّ وكانت قريش تعيّرهُ بذلك حتّى قالوا له: إنَّ كان بك من هذا القول الذي تدّعيه طلب الغنى جمعنا لك مالاً حتّى تكون أيسر أهل مكّة. فكره النبيّ ذلك وظنَّ أنَّ قومه إنّما يكذبوه لفقره، فوعده الله سبحانه الغنى ليسلّيه بذلك عمّا خامرهُ من الهمم فقال: ﴿إنَّ مع العسر يسراً﴾ أي لا يحزنك ما يقولون وما أنت فيه من الإقلال، فإنَّ مع العسر يُسرّاً في الدنيا عاجلاً. ثمَّ أنجز ما وعده فلم يمِت حتّى فتح عليه الحجاز وما والاها من القرى العربية وعامّة بلاد اليمن، فكان يعطي المائتين من الإبل ويهب الهبات السنّية، ويعدّ لأهله قوت سنته ^(٣) فهل كان بين الضحى والشرح من

(١) الميزان ٢٠ : ٣٦٥.

(٢) المحقّق الحليّ في الشرائع والمعتبر.

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٧٧٢.

التحديث بنعمة النبوة ﷺ ما جرّ المشركين الى اقتراح تقديم المال اليه ردعاً له عن دعوته ؟!

السورة الثالثة عشرة - «العصر»:

وقال الطبرسي: قيل: المراد بالإنسان هو الوليد بن المغيرة وأبو جهل^(١) ونسب السيوطي إلى ابن عباس القول بأنّه أبو جهل^(٢). وعلى هذا فلا يخلو قوله ﴿وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر﴾ عن تعريض به أو بهما إذ كانا يتواصيان بالباطل والصبر عليه في مواجهة الحقّ. وهذا أيضاً ممّا يقتضي الإعلان، كما يقتضيه إطلاق قوله: ﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾.

السورة الرابعة عشرة - «العاديات»:

روى الطبرسي في «جمع البيان» رسلاً، وقبله الطبري في تفسيره مسنداً إلى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: بينما أنا في الحجر جالس إذ أتاني رجل فسأل عن ﴿العاديات ضبحاً﴾ فقلت له: الخيل حين تُغير في سبيل الله ثمّ تأوي إلى الليل فيصنعون طعامهم ويورون نارهم. فانفتل الرجل عني وذهب إلى علي بن أبي طالب وهو تحت سقاية زمزم، فسأله عن ﴿العاديات ضبحاً﴾ فقال: سألت عنها أحداً قبلي؟ قال: نعم سألت عنها ابن عباس فقال: الخيل حين تُغير في سبيل الله... قال: فاذهب فادعُ لي. فلمّا وقفت على رأسه قال: تفتي الناس بما لا علم لك به؛ والله إن كانت لأوّل غزوة في الإسلام، بدرّ وما كانت معنا إلا فرسان:

(١) جمع البيان ١٠ : ٨١٥.

(٢) الدر المنثور ٦ : ٣٩١.

فرس للزبير وفرس للمقداد بن الأسود، فكيف تكون العاديات الخيل؟! بل ﴿العاديات ضبْحاً﴾: الإبل من عرفة الى مزدلفة ومن مزدلفة الى منى. قال ابن عباس: فرغت عن قولي ورجعت الى الذي قاله علي عليه السلام^(١) وعليه فلا يصح ما روى عن مقاتل^(٢) وعنه علي الرأي الأول^(٣) ولا ما في تفسير القمي وفي طريقه من الضعفاء الحسن بن علي البطائي^(٤)، وما رواه الطبرسي في «جمع البيان» مما يستلزم كون السورة مدنية، فإنها أخبار متعارضة وفيها تمحل وتهافت ظاهر^(٥).

واذا كنّا هنا نحاول أن نواكب في السور المكيّة الأوائل الآيات المشيرة الى الحوادث الزمنية المعاصرة لها يومئذ، فعلى الخبر الأول عن ابن عباس عن علي عليه السلام لعل نزول هذه السورة كان في أيام الإفاضة في الحجّ لأوّل موسم بعد البعثة ونزول القرآن، مشيرة الى تقرير القبول بأصول مناسك الحج.

السورة الخامسة عشرة - «الكوثر»:

قال القمي في تفسير الكوثر: نهر في الجنة، أعطاه الله محمداً عوضاً عن ابنه إبراهيم (كذا) وكان الرجل - في الجاهلية - اذا لم يكن له ولد سمي أبتر، فدخل رسول الله المسجد وفيه عمرو بن العاص والحكم بن أبي العاص، فقال له عمرو: يا أبا الأبر! (كذا) ثم قال عمرو: إني لأشأ

(١) جمع البيان ١٠ : ٨٠٣ وجامع البيان ٣٠ : ١٧٧ والدر المنثور ٦ : ٣٨٣.

(٢) جمع البيان ١٠ : ٨٠٢.

(٣) الدر المنثور ٦ : ٣٨٣.

(٤) تفسير القمي ٢ : ٤٣٤ - ٤٣٨.

(٥) التمهيد ١ : ١٢٨.

محمدًا. أي: أبغضه، فأنزل الله على رسوله السورة^(١).

ونقله الطباطبائي في «الميزان» وعلّق عليه يقول: الخبر - على إرساله وإضماره - معارض لسائر الروايات^(٢) ثم لم يأخذ عليه ما فيه من تهافت في اسم ابن النبي المتوفى حيث ذكر إبراهيم ابن مارية القبطية المتوفى بعد الهجرة بالمدينة، ثم عرّج على معنى الأبر في الجاهلية، ثم ذكر دخول الرسول إلى المسجد وفيه عمرو بن العاص وليس هو إلا المسجد الحرام بمكة. ثم ذكر أنّه قال له: يا أبا الأبر بيننا هو الأبر، فيا لضعف النص!

وروى الدولابي في «الذرية الطاهرة» بسنده عن جابر الجعفي عن محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: كان القاسم ابن رسول الله ﷺ قد بلغ أن يركب الدابة ويسير على النجيب (الابل) فلما قبضه الله قال (العاص بن وائل السهمي): قد أصبح محمد أبر من ابنه، فأنزل الله على نبيّه: ﴿إِنَّا أُعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ عوضاً عن مصيبتك في القاسم ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٣).

أمّا الطبرسي فقد روى عن ابن عباس: أنّه كان قد توفيّ عبد الله بن محمد ﷺ من خديجة، وكانوا يسمّون من ليس له ابن: أبر، واتفق أن التقى العاص بن وائل السهمي عند باب بني سهم برسول الله وهو يخرج من المسجد فتحدثا، وكان أناس من صناديد قريش جلوساً في المسجد، فلما دخل العاص سألوه: من كنت تتحدث معه؟ قال: ذلك الأبر، فسمّته

(١) تفسير القميّ ٢: ٤٤٣.

(٢) الميزان ٢٠: ٣٧٣.

(٣) الذرية الطاهرة: ٦٧.

قريش بالأبتر^(١).

وجاء مختصر الخبر عنه في «الدر المنثور» قال : مات عبد الله، فقال العاص بن وائل السهمي، قد انقطع نسله فهو أبتر، فأنزل الله ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٢).

ولكنه أخرج عن الصادق عليه السلام قال : توفي «القاسم» ابن رسول الله بركة، فرّ رسول الله - صلى الله عليه وآله - وهو آت من جنازته على العاص بن وائل وابنه عمرو، فقال (عمرو) حين رأى رسول الله : إني لأشنؤه ! فقال العاص بن وائل : لا جرم لقد أصبح أبتر، فأنزل الله : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٣).

يمتاز هذا الخبر عما مرّ بذكر عمرو بن العاص وأنه هو الشانيء الأبتر وإن كان أبوه العاص هو النابز للنبي بلقب الأبتر، ويؤيده ما في «الاحتجاج» للطبرسي عن الحسن بن علي عليه السلام في حديث يخاطب فيه عمرو بن العاص يقول له : ثمّ قت خطيباً وقلت : أنا شانيء محمداً، وقال العاص بن وائل (ولم يقل أبوك لأنه عاهر) : إنّ محمداً رجل أبتر لا ولد له فلو قد مات انقطع ذكره. فأنزل الله تبارك وتعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾^(٤).

فالخبران الأولان عن ابن عباس إنما ذكرا نابز النبي بلقب الأبتر وأنه

(١) مجمع البيان ١٠ : ٨٣٦.

(٢) الدر المنثور ٦ : ٤٠١، سورة الكوثر.

(٣) الدر المنثور ٦ : ٤٠١، سورة الكوثر.

(٤) الاحتجاج ١ : ٤١١، ط. النجف الأشرف.

كان العاص بن وائل أبا عمرو بن العاص، ثم لم يذكر الشافعي له عليه السلام المجاهر له الشنآن. والخبران الآخران عن الصادق والمجتبي عليهما السلام ذكرهما، فلا منافاة بينهما، ولعل ابن عباس سالم عمرو بن العاص أو اتقاه فاكتفى بذكر أبيه عنه.

كما فعل كذلك السدي فقال: كانت قريش إذا مات ذكور الرجل تقول: بتر فلان والأبتر: الفرد! فلما مات ولد للنبي قال العاص بن وائل: بتر الرجل^(١).

وكما فعل ابن إسحاق قال: بلغني أنه كان العاص بن وائل السهمي إذا ذكر رسول الله قال: دعوه فإنما هو رجل أبتر لا عقب له، لو مات لا تقطع ذكره واسترحتم منه. فأنزل الله في ذلك: ﴿إِنَّا أُعْطِينَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ أي ما هو خير لك من الدنيا وما فيها^(٢).

والذي تشير إليه السورة وتدلل عليه الأخبار التاريخية والتفسيرية هو أيضاً مما يقتضي الإعلان لا الكتمان، بل المجاهرة بالإحسان والشنآن، والحنق والعدوان.

السورة السادسة عشرة - «التكاثر»:

روى الطبرسي عن مقاتل والكلبي قالا: نزلت في حين من قريش: بني عبد مناف بن قصي، وبني سهم بن عمرو، تكاثروا وعدّوا أشرافهم، فكثروهم بنو عبد مناف، ثم قالوا: نعدّ موتانا! حتى زاروا القبور فعدّوهم قالوا: هذا قبر فلان وهذا قبر فلان، فكثروهم بنو سهم لأنهم كانوا أكثر

(١) الميزان ٢٠ : ٣٧٢.

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٣٤. وانظر الميزان ٢٠ : ٣٧٠ في معنى الكوثر.

عدداً في الجاهلية^(١) فنزلت السورة. وعليه فلا يصح ما قيل من مثل ذلك في الأنصار أو اليهود مما يقتضي مدنية السورة. ولانسى هنا ما كان من معاوية وبني أمية وبني مروان وقريش عموماً من العداء للأنصار، مما يدفعهم الى أن يعطفوا ما كان من الذم القرآني عليهم الى من سواهم ولا سيما الأنصار وفيهم الأوتار.

السورة السابعة عشرة - «الماعون»:

روى الطبرسي عن ابن جريج قال: نزلت في أبي سفيان بن حرب، كان ينحر في كل أسبوع جزورين، فأتاه يتيم فسأله شيئاً فقرعه بعصاه. وعن السدي ومقاتل بن حيان قالا: نزلت في الوليد بن المغيرة. وعن الكلبي قال: نزلت في العاص بن وائل السهمي. وعن عطاء عن ابن عباس قال: نزلت في رجل من المنافقين^(٢) وأظن هنا في عطاء أنه قد ناله في هذا القول عطاء بني أمية أو أصابه سهم من سهام وزرائهم من بني سهم، ليعطف عنهم ذمماً قرآنيّاً مكياً الى رجل من المنافقين في المدينة.

وفي السورة آية: ﴿فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراؤون ويمنعون الماعون﴾ مما يشير الى وجود مصلين وفيهم مراؤون، فهل يتفق هذا وقول ابن إسحاق: أنهم قبل اعلان الدعوة كانوا إذا أرادوا الصلاة ذهبوا الى شعاب مكة فاستخفوا بصلاتهم فيها؟ فمن كان يراي لمن؟

(١) جمع البيان ١٠ : ٨١١.

(٢) جمع البيان ١٠ : ٨٣٤.

السورة الثامنة عشرة - «الكافرون»:

قال الطبرسي نزلت السورة في نفر من قريش منهم: الحارث بن قيس السهمي والعاص بن وائل السهمي، والوليد بن المغيرة المخزومي، والأسود بن عبد يغوث الزهري، والأسود بن المطلب بن أسد، وأمّية بن خلف (وهم المستهزئون) قالوا: هلمّ يا محمد فاتّبع ديننا نتّبع دينك ونشركك في أمرنا كلّ، تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة، فإن كان الذي جئت به خيراً ممّا بأيدينا كنّا قد شركناك فيه وأخذنا بحظنا منه، وإن كان الذي بأيدينا خيراً ممّا في يديك كنت قد شركتنا في أمرنا وأخذت بحظك منه. قال: معاذ الله أن أشرك به غيره. قالوا: فاستلم بعض آلهتنا نصّدّقك ونعبد إلهك. فقال: حتّى انظر ما يأتي من عند ربّي. فنزل: ﴿قل يا أيّها الكافرون﴾.

فعدل رسول الله ﷺ إلى المسجد الحرام وفيه الملاء من قريش، فقام على رؤوسهم ثمّ قرأ عليهم حتّى فرغ من السورة، فأيسوا عند ذلك فأذوه وآذوا أصحابه^(١) وروى قريباً منه الشيخ في أماليه عن ميناء^(٢). وقال ابن إسحاق في السيرة: بلغني أنّه اعترض رسول الله وهو يطوف بالكعبة: الأسود بن المطلب، والوليد بن المغيرة، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل السهمي، وكانوا ذوي أسنان في قومهم فقالوا: يا محمد هلمّ فلنعبد ما تعبد وتعبد ما نعبد فنشترك نحن وأنت في الأمر، فإن كان الذي تعبد خيراً ممّا نعبد كنّا قد أخذنا بحظنا منه، وإن كان ما نعبد خيراً ممّا

(١) مجمع البيان ١٠ : ٨٤٠.

(٢) أمالي المفيد: ٣٤٦ بسنده عن ابن اسحاق. ورواه الطبري ٢ : ٣٣٧.

تعبد كنت قد أخذت بحظك منه. فأنزل الله فيهم: ﴿قل يا أيها الكافرون﴾^(١).

وروى الطبري بسنده عن ابن عباس قال: إن قريشاً وعدوا رسول الله - صلى الله عليه وآله وسلم - أن يعطوه مالا فيكون أغنى رجل بمكة، ويزوجوه ما أراد من النساء، وقالوا له: هذا لك عندنا يا محمد وكف عن شتم آلهتنا فلا تذكرها بسوء، فإن لم تفعل فإننا نعرض عليك خصلة واحدة فهي لك، ولنا فيها صلاح. قال: ما هي؟ قالوا: تعبد آلهتنا اللات والعزى سنة، ونعبد إلهك سنة! فقال النبي: حتى أنظر ما يأتي من عند ربي!

فجاء الوحي من اللوح المحفوظ: ﴿قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون﴾^(٢). وعليه فهذه هي بداية أذية المشركين للرسول والمسلمين، وهي تقتضي الإعلان لا الكتمان. وكأن أذى أبي لهب وزوجته للرسول من قبل كان خاصاً به وبها فاختصت السورة بهما.

السورتان العشرون والواحدة والعشرون - «المعوذتان»:

قال القمي: حدثني أبي، عن بكر بن محمد، عن الصادق عليه السلام قال: كان سبب نزول المعوذتين أنه وعك رسول الله ﷺ فنزل جبرئيل بهاتين السورتين فعوّذه بهما^(٣).

وروى الطبرسي عنه عليه السلام قال: جاء جبرئيل إلى رسول الله ﷺ

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٨٨.

(٢) الطبري ٣٠: ٣٣٧.

(٣) تفسير القمي ٢: ٤٥٠.

وهو شاك، فراقه بالمعوذتين ﴿قل هو الله أحد﴾ وقال: باسم الله أرقيك، والله يشفيك من كل داء يؤذيك، خذها فلتُهنّيك^(١).

وروى عن أبيه الباقر عليه السلام قال: إنّ رسول الله اشتكى شكوى شديدة ووجع وجعاً شديداً، فأتاه جبرئيل وميكائيل، فقعده جبرئيل عند رأسه وميكائيل عند رجله، فعوّذه جبرئيل بـ ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾، وعوّذه ميكائيل بـ ﴿قل أعوذ برب الناس﴾^(٢).

وعن كتاب «طب الأئمة» عن الصادق عليه السلام: أنّ جبرئيل أتى النبي ﷺ وقال له: إنّ فلاناً اليهودي سحرَكَ، ووصف له السحر وموضعه، فبعث النبي ﷺ علياً عليه السلام حتى أتى القلب فبحث عنه فلم يجده، ثمّ اجتهد في طلبه حتى وجده فأتى به النبي ﷺ وإذا هو حقة فيها قطعة كرب نخل، في جوفه وتَرَّ عليها إحدى عشرة عقدة، وكان جبرئيل عليه السلام قد انزل المعوذتين، فأمر النبي ﷺ علياً أن يقرأهما على الوتر، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة حتى فرغ منها، فكشف الله عن نبيّه ما سحر به وعافاه^(٣).

ونقل المجلسي في باب معجزاته في كفاية شرّ الأعداء عن كتاب «الخرائج والجرائح» للقطب الراوندي قال: روى أنّ امرأة من اليهود عملت له سحراً فظنّت أنّه ينفذ فيه كيدها. والسحر باطل مُحال، إلّا أنّ الله دلّه عليه فبعث من استخرجه، وكان على الصفة التي ذكرها وعلى عدد العقد

(١) مجمع البيان ١٠ : ٨٦٧.

(٢) مجمع البيان ١٠ : ٨٦٧.

(٣) طب الأئمة : ١١٨.

التي عُقد فيها ووصف، مالو عاينه معاين لغفل عن بعض ذلك^(١). ولعلّه أخذ القول باليهودية ممّا اختصره ابن جزى الكلبي في «التسهيل» قال: قيل: إنّ بنات «لبيد» كنّ ساحرات، فهنّ -وأبوهنّ- سحرن رسول الله وغقدن له إحدى عشرة عقدة، فأنزل الله المعوذتين: إحدى عشرة آية بعدد العقد، وشفى الله رسوله^(٢).

وشاء الراوي -في خبر آخر- أن يحذف اسمه ويكتفي بوصفه باليهودية فقال: سحر النبيّ يهودي فاشتكى، فأناه جبرئيل بالمعوذتين وقال: إنّ رجلاً من اليهود سحر، والسحر في بئر فلان. فأرسل عليّاً عليه السلام فجاء به، فأمره أن يحل العقد ويقرأ آية، فجعل يقرأ ويحلّ حتّى قام النبيّ كأنما نشط من عقال^(٣).

وأخرج مفصله البيهقي في «دلائل النبوة» عن طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس عن عائشة قالت: كان لرسول الله غلام يهودي يخدمه يقال له: لبيد بن أعصم، فلم تزل به اليهود حتّى سحر النبيّ، فكان يذوب (أو: يدور) ولا يدري ما وجعه. فبينما رسول الله ذات ليلة نائم إذ أتاه ملكان فجلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجله فقال الأول للثاني: ما وجعه؟ قال: مطبوب (أي مسحور) قال: من طبّه؟ قال: لبيد ابن أعصم؟ قال: بيم طبّه؟ قال: بمشط ومشاطة وجفّ طلعة نخل ذكر بذي أروان (بئر) وهي تحت راعوفة البئر (الصخرة على فم البئر).

(١) بحار الأنوار ١٨ : ٥٧.

(٢) التسهيل ٤ : ٢٢٥.

(٣) الدر المنثور ٦ : ٤١٧.

فلما أصبح رسول الله غدا ومعه أصحابه إلى البئر فنزل رجل (٢) فاستخرج الجف، فإذا فيها مشط رسول الله ومن مشاطة رأسه (شعر رأسه) وإذا تمثال من شمع تمثال رسول الله وإذا فيها أبر مغروزة، وإذا وتر فيه إحدى عشرة عقدة. فأتاه جبرئيل بالمعوذتين فقال: يا محمد ﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ وحل عقدة، ﴿من شر ما خلق﴾، وحل عقدة، حتى فرغ منها وحل العقد كلها، وجعل لا ينزع ابرة إلا يجد لها ألماً ثم يجد بعد ذلك راحة، فقل: يا رسول الله لو قتلت اليهودي؟! فقال: قد عافاني الله، وما وراءه من عذاب الله أشد^(١).

وقد قالوا: إن أوهى الطرق إلى ابن عباس هو طريق الكلبي عن أبي صالح عنه^(٢) وابن عباس رواه عن عائشة، وإن أوهى الطبرسي فقال: عن ابن عباس وعائشة^(٣) ولكن عائشة من أين علمت وأخبرت عن الملكين؟ ونجد الجواب فيما رواه الشيخان في الصحيحين عنها قالت: سحر رسول الله رجل من يهود بني زريق يقال له: بُيد بن الأعصم، حتى كان يخيل إليه أنه يفعل الشيء وما يفعله! حتى إذا كان ذات يوم أو ذات ليلة دعا رسول الله ثم دعا ثم دعا. ثم قال: يا عائشة: جاءني رجلان فقعد أحدهما عند رأسي والآخر عند رجلي، فقال الذي عند رأسي للذي عند رجلي: ما وجع الرجل؟ قال: مطبوب، قال: من طبه؟ قال: بُيد بن الأعصم، قال: في أي شيء؟ قال: في مشط ومشاطة، وجف طلعة نخل ذكر قال: فأين

(١) كما في الدر المنثور ٦ : ٤١٧ .

(٢) الإتيان ٢ : ١٨٩ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٨٦٥ .

هو؟ قال: في بئر ذي أروان (أو: ذروان).
 قالت: فأتاها رسول الله في أناس من أصحابه ثم رجع وقال:
 ياعائشة، والله لكأن ماءها تُقاعة الحنّاء ولكأن نخلها رؤوس الشياطين.
 فقلت: هلا استخرجته؟ فقال: لا، أمّا أنا فقد شفاني الله، وخشيت أن
 يثير ذلك على الناس شراً (!) ثمّ أمر بالبئر فدفنت^(١).
 وعليه بنى السيوطي فقال: المختار أن المعوذتين مدينتان لانهما نزلتا
 في قصّة سحر لبيد بن الأعصم^(٢) ولعل اليعقوبي عدّهما من أواخر المدينيات
 لذلك أيضاً^(٣).

ومرّ في خبر «الدر المنثور» و«طب الأئمة» أن الرسول أرسل عليّاً
 فجاءه بالسحر، وفي خبر «الصحيحين» و«دلائل النبوة» أنّه خرج مع ناس
 من أصحابه فنزل إليه رجل منهم فاستخرج السحر، وأمر بالبئر فطمّت،
 ومن الطبيعيّ القطعيّ أن ينقطع لبيد بعد ذلك عن خدمته، ومع ذلك لم يُرو
 الخبر عن غير ابن عباس عن عائشة!
 والغريب أن ابن عباس كأنّه لم يرَ في الخبر تنافياً مع ما رواه في
 ترتيب نزول السور وأن المعوذتين من أوائل المكّيات لا من أواخر
 المدينيات!^(٤).

أمّا الأخبار الثلاثة الأولى عن القميّ عن الصادق عليه السلام وعن الطبرسي

(١) البخاري ٤ : ١٤٨ و ٧ : ١٧٦ ومسلم ٧ : ١٤ .

(٢) الاتقان ١ : ١٤ .

(٣) اليعقوبي ٢ : ٤٣ .

(٤) التمهيد ١ : ١٠٣ وتلخيصه ١ : ٩٥ .

عنه، وعن الباقر عليه السلام، فهي خلو مما ينافي شأن النبي ومكية السورتين، وأما الخبر الرابع عن «طب الأئمة» عن الصادق عليه السلام فهو عن محمد بن سنان عن المفصل بن عمر، وكلاهما معروفان في الرجال بالضعف، ولا أراه إلا متسرّباً من غيرهم عليه السلام.

السورة الثانية والعشرون - «التوحيد»:

قال القمي في تفسيره: كان سبب نزولها: أن اليهود جاءت الى رسول الله فقالت: ما نسب ربك؟ فأنزل الله: ﴿قل هو الله أحد﴾^(١).
ورواه الكليني في «الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن اليهود سألو رسول الله فقالوا: انسب لنا ربك. فلبث ثلاثاً لا يجيبهم ثم نزلت ﴿قل هو الله أحد﴾ الى آخرها^(٢) ورواه الطبرسي في «مجمع البيان»^(٣).
وفي «الاحتجاج» للطبرسي عن العسكري عليه السلام أن السائل هو عبد الله بن سوريا اليهودي^(٤).

وروى الطبرسي عن الضحاک وقتادة ومقاتل قالوا: جاء أناس من أحبار اليهود الى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا: يا محمد صف لنا ربك لعلنا نؤمن بك، فإن الله أنزل نعته في التوراة. فنزلت السورة^(٥).

إلى هنا تبدو هذه الأخبار وكأنها تستلزم مدنية السورة، ولكن روى الطبرسي عن تفسير القاضي ما يدفع هذه الدلالة قال: إن عبد الله بن سلام

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٤٨ .

(٢) كما في الميزان ٢٠ : ٣٩٠ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٨٥٩ .

(٤) كما في الميزان ٢٠ : ٣٩٠ عن الاحتجاج، ولم اجده في أخبار العسكري عليه السلام .

(٥) مجمع البيان ١٠ : ٨٥٩ .

انطلق الى رسول الله وهو بمكة، فقال له رسول الله: أنشدك بالله هل تجدني في التوراة رسول الله، فقال: انعت لنا ربك. فنزلت هذه السورة فقرأها النبي ﷺ فكانت سبب إسلامه إلا أنه كان يكتُم ذلك الى أن هاجر النبي الى المدينة ثم أظهر الإسلام^(١) فلعله كان هو وعبد الله بن سوريا اليهودي كما مر عن خبر «الاحتجاج» عن العسكري عليه السلام.

ولكن روى القمي أيضاً عن الضحّاك عن ابن عباس قال: قالت قريش للنبي بمكة: صف لنا ربك لنعرفه فنعبدّه. فأنزل الله على النبي ﷺ: ﴿قل هو الله أحد﴾^(٢) وروى الطبرسي تفصيله عنه أيضاً قال: إنّ عامر بن الطفيل وأربد بن ربيعة -أخا لبيد الشاعر- أتيا النبي ﷺ، فقال له عامر ابن الطفيل: الى ما تدعوننا يا محمد؟ فقال: الى الله فقال: صفه لنا أمن ذهب هو أم من فضة أم من حديد أم من خشب؟ فنزلت السورة. وأرسل الله الصاعقة على أربد فأحرقتّه وطعن عامر في خنصره فمات^(٣).

وقد يُجمع بينهما بأن النبي ﷺ تلى التوحيد عليهم، فاستهزأوا به فنزل العذاب بهم، أمّا نزول السورة فقد كان من قبل لليهود القادمين اليه من المدينة، فلا تنافي.

وفي إتيان اليهود اليه من المدينة دلالة على انتشار خبره وبلوغه اليها، وهذا أيضاً ممّا لا يتلاءم مع دور الكتّان، بل الإعلان.

(١) جمع البيان ١٠ : ٨٥٩.

(٢) تفسير القمي ٢ : ٤٤٨.

(٣) جمع البيان ١٠ : ٨٥٩.

السورة الثالثة والعشرون - «النجم» ومعراج الرسول ﷺ:

قال القمي: النجم رسول الله و﴿إذا هوى﴾ أي لما أسري به إلى السماء. فهو قسم برسول الله وردّ على من أنكر المعراج^(١). ولعله أخذ ذلك من خبر رواه الطبرسي عن الصادق عليه السلام قال: إن محمداً ﷺ لما نزل من السماء السابعة ليلة المعراج^(٢) مع ما بين النصين من الفرق.

وروى القمي عن الصادق عليه السلام قال: بينا رسول الله ﷺ راقد بالأبطح وعلى يمينه علي عليه السلام وعن يساره جعفر وحمة بين يديه... إذ أدركه إسرافيل بالبراق وأسرى به إلى بيت المقدس وعرض عليه محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء، فصلّى فيها، وردّه من ليلته إلى مكة. فرّ في رجوعه بعير لقريش وإذا لهم ماء في آنية فشرب منه وأهرق باقي ذلك. وقد كانوا أضلوا بعيراً لهم وكانوا يطلبونه.

فلما أصبح ﷺ قال لقريش: إنّ الله قد أسرى بي في هذه الليلة إلى بيت المقدس، فعرض عليّ محاريب الأنبياء وآيات الأنبياء، وإنّي مررت بعير لكم في موضع كذا وكذا وإذا لهم ماء في آنية فشربت منه وأهرقت باقي ذلك، وقد كانوا أضلوا بعيراً لهم.

فقال أبو جهل -لعنه الله-: قد أمكنكم الفرصة من محمد، سلوه كم الأساطين فيها والقناديل. فقالوا: يا محمد إنّها هنا من قد دخل بيت

(١) تفسير القمي ٢: ٣٣٣. وجاء في اللغة: هوى في الجبل أي صعد فيه، فهوى من الأضداد.

(٢) جمع البيان ١٠: ٢٦١.

المقدس، فصف لنا كم أساطينه وقناديله ومحاريبه؟ فجاء جبرئيل فعلق صورة البيت المقدس تجاه وجهه فجعل يخبرهم بما سألوه. فلما أخبرهم قالوا: حتى تجيء العير ونسألهم عما قلت. فقال لهم: وتصديق ذلك أن العير تطلع عليكم مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر.

فلما أصبحوا أقبلوا ينظرون الى العقبة ويقولون: هذه الشمس تطلع الساعة. فبينما هم كذلك إذا طلعت العير مع طلوع الشمس يقدمها جمل أحمر. فسألوهم عما قال رسول الله، فقالوا: لقد كان هذا؛ ضلّ جمل لنا في موضع كذا وكذا، ووضعنا ماءً بارداً وأصبحنا وقد اهريق الماء. فلم يزداهم ذلك إلا اعتوا^(١).

رواه القميّ مرسلًا بلا إسناد، ورواه الصدوق في أماليه عن أبيه عن القميّ عن أبيه عن ابن أبي عمير عن أبان بن عثمان بن الأحمر البجلي عن الصادق عليه السلام^(٢).

هذا الخبر كما مرّ ذكر الإسراء من مكّة الى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس فقط ولم يذكر عروجه ﷺ منه الى السماوات العلى. وقال الطبرسي: فن جملة الأخبار الواردة في قصّة المعراج ما روى: أن النبي ﷺ قال: أتاني جبرئيل عليه السلام وأنا بمكّة فقال: قم يا محمد. فقمّت معه وخرجت الى الباب فإذا جبرئيل ومعه ميكائيل وإسرافيل، فأقْبى جبرئيل عليه السلام بالبراق... فقال: اركب، فركبت ومضيت حتى انتهيت الى

(١) تفسير القميّ ٢: ١٣، ١٤ ورواه الطبرسي في إعلام الوريّ: ٤٩.

(٢) أمالي الصدوق: ٣٦٣. وروى بعده خبراً باسناده الى عبد الرحمن بن غنم في الإسراء والمعراج، قريب من سابقه. وفي: ٤٨٠ روى خبراً آخر عن الباقر عليه السلام.

بيت المقدس . ثم ساق الحديث الى أن قال : ثم أخذ جبرئيل عليه السلام بيدي الى الصخرة فأقعدني عليها ، فإذا معراج الى السماء لم أر مثلها حسناً وجمالاً ، فصعدت الى السماء الدنيا ورأيت عجائبها وملكوتها ... ثم صعد بي جبرئيل الى السماء الثانية ... ثم صعد بي الى السماء الثالثة ... ثم صعد بي الى السماء الرابعة ... ثم صعد بي الى السماء الخامسة ... ثم صعد بي الى السماء السادسة ... ثم صعد بي الى السماء السابعة ... ثم جاوزناها متصاعدين الى أعلى عليين . ووصف ذلك الى أن قال : ثم كلمني ربي وكلمته ، ورأيت الجنة والنار ، ورأيت العرش ، وسدرة المنتهى .

ثم رجعت إلى مكة ، فلما أصبحت حدثت به الناس فكذبني أبو جهل والمشركون ، وقال مطعم بن عدي : أتزعم أنك سرت مسيرة شهرين في ساعة ؟! أشهد أنك كاذب ! ثم قالوا : أخبرنا عما رأيت . فقال مررت بعير بني فلان وقد أضلوا بعيراً لهم وهم في طلبه وفي رحلهم قعب مملوء من ماء فشربت الماء ثم غطيته كما كان . قال : ومررت بعير بني فلان فنفرت بكرة فلان فانكسرت يدها قالوا : فأخبرنا عن غيرنا . قال : مررت بها بالتنعيم يتقدمها جمل أورق (أي أحمر) عليه قرارتان محيطتان ، ويطلع عليكم عند طلوع الشمس .

قالوا : فخرجوا يشتدون نحو الثنية وهم يقولون : لقد قضى محمد بيننا وبينه قضاءً بيناً وجلسوا ينتظرون متى تطلع الشمس فيكذبوه . فقال قائل : والله إن الشمس قد طلعت ، وقال آخر : والله هذه الإبل قد طلعت يقدمها بعير أورق . فبهتوا ولم يؤمنوا^(١) .

ورواه محمد بن إسحاق عن أم هانئ بنت أبي طالب - رضي الله عنها - قالت: إن رسول الله - صلى الله عليه وآله - ليلة أُسري به صلى العشاء الآخرة في بيتي ثم نام عندي تلك الليلة في بيتي ونمنا. فلما كان قبيل الفجر أيقظنا رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسلم، فلما صلى الصبح وصلينا معه قال: يا أم هانئ لقد صليت معكم العشاء الآخرة كما رأيته بهذا الدار ثم ذهبت إلى بيت المقدس فصليت فيه ثم ها أنا قد صليت معكم الآن صلاة الغداة كما ترين. ثم قام ليخرج، فأخذ بطرف رداءه فقلت له: يا نبي الله لا تحدث بهذا الناس فيكذبوك ويؤذوك! قال: والله لأحدثنهم به.

فقلت لجارية لي حبشية: ويحك اتبعي رسول الله - صلى الله عليه وآله - عليه [وآله] وسلم - حتى تسمعي ما يقول الناس وما يقولون له. فقالت: لما خرج رسول الله إلى الناس أخبرهم فعبجوا وقالوا: ما آية ذلك يا محمد؟ فإننا لم نسمع بمثل هذا قط! قال: آية ذلك: أنني مررت وأنا متوجه إلى الشام بعير بني فلان بوادي كذا وكذا فانفرهم حس الدابة فشذ عنهم بعير فدلتهم عليه. ثم أقبلت حتى إذا كنت بوادي ضجنان (على بريد من مكة بوادي تهامة) مررت بعير بني فلان فوجدت القوم نياماً، ولهم إناء فيه ماء قد غطوا عليه بشيء، فكشفت غطاءه وشربت ما فيه ثم غطيت عليه كما كان، وآية ذلك أن غيرهم الآن تصوب من البيضاء ثنية «التنعيم» يقدمها جمل أورك (بين الغبرة والسواد) عليه غرارتان: أحدهما سوداء والأخرى بألوان مختلفة.

قالت (أم هانئ عن جارتها) فابتدر القوم الثنية فلم يلقيهم شيء قبل الجمل كما وصف لهم، وسألهم عن الإناء فأخبروهم أنهم وضعوه

مملوءاً ماءً ثم غطّوه وأنّهم هبّوا (من نومهم) فوجدوه مغطّى كما غطّوه ولم يجدوا فيه ماءً، وسألوا الآخرين وهم بمكّة، فقالوا: صدق والله، لقد أنفّرنا في الوادي الذي ذكر، ونذّ لنا بعير، فسمعنا صوت رجل يدعونا إليه حتّى أخذناه^(١).

وفي تمام الخبر السابق عن الصادق عليه السلام قال: لما نزلت السورة وأُخبر بذلك عتبة بن أبي لهب فجاء إلى النبي ﷺ وتفل في وجهه وقال: كفرت بالنجم وبرب النجم، وطلّق ابنته عليّة رضي الله عنها. فدعا عليه وقال: اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك.

فخرج عتبة إلى الشام فنزل في بعض الطريق، وألقى الله عليه الرعب فقال لأصحابه: أئيموني بينكم ليلاً. ففعلوا، فجاء أسد فافترسه من بين الناس.

وفي ذلك قال (بعد ذلك) حسان:

سائلُ بني الأصفر إنّ جثّهم	ما كان أنباء بني واسع
لا وسّع الله له قبره	بل ضيّق الله على القاطع
رمى رسول الله من بينهم	دون قريش، رمية القاذع
واستوجب «الدعوة» منه بما	بُيّن للناظر والسامع
فسلّط الله به «كلبه»	يمشي الهوينا مشية الخادع
والتقم الرأس بيافوخه	والنحر منه قفزة الجائع
من يرجع العام إلى أهله؟	فا «أكيل السبع» بالراجع

قد كان هذا لكم عبرة للسيد المستبوع والتابع^(١).
وعن قولهم له: صف لنا بيت المقدس وأخبرنا عن عيرنا في طريق الشام وغير ذلك، ممّا جادلوه به عبّر الله تعالى بقوله سبحانه: ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى﴾^(٢) وفي السورة قوله سبحانه: ﴿أفرأيت الذي تولى وأعطى قليلاً وأكدى أعنده علم الغيب فهو يرى﴾^(٣) وقد مرّ في الخبر السابق عن النبي ﷺ أنّه سمى من المكذّبين لحديثه عن إسرائه ومعراج: أبا جهل ومطعم بن عدي. ثمّ مرّ خبر عتبة بن أبي لهب وأنّه كان أشدهم تكذيباً له. فهل الآية تشير الى أحد هؤلاء المكذّبين؟
سمّى المفسّرون أحد ثلاثة أشخاص من صناديد مشركي قريش مصداقاً لهذه الآية، وخبراً رابعاً تسمي مسلماً مصداقاً معيّناً لها. ليس إلاّ واحداً من الثلاثة المشركين المذكوراً في المكذّبين لحديث الرسول عن إسرائه ومعراج هو أبو جهل، فيما نقله الطبرسي عن محمّد بن كعب القرظي: أنّ الآية في أبي جهل، وذلك أنّه قال: واللّه ما يأمرنا محمّد إلاّ بمكارم الأخلاق! فذلك قوله سبحانه: ﴿وأعطى قليلاً وأكدى﴾ أي أعطى قليلاً من نفسه تصديقاً ثمّ لم يؤمن. وعن السديّ قال: نزلت في العاص بن وائل السهمي وذلك أنّه كان يوافق رسول الله في بعض الأمور. وعن مجاهد وابن زيد قالوا: نزلت في الوليد بن المغيرة.
وعن الكلبي عن السدي عن ابن عباس: أنّ عثمان بن عفان كان ينفق

(١) مجمع البيان ١٠ : ٢٦١.

(٢) النجم : ١١ ، ١٢.

(٣) النجم : ٣٣ - ٣٥.

ويتصدق من ماله، فقال له أخوه من الرضاعة: عبد الله بن سعد بن أبي سرح: ما هذا الذي تصنع؟ يوشك أن لا يبقى لك شيء! فقال عثمان: إن لي ذنباً واني أطلب بما أصنع رضا الله وأرجو عفوهُ. فقال له عبد الله: أعطني ناقتك وأنا أتحمل عنك ذنوبك كلها! فأعطاه وأشهد عليه وأمسك عن الصدقة، فنزلت: ﴿أفرايت الذي تولى وأعطى قليلاً﴾ ثم قطع نفقته، إلى قوله: ﴿وأن سعيه سوف يرى﴾^(١).

وهذا الخبر دلّ - فيما دلّ - على إسلام عثمان، كما دلّ الخبر السابق عن تفسير القمي في إسرائ النبي ﷺ على إسلام حمزة أيضاً، كما دلّ خبر ابن إسحاق عن أمّ هانيء بنت أبي طالب على إسلام بيتها وزوجها أبي هبيرة المخزومي. وإذا لم يكن للأخير خبر في تأريخ الإسلام فلنمرّ على أخبار إسلام حمزة وعثمان.

إسلام حمزة عم النبي ﷺ:

أمّا إسلام حمزة: فكذلك فعل الطبرسي في «اعلام الوری» إذ جعله الخبر السابق لخبر إسرائه ﷺ إلى بيت المقدس، نقلاً عن علي بن إبراهيم ابن هاشم باسناده قال: كان أبو جهل قد تعرض لرسول الله وآذاه بالكلام، واجتمعت بنو هاشم وكان حمزة في الصيد فأقبل ونظر إلى اجتماع الناس فقال: ما هذا؟ فقالت له امرأة: يا أبا يعلى إن عمرو بن هشام (أبا جهل) قد تعرض لمحمد وآذاه. فغضب حمزة ومرّ نحو أبي جهل وأخذ قوسه فضرب

(١) مجمع البيان ٩: ٢٧١ وقبله الزمخشري في الكشاف ٤: ٣٣. وبعده الواحدي في أسباب النزول: ٣٣٥، ٣٣٦ ط الجُميلي.

بها رأسه ثم احتمله فجلد به الأرض . واجتمع الناس فقالوا: يا أبا يعلى صبت الى دين ابن أخيك؟ قال: نعم، أشهد أن لا اله إلا الله وأن محمداً رسول الله . على جهة الغضب والحمية . ورجع الى منزله .

وغدا على رسول الله فقال: يابن أخ أحق ما تقول؟ فقرأ عليه رسول الله ﷺ سورة من القرآن فاستبصر، وثبت على دين الإسلام، وفرح رسول الله ﷺ، وسر أبو طالب بإسلامه وقال في ذلك: فصبراً أبا يعلى على دين أحمد

وكن مُظهراً للدين - وفُتت - صابراً وحُط من أقي بالدين من عند ربّه

بصدق وحق، لا تكن - حمز - كافراً فقد سرّني اذ قلت: إنّك مؤمن

فكن لرسول الله - في الله - ناصراً وناد قريشاً بالذي قد اتيتّه

جهاراً وقل: ما كان أحمد ساحراً^(١).

وروى الخبر ابن إسحاق عن رجل من أشكَم قال: إنّ أبا جهل مرّ برسول الله عند الصفا فأذاه وشتمه ونال منه بعض ما يكره من العيب لدينه والتضعيف لأمره، فلم يكلمه رسول الله ﷺ . ثمّ انصرف عنه فعمد الى نادٍ من قريش عند الكعبة فجلس معهم .

وكانت مولاة لعبد الله بن جُدعان في مسكن لها تسمع ذلك . فلم يلبث أبو جهل حتّى أقبل حمزة بن عبد المطلب متوشحاً قوسه راجعاً من

الصيد، وكان إذا رجع من ذلك لم يصل إلى أهله حتى يطوف بالكعبة، وكان إذا فعل ذلك لم يمر على ناد من قريش إلا وقف وسلّم وتحدث معهم، وكان أعزّ فتى في قريش وأشدّ شكيمة. وكان رسول الله قد رجع إلى بيته. فلما مرّ حمزة بمولاة ابن جُدعان قالت له: يا أبا عُمارة لو رأيت مالتى ابن أخيك محمد آنفًا من أبي الحكم بن هشام: وجده هاهنا جالسًا فأذاه وسبّه وبلغ منه ما يكره ثم انصرف عنه، ولم يكلمه محمد -صلى الله عليه [وآله] وسلّم-.

فاتحمل حمزة الغضب... فخرج يسعى ولم يقف على أحد، مُعدًّا لأبي جهل إذا لقيه أن يوقع به. فلما دخل المسجد نظر إليه جالسًا في القوم فأقبل نحوه، حتى إذا قام على رأسه رفع القوس فضربه بها فشجّه شجّةً منكّرةً ثم قال: أتشتمه وأنا على دينه أقول ما يقول، فردّ ذلك عليّ إن استطعت! فقامت رجال من بني مخزوم إلى حمزة لينصروا أبا جهل، فقال أبو جهل: دعوا أبا عُمارة فإنّي والله قد سببت ابن أخيه سبًّا قبيحًا. فلما أسلم حمزة عرفت قريش أنّ رسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- قد عزّز وامتنع، وأنّ حمزة سيمنعه، فكفّوا عن بعض ما كانوا ينالون منه^(١).

وزاد المقدسي يقول: «عزّ به النبيّ -صلى الله عليه [وآله] وسلّم- وأهل الإسلام، فشقّ ذلك على المشركين فعدلوا عن المنابذة إلى المعاتبة، وأقبلوا يرغبونه في المال والأنعام، ويعرضون عليه الأزواج»^(٢).

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣١١، ٣١٢.

(٢) البدء والتاريخ ٤: ١٤٨، ١٤٩ و ٥: ٩٨.

أما إسلام عثمان: فقد قال ابن اسحاق: بلغني أنه أسلم بعد أبي بكر^(١). وروى ابن عبد البر في «الاستيعاب» عن المدائني عن عمر بن عثمان عن أبيه: أنه دخل على خالته أروى بنت عبد المطلب، فدخل رسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلم- فجعل ينظر اليه وقد ظهر شأنه، فجرى له معه حديث وقرأ عليه بعض الآيات ثم قام فخرج. قال عثمان: فخرجت خلفه فأدركته وأسلمت^(٢).

وخبر ابن إسحاق يتضمن الدلالة على سبق إسلام أبي بكر، كما عدّه هو فيمن أسلم بعد علي عليه السلام وخديجة وزيد بن حارثة، وأنه أسلم بعد عثمان: الزبير بن العوام، وعبد الرحمن بن عوف الزهري، وسعد بن أبي وقاص الزهري، وطلحة بن عبيد الله التيمي وأنهم استجابوا لأبي بكر فجاء بهم إلى رسول الله ﷺ فأسلموا وصلّوا.

وحيث جاء في عبارة ابن إسحاق أنهم استجابوا لأبي بكر فجاء بهم إلى النبي ﷺ بينما لم يصرح ابن إسحاق بأنهم أسلموا بدعوة أبي بكر، لذلك اضاف ابن هشام هذه الكلمة: «بدعائه» ثم نبّه عليه فقال: قوله «بدعائه» عن غير ابن إسحاق^(٣) وهذا من أمانته، ولكنّه اجتهد من ابن هشام، ولا دليل عليه، بل ظاهر قول ابن إسحاق أنهم إنما استجابوا لأبي بكر ليأتوا إلى الرسول، وأنهم إنما أسلموا على يد الرسول نفسه، فالعبارة لا تدلّ على أنهم أسلموا بدعوة أبي بكر إياهم، بل هي في خلاف ذلك

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٦٧ .

(٢) الاستيعاب ٤ : ٢٢٥ .

(٣) سيرة ابن هشام : ٢٦٦ - ٢٦٩ .

أظهر كما هو واضح .

وكما روى ابن عبد البرّ في «الاستيعاب» ما دلّ على عدم إسلام عثمان بدعوة أبي بكر بل بدعوة الرسول نفسه، كذلك روى المقدسي في «البدء والتاريخ» رواية مفادها أنّ طلحة ذهب بنفسه الى الرسول فأسلم، وقالوا: إنّ كان في بصرى الشام، فسمع من راهب فيه خروج نبيّ في ذلك الشهر اسمه «أحمد» فلما قدم مكّة سمع الناس يقولون: تنبأ محمّد بن عبد الله، فأقّى الى أبي بكر فسأله فأخبره ثمّ أدخله على رسول الله فأسلم^(١).

روى تفصيله الطبرسي عن «دلائل النبوة» بسنده عن إبراهيم بن محمّد بن طلحة، عن أبيه عن جدّه طلحة بن عبيد الله التيمي قال: حضرت سوق بصرى فإذا راهب في صومعته قال: سلوا أهل هذا الموسم: أفهم أحد من أهل الحرم؟ فقلت: نعم، أنا. فقال: قد ظهر أحمد أم بعد؟ قال: قلت: ومن أحمد؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، هذا شهره الذي يخرج فيه، وهو آخر الأنبياء، مخرجه من الحرم ومهاجره الى حرّة وسباخ ونخل. قال طلحة: فوقع في قلبي ما قال، فخرجت سريعاً حتّى قدمت مكّة فقلت: هل كان من حدث؟ قالوا: نعم، محمّد بن عبد الله الأمين قد تنبأ، وقد تبعه ابن أبي قحافة. قال: فخرجت حتّى دخلت على أبي بكر فقلت: اتبع هذا الرجل؟ قال: نعم فانطلق اليه وادخل عليه فإنّه يدعو الى الحق. قال طلحة: فأخبرته بما قال الراهب. فخرج بي أبو بكر فدخل بي على رسول الله فأسلمت وأخبرته بما قال الراهب، فسرّ رسول الله بذلك. قال الراوي: فلما أسلم أبو بكر وطلحة أخذهما نوفل بن خويلد بن

(١) البدء والتاريخ ٥ : ٨٢ والبدية والنهاية ٣ : ٢٩ ومستدرک الحاكم ٣ : ٣٦٩.

العدوية فشدهما في حبل واحد فلم يمنعها بنو تيم^(١) فهذا يؤيد قول ابن إسحاق دون ابن هشام. وقال المقدسي في «البدء والتاريخ» في إسلام سعد ابن أبي وقاص: كان سبب إسلامه أنه قال: رأيت في المنام كأني في ظلام فأضاء قر فاتبعته، فإذا أنا بعلي وزيد - وروى: فإذا أنا بزید وأبي بكر - قد سبقاني إليه. ثم بلغني أن رسول الله يدعو إلى الإسلام مستخفياً، فلقيته بأجباد فأسلمت^(٢).

وأما الزبير بن العوام: فقد نقل ابن أبي الحديد في «شرح النهج» عن «نقض العثمانية» لأبي جعفر الإسكافي أنه قال: إن الزبير كان قد أسلم قبل أبي بكر^(٣).

وعلى هذا فلم يبق بمن أسماهم ابن إسحاق أو ابن هشام سوى عبد الرحمن بن عوف فقط. وقد نقل ابن إسحاق قسماً من أخبار الإسراء والمعراج عن عبد الله بن مسعود وأبي سعيد الخدري، مما يدل على سبق إسلامهما أيضاً^(٤).

فرض الصلوات:

قال ابن إسحاق: وفيما بلغني من حديث عبد الله بن مسعود عن النبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم -: أن جبرئيل انتهى به إلى السماء

(١) الطبرسي في إعلام الوري: ٤٠ عن دلائل البيهقي ١: ٤١٩.

(٢) البدء والتاريخ ٥: ٨٥.

(٣) شرح النهج ١٣: ٢٢٤.

(٤) سيرة ابن هشام ٢: ٣٧.

السابعة ثم انتهى به الى ربه ففرض عليه خمسين صلاة كل يوم !
 قال رسول الله : فأقبلت راجعاً، فلما مررت بموسى بن عمران
 سألتني : كم فرض عليك من الصلاة ؟ فقلت : خمسين صلاة كل يوم . فقال :
 إن الصلاة ثقيلة وإن أمتك ضعيفة، فارجع الى ربك فاسأله أن يخفف عنك
 وعن أمتك . فرجعت فسألت ربي أن يخفف عني وعن أمتي، فوضع عني
 عشراً، ثم انصرفت، فررت على موسى فقال لي مثل ذلك، فرجعت
 فسألت ربي فوضع عني عشراً، ثم انصرفت فررت به على موسى فقال لي
 مثل ذلك، فرجعت فسألته فوضع عني عشراً، ثم لم يزل يقول لي مثل ذلك
 كلما رجعت اليه قال : فارجع فاسأل، حتى انتهيت الى أن وضع ذلك عني
 إلا خمس صلوات في كل يوم وليلة، ثم رجعت الى موسى فقال لي مثل
 ذلك فقلت : قد راجعت ربي وسألته حتى استحيت منه، فإنا بفاعل .
 ثم قال : فن أذهن منكم إيماناً واحتساباً لمن كان له أجر خمسين
 صلاة مكتوبة^(١) وفي هذا المعنى الأخير روى الصدوق في «الخصال» بسنده
 عن الزهري عن أنس قال : فرضت على النبي ﷺ ليلة أُسري به الصلاة
 خمسين، ثم نقصت فجعلت خمساً، ثم نودي : يا محمد ﴿ إِنَّهُ لَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ
 لَدَيَّ ﴾ إِنَّ لَكَ بِهذه الخمس خمسين .

وفيه بسنده عن الصادق عليه السلام قال : لما خفف الله عن النبي ﷺ حتى
 صارت خمس صلوات، أوحى الله اليه : يا محمد خمس بخمسين .
 وبإسناده عن زيد بن علي عن سيد العابدين قال : لما هبط رسول الله
 الى الأرض نزل عليه جبرئيل فقال : يا محمد، إن ربك يُقرئك السلام

ويقول: إنها خمس بخمسين، ﴿ما يبدّل القول لديّ وما أنا بظلام للعبيد﴾^(١).
وحكى علي بن إبراهيم بن هاشم القمي في تفسيره عن أبيه عن محمد
ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن الصادق عليه السلام أنّه حدّث بحديث معراج
الرسول عن لسانه الى أن قال: ثمّ غشيتني صباة (أو سحابة) فخررت
ساجداً فناداني ربّي: إنّني قد فرضت على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة،
وفرضتها عليك وعلى أمّتك، فقم بها أنت في أمّتك.

قال رسول الله: فأنحدرت حتّى مررت على إبراهيم فلم يسألني عن
شيء، حتّى انتهيت الى موسى فقال: ما صنعت يا محمد؟ فقلت: قال ربّي:
فرضت على كلّ نبيّ كان قبلك خمسين صلاة، وفرضتها عليك وعلى أمّتك.
فقال موسى: يا محمد إنّ أمّتك آخر الأمم وأضعفها. وإنّ ربّك لا يردّ عليك
شيئاً، وإنّ أمّتك لا تستطيع أن تقوم بها، فارجع الى ربّك فاسأله التخفيف
لأمّتك. فرجعت الى ربّي حتّى انتهيت الى سدره المنتهى فخررت ساجداً ثمّ
قلت: فرضت علي وعلى أمّتي خمسين صلاة ولا أطيق ذلك ولا أمّتي فحقّق
عني. فوضع عني عشراً. فرجعت الى موسى فأخبرته فقال: لا تطيق،
فرجعت الى ربّي، فوضع عني عشراً. فرجعت الى موسى فأخبرته فقال:
ارجع. وفي كلّ رجعة ارجع اليه آخر ساجداً، حتّى رجع الى عشر
صلوات، فرجعت الى موسى فأخبرته فقال: لا تطيق، فرجعت الى ربّي
فوضع عني خمساً، فرجعت الى موسى فأخبرته، فقال: لا تطيق، فقلت: قد
استحييت من ربّي ولكن أصبر عليها.

فناداني (ربّي): كما صبرت عليها فهذه الخمس بخمسين، كلّ صلاة

(١) العلل: ٥٥، والأمال: ٢٧٥ والتوحيد: ١٧٦ والفتاوى: ١٩٧ ط الغفاري.

بعشر، ومن همّ من أمتك بحسنة يعملها كتبت له عشرة، وإن لم يعملها كتبت واحدة. ومن همّ من أمتك بسيئة فعلها كتبت عليه واحدة، وإن لم يعملها لم أكتب عليه شيئاً^(١).

ونقله الصدوق في «من لا يحضره الفقيه» مرسلًا^(٢).

وبإسناده عن زيد بن علي قال: سألت أبي سيد العابدين عليه السلام فقلت له: يا أباه أخبرني عن جدنا رسول الله ﷺ لما عُرج به إلى السماء وأمره ربّه عزّوجلّ بخمسين صلاة، كيف لم يسأله التخفيف عن أمته حتّى قال له موسى بن عمران: ارجع إلى ربك فأسأله التخفيف فإن أمتك لا تطيق ذلك؟

فقال: يا بُنيّ إن رسول الله ﷺ لا يقترح على ربّه عزّوجلّ ولا يراجعه في شيء يأمره به، فلمّا سأله موسى ذلك وصار شفيعاً لأُمته إليه لم يجز له ردّ شفاعته أخيه موسى، فرجع إلى ربّه فسأله التخفيف، إلى أن ردّها إلى خمس صلوات.

فقلت له: يا أبت فلم لم يرجع إلى ربّه عزّوجلّ ولم يسأله التخفيف من خمس صلوات وقد سأله موسى عليه السلام أن يرجع إلى ربّه عزّوجلّ ويسأله التخفيف؟

فقال: يا بُنيّ أراد عليه السلام أن يحصل لأُمته التخفيف مع أجر خمسين صلاة، لقول الله عزّوجلّ: ﴿من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها﴾^(٣).

(١) تفسير القميّ ٢: ١٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه ١: ١٩٧ ط الغفاري.

(٣) الأمالي: ٣٧١، طبعة مؤسسة الأعلمي بيروت، والتوحيد: ١٧٦ والعلل: ٥٥ ومن

وقد تعرّض السيد المرتضى في «تنزيه الأنبياء» للمسألة فقال: إن قيل: فما الوجه في الرواية المشهورة: أن النبي ليلة المعراج لما خوطب بفرض الصلاة راجع ربّه تعالى مرّة بعد أخرى حتّى رجعت إلى خمس، وفي الرواية: أن موسى عليه السلام هو القائل له: إن أمتك لا تطيق هذا، وكيف ذهب ذلك على النبي ﷺ حتّى نبّهه موسى عليه؟ وكيف يجوز المراجعة منه مع علمه بأن العبادة تابعة للمصلحة وكيف يجاب عن ذلك مع أن المصلحة بخلافه؟! ثمّ قال: أمّا هذه الرواية فهي من طريق الآحاد التي لا توجب علماً وهي مع ذلك مضعفة^(١) ثمّ أجاب سائر الأسئلة بناءً على أن تكون الرواية صحيحة.

وقال اليعقوبي: وفي الليلة التي أسري به افتقده أبو طالب فخاف أن تكون قريش قد اغتالته أو قتلته، فجمع سبعين رجلاً من بني عبد المطلب معهم الشفار، وأمرهم أن يجلس كل رجل منهم إلى جانب رجل من قريش، وقال لهم: إن رأيتموني ومحمداً معي فأمسكوا حتّى آتيكم، وإلا فليقتل كل رجل منكم جليسه ولا تتظروني. فوجدوه على باب أم هانئ، فأتى به بين يديه حتّى وقف على قريش فعرفهم ما كان منه، فأعظموا ذلك وجلّ في صدورهم، وعاهدوه وعاقدوه أنّهم لا يؤذون رسول الله ولا يكون منهم إليه شيء يكرهه أبداً^(٢).

وقال ابن شهر آشوب: روى أنّه افتقده أبو طالب في تلك الليلة فلم

لا يحضره الفقيه ١ : ١٩٧ ط الغفاري .

(١) تنزيه الأنبياء : ١٢١ .

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦ .

يزل يطلبه، ووجهه الى بني هاشم يقول: ياها من عزيمة إن لم أر رسول الله الى الفجر! فبينما هو كذلك إذ تلقاه رسول الله وقد نزل من السماء على باب أم هانئ، فقال له: انطلق معي.

فأدخله بين يديه المسجد ودخل بنو هاشم، فسل أبو طالب سيفه عند الحجر وقال لبني هاشم: أخرجوا ما معكم يا بني هاشم! ثم التفت الى قريش فقال: والله لو لم أره مابقيت منكم عين تطرف! فقالت قريش: لقد ركبنا منّا عظيماً^(١).

السورة الرابعة والعشرون - «عبس»:

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَ الْأَعْمَىٰ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهٗ يَرْكُنِي ۚ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَىٰ ۚ أَمَّا مَنْ اسْتَغْنَىٰ فَانْتَ لَهٗ تَصَدَّقَىٰ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَكِّيَ وَأَمَّا مَن جَاءَكَ يَسْعَىٰ وَهُوَ يَخْشَىٰ فَانْتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ۚ كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ فَمَن شَاءَ ذَكَرْهُ ۚ﴾^(٢).

روى الطبرسي في «مجمع البيان»: عن الصادق عليه السلام: «أنها نزلت في رجل من بني أمية كان عند النبي ﷺ، فجاء ابن أم مكتوم، فلما رآه تقدّر منه وجمع نفسه وعبس وأعرض بوجهه عنه، فحكى الله سبحانه ذلك وأنكره عليه».

ولكنه روى بعد هذا خبراً آخر عنه عليه السلام قال: «كان رسول الله ﷺ إذا رأى عبد الله بن أم مكتوم قال: «مرحباً، مرحباً، لا والله لا يعاتبني الله فيك أبداً» وكان يصنع به من اللطف حتى كان يكف عن النبي ﷺ مما يفعل به».

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٨ .

(٢) عبس : ١ - ١٢ .

وهذا يناسب مع المعروف والمشهور في شأن نزول السورة : أن ابن أمّ مكتوم - وهو عبد الله بن شريح العامري - أتى رسول الله ﷺ وهو يناجي أبايًّا وأمّية ابني خلف، وأبا جهل بن هشام، والعبّاس بن عبد المطلب، وعتبة ابن أبي ربيعة، يدعوهم إلى الله ويرجو إسلامهم. فقال : يا رسول الله أقرّني وعلمني ممّا علّمك الله. فجعل يناديه ويكرر النداء ولا يدري أنّه مشغول مقبل على غيره، حتّى ظهرت الكراهة في وجه رسول الله لقطعه كلامه، فأعرض عنه وأقبل على القوم الذين يكلمهم، فنزلت الآيات. وكان رسول الله بعد ذلك يكرمه ويقول : مرحباً بمن عاتبني فيه ربّي.

ثمّ قال الطبرسي : فان قيل : فلو صحّ هذا الخبر فهل يكون العبوس ذنباً أم لا ؟ فالجواب : أن العبوس والانبساط مع الأعمى سواء، إذ لا يشقّ عليه ذلك، فلا يكون ذنباً، فيجوز أن يكون عاتب الله سبحانه بذلك نبيّه ﷺ ليأخذه بأوفر محاسن الأخلاق، وينبّهه بذلك على عظم المؤمن المسترشد، ويعرّفه أن تأليف المؤمن ليقم على إيمانه أولى من تأليف المشرك طمعاً في إيمانه^(١).

هذا والمعنى الأوّل الذي رواه عن الصادق عليه السلام جاء في أصل الكتاب : «التبيان» للشيخ الطوسي هكذا : وقال قوم : إنّ هذه الآيات نزلت في رجل من بني أمّية كان واقفاً مع النبيّ، فلمّا أقبل ابن أمّ مكتوم تنفّر منه وجمع نفسه وعبّس وجهه، فحكى الله تعالى ذلك وأنكره معاتبة على ذلك^(٢).

(١) مجمع البيان ١٠ : ٦٦٣، ٦٦٤.

(٢) التبيان ١٠ : ٢٦٩.

وقريب منه في تفسير القمي^(١).

وفي هذه السورة آية رُبط خبرها بسورة النجم قبلها، وذلك قوله سبحانه: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ...﴾^(٢) قال الطبرسي: عن مقاتل والكلبي: هو عتبة بن أبي لهب اذ قال: كفرت بربّ النجم اذ ا هوى^(٣).

ورواه السيوطي في «الدر المنثور» عن عكرمة عن ابن عباس قال: نزلت في عتبة بن أبي لهب حين قال: كفرت بربّ النجم اذ هوى. فدعا عليه النبي ﷺ فأخذه الأسد بطريق الشام^(٤).

السورة الخامسة والعشرون - «القدر»:

فهي أوّل سورة وآيات ذكر فيها «ليلة القدر» وأنها سلام حتّى مطلع الفجر بل خير من ألف شهر، وأن الملائكة والروح تنزل فيها بإذن ربهم من كلّ أمر، وقد نزلت فيها بالقرآن على رسول الله ﷺ، والنازل منه اذ ذاك هذه الخمس والعشرون سورة.

السورة التاسعة والعشرون - «قريش»:

وليس قبلها الفيل ولا في رواية، فلا مجال للقول بتعلق اللام في بداية هذه السورة: «لايلاف قريش» بكيفية هلاك أصحاب الفيل، فضلاً عن القول بوحدة السورتين، بل المترجح المتعين مانقله الطبرسي في «مجمع

(١) تفسير القمي ٢ : ٤٠٤.

(٢) عبس : ١٧ ، ١٨ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٦٦٥ .

(٤) الدر المنثور ٦ : ٢١٥ .

البيان» عن الخليل وسيبويه: أن «لايلاف» يتعلق بـ «فليعبدوا» أي: ليجعلوا عبادتهم شكراً لنعمة إيلافهم واعترافاً بها^(١).

السورة الثانية والثلاثون - «الهمزة»:

روى الطبرسي عن مقاتل قال: نزلت في الوليد بن المغيرة، وكان يغتاب النبي من ورائه ويطعن عليه في وجهه. وهذا يوافق قول قتادة وسعيد بن جبير في معنى الهمزة وبأنه المغتاب، والهمزة بأنه الطعان. وقال ابن عباس والحسن وأبو العالية وعطاء بن أبي رباح بالعكس أي أن الهمزة هو الذي يطعن في الوجه بالعيب، والهمزة الذي يغتاب عند الغيبة^(٢). وعلى أي حال فالسورة - على هذا - من أول ما نزل في ذم الوليد وتقريعه لما كان يناله من النبي ﷺ قبل ما أصابه وسائر أصحابه من المستهزئين. عن ابن اسحاق: أنها نزلت في أمية بن خلف الجمحي، وكان يهزم النبي ﷺ^(٣) وفي «روح المعاني» أنها في العاص بن وائل^(٤) وهما أيضاً من المستهزئين برسول الله ﷺ.

السورة الثالثة والثلاثون - «المرسلات»:

وفيهما روى السيوطي في «الدر المنثور» عن عبد الله بن مسعود قال: بينا نحن مع النبي - صلى الله عليه [وآله] وسلم - في غار بمنى إذ نزلت عليه سورة ﴿ والمرسلات عرفاً ﴾^(٥).

(١) جمع البيان ١٠ : ٨٢٩، وانظر رد الطباطبائي لأخبار وحدة السورتين ٢٠ : ٣٦٤.

(٢) جمع البيان ١٠ : ٨١٨.

(٣) سيرة ابن هشام ١ : ٣٨٢.

(٤) روح المعاني.

(٥) الدر المنثور ٦ : ٣٠٢.

السورة الرابعة والثلاثون - «ق»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿أَلْقِيا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ مَنّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مَرِيبٍ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَالْقِيَاءُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ﴾^(١) وقال الطبرسي في «مجمع البيان»: قيل: إنّها نزلت في الوليد بن المغيرة حين استشاره بنو أخيه في الإسلام فمنعهم. فيكون المراد بالخير الذي يمنع عنه هو الإسلام^(٢).

السورة الخامسة والثلاثون - «البلد»:

وفيها: ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدَرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُبَدًا أَيْحَسِبُ أَنْ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ﴾^(٣) قال الطبرسي في «مجمع البيان» قال مقاتل الكلبي: هو الحرث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وذلك أنّه دخل في الإسلام وأذنب ذنباً فاستفتى رسول الله فأمره أن يكفر، فقال: لقد ذهب مالي في الكفّارات والنفقات منذ دخلت في دين محمد... وكان كاذباً لم ينفق ما قاله، فقال الله سبحانه: أَيُظِنُّ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرِ ذَلِكَ فَعَلَّ أَوْ لَمْ يَفْعَلْ أَنْفَقَ أَوْ لَمْ يَنْفَقَ.

وقيل: هو أبو الأسد بن كلدة الجمحي، وكان قوياً شديداً الخلق بحيث كان يجلس على أديم عكاظي فتجره العشرة من تحته فيقطع ولا يبرح من مكانه، وكان قد انفق مالا كثيراً في عداوة النبي ﷺ: فأخبر الله عن

(١) ق: ٢٤ - ٢٦.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٢٢٠.

(٣) البلد: ٥ - ٧.

مقالته ﴿ يقول : أهلكْتُ مالاَ لُبداً ﴾ يفتخر بذلك ^(١).

السورة السابعة والثلاثون - «القمر»:

روى القمي في تفسيره بسنده عن الإمام الصادق عليه السلام قال : اجتمعوا أربعة عشر رجلاً أصحاب العقبة ليلة أربعة عشر من ذي الحجة، فقالوا للنبي : ما من نبي إلا وله آية، فما آيتك في ليلتك هذه ؟ فقال النبي : ما الذي تريدون ؟ فقالوا : ألم يكن لك عند ربك قدر ؟ فأمَرَ القمر أن ينقطع قطعتين !

فهبط جبرئيل وقال : يا محمد إنَّ الله يقرؤك السلام ويقول لك : إنِّي قد أمرت كلَّ شيء بطاعتك . فرفع رأسه فأمَرَ القمر أن ينقطع قطعتين ! فانقطع قطعتين ! فسجد النبي صلى الله عليه وآله شكراً لله ... ثمَّ رفع النبيَّ رأسه ورفعوا رؤوسهم ثمَّ قالوا : يعود كما كان ؟ فعاد كما كان ؟ ثمَّ قالوا : ينشق رأسه ! فأمَرَ فانشق . فسجد النبيَّ شكراً لله ...

فقالوا : يا محمد حين يُقدم مسافرونا من الشام واليمن فنسألهم ما رأوا في هذه الليلة ؟ فإن يكونوا رأوا مثل ما رأينا علمنا أنَّه من ربك، وإن لم يروا مثل ما رأينا علمنا أنَّه سحر سخرتنا به ! فأنزل الله ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾ الى آخر السورة ^(٢).

وعليه فهذه هي المرة الثانية لتجربتهم صدق مقال الرسول صلى الله عليه وآله بتصديق المسافرين له، بعد أخباره عن الإسراء به الى بيت المقدس . ولعلهم قالوا ذلك بعد أن قالوا : سحرنا محمد، فقال رجل - كما رواه الطبرسي عن

(١) مجمع البيان ١٠ : ٧٤٨ .

(٢) تفسير القمي ٢ : ٣٤١ .

جبير بن مطعم - إن كان سحركم فلم يسحر الناس كلهم .
قال الطبرسي : وقد روى حديث انشقاق القمر جماعة كثيرة من الصحابة منهم : عبد الله بن مسعود وأنس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابن عمر وابن عباس وعليه جماعة المفسرين ، بل أجمع المسلمون على ذلك ، فلا يعتد بخلاف من خالف فيه .

قال : ومن طعن في ذلك : بأنه لو وقع انشقاق القمر في عهد رسول الله لما كان يخفى على أحد من أهل الأقطار . فقوله باطل .

لأنه قد وقع ذلك ليلاً فيجوز أن يكون الناس كانوا نياماً فلم يعلموا بذلك ، على أن الناس ليس كلهم يتأملون ما يحدث في السماء وفي الجو من آية وعلامة ، فيكون مثل انقضاء الكواكب وغيره مما يغفل الناس عنه ، ولأنه يجوز أن يكون الله قد حجب عنهم بغير ونحوه^(١) .

وقد روى السيوطي في «الدر المنثور» بأسناده عن ابن مسعود قال : انشق القمر ... فقالت قريش : هذا سحر ابن أبي كبشة ، فقالوا : انتظروا ما يأتيكم به المسافرون فإن محمداً لا يستطيع أن يسحر الناس كلهم . فجاء المسافرون فسألوهم فقالوا : نعم قد رأيناه . فأنزل الله ﴿ اقتربت الساعة وانشق القمر ﴾^(٢) .

السورة الثامنة والثلاثون - «ص» :

وفيها قوله سبحانه : ﴿ وعجبوا أن جاءهم منذرٌ منهم وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذاب أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيءٌ عجاب وانطلق الملائكة

(١) مجمع البيان ١٠ : ٢٨٢ .

(٢) الدر المنثور ٦ : ١٣٢ ، سورة القمر .

منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إن هذا لشيء يُراد ما سمعنا بهذا في
 الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق»^(١).

روى الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن جابر عن أبي جعفر
 الباقر عليه السلام قال: أقبل أبو جهل بن هشام ومعه قوم من قريش فدخلوا على
 أبي طالب فقالوا: إن ابن أخيك قد آذانا وآذى آلهتنا، فادعه ومُرّه فليكتف
 عن اهتنا ونكتف عن الهه!

فبعث أبو طالب الى رسول الله ﷺ فدعاه، فلما دخل النبي لم ير
 في البيت إلا مشركاً فقال: السلام على من اتبع الهدى، ثم جلس. فأخبره
 أبو طالب بما جاؤوا به. فقال: أو هل لهم في كلمة خير لهم من هذا،
 يسودون بها العرب ويطؤون أعناقهم! فقال أبو جهل: نعم وما هذه
 الكلمة؟ قال: تقولون: لا إله إلا الله. فوضعوا أصابعهم في آذانهم
 وخرجوا وهم يقولون: ﴿ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة ان هذا إلا اختلاق﴾
 فأنزل الله في قولهم ﴿ص والقرآن ذي الذكر﴾ الى قوله ﴿إلا اختلاق﴾^(٢)
 ونقله القمي في تفسيره بمعناه بلا اسناد وأضاف: نزلت بمكة لما أظهر رسول
 الله الدعوة اجتمعت قريش الى أبي طالب فقالوا: يا أبا طالب! إن ابن
 أخيك قد سفّه أحلامنا، وسب آلهتنا، وأفسد شبابنا، وفرّق جماعتنا. فان
 كان الذي يحمله على ذلك العدم جمعنا له مالا حتى يكون أغنى رجل في
 قريش ونملكه علينا!

فأخبر أبو طالب رسول الله ﷺ بذلك فقال: والله لو وضعوا

(١) ص: ٤ - ٧.

(٢) أصول الكافي ٢: ٦٤٩.

الشمس في يميني والقمر في يساري ما أردته، ولكن يعطونني كلمة يملكون بها العرب ويدين لهم بها العجم ويكونوا ملوكاً في الجنة .

فقال لهم أبو طالب ذلك فقالوا: نعم وعشر كلمات !

فقال لهم رسول الله: تشهدون أن لا اله إلا الله وأني رسول الله ! فقالوا: ندع ثلاثمائة وستين الهاً ونعبد الهاً واحداً؟! فأنزل الله ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون لهذا ساحرٌ كذاب أجعل الآلهة الهاً واحداً إنَّ هذا لشيءٌ عجاب وانطلق الملاء منهم أن امشوا واصبروا على آلهتكم إنَّ هذا لشيءٌ يُراد ما سمعنا بهذا في الملة الآخرة إن هذا إلا اختلاق أنزل عليه الذكر من بيننا بل هم في شك من ذكري بل لما يذوقوا عذاب أم عنهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما فليرتقوا في الأسباب﴾^(١).

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» أنهم كانوا خمسة وعشرين من أشرف قريش منهم أبو جهل بن هشام كما مرَّ في خبر الكليني ومنهم الوليد ابن المغيرة والنضر بن الحارث، وأبي وأمّية ابنا خلف الجمحي وعتبة وشيبة ابنا ربيعة المخزومي. أتوا أبا طالب وقالوا: أنت شيخنا وكبيرنا، وقد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن اخيك، فإنه سفّه أحلامنا وشم آهتنا !

فدعا أبو طالب رسول الله فقال: يا ابن أخي! إن هؤلاء قومك يسألونك. فقال: ماذا يسألونني؟ قالوا: دعنا وآهتنا ندعك وإلهك! فقال:

(١) ص: ٤ - ١٠. تفسير القمي ٢: ٢٢٨ وذكر مختصره ابن شهر آشوب في المناقب

١: ٥٤، ومثله الطبري ٢: ٣٢٤ عن السدي ٣٢٥ عن ابن عباس. وأورد الخبرين

في تفسيره: ٢٣: ٧٩ - ٨١ ط بولاق.

او تعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب والعجم؟! فقال أبو جهل: لله أبوك نعطيك ذلك وعشراً أمثالها، فقال: قولوا لا إله إلا الله. فقاموا وقالوا: «أجعل الآلهة الهأأ واحداً» فنزلت هذه الآيات.

قال: وروي أن النبي ﷺ استعبر ثم قال: يا عجم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي، على أن أترك هذا الأمر، ما تركته حتى ينفذه الله أو أمضي دونه! فقال له أبو طالب: امض لأمرك، فوالله لا أخذك أبداً^(١).

وخرجوا من مجلسهم الذي كانوا فيه عند أبي طالب وهم يقولون -وقيل: إن القائل هو عتبة بن أبي معيط الأموي-: اثبتوا على عبادة آلهتكم واصبروا على دينكم وتحملوا المشاق لأجله، فإن هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد أمر يراد بنا من زوال نعمة أو نزول شدة^(٢).

ولا أحسب القمي متحققاً من قوله إذ قال: نزلت بمكة لما أظهر رسول الله الدعوة؟ بمعنى أن نزول هذه السورة كانت هي نقطة النقلة من المرحلة السرية إلى الدعوة العلنية؟ ولكن كلامه هذا على أي حال، بل القصة برمتها كسابقاتها تستلزم عدم سرية المرحلة. وقد نقلنا قبل هذا لقاء آخر لهم بأبي طالب ﷺ فلعل هذا هو اللقاء الثاني المتكرر، وإن كانت كلمات القوم خلواً من الإشارة إلى ذلك.

السورة التاسعة والثلاثون - «الأعراف»:

وأولها: ﴿المص كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٢٨٥ وعنه الطبري ٢ : ٣٢٦.

(٢) مجمع البيان ٨ : ٧٢٥ - ٧٢٧.

لتنذَر به وذكرى للمؤمنين ﴿^(١)﴾ فهل هذا يعني الانذار الخاص والسري، وذكرى للمؤمنين كذلك ؟ بل الظاهر غير ذلك .

وفيها قوله سبحانه : ﴿ يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والاثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطاناً وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون ﴾ ^(٢) .

قال القمي في تفسيره : انّ اناساً كانوا يطوفون عراً بالبيت، الرجال بالنهار والنساء بالليل، وكانوا لا يأكلون إلا قوتاً، فأمرهم الله بلبس الثياب، وأن يأكلوا ويشربوا ولا يسرفوا ^(٣) ورواه الطبرسي عن جماعة من المفسرين ^(٤) .

وروى السيوطي في «الدر المنثور» باسناده عن ابن عباس قال : كان رجال يطوفون بالبيت عراً فأمرهم الله بالزينة، ﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾ والزينة اللباس، وهو ما يوارى السوات، وما سوى ذلك من جيّد البزّ والمتاع .

وفيه بسنده عنه أيضاً قال : كان أهل الجاهلية يحرمون أشياء أحلّها

(١) الأعراف : ١ - ٢ .

(٢) الاعراف : ٣١ - ٣٣ .

(٣) تفسير القمي ١ : ٢٢٨ .

(٤) مجمع البيان ٤ : ٦٣٧ .

اللَّهُ من الثياب وغيرها، فَأَنْزَلَ اللَّهُ: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ ثُمَّ يَخْلُصُ اللَّهُ الطَّيِّبَاتِ فِي الْآخِرَةِ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ لِلْمُشْرِكِينَ فِيهَا شَيْءٌ «خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وفيه بسنده عن مولاة عكرمة فصل القول في هؤلاء من أهل الجاهلية وما كانوا يحرمون ولماذا فقال: كانت الخمس من قريش وبطون من كنانة ومن يأخذ مأخذها من قبائل العرب: بني عامر بن صعصعة وخزاعة وثقيف والأوس والخزرج لا يأكلون اللحم (في الحج) ولا يأتون البيوت إلا من أدبارها، ولا يضربون وبراً ولا شعراً وإنما يضربون الأدم، وإذا قدموا (للحج) طرحوا ثيابهم التي قدموا فيها وقالوا: هذه ثيابنا التي نريد أن نتطهر إلى ربنا عما فيها من الذنوب والخطايا فنيعيرنا مئزراً، فان لم يجدوا طافوا عراة، فاذا فرغوا من طوافهم اخذوا ثيابهم التي كانوا قد وضعوها.

وفيه بسنده عن سعيد بن جبير قال: كان الناس يطوفون بالبيت عراة يقولون: لا نطوف في ثياب اذنبنا فيها. فجاءت امرأة فألقت ثيابها وطافت وهي واضعة يدها على قلبها وتقول:

اليوم يبدو بعضه أو كله فما بدا منه فلا أحله

فنزلت هذه الآية: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾^(١).

وفي السورة قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا

(١) الدر المنثور ٣: ٧٥، سورة الأعراف.

لعلكم تُرحمون ﴿١﴾.

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن أبي جعفر الامام الباقر عليه السلام والزهري ومجاهد عن سعيد بن المسيّب وسعيد بن جبیر عن ابن مسعود وابن عباس قالا: كان المسلمون يتكلمون في صلاتهم ويسلم بعضهم على بعض، وإذا دخل داخل فقال لهم: كم صليتم أجابوه. فنُهِوا عن ذلك وأُمرُوا بالاستماع^(٢).

السورة الحادية والأربعون - «يس»:

﴿يس والقرآن الحكيم إنك لمن المرسلين﴾ فهو من الأنبياء المرسلين، وظاهر الخطاب بل صريحه فعليته العامة لاشأنيته بالقوة، ولا الفعلية السريّة أو الخاصة، بل ﴿لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم فهم غافلون لقد حقّ القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون إنا جعلنا في أعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان فهم مقمحون وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾^(٣).

وهنا قال القمي في تفسيره: إنها نزلت في أبي جهل بن هشام ونفر من أهل بيته، وذلك أنّه حلف أبو جهل: لئن رأى النبيّ يصلي ليدمغته، فجاء والنبيّ قائم يصلي (حول الكعبة) ومعه حجر، ولكنه جعل كلاً رفع الحجر ليرميه أثبت الله يده إلى عنقه ولا يدور الحجر بيده، ولما يرجع إلى أصحابه يسقط الحجر من يده. فقام رجل آخر من رهطه فقال: أنا أقتله!

(١) الأعراف: ٢٠٤.

(٢) مجمع البيان ٤: ٧٩١.

(٣) يس: ٦ - ٩.

فلما دنا منه سمع قراءة رسول الله فأرعب، فرجع الى أصحابه وقال: حال بيني وبينه كهيئة الفحل يخطر بذنبه، فخفت أن أتقدم. فلم يؤمن من أولئك الرهط من بني مخزوم أحد^(١).

وروى السيوطي في «الدر المنثور» زيادة عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد فيجهر بالقراءة حتى تأذى به ناس من قريش حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة الى أعناقهم، وإذا هم لا يبصرون. فجاءوا، الى النبي فقالوا: ننشدك الله والرحم - يا محمد - فدعا النبي حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت ﴿يس والقرآن الحكيم...﴾^(٢) ولعله كان هذا بعد رد الرسول لهم عند عمه أبي طالب، كرد فعل من أبي جهل بعد فعل الرسول ذلك.

وفي السورة قوله سبحانه: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نَظْفَةٍ فَاذًا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(٣) وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الصادق عليه السلام: أن القائل هو أبي بن خلف الجُمحي. وقال الحسن: هو أمية بن خلف، أخوه. وقال ابن جبير: هو العاص بن وائل السهمي^(٤). وهم ثلاثة من المستهزئين الستة.

ورواية الصادق عليه السلام في كلام الطبرسي هي رواية العياشي عن الحلبي

(١) تفسير القمي ٢: ٢١٢ ونقل مثله الطبرسي في مجمع البيان ١٠: ٦٤٩.

(٢) الدر المنثور ٥: ٢٦٩، سورة يس.

(٣) يس: ٧٧، ٧٨.

(٤) مجمع البيان ١٠: ٦٧٨.

عنه عليه السلام قال : جاء أبي بن خلف فأخذ عظماً بالياً من حائط ففتنه ثم قال : ... إذا كنّا عظاماً ورُفَاتاً أإنّا لمبعثون خلقاً ؟ فأنزل الله : ﴿ قال من يحيي العظام وهي رميم ﴾ ^(١).

السورة الثانية والأربعون - «الفرقان»:

﴿ تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ... وقال الذين كفروا إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون فقد جاؤوا ظلماً وزوراً وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً ﴾ ^(٢).

في تفسير القمي : في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الامام الباقر عليه السلام في قوله : ﴿ وأعانه عليه قوم آخرون ﴾ يعنون : أبا فكيهة وجبراً وعدّاساً وعابساً مولى حُوَيْطَب. وقوله : ﴿ وقالوا أساطير الأولين ﴾ هو قول النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة «اكتتبها» قال القمي : قالوا : هذا الذي يقرأه محمّد ويخبرنا به إنّما يتعلّمه ويكتبه عن رجل من علماء النصارى يقال له : ابن قبيطة ^(٣).

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن مجاهد قالوا : أعان محمّداً صلّى الله عليه وآله على هذا القرآن : عدّاس مولى حُوَيْطَب بن عبد العزّي، ويسار غلام العلاء ابن الحضرمي، وحَبْر مولى عامر، وكانوا من أهل الكتاب ^(٤) ونقل ابن شهر آشوب مثله في «المناقب» ^(٥).

(١) الميزان ١٧ : ١١٨ ونقل معناه ابن شهر آشوب في المناقب ١ : ٥٦ .

(٢) الفرقان : ١ - ٥ .

(٣) تفسير القمي ٢ : ١١١ وسيرة ابن اسحاق ١ : ٣٢١ .

(٤) مجمع البيان ٧ : ٢٥٣ .

(٥) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٤٩ وذكر : حميراً مولى عامر ! .

وفيها قوله: ﴿وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيراً أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها﴾^(١) روى السيوطي في «الدر المنثور» بأسناده عن ابن عباس: أن عتبة وشيبة ابني ربيعة، وأبا سفيان بن حرب، والنضر بن الحارث، وأبا البختري، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبا جهل بن هشام، وعبد الله بن أمية، وأمّية بن خلف، والعاصي ابن وائل، ونبيه بن الحجاج، اجتمعوا فقال بعضهم لبعض: ابعثوا إلى محمد فكلّموه وخاصموه حتى تّعذروا منه.

فبعثوا إليه: إن أشرف قومك قد اجتمعوا لك ليكلّموك. فجاءهم رسول الله فقالوا له: يا محمد! إنّا بعثنا إليك لنعذر منك، فإن كنت إنّما جئت بهذا الحديث تطلب به مالاً، جمعنا لك من أموالنا، وإن كنت تطلب الشرف فنحن نسوّدك، وإن كنت تطلب ملكاً ملّكناك.

فقال رسول الله: ما بي ممّا تقولون، ماجئكم بما جئكم به أطلب أموالكم، ولا الشرف فيكم، ولا الملك عليكم. ولكن الله بعثني اليكم رسولاً وأنزل عليّ كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً، فبلغتكم رسالة ربّي ونصحت لكم، فإن تقبلوا منّي ماجئكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردّوه عليّ أصبر لأمر الله حتى يحكم الله بيني وبينكم.

قالوا: يا محمد! فإن كنت غير قابل ممّا شيئاً عرضناه عليك فسل لنفسك ربك أن يبعث معك ملكاً يصدقك بما تقول ويراجعنا عنك، وسله أن يجعل لك جناناً وقصوراً من ذهب وفضّة تغنيك عمّا تبتغي - فإنك تقوم

بالأسواق وتلتمس المعاش كما نلتسمه - حتى نعرف فضلك ومنزلتك من ربك ان كنت رسولاً كما تزعم .

فقال لهم رسول الله : ما أنا بفاعل ، ما أنا بالذي يسأل ربه هذا وما بُعث اليكم بهذا ، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً .

فأنزل الله في قولهم ذلك : ﴿ وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ... ﴾^(١) .

وفيها قوله سبحانه : ﴿ ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلاً يا ويلتا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً لقد أضلني عن الذكر بعد اذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولاً ﴾^(٢) .

نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن ابن عباس قال : نزل قوله : ﴿ يوم يعض الظالم على يديه ﴾ في عقبة بن أبي معيط وأبي بن خلف الجمحي ، وكانا متخالين ، وذلك : أن عقبة كان لا يقدم من سفر إلا صنع طعاماً فدعا إليه أشراف قومه . وكان يكثر مجالسة الرسول . فقدم من سفره ذات يوم فصنع طعاماً ودعا الناس فدعا رسول الله إلى طعامه .

فلما قربوا الطعام قال رسول الله : ما أنا بآكل من طعامك حتى تشهد أن لا اله إلا الله وأني رسول الله . فقال عقبة : أشهد أن لا اله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

(١) الدر المنثور : ٥ : ٦٢ وروى القصة مرة أخرى عن ابن عباس أيضاً سبباً لنزول الآيات : ٩٠ - ٩٣ من سورة الاسراء ٤ : ٢٠٢ كما سيأتي ، ورواها الطبرسي في مجمع البيان في سورة الاسراء ٦ : ٦٧٨ .

(٢) الفرقان : ٢٧ - ٢٩ .

وبلغ ذلك أبي بن خلف، فأتاه وقال له : صبوت يا عقبه ؟! قال : لا -والله- ماصبوت، ولكن دخل علي رجل فأبى أن يطعم من طعامي إلا أن أشهد له، فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم، فشهدت له فطعم . فقال أبي : ما كنت براض عنك أبداً حتى تأتيه فتبزق في وجهه، ففعل ذلك عقبه، وارتدّ، وأخذ رحم دابة فألقاها بين كتفيه ! فقال النبي ﷺ : لا ألقاك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف .

فوقع يوم بدر أسيراً بيد المسلمين فأمر رسول الله بتنفيذ حلفه فيه من بين سائر أسارى المشركين، ولم يقتل من الأسارى يومئذٍ غيره^(١) . وعليه، فالظالم في الآية : عقبه بن أبي مُعيط الأموي، وفلان خليفه أبي بن خلف الجُمحي، والذكر الذي جاءه شهادته بالشهادتين ولو أخذت منه حياةً، وضلاله بعد الذكر استجابته لطلبة خليفه بالارتداد والبصاق في وجه رسول الله ﷺ .

السورة الرابعة والأربعون - «مريم»:

وهي التي قرأ شطراً منها جعفر بن أبي طالب الطيار على النجاشي ملك الحبشة في الهجرة إليها، فيعلم أنها نزلت قبل ذلك وأن الهجرة إليها بعد هذه السورة . وفيها قوله سبحانه : ﴿ أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتين مالا وولداً... ﴾^(٢) قال الطبرسي : روي في الصحيح : عن خباب بن الأرت

(١) جمع البيان ٧ : ٢٦٠ ، ٢٦١ وفيه : وأما أبي بن خلف فقد قتله النبي يوم أحد بيده في المبارزة . وروى الخبر السيوطي بسنده عن ابن عباس أيضاً في الدر المنثور ٥ :

قال : كنت رجلاً غنياً وكان لي على العاص بن وائل دين فأتيته أتقاضاه فقال لي : لا أقضيك حتى تكفر بمحمد ! فقلت : لن أكفر به حتى تموت وتبعث . قال : فإني لمبعوث بعد الموت فسوف أقضيك دينك اذا رجعت الى مال وولد . فنزلت الآية ﴿أفرايت الذي كفر بآياتنا وقال لأوتينّ مالاّ وولداً﴾^(١) .

السورة السادسة والأربعون - «الواقعة»:

وفيها قوله سبحانه : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾^(٢) وروى العياشي في تفسيره عن عتبة بن عامر الجهني قال : لما نزلت : ﴿فسبح باسم ربك العظيم﴾ قال رسول الله ﷺ : اجعلوها في ركوعكم . ورواه أيضاً في «الدر المنثور» عن أحمد وأبي داود وابن ماجة وابن المنذر وابن مردويه عن عتبة عنه ﷺ^(٣) . وهذا مما يؤيد ما مرّ عن أنّ الصلاة في أوائل تشريعها كانت بسجود بلا ركوع ، ثمّ شرّع فيه الركوع بعد ذلك .

السورة السابعة والأربعون - «الشعراء»:

وفيها آية ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ وقد سبق القول فيها . وفيها أيضاً قوله سبحانه : ﴿ والشعراء يتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴾^(٤) ونقل

(١) مجمع البيان ٦ : ٨١٦ ويقصد بالصحيح البخاري ومسلم كما في أسباب النزول للواحيدي : ٢٤٨ ط الجميلي وفي ابن هشام ١ : ٣٨٣ ، ومثله في مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٥٣ .

(٢) الواقعة : ٧٤ .

(٣) الميزان ٢٠ : ٢٧٠ .

(٤) الشعراء : ٢٢٤ .

الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل: أنهم شعراء المشركين وكلهم من قريش منهم أبو سفيان بن الحرث بن عبد المطلب، وأبو عزة عمرو بن عبد الله، وعبد الله بن الزُبَيْر السهمي، ومسافع بن عبد مناف الجُمحي، وهيرة بن أبي وهب المخزومي... اجتمعوا وقالوا: نحن نقول مثل ما قال محمد، قالوا الشعر وتكلموا بالكذب والباطل ويهجون النبي، واجتمع اليهم غواة من قومهم يستمعون أشعارهم ويروون عنهم هجوههم^(١).

السورة التاسعة والأربعون - «القصص»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿ولكن رحمةً من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لولا أرسلنا رسولاً فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين فلما جاءهم الحق من عندنا قالوا لولا أوتي مثل ما أوتي موسى أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل وقالوا سحران تظاهرا وقالوا إنا بكل كافرين﴾^(٢) ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن الكلبي قال: كانت مقاتلهم هذه حين بعثوا الرهط منهم إلى رؤوس اليهود بالمدينة في عيد لهم، يسألونهم عن محمد ﷺ. فأخبروهم بنعته وصفته في كتابهم التوراة فرجع الرهط إلى قريش فأخبروهم بقول اليهود، فقالوا عند ذلك: سحران تظاهرا^(٣).

والعلامة الطباطبائي مع أنه يذكر في بحوثه الروائية روايات أسباب النزول لم يذكر هذا الخبر عن «مجمع البيان» ولكنه قال في تفسير الآيات:

(١) مجمع البيان ٧ : ٣٢٥.

(٢) القصص : ٤٦ - ٤٨.

(٣) مجمع البيان ٧ : ٤٠٢.

سياق الآيات يشهد بأن المشركين من قوم النبي ﷺ راجعوا بعض أهل الكتاب واستفتوهم في أمره وعرضوا عليهم بعض القرآن النازل عليه، وهو مصدق للتوراة.

فأجابوهم بتصديقه والايان بما يتضمّنه القرآن من المعارف الحقّة، وأنهم كانوا يعرفونه بأوصافه قبل أن يبعث كما قال الله تعالى: ﴿واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين﴾^(١).

فساء المشركين ذلك وشاجروهم وأغلظوا عليهم في القول وقالوا: إنّ القرآن سحر والتوراة سحر مثله ﴿سحران تظاهرا وقالوا إنا بكلّ كافرون﴾ فأعرض الكتّابيون عنهم وقالوا: ﴿سلام عليكم لانبتغي الجاهلين﴾^(٢) هذا ما تلوّح به الآيات الكريمة بسياقها^(٣).

ولم يذكر الخبر من هؤلاء العلماء اليهود من أهل يثرب الذين صدّقوا بالقرآن فأغضبوا المشركين، وأثنى عليهم القرآن في هذه الآيات؟ ولعلّهم هم الذين أسلموا منهم فيما بعد: تميم الداري والجارود العبدي وعبد الله بن سلام، الذين نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن قتادة: أنّهم لما أسلموا نزلت فيهم الآيات: ﴿الذين آتيناهم الكتاب﴾ بينما الآيات مكّيّة من سورة مكّيّة قبل الهجرة إلى المدينة. وقد ذكر في الخبر معهم سلمان الفارسي أيضاً، وهو غريب^(٤).

(١) القصص : ٥٣ .

(٢) القصص : ٥٥ .

(٣) الميزان ١٦ : ٤٧ ، ٤٨ .

(٤) مجمع البيان ٧ : ٤٠٣ .

إيمان أبي طالب:

وفيها بعده قوله سبحانه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾^(١).

قال القمي في تفسيره: نزلت في أبي طالب عليه السلام، فإن رسول الله ﷺ كان يقول: يا عم قل: لا إله إلا الله، أنفعك بها يوم القيامة، فيقول: يا بن أخي أنا أعلم بنفسي. ولكنه لم يمت حتى شهد العباس بن عبد المطلب عند رسول الله: أنه تكلم بها عند الموت، فقال رسول الله ﷺ: أرجو أن تنفعه يوم القيامة. وقال: لو قت المقام المحمود لشفعت في أبي وأمي وعمي، وأخ كان لي مواخياً في الجاهلية^(٢).

وروى القمي هذا الأخير قبل هذا عن أبيه عن محمد بن أبي عمير عن معاوية وهشام عن الصادق عليه السلام عن رسول الله ﷺ^(٣).

وقال الطبرسي: روى عن ابن عباس وغيره أن قوله: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ نزلت في أبي طالب، فإن النبي ﷺ كان يحب إسلامه فنزلت فيه هذه الآية... وفي هذا نظر كما ترى؛ فإن النبي لا يجوز أن يخالف الله سبحانه في إرادته، كما لا يجوز أن يخالفه في أوامره ونواهيه، وإذا كان الله تعالى -على ما زعم القوم- لم يرد إيمان أبي طالب وأراد كفره وأراد النبي إيمانه، فقد حصل غاية الخلاف بين ارادتي الرسول والمرسل، فكأنه

(١) القصص: ٥٦.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٤٢.

(٣) تفسير القمي ٢: ٢٥.

سبحانه يقول: إِنَّكَ -يا مُحَمَّد- تريد إيمانه ولا أريد إيمانه... مع تكفله بنصرتك وبذل مجهوده في اعانتك والذبّ عنك ومحبتة لك ونعمته عليك... وفي هذا ما فيه^(١) وقال في سورة الأنعام: وقد ثبت إجماع أهل البيت عليهم السلام على إيمان أبي طالب، وإجماعهم حجة؛ لأنهم أحد الثقلين اللذين أمر النبي صلى الله عليه وآله بالتمسك بهما بقوله: «إِنْ تَمَسَّكْتُم بِهِمَا لَنْ تَضَلُّوا».

ويدل على ذلك ما رواه ابن عمر: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ جَاءَ بِأَبِيهِ أَبِي قُحَافَةَ يَوْمَ الْفَتْحِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ فَأَسْلَمَ وَكَانَ أَعْمَى فَقَالَ صلى الله عليه وآله: أَلَا تَرَكْتَ الشَّيْخَ فَآتَيْهِ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَرَدْتُ أَنْ يَأْجِرَهُ اللَّهُ تَعَالَى، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَأَنَا كُنْتُ بِإِسْلَامِ أَبِي طَالِبٍ أَشَدَّ فَرَحًا مِنِّي بِإِسْلَامِ أَبِي التَّمَسِّ بِذَلِكَ قَرَّةَ عَيْنِكَ. فَقَالَ صلى الله عليه وآله: صَدَقْتَ.

وروى الطبري بأسناده: أَنَّ رُؤَسَاءَ قُرَيْشٍ لَمَّا رَأَوْا ذُبَّ أَبِي طَالِبٍ عَنِ النَّبِيِّ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَقَالُوا: جِئْنَاكَ بِفَتَى قُرَيْشٍ جَمَالاً وَجُوداً وَشَهَامَةً: عِمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ، نَدَفَعَهُ إِلَيْكَ وَتَدَفَّعَ إِلَيْنَا ابْنَ أَخِيكَ الَّذِي فَرَّقَ جَمَاعَتَنَا وَسَفَّهَ أَحْلَامَنَا فَتَقْتُلْهُ!

فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: مَا أَنْصَفْتُمُونِي، تَعْطُونِي ابْنَكُمْ فَأَغْذُوهُ وَأَعْطِيَكُمْ ابْنِي فَتَقْتُلُونَهُ، بَلْ فُلَيَّاتُ كُلِّ امْرَأَةٍ مِنْكُمْ بَوْلُهُ فَأَقْتُلْهُ. وَقَالَ:

معنا الرسول رسول المليك بيضه تلالاً كلُّمَعِ البروق

أذود وأحمي رسول المليك حماية حام عليه شفيق

قال: وأقواله وأشعاره المنبئة عن اسلامه كثيرة مشهورة لا تحصى، فمن ذلك قوله:

ألم تعلموا أننا وجدنا محمداً نبياً كموسى خُطّ في أوّل الكُتُب
أليس أبونا هاشم شدّ أزره وأوصى بنيه بالطعان وبالحرز
وقوله من قصيدة:

وقالوا لأحمد: أنت امرؤ خلوفُ اللسان ضعيف السبب
إلا إنَّ أحمدَ قد جاءهم بحقٍّ ولم يأتهم بالكذب
وقوله في حديث الصحيفة وهو من معجزات النبي ﷺ:

وقد كان في أمرِ الصحيفة عبرة متى ما يُخبر غائبُ القوم يَعْجَبُ
محا الله منها كفرهم وعقوقهم وما نقموا من ناطقِ الحق مُعَرِّبُ
وأمسى ابن عبد الله فينا مصدقاً على سخطٍ من قومنا غير مُعْتَبِ
وقوله في قصيدة يحضُّ أخاه حمزة على اتباع النبي والصبر في طاعته:

فصبراً -أبا يعلى- على دين أحمد وكن مُظهراً للدين -وُفِّتَ- صابراً
فقد سرّني إذ قلت إنَّك مؤمن فكن لرسول الله -في الله- ناصراً
وقوله في وصيته وقد حضرته الوفاة:

أوصي بنصر النبي الخير مشهده علياً ابني وشيخ القوم عباساً
وحمزة الأسد الحامي حقيقته وجعفرأ: أن يذودا دونه الناسا
كونوا -فداءً لكم أمي وما ولدت- في نصر أحمد دون الناس أتراساً
في أمثال هذه الأبيات ممّا هو موجود في قصائده المشهورة، ووصاياہ
وخطبه، ما يطول به الكتاب^(١) فإنّ استيفاء ذلك جميعه لا تتسع له الطوامير،
وما روى من ذلك في كتب المغازي وغيرها أكثر من أن يُحصى، يكشف
فيها من كاشف النبي ويناضل عنه ويصح نبوته... ولا شك في أنّه لم يختر

تمام مجاهرة الأعداء استصلاحاً لهم ولحسن تدبيره في دفع كيدهم، لئلاَّ يُلجئوا الرسولَ إلى ما أُلجأوه إليه بعد موته^(١).

وقال العلامة الطباطبائي: وروايات أئمة أهل البيت عليهم السلام مستفيضة على إيمانه، والمنقول من أشعاره مشحون بالإقرار على صدق النبي وحقيقة دينه، وهو الذي آوى النبي صغيراً وحماه بعد البعثة وقبل الهجرة، وقد كان أثر مجاهدته وحده في حفظ نفسه الشريفة في العشر سنين قبل الهجرة يعدل أثر مجاهدة المهاجرين والأنصار بأجمعهم في العشر سنين بعد الهجرة^(٢).

وقال في تفسير الآية: لما بين في الآيات السابقة حرمان المشركين -وهم قوم النبي- من نعمة الهداية، وضلالهم باتباع الهوى، واستكبارهم عن الحق النازل عليهم، وإيمان أهل الكتاب به واعترافهم بالحق، ختم هذا الفصل من الكلام بأن أمر الهداية إلى الله لا إليك، يهدي هؤلاء من أهل الكتاب وهم من غير قومك الذين تدعوهم، ولا يهدي هؤلاء وهم قومك الذين تحب اهتدائهم، وهو أعلم بالمهتدين^(٣).

وفي السورة قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا إِنَّا نَتَّبِعُ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفُ مِنْ أَرْضِنَا﴾^(٤) قال الطبرسي: قيل: إنما قاله الحرث بن نوفل بن عبد مناف فإنه قال للنبي صلى الله عليه وآله: إنا لنعلم أن قولك حق، ولكن يمنعنا أن نتبع الهدى معك ونؤمن بك مخافة أن يتخطفنا العرب من أرضنا، ولا طاقة لنا بالعرب^(٥).

(١) مجمع البيان ٧: ٤٠٦.

(٢) الميزان ١٦: ٥٧.

(٣) الميزان ١٦: ٥٥.

(٤) القصص: ٥٧.

(٥) مجمع البيان ٧: ٤٠٦.

وروى السيوطي بأسناده عن ابن عباس : أنَّ القاتل هو : الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف^(١).

وفيهما قوله سبحانه : ﴿أفمن وعدناه وعداً حسناً فهو لآقيه كمن متّعناه متاع الحياة الدنيا ثم هو يوم القيامة من المحضرين﴾^(٢) ونقل الطبرسي عن السدي ومحمد بن كعب القرظي أنّها نزلت في [رسول الله] وعلي بن أبي طالب والحزمة بن عبد المطلب [وعمار بن ياسر] وفي أبي جهل [والوليد بن المغيرة] ثم قال : والأولى أن يكون عامّاً فيمن يكون بهذه الصفة^(٣).

السورة الخمسون - «الإسراء»:

وقد سبق القول عن المعراج في «سورة النجم» وكانت السورة الثالثة والعشرين، وكان الحديث فيها مع المشركين قبل هذه .

وفيهما قوله سبحانه : ﴿واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً﴾^(٤) روى الطبرسي عن الزجاج والجُبائي قالاً : نزلت في قوم كانوا اذا صلى النبي ﷺ وتلا القرآن عند الكعبة ليلاً يرمونه بالحجارة ويمنعونه عن دعاء الناس الى الدين . وقال الكلبي : هم أبو سفيان وأبو جهل وامرأة أبي لهب والنضر بن الحرث، حجب الله رسوله عن أبصارهم عند قراءته للقرآن، فكانوا يأتونه ويمزّون به ولا يرونه، حال الله بينه وبينهم حتى لا يؤذوه^(٥).

(١) الدر المنثور ٥ : ١٣٤ ، سورة القصص .

(٢) القصص : ٦١ .

(٣) مجمع البيان ٧ : ٤٠٨ .

(٤) الإسراء : ٤٥ .

(٥) مجمع البيان ٧ : ٦٤٥ .

وبعدها قوله سبحانه: ﴿نحن أعلم بما يستمعون به اذ يستمعون اليك واذا هم نجوى اذ يقول الظالمون ان تتبعون الا رجلاً مسحوراً﴾^(١) قال الطبرسي قيل: يعني به أبا جهل وزمعة بن الأسود وعمرو بن هشام وحويطب بن عبد العزّي، اجتمعوا وتشاوروا في أمر النبي، فقال أبو جهل: هو مجنون، وقال زمعة: هو شاعر، وقال حويطب: هو كاهن. ثم أتوا الوليد بن المغيرة وعرضوا ذلك عليه فقال: هو ساحر^(٢).

وبعدها قوله سبحانه: ﴿وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن إن الشيطان ينزغ بينهم إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً﴾^(٣) روى الطبرسي عن الكلبي قال: كان المشركون يؤذون أصحاب رسول الله ﷺ بمكة، فيقولون: يا رسول الله ائذن لنا في قتلهم! فيقول لهم: اني لم أؤمر فيهم بشيء، فنزلت^(٤).

وبعدها قوله سبحانه: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون﴾^(٥) فاستحقوا العقاب بالتكذيب بالآية التي هم طلبوها بالتعيين اقتراحاً على نبيهم. وفي تفسير القمي في رواية أبي الجارود عن الإمام الباقر عليه السلام قال: ذلك أن محمداً سأله قومه أن يأتيهم بآية، فنزل جبرئيل فقال: إن الله يقول: ﴿وما منعنا أن نرسل بالآيات﴾ الى قومك ﴿إلا أن كذب بها الأولون﴾ وكنا اذا أرسلنا الى قرية آية فلم يؤمنوا أهلكناهم،

(١) الإسراء: ٤٧.

(٢) مجمع البيان ٧: ٦٤٦.

(٣) الإسراء: ٥٣.

(٤) مجمع البيان ٧: ٦٥٠.

(٥) الإسراء: ٥٩.

فلذلك أخرنا عن قومك الآيات^(١).

وروى السيوطي بأسناده عن ابن عباس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً وأن ينحي عنهم الجبال فيزرعون. فأوحى إليه: إن شئت أن تنأى بهم، وإن شئت أن نؤتيهم الذي سألوها فإن كفروا أهلكوا كما أهلك من قبلهم من الأمم؟ قال: لا، بل أستأني بهم. فانزل الله: ﴿وما منعنا أن نرسل﴾^(٢).

وذكر هذا في معنى الآية الشيخ الطبرسي^(٣) بلا أسناد الى رواية. وبعدها قوله سبحانه: ﴿وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغياناً كبيراً﴾^(٤).

روى الطبرسي عن ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن وقتادة ومجاهد قالوا: إن المراد بـ ﴿الرؤيا التي أريناك﴾ ما أراه في إسرائه الى المسجد الأقصى برؤية العين لا رؤيا المنام، ولكنه حيث رأى ذلك ليلاً وأخبر بها حين أصبح سماً رؤيا.

وروي عن الحسن وابن عباس أن الشجرة الملعونة في القرآن هي شجرة الزقوم. وتقدير الآية: (وما جعلنا الرؤيا التي أريناك والشجرة الملعونة في القرآن إلا فتنة للناس).

وأراد بالفتنة الامتحان وشدة التكليف، ليعرض المصدق بذلك للجزيل

(١) تفسير القمي ٢ : ٢١.

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٩٠، سورة الإسراء.

(٣) مجمع البيان ٧ : ٦٥٣.

(٤) الإسراء : ٦٠.

ثوابه والمكذب لأليم عقابه . وأما كانت شجرة الزقوم فتنة لما روى : أن أبا جهل قال : إنَّ محمداً يوعدكم بنار تحرق الحجارة ثمَّ يزعم أنه تنبت فيها الشجرة ! فقال المشركون : إنَّ النار تحرق الشجرة فكيف تنبت الشجرة في النار ؟ ! وصدق بها المؤمنون^(١) .

وقال فيه : روي أن قريشاً لما سمعت الآية : ﴿ ذلك خيرٌ نزلًا أم شجرة الزقوم ﴾^(٢) قالوا : مانعرف هذه الشجرة ، فقال ابن الزُّبَيْرِ : الزقوم بلغة اليم أو البربر : الزبد والتمر ! فقال أبو جهل لجاريته : يا جارية زقينا ! فأتته الجارية بتمر وزبد ، فقال لأصحابه : ترقوا بهذا الذي يخوفكم به محمد فيزعم أن النار تنبت الشجرة ، والنار تحرق الشجرة . فأنزل الله : ﴿ إنا جعلناها فتنة للظالمين ﴾^(٣) .

وأول ما ذكرت شجرة الزقوم في القرآن ذكرت في سورة الواقعة السادسة والأربعين ، في قوله سبحانه : ﴿ ثمَّ إنكم أيها الضَّالُّونَ المكذَّبونَ لآكلونَ من شجرٍ من زقومٍ فمالتونَ منها البطونَ فشاربونَ عليه من الحميم ﴾^(٤) فالظاهر أن استهزاء أبي جهل والمشركين كان هنا لأول مرة ، وفي سورة الإسراء بعد أربع سور من الواقعة أشار إلى فتنتهم بهذه الشجرة المذمومة في القرآن في سورة الواقعة . ثمَّ كرّر ذلك في سورة الصافات ، وإلا فالصافات قد نزلت بعد الاسراء .

(١) مجمع البيان ٧ : ٦٥٤ ، ٦٥٥ .

(٢) الصافات : ٦٢ .

(٣) مجمع البيان ٨ : ٦٩٤ والآية في الصافات : ٦٣ .

(٤) الواقعة : ٥١ - ٥٤ .

وروى السيوطي بإسناده عن جماعة منهم البخاري والترمذي والنسائي وأحمد بن حنبل والطبري والطبراني والبيهقي في «دلائل النبوة» عن ابن عباس في قوله: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾ أنها ليست رؤيا منام بل هي رؤيا عين لما رآه ليلة أُسري به إلى بيت المقدس. وأن ﴿الشجرة الملعونة﴾ هي شجرة الزقوم. ورواه أيضاً عن ابن عساكر وابن سعد وأبي يعلى عن أمّ هانئ^(١).

وفيها قوله سبحانه: ﴿وإن كادوا ليستفزونك من الأرض ليخرجوك منها وإذا لا يلبثون خلفك إلا قليلاً﴾^(٢) وقال ابن شهر آشوب في «المناقب»: قال قريش مكة... إن هذه الأرض ليست بأرض الأنبياء وإنما أرض الأنبياء الشام فأتت الشام. فنزلت ﴿وإن كادوا...﴾^(٣) ورواه الطبرسي عن مجاهد وقتادة^(٤).

ومنها قوله سبحانه: ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(٥).

روى السيوطي بإسناده عن ابن عباس قال: قالت قريش لليهود: اعطونا شيئاً نسأل هذا الرجل. فقالوا: سلوه عن الروح^(٦) فان أجابكم فليس بنبي، وإن لم يجيبكم فهو نبي، فإننا نجد في كتبنا ذلك. فوكلهم الله في

(١) الدر المنثور ٤ : ١٩١، سورة الإسراء.

(٢) الإسراء : ٧٦.

(٣) المناقب ١ : ٤٩.

(٤) مجمع البيان ٦ : ٦٦٧.

(٥) الإسراء : ٨٥.

(٦) الدر المنثور ٤ : ١٩٥، سورة الإسراء.

معرفة الروح الى ما في عقولهم ليكون ذلك علماً على صدقه ودلالةً لنبوته^(١).

ومنها قوله سبحانه : ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبوعاً أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجَّرَ الْأَنْهَارُ خِلالَهَا تَفْجِيراً أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسْفاً أَوْ تَأْتِي بَالِلُهِ وَالْمَلَائِكَةُ قَبِيلاً أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زَخْرَفٍ أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرَقِيكَ حَتَّى تَنْزِلَ عَلَيْنَا كِتَاباً نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴾^(٢).

روى الطبرسي عن ابن عباس : أنَّ جماعة من قريش وهم : عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو سفيان بن حرب، والأسود بن المطلب، وزمعة بن الأسود، والوليد بن المغيرة، وأبو جهل بن هشام، وعبد الله بن أبي أمية، وأمّية بن خلف، والعاص بن وائل، ونبية ومنبه ابنا الحجاج، والنضر بن الحارث، وابو البخري بن هشام... اجتمعوا عند الكعبة وقال بعضهم لبعض : ابعثوا الى محمد فكلّموه وخاصموه . فبعثوا اليه : إنّ أشرف قومك قد اجتمعوا لك .

وكان ﷺ حريصاً على رشدهم، فظنّ أنّهم بدا لهم في أمره، ولذلك بادر اليهم . فقالوا : يا محمد ! إنّنا دعوناك لتُعْذِرَ اليك، فلا نعلم أحداً أدخل على قومه ما أدخلت على قومك : شتمت الآلهة وعِبت الدين وسفّهت الأحلامَ وفَرّقت الجماعة، فإنّ كنت جئت بهذا لتطلب مالاً اعطيناك، وإن كنت تطلب الشرف سودناك علينا، وإن كانت بك علة غلبت عليك طلبنا

(١) مجمع البيان ٦ : ٦٧٤ .

(٢) الإسراء : ٩٠ - ٩٣ .

لك الأطباء !

فقال ﷺ : ليس شيء من ذلك، بل بعثني الله اليكم رسولا، وأنزل كتابا، فإن قبلتم ما جئت به فهو حظكم في الدنيا والآخرة، وإن تردوه أصبر حتى يحكم الله بيننا.

قالوا: إذن فليس أحد أضيق بلدا منا، فاسأل ربك أن يسيّر هذه الجبال ويجري لنا أنهارا كأنهار الشام والعراق، وأن يبعث لنا من مضى وليكن فيهم قصي - فإنه شيخ صدوق - لنسألهم عما تقول: أحق هو أم باطل؟

فقال: ما بهذا بُعثت. قالوا: فإن لم تفعل ذلك فاسأل ربك أن يبعث ملكا يصدقك ويجعل لنا جنات وكنوزا وقصورا من ذهب.

فقال: ما بهذا بُعثت، وقد جئتم بما بعثني الله به، فإن قبلتم، وإلا فهو يحكم بيني وبينكم. قالوا: فاسقط علينا السماء كما زعمت أن ربك إن شاء فعل ذلك - قال: ذاك الى الله إن شاء فعل.

وقال قائل منهم: لا نؤمن حتى تأتي بالله والملائكة قبيلًا.

فقام النبي ﷺ، وقام معه عبد الله بن أبي أمية المخزومي ابن عمته عاتكة بنت عبد المطلب فقال: يا محمد! عرض عليك قومك ما عرضوا فلم تقبله، ثم سألك لأنفسهم أمورا فلم تفعل، ثم سألك أن تعجل ما تخوفهم به فلم تفعل، فوالله لا أؤمن بك أبدا حتى تتخذ سلما الى السماء ثم ترق فيه وأنا انظر ويأتي معك نفر من الملائكة يشهدون لك وكتاب يشهد لك. وقال أبو جهل: إنه أبى إلا سب الآلهة وشتم الآباء، وأنا أعاهد الله لأحملن حجرا، فاذا سجد ضربت به رأسه!

فانصرف رسول الله حزينا لما رأى من قومه، فأنزل الله سبحانه

الآيات^(١) وذكر مختصره ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٢).

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخَافُ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٣) روى العياشي عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن الباقر والصادق عليهما السلام قالوا: كان رسول الله صلى الله عليه وآله إذا كان بمكة يجهر بصلاته فيعلم بمكانه المشركون فكانوا يؤذونه، فأنزلت هذه الآية عند ذلك^(٤) وكأن في قولها عليهما السلام «إذا كان بمكة» إشعار بأن ذلك كان في حالة خاصة، وليس مطلقاً.

والى هذه الرواية من العياشي يشير الطبرسي يقول: روي عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: أن النبي صلى الله عليه وآله كان إذا صلى فجهر في صلاته تسمع له المشركون وذلك بمكة في أول الأمر، فيؤذونه ويشتمونه، فأمره سبحانه بترك الجهر^(٥).

وروى الطوسي عن سعيد بن جبیر عن ابن عباس: أن النبي كان إذا صلى جهر في صلاته بمكة في أول الأمر، فيسمعه المشركون فيشتمونه ويؤذونه وأصحابه، فأمر الله بترك الجهر^(٦) ورواه عن ابن عباس ابن

(١) مجمع البيان ٦ : ٦٧٨ ، ٦٧٩ . ورواه السيوطي في الدر المنثور ٣ : ٢٠٢ وكذلك رواه سبأ لنزول الآيتين ٧ و ٨ من سورة الفرقان ٥ : ٦٣ ، وكلاهما عن ابن عباس والقصة واحدة .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٥٥ .

(٣) الإسراء : ١١٠ .

(٤) تفسير العياشي ٢ : ٣١٨ .

(٥) مجمع البيان ٦ : ٦٨٩ .

(٦) التبيان ٦ : ٥٣٤ .

اسحاق في سيرته^(١)

السورة الحادية والخمسون - «يونس»:

وفيهما قوله سبحانه : ﴿واذا تتلى عليهم آياتنا بيناتٍ قال الذين لا يرجون لقاءنا ائت بقرآن غير هذا او بدله قل ما يكون لي ان ابده من تلقاء نفسي ان اتبع إلا ما يوحى اليّ ائني أخاف ان عصيت ربّي عذاب عظيم قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عُمراً من قبله افلا تعقلون فمن اظلم ممّن افترى على الله كذباً او كذب بآياته إنّهُ لا يفلح المجرمون﴾^(٢).

روى الطبرسي عن مقاتل قال : نزلت في خمسة نفر : عبد الله بن أميّة المخزومي، والوليد بن مغيرة المخزومي، ومكرز بن حفص، والعاص بن عامر ابن هاشم، وعمر بن عبد الله العامري، قالوا للنبي ﷺ : ائت بقرآن ليس فيه ترك عبادة اللات والعزى ومناة وهبل وليس فيه عيها . ومثله عن الكلبي مختصراً^(٣) وقبله نقل الطوسي عن الزجاج قال : كان غرضهم إسقاط ما فيه من عيب آلهتهم وتسفيه أخلامهم، ومن ذكر البعث والنشور، فأمر الله تعالى نبيّه أن يقول لهم في جواب ذلك : ﴿ما يكون لي أن أبده من تلقاء نفسي﴾^(٤).

(١) سيرة ابن اسحاق ١ : ٣٣٥ .

(٢) يونس : ١٥ - ١٧ .

(٣) مجمع البيان ٥ : ١٤٦ ورواه الواحدي في أسباب النزول : ٢١٦ ط الجميلي .

(٤) التبيان ٥ : ٣٥٠ .

السورة الثانية والخمسون - «هود»:

﴿الر كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير ألا تعبدوا إلا الله إنني لكم منه نذير وبشير﴾ فالبشارة: ﴿وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه يمتعكم متاعاً حسناً إلى أجلٍ مسمى ويؤت كل ذي فضل فضله﴾ والانداز: ﴿وإن تولّوا فإني أخاف عليكم عذاب يوم كبير إلى الله مرجعكم وهو على كل شيء قدير﴾ وأما كيفية مواجعتهم له ولكتابه هذا ففي قوله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه إلا حين يستغشون ثيابهم يعلم ما يسرون وما يعلنون إنه عليم بذات الصدور﴾^(١).

روى الكليني في «الكافي» بإسناده عن سدير الصيرفي الكوفي عن الامام الباقر عليه السلام قال: أخبرني جابر بن عبد الله: أنّ المشركين كانوا اذا مرّوا برسول الله صلى الله عليه وآله حول البيت، طأطأ أحدهم رأسه وظهره (هكذا) وغطّى رأسه بثوبه لا يراه رسول الله، فأنزل الله: ﴿ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه﴾ ورواه العياشي، وعنه الطبرسي في «مجمع البيان» والبحراني في «البرهان» والفيض الكاشاني في «الصافي»^(٢) ورواه السيوطي بإسناده عن أبي زرير قال: كان أحدهم يحني ظهره ويستغشي بثوبه^(٣).

وفيها قوله سبحانه: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك إنما أنت نذير

(١) هود: ١ - ٥.

(٢) تفسير العياشي ٢: ١٣٩ ومجمع البيان ٥: ٢١٥ والبرهان ٢: ٢٠٦ والصافي ١: ٧٧٧.

(٣) الدر المنثور ٣: ٣٢٠، سورة هود.

والله على كل شيء وكيل ﴿^(١)﴾.

وروى الطبرسي عن ابن عباس: أن رؤساء مكة من قريش أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا محمد إن كنت رسولا فحول لنا جبال مكة ذهباً أو اتتنا بملائكة يشهدون لك بالنبوة! فأنزل الله تعالى: ﴿فلعلك تارك بعض ما يوحى إليك وضائق به صدرك أن يقولوا...﴾ ﴿^(٢)﴾.

وبعدها قوله سبحانه: ﴿أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتریات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين﴾ ﴿^(٣)﴾.

السورة الرابعة والخمسون - «الحجر»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين إنا كفيناك المستهزين﴾ ﴿^(٤)﴾ ومامرّ فيها من أبحاث.

والآن وبعد أن استعرضنا منازل من القرآن الكريم قبل هذه الآية ممّا فيه إشارة إلى حوادث البعثة وما بعدها، فهل كان فيه ما ينسجم مع سرّية الدعوة حتّى نزول هذه الآية وبداية الإعلان للعموم بها مع نزول هذه الآية؟ أم كان جُلّه أو كله ممّا لا ينسجم إلّا مع الإعلان بالدعوة للعموم منذ الأوّل أو الأوائل؟ ممّا يؤيّد الخبر والقول بتقدم المرحلة السريّة على نزول القرآن، وبدء الدعوة العلنية العامّة مع بدء نزول القرآن أو قريباً منه، وقد مرّ خبره والقول به قبل هذا.

(١) هود: ١٢.

(٢) مجمع البيان ٥: ٢٢١.

(٣) هود: ١٣.

(٤) الحجر: ٩٤، ٩٥.

وسبق أيضاً في معنى قوله سبحانه: ﴿فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين﴾ عدم التسليم لما اشتهر في معناه أنه أمر بإظهار الدعوة العامة والإعلان بها، واختيار خبر المفيد أن الآية أمر بالإعراض عن تهديد المشركين المستهزئين الستة المقتسمين الأبواب الستة لمنع الحجاج والمعتزمين عن الاستماع والاستجابة للرسول الأمين، الذين أمهلوه إلى الزوال ليترك أمره أو يقتلوه. فالآية أمر له بالإعراض عن هذا التهديد لهؤلاء المشركين والصدع بأمره، لا ابتداءً به بل استمراراً واستدامة فيه. وسبق أن لولا هذا المعنى لما كان أي معنى مناسب للإعراض عن المشركين في الآية، بل كان الأنسب أن يؤمر بالتصدي لهم لا بالإعراض عنهم. وكذلك ما كان من المناسب أن يتواجد هناك مستهزئون معروفون بذلك، مقتسمون لأبواب مكة لمنع عنه في حين أن دعوته سرية.

إذن فالصدع بالأمر وإعلان الدعوة لم يكن الحدث الآخر المشار إليه في هذه الآيات الأواخر من «سورة الحجر» بل هو الحدث الأول المشار إليه بالآيات الأوائل من سورة القلم أو المدثر أو الضحى.

ويبقى أهم الأحداث المشار إليها فيما نزل من القرآن إلى آخر «سورة الحجر»: المعراج في (سورة النجم: ٢٣) ثم إنذار العشيرة الأقربين في (سورة الشعراء: ٤٢) ثم الإسراء في (سورة الإسراء: ٥٠). إذن فالإنذار كان بين المعراج والإسراء، بعد المعراج بكثير وقبل الإسراء بقليل. فتى كانت هذه الحوادث؟

وقبل الوصول إلى جواب هذا السؤال أقول: إنما فرقت هنا بين المعراج والإسراء وقدّمت ذكر المعراج على الإسراء تبعاً لسورتي النجم والإسراء في ترتيب النزول، وسورة النجم لم تذكر الإسراء وسورة الإسراء

لم تذكر أكثر من الإسراء، بل إن الضمائر في آيات سورة النجم غير صريحة في الرجوع الى الرسول ﷺ بل هي مرددة بينه وجبرئيل عليه السلام لولا أن الأخبار والروايات والأحاديث فسرتها بالمعراج وبعد الإسراء، بل إن الآيات إنما أشارت الى ما كان قد تحدث عنه الرسول فجادله فيه المشركون «أفتأرونه على ما يرى» وفي سورة الإسراء أضافت الاخبار بالمعراج بعد الإسراء، فلم تجعل المعراج بلا إسراء، ولا الإسراء بلا معراج فكان كلاهما إسراء ومعراجاً، مما جعل أخبارهما متداخلة غير متمايز أوّلها عن الثاني، بل ولا أحدهما عن الآخر.

ومن المحتمل أن تكون الآية الاولى من سورة الإسراء إنما تُذكر بما تضمنته وأضمرت عنه وأشارت اليه سورة النجم السابقة، لولا أن الأخبار أفادت التكرار مرتين^(١)، ولكنّها غير متمايزتين حتّى في تأريخهما.

(١) انظر أصول الكافي ١ : ٤٤٢ والمناقب ١ : ١٧٧ وسعد السعود : ١٠٠ والميزان ١٣ :

الفصل الخامس

الإسراء والمعراج

تأريخ المعراج والاسراء:

وفي تأريخ الاسراء: روى القطب الراوندي في «الخرائج والجرائح» عن علي عليه السلام أنه: لما كان بعد ثلاث سنين من مبعثه صلى الله عليه وآله أسري به الى بيت المقدس وعُرج به منه الى السماء ليلة المعراج، فلما أصبح من ليلته حدث قريشاً بخبر معراجه^(١).

ومجموع ما نقله المجلسي في باب المعراج في تأريخه كما يلي: ذكر خبر «الخرائج»^(٢) ونقل عن «المناقب» عن ابن عباس أنه: كان في شهر ربيع الأول بعد النبوة بسنتين. وفيه عن الواقدي والسدي أنه: كان قبل الهجرة بستة أشهر في السابع عشر من شهر رمضان^(٣).

(١) الخرائج والجرائح ١ : ١٤١ ط قم .

(٢) بحار الأنوار ١٨ : ٣٧٩ .

(٣) بحار الأنوار ١٨ : ٣٨١ .

وعن الواقدي أيضاً في «المنتقى» للكاظمي قال: كان المسري في ليلة السبت السبع عشرة ليلة خلت من شهر رمضان في السنة الثانية عشرة من النبوة قبل الهجرة بثمانية عشر شهراً. وفيه قيل: ليلة سبع عشرة من ربيع الأول قبل الهجرة بسنة، من شعب أبي طالب الى بيت المقدس. وقيل: ليلة سبع وعشرين من رجب. وقيل: كان الإسراء قبل الهجرة بسنة وشهرين وذلك سنة ثلاث وخمسين من عام الفيل^(١).

وعن «العدد القوية» قال: في ليلة احدى وعشرين من رمضان قبل الهجرة بستة أشهر كان الإسراء برسول الله. وقيل: في السابع عشر من شهر رمضان ليلة السبت. وقيل: ليلة الاثنين من شهر ربيع الأول بعد النبوة بسنتين. وفيه عن كتاب «التذكرة»: في ليلة السابع والعشرين من رجب السنة الثانية من الهجرة كان الإسراء^(٢). فالاختلاف من سنة بعد البعثة الى سنتين بعد الهجرة!

ويبدو أن الراجح من هذه الأقوال والروايات هو رواية الراوندي عن علي عليه السلام، فلننظر في سائر المرجحات.

أما سورة النجم فإنها نزلت بعد اثنتين أو ثلاث وعشرين سورة، وقد نزل بعدها أربع وستون سورة في مكة^(٣) فالطبيعي أن تكون قد نزلت فيما بين الثلثين الأول والثاني من العشر سنين مدة التنزيل بمكة قبل الهجرة، أي في نهاية السنة الثالثة أو بدايات العام الرابع من تلك المدة.

(١) بحار الأنوار ١٨ : ٣٠٢.

(٢) بحار الأنوار ١٨ : ٣١٩.

(٣) راجع مجمع البيان ١٠ : ٦١٢ في سورة الانسان والتهديد : ١٠٥ وتلخيصه : ٩٥.

إلاّ أنّه يمكن القول بأنّ السور الأوائل من القصار المفصّلات، بينما مايلها من المثين والمثاني المطوّلات، فمن المحتمل أن تكون السور العشرون الأوائل نازلة في السنة الأولى من تلك المدّة، والسور الستون الباقية نازلة في السنين التسع الباقية، وعليه فيكون المعراج ونزول سورته في أواخر السنة الأولى من تلك المدّة.

وقد مرّ في خبر القميّ في تفسيره: أنّ اسماعيل المليك سأل جبرئيل: من هذا معك؟ فقال: محمّد، قال: أو قد بُعث؟ قال: نعم^(١) أو: أو قد أرسل إليه؟^(٢) وإنّما يتناسب هذا التساؤل مع أوائل البعثة بالنبوة أو الرسالة والتنزيل عليه، لا بعد ذلك بكثير، فضلا عمّا بعد الهجرة.

ومع الالتفات الى التفريق بين البعثة بالنبوة والرسالة ينتفي الخلاف بين عمدة الأقوال: السنة الثانية والخامسة، فالثانية من الرسالة والتنزيل هي الخامسة من البعثة بالنبوة، وسيما وأنّ رواية السنة الثانية تنتهي الى ابن عبّاس وهو المعروف بالقول بنزول القرآن في عشر سنين، فكأنّه لا يحسب الثلاث سنوات الأولى لاعتبار أنّه ﷺ إنّما أمر بالانذار بعدها.

وابن عبّاس أدرك مدّة قصيرة من حياة الرسول ﷺ ولم يكن معه حين معراجه حتّى يكون شاهداً بتاريخه، فلا بدّ أنّه نقله من شخص آخر لم يذكره، فهو نقل تاريخي لم يُذكر المصدر فيه فلا قيمة له عند التحقيق، لولا أنّنا نعلم أنّ أكثر علم ابن عبّاس هو من علم علي عليه السلام، فيبدو أنّه ينقله عنه عليه السلام، إلاّ أنّ النقل اختلف عنهما بين الاثنين والثلاث.

(١) تفسير القميّ ٢ : ٥ .

(٢) تاريخ الخميس ١ : ٣١٠ ومجمع الزوائد ١ : ٧٠ عن المواهب اللدنية ٢ : ٦ .

ولعلّ الذين أرخوا المعراج بعام ونصف أو بخمسة عشر شهراً بعد مبعثه^(١) أو بعد البعثة بستة عشر شهراً^(٢) أخذوا السنتين عن ابن عباس واجتهدوا فيها بالمداقة في شهورها مختلفين .

ولعلّ من أقوى ما يدلّ على تأريخ المعراج بأوائل السنة الخامسة : مامرّ من اثبات ميلاد فاطمة الزهراء عليها السلام في السنة الخامسة من النبوة ، بالاضافة الى ما روى عن الامام الصادق عليه السلام وابن عباس وسعد بن مالك وسعد بن أبي وقاص وعائشة : أنّها إذ عاتبت على كثرة تقبيله لابنته الزهراء قال لها : يا عائشة ! لما أسري بي الى السماء أدخلني جبرئيل الجنة ، فناولني منها تفّاحة ، فأكلتها ، فصارت نطفة في صلبى ، ففاطمة من تلك النطفة ، ففاطمة حوراء إنسية ، وكلّما اشتقت الى الجنة قبّلتها^(٣) .

وقد علّم بمّا مرّ أنّ فاطمة ولدت بعد البعثة بخمس سنين أي في السنة الثانية من الرسالة والتنزيل - وهو يحمل قول الشيخ المفيد ومن قال

(١) سيرة مغلطاي : ٢٧ .

(٢) شرح الشفا للقاري ١ : ٢٢٢ .

(٣) بحار الأنوار ١٨ : ٣١٥ و ٣٥٠ و ٣٦٤ عن تفسير القمّي وعلل الشرائع والمختصر . وملحقات إحقاق الحق للمرعشي ١٠ : ١ - ١١ . أخبار الدول : ٨٧ وتأريخ بغداد ٥ : ٨٧ وذخائر العقبى : ٣٦ . وكنز العمال ٣٠ : ٩٤ و ١٤ : ٩٧ . وجمع الزوائد ٩ : ٢٠٢ . ومحاضرات الأوائل : ٨٨ . ومستدرك الحاكم ٣ : ١٥٦ وتلخيصه للذهبي والمطالب السنية : ٢٣٩ . ومفتاح النجا : ٩٨ مخطوط . ومقتل الخوارجي : ٦٤ ومناقب المغازلي : ٣٥٨ والمواهب اللدنية ٢ : ٢٩ ، وميزان الاعتدال ١ : ٣٨ و ٢٥٣ و ٢ : ٢٦ و ٨٤ و ١٦٠ و ٢٩٧ ونزهة المجالس ٢ : ١٧٩ . ونظم درر السمطين : ٧٧ . ووسيلة المال : ٧٨ . وينابيع المودة : ٩٧ .

بولادتها في السنة الثانية- وإذا كان ظهور نطفة فاطمة واستقرارها في موضعها طبيعياً اقتضى أن يكون المعراج قبل ذلك بأكثر من تسعة أشهر ولا أقلّ منها، ولكن لا يدرى هل هي من المعراج الأوّل أو الثاني؟ فلو كانت من الأوّل اقتضى ذلك ترجيح القول الأوّل بأن المعراج كان بعد سنة من الرسالة، ليكون ميلاد الصديقة في السنة الثانية.

وبما أن التأريخ بسنة البعثة بالنبوة لا السنة العربية بدءاً بمحرّم، فالحساب من شهر شعبان -بعد البعثة في أواخر شهر رجب- واليه، وعليه فيترجّح القول بكون المعراج الأوّل في شهر رمضان ولعله في إحدى ليالي القدر: التاسع عشر أو الحادي والعشرين كما مرّ عن «العُدّة القوية» وكما مرّ عن «المنتقى» عن الواقدي، وعن «المناقب» عن الواقدي والسدي. وبعد تسعة أشهر من شهر رمضان يكون شهر جمادى الثانية ميلاد الصديقة ﷺ. وفي شهر رجب بعد الجمادى الثانية تنتهي السنة الثانية للرسالة والخامسة للنبوة.

وعليه فيكون ما في «الخرائج» عن علي عليه السلام من تأريخ المعراج بالسنة الثالثة تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني، فإنّما كذلك في شهر رمضان أيضاً أو في شهر ربيع الأوّل في ليلة السابع عشر منه أي ميلاد الرسول ﷺ كما عن «الاقبال»^(١) ومرّ عن «العُدّة القوية» و«المنتقى» وعن «المناقب» عن ابن عباس.

أمّا إذا افترضنا ميلاد الزهراء ﷺ بعد الإسراء والمعراج الثاني، وافترضنا ما في «الخرائج» عن علي عليه السلام تأريخاً له -أي للثاني- فإنّ ميلاد

(١) الاقبال : ٦٠١.

الزهاء سيكون في السنة الثالثة من الرسالة والسادسة من النبوة، ممّا لا يتفق مع القول المعولّ عليه والروايات المعتمدة. وكذلك أيضاً إذا افترضنا السنة الثالثة تأريخاً للمعراج الأوّل. اللهم إلّا أن نقول بتأخير الولادة عن الإسراء والمعراج الى السنة الخامسة من الرسالة، أي بعد سنتين من المعراج في السنة الثالثة، ولكنّه خلاف ظاهر الأخبار، نعم إلّا أن نقول بأنّ الإسراء والمعراج الثاني كان في السنة الخامسة من الرسالة والولادة بعدها فيها كذلك. ولكنّ هذا يقتضي أن يكون عمر الصديقة حين الهجرة خمس سنين وحين الزواج ست سنين ممّا لم يقل به أحد ولا يُعقل. فنرجع الى ترجيح كونها من المعراج الأوّل وميلادها بعده كما مرّ، وحيث لم يتفق ذلك مع كون المعراج الأوّل في السنة الثالثة من الرسالة كما مرّ آنفاً، فليكن ذلك تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني.

ويبقى أننا لو رجّحنا أن تكون السنة الثالثة فيما رواه «الخرائج» عن علي عليه السلام تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني، فهنا اشكالان:

الأوّل: أنّ الخبر بصدد بيان ما يتعلق بالمعراج بالتفصيل، فلماذا لم يبيّن بل لم يُشر الى المعراج الأوّل السابق -أو الآخر اللاحق- لا من قريب ولا من بعيد؟ وكذلك أكثر أخبار الإسراء والمعراج.

الثاني: أننا لو رجّحنا القول بكون الإسراء والمعراج الثاني في السنة الخامسة من الرسالة كان ذلك منسجماً مع كون سورة الإسراء السورة الخمسين في ترتيب النزول، ونزل في الخمس سنين بعدها زهاء ثلاثين سورة من المثني أو المثاني المطوّلات نسبياً بينما لو رجّحنا السنة الثالثة تأريخاً للإسراء والمعراج الثاني استلزم أن يكون النازل في مدّة هذه السنين الثلاثة خمسين سورة، بينما النازل في السبع سنين البواقي ثلاثين سورة. اللهم

أن يلتزم بذلك بحجة أن السور الأوائل قصار مفضلات والبواقي مئين أو مئتان مطوّلات نسبياً.

ولعلّ ممّا يؤيّد هذا ما رواه السيوطي في «الدر المنثور» بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال عن سورة الإسراء ومريم والكهف: إنهنّ من العتاق الأول^(١) هذا وهو من المهاجرين إلى الحبشة، وهي كانت في السنة الخامسة.

والظاهر أن المقصود بالخامسة هي الخامسة من النبوة لا الرسالة والتنزيل، أي بعد الرسالة والتنزيل بعامين، ولكن حتّى لو كانت الخامسة من الرسالة فإنّ ظاهر الخبر أنّ سورة الإسراء كانت قد نزلت قبل الهجرة إلى الحبشة بمدة ليست بقصيرة بل طويلة.

تأريخ يوم الدار:

أمّا تأريخ انذار يوم الدار فهو يتبع تأريخ الإسراء والمعراج الثاني قبله بمدة تسع وتناسب لنزول سورتي: النمل ٤٨ وآياتها ٩٢ والقصاص ٤٩ وآياتها ٨٨. فلو قلنا بكون المعراج الثاني في السنة الخامسة أو الثالثة، فلو كان في الربيع الأوّل منها وهو الشهر الثامن منها كان من الممكن أن يكون الانذار في أوائلها أو آخر شهر رجب أو شعبان أو رمضان منها، أمّا لو كان المعراج في شهر رمضان اقتضى أن يكون الانذار في أوائل السنة السابقة: الرابعة أو الثانية من الرسالة.

ويكون عمر علي عليه السلام يومئذٍ -على أنّ ميلاده بعد عام الفيل بثلاثين

(١) الدر المنثور ٤ : ١٣٦ عن ابن الضريس وابن مردويه وصحيح البخاري ٣ : ٩٦.

سنة - في السنة الثانية من الرسالة: خمس عشرة سنة، وفي السنة الرابعة منها: ست عشرة سنة.

وحيث جرّنا البحث عن المرحلة السريّة والعلنية الى ملاحظة سير الحوادث بعد البعثة والتنزيل من خلال الآيات الكريمة حتّى آخر السورة الرابعة والخمسين، سورة الحجر، فلا بأس بأن نستمر على هذه الطريقة لنلاحظ سير الحوادث من خلال نزول التنزيل.

السورة الخامسة والخمسون - «الأنعام»:

التي نزلت جملة واحدة كما في خبر أبي بن كعب عن النبي ﷺ كما في «مجمع البيان»^(١). وخبر العياشي عن الامام الصادق عليه السلام^(٢) والقمي عن الرضا عليه السلام^(٣) وفيها قوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قُرْطَاسٍ فَلَمْسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مَبِينٌ وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أُنْزِلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبَسُونَ﴾^(٤).

وروى الطبرسي عن الكلبي قال: نزلت في عبد الله بن أبي أمية ونضر بن الحارث ونوفل بن خويلد، قالوا: يا محمد لن نؤمن لك حتّى تأتينا بكتاب من عند الله ومعه أربعة من الملائكة يشهدون عليه أنّه من عند الله وأنتك رسوله^(٥) وكذلك رواه ابن شهر آشوب في

(١) مجمع البيان ٤: ٤٢١ وعن عكرمة وقتادة .

(٢) تفسير العياشي ١: ٣٥٣ .

(٣) تفسير القمي ١: ١٩٣ .

(٤) الأنعام: ٧ - ٩ .

(٥) مجمع البيان ٤: ٤٢٨ .

المناقب^(١).

وفيهما قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَغِيرَ اللَّهُ أَتُخَذَ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾^(٢).
قال الطبرسي قيل : إنّ أهل مكّة قالوا لرسول الله : يا محمد تركتّ ملة قومك، وقد علمنا أنّه لا يحملك على ذلك إلّا الفقر، فإنّا نجمع لك من أموالنا حتّى تكون أغنانا، فنزلت الآية^(٣) ونقله كذلك ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٤).

وفيهما قوله سبحانه : ﴿ قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَنتُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَأَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمُ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾^(٥).

في «تفسير القمي» برواية أبي الجارود عن الامام الباقر عليه السلام قال : إنّ مشركي أهل مكّة في أوّل مادعاهم رسول الله قالوا له : يا محمد ! ما وجد الله رسولا يرسله غيرك ؟ ! ما نرى أحداً يصدّقك بالذي تقول، ولقد سألنا عنك اليهود والنصارى فزعموا أنّه ليس لك ذكر عندهم. فأتنا بمن يشهد

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٤٨ .

(٢) الأنعام : ١٤ - ١٥ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٤٣٣ .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٤٩ .

(٥) الأنعام : ١٩ ، ٢٠ .

أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ . فقال رسول الله : ﴿اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾^(١) وروى الطبرسي مثله عن الكلبي^(٢) وكذلك ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٣) .

وفيها قوله سبحانه : ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا كَلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّى إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾^(٤) .

قال الطبرسي في «مجمع البيان» قيل : إنَّ نفرًا من مشركي مكة منهم : أبو سفيان بن حرب وعتبة وشيبة ابنا ربيعة، والنضر بن الحارث والوليد بن المغيرة^(٥) وغيرهم، جلسوا الى رسول الله ﷺ وهو يقرأ القرآن، فقالوا للنضر: ما يقول محمد؟ فقال: أساطير الأولين مثل ما كنت أحدثكم عن القرون الماضية، فأنزل الله هذه الآية .

وروي : أنَّ النبي ﷺ كان يصلي بالليل ويقرأ القرآن في الصلاة جهراً، رجاء أن يستمع الى قراءته انسان فيتدبر معانيه ويؤمن به، فكان المشركون اذا سمعوه آذوه ومنعوه عن الجهر بالقراءة، فكان الله تعالى يلقي عليهم النوم أو يجعل في قلوبهم أكِنَّةً ليقطعهم عن مرادهم^(٦) .

وفيها قوله سبحانه : ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِنْ يُهْلِكُونَ إِلَّا

(١) تفسير القمي ١ : ١٩٥ .

(٢) مجمع البيان ٤ : ٤٣٦ والواحدي في أسباب النزول: ١٧٤ عن الكلبي أيضاً .

(٣) المناقب للسروي ١ : ٥٠ .

(٤) الأنعام : ٢٥ .

(٥) كذا، والمفروض أنه هلك مع المستهزئين الستة قبل نزول الأنعام .

(٦) مجمع البيان ٤ : ٤٤٢ .

أنفسهم وما يشعرون ﴿١﴾ قال الطبرسي: أي يهون الناس عن اتباع النبي ويتباعدون عنه فراراً منه، أو يهون الناس عن استماع القرآن ويتباعدون عن استماعه، كما عن محمد بن الحنفية وابن عباس والحسن والسدي وقتادة ومجاهد، وقال مقاتل وعطاء: عني به أبا طالب بن عبد المطلب! وهذا لا يصح؛ لأن هذه الآية معطوفة على ما تقدمها وما تأخر عنها معطوف عليها، وكلها في ذم الكفار المعاندين^(٢) وفيها قوله سبحانه: ﴿قد نعلم إنه ليحزنك الذي يقولون فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾^(٣).

قال الطبرسي في مجمع البيان: روي: أن أبا جهل قال للنبي ﷺ: ما نتهكم ولا نكذبك، ولكننا نتهم الذي جئت به ونكذبه^(٤).

وفيها قوله سبحانه: ﴿وإن كان كبر عليك اعراضهم فإن استطعت أن تبغني نفقاً في الأرض أو سلفاً في السماء فتأتيهم بآية ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين﴾^(٥).

في «تفسير القمي» في خبر أبي الجارود عن الامام الباقر عليه السلام قال: كان رسول الله ﷺ يحبّ اسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، دعاه رسول الله أن يسلم فغلب عليه الشقاء، فشق ذلك على رسول الله

(١) الأنعام: ٢٦.

(٢) مجمع البيان ٤: ٤٤٤.

(٣) الأنعام: ٣٣.

(٤) مجمع البيان ٣: ٤٥٦ ونقله الواحدي في أسباب النزول: ١٧٦ عن أبي ميسرة وخبراً آخر عن السدي وقولاً آخر عن مقاتل.

(٥) الأنعام: ٣٥.

فأنزل الله قوله : ﴿ وَإِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ ﴾ (١).

وفيها قوله سبحانه : ﴿ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ وَلَا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سَوْءٌ أَوْ بَجَاهِلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

روى الطبرسي عن الثعلبي بإسناده عن عبد الله بن مسعود قال : مرَّ المَلَأُ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده صهيب وخبَّاب وبلال وعمار وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا : يا محمد ! أرضيت بهؤلاء عن قومك ؟ ! أفنحن نكون تبعاً لهم ؟ ! أهؤلاء من الله عليهم ؟ ! اطردوهم عنك، فلعلَّك إن طردتهم تبعنَّا ! فأنزل الله في ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَلَا تَطْرُدِ... ﴾ (٣).

وفيها قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلَ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ

(١) تفسير القمي ١ : ١٩٨ .

(٢) الأنعام : ٥١ - ٥٤ .

(٣) جمع البيان ٤ : ٤٧٢ ورواه الواحدي في أسباب النزول : ١٧٦ والسيوطي في لباب

النقول : ١٠٧ .

ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسهم اليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تقولون على الله غير الحق وكنتم عن آياته تستكبرون ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضلّ عنكم ما كنتم تزعمون ﴿١﴾.

روى السيوطي في «الدر المنثور» عن عكرمة عن ابن عباس: أن النظر بن الحارث لفق جملات هكذا: والطاحنات طحناً والعاجنات عجناً... يقابل بها سورة المرسلات (الثالثة والثلاثين في النزول) فنزلت الآية (٢).

وقال الطوسي: قال عكرمة إن الآية ﴿ولقد جئتمونا فرادى...﴾ نزلت في النظر بن الحارث بن كلدة حيث قال سوف يشفع في اللات والعزى (٣).

وفيها قوله سبحانه: ﴿واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأما ينسينك الشيطان فلا تقعد بعد الذكرى مع القوم الظالمين وما على الذين يتقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتقون﴾ (٤).

روى الطبرسي عن الامام الباقر عليه السلام قال: لما نزلت ﴿فلا تقعد بعد

(١) الأنعام: ٩٣، ٩٤.

(٢) الدر المنثور ٣: ٣٠.

(٣) التبيان ٤: ٢٠٨ وعنه في جمع البيان ٤: ٥٢١.

(٤) الأنعام: ٦٨ - ٦٩.

الذكرى مع القوم الظالمين ﴿ قال المسلمون : إن كان كلّا استهزأ المشركون بالقرآن قنّا وتركناهم فلا ندخل المسجد الحرام ولا نطوف بالبيت الحرام ؟! فأنزل الله : ﴿ وما على الذين يتّقون من حسابهم من شيء ولكن ذكرى لعلهم يتّقون ﴾ أمرهم بتذكيرهم وتبصيرهم ما استطاعوا . ثمّ نقل عن البخاري قال : كان ذلك في أوّل الاسلام وكان يختصّ بالنبي ﷺ ورخص المؤمنين في ذلك بقوله : ﴿ وما على الذين يتّقون من حسابهم من شيء ﴾ ولما كثر المسلمون نسخت هذه الآية بقوله : ﴿ فلا تقعدوا معهم حتّى يخوضوا في حديث غيره إنكم اذا مثلهم ﴾ (١) .

وفيها قوله سبحانه : ﴿ ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم كذلك زينا لكل أمة عملهم ثمّ الى ربهم مرجعهم فينبئهم بما كانوا يعملون ﴾ (٢) .

روى القمي في تفسيره بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال : كان المؤمنون يسبّون ما يعبد المشركون من دون الله ، وكان المشركون يسبّون ما يعبد المؤمنون ، فنهى الله المؤمنين عن سبّ آلهتهم لكي لا يسبّ الكفار اله المؤمنين (٣) .

وأضاف الطبرسي عن ابن عباس : أنّ المشركين قالوا لرسول الله : يا محمد ! لتنتهين عن سبّ آلهتنا أو لنهجون ربك ! فنزلت : ﴿ ولا تسبوا الذين

(١) مجمع البيان ٤ : ٤٨٩ وروى السيوطي في ذلك خبرين عن ابن عباس وابن جريج في الدر المنثور : الأنعام .

(٢) الأنعام : ١٠٨ .

(٣) تفسير القمي ١ : ٢١٣ . وفي التبيان ٤ : ٢٣٢ عن الحسن وفي أسباب النزول :

يدعون من دون الله ﴿١١﴾.

ومنها قوله سبحانه : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ وَنَقَلْبُ أَفْئِدَتِهِمْ وَأَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ يَجْهَلُونَ ﴾ ﴿١٢﴾.

روى الطبرسي عن الكلبي ومحمد بن كعب القرظي : قالت قريش : يا محمد ! تخبرنا أن موسى كان معه عصا يضرب بها الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا ، وتخبرنا أن عيسى كان يحيي الموتى ، وتخبرنا أن ثمود كانت لهم ناقة ... فأتنا بآية من الآيات حتى نصدقك .

فقال رسول الله ﷺ : أي شيء تحبون أن آتيكم به ؟

قالوا : اجعل لنا الصفا ذهباً ! وابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم أحق ما تقول أم باطل ؟ وأرنا الملائكة يشهدون لك ، أو اتتنا بالله والملائكة قبلاً !

فقال رسول الله : فإن فعلت بعض ما تقولون أتصدقوني ؟ قالوا : نعم ، والله لئن فعلت لنتبعنك أجمعين .

وسأل المسلمون رسول الله أن ينزلها عليهم حتى يؤمنوا .

فقام رسول الله يدعو أن يجعل الله الصفا ذهباً !

(١١) جمع البيان ٤ : ٥٣٧ . وفي التبيان عن الحسن البصري ، وهو ممن أخذ عن ابن عباس .

(٢) الأنعام : ١٠٩ - ١١١ .

فجاءه جبرئيل فقال له : إن شئت أصبح الصفا ذهباً، ولكن إن لم يصدقوا عذبتهم ! وإن شئت تركتهم حتى يتوب تائبهم . فقال رسول الله : بل يتوب تائبهم . فأنزل الله تعالى هذه الآية^(١) في الآيات العشر من الآية ١١٢ الى الآية ١٢٢ بدأ الله بتسليية رسوله عن أقوال الكفار تحريصاً أمام آيات الكتاب المنزل عليه، وأن من اتبع غيره ضلّ وأضلّ، وأن أعداء الانبياء شياطين من الجن والانس، وأن أقوالهم زخرف وافتراء واقتراف للآثم والباطل، وحكم بغير ما أنزل الله، ومن أطاعهم فقد ضلّ عن سبيل الله الى اتباع الظنون والتخريصات، والله أعلم بالمهتدين والضالين عن سبيله، ثم قال : ﴿ فكلوا مما ذكر اسم الله عليه إن كنتم بآياته مؤمنين ومالكم ألا تأكلوا مما ذكر اسم الله عليه وقد فصل لكم ما حرم عليكم إلا ما اضطررتم اليه وإن كثيراً ليضلّون بأهوائهم بغير علم إن ربك هو أعلم بالمعتدين ﴾^(٢).

وفي قوله سبحانه : ﴿ وقد فصل لكم ما حرم عليكم ﴾ قال الطبرسي قيل : هو ما ذكر في سورة المائدة من قوله : ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ... ﴾ واعترض على هذا : بأن سورة المائدة نزلت بعد الأنعام بمدة فلا يصح أن يقال : إنه فصل . إلا أن يحمل على أنه بين على لسان الرسول ﷺ وبعد ذلك نزل به القرآن^(٣).

(١) مجمع البيان ٤ : ٥٤٠ . ومعناه في التبيان ٤ : ٢٣٦ . وفي أسباب النزول : ١٨٠ .

(٢) الأنعام : ١١٨ ، ١١٩ .

(٣) مجمع البيان ٤ : ٥٥٢ والواحي في أسباب النزول : ١٨٠ رواية في سبب نزول الآية راجعها .

وقال الطباطبائي: ويظهر من الآية أنّ محرّمات الأكل نزلت قبل سورة الأنعام، وقد وقعت في سورة النحل من السور المكية، فهي نازلة قبل الأنعام^(١). والآيات من سورة النحل هي من الآية ١١٤ الى ١١٨ وهي: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ فلو كان قوله: ﴿فَصَلِّ لَكُمْ﴾ في سورة الأنعام يجعلنا نقول بنزول النحل قبل الأنعام، فإنّ هذه الآية من النحل: ﴿قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ﴾ يجعلنا نسلّم للأخبار الدالة على نزول الأنعام قبل النحل، فالأنعام الخامسة والخمسون والنحل السبعون في الترتيب. أمّا قوله ﴿وَقَدْ فَضَّلْ لَكُمْ﴾ في الأنعام فنقبل فيه قول الطبرسي بأن يكون المراد به بيان النبي لا القرآن.

وبعدها قوله سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمَ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ﴾^(٢).

روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل قال: إنّ أبا جهل بن هشام قال: زاحمنا بنو عبد مناف في الشرف حتّى اذا صرنا كفرسي رهان قالوا: منّا نبيٌّ يوحي إليه! واللّه لا نؤمن به ولا نتّبعه إلّا أن يأتينا وحي كما يأتيه^(٣) ونقل مثله ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٤).

وفي الآيات العشر من الآية ١٣٦ الى ١٤٦ يبين اللّه اعتقادات

(١) الميزان ٧: ٣٣٢.

(٢) الأنعام: ١٢٤.

(٣) مجمع البيان ٤: ٥٥٩.

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ١: ٥٠، ٥١.

المشركين الفاسدة وخصالهم الذميمة ومقالاتهم الباطلة، حيث جعلوا بعض الأشياء لله وبعضها للأصنام وحرّموا الحلال وقتلوا أولادهم لاعتقاداتهم الباطلة ومقالاتهم الفاسدة: فجعلوا لله ممّا ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً، وزيّنوا لأنفسهم قتل أولادهم: البنين والبنات خيفة العيلة والفقر والعار، وحرّموا ركوب ظهور بعض الأنعام، ولم يلتزموا بذكر اسم الله عليها عند التذكية، وحرّموا بعض ما في بطون الأنعام على النساء وخصّصوه للرجال، وأباحوه لكليهما إن كان ميتة. ثمّ بين المحرّمات حاصراً لها في أن تكون: ميتة، أو دماً مسفوحاً، أو لحم خنزير، أو ما أهل لغير الله به فلم يذكر اسم الله عليه عند التذكية، ثمّ ذكر أنّ اليهود بغوا فحرّم ملوكهم على فقرائهم شحوم البقر والغنم ولحوم كل ذي ظفر من الطيور، فجزاهم الله ببيعهم هذا أن حرّم ذلك عليهم جميعاً إلّا ما كان من الشحوم في ظهور البقر والغنم وحواياهما أي الأعماء حتّى المباعر.

ومن الآية: ١٥١ عقّب ماسبق بذكر سائر المحرمات: فالشرك، وقتل الأولاد خشية الاملاق، وقتل النفس التي حرّم الله، ماظهر منها وما بطن من الفواحش، ومال اليتيم، وبضمنها عدّ بعض الفرائض: فبالوالدين احساناً، والوفاء بعهد الله، والقسط في الكيل والميزان، ورعاية العدالة في الشهادة ولو لذي القربى، واتباع الصراط المستقيم، واتباع هذا الكتاب المبارك الكريم، وتقوى الله. وفي الآية: ١٦١ ذكر أن الصراط المستقيم والدين القيم هو ملة ابراهيم الحنيف والطاهر من الشرك، وأن رسول الله ممّن هداه الله الى ذلك الصراط المستقيم والدين القيم فحياه ومماته لله تعالى.

وهنا قال الطبرسي: قيل: إنّ الكفار قالوا للنبي ﷺ: اتّبعتنا وعلينا

وزرك إن كان خطأ! فأنزل الله هذا^(١).

هذا وقد روي في أول تفسيره للسورة عن قتادة وعكرمة عن أبي ابن كعب وعن النبي ﷺ: أنها نزلت بمكة جملة واحدة ليلاً^(٢) فكيف التوفيق بين هذا وبين أخبار أسباب نزول الآيات من هذه السورة؟ ويصدق هذا القول قبل الطبرسي على القمي والعياشي أيضاً وكثير من المفسرين الآخرين كذلك.

أما العلامة الطباطبائي فقد خصّص الجزء السابع من تفسيره «الميزان» بتفسير سورة الأنعام، وقطّعها إلى أكثر من عشرة مقاطع وختم كلّ مقطع ببحث روائي شمل عدداً غير قليل من أخبار شأن نزول آيات منها، وعلّق في موارد متعددة عليها بأنّها تنافي نزول السورة جملة واحدة بمكة، منها فيما رواه -ورويناه- عن القمي عن الامام الباقر عليه السلام: أن رسول الله كان يحب اسلام الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف... فقال: إنّها لا تلائم الروايات الكثيرة الدالة على نزول السورة دفعة. ولكنّه عاد فقال: وان كان يمكن توجيهها بوقوع السبب قبل نزول السورة ثمّ الإشارة بالآية إلى السبب المحقّق^(٣) ويمكن هذا التوجيه في جميع ما نقلناه من أخبار أسباب النزول لآيات هذه السورة.

السورة السابعة والخمسون -«لقمان»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث ليضلّ عن

(١) جمع البيان ٤ : ٦٠٦.

(٢) جمع البيان ٤ : ٤٢١.

(٣) الميزان ٧ : ٦٨.

سبيل الله بغير علم ويتخذها هزواً أولئك لهم عذاب مهين وإذا تُتلى عليه آياتنا ولَّى مستكبراً كأن لم يسمعها كأن في أذنيه وقراً فبشّره بعذاب أليم ﴿١﴾

في تفسير القميّ: في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الامام الباقر عليه السلام قال: هو النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، وكان راوياً لأحاديث الناس وأشعارهم^(٢). ولعله هو الرجل الذي روى فيه الكليني في «أصول الكافي» بسنده عن موسى بن جعفر عليه السلام قال: دخل رسول الله ﷺ المسجد فإذا جماعة قد أطافوا برجل، فقال: ما هذا؟ فقيل: علامة، فقال: وما العلامة؟ فقالوا له: أعلم الناس بأنساب العرب ووقائعها وأيام الجاهلية والأشعار العربية. فقال النبي ﷺ: ذاك علم لا يضر من جهله، ولا ينفع من علمه، ثم قال النبي ﷺ: إنما العلم ثلاثة: آية محكمة، أو فريضة عادلة، أو سنة قائمة، وما خلاهنّ فهو فضل^(٣).

وروى الخبر الأول الطبرسي عن الكلبي قال: نزل قوله: ﴿ومن الناس من يشتري لهو الحديث﴾ في النضر بن الحارث بن علقمة بن كلدة، كان يتجر فيخرج الى فارس فيشتري أخبار الأعاجم فيحدث بها قريشاً ويقول لهم: إنّ محمداً يحدثكم بحديث عاد وثمود، وأنا أحدثكم بحديث رستم واسفنديار وأخبار الأكاسرة. فيتركون استماع القرآن ليستمعوا الى

(١) لقمان: ٦، ٧.

(٢) تفسير القميّ ٢: ١٦١.

(٣) أصول الكافي ١: ٣٢.

حديثه^(١) وروى مثله ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٢).

وكان قد دعاه رسول الله ﷺ الى الإسلام، ففي رواية أبي الجارود في «تفسير القمي» عن الامام الباقر عليه السلام أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ للنضر بن الحارث: اتبع ما أنزل اليك من ربك. فقال: بل أتبع ما وجدت عليه آبائي، وذلك قوله سبحانه: ﴿ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا أو لو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير﴾^(٣).

ومنها قوله سبحانه: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة إن الله سميع بصير﴾^(٤) في رواية أبي الجارود في «تفسير القمي»: بلغنا -والله أعلم- عن الامام الباقر عليه السلام قال: إنهم قالوا: يا محمد! خلقنا أطواراً: نُطفاً ثم علقاً، ثم أنشئنا خلقاً آخر كما تزعم، وتزعم أننا نُبعت في ساعة واحدة! فقال الله: ﴿ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة﴾^(٥).

وفي آخر السورة: ﴿إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض

(١) مجمع البيان ٨ : ٤٩٠ وروى الخبر عن ابن عباس في التفسير المنسوب اليه : تنوير المقباس : ٣٤٤ . ورواه ابن اسحاق في سيرته ١ : ٣٢١ . ورواه الواحدي في أسباب النزول عن مقاتل والكلبي : ٢٨٧ ط الجُميلي . السيوطي عنه في الدر المنثور سورة لقمان .

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٥٢ .

(٣) تفسير القمي ٢ : ١٦٦ و الآية من لقمان : ٢٠ ، ٢١ .

(٤) لقمان : ٢٨ .

(٥) تفسير القمي ٢ : ١٦٧ .

تموت إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ^(١). وفي «أسباب النزول» للواحي: أن رجلاً من بني مازن يقال له: الحارث بن عمرو جاء إلى النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وقال له: يا محمد! قد علمت بأي أرض وُلدت فبأي أرض أموت؟ وقد تركت امرأتِي حُبلى فتى تلد؟ وقد أجدبت بلادنا فتى تخصب؟ وقد علمت ما كسبت اليوم فإذا اكسب غدا؟ ومتى تقوم الساعة؟ فنزلت هذه الآية^(٢).

السورة الستون - «الزمر»:

ويظهر من خلال آيات السورة أن المشركين من قومه ﷺ سألوه أن ينصرف عما هو عليه من التوحيد والدعوة إليه والتعرض لأهلتهم، وخوفوه بأهلتهم، فنزلت السورة... تؤكد الأمر بأن يخلص دينه لله سبحانه ولا يعبأ بأهلتهم وأن يعلمهم أنه مأمور بالتوحيد وإخلاص الدين... وذكرت المشركين وأندرتهم بما سيلحقهم من الخسران وعذاب الآخرة مضافاً إلى ما يصيبهم في الدنيا، ولعذاب الآخرة أكبر... ووصفت المؤمنين بأجل أوصافهم وبشرتهم بما سيثيبهم الله في الآخرة مرة بعد مرة^(٣).

ومنها قوله سبحانه: ﴿قل يا عبادي الذين آمنوا اتقوا ربكم للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة وأرض الله واسعة إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾^(٤) قال الطباطبائي: هذا حث وترغيب لهم في الهجرة من

(١) لقمان : ٣٤ .

(٢) أسباب النزول : ٢٨٩ ورواه السيوطي في الدر المنثور عن عكرمة، وسمي الرجل : الوراث .

(٣) الميزان ١٧ : ٢٣١ ، ٢٣٢ .

(٤) الزمر : ١٠ .

مكة، إذ كان التوقف فيها صعباً على المؤمنين بالنبي، والمشركون يزيدون كل يوم في التشديد عليهم وفتنتهم... والذي ينطبق على مورد الآية هو الصبر على مصائب الدنيا وخاصة ما يصيب من جهة أهل الكفر والفسوق من آمن بالله وأخلص له دينه واتقاه^(١) ولم ينسبه إلى أحد. والظاهر أنه أخذه من الطبرسي قال: هذا حث لهم على الهجرة من مكة، عن ابن عباس، أي لا عذر لأحد في ترك طاعة الله، فإن لم يتمكن منها في أرض فليتحول إلى أخرى يتمكن منها فيها، كقوله: ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾^(٢) وقبله روى الطوسي معناه عن مجاهد^(٣).

فالكلام رواية عن مجاهد عن ابن عباس، وهي لا تصرّح بمقصد الهجرة من مكة إلى أين، ولم يرد دليل أو إشارة إلى أن تعيين الهجرة إلى الحبشة كان وحياً، بل الظاهر أن النبي ﷺ رأى أن خير مصداق لسعة أرض الله لهم هي الحبشة، وعبر عن ذلك بقوله: «هي أرض صدق؛ فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد»^(٤).

وعن ظروف نزول هذه الآية في سورة الزمر قال الطبرسي في «مجمع البيان»: قال المفسرون: ائتمرت قريش أن يفتنوا المؤمنين عن دينهم، فوثبت كل قبيلة على من فيها من المسلمين يؤذونهم ويعذبونهم، فافتتن من افتتن وعصم الله منهم من شاء. ومنع الله رسوله بعمه أبي طالب. فلما

(١) الميزان ١٧ : ٢٤٤.

(٢) مجمع البيان ٨ : ٧٦٧.

(٣) البيان ٩ : ١٣.

(٤) سيرة ابن هشام ١ : ٣٤٤ ورواه الطبرسي في مجمع البيان ٣ : ٣٦٠ عن المفسرين.

رأى رسول الله ما بأصحابه ولم يقدر على منعهم ولم يؤمر بعد بالجهاد، أمرهم بالخروج الى أرض الحبشة وقال: إنّ بها ملكاً صالحاً لا يظلم ولا يظلم عنده أحد، فاخرجوا اليه حتى يجعل الله للمسلمين فرجاً. وأراد به النجاشي، واسمه أصحمة - وهو بالحبشة: عطية - وإنما النجاشي اسم الملك كقولهم: كسرى وقيصر. فخرج اليها سرّاً أحد عشر رجلاً وأربع نسوة... فخرجوا الى البحر وأخذوا سفينة الى أرض الحبشة بنصف دينار. وذلك في رجب في السنة الخامسة من مبعث رسول الله. وهذه هي الهجرة الاولى^(١) فالسورة نزلت في الخامسة. وبما أنّ هجرة المسلمين إنّما هي من جرّاء تعذيب قريش للمسلمين، لذلك نبدأ هنا بذكر أخبار عن ذلك.

ظلم المشركين للمستضعفين من المسلمين:

قال ابن اسحاق: ثمّ إنّ المشركين عدّوا على من أسلم واتبع رسول الله من أصحابه، فوثبت كلّ قبيلة على من فيها من المسلمين من استضعفوه منهم، فجعلوا يحبسونهم ويعذبونهم، بالضرب والجوع والعطش، وبرمضاء مكّة اذا اشتدّ الحر، ليفتنوهم عن دينهم، فمنهم من يصلب لهم ويعصمه الله منهم، ومنهم من يُفتن من شدّة البلاء الذي يصيبه...

وكان أبو جهل الفاسق في رجال من قريش يُغرون بالمسلمين، وكان اذا سمع بالرجل أسلم وله شرف ومنعة، أثبه وأخزاه وقال له: تركت دين

(١) مجمع البيان ٣: ٣٦٠ وفي البحار عن المنتقى للكاظمي قال: وكان يخرجهم في رجب في الخامسة، وخرجت قريش في آثارهم فقاتوهم، فأقاموا عند النجاشي شعبان ورمضان ورجعوا في شوال. البحار ١٨: ٤٢٢.

أبيك وهو خير منك ! لَنَسْفَهْنَّ حِلْمَكَ وَلَنُفَيْلَنَّ (نُحْطِّتَنَّ) رَأْيَكَ وَلَنَضَعَنَّ شَرْفَكَ ! وَإِنْ كَانَ تَاجِرًا قَالَ لَهُ : لَنُكْسِدَنَّ تِجَارَتَكَ وَلَنُهْلِكَنَّ مَالَكَ ! وَإِنْ كَانَ ضَعِيفًا ضَرْبَهُ وَأَغْرَى بِهِ غِيْرَهُ .

حَتَّى أَنَّ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ بْنِ الْمَغِيرَةِ الْخَزُومِيَّ حِينَ أَسْلَمَ ، مَشَى رِجَالًا مِنْ بَنِي خَزُومَ إِلَى أَخِيهِ هِشَامِ بْنِ الْوَلِيدِ^(١) لِيَأْخُذَهُ وَفَتِيَّةَ آخِرِينَ مِنْهُمْ قَدْ أَسْلَمُوا مِنْهُمْ : سَلَمَةُ بْنُ هِشَامٍ وَعِيَّاشُ بْنُ أَبِي رِبْعَةَ ، فَقَالُوا لَهُشَامُ : إِنَّا قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَعَاتِبَ هَؤُلَاءِ الْفَتِيَّةَ عَلَى هَذَا الدِّينِ الَّذِي أَحْدَثُوهُ لِنَأْمَنَ بِذَلِكَ مِنْ غَيْرِهِمْ . فَقَالَ هِشَامُ فِي أَخِيهِ الْوَلِيدِ : فَعَلَيْكُمْ بِهِ فَعَاتَبُوهُ وَاحْذَرُوا عَلَى نَفْسِهِ ! فَتَرَكُوهُ .

وَكَانُوا يَخْرُجُونَ بِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَبِأَبِيهِ وَأُمِّهِ إِذَا حَمَيْتِ الظَّهِيرَةَ يَعَذِّبُونَهُمْ بِرَمَضَاءِ مَكَّةَ . فَبَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَانَ يَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُ لَهُمْ : صَبْرًا آلَ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ .

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ : كَانُوا يَضْرِبُونَ أَحَدَهُمْ وَيَجْعَلُونَهُ وَيُعْطِشُونَهُ حَتَّى مَا يَقْدِرُ أَنْ يَسْتَوِيَ جَالِسًا مِنْ شِدَّةِ الضَّرِّ الَّذِي نَزَلَ بِهِ حَتَّى يُعْطِيَهُمْ مَا سَأَلُوهُ مِنَ الْفَتْنَةِ ... افْتِدَاءً مِنْهُمْ مِمَّا يَبْلُغُونَ مِنْ جَهْدِهِ ، حَتَّى إِنْ الْجُعْلُ يَمُرُّ بِهِمْ فَيَقُولُونَ لَهُ : أَهَذَا الْجُعْلُ الْهَكَ ؟ فَيَقُولُ : نَعَمْ !^(٢) .

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ : أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ - وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مُشْرِكٌ - كَانَ يَعَذِّبُ جَارِيَةَ مُسْلِمَةً مِنْ حَيْثُهَا فَيَضْرِبُهَا لِتَتْرَكَ الْإِسْلَامَ حَتَّى

(١) مِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَانَ بَعْدَ هَلَاكِ الْوَلِيدِ فِي الْمُسْتَهْزِئِينَ السِّتَةِ .

(٢) مِنْ هُنَا يُعْلَمُ أَنَّ هَذَا كَانَ بَعْدَ تَقْيَةِ عَمَّارٍ وَنَزُولِ الْقُرْآنِ بِصَحَّةِ عَمَلِهِ وَتَصْرِيحِ الرَّسُولِ بِذَلِكَ ، كَمَا سَيَأْتِي .

إذا ملَّ قال لها مُستهزئاً: إني أعتذر إليك! إني لم أتركك إلا ملالةً، فتقول له: كذلك فعل الله بك! فابتاعها أبو بكر فأعتقها.

واعتق النهدية وبناتها، وأمّ عبيس وزنيرة، وأصيب بصرها حين اعتقها، فقالت قريش: ما أذهب بصرها إلا اللات والعزى، فقالت: كذبوا. وبيت الله ما تضر اللات والعزى وما تنفعان، فردّ الله بصرها.

وأعتق عامر بن فهيرة وشهد بداراً وأحداً وقتل شهيداً يوم بدر معونة.

ومرّ بلال بن رباح، وكان أمية بن خلف الجُمحي يخرجُه إذا حميت الظهيرة فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثمّ يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره، ويقول له: لا تزال هكذا حتّى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد اللات والعزى! فيقول وهو في ذلك البلاء: أحد أحد. وكان دار أبي بكر في بني جُمح، فرّ به وهم يصنعون به ذلك، فقال لأمية بن خلف: ألا تتقي الله في هذا المسكين؟ حتّى متى! قال: أنت الذي أفسدته فأنقذه ممّا ترى. فقال أبو بكر: أفعّل، عندي غلام أسود أجلد منه وأقوى، على دينك، أعطيكه به. قال: قد قبلت. فقال: هو لك. فأعطاه أبو بكر عنه غلامه وأخذه فأعتقه^(١).

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٣٩-٣٤٣ بتصرف. هذا وقد روى الإسكافي في نقض العثمانية عن ابن اسحاق والواقدي أن عامر بن فهيرة وبلالاً اعتقها رسول الله، كما في شرح النهج للمعزلي ١٣: ٢٧٣. ولذلك عدّ ابن شهر آشوب بلالاً من موالى النبي ﷺ ج ١: ١٧١. وقال ابن هشام في عامر بن فهيرة: أنه كان أسود من مولدي الأسد ١: ٢٧٧. ومعنى مارواه ابن اسحاق هو أن أبا بكر لم يكن من المستضعفين فلم يعذب في الله، بل اطلق واعتق عدداً منهم. ولكن ابن هشام ذكر أن

وقال اليعقوبي: وأسلم خلق عظيم وظهر أمرهم وكثرت عدتهم وعاندوا ذوي أرحامهم من المشركين؛ فأخذت قريش من استضعفت منهم إلى الرجوع عن الاسلام والشتم لرسول الله، فكان ممن يعذب في الله: عمار بن ياسر وياسر أبوه وسمية أمه... وخبّاب بن الأرت، وصهيب بن سنان، وابو فكيهة الأزدي، وعامر بن فهيرة، وبلال بن رباح واشتد على القوم العذاب ونالهم منه أمر عظيم، فرجع عن الاسلام خمسة نفر، منهم: أبو قيس بن الوليد بن المغيرة، وأبو قيس الفاكه بن المغيرة^(١).

نوفل بن خويلد بن أسد (ابن عم خديجة، وهل هو أبو ورقة بن نوفل ؟) وكان من شياطين قريش، قرن بين أبي بكر وطلحة بن عبد الله في حبل، فبذلك كانا يستيان : القرينين، كما في سيرة ابن هشام ١ : ٣٠١. وأضاف الجاحظ في العثمانية قال : ضربه نوفل بن خويلد مرتين حتى أدماه، وشده مع طلحة بن عبيد الله في قرن. وجعلها في الهاجرة عمير بن عثمان، ولذلك كانا يدعيان القرينين، كما في العثمانية : ٢٨ وعنها في شرح النهج للمعتزلي ١٣ : ٢٥٣. وردّ عليه الإسكافي في نقض العثمانية فقال : انتم في أبكر بين أمرين : تارة تجعلونه رئيساً متّبعاً وكبيراً مطاعاً، وتارة تجعلونه دخيلاً ساقطاً وهجيناً رذيلًا مستضعفاً ذليلاً؛ فإنّا لانعلم أن العذاب كان واقعاً إلّا بعدد أو عسيف (الأجير) أو لمن لا عشيرة له تمنعه. كما في شرح النهج للمعتزلي ١٣ : ٢٥٥.

(١) اليعقوبي ٢ : ٢٨.

الفصل السادس

الهجرة الأولى

الهجرة الى الحبشة:

قال ابن اسحاق: فلما رأى رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- ما يصيب أصحابه من البلاء وما هو فيه من العافية بكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم الى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه.

فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله الى أرض الحبشة، مخافة الفتنة، وفراراً الى الله بدينهم، فكانت أول هجرة في الإسلام.

وكان أول من خرج من المسلمين: أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومي، ومعه امرأته أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي.

وعثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية، ومعه امرأته رقية بنت رسول الله. وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة، ومعه امرأته سهلة بنت سهيل

ابن عمرو، وولدت له بأرض الحبشة محمد بن أبي حذيفة .
وعامر بن ربيعة العدوي، ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة العدوي .
والزبير بن العوام بن خويلد بن أسد .
ومصعب بن عمير، من بني عبد الدار .
وعبد الرحمن بن عوف الزهري .
وأبو سبرة بن أبي رهم العامري .
وسهيل بن وهب الفهري .

وعثمان بن مظعون الجمحي^(١) وكان عليهم عثمان بن مظعون، في قول ابن هشام^(٢) وروى الواقدي: أن الذين هاجروا الهجرة الاولى خرجوا متسللين سرّاً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا الى الشُعبيّة، منهم الراكب ومنهم الماشي، ووفق الله للمسلمين -ساعة جاؤوا- سفينتين للتجارة حملوهم فيها الى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان مخزّجهم في: رجب في السنة الخامسة من حين نُبّيء رسول الله -صلّى الله عليه [وآله] وسلّم- وخرجت قريش في آثارهم حتى جاؤوا البحر، حيث ركبوا، فلم يدركوا منهم أحداً^(٣).

وقال اليعقوبي: لما رأى رسول الله ما فيه أصحابه من الجُهد والعذاب وما هو فيه من الأمن بمنع أبي طالب عمّه اياه، قال لهم: ارحلوا

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٢٢، ٣٢٣ عن ابن اسحاق، وأضاف الواقدي: عبد الله بن

مسعود كما في الطبقات ١ : ٢٠٤ وعنه في الطبري ٢ : ٣٣٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١ : ٣٢٤ منه .

(٣) طبقات ابن سعد ١ : ٢٠٤ وعنه في الطبري ٢ : ٣٢٩.

مهاجرين إلى أرض الحبشة إلى النجاشي، فإنه يحسن الجوار.
فخرج في المرة الأولى: اثنا عشر رجلاً.
وفي المرة الثانية: سبعون رجلاً، سوى أبنائهم ونسائهم.
وكان لهم عند النجاشي منزلة^(١).

وقد مرّ خبر ابن اسحاق وقد وصف رحلة من عدّهم مع عثمان بن مظعون إلى الحبشة بالهجرة الأولى، ولكنّه بعد عدّهم قال: «ثمّ خرج جعفر ابن أبي طالب عليه السلام وتتابع المسلمون حتّى اجتمعوا بأرض الحبشة فكانوا بها، منهم من خرج بأهله معه، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل له معه» ثمّ أخذ في عدّهم وأنسابهم، فعُدّ من بني هاشم رجلاً واحداً هو: جعفر بن أبي طالب ومعه امرأته أسماء بنت عميس الحثعمية، وولدت له بأرض الحبشة عبد الله بن جعفر. ثمّ عدّ من بني أميّة وحلفائهم سبعة نفر، فعُدّ أولهم: عثمان بن عفّان ومعه رقية ابنة رسول الله، وعمرو بن سعيد بن العاص، وخالد بن سعيد بن العاص، ومعهما نساؤهما. ومن حلفائهم: عبد الله بن جحش وأخوه عبيد الله (وهو الذي تنصّر في الحبشة) معه امرأته أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وقيس بن عبد الله ومعه امرأته بركة مولاة أبي سفيان.

ثمّ عدّ من بني نوفل رجلاً، ومن بني عبد بن قصي رجلاً، ومن بني عبد شمس رجلين، ومن بني أسد من قريش أربعة نفر منهم الزبير بن العوام ابن خويلد بن أسد، والأسود بن نوفل بن خويلد بن أسد، ويزيد بن زمعة ابن الأسود بن المطلب بن أسد (وزمعة أو أبوه الأسود احد المستهزئين

الستة). ومن بني عبد الدار خمسة نفر منهم: مصعب بن عمير. ومن بني زهرة وحلفائهم من بهراء وهذيل ستة نفر منهم: عبد الرحمن بن عوف، وأبو وقاص وابنه عامر، وعبد الله بن مسعود وأخوه عتبة، والمقداد بن عمرو من قُضاعة، وكان قد تبناهُ في الجاهلية الأسود بن عبد يغوث من بني زهرة، فكان يقال له: المقداد بن الأسود. ومن بني تيم رجلين. ومن بني مخزوم وحلفائهم ثمانية نفر منهم: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد ومعه امرأته أم سلمة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وهشام بن أبي حذيفة بن المغيرة، وعيَّاش بن أبي ربيعة بن المغيرة. وسلمة بن هشام. ومن بني جُمح أربعة عشر رجلاً منهم: عثمان بن مظعون، وابنه السائب بن عثمان، وأخواه قدامة بن مظعون، وعبد الله بن مظعون، ومن بني سهم أربعة عشر رجلاً. ومن بني عدي خمسة نفر. ومن بني عامر ثمانية نفر. ومن بني الحارث بن فهر ثمانية نفر منهم: أبو عبيدة عامر بن عبد الله بن الجراح.

ثم قال ابن اسحاق: فكان جميع من لحق بأرض الحبشة وهاجر إليها من المسلمين -سوى أبنائهم الذين خرجوا بهم معهم صغاراً أو ولدوا بها- ثلاثة وثمانين رجلاً، إن كان عمار بن ياسر فيهم، وهو يشك فيه^(١).

إذن فهو في هذا العدِّ يعدُّ أهل الهجرة الثانية إلى الحبشة وعليهم جعفر بن أبي طالب، ولعلَّه في عدده -ثلاثة وثمانين رجلاً- قد جمع أهل الهجرة الأولى مع الثانية، بينما اليعقوبي جرَّد أعداد الهجرة الثانية فقط فقال

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٤٥ - ٣٥٣ ونقله الطبري بعبارة: وقال آخرون. وذكر العدد:

اثنين وثمانين، الطبري ٢ : ٣٣٠ ورواه عن محمد بن اسحاق كذلك ٢ : ٣٣١.

بالسبعين، أو باستثناء النساء والأطفال كما قال .
وكذلك فعل القمي في تفسيره إذ قال : لما اشتدت قريش في أذى رسول الله وأصحابه أمرهم رسول الله أن يخرجوا إلى الحبشة، وأمر جعفر ابن أبي طالب أن يخرج معهم، فخرج جعفر وخرج معه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر^(١).

كتاب النبي إلى النجاشي:

وهنا روى الطبرسي في «إعلام الوري» عن الحافظ الحسكافي عن ابن اسحاق، والطبري عن ابن اسحاق أيضاً قال : «بعث رسول الله ﷺ عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي في شأن جعفر بن أبي طالب وأصحابه وكتب معه كتاباً» ثم ذكر صورة الكتاب، وجواب النجاشي^(٢).

ولا يوجد الخبر في سيرة ابن هشام، وظاهر الطبرسي أن هذا الكتاب كان من مكة حين خرج عمرو بن العاص مع عمارة بن الوليد إلى الحبشة، حسب خبر الطبرسي نفسه، ومع عبد الله بن أبي ربيعة حسب خبر ابن اسحاق عن أم سلمة كما يأتي وفي الكتاب أمر بإكرام جعفر وأصحابه وقراهم، فالمناسب أن يكون في بداية الهجرة مع جعفر، أو مع خروج عمرو بن العاص إلى الحبشة سفيراً من قبل معاندي مكة لا يذاء جعفر وأصحابه..

(١) تفسير القمي ١ : ١٧٦ .

(٢) إعلام الوري : ٤٥ ، ٤٦ وفي مستدرک الحاكم ٢ : ٦٢٣ ، ٦٢٤ والطبري ٢ : ٦٥٢ ،

ويظهر من الحلبي في السيرة: أنَّ عمرو بن العاص خرج الى الحبشة بعد غزوة بدر وإنَّ رسول الله لما بلغه ذلك بعث عمرو بن أمية الى النجاشي بكتاب يوصي فيه بالمسلمين، قال: «لما أوقع الله بالمشركون يوم بدر ورجعوا خائبين قالوا: إنَّ ثارنا بأرض الحبشة، فأرسلوا عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة الى النجاشي ليدفع اليهما مَن عنده من المسلمين، فلما بلغ ذلك رسول الله بعث الى النجاشي عمرو بن أمية الضمري بكتاب يوصي فيه بالمسلمين»^(١).

واتفقوا على أنَّ الرسول الى النجاشي هو عمرو بن أمية الضمري، ولكنهم اختلفوا في إسلامه: ففي «أسد الغابة» عن أبي نعيم: أنه أسلم قديماً وهاجر الى الحبشة، ثم هاجر الى المدينة وأول مشاهدته بئر معونة^(٢) وعليه فلا اشكال لا في حمله الكتاب الأول ولا في حمله الكتاب الثاني بعد صلح الحديبية وقبل خيبر في تجهيز المسلمين من الحبشة الى المدينة. ولكن في «الاستيعاب» و«الاصابة» عن ابن سعد^(٣): أنه شهد بدرًا وأحدًا مع المشركين، وأسلم بعد أحد. وعليه فلم يكن وقتئذٍ مسلماً، فلا يصح حمله الكتاب الأول حتَّى بعد بدر بناءً على خبر الحلبي بإرسال المشركين لعمرو ابن العاص الى الحبشة بعد بدر. ولذا فقد أورد الحلبي على نفسه بذلك، وفي الجواب رجَّح خبر إرسال المشركين لعمرو الى الحبشة بعد الأحزاب، في السنة الخامسة للهجرة.

(١) سيرة الحلبي ٣: ٢١٢. وانظر: مكاتيب الرسول ١: ١٢٠ - ١٣٠ ط الاولى.

(٢) أسد الغابة ١: ٦١، ٩٩.

(٣) الطبقات ١: ٢٥٨.

وقد روى الخبر هذا ابن اسحاق في السيرة بسنده الى عمرو بن العاص نفسه قال : لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني ، فقلت لهم : تعلمون -والله- اني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً ، واني قد رأيت أمراً فما ترون فيه ؟ قالوا : وماذا رأيت ؟ قلت : رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده ، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي ، فإننا أن نكون تحت يديه أحب الينا من أن نكون تحت يدي محمد ، وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا ، فلن يأتينا منهم إلا خير . قالوا : إن هذا الرأي . قلت : فاجمعوا لنا ما تُهدي له . وكان أحب ما يُهدى اليه من أرضنا الأدم . فجمعنا له أدماً كثيراً ، ثم خرجنا حتى قدمنا عليه .

فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري -وكان رسول الله -صلى الله عليه وآله- قد بعثه اليه في شأن جعفر وأصحابه ، فدخل عليه وخرج من عنده - فقلت لأصحابي : هذا عمرو بن أمية الضمري ، لو قد دخلت على النجاشي وسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه ، فإذا فعلت ذلك رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد . فدخلت عليه فسجدت له - كما كنت أصنع - فقال : مرحباً بصديقي ؛ أهديت إلي من بلادك شيئاً ؟ قلت : نعم أيها الملك ، قد أهديت اليك أدماً كثيراً ، ثم قربته اليه ، فأعجبه . ثم قلت له : أيها الملك ، اني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا ، فأعطينه لأقتله ، فإنه قد أصاب من أشرفنا وخيارنا .

قال : فغضب ثم مدّ يده فضرب بها أنفي ضربةً ظننت أنه قد كسره ، فلو انشقت لي الأرض لدخلت فيها فرقاً منه . فقلت له : والله لو ظننت

أنك تكره هذا ما سألتكه. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه
الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى لتقتله! قلت: أيها الملك، أكذاك
هو؟ قال: ويحك يا عمرو أطعني واتبعه، فإنه والله لعلّ الحق، وليظهرنّ
علّى من خالفه كما ظهر موسى على فرعون وجنوده... فخرجت إلى
أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه.

ثمّ خرجت عامداً إلى رسول الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم-
فلقيت خالد بن الوليد وذلك قبيل الفتح... فقدمنا المدينة على رسول
الله^(١).

هكذا وقد قال من قبل: «لما انصرفنا مع الأحزاب عن الخندق» ثمّ
خرجنا فقدمنا عليه، فوالله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري،
وكان رسول الله قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه.

انّ ارسال رسول الله لعمرو بن أمية إلى النجاشي في شأن جعفر
وأصحابه إمّا كان في بداية هجرتهم لطلب ايوائهم وحمايتهم والارفاق بهم،
أو في نهايتها في تجهيز المسلمين إلى المدينة في السنة السابعة قبل خيبر.
فرحلة عمرو بن العاص هذه أمّا كانت بعد الأحزاب في أواخر السنة
الخامسة، لأن غزوة الأحزاب كانت في شوال سنة خمس من الهجرة، أو
كانت رحلته في أوائل السادسة، وبعد عام في أوائل السابعة ورد عليهم
عمرو بن أمية حاملاً كتاب النبيّ إلى النجاشي، حينما كتب إلى الملوك
والرؤساء.

وهنا تختلف نسخ الكتاب: فأكثر نسخ الكتاب يشتمل على الوصية

(١) سيرة ابن هشام ٣: ٢٨٩، ٢٩٠ بتلخيص آخر الخبر.

بجعفر وأصحابه، وبعضها خلو عنها: «كصبح الأعشى»^(١) للقلقشندي (ت ٨٢١) و«المواهب اللدنية في السيرة النبوية»^(٢) للقسطلاني (ت ٩٢٣) و«انسان العيون في سيرة الأمين المأمون»^(٣) المعروف بالسيرة الحلبية لبرهان الدين الحلبي (ت ١٠٤٤) وهذا ما تأيّد به البروفيسور حميد الله المستوفي في كتابه القيم «الوثائق السياسية» فقال: «ومما يجدر ذكره أن الحلبي والقسطلاني والقلقشندي لا يذكرون عبارة: وقد بعثت إليك ابن عمي...» في متن المکتوب، وهي لا توجد في متن المکتوب الذي اكتشف حديثاً... فنظن: أن رسول الله ﷺ قد أعطى ابن عمه جعفرأ كتاباً الى النجاشي وقت هجرته الى الحبشة...»^(٤).

بينما سائر المصادر تذكر هذه العبارة، وكلها بما فيها هذه الثلاثة تذكر جواب النجاشي الى النبي ﷺ وفيه: «وقد عرفنا ما بعثت به الينا، وقد قرئنا ابن عمك وأصحابه، وقد بايعتك وبايعت ابن عمك واسلمت على يديه لله رب العالمين»^(٥).

ثم الكتاب خلو عن تجهيز المسلمين من الحبشة اليه الى المدينة، كما هو خلو عن خطبته لأُمّ حبيبة ابنة أبي سفيان بواسطة النجاشي، بينما من

(١) صبح الأعشى في صناعة الانشاء ٦ : ٣٧٩.

(٢) المواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٣ : ٣٧٩.

(٣) السيرة الحلبية ٣ : ٢٧٩.

(٤) الوثائق السياسية : ٤٦ - ٤٨ رقم ٢٣.

(٥) الطبري ٢ : ٦٥٢، ٦٥٣ وأعلام الورى : ٤٥، ٤٦ والكامل ٢ : ٦٣ واسد الغابة ١ :

٦٢ والبداية ٣ : ٨٤ وزاد المعاد ٣ : ٦١ وصبح الأعشى ٦ : ٤٦٦ والسيرة الحلبية

وزيني دحلان وإعلام السائلين.

المستبعد جداً أن يكون كلا الأمرين متأخرين عن عهد هذه الرسالة .
ولعلّ الجواب الصحيح هو ما رواه الطبري عن الواقدي قال : أرسل
رسولُ الله -صلى الله عليه [وآله] وسلّم - الى النجاشي ليزوجه أمّ حبيبة
بنت أبي سفيان ، ويبيع بها اليه مع مَنْ عنده من المسلمين^(١) من دون ذكر
كتاب في ذلك .

ولم يذكر الواقدي ولا الطبري اسم الرسول بهذه الرسالة الشفوية ولا
ألفاظها ، ولكن ابن سعد ذكر أن الرسول هو عمرو بن أميّة نفسه وذكر
شطراً من رسالته الشفوية الى النجاشي ولكن من دون ذكر خطبة النبيّ لأُمّ
حبيبة ولا طلب تجهيز المسلمين اليه الى المدينة ، قال :

قال عمرو بن أميّة : يا أصحابي ! (كذا) إنّ عليّ القول وعليك
الاستماع ! إنّك كائنك في الرقة علينا منّا ، وكأنا في الثقة بك منك ، لأنّا لم
نظنّ بك خيراً قطّ إلّا نلناه ولم نحفظك على شرّ قطّ إلّا أمّناه ، وقد أخذنا
الحجة عليك من قبل آدم ، والانجيل بيننا وبينك شاهد لا يُرد وقاضٍ
لا يجوز [فأسلم] وفي ذلك موقع الخير واصابة الفضل ، وإلّا فأنت في هذا
النبيّ الأميّ كاليهود في عيسى بن مريم ، وقد فرّق رسله الى الناس ، فرجّاك
لما لم يرجهم له ، وأمنك على ما خافهم عليه ، لخير سالف وأجر يُنتظر .

فقال النجاشي : أشهدُ بالله أنّه النبيّ الذي ينتظره أهل الكتاب ، وأنّ
بشارة موسى براكب الحمار كبشارة عيسى براكب الجمل ، وأنّه ليس الخبر
كالعيان ، ولكن أعواني من الحبشة قليل ، فأنظرني حتّى اكثّر الأعوان وألّين

القلوب، ولو استطيع أن آتية لأتيته^(١).

ولنعد الآن الى ذكر نص كتاب النبي الى النجاشي بالروايتين: الخالية عن ذكر جعفر والتي فيها ذكره، على التوالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى النجاشي عظيم الحبشة، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فأني أحمد اليك الله الذي لا اله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى من روحه ونفخه، كما خلق آدم بيده.

واني أدعوك الى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبني وتوقن بالذي جاءني، فأني رسول الله، واني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل.

وقد بلغت ونصحت، فاقبلوا نصيحتي. والسلام على من اتبع الهدى^(٢).

«بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة، سلام عليك، فأني أحمد اليك الله الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته، ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى فخلقه من روحه ونفخه، كما خلق

(١) الطبقات ١: ٢٥٩ وعنه في سيرة الحلبي ٣: ٢٧٩ وزيني دحلان بهامش سيرة الحلبي ٣: ٦٧.

(٢) صبح الأعشى ٦: ٣٧٩. والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٣: ٣٧٩. والسيرة الحلبية ٣: ٢٧٩.

آدم بيده ونفخه .

وإني أدعوك الى الله وحده لا شريك له، والموالة على طاعته، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جائي فأني رسول الله، وقد بعثت اليكم ابن عمي جعفرًا ومعه نفر من المسلمين، فإذا جاؤوك فاقيرهم ودع التجبر. وإني أدعوك وجنودك الى الله عز وجل.

وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصحي. والسلام على من اتبع الهدى^(١). فلما وصل الكتاب الى النجاشي أخذه ووضع على عينيه ونزل عن سريره وجلس على الأرض إجلالاً واعظاماً، ثم اسلم ودعا بحق من عاج وجعل فيه الكتاب^(٢).

ثم أحضر جعفرًا وأصحابه وأسلم على يدي جعفر وكتب بذلك الى رسول الله: «بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد رسول الله، من النجاشي: الأصحم بن أبجر، سلام عليك يا نبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هداني الى الإسلام.

أما بعد؛ فقد بلغني كتابك -يا رسول الله- فيما ذكرت من أمر عيسى،

(١) أقدم من نقله عن ابن اسحاق : الطبري ٢ : ٦٥٢ ثم الحاكم الحسكاني في المستدرک ٢ : ٦٢٤ . ثم الطبرسي في إعلام الوری : ٤٥ . ثم ابن الأثير في اسد الغابة ١ : ٦٢ والکامل ٢ : ٦٣ . وروی الرسالة ابن كثير في البداية ٣ : ٨٤ وابن القيم في زاد المعاد ٣ : ٦١ وأشار ابن سعد في الطبقات ١ : ٢٥٨ ورواها المستوفي في الوثائق السياسية : ٤٦ عن مصادر منها اعلام السائلين لابن طولون . وبحث حولها المحقق الأحمدي في مكاتيب الرسول ١ : ١٢١ - ١٣١ .

(٢) مكاتيب الرسول ١ : ١٢٨ عن الطبقات والسيرة الحلبية وزيني دحلان بهامش الحلبية ٣ : ٦٧ .

فَوَرَّبَ السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ إِنَّ عِيسَى مَا يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتُ تُفَرُّوقًا^(١) إِنَّهُ كَمَا قُلْتُ . وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بُعِثَتْ بِهِ إِلَيْنَا ، وَقَدْ قَرَيْنَا ابْنَ عَمِكَ وَأَصْحَابَهُ ، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقًا مُصَدِّقًا ، وَقَدْ بَايَعْتُكَ وَبَايَعْتَ ابْنَ عَمِكَ ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

وقد بعثت إليك بابني أزهنا ابن الأصحم بن أنجر^(٢) ، فإنني لا أملك إلا نفسي ، وإن شئت أن آتيك فعلتُ يارسول الله ، فإنني أشهد أن ما تقول حق ، والسلام عليك يارسول الله»^(٣) .

هذه هي اجابة النجاشي على كتاب النبي اليه في دعوته الى الاسلام ضمن كتبه الى الملوك والرؤساء بعد صلح الحديبية وقبل خيبر في أوائل السنة السابعة من الهجرة ، على ما يبدو من فحوى الرسالة ، كما في كل

(١) الثُفُروق : قمع التمر ، ويكنى به عن قلة الشيء ، يقال : ماله ثُفُروق ، أي ليس له شيء .

(٢) في الروض الانف : أن علياً وجد أبا نيزر ابن النجاشي عند تاجر بمكة فاشتراه منه واعتقه مكافأة لما صنع أبوه بالمسلمين . ويقال : إن الحبشة أرسلوا وفداً منهم الى أبي نيزر بعد أبيه النجاشي ليملكوه فأبى عليهم وقال : ما كنت لا طلب الملك بعد أن من الله عليّ بالاسلام . ولم يكن لونه لون الحبشة بل كان حسن الوجه طويلاً .

(٣) الطبري ٢ : ٦٥٣ عن ابن اسحاق ، وعنه في المستدرک ٢ : ٦٢٤ وعنه في إعلام الوری : ٤٦ وأسد الغابة ١ : ٦٢ والكامل ٢ : ٦٣ والبدایة ٣ : ٨٤ وزاد المعاد ٣ : ٦١ وصبح الاعشى ٦ : ٣٧٩ والمواهب اللدنية بشرح الزرقاني ٣ : ٣٧٩ والسيرة الحلبية ٣ : ٢٧٩ وسيرة زيني دحلان بهامش الحلبية ٣ : ٦٧ . ومجموعة الوثائق السياسية : ٤٦ ، ومكاتيب الرسول ١ : ١٢١ - ١٣١ . ومن الغريب مع كل هذه المصادر تشكيك السيد الحسيني في سيرته في صحة رواية اسلام النجاشي بعد أن نقل رواية الرسالة عن البداية لابن كثير ، سيرة المصطفى : ١٨٣ ، ١٨٤ .

المصادر التاريخية تقريباً، ومن المستبعد أن يكون كتاب النبي ﷺ إليه وهذا الجواب من النجاشي عليه متزامناً مع بداية هجرة الحبشة كما يبدو هذا من الطبرسي في «إعلام الوري» عن الحاكم الحسكاني^(١).

(١) وقد تزامن مع هذا الكتاب والجواب أمران آخران هما: خطبة النبي ﷺ لأُمّ حبيبة بواسطة النجاشي، وتجهيزه المسلمين من الحبشة إليه الى المدينة، وكتاب النبي ﷺ إليه خلو منها بروايته، وقد مرّ تقريباً أن يكون ذلك برسالة شفوية مع حامل الكتاب عمرو بن أمية الضمري، ولم يُروَ كتاب آخر في ذلك، ومن المستبعد ذلك أيضاً. وتفرد من بين المصادر مصدران نقلوا جوابين آخرين للنجاشي على كتابين آخرين للنبي ﷺ في الأمرين، هما «سواطع الأنوار» و«الطراز المنقوش»: أن النجاشي كتب إليه في جواب كتابه في تزويج أمّ حبيبة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد - صلى الله عليه [وآله] وسلم - من النجاشي أصحمة (كذا) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته. أما بعد؛ فإنّي قد زوجتك امرأة من قومك وعلى دينك، وهي السيدة أمّ حبيبة بنت أبي سفيان، وأهديتك هدية جامعة: قيصاً وسراويل وعطافاً وخُفّين ساذجين. والسلام عليك ورحمة الله وبركاته».

وكتب إليه ﷺ في جواب كتابه ﷺ في تجهيز المسلمين الى المدينة:

«بسم الله الرحمن الرحيم، الى محمد - صلى الله عليه [وآله] وسلم - من النجاشي أصحمة (كذا) سلام عليك يا رسول الله من الله ورحمة الله وبركاته، لا إله إلاّ الذي هداني للإسلام، أما بعد فقد ارسلت اليك - يا رسول الله - من كان عندي من أصحابك المهاجرين من مكّة الى بلادي، وها أنا ارسلت اليك ابني اريحا (كذا) في ستين رجلاً من أهل الحبشة، وان شئت أتيتك بنفسي فعلت يا رسول الله، فإنّي أشهد أنّ ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته» كما في الوثائق السياسية: ٤٨ عن الباب الأوّل من الطراز المنقوش وسواطع الأنوار: ٨١.

وفد قريش الى النجاشي:

قال علي بن ابراهيم القمي في تفسيره: لما اشتدّت قريش في أذى رسول الله وأصحابه الذين آمنوا به بمكة قبل الهجرة، أمرهم رسول الله ﷺ أن يخرجوا الى الحبشة، وأمر جعفر بن أبي طالب أن يخرج معهم. فخرج جعفر، ومعه سبعون رجلاً من المسلمين حتى ركبوا البحر. فلما بلغ قريش خروجهم بعثوا عمرو بن العاص وعماره بن الوليد الى النجاشي، ليردّوهم اليهم، وكان عمرو وعماره متعاضدين... فبرئت بنو مخزوم من جناية عماره، وبرئت بنو سهم من جناية عمرو بن العاص^(١). فوردوا على النجاشي، وكانوا قد حملوا اليه هدايا فقبلها منهم. ثم قال عمرو بن العاص: أيها الملك، إنّ قوماً منّا خالفونا في ديننا وسبّوا آلهتنا وصاروا اليك، فردّهم الينا. فبعث النجاشي الى جعفر فجاءوا به.

فقال له: يا جعفر، ما يقول هؤلاء؟ قال جعفر: أيها الملك وما يقولون؟ قال: يسألون أن أردّكم اليهم. قال: أيها الملك، سلّهم: أعبيد نحن لهم؟ فقال عمرو: لا، بل أحرار كرام. قال: فسّلهم: ألهم علينا ديون يطالبوننا بها؟ قال: لا، مالنا عليكم ديون. قال: فلکم في أعناقنا دماء

(١) فلما ركبوا السفينة شربوا الخمر، فقال عماره لعمرو بن العاص - وكان قد اخرج معه أهله - قل لأهلك تقبّلي، فقال عمرو: لا يجوز هذا! فسكت عماره، ولما انتشئ عمرو - وكان على صدر السفينة - دفعه عماره والقاه في البحر، فتشبّث عمرو بصدر السفينة وأدركوه فأخرجوه.

تطالبوننا بها؟ قال عمرو: لا. قال: فما تريدون منا؟! أذيتمونا فخرجنا من بلادكم.

فقال عمرو بن العاص: أيها الملك خالفونا في ديننا وسبوا آلهتنا وأفسدوا شبابنا وفرّقوا جماعتنا، فردّهم اليّنا لنجمع أمرنا.
فقال جعفر: نعم أيها الملك، خالفناهم بأنّه بعث الله فينا نبياً أمر بخلع الأنداد، وترك الاستقسام بالأزلام، وأمرنا بالصلاة والزكاة^(١)، وحرم

(١) وردت الزكاة في السور المكية منها في المزمّل في قوله سبحانه: ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة وأقرضوا الله قرضاً حسناً﴾ (المزمّل: ٢٠) وهي السورة الثالثة أو الرابعة، وفي سورة الأعراف قوله سبحانه: ﴿ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة﴾ (الأعراف: ١٥٦) وهي السورة التاسعة والثلاثون أو الأربعون في النزول، فهي قبل سورة مريم الرابعة والأربعين التي تلا منها جعفر على النجاشي. نعم يدّعى أنّها آيات مدينيات في سور مكية، لأنّ تشريع الزكاة لم يكن في مكّة قبل الهجرة بل في المدينة بعد الهجرة ببضع سنين ولكن لا ملازمة بين التسليم بتشريع الزكاة في المدينة وبين قبول هذه الدعوى بكون الآيات مدنيّة في سور مكية، إلّا اذا سلّمنا بأن الزكاة في هذه الآيات بمعنى الزكاة المفروضة دون المندوبة، ولنا مندوحة عن قبول ذلك بترجيح تفسير الزكاة في هذه الآيات بالزكاة بالمعنى اللغوي العام أي الصدقات المستحبة المندوب اليها. وبذلك نتوسع في معنى الأمر في كلام جعفر بما يعم الندب أيضاً. وبهذا تنفصّى عن الاشكال بورود الزكاة في كلام جعفر.

ولكن لا مناص عن اشكال ورود الصيام في كلامه أيضاً. إلّا ان ذلك لا يفقدنا الى القول بأن الرواية موضوعة كما ذهب اليه أحمد أمين في فجر الإسلام: ٧٦، كما لا يفقدنا ذلك الى الالتزام بأن الصيام قد شرع في مكّة قبل الهجرة أي قبل نزول آيتها في السنة الثانية بعد الهجرة ضمن آيات سورة البقرة. بل نحتمل السهو في حديث أم سلمة أو أحد الرواة، أو أن يكون ذلك مرجّحاً لكون هذه المناظرة بعد وقعة الأحزاب أو بعد بدر كما رواه الحلبي في سيرته كما مرّ، ولكن يلزم ذلك أن نلتزم بأن

الظلم والجور، وسفك الدماء بغير حقها، والزنا، والربا، والميئة والدم^(١) وأمرنا بالعدل والاحسان، وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى.

فقال النجاشي: بهذا بعث الله عيسى بن مريم عليه السلام! ثم قال: يا جعفر، هل تحفظ ممّا أنزل الله على نبيك شيئاً؟ قال: نعم، ثم قرأ عليه «سورة مريم» فلما بلغ إلى قوله: ﴿وهزّي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنياً فكلي واشربي وقري عينا﴾.

فلما سمع النجاشي بهذا بكى بكاءً شديداً وقال: هذا والله هو الحق. فقال عمرو بن العاص: أيها الملك، إنّ هذا مخالفنا فردّه إلينا. فرفع النجاشي يده فضرب بها وجه عمرو، ثم قال: اسكت، والله -يا هذا- لئن ذكرته بسوء لافقدتك نفسك!

فقام عمرو بن العاص من عنده والدماء تسيل على وجهه، وهو يقول: إنّ كان هذا كما تقول -أيها الملك- فإنّا لا نتعرض له. ورجع عمرو إلى قريش فأخبرهم أنّ جعفرًا في أرض الحبشة في أكرم كرامة^(٢).

التشريعات الجديدة كانت تصلهم في الحبشة كيفما كان، وليس ذلك ببعيد. (١) ان أول ما نزل من القرآن في تحريم الميئة في الآية: ١٢١ من سورة الأنعام، وهي السورة ٥٥ في ترتيب النزول، فيحتمل أن تكون الهجرة بعدها، ولا نجزم به إذ فيها: ﴿وقد فضل لكم ما حرّم عليكم﴾ وقبلنا فيه بقول الطبرسي بأن المراد به بيان النبي لا القرآن.

(٢) وكانت على رأس النجاشي وصيفة له تذب عنه، فنظرت إلى عمارة بن الوليد، فلما رجع عمرو بن العاص إلى منزله قال لعمارة: لو راسلت جارية الملك، فراسلها

وروى ابن اسحاق بسنده عن زوج رسول الله أم سلمة هند ابنة أبي أمية بن المغيرة المخزومي أنها قالت: لما نزلنا أرض الحبشة جاورنا بها النجاشي خير جار: أمنا على ديننا وعبدنا الله تعالى لا نؤذى ولا نسمع شيئاً نكرهه .

فلما بلغ ذلك قريشاً ائتمروا بينهم أن يبعثوا الى النجاشي فينا رجلين منهم جلدتين، وأن يهدوا للنجاشي هدايا مما يُستطرف من متاع مكة، وكان من أعجب ما يأتيه منها الأدم، فجمعوا له أدماً كثيراً، فلم يتركوا من بطارقتة بطريقاً إلا أهدوا له هدية . وبعثوا بذلك عبد الله بن أبي ربيعة وعمرو بن العاص، وأمروهما بأمرهم فقالوا لهما: ادفعا الى كل بطريق هديته قبل أن تكلم النجاشي فيهم، ثم قدما الى النجاشي هداياه، ثم سلاه أن يسلمهم اليكما قبل أن يكلمهم .

فأجابته، فقال له عمرو: قل لها: تبعث اليك من طيب الملك شيئاً . فقال لها، فبعثت اليه، فأخذ عمرو من ذلك الطيب، فادخل عمرو الطيب على النجاشي وقال: أيها الملك ان حرمة الملك عندنا وطاعته علينا وما يكرمنا اذا دخلنا بلاده ونأمن فيه: أن لا نغشه ولا نريبه، وان صاحبي هذا الذي معي قد أرسل الى حرمتك وخدعها فبعثت اليه من طيبك . ثم وضع الطيب بين يديه فغضب النجاشي وهم بقتل عمارة، ثم قال: لا يجوز قتله فانهم دخلوا بلادي فلهم أمان، ثم دعا السحرة فقال لهم: اعملوا به شيئاً أشد عليه من القتل، فأخذوه ونفخوا في احليله الزئبق فصار مع الوحش يغدو ويروح ولا يأنس بالناس، فبعثت قريش بعد ذلك فكنوا له في موضع حتى ورد الماء مع الوحش فأخذوه، فما زال يضطرب في أيديهم ويصيح حتى مات، كما في تفسير القمي ١: ١٧٦-١٧٨ وعنه في اعلام الوری: ٤٣ - ٤٥ بلا أسناد وكذلك اليعقوبي ٢: ٣٠ والإصفيهاني عن الواقدي في الأغاني ٨: ٥٠ .

فخرجوا حتىّ قدما على النجاشي... فلم يبقَ من بطارقتة بطريق إلاّ دفعوا اليه هديته قبل أن يكلموا النجاشي، وقالوا لكلّ بطريق منهم: أنّه قد لجأ الى بلد الملك منّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينكم وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم، وقد بعثنا الى الملك فيهم أشراف قومهم ليردّهم اليهم، فاذا كلّمنا الملك فيهم فأشيروا عليه بأن يُسلمهم اليّنا ولا يكلمهم، فان قومهم أعلم بما عابوا عليهم. فقالوا لها، نعم.

ثمّ انها قدّما هداياهما الى النجاشي فقبلها منها، ثمّ كلّما فقالا له: أيّها الملك، انه قد لجأ الى بلدك منّا غلمان سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك، وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت، وقد بعثنا اليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائريهم، لتردّهم اليهم، فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه.

فقالت بطارقتة من حوله: صدقا أيّها الملك، فان قومهم اعلم بما عابوا عليهم، فأسلمهم اليها فليردّاهم الى بلادهم وقومهم. فغضب النجاشي وقال: لا هال الله، إذا لا أسلمهم اليها، ولا يُكاد لقوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي، حتىّ ادعواهم فأسلّمهم عمّا يقول هذان في أمرهم، فان كان كما يقولان أسلمتهم اليها ورددتهم الى قومهم، وان كانوا على غير ذلك منعّتهم منها وأحسنّت جوارهم ما جاوروني.

ثمّ أرسل الى أصحاب رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- فدعاهم فلمّا جاءهم رسوله اجتمعوا وقال بعضهم لبعض: ماتقولون للرجل اذا جئتموه؟ قالوا: نقول -والله- ما علمنا وما أمرنا به نبيّنا -صلى الله

عليه [وآله] وسلّم - كائنًا في ذلك ما هو كائن .

فلما جاؤوا سألهم النجاشي - وقد دعا أساقفته حوله - فقال لهم : ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم ؟ ولم تدخلوا في ديني ولا في دين أحد من هذه الملل ؟

فكان الذي كلمه جعفر بن أبي طالب فقال له : أيها الملك، كنّا قومًا أهل جاهلية : نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القويّ منا الضعيف؛ فكنا على ذلك، حتّى بعث الله إلينا رسولاً منّا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفاه، فدعانا إلى الله لنوحّدَه ونعبده، ونخلع ما كنّا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم وحسن الجوار، والكفّ عن المحارم والدماء ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصّنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة - وعدّد عليه أمور الإسلام ثمّ قال - فصدّقناه وآمنا به، واتّبعناه على ما جاء به من الله : فعبدنا الله وحده فلم نُشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا وأحللنا ما أحلّ لنا . فعدا علينا قومنا فعذبونا وفتنونا عن ديننا ليردّونا من عبادة الله إلى عبادة الأوثان، وأن نستحلّ ما كنا نستحل من الخبائث . فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ورغبنا في جوارك ورجونا أن لا تُظلمَ عندك أيّها الملك .

فقال له النجاشي : هل معك ممّا جاء به عن الله من شيء ؟ فقال

جعفر: نعم. قال النجاشي: فقرأه عليّ. فقرأ صدرّاً من ﴿كهيعص﴾^(١) فبكى -والله- النجاشي حتّى اخضلت لحيته وبكت أساقفته حتّى أخضلوا مصاحفهم حين سمعوا ماتلاً عليهم، ثمّ قال النجاشي: إنّ هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة. ثمّ قال لعمر وعبيد الله: انطلقا فلا -والله- لأسلمهم اليكما ولا يكادون. فخرجا من عنده.

وقال عمرو بن العاص: والله لآتيته غداً عنهم بما استأصل به خضراءهم؛ والله لأخبرته أنّهم يزعمون أن عيسى بن مريم عبدٌ. وكان عبد الله بن ربيعة أتى الرجلين فقال: لا أفعل فإن لهم أرحاماً.

فغدا عليه عمرو من الغد فقال له: أيها الملك، إنّهم يقولون في عيسى ابن مريم قولاً عظيماً، فأرسل اليهم فسألهم عما يقولون فيه: فأرسل اليهم ليسألهم عنه.

فاجتمع القوم فقال بعضهم لبعض: ماذا تقولون في عيسى بن مريم إذا سألكم عنه؟ قالوا: نقول -والله- ما قال الله وما جاء به نبيّنا، كائناً في ذلك ما هو كائن.

فلما دخلوا عليه قال لهم: ماذا تقولون في عيسى بن مريم؟ فقال جعفر بن أبي طالب: نقول فيه بالذي جاء به نبيّنا -صلّى الله عليه وآله وسلم-: هو عبد الله ورسوله وروحه وكلمته، ألّقاها إلى مريم العذراء البتول.

فضرب النجاشي بيده إلى الأرض فأخذ منها عوداً ثمّ قال: والله ما عدا عيسى بن مريم ما قلت هذا العود (أي بمقداره) فتناخرت بطارقه

(١) مريم: ١، وهي السورة الرابعة والأربعون في ترتيب النزول.

حواله، فقال لهم : وإن نخرتم والله .

ثم قال للمسلمين : اذهبوا فانتم شيوم (آمنون) ومن سبكم غرم، من سبكم غرم، وما أحب أن لي ذبراً (اي جبلاً) من ذهب وأني آذيت رجلاً منكم .

ثم قال لرجاله : ردّوا عليهما هداياهما فلا حاجة لي بهما .

فخرجوا من عنده مقبوحين مردوداً عليهما ما جاء به .

وأقننا عنده بخير دار مع خير جار^(١) .

رضي الله عن أم المؤمنين أم سلمة إذ سلم لنا حديثها هذا المسند الوحيد عن هجرة الحبشة ووفد قريش إليها في طلبهم، وهي أحد المهاجرين إليها الأكثر من ثمانين رجلاً وامرأة، ولم يسلم لنا سواه حديث مسند آخر عن أحد سواها من سائر المهاجرين الثمانين . اللهم إلا ما نقلناه عن القمي في تفسيره مرسلًا وبلا اسناد، وما مرّ عن عمرو بن العاص، مع ما بين هذه الأخبار الثلاثة من تفاوت بين، ولا سيما بين خبري أم سلمة وعمرو بن العاص، ولا سيما من جهة عدم اشارته الى أي شيء مما حدثت عنه أم سلمة مما يتعلق به وبلقائه السابق بالنجاشي كوافد من قبل قريش في طلب المهاجرين، بل هو يتحدث عن لقائه هذا الأخير وكأنه أول لقاء له به فيما يرتبط بالإسلام، وان كان ينقل عنه أنه قال فيه : «مرحباً بصديقي» وأنه سجد له كما كان يصنع، فكأنه يتنكر لما كان منه في الوفاة عن قريش الى الحبشة .

خروج الحبشة على النجاشي:

قال ابن اسحاق: وحدثني جعفر بن محمد عن أبيه^(١) قال: اجتمعت الحبشة فقالوا للنجاشي: إنك قد فارقت ديننا. فأرسل إلى جعفر وأصحابه فهيأ لهم سفناً وقال: اركبوا فيها وكونوا كما أنتم، فإن هُزمت فامضوا حتى تلحقوا بحيث شئتم، وإن ظفرت فاثبتوا. ثم عمد إلى كتاب فكتب فيه: هو يشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، ويشهد أن عيسى بن مريم عبده ورسوله وروحه وكلمته، ألقاها إلى مريم، ثم جعله في قبائه عند المنكب الأيمن، وخرج إلى الحبشة فقال:

يامعشر الحبشة! ألسن أحق الناس بكم؟ قالوا: بلى، قال: فكيف رأيتم سيرتي فيكم؟ قالوا: خير سيرة، قال: فما بالكم؟ قالوا: فارقت ديننا وزعمت أن عيسى عبد! قال: فما تقولون أنتم في عيسى؟ قالوا: نقول: هو ابن الله، فوضع يده على صدره على قبائه وقال: هو يشهد أن عيسى بن مريم لم يزد على هذا شيئاً. -وهو يعني ماكتب- فرضوا وانصرفوا عنه^(٢).

وقد روى في آخر خبر أم سلمة قالت: فوالله أنا لعل ذلك إذ نزل به رجل من الحبشة ينازعه في ملكه... وسار إليه النجاشي وبينهما عرض

(١) ولذلك عدّ الشيخ الطوسي ابن اسحاق من أصحاب الصادق عليه السلام في رجاله:

٢٨١. كما عدّه في أصحاب الباقر عليه السلام: ١٣٥.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٣٦٥.

النيل (كذا).

فقال أصحاب رسول الله: مَنْ رجل يخرج حتى يحضر الواقعة ثم يأتيها بالخبر؟ فقال الزبير بن العوام - وكان من أحدث القوم سنًا - أنا، قالوا: فأنت، فنفخوا له قريةً فجعلها في صدره ثم سبح عليها حتى خرج الى ناحية النيل التي بها ملتقى القوم، ثم انطلق حتى حضرهم. فوالله انا لعلّ ذلك، متوقعون لما هو كائن، إذ طَلَعَ الزُّبَيْر وهو يسعى فَلَمَعَ بثوبه وهو يقول: ألا أبشروا، فقد ظفر النجاشي وأهلك الله عدوّه ومكّن له في بلاده...

ورجع النجاشي وقد أهلك الله عدوّه ومكّن له في بلاده واستوسق عليه أمر الحبشة. فكُنّا عنده في خير منزل حتى قدمنا على رسول الله وهو بمكة^(١).

روى ابن اسحاق هذا الخبر عن ابن شهاب الزُّهري عن أمّ سلمة بواسطة قريبها أبي بكر بن عبد الرحمن المخزومي، ثم قال ابن اسحاق: قال الزُّهري: فحدّثت عروة بن الزبير حديث أبي بكر بن عبد الرحمن عن أمّ سلمة^(٢) وغاية ما يفيد هذا الخبر تقرير عروة بن الزبير لخبر أمّ سلمة عن الزُّبَيْر، ولم يرد الحديث بذلك عن هجرة الحبشة عن الزبير نفسه ولا بواسطة أحد أبنائه ولا سيّما عروة المحدث المؤرخ! وبعد هذا حدّث ابن اسحاق بحديث الامام الصادق عليه السلام عن خروج الحبشة على النجاشي، وغاية ما فيه: أنّهم خرجوا عليه فأرسل الى جعفر وأصحابه قال: فان

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٦٢.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٣٦٣.

هُزمت فامضوا... وان ظفرت فاثبتوا... وخرج الى الحبشة وقد صفوا له... فرضوا وانصرفوا... وليس فيه أن الله أهلك عدوه وظفر النجاشي. فهذه زيادة في خبر أم سلمة. بينما يعوزه ما في حديث الامام الصادق عليه السلام من تهية السفن وركوبهم فيها وانتظارهم لخبره. واذا كان لابد من ترجيح ففي حديث الامام الصادق عليه السلام من المرجحات ما ليس في الخبر عن أم سلمة.

ولا يفوتنا آخر خبر أم سلمة إذ قالت: حتى قدمنا على رسول الله وهو بمكة. ثم ليس في الخبر ولم يذكر ابن اسحاق أو ابن هشام متى كان هذا الرجوع؟ ثم هي تقول: قدمنا، ولا تستثني أحداً. ولكن الظاهر أنها عوّلت على المعلوم يوم حديثها لقريبها أبي بكر المخزومي. بينما يقول ابن اسحاق: وبلغ أصحاب رسول الله الذين خرجوا الى أرض الحبشة إسلام أهل مكة، فأقبلوا لما بلغهم ذلك، حتى إذا دنوا من مكة بلغهم أن ماكانوا تحدثوا به من اسلام أهل مكة كان باطلاً، فلم يدخل أحد إلا بجوار أو مستخفياً^(١) منهم: عثمان بن عفان ومعه امرأته رقية بنت رسول الله -صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم- وأبو سلمة المخزومي ومعه امرأته أم سلمة المخزومية. والسكران بن عمرو ومعه امرأته سودة بنت زمعة بن قيس. وأبو سبرة بن أبي رهم معه امرأته أم كلثوم بنت سهيل بن عمرو، وعديله أبو حذيفة بن عتبة ومعه امرأته سهلة بنت سهيل بن عمرو، وأخوها عبد الله بن سهيل بن عمرو. وعامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حمزة. فهؤلاء عشرة أزواج. ومن غيرهم: الزبير بن العوام، ومُصعب بن عمير،

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٣.

وعبد الرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح والمقداد بن عمرو، وعبد الله ابن مسعود، وعمار بن ياسر، وعثمان بن مظعون، وأخواه: عبد الله وقُدّامة، وابنه السائب بن عثمان. ومن ثمّ يقول ابن اسحاق: فجميع من قدم مكة من أصحابه -صلى الله عليه وآله- من أرض الحبشة ثلاثة وثلاثون رجلاً^(١).

هذا وقد سبق منه القول بأنهم كانوا: اثنين وثمانين رجلاً وامرأة^(٢). وقال عن جميع من قدم المدينة من الذين حملهم النجاشي مع عمرو ابن أمية الضمري في السفينتين الى رسول الله ﷺ إنهم كانوا ستة عشر رجلاً، ومحمد والحارث ابنا حاطب الجمحي مع أمهم فاطمة بنت المجلل، وعبد الله بن المطلب الزهري مع أمه رملة بنت أبي عوف السهمي، قدمتا بأبنائهما بعد هلاك أزواجهما في الحبشة، في إحدى السفينتين.

ثمّ عدّ تسعة^(٣) نفر ممن هلك من الرجال بأرض الحبشة مسلمين، وواحداً منهم تنصّر بها، هو عبيد الله بن جحش حليف بني أمية وصهر أبي سفيان على ابنته رملة أم حبيبة، لما قدم أرض الحبشة تنصّر بها فكان اذا مرّ بالمسلمين من أصحاب رسول الله قال: فقحنا وصأصأتم^(٤) أي: انا

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٣ - ١٠.

(٢) سيرة ابن هشام ١: ٣٥٣.

(٣) سيرة ابن هشام ٤: ١٠ عد سبعة ثمّ عدّ رجلاً من أبنائهم، وفي ٤: ٧ عدّ من هلك المطلب بن أزهري، ثمّ لم يعدّه ضمن الثمانية.

(٤) إن الجرو -ولد الكلب- اذا أراد أن يفتح عينيه للنظر صأصأ -أي صوت- قبل ذلك، فاذا فتح عينيه أول ما يفتح وهو صغير قيل: فقح الجرو، واستعارهما هنا للانسان فضربه هم وله مثلاً!

قد فتحنا أعيننا فأبصرنا ولم تفتحوا أعينكم فتبصروا وأنتم تلتمسون ذلك ! ومات بها نصرانياً . ولذلك تزوج امرأته رسول الله ﷺ بواسطة النجاشي قبل رجوعهم الى المدينة بعد الحديبية وقبل خيبر . وكان معها ابنتها حبيبة ، وبها كانت تكتئ .

وعدّ يمن هلك بماء شربوه في طريق الرجوع : موسى بن الحارث واختيه عائشة وزينب وأُمهم ريطة ابنتي الحارث ولم يبق من الاسرة سوى ابنتهم فاطمة .

وبالجملة فقد عدّ ابن اسحاق عدا من قدم على رسول الله ﷺ مكة ، وسوى من حملهم النجاشي في السفينتين ، يمن تخلف عن بدر وقدم بعد ذلك ، عدّهم : أربعة وثلاثين رجلاً^(١) فهؤلاء مع من قدم مكة : ثلاثة وثلاثون رجلاً ، ومن حملهم النجاشي في السفينتين : ستة عشر رجلاً ، فيكون المجموع : أربعة وثمانين رجلاً ، سوى النساء . وقد عدّ جميع من هاجر الى أرض الحبشة من النساء : ست عشرة امرأة ، سوى بناتهن اللاتي ولدن هنالك^(٢) وعدّ يمن وُلد من أبائهم بأرض الحبشة : خمسة ، ومن البنات : خمساً أيضاً^(٣) فيكون المجموع : مائة وعشرة أشخاص من الرجال والنساء والبنين والبنات ، وهم مع من مات منهم والذي تنصّر مائة وعشرون .

(١) سيرة ابن هشام ٤ : ١٠ .

(٢) سيرة ابن هشام ٤ : ١٠ .

(٣) سيرة ابن هشام ٤ : ١١ .

جوار أبي طالب، والوليد:

قال ابن اسحاق: كانت أم أبي سلمة المخزومي: برة بنت عبد المطلب، اخت أبي طالب، فكان أبو طالب خال أبي سلمة، ولذلك دخل مكة في جواره.

ثم روى عن أبيه اسحاق بن يسار، عن حفيد أبي سلمة: سلمة بن عبد الله بن عمر بن أبي سلمة، أنه حدثه: أن أبا سلمة لما استجار بأبي طالب مشى إليه رجال من بني مخزوم فقالوا له: يا أبا طالب، لقد منعت منا ابن أخيك محمدًا، فالك ولصاحبنا تمنعه منا؟ قال: إنه استجار بي، وهو ابن اخي، وإن أنا لم أمنع ابن اخي لم أمنع ابن أخي.

فقام أبو هب فقال: يا معشر قريش، والله لقد اكرتم على هذا الشيخ، ما زالون تتواثبون عليه في جواره من بين قومه، والله لتنتهن عنه أو لنقومن معه في كل ما قام فيه حتى يبلغ ما أراد!

فقالوا: بل ننصرف عما تكره يا أبا عتبة.

فحين سمعه أبو طالب يقول ما يقول رجا فيه أن يقوم معه في شأن رسول الله، فقال (قصيدة) يحرض بها أبا هب على نصرته ونصرة رسول الله - صلى الله عليه [وآله] وسلم -.

ثم ذكر عشرة أبيات منها قوله:

جزى الله عنا: عبد شمس، ونوفلاً

وتيماً، ومخزوماً: عقوقاً وماثماً^(١)

(١) بتخفيف الهمزة من المأثم، وهذا من شواهد ما اشتهر عن قريش أنهم كانوا يخففون

بتفريقهم من بعد وُدّ وألفة

جماعتنا، كما ينالوا المحارما

كذبت -وبيت الله- نَبْزِي^(١) مُحَمَّدًا

ولمَّا تروا يوماً -لدى الشعب- قائماً^(٢)

ويظهر من هذا البيت الأخير أنَّ ذلك كان في حين حصار الشعب،
فالنَّبِيُّ كان بجوار عمِّه أبي طالب، ودخل فيه معه ابن عمِّه النَّبِيُّ أبو سلمة،
وكذلك احتُمي ذوو البيوتات والأسر بعشائرتهم، وهاجر بعضهم ومَن
سواهم الى الحبشة، ورجع منهم من رجع بجوار أو اختفى، وبقي الباقيون في
الحبشة، فرجع بعضهم الى المدينة بعد بدر، وكان آخر من رجع العشرون
رجلاً وأمرأة في السفينتين بعد الحديبية وقبل خير.

. وان كان ابو سلمة المخزومي قد ترك حمى عشيرته بني مخزوم
مستجيراً بخاله أبي طالب، فإنَّ عثمان بن مظعون الجُمحي دخل بجوار من
الوليد بن المغيرة المخزومي^(٣)، ولكنَّه:

لَمَّا رَأَى ما فيه أصحابُ رسول الله ﷺ من البلاء وهو يغدو ويروح
في أمان من الوليد بن المغيرة، قال: واللَّهِ إِنَّ غَدَوِي ورواحي آمناً بجوار
رجلٍ من أهل الشرك، وأصحابي وأهل ديني يلقون من البلاء والأذى في
اللَّهِ ما لا يصيبني، لنقص كبير في نفسي.

الهمزة، همزة الوسط لا الأوَّل .

(١) نَبْزِي أي: ننفي مُحَمَّدًا عن أنفسنا .

(٢) سيرة ابن هشام ٢: ٨ - ١١ .

(٣) فهذا الخبر أيضاً من الأخبار التي تنافي هلاك الوليد مع المستهزئين الستة .

ثمّ مشى الى الوليد بن المغيرة فقال له: يا أبا عبد شمس، وفّت ذمّتك، قد رددتُ اليك جِوارك... قال: فانطلق الى المسجد فاردد عليّ جوارِي علانية كما أجرتك علانية. فانطلقا فخرجا حتّى أتيا المسجد، فقال الوليد: هذا عثمان قد جاء يرّد عليّ جوارِي. قال: صدّق، قد وجدته وفيّاً كريم الجوار ولكنّي قد أحببت أن لا أستجير بغير الله، فقد رددتُ عليه جواره. ثمّ انصرف.

وكان لبّيد بن ربيعة الشاعر جالساً في مجلس قريش ينشدهم، فجلس معهم عثمان، فقال لبّيد: أأكلُ شيء - ما خلا الله - باطلٌ. فقال عثمان: صدقت. قال لبّيد: وكلُّ نعيم - لا محالة - زائل. فقال عثمان: نعيم الجنة لا يزول. فقال لبّيد: يا معشر قريش، والله ما كان يؤذِي جليسيكم فتى حدث هذا فيكم؟

فقال رجل من القوم: إنّ هذا سفيه في سفهاء معه قد فارقوا ديننا، فلا تجدنّ في نفسك من قوله.

فردّ عليه عثمان حتّى استشرى أمرهما وعظم، فقام اليه الرجل فلطم عينه فخرّها^(١).

والحوار في الخبر - إن صحّ - بين الرجل من قريش ولبيد الشاعر يُشعر بعدم انتشار أخبار الإسلام بما يبلغ الشاعر لبّيد بن ربيعة، وكذلك ينمّ عن عدم مناوذة المسلمين للمشركين كافة بما يحترز معه ابن مطعون عن

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٨ - ١٠ وقد أطلق الخضره على السواد هنا كما قد يطلق السواد على الخضره فيقال: سواد العراق يراد خضره زروعها، إذ الخضره من بعيد زرقاء داكنة مكدرّة اللون.

مجالستهم في أنديتهم ومجالسهم والاستماع إلى شعرائهم .

بينما مرّ في خير أبي سلمة المخزومي شعر أبي طالب يقول :
كذبتُم وبِيت اللّهُ نَبِزي مُحَمَّدًا

ولمّا تروا يوماً - لدى الشعب - قائماً

ويظهر منه - كما مرّ - أن ذلك كان في حين حصار الشّعب، وقد ذكر القمي والطبرسي والراوندي وابن شهر آشوب أن مدة الحصار كانت أربع سنين^(١) وقد قال الثلاثة - ماعدا القمي - : إنّ أبا طالب مات بعد ذلك بِشهرين . وقد روى الصدوق عن الصادق عليه السلام : أنّ أبا طالب لما حضرته الوفاة أوحى اللّهُ عزوجل إلى رسول اللّهُ : اخرج منها فليس لك بها ناصر فهاجر إلى المدينة^(٢) وروى العياشي عن علي بن الحسين عليه السلام : أن رسول اللّهُ لما فقد عمه أبا طالب أوحى اللّهُ إليه : يا محمد اخرج من القرية الظالم أهلها . وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكّة ناصر^(٣) .

وعليه فإن بدء حصار الشّعب كان متزامناً أو متقارباً مع بداية الهجرة إلى الحبشة، في شهر رجب من السنة الخامسة من مبعث رسول اللّهُ ﷺ^(٤) وبما أن بعثته كانت في شهر رجب على مذهب أهل البيت عليهم السلام كما مرّت أخباره، فذلك يعني أن هجرة الحبشة كانت في نهاية السنة الخامسة وبداية السادسة . وعلى قول ابن شهر آشوب : فلمّا توفي أبو طالب

(١) تفسير القمي ١ : ٣٨٠ إلام الوري : ٥٠ وقصص الأنبياء : ٣٢٩ والمناقب ١ : ٦٥ .

(٢) اكبال الدين : ١٧٢ .

(٣) تفسير العياشي ١ : ٢٥٧ .

(٤) مجمع البيان ٣ : ٣٦٠ والمنتقى للكاظمي : ٤٤ كما في البحار ١٨ : ٤٢٢ .

خرج النبي ﷺ الى الطائف وأقام فيه شهراً ثم انصرف الى مكة ومكث بها سنة وستة أشهر في جوار المطعم بن عدي^(١) فالمجموع اكثر من عشر سنين بعد البعثة . ولذلك فنحن ننتقل هنا الى حديث شعب أبي طالب عليه السلام .

حديث شعب أبي طالب عليه السلام:

ذكر أبو جعفر الاسكافي في كتابه «نقض العثمانية»: أن أمير المؤمنين علياً عليه السلام قال في خطبة له مشهورة: «فتعاقدوا أن لا يعاملونا ولا يناكحونا، وأوقدت الحرب علينا نيرانها، واضطرونا الى جبل وعمر، مؤمننا يرجو الثواب، وكافرنا يحامي عن الأهل؛ ولقد كانت القبائل كلها اجتمعت عليهم، وقطعوا عنهم المازة والميرة، فكانوا يتوقعون الموت جوعاً، صباحاً ومساءً، لا يرون وجهاً ولا فرجاً، قد اضمحل عزمهم وانقطع رجاؤهم»^(٢).
قال الشيخ الطبرسي في «إعلام الوري»: اجتمعوا في دار الندوة وكتبوا بينهم صحيفة: أن لا يواكلوا بني هاشم ولا يكلموهم ولا يباعدوهم ولا يزوجهم ولا يتزوجوا اليهم ولا يحضروا معهم، حتى يدفعوا اليهم (رسول الله) ليقتلوه، وأنهم يد واحدة على محمد، يقتلونه غيلة أو صراحاً. وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلّقوها في الكعبة، وتابعهم أبو هب على ذلك، ولم يدخل فيها مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد المطلب^(٣).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٧٣ ط قم .

(٢) نقض العثمانية للاسكافي : وعنه في شرح النهج للمعتزلي ١٣ : ٢٥٤ .

(٣) اعلام الوري : ٤٩ و ٥٠ وتلميذه الراوندي في قصص الأنبياء : ٣٢٩ .

وقال القمي في تفسيره: فلما اجتمعت قريش على قتل رسول الله ﷺ وكتبوا الصحيفة القاطعة جمع أبو طالب بني هاشم وحلف لهم بالبيت والركن والمقام والمشاعر في الكعبة: لئن شاكت محمداً شوكة لأتبنّ عليكم، أو لأتبنّ عليكم! وأدخله «الشعب» وكان يحرسه بالليل والنهار قائماً على رأسه بالسيف أربع سنين^(١).

وقال الطبرسي: وكان يحرسه بالليل والنهار: فإذا جاء الليل قام بالسيف عليه ورسول الله مضطجع، ثم يقيمه ويضعه في موضع آخر، فلا يزال الليل كله هكذا. ووكل به ولده وولد أخيه (?) يحرسونه بالنهار.

وكان أبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، والنضر بن الحارث بن كعدة، وعقبة بن أبي معيط يخرجون إلى الطرقات التي تدخل مكة، فمن رأوا معه ميرة نهوه أن يبيع بني هاشم شيئاً، ويحذرونه إن باع شيئاً أن ينهبوا ماله.

فكان من يدخل من العرب مكة لا يجسر أن يبيع بني هاشم شيئاً، ومن دخلها وباعهم شيئاً انتهبوا ماله. وكانت خديجة لها مال كثير فانفقته على رسول الله في الشعب.

وبقوا في الشعب أربع سنين لا يأمنون إلا في الموسم، ولا يشترون ولا يبيعون إلا في الموسم، وكان يقوم بمكة في كل سنة موسمان: موسم العمرة في رجب، وموسم الحج في ذي الحجة، فكان إذا جاء الموسم خرج بنو هاشم من الشعب فيشترون ويبيعون، ثم لا يجسر أحد منهم أن يخرج إلى الموسم الثاني: فأصابهم الجهد بذلك.

(١) تفسير القمي ١: ٣٨٠.

وكان رسول الله ﷺ يخرج في كل موسم ويدور على قبائل العرب فيقول لهم: تمنعون جانبي حتى أتلو عليكم كتاب الله ربّي، وثوابكم على الله الجنة؟ وأبو لهب في أثره يقول: لا تقبلوا منه فإنه ابن أخي وهو ساحر كذاب.

وكان أبو العاص بن الربيع -وهو ختن رسول الله على ابنته زينب- يجيء بالعرير بالليل عليها البر والتمر إلى باب الشعب ثم يصيح بها فتدخل الشعب. ولذا قال رسول الله ﷺ: «لقد صاهرنا أبو العاص فأحمد صهرنا، لقد كان يعمد إلى العير -ونحن في الحصار- فيرسلها في الشعب ليلاً».

إيمان أبي طالب ﷺ:

وبعث قريش إلى أبي طالب: ادفع إلينا محمداً لنقتله ونملكك علينا! فقال أبو طالب قصيدته الطويلة التي يقول فيها:

الم تعلموا أن ابننا لا مكذب	لدينا ولا يعنى بقول الأباطل
وأبيض يستسقى الغمام بوجهه	ثمّال اليتامى، عصمة للأرامل
يطوف به الهلاك من آل هاشم	فهم عنده في نعمة وفواضل
كذبتم -وبيت الله- نُبزي محمداً	ولما نطاعن دونه ونناضل
ونُسليمه، حتى نُصرع دونه	ونُذهل عن أبنائنا والحلائل
لعمري لقد كُلفتُ وجداً بأحمد	وأحببته حبّ الحبيب المواصل
وجُذْتُ بنفسي دونه وحميّه	ودافعت عنه بالذرا والكلاكل
فلا زال في الدنيا جمالاً لأهلها	وشيئاً لمن عادى، وزين المحافل
حليماً رشيداً حازماً غير طائشٍ	يوالي إله الحقّ ليس بماجل
فأيّده ربّ العباد بنصره	وأظهر ديناً حقّه غير باطل

فلما سمعوا هذه القصيدة أيسوا منه^(١).

وذكر الخبر ابن شهر آشوب وأضاف: كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه ونامت العيون جاء أبو طالب فأنهضه عن مضجعه وأضجع علياً مكانه ووكل عليه ولده وولد أخيه (؟) فقال علي عليه السلام: يا أبتاه اني مقتول ذات ليلة. فقال أبو طالب:

اصبرنْ يابني فالصبر أحجى	كلُّ حيٍّ مصيره لشعوب ^(٢)
قد بَلَوْنَاكَ والبلاء شديد	لفداء النجيب وابن النجيب
لفداء الأعز ذي الحسب الثا	قب والباع والفناء الرحيب
إن تُصَبِّك المنون بالنبل تَبْرئ	فصيب منها وغير مصيب
كلُّ حيٍّ وإن تطاول عمراً	أخذ من سهامها بنصيب

فقال علي عليه السلام:

أتأمرني بالصبر في نصر أحمد	ووالله ما قلت الذي قلت جازعاً
ولكنني أحببت أن تر نُصْرَتي	وتعلمَ أني لم أزل لك طائعاً
وسعبي لوجه الله في نصر أحمد	نبي الهدى المحمود طفلاً ويافعا

وقبل هذا روى من شعر أبي طالب في الحصار:

وقالوا: خُطَّةٌ جوراً ومُحَقّاً	وبعض القول أبلج مستقيم:
لِتَخْرُجَ هاشم فيصير منها	بلاقع بطن مَكَّة والحطيم
فهلاً قومنا لا تركبونا	بظلمة لها أمر وخيم

(١) إعلام الوری: ٥٠، ٥١. وذكرها تلميذه القطب الراوندي في: قصص الأنبياء:

فيندّم بعضكم وينذلّ بعضٌ
فلا - والراقصات بكل خُرْقٍ^(١)
طوالّ الدهر - حتّى تقتلونا
ويعلم مَعشَرٌ قطعوا وعقّوا
أرادوا قتلَ أحمدَ ظالمه
ودون محمّد فتیان قوم
وليس بمفلح أبداً ظلومٌ
الى معمور مكّة لا يريمٌ
ونقتلكم وتلتقي الخصومُ
بأنهم همّ الجلد الظليمُ
وليس لقتله فيهم زعيم
همّ العرينين والعضو الصميم

وروى من قصيدة اخرى له يقول :

ألم تعلموا أنّا وجدنا محمّداً

نبيّاً كموسى خُطّ في أوّل الكُتُبِ

أليس أبونا هاشم شدّ أزره

وأوصى بنيه بالطّعان وبالضربِ

وإنّ الذي علّقتم من كتابكم

يكون لكم يوماً كراغية السَّقْبِ^(٢)

أفيقوا أفيقوا قبل أن يُحفرَ الثرى

ويُصبحَ من لم يَجنْ ذنباً كذي الذنب^(٣)

وروى هذه القصيدة ابن اسحاق وأضاف :

(١) الخُرْق : القفّر .

(٢) يشير بذلك الى قصة فصيل ناقة صالح عليه السلام ، فالراغية من الرُغاء وهو صوت الابل ، والسَّقْب : ولد الناقة .

(٣) مناقب آل أبي طالب ١ : ٦٣ - ٦٥ .

وَلَا تَتَّبِعُوا أَمْرَ الْوُشَاةِ وَتَقْطَعُوا
أَوَاصِرَنَا بَعْدَ الْمَوَدَّةِ وَالْقُرْبِ
وَتَسْتَجْلِبُوا حَرْباً عَوَاناً وَرَبِّمَا
أَمْرٌ عَلَى مَنْ ذَاقَهُ - جَلَبُ الْحَرْبِ
فَلَسْنَا - وَرَبُّ الْبَيْتِ - نُسَلِّمُ أَحْمَدًا
لِعِزَّاءٍ^(١) مِنْ عَضِّ الزَّمَانِ وَلَا كَرْبِ
وَلَمَّا تَبَيَّنَ مِنَّا وَمِنْكُمْ سَوَافٍ^(٢)
وَأَيَّدِ أَتَرَّتْ بِالْقُسَاسِيَةِ الشُّهْبِ^(٣)
بِمَعْتَرِكٍ ضَيِّقٍ تَرَى كِسَرَ الْقَنَا
بِهِ، وَالنَّسُورَ الطَّخْمَ يَعْكُفُنْ كَالشَّرْبِ^(٤)
وَلَسْنَا نَمْلُ الْحَرْبَ حَتَّى تَمَلَّنَا
وَلَا نَشْتَكِي مَا قَدْ يَنْوِبُ مِنَ النَّكْبِ
وَلَكِنَّا أَهْلَ الْحَفَائِظِ وَالنُّهَى

إذا طار أرواحُ الكُفَاةِ مِنَ الرَّغْبِ
قال ابن اسحاق: ويذكرون أن أبا جهل بن هشام لقي حكيم بن
حزام بن خويلد بن أسد، ومعه غلام يحمل قمحاً يريد به عمته خديجة بنت
خويلد وهي مع رسول الله في الشعب، فتعلق أبو جهل بحكيم وقال له:

(١) العِزَّاءُ: الشدة.

(٢) السوَالِف: صفحات الأعناق.

(٣) أَتَرَّتْ: قُطِعَتْ. والقُسَاسِيَةُ نسبة إلى قُسَاسِ جبل فيه معدن حديد.

(٤) الشَّرْب: الجماعة من القَوْم - أو الحيوان - يشربون.

أتذهب بالطعام الى بني هاشم؟ والله لا تبرح أنت وطعامك حتى افضحك بكّة! فجاء ابو البخترى بن هشام فقال له: مالك وله؟ فقال: يحمل الطعام الى بني هاشم! فقال له أبو البخترى: طعام كان لعمته عنده فبعثت اليه فيه، افتمنعه أن يأتيها بطعامها! خلّ سبيل الرجل، فأبى أبو جهل حتى نال أحدهما من صاحبه، فأخذ أبو البخترى لحى بغير فضربه به فشجّه ووطأه وطأً شديداً.

قال: وكان كاتب الصحيفة منصور بن عكرمة فدعا عليه رسول الله فسلّ بعض أصابعه^(١) وقال اليعقوبي: فسلّت يده. كما بالغ في عدد المتعاقدين المتعاهدين على الصحيفة فقال: وختموا على الصحيفة بثمانين خاتماً^(٢) بينما قال الطبرسي: وختموا الصحيفة بأربعين خاتماً ختمها كل رجل من رؤساء قريش بخاتمه وعلّقوها في الكعبة^(٣) ولا أرى رؤساء قريش يزيدون عن أربعين رجلاً في مكّة.

وقال اليعقوبي في تاريخ الحصار ومدته: ثمّ حصرت قريش رسول الله وأهل بيته من بني هاشم وبني المطلب في الشعب الذي يقال له: شعب بني هاشم، بعد ست سنين من مبعثه. فأقام -ومعه جميع بني هاشم وبني المطلب- في الشعب ثلاث سنين. حتى انفق رسول الله ماله، وأنفق ابو طالب ماله، وانفقت خديجة ماله، وصاروا الى حدّ الضرّ والفاقة^(٤) بينما قلل

(١) سيرة ابن هشام ١: ٣٧٧ - ٣٨٠ وروى الخبر بألفاظه الطبري ٢: ٣٣٦ بدون مايتعلق بأبي طالب أ.

(٢) اليعقوبي ٢: ٣١.

(٣) إعلام الوری: ٥٠.

(٤) اليعقوبي ٢: ٣١.

ابن اسحاق فقال : فأقاموا على ذلك سنتين أو ثلاثاً، حتى جُهدوا، لا يصل اليهم شيء إلا سرّاً مستخفياً به من أراد صلتهم من قريش^(١) وقد مرّ عن القمي والطبرسي أنّها كانت أربع سنين انتهت قبل هجرته بقليل .

وحيث انتقلنا بالآية العاشرة من سورة الزمر الى حديث هجرة الحبشة، ثمّ بتقريب أن بداية حصار الشعب كان قريباً من بدايات هجرة الحبشة انتقلنا الى حديث الشعب، يلزمنا الازدعان بأن نزول السور بعد الزمر كان في أيام حصار الشعب، الا ما كان نزوله أيام موسمي العمرة والحج وبعد الشعب قبل الهجرة، اذن فما كان من الآيات يفيد حواراً بين النبي والمشرّكين كان ممّا يحتمل نزولها في أيام المواسم .

السورة الحادية والستون - «السجدة (فُصِّلَتْ)»:

وفيها قوله سبحانه : ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي اكْنَةِ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَاغْمُضْ أَعْيُنُنَا وَتَرْكُنَا مُسْجِدًا وَاصْنَلْ لَنَا صَدْرًا مِّنْ لَّدُنكَ سِتْرًا فَمَا نَكُن لِّلْمُصَلِّينَ أَكْثَرًا » (٢) .
وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل : قال : إنّ أبا جهل رفع ثوباً بينه وبين النبي ﷺ فقال : يا محمّد ! أنت من ذلك الجانب ونحن من هذا الجانب، فاعمل أنت على دينك ومذهبك أنّنا عاملون على ديننا ومذهبنا^(٣) فنزلت سورة السجدة . ونقل مثله ابن شهر آشوب في «المناقب»^(٤) .

(١) سيرة ابن هشام ١ : ٣٧٩ .

(٢) فُصِّلَتْ : ٣ - ٥ .

(٣) مجمع البيان ٩ : ٥ ، ٤ .

(٤) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٥٦ ولا يخفى أنّ هذا ممّا يناسب التزامن مع بدء الحصار في شعب أبي طالب .

٦٠٢ موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

وبعده قوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾^(١).

وروى الطبرسي عن الفراء قال: كانت قريش تطعم الحاج وتسقيهم، فحرّموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ، فهذا هو الزكاة في هذا الموضع^(٢).
السورة الثالثة والستون - «الزخرف»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣).

روى الطبرسي في «الاحتجاج» عن أبي محمد الحسن العسكري أنّه قال: قلت لأبي علي بن محمد طيّب^(٤): هل كان رسول الله ﷺ يناظر المشركين إذا عاتبوه ويحاجّهم؟

قال: بلى مراراً كثيرة، منها ما حكى الله من قولهم... ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾... وذلك أن رسول الله ﷺ كان قاعداً ذات يوم بمكة بفناء الكعبة، إذ اجتمع جماعة من رؤساء قريش منهم: الوليد بن المغيرة المخزومي (كذا) وأبو البختری ابن هشام، وأبو جهل، والعاص بن وائل السهمي، وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، وكان معهم جمع ممن يليهم كثير. ورسول الله ﷺ في نفر من أصحابه يقرأ عليهم كتاب الله ويؤدّي إليهم عن الله أمره ونهيه.

(١) فصلت : ٦ ، ٧ .

(٢) مجمع البيان ٩ : ٦ .

(٣) الزخرف : ٣١ .

فقال المشركون بعضهم لبعض: لقد استفحل أمر محمد وعظم خطبه، فتعالوا نبداً (كذا) بتقريعه وتبكيته وتوبيخه والاحتجاج عليه وابطال ماجاء به، ليهون خطبه على أصحابه ويصغر قدره عندهم، فلعله ينزع عما هو فيه من غيّه وباطله وتمردّه وطغيانه، فان انتهى وإلاّ عاملناه بالسيف الباتر!

قال أبو جهل: فمن ذا الذي يلي كلامه ومجادلته؟

قال عبد الله بن أبي أمية المخزومي: أنا لذلك، أفما ترضاني له قرناً حسيباً ومجادلاً كفيّاً؟

فاتوه بأجمعهم، فابتدأ عبد الله بن أبي أمية المخزومي فقال:

يا محمد! لقد ادّعت دعوى عظيمة وقلت مقالاً هائلاً: زعمت أنك رسول ربّ العالمين، وما ينبغي لربّ العالمين وخالق الخلق أجمعين أن يكون رسوله: بشر مثلك تأكل كما نأكل وتشرب كما نشرب وتمشي في الأسواق كما نمشي! وهذا ملك الروم وهذا ملك الفرس لا يبعثان رسولاً إلاّ كثير المال عظيم الحال، له قصور ودور، وفساطيط وخيام، وعبيد وخدام، وربّ العالمين فوق هؤلاء كلّهم فهم عبيده، فلو كنت نبياً لكان معك ملك يصدقك ونشاهده. بل لو أراد الله أن يبعث إلينا نبياً لكان إنما يبعث إلينا ملكاً لا بشراً مثلنا.

فقال رسول الله ﷺ: فهل بقي من كلامك شيء؟

قال: نعم، لو أراد أن يبعث إلينا رسولاً لبعث أجلاً من فيما بيننا أكثرهم مالاً وأحسنهم حالاً، فهلاًّ أنزل هذا القرآن، -الذي تزعم أن الله أنزله عليك وابتعثك به رسولاً- على رجل من القريتين عظيم: إمّا الوليد بن المغيرة بمكة، وإمّا عروة بن مسعود الثقفي بالطائف.

فقال له رسول الله ﷺ: يا عبد الله، أمّا ما ذكرت... إلى أن قال:

«وأما قولك: ﴿لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾: الوليد ابن المغيرة بمكة أو عروة بالطائف. فان الله ليس يستعظم مال الدنيا كما تستعظمه أنت ولا خطر له عنده كما له عندك، بل لو كانت الدنيا عنده تعدل جناح بعوضة لما سقى كافراً به مخالفاً له شربة ماء، وليس قسمة الله اليك، بل الله هو القاسم للرحمات والفاعل لما يشاء في عبده وإيمائه، وليس هو ممن يخاف أحداً كما تخافه أنت لماله وحاله، ولا ممن يطمع في أحد في ماله أو في حاله كما تطمع أنت فيخسه بالنبوة لذلك، ولا ممن يحب أحداً محبة اهواء كما تحب أنت فيقدم من لا يستحق التقديم، وانما معاملته بالعدل، فلا يؤثر لأفضل مراتب الدين وجلاله إلا الأفضل في طاعته والأجد في خدمته، وكذلك لا يؤخر في مراتب الدين وجلاله إلا أشدهم تباطؤاً عن طاعته. واذا كان هذا صفته لم ينظر الى مال ولا الى حال، بل هذا المال والحال من تفضله، وليس لأحد من عباده عليه ضريبة لازمة، فلا يقال له: اذا تفضلت بالمال على عبد فلا بد أن تتفضل عليه بالنبوة ايضاً، لأنه ليس لأحد إكراهه على خلاف مراده ولا الزامه تفضلاً، لأنه تفضل قبله بنعمه».

وذلك قوله تعالى: ﴿وقالوا لولا نُزِّلَ هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾^(١) أي ما يجمعه هؤلاء من أموال الدنيا^(٢).

(١) الزخرف: ٣١ - ٣٢.

(٢) الاحتجاج ١: ٢٦ - ٣٢ باختصار.

هذا، وقد روى فيه فيما أجاب به أبو الحسن علي بن محمد العسكري عليه السلام نفسه في رسالته الى أهل الأهواز حين سأله عن الجبر والتفويض أنه قال: اليه الصفوة يصطفي من يشاء من عباده، اصطفى محمداً -صلوات الله عليه وآله- وبعثه بالرسالة الى خلقه، ولو فوض اختيار أموره الى عباده لأجاز لقريش اختيار أمية بن أبي الصلت وأبي مسعود الثقفي، إذ كانا عندهم أفضل من محمد صلوات الله عليه وآله، لما قالوا: ﴿لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم﴾ يعنونها بذلك^(١).

والخبر الأول في ذكره في رؤساء قريش الوليد بن المغيرة المخزومي يعارض ما رواه الطبرسي نفسه في «الاحتجاج» عن أمير المؤمنين عليه السلام إذ عدّه من المستهزئين الخمسة أو الستة^(٢) وهو ما رواه الصدوق أيضاً مسنداً في «الخصال»^(٣) وفيه أنهم ماتوا في يوم واحد حين نزول قوله سبحانه: ﴿إنا كفيناك المستهزئين﴾ من سورة الحجر النازلة قبل السجدة بخمس عشرة سورة. فيبقى الخبر الثاني عن الامام الهادي عليه السلام بلا معارض، وفيه بدل الوليد أمية بن أبي الصلت الثقفي نفسه.

ويشترك مع الخبر الأول من «الاحتجاج» في ذكر الوليد، ما نقله الطبرسي في «مجمع البيان» عن قتادة عن ابن عباس. ووافق خبر قتادة خبري «الاحتجاج» في رجل الطائف أنه: عروة بن مسعود الثقفي. وانفرد

(١) الاحتجاج ٢ : ٢٥٥. والطباطبائي نقل الخبر الأول ولم ينقل الثاني في الميزان ١٨ :

١٠٦.

(٢) الاحتجاج ١ : ٣٢١ و ٣٢٢.

(٣) الخصال ١ : ٢٨٠.

مجاهد فيها أنها: عتبة بن أبي ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل من الطائف، وانفرد ابن عباس في رجل الطائف: أنه حبيب بن عمرو الثقفي^(١) ووافق القمي في تفسيره خبري «الاحتجاج» وقتادة في رجل الطائف أنه عروة بن مسعود، وقال: هو عم المغيرة بن شعبة الثقفي، ولم يذكر رجل مكة^(٢) ومسعود وحبيب وعبد ياليل اخوة أبناء عمرو بن مسعود الثقفي كما في «مجمع البيان»^(٣)

السورة الرابعة والستون - «الدخان»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿إِن شجرة الزقوم طعام الأثيم﴾ وفي تفسير القمي قال: نزلت في أبي جهل^(٤) وفي «مجمع البيان»: الأثيم أي الآثم وهو أبو جهل. روى: أن أبا جهل أتى بتمر وزبد فقال: هذا هو الزقوم الذي يخوفنا به محمد^(٥) وقد مر عنه تفصيله في سورة الصافات.

السورة السادسة والستون - «الأحقاف»:

وفيها قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ صرَفْنَا اليك نغراً من الجن يستمعون القرآن فلما حضروه قالوا أنصتوا فلما قُضي ولوا الى قومهم منذرين قالوا يا قومنا انا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى مصدقاً لما بين يديه يهدي الى الحق والى طريق مستقيم﴾^(٦).

(١) مجمع البيان ٩ : ٦ . وفي لباب النقول : ١٣٨ : ابو مسعود الثقفي .

(٢) تفسير القمي ٢ : ٢٨٣ .

(٣) مجمع البيان ٩ : ١٣٩ .

(٤) تفسير القمي ٢ : ٢٩٢ .

(٥) مجمع البيان ٩ : ١٠٢ وابن اسحاق في سيرته ١ : ٣٨٨ .

(٦) الأحقاف : ٢٩ ، ٣٠ .

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الزهري قال: لما توفي أبو طالب اشتدَّ البلاء على رسول الله ﷺ، فعمد لتخفيف الطائف، رجاء أن يؤوه...

ورجع رسول الله ﷺ إلى مكة حتى إذا كان (بنخلة) قام في جوف الليل يصلي فمرَّ به نفر من جن أهل (نصيبين) فوجدوه يصلي صلاة الغداة ويتلو القرآن فاستمعوا له. وهو مروي عن جماعة منهم سعيد بن جبير^(١). هذا ما نقله هنا الطبرسي مما يقتضي وفاة أبي طالب ﷺ قبل نزول سورة الأحقاف (السادسة والستين) وقد بقي من السور المكية عشرون سورة يقتضي أنها نزلت بمكة بعد وفاة أبي طالب وبعد الهجرة إلى الطائف وقبل الهجرة إلى المدينة مما يخالف خبري العياشي والصدوق^(٢) أما القمي فقد قال: كان سبب نزول هذه الآية (كذا) أن رسول الله ﷺ خرج من مكة إلى سوق عكاظ - ومعه زيد بن حارثة - يدعو الناس إلى الإسلام فلم يجبه أحد ولم يجد من يقبله، فرجع إلى مكة. فلما بلغ موضعاً يقال له «وادي مجنة» تهجد بالقرآن في جوف الليل فمرَّ به نفر من الجن فلما سمعوا قراءة رسول الله ﷺ استمعوا له ولما سمعوا قراءته قال بعضهم لبعض: أنصتوا، فلما فرغ رسول الله ﷺ من القراءة ولَّوا إلى قومهم منذرين قالوا: ﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً...﴾ ثم قال القمي: فأنزل الله على نبيه: ﴿قُلْ أُوْحِي إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ السُّورَةَ كُلَّهَا وَفِيهَا حِكْمٌ لِّلَّهِ قَوْلُهُمْ^(٣)﴾.

(١) مجمع البيان ٩ : ١٣٩ ، ١٤٠ .

(٢) تفسير العياشي ١ : ٢٥٧ وإكمال الدين : ١٧٢ .

(٣) تفسير القمي ٢ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ .

وخلط القمّي بهذا بين السورتين: الأحقاف والجن، وفي سورة الجن قال: وقد كتبنا خبرهم في سورة الأحقاف^(١) أي جعل السبب نفس السبب في السورتين، بينما سورة الجن هي الأربعون في النزول والأحقاف السادسة والستون، مع ظهور في سورة الجن بأنها كانت الأولى: ﴿وأنا كنا نقعد منها مقاعد للسمع فمن يستمع الآن يجد له شهاباً رصداً وأنا لا ندرى أشترأريد بمن في الأرض أم أراد بهم ربهم رشداً﴾^(٢).

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» خبر سوق عكاظ عن البخاري ومسلم والواحدي بإسنادهم عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وكان قد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب، فلما رجعوا إلى قومهم قالوا: ما ذاك إلا من شيء حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاريها. فرّ نفر الذين أخذوا نحو تهامة بالنبي وهو بنخل (ومرّ في خبر الزهري: في نخلة) عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له وقالوا: هذا الذي حال بيننا وبين خبر السماء، فرجعوا إلى قومهم وقال: ﴿أنا سمعنا قرآناً عجباً يهدي إلى الرشد فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ فأوحى الله إلى نبيه: ﴿قل أوحى إلي أنه استمع نفر من الجن﴾^(٣) اذن فخير سوق عكاظ وبطن نخلة لسورة الجن

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٥٤ .

(٢) الجن : ٩ ، ١٠ .

(٣) مجمع البيان ١ : ٥٤٤ . ولا يوجد الخبر في أسباب النزول المطبوع للواحدي في الأحقاف، ولم يذكر الجن .

لا الأحقاف .

وقال الطبرسي : قال آخرون : أمر رسول الله أن ينذر الجن ويدعوهم الى الله ويقرأ عليهم القرآن، فصرف الله اليه نفرًا من الجن من نينوى (العراق) فقال ﷺ لأصحابه : اني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، فأياكم يتبعني ؟ فاتبعه عبد الله بن مسعود . قال عبد الله : ولم يحضر معه احد غيري، فانطلقنا حتى اذا كنا بأعلى مكة دخل رسول الله شعب الحجون وخط لي خطأ أمرني أن أجلس فيه قال : لا تخرج منه حتى أعود اليك . ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فغشيته أسودة كثيرة حتى حالت بيني وبينه حتى لم أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين حتى بقي منهم رهط، وفرغ رسول الله مع الفجر، فانطلق وقال لي : هل رأيت شيئاً ؟ قلت : نعم، رأيت رجالاً سوداً عليهم ثياب بيض . قال : اولئك جن نصيبين^(١) .

ولكنه نفسه روى بعد ذلك عن علقمة بن قيس قال : قلت لعبد الله ابن مسعود : من كان منكم مع النبي ﷺ ليلة الجن ؟ فقال : ما كان منا معه أحد، فقدناه ذات ليلة ونحن بمكة، فقلنا اغتيل رسول الله ﷺ أو استطير ! فانطلقنا نطلبه من الشعاب . فلقيناه مقبلاً من نحو حراء، فقلنا : يا رسول الله ! أين كنت ؟ لقد أشفقنا عليك وقلنا له : بتنا الليلة بشر ليلة بات بها قوم حين فقدناك ! فقال لنا : إنه أتاني داعي الجن فذهبت أقرئهم القرآن . ثم ذهب بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم . فأما أن يكون صحبه منا أحد

فلم يصحبه^(١).

ويبدو أن المتعين للقبول من هذين الخبرين الأخيرين عن ابن مسعود هو الأخير، إذ هو المنسجم مع الآية من سورة الأحقاف: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ﴾: «أتاني داعي الجن» لا الخبر السابق: «إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة». فلا داعي للأخذ بما مرّ عن الزهري تفسيراً للآية من الأحقاف، فيما كان معنى الخبر هو خبر سعيد بن جبير المشتمل على بطن نخلة وقد مرّ عن البخاري ومسلم والواحيدي أن خبره عن سورة الجن.

السورة التاسعة والستون - «الكهف»:

وروى القمي في تفسيره بسنده عن الامام الصادق عليه السلام قال: كان سبب نزولها (يعني الكهف): أن قريشاً بعثوا ثلاثة نفر الى نجران: النضر بن الحارث بن كلدة، وعقبة بن أبي معيط، والعاص بن وائل السهمي ليتعلموا من اليهود والنصارى مسائل يسألونها رسول الله ﷺ، فخرجوا الى نجران الى علماء اليهود فسألوهم فقالوا: سلوه عن ثلاث مسائل، فان أجابكم فيها على ما عندنا فهو صادق، ثم سلوه عن مسألة واحدة فان ادعى علمها فهو كاذب. قالوا: وما هذه المسائل؟ قالوا: سلوه عن فتية كانوا في الزمن الأول فخرجوا وغابوا وناموا وكم بقوا في نومهم حتى انتبهوا؟ وكم كان عددهم؟ وأي شيء كان معهم من غيرهم؟ وما كان قصتهم؟
واسألوه عن موسى حين أمره الله أن يتبع العالم ويتعلم منه، من

هو؟ وكيف تبعه؟ وما كانت قصّته معه؟

وأسأله عن طائف طاف مغرب الشمس ومطلعها حتّى بلغ سدّ
يأجوج ومأجوج، من هو؟ وكيف كانت قصّته؟

ثمّ أملوا عليهم أخبار هذه الثلاث مسائل وقالوا لهم: إن أجابكم بما
قد أملينا عليكم فهو صادق، وإن أخبركم بخلاف ذلك فلا تصدّقه.

قالوا: فما المسألة الرابعة؟ قالوا: سلوه متى تقوم الساعة؟ فان ادعى
علمها فهو كاذب، فان قيام الساعة لا يعلمها الا الله تبارك وتعالى.

فرجعوا الى مكّة واجتمعوا الى أبي طالب عليه السلام فقالوا: يا أبا طالب!
إن ابن أخيك يزعم أنّ خبر السماء يأتيه ونحن نسأله عن مسائل فان
أجابنا عنها علمنا أنّه صادق، وإن لم يجيبنا علمنا أنّه كاذب.

فقال أبو طالب: سلوه عمّا بدا لكم، فسأله عن الثلاث مسائل.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: غداً أخبركم. ولم يستثن ^(١) فاحتبس الوحي
عليه أربعين يوماً حتّى اغتمّ النبي صلى الله عليه وآله وشكّ أصحابه الذين كانوا آمنوا به،
وفرحت قريش واستهزؤا وآذوا. وحزن أبو طالب.

فلما كان بعد أربعين يوماً نزل عليه جبرئيل بسورة الكهف. فقال
رسول الله: يا جبرئيل لقد أبطأت! فقال: إنّنا لا نقدر أن نزل إلّا بأذن
الله ^(٢).

(١) أي لم يقل: إن شاء الله.

(٢) تفسير القمّي ٢: ٣١، ٣٢ وسند الخبر: حدثني أبي عن ابن أبي عمير عن أبي
بصير عنه عليه السلام، فهو صحيح لولا ما يبدو فيه من الانقطاع بين إبراهيم بن هاشم وابن
أبي عمير. والخبر يقتضي أن تكون فترة الوحي الأربعون يوماً قبل نزول سورة
الكهف، وستأتي الفترة كذلك في خبر ابن اسحاق إلّا أنها خمس عشرة ليلة.

ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» مثله عن محمد بن اسحاق عن سعيد ابن جبير وعكرمة عن ابن عباس: أن قريشاً أنفذوا النضر بن الحارث بن كلدة وعقبة بن أبي معيط الى أحبار اليهود بالمدينة وقالوا لهم: إنهم أهل الكتاب الأول وعندهم من علم الأنبياء ما ليس عندنا، فصفا لهم صفة محمد وخبراهم بقوله وسلاهم عنه.

فخرجوا حتى قدما المدينة فسألا أحبار اليهود عن النبي ﷺ وقالوا لهم ما قالت قريش. فقال لها أحبار اليهود: أسألوه عن ثلاث فإن أخبركم بهن فهو نبي مرسل وإن لم يفعل فهو رجل متقول، فروا فيه رأيكم: سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان أمرهم، فانه قد كان لهم حديث عجيب. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض ومغاربها ما كان نبأه؟ وسلوه عن الروح ما هو؟ فإن أخبركم عن الثنتين ولم يخبركم بالروح فهو نبي.

فانصرفوا الى مكة فقالوا: يا معشر قريش قد جئناكم بفصل ما بينكم وبين محمد. وقصا عليهم القصة.

فجاءوا الى النبي ﷺ فسألوه، فقال: أخبركم بما سألتهم عنه غدا ولم يستثن: فانصرفوا عنه.

فكث ﷺ خمس عشرة ليلة لا يحدث الله اليه في ذلك وحيًا ولا يأتيه جبرئيل، حتى أرجف أهل مكة وتكلموا في ذلك، فشق على رسول الله ﷺ ما يتكلم به أهل مكة عليه.

ثم جاءه جبرئيل عن الله سبحانه بسورة الكهف، وفيها ما سأله عنه من أمر الفتية والرجل الطواف، وفيه ﴿يسألونك عن الروح﴾. وقال رسول الله ﷺ لجبرئيل حين جاءه: لقد احتبست عني يا جبرئيل؟ فقال

له جبرئيل: ﴿وما ننزّل إلاّ بأمر ربك﴾^(١).

وفي قوله سبحانه في السورة: ﴿ولا تقولنّ لشيء اني فاعل ذلك غداً إلاّ أن يشاء الله﴾^(٢) قال: قد ذكرنا فيما قبل ما جاء في الرواية: أن النبي ﷺ سُئل عن قصة أصحاب الكهف وذوي القرنين فقال: أخبركم عنه غداً. ولم يستثن، فاحتبس الوحي عنه أياماً حتى شق عليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية بأمره بالاستثناء بمشيئة الله تعالى^(٣).

السورة السبعون - «النحل»:

قال القمّي في تفسيره: نزلت لما سألت قريش رسول الله ﷺ أن ينزل عليهم العذاب، فأنزل الله تعالى: ﴿أتى أمر الله فلا تستعجلوه﴾^(٤). وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحسن البصري قال: إن المشركين قالوا للنبي ﷺ: ائتنا بعذاب الله، فقال سبحانه ما معناه: إن أمر الله آتٍ وكل ما هو آتٍ قريب، فعنى ﴿أتى أمر الله﴾ أي قرب أمر الله بعقاب هؤلاء المشركين المقيمين على الكفر والتكذيب بيوم القيامة وبعذاب الله، وكانوا يستعجلونه كما حكى الله سبحانه عنهم قولهم: ﴿فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب اليم﴾ فتقديره: قل هؤلاء الكفار: لا تستعجلوا القيامة والعذاب فإن الله سيأتي بكل واحد منها في وقته وحينه كما تقتضيه حكمته^(٥).

(١) مجمع البيان ٦: ٦٩٧. وفي سيرة ابن هشام ١: ٣٢١.

(٢) الكهف: ٢٣، ٢٤.

(٣) مجمع البيان ٦: ٧١٢. وفي سيرة ابن هشام ١: ٣٢٧.

(٤) تفسير القمي ١: ٣٨٢.

(٥) مجمع البيان ٦: ٥٣٧.

ويدعم هذا المعنى ما رواه العياشي في تفسيره عن هشام بن سالم عن بعض أصحابه قال سألت الصادق عليه السلام عن قول الله : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ فقال : اذا أخبر الله النبي صلى الله عليه وآله بشيء الى وقت أنه كائن فكأنه قد كان، فهو قوله : ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ حتى يأتي ذلك الوقت^(١).

ومنها قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَنْزِلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسُ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٢). قال القمي في تفسيره : الأعجمي الذي يلحدون اليه هو أبو فكهية مولى ابن الحضرمي، كان من أهل الكتاب وكان قد اتبع نبي الله وآمن به، وكان أعجمي اللسان. فقالت قريش : هذا - والله - يعلم محمداً بلسانه^(٣).
ومنها قوله سبحانه : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أُسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾^(٤).

وروى الطبرسي عن الكلبي قال : نزلت في المقتسمين، وهم ستة عشر رجلاً خرجوا الى عقاب مكة أيام الحج على طريق الناس، على كل عقبة

(١) تفسير العياشي ١ : ٢٥٤.

(٢) النحل : ١٠١ - ١٠٣.

(٣) تفسير القمي ١ : ٣٩٠.

(٤) النحل : ٢٤ ، ٢٥.

أربعة منهم، ليصدّوا الناس عن النبي ﷺ، فاذا سأهم الناس عما أنزل على رسول الله ﷺ قالوا: أحاديث الأولين وأباطيلهم^(١) ونقل مثله في «المناقب»^(٢).

روى السيوطي في «الدر المنثور» مفصّله عن السدي قال: اجتمعت قريش فقالوا: إنّ محمداً رجل حلو اللسان اذا كلمه الرجل ذهب بعقله، فانظروا أناساً من أشرافكم المعدودين المعروفة أنسابهم فابعثوهم في كل طريق من طرق مكة، على رأس كل ليلة أو ليلتين (كذا) فن جاء يريده فردّوه عنه.

فخرج ناس منهم في كلّ طريق، فكان اذا أقبل الرجل وافداً لقومه ينظر ما يقول محمّد فينزل بهم، قالوا له: أنا فلان بن فلان فيعرفه بنسبه ويقول: أنا أخبرك بمحمّد فلا يريد أن تعني اليه، هو رجل كذاب لم يتبعه على أمره إلا السفهاء والعبيد ومن لا خير فيه، وأمّا شيوخ قومه وخيارهم فمفارقون له. فيرجع بعضهم، وذلك قوله سبحانه: ﴿واذا قيل لهم ماذا أنزل ربكم قالوا أساطير الأولين﴾.

واذا كان الوافد ممّن عزم الله له على الرشاد فقالوا له مثل ذلك في محمّد قال: بسّ الوافد أنا لقومي ان كنت جئت حتّى بلغت، إلا مسيرة ليلة، رجعت قبل أن التقي هذا الرجل وأنظر ما يقول وآتي قومي ببيان أمره. فيدخل مكة فيلقى المؤمنين فيسألهم: ماذا يقول محمّد؟ يقولون: ﴿خيراً

(١) مجمع البيان ٦ : ٥٤٩.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ٤٩.

للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة ولدار الآخرة خير»^(١).

وخبر السدي هذا لا يبعد أن يعدّ تفصيلاً لمختصر خبر الكلبي السابق قبله، ولكن الكلبي قال «في عقاب مكة أيام الحج» والسدي: «في كل طريق من طرق مكة على رأس كل ليلة أو ليلتين فاذا اقبل الرجل وافداً لقومه» ثم لا يذكر الحج والاعتبار يساعد على الأوّل لا الثاني. والثاني لا ينصّ على عنوان «المقتسمين» ولا على عددهم «الستة عشر رجلاً» كما هو في الكلبي. هذا وقد مرّ خبر المقتسمين مع المستهزئين الستة الذين كفى الله رسوله شرّهم بهلاكهم في يوم واحد بآشارة جبرئيل اليهم ودعاء الرسول عليهم، فهل يعني الكلبي أن المقتسمين كانوا مستمرين على عملهم ذلك بعد هلاك المستهزئين، من لدن نزول سورة الحجر الرابعة والخمسين حتّى بعد نزول سورة النحل وهي السبعون؟ أم يعني أن الآية نزلت تحكي شأنهم القديم غير المستمر؟ أو أنّه أمر حاضر متكرر؟ والظاهر الأخير.

وقد يبدو للنظر: أن تكون هذه الفترة بين نزولي سورتي الحجر الرابعة والخمسين والنحل السبعين، هي فترة حصار الرسول وبني هاشم في شعب أبي طالب بالحجون، وهي الفترة الفاصلة بين المقتسمين الأوائل وبين تجديد عملهم مرة أخرى حين نزول سورة النحل.

ويدفعه: أن موسم الحج في الأشهر الحرم كان مستثنى من حكم الحصار، ولذلك كان الرسول يخرج من الحصار فيه بشيراً ونذيراً، وقد ورد الخبر بالنصّ على مزاولة المشركين لعملهم ذلك في الصدّ عنه ﷺ في أيام الموسم أيام الحصار في الشعب، فلا فترة في البين.

(١) الدر المنثور ٤ : ١١٦ .

وحضر المشركين للرسول وبني هاشم مدة ثلاث سنين أو نحوها من جملة الحوادث المهمة في تاريخ الإسلام بعد البعثة وقبل الهجرة، وهي: إنذار يوم الدار، والاسراء والمعراج، والهجرة الى الحبشة، والهجرة الى الطائف، ثم الهجرة الى المدينة. وقد وردت الاشارة في آيات القرآن الكريم الى الانذار والاسراء والمعراج بالاجمال في سورتي الاسراء والنجم، وكذلك الهجرة الأخيرة الى المدينة، أمّا حادث الحصار والهجرة الى الحبشة والهجرة الى الطائف فلا نجد في آيات القرآن الكريم إشارة اليها حسب التفسير المشهور.

ولتبين مدى صحة دعوى المرحلة السرية مع نزول القرآن فيها، استعرضت ما نزل من القرآن حتى سورة الحجر التي فيها ﴿فاصدع بما تؤمر﴾ وبعد ذلك اردت الدخول في سرد الحوادث، ولكن حيث لاحظت الخلاف في ترتيبها وتواريخها رجعت الى مواكبة السور المكية حسب ترتيب النزول.

وهنا في سورة النحل في الآية الحادية والأربعين نقف على ذكر الهجرة في قوله سبحانه: ﴿والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآجِرَ الْآخِرَةِ أَكْبَرَ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾^(١).

وهي أول آية تذكر الهجرة، وهي في عداد آيات سورة النحل المكية، وهي السورة السبعون، وبعدها ست عشرة سورة نزلت في مكة قبل الهجرة، فهل المعنى بها الهجرة الاولى الى الحبشة؟ أم الثانية الى المدينة؟ نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحسن وقتادة: أن قوله

﴿والَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ﴾ الى آخر السورة مدنية^(١) وكذلك نقل السيوطي في «الاتقان»^(٢) ثم ذكر الطبرسي سائر الأقوال بسائر الاستثناءات في الآيات، ولم يتظافر النقل باستثناء قتادة، بل روى السيوطي في «الدر المنثور» عن قتادة نفسه أيضاً أنها الهجرة الى الحبشة^(٣).

وسنذكر أن هذه السورة هي آخر سورة نزلت في شعب أبي طالب، ونذكر بعد ذلك أن بيعة العقبة الاولى أيضاً كذلك كانت في آخر موسم عمرة قبل الخروج من الشعب، وأن النبيّ أذن لأصحابه بعد ذلك بالهجرة الى المدينة تدريجياً. فلو كانت الآية العاشرة من سورة الزمر بقوله سبحانه فيها ﴿وأرض الله واسعة﴾ مبدأ إذن النبيّ بالهجرة الى الحبشة، فمن المحتمل أن تكون هذه الآية مبدأ إذن الرسول هذه المرة بالهجرة الى المدينة، مع وضوح الفرق بين الفترتين في حال البلدين. ولكننا لا نجد شيئاً في ذلك عند رواية الحديث والتفسير والتأريخ.

ومن المحتمل كذلك أيضاً أن تكون الآية بل السورة ممّا نزل في أواخر السنة الحادية عشرة للبعثة، قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة، اذ كان قد قدم مكة من أرض الحبشة أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي مع زوجته أم سلمة، فلما آذته قريش وبلغه إسلام من أسلم من الأنصار خرج الى المدينة مهاجراً فكان أول من هاجر الى المدينة من أصحاب

(١) مجمع البيان ٦ : ٥٣٥ .

(٢) الاتقان ١ : ١٥ .

(٣) الدر المنثور ٥ : ١١٨ والتهيد ١ : ١٥٣ .

رسول الله^(١).

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾^(٢).

قال القمي في تفسيره: هو لسان أبي فكهية مولى ابن الحضرمي، كان أعجمي اللسان، وكان قد اتبع نبي الله وآمن به، وكان من أهل الكتاب، فقالت قريش: هذا - والله - يعلم محمداً بلسانه^(٣).

ونقل الطبرسي عن مجاهد وقتادة قالا: أرادوا به عبداً لبني الحضرمي رومياً يقال له عائش، صاحب كتاب، أسلم وحسن اسلامه.

وعن عبد الله بن مسلم قال: كان في الجاهلية غلامان نصرانيان من أهل عين التمر (في العراق) اسم أحدهما يسار والآخر خير، كانا يقرءان كتاباً لهما بلسانهم، وكان رسول الله ﷺ ربما مرَّ بهما واستمع لقراءتهما، فقالوا: إنما يتعلم منهما^(٤).

وعن ابن عباس قال: قالت قريش: إنما يعلمه بلعام، وكان قيناً رومياً نصرانياً بمكة^(٥).

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١١٢.

(٢) النحل: ١٠٣.

(٣) تفسير القمي ١: ٣٩٠.

(٤) أسباب النزول للواحدي: ٢٣١ ط الجميلي.

(٥) مجمع البيان ٦: ٥٩٥ و روى السيوطي عنه أيضاً قال: كان رسول الله يعلم قيناً بمكة اسمه بلعام - وكان أعجمي اللسان - فكان المشركون يرون رسول الله يدخل عليه ويخرج من عنده، فقالوا إنما يعلمه بلعام، الدر المنثور ٤: ١٣١ وروى روايات أخرى باسماء: أبي اليسر، ومقيس.

وقال ابن اسحاق: بلغني أن رسول الله كان كثيراً ما يجلس عند المروة الى مبيعة غلام نصراني يقال له: جبر عبد بني الحضرمي، فكانوا يقولون: والله ما يعلم محمداً كثيراً مما يأتي به إلا جبر النصراني غلام بني الحضرمي. فأنزل الله تعالى في ذلك: ﴿ ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين ﴾ (١).

مقتل ياسر وسمية وتعذيب ابنهما عمّار:

ومنها قوله سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ مِنْ كَفَرٍ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطمئنٌ بِالْإِيْمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكَفْرِ صَدرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (٢).

روى العياشي في تفسيره عن الصادق عليه السلام قال: إنّ عمار بن ياسر أخذ بمكة فقالوا له: ابرأ من رسول الله ﷺ، فبرأ منه، فأنزل الله عذره: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مَطمئنٌ بِالْإِيْمَانِ ﴾.

وروى فيه عنه عليه السلام قال: أما سمعت قول الله في عمار: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ

(١) سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ٢ : ٣٣.

(٢) النحل : ١٠٥ - ١١٠.

وقلبه مطمئن بالايمان ﴿١﴾ .

وروى فيه عنه عليه السلام قال : إنّ هذه الآية نزلت في عمّار وأصحابه : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ ^(١) .

ولذلك قال القمي في تفسير هذه الآية : هو عمّار بن ياسر أخذته قريش بمكة ، فعذبوه بالنار حتّى أعطاهم بلسانه ما أرادوا ، وقلبه مطمئن بالايمان ... ثمّ قال في عمّار أيضاً : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ^(٢) .

وروى الكليني في (الكافي) بسنده عن الصادق عليه السلام أيضاً قال : إنّ عمّار بن ياسر أكرهه أهل مكة وقلبه مطمئن بالايمان ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله عندها : يا عمّار إنّ عادوا فعُد ، فقد أنزل الله عذرَكَ : ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ وأمرَكَ أن تعود إن عادوا ^(٣) .

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن قتادة وابن عباس قال : نزلت الآية في جماعة أكرهوا على الكفر ، وهم : عمّار وياسر أبوه وأمه سمية وصهيب وبلال وخبّاب ، عذبوا حتّى قتل ابو عمّار وأمه ، فاعطاهم عمّار بلسانه ما أرادوا منه ، فأخبر الله سبحانه بذلك رسوله ، فقال قوم : كفر عمّار ، فقال صلى الله عليه وآله : كلّاً إنّ عمّاراً ملئ إيماناً من قرنه الى قدمه واختلط الايمان بلحمه ودمه . وجاء عمّار الى رسول الله وهو يبكي ، فقال صلى الله عليه وآله : ما وراءك ؟ فقال : شرّ يا رسول الله ، ما تركت حتّى نلت منك وذكرت آلهتهم

(١) تفسير العياشي ٢ : ٢٧١ ، ٢٧٢ .

(٢) تفسير القمي ١ : ٣٩٠ ، ٣٩١ .

(٣) أصول الكافي ٢ : ٢١٩ عن القمي أيضاً .

بخير! فجعل رسول الله ﷺ يسح عينيه ويقول: إن عادوا لك فعدّ لهم بما قلت. ثم قال: فنزلت الآية^(١).

بينما مرّ في خبر الكليني عن الصادق عليه السلام أنّ النبيّ قال له: «إن عادوا فعدّ فقد أنزل الله عذرك وأمرك أن تعود إن عادوا» ممّا ظاهره أن الآية كانت قد نزلت عليه عليه السلام قبل مقابلة عمّار له لا بعدها. وقد مرّ في خبر الطبرسي نفسه: أن الله أخبر بذلك رسوله قبل مجيء عمّار الى الرسول، فالظاهر أنّ نزول الآيات كان قبل المقابلة لا بعدها، وعليه فلا محلّ لقوله: «فنزلت الآية» كما لا محلّ لما أخرجه السيوطي في (الدر المنثور) عن مصنف عبد الرزاق، وطبقات ابن سعد، وتفسير ابن جرير الطبري، والبيهقي في (دلائل النبوة) من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمّار بن ياسر، عن أبيه عن آبائه قال: أخذ المشركون عمّار بن ياسر فلم يتركوه حتّى سبّ النبيّ -صلى الله عليه وآله وسلم- وذكر آهتهم بخير، ثم تركوه. فلما أتى رسول الله قال له: ما وراءك؟ قال: شرّ، ما تركت حتّى نلت منك وذكرت آهتهم بخير! قال: فكيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالآيمان، قال: فان عادوا فعدّ، فنزلت.

وبقوله: فان عادوا فعدّ، لا محلّ لما أخرجه السيوطي فيه عن ابن عباس قال: لما أراد رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- أن يهاجر الى المدينة قال لأصحابه... فأصبح بلال وخبّاب وعمّار... فأخذهم المشركون... وأمّا عمّار فقال لهم كلمة أعجبتهم، تقيّة، ثم خلّوا عن بلال وخبّاب وعمّار فلحقوا برسول الله فأخبروه بالذي كان من أمرهم...

وأنزل الله : ﴿إِلَّا مِنْ أَمْرِهِ وَقَلْبِهِ مَظْمُونٌ بِالْإِيمَانِ﴾^(١).

وكذا لا محل لما رواه قبله الواحدي في (أسباب النزول) عن ابن عباس قال : إِنَّ المشركين أخذوا عماراً وأباه ياسراً وأمه سُمَيَّةً وبلاًلاً وخبَّاباً وسالمًا. فَأَمَّا سُمَيَّةُ فَانْهَارَتْ بَيْنَ بَعِيرَيْنِ وَوُجِئَ قُبْلُهَا بِحَرْبَةٍ فَقُتِلَتْ، وَقُتِلَ زَوْجُهَا يَاسِرٌ، فَهَمَّا أَوَّلُ قَتِيلَيْنِ فِي الْإِسْلَامِ، وَأَمَّا عِمَارٌ فَانْهَارَ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ مُكْرَهًا. فَأَخْبَرَ النَّبِيَّ بِأَنْ عِمَارًا كَفَرَ! فَقَالَ : كَلَّا، إِنَّ عِمَارًا مَلِئَ إِيمَانًا مِنْ قَرْنِهِ إِلَى قَدَمِهِ، وَاخْتَلَطَ الْإِيمَانُ بِدَمِهِ وَلَحْمِهِ! فَأَتَى عِمَارٌ رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ يَبْكِي، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ يَمْسَحُ عَيْنَيْهِ وَقَالَ : إِنَّ عَادُوا لَكَ فَعُدْ لَهُمْ بِمَا قُلْتَ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ^(٢).

وبهذا المعنى ما رواه الكشي في رجاله بسنده عن الليث بن سعد (كاتب الواقدي) عن عمر مولى غفرة قال : حُبِسَ عِمَارٌ فِيمَنْ حُبِسَ وَعُذِّبَ، فَانْفَلَتْ فِيمَنْ انْفَلَتْ مِنَ النَّاسِ فَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : أَفْلَحَ أَبُو الْيَقْظَانِ! قَالَ : مَا أَفْلَحَ وَلَا أَنْجَحَ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا يَعْذِّبُونَهُ حَتَّى نَالَ مِنْكَ! قَالَ : إِنْ سَأَلُوا مِنْ ذَاكَ فَرُدَّهُمْ^(٣).

بل روى فيه بسنده عن محمد الحمودي المروزي قال : إِنَّ عِمَارَ بْنَ يَاسِرٍ قُتِلَتْ قَرِيشُ أَبِيهِ وَرَسُولُ اللَّهِ يَقُولُ : صَبْرًا آلُ يَاسِرٍ فَإِنَّ مَوْعِدَكُمْ الْجَنَّةَ، مَا تَرِيدُونَ مِنْ عِمَارٍ؟ عِمَارٌ مَعَ الْحَقِّ وَالْحَقُّ مَعَ عِمَارٍ حَيْثُ كَانَ، عِمَارٌ جَلْدَةٌ بَيْنَ عَيْنِي وَأَنْفِي، تَقْتُلُهُ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَّةُ، يَدْعُوهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَيَدْعُونَهُ إِلَى

(١) الدر المنثور ٤ : ١٣٢، ١٣٣.

(٢) أسباب النزول للواحدى : ٢٣١ ط الجميلي.

(٣) رجال الكشي : ٣٥ ط مشهد.

النار. وألقته قريش في النار فقال فيه رسول الله ﷺ : يا نار كوني برداً وسلاماً على عمار كما كنت برداً وسلاماً على ابراهيم. فلم تصله النار ولم يصبه منها مكروه^(١) وهذا يدل على وجود الرسول في مكة حينذاك، فلعل ذلك كان في أيام الموسم إذ كان يخرج فيه النبي وبنو هاشم وسيأتي أن الآيات الاولى من آخر سورة مكية هي «العنكبوت» نزلت في عمار بن ياسر أيضاً، ولعلنا نجد في ذلك حلاً للاشكال، ومحملاً لهذه الأخبار التي تفيد أن عماراً عذب قبيل هجرته بل وقد هاجر الرسول ﷺ، وأنه هاجر الى المدينة ولكنه لم يواجه الرسول حياءً منه لما قاله من كلمة الكفر، أو واجهه وهو يبكي من ذلك، حتى طمأنه النبي بعدم الاثم عليه. فان هذه الأخبار انما تناسب تلك الفترة لا قبلها.

وأيضاً نجد بالقول بتعدد الموقف لعمار، محملاً جميلاً لطيفاً لقول الرسول له : «إن عادوا لك فعُد لهم» بأنها كلمة قالها له في هذه المرة مشيراً له بلطف الى أن هذا الأمر سيتكرر منهم ومنك، وأن الإشارة الى تكرار ذلك أيام هجرته. ولكن الرواة خلطوا فجعلوا هذه الجملة مقولة له من الرسول ﷺ في المدينة بعد الهجرة حيث لا توقع بعودة مشركي قريش الى تعذيب عمار لافتتانه عن دينه. فما معنى أن يقول له الرسول : ان عادوا فعُد لهم؟.

ونجد بذلك أيضاً محملاً لخلط بعض الرواة حيث رووا ما يفيد أن هذه الآية من سورة النحل المكية نزلت بعد الهجرة في عمار، كما مر عن

(١) رجال الكشي : ٣٠ ط مشهد . وروى مختصر الخبر ابن هشام عن ابن اسحاق ١ :

السيوطي في «الدر المنثور»^(١) مما استلزم استثناء هذه الآيات من مكية السورة بلا موجب .

صحيفة المقاطعة الظالمة:

ومنها قوله سبحانه : ﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾^(٢) .

ذكر ابن شهر آشوب في «المناقب» عن «شرف المصطفى» للخروشي : أن الآية : ﴿ اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ نزلت على النبي ﷺ في أواخر أيام الحصار في شعب أبي طالب، فقال ﷺ : كيف ادعوههم وقد صالحوا على تركي الدعوة ؟ فنزل جبرئيل فأخبر النبي : أَنَّ اللَّهَ بَعَثَ عَلَى صَحِيفَتِهِمُ الْأَرْضَةَ، فِلَحْسَتَهَا .

فأخبر النبي أبا طالب، فدخل أبو طالب على قريش في المسجد، فعظموه وقالوا : أردت مواصلتنا وأن تُسَلِّمَ ابن أخيك إلينا ؟ قال : والله ماجئت لهذا، ولكن ابن أخى أخبرني - ولم يكذبني - أن الله قد أخبره بحال صحيفتكم، فابعثوا إلى صحيفتكم، فإن كان حقاً فاتقوا الله وارجعوا عما أنتم عليه من الظلم وقطيعة الرحم، وإن كان باطلاً دفعته إليكم .

فأتوا بها وفكّوا الخواتيم، فاذا فيها «باسمك اللهم» واسم «محمد» فقط ! فقال لهم أبو طالب : اتقوا الله وكفّوا عما أنتم عليه . فسكتوا وتفرّقوا .

(١) الدر المنثور ٤ : ١٣٢، ١٣٣ .

(٢) النحل : ١٢٥ .

واجتمع سبعة نفر من قريش على نقضها وقالوا: أخرجها الله، وهم: مُطِيع بن عدي بن نوفل بن عبد مناف، الذي أجاز النبي لما انصرف من الطائف. وزهير بن أبي أمية المخزومي زوج عاتكة بنت أبي طالب^(١) وهشام ابن عمرو بن لؤي بن غالب، وأبو البختري بن هشام، وزمعة بن الأسود ابن المطلب... وعزموا أن يقطعوا يمين كاتبها: منصور بن عكرمة، فوجدوها شلاء، فقالوا: قطعها الله.

وفي ذلك قال أبو طالب:

ألاهل أتى بحرّينا صنع ربنا على نأيهم؟^(٢) والله بالناس أروء
فيخبرهم: أن الصحيفة مُزِّقَتْ وأن كلُّ مالم يرضه الله يفسدُ
يرأوحها إفك وسحر مجمّع ولم تلق سحراً آخر ألدهر يصعدُ
وله أيضاً في ذلك:

وقد كان من أمر الصحيفة عبرة متى ما يخبّر غائب القوم يعجب
حما الله منها كفرهم وعقوقهم ومانقمو من ناطق الحق مغرب
وأصبح ما قالوا من الأمر باطلاً ومن يخلق مالمس بالحق يكذب
وأمسئ ابن عبد الله فينا مصدّقاً على سخط من قومنا، غير معتب
وله أيضاً في ذلك:

تطاول ليلى بهم نصّب ودّمي كسحّ السقاء السرب

(١) وسيأتي عن ابن اسحاق ان أمه عاتكة، بنت عبد المطلب وابن اسحاق اقرب الى الالتقان.

(٢) يقصد المهاجرين الى الحبشة، وذكر القصيدة ابن اسحاق في سيرة ابن هشام ١: ١٧-١٩، سنة وعشرين بيتاً.

ولعبُ قُصَيٌّ بأحلامِها وهل يرجع الحلم بعد اللعب
ونفي قُصَيٍّ بني هاشم كنفي الطهارة لطاف الحطب^(١)
وقالوا لأحمد: أنت امرؤ خلوف الحديث ضعيف النسب
وان كان أحمد قد جاءهم بحق ولم يأتهم بالكذب
على أن إخواننا وازروا: بني هاشم وبني المطلب
ورمت بأحمد مارمتم على الآصرات وقرب النسب
فأني ومأحج من راكب وكعبته مكّة ذات الحُجب
تنالون أحمد؟ أو تصطلوا بروس الرماح وحدّ القُصْب^(٢)

وروى قبله القطب الراوندي في «قصص الأنبياء»: أنه لما أتى على
رسول الله ﷺ في الشعب أربع سنين، بعث الله على صحيفتهم القاطعة دابة
الأرض فلحست جميع ما فيها من قطيعة رحم وظلم وجور، وتركت اسم
الله، ونزل جبرئيل عليه فأخبره بذلك^(٣).

ثم ذكر الخبر الى أن قال: فتفرق القوم ولم يتكلم أحد منهم، وعند
ذلك قال نفر من بني عبد مناف وبني قُصي ورجال من قريش ولدتهم نساء
بني هاشم منهم: مطعم بن عدي - وكان شيخاً كبيراً كثير المال له أولاد -
وأبو البختري بن هشام، وزهير بن أمية المخزومي في رجال من أشرافهم،
قالوا: نحن براء بما في هذه الصحيفة. وقال أبو جهل: هذا أمر قُصي

(١) أي: كما ينفي الطباخ الخشب الجيد عن الاحتراق.
(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ٦٥-٦٧ ونقل المقطوعة والتي قبلها السيد هاشم البحراني
في حلية الأبرار ١: ٦٢-٦٤ عن المستدرك لابن بطريق عن مغازي ابن اسحاق.
(٣) قصص الأنبياء: ٣٢٩.

بليل اوجع أبو طالب الى الشعب وخرج منه هو والنبي ورهطه، وخالطوا الناس^(١) والظاهر أنه نقله من كتاب شيخه الطبرسي: «إعلام الوري»^(٢).

وذكر الخبر ابن هشام في سيرته قال: ذكر بعض أهل العلم: أن رسول الله ﷺ قال لأبي طالب: يا عم، إن ربي الله قد سلط الأرضة على صحيفة قريش، فلم تدع فيها اسماً لله الا أثبتته فيها، ونفت منها الظلم والقطيعة والبهتان.

فقال: أربك أخبرك بهذا؟ قال: نعم، قال: فوالله ما يدخل عليك أحد.

ثم خرج الى قريش، فقال: يا معشر قريش، إن ابن أخي أخبرني بكذا وكذا، فهل صحيفتكم، فان كان كما قال ابن أخي فانتهاوا عن قطيعتنا وانزلوا عما فيها، وان كان كاذباً دفعت اليكم ابن أخي. فقال القوم: رضينا، فتعاقدوا على ذلك ثم نظروا، فاذا هي كما قال رسول الله -صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم- فزادهم ذلك شراً.

فعند ذلك صنع الرهط من قريش في نقض الصحيفة ما صنعوا^(٣).

ونقل الخبر السيد هاشم البحراني عن كتاب «المستدرک» ليحيى بن الحسن ابن البطريق الحلبي عن كتاب «المغازي» لابن اسحاق قال: ثم إن الله أرسل على صحيفة قريش -التي كتبوا فيها تظاهروا على بني هاشم- الارضة، فلم يدع فيها اسماً لله تعالى الا اكلته وبقى فيها الظلم والقطيعة

(١) قصص الأنبياء: ٣٣٠.

(٢) إعلام الوري: ٥١، ٥٢.

(٣) سيرة ابن هشام ٢: ١٦، ١٧.

والبهتان (بعكس السابق) فأخبر الله بذلك رسول الله ﷺ فأخبر أبا طالب .

فقال له أبو طالب : يا بن أخي من حدثك بهذا ؟ وليس يدخل علينا أحد ولا تخرج أنت الى أحد، ولست في نفسي من أهل الكذب .
فقال رسول الله ﷺ : أخبرني ربّي بهذا .
فقال له عمه : إن ربك الحق وأنا أشهد أنك صادق .

ثمّ جمع أبو طالب رهطه، ولم يخبرهم بما أخبره به رسول الله ﷺ، كراهية أن يفشوا ذلك الخبر فيبلغ المشركين فيحتالوا للصحيفة الخبّ والمكر . وانطلق أبو طالب برهطه حتّى دخل المسجد، والمشركون من قريش في ظل الكعبة .

فلما أبصروه تباشروا به وظنّوا أن الحصر والبلاء حملهم على أن يدفعوا رسول الله فيقتلوه . فلما انتهى اليهم أبو طالب ورهطه رحّبوا به وقالوا : قد آن لك أن تطيب نفسك عن قتل رجل في قتله صلاحكم وجماعتكم وفي حياته فرقتكم وفسادكم !

فقال أبو طالب : قد جئتكم في أمر لعله يكون فيه صلاح وجماعة، فاقبلوا ذلك منّا، هلمّوا صحيفتكم التي فيها تظاهركم علينا .
فجاؤوا بها وهم لا يشكّون أنهم سيدفعون رسول الله اليهم اذا نشروها .

فلما جاؤوا بصحيفتهم قال أبو طالب : صحيفتكم بيني وبينكم، فان ابن أخي قد أخبرني ولم يكذبني : أن الله عزوجل قد بعث على صحيفتكم الأرضة فلم تدع لله تعالى اسماً الا اكلته وبقي فيها الظلم والقطيعة والبهتان . فان كان كاذباً فلكم عليّ أن أدفعه اليكم تقتلونه، وان كان صادقاً فهل

ذلك ناهيكم عن تظاهركم علينا؟

فأخذ عليهم المواثيق واخذوا عليه. فلما نشروها فاذا هي كما قال رسول الله ﷺ فاستسر أبو طالب وأصحابه وقالوا: أرايتم أيُّنا أولى بالحرِّ والقطيعة والبهتان؟!

فقام المطعم بن عدي بن نوفل بن مناف، وهشام بن عمرو من بني عامر بن لؤي، فقالوا: نحن براء من هذه الصحيفة القاطعة العادية الظالمة، ولن نمالي أحداً في فساد أمرنا. وتتابع على ذلك ناس من أشرف قريش. فخرج القوم من شعبهم وقد أصابهم الجهد الشديد^(١).

وقال ابن اسحاق في السيرة: مشى هشام بن عمرو بن ربيعة إلى زهير بن أبي أمية ابن المغيرة المخزومي - وكانت امه عاتكة بنت عبد المطلب - فقال له: يا زهير، أقدر رضىت أن تأكل الطعام وتلبس الثياب... وأخوالك حيث قد علمت لا يُباعون ولا يبتاع منهم؟! أمّا إني أحلف بالله أن لو كانوا أخوال أبي الحكم بن هشام (أبي جهل) ثم دعوته إلى مادعاك إليه منهم ما أجابك إليه أبداً.

قال: ويحك يا هشام فما أصنع؟ إنما أنا رجل واحد، والله أن لو كان معي رجل آخر لقمتم في نقضها حتى انقضها.

قال: قد وجدت رجلاً، قال: فمن هو؟ قال: أنا، قال: ابغنا رجلاً

ثالثاً.

فذهب (هشام) إلى المطعم بن عدي فقال له: يا مطعم، أقدر رضىت ان يهلك بطنان من بني عبد مناف (بنو هاشم وبنو المطلب) وأنت شاهد

(١) حلية الأبرار ١ : ٦١ ، ٦٢ .

على ذلك موافق لقريش فيه؟ أما والله لئن أمكنتموهم من هذه لتجدنهم اليها منكم سراعاً!

قال: ويحك فما أصنع؟ انما أنا رجل واحد. قال: قد وجدت ثانياً. قال: من هو؟ قال: أنا قال: ابغنا ثالثاً. قال: قد فعلت. قال: من هو؟ قال: زهير بن أبي أمية. قال: ابغنا رابعاً.

فذهب (هشام) الى أبي البختري بن هشام فقال له ما قال للمطعم. فقال: وهل من أحد يُعين على هذا؟ قال: نعم، قال: من هو؟ قال: زهير ابن أبي أمية والمطعم بن عدي، وأنا معك. قال: ابغنا خامساً.

فذهب (هشام) الى زمعة بن الأسود بن المطلب، فكلّمه وذكر له قرابتهم وحقهم. فقال له: وهل على هذا الأمر الذي تدعوني اليه من أحد؟ قال: نعم، وسمي له القوم. فاتّعدوا ليلاً بأعلى مكة في مقدّم الحجون (قرب الشعب).

فاجتمعوا هناك وتعاهدوا على القيام في الصحيفة حتى ينقضوها وقال زهير: أنا أبدؤكم فاكون أوّل من يتكلم.

فلما أصبحوا غدوا الى أنديتهم، وغدا زهير بن أبي أمية، فطاف بالبيت سبعاً ثم أقبل على الناس فقال: يا أهل مكة! أنا أكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكوا لا يباعون ولا يبتاع منهم؟! والله لا أقعد حتى تُشقّ هذه الصحيفة القاطعة الظالمة. وكان أبو جهل في ناحية المسجد فقال: كذبت، والله لا تُشق.

فقال زمعة بن الأسود: أنت -والله- اكذب، مارضينا كتابها حيث كُتبت.

وقال أبو البختري: صدق زمعة، لا نرضى ما كُتب فيها، ولا نُقرّ به.

وقال المطعم بن عدي: صدقتم، وكذب من قال غير ذلك، نبرأ الى الله منها ومما كتب فيها.

فقال أبو جهل: هذا أمر قضي بليل، تُشوور فيه بغير هذا المكان. فقام المطعم الى الصحيفة ليشقها فوجد الأرضة قد اكلتها الا «باسمك اللهم».

وكان أبو طالب حاضراً في ناحية المسجد^(١).

أما الآية التالية: ﴿وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين﴾^(٢) فقد اشتهر أن الآية نزلت بعد مقتل حمزة سيد الشهداء في احد في الثالثة بعد الهجرة، ويمثله قال القمي في تفسيره^(٣) ورواه العياشي في تفسيره^(٤)، عن الصادق عليه السلام. وعليه عدّ الآية بعضهم من مستثنيات السورة.

ولكن نقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحسن قال: نزلت الآية قبل أن يؤمر النبي بقتال المشركين، على العموم، وانما أمر بقتال من قاتله. وعن ابراهيم وابن سيرين ومجاهد: أنّ الآية عامة في كلّ ظلم كغصب ونحوه، فانما يجازى بمثل ما عمل^(٥) فان صحّ الخبر عن الصادق عليه السلام فيمكن حمله على تعدّد النزول، أو التذكير بالآية.

وعليه فلعل قوله: ﴿وإن عاقبتم﴾ أي عاقبتم مقاطعة المشركين

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١٤ - ١٦.

(٢) النحل: ١٢٦.

(٣) تفسير القمي في آخر الجزء الأول.

(٤) تفسير العياشي ١: ٢٧٥.

(٥) مجمع البيان ٦: ٦٠٥.

وقطعهم لأرحامهم معكم بحصاركم في شعب أبي طالب، فعاقبوهم بمثل ما عاملوكم به من القطيعة والهجران. ثم يقول في الآية التالية: ﴿واصبر...﴾ عن المقابلة بالمثل ﴿ولا تحزن عليهم﴾ لعدم هدايتهم واصرارهم على ضلالتهم ﴿ولاتك في ضيق مما يمكرون﴾ من مكرهم السابق بحصركم في الشعب، ومكرهم اللاحق ﴿ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك﴾ وفي الآية التالية خاتمة السورة: ﴿إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون﴾ ولذلك فانهم ﴿يمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين﴾.

وعليه فالآية تشير الى آخر أمر حصر الرسول وبني هاشم في شعب أبي طالب، وتكون سورة النحل آخر سورة نزلت قبل نهايته. واذا قربنا أن حصار الشعب بدأ قريباً من بداية هجرة الحبشة بعد الاذن فيها في الآية العاشرة من سورة الزمر، وهي الستون في ترتيب النزول، وها نحن هنا قربنا أن تكون سورة النحل السبعون في النزول آخر مانزل في آخر أيام حصار الشعب، وقد مرّ أن مختار مؤرخينا الطبرسي والراوندي وابن شهر آشوب أن مدة الحصار كانت أربع سنين^(١) فمن الطريف أن لازم ذلك أن ستين سورة الى سورة الزمر نزلت في مدة خمس سنين، ولكن في مدة أربع سنين اخرى كان فيها الرسول في حصار الشعب معه بعض المسلمين من بني هاشم وبني عبد المطلب. والمستضعفون من المسلمين الثمانين في هجرة الحبشة، وآخرون منهم في مكة في جوار أو حلف أو استضعاف معزولون عن الرسول إلا في أيام المواسم، لم ينزل من القرآن سوى عشر سور تقريباً. وتبقى من السور المكية ست عشرة سورة تتناسب

(١) إعلام الوری: ٥٠ وقصص الأنبياء: ٣٣٩ والمناقب: ١: ٦٥.

أن تكون قد نزلت في مدة سنة وستة أشهر مكث فيها النبي في مكة بعد وفاة أبي طالب وهجرة الطائف في قول ابن شهر آشوب^(١) حسب كيفية النزول قبل حصار الشعب.

وفاة أبي طالب وخديجة:

روى العياشي في تفسيره عن سعيد بن المسيب عن علي بن الحسين عليه السلام قال: كانت خديجة قد ماتت قبل الهجرة بسنة، ومات أبو طالب بعد موت خديجة بسنة. فلما فقدهما رسول الله صلى الله عليه وآله سئم المقام بمكة ودخله حزن شديد، وأشفق على نفسه من كفار قريش، فشكى إلى جبرئيل ذلك، فأوحى الله إليه: يا محمد أخرج من القرية الظالم أهلها، وهاجر إلى المدينة فليس لك اليوم بمكة ناصر^(٢).

وروى الشيخ الصدوق بسنده عن الصادق عليه السلام قال: إن أبا طالب أظهر الكفر وأسرّ الايمان، فلما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى رسول الله: أخرج منها فليس لك بها ناصر، فهاجر إلى المدينة^(٣).

ولكن روى الطوسي في أماليه بسنده عن هند بن أبي هالة الأسدي ربيب رسول الله من خديجة قال: كان الله عز وجل يمنع عن نبيه بعمه أبي طالب عليه السلام، فما كان يخلص إليه من قومه أمر يسوؤه مدة حياته. فلما مات أبو طالب نالت قريش من رسول الله صلى الله عليه وآله بُغيتها وأصابته بعظيم من الأذى حتى

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٧٣ ط قم.

(٢) تفسير العياشي ١: ٢٥٧.

(٣) اكمال الدين: ١٧٢.

تركته لقي فقال: لأسرع ما وجدنا فقدك ياعم، وصلتك رحم، وجُزيت خيراً ياعم. ثم ماتت خديجة بعد أبي طالب بشهر، واجتمع بذلك على رسول الله حُزنان حتى عُرف ذلك فيه^(١).

وقال الشيخ الطبرسي في «إعلام الوري»: خرج النبي ورهطه من الشعب وخالطوا الناس، ومات أبو طالب بعد ذلك بشهرين، وماتت خديجة بعد ذلك، وورد على رسول الله ﷺ أمران عظيمان وجزع جزعاً شديداً، ودخل على أبي طالب وهو يجود بنفسه وقال: يا عم ربّيت صغيراً ونصرت كبيراً وكفلت يتيماً، فجزاك الله عني خير الجزاء^(٢) ونقله تلميذه القطب الراوندي في «قصص الأنبياء» بلا استناد عنه^(٣).

وقال الراوندي في وفاة أبي طالب: توفي أبو طالب عم النبي ﷺ وله ﷺ ست وأربعون سنة وثمانية أشهر وأربعون يوماً. ثم قال: والصحيح أن أبا طالب توفي في آخر السنة العاشرة من مبعث رسول الله ﷺ. ثم توفيت خديجة بعد أبي طالب بثلاثة أيام، فسَمي رسول الله ﷺ ذلك العام: عام الحزن^(٤).

وتبعهما ابن شهر آشوب في أن أبا طالب توفي بعد خروجه من الشعب بشهرين، وأضاف تعيين السنة فقال: بعد النبوة بتسع سنين وثمانية أشهر. ثم قال: فلما توفي أبو طالب خرج النبي ﷺ إلى الطائف وأقام فيه

(١) أمالي الطوسي: ٢٥٩ كما في البحار ١٩: ٥٧.

(٢) إعلام الوري: ٥٢.

(٣) قصص الأنبياء: ٣٣٠.

(٤) قصص الأنبياء: ٣١٧.

شهرًا، ثمّ انصرف الى مكّة ومكث بها سنة وستة أشهر في جوار المطعم بن عدي^(١) فالجموع احدى عشرة سنة وبضعة أشهر، وهو خلاف المشهور في مدة مكث الرسول بمكّة قبل الهجرة.

أمّا ابن اسحاق فبعد أن ذكر الهجرة الى الحبشة وصحيفة المقاطعة وحصار الشّعب وفكّه، قال: ثمّ إن خديجة بنت خويلد وأبا طالب هلكا في عام واحد، فتتابعت على رسول الله المصائب بهلاك خديجة - وكانت له وزير صدق على الاسلام يشكو اليها - وبهلاك عمه أبي طالب، وكان له عضداً وحرزاً في أمره ومنعةً وناصرًا على قومه. وذلك قبل مهاجره الى المدينة بثلاث سنين.

فلما هلك ابو طالب نالت قريش من رسول الله من الأذى ما لم تكن تطمع به في حياة أبي طالب - حتى - حدّثني هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عن جده قال: اعترضه سفيه من سفهاء قريش فنثر على رأسه تراباً، فدخل رسول الله بيته والتراب على رأسه، فقامت اليه احدى بناته فجعلت تغسل عنه التراب وهي تبكي، ورسول الله يقول لها: لا تبكي يا بنية، فان الله مانع أباك. وقال: ما نالت مني قريش شيئاً حتى مات أبو طالب^(٢).

(١) مناقب ابن شهر آشوب ١ : ١٧٣ ط قم .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٥٧، ٥٨ ثمّ روى هنا خبراً عن العباس بن عبد الله بن معبد عن بعض أهله عن ابن عباس، في اجتماع وجوه من قريش الى أبي طالب عند ثقل حاله في مرضه الذي توفي فيه، وفي آخره نزول سورة (ص). بينما هي السورة السابعة والثلاثون على رواية ابن عباس نفسه، ولذلك فنحن نقلنا الخبر في شأن نزول السورة عند ذكرها. وفي سند الخبر هنا إرسال «عن بعض أهله» فلا عبرة به. ثمّ من

والطبرسي في «إعلام الوري» نقل صدر مقال ابن اسحاق، ثم نقل عن كتاب «المعرفة» لابن مَنْدَةَ قول الواقدي كذلك: أنهم خرجوا من الشَّعْب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفيت خديجة وأبو طالب وبينهما خمس وثلاثون ليلة^(١).

وابن شهر آشوب نقل قول الواقدي كذلك: أنهم خرجوا من الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، وفي هذه السنة توفي أبو طالب. الا أنه قال: وتوفيت خديجة بعده بستة أشهر^(٢).

ولم يستند الواقدي فيما ذهب اليه الى نصّ خبر، ولكن الظاهر أنه يستند في وفاة خديجة الى نصّ خبر رواه عنه تلميذه وكاتبه ابن سعد بسنده عن حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد قال: توفيت خديجة في شهر رمضان سنة عشر من النبوة، فخرجنا بها من منزلها حتى دفناها بالحجون، فنزل رسول الله في حفرتها. قيل: ومتى ذلك يا ابا خالد؟ قال: بعد خروج بني هاشم من الشعب بيسير، وقبل الهجرة بثلاث سنوات أو نحوها^(٣). ونقل سبط ابن الجوزي عن ابن سعد عن الواقدي عن علي بن أبي طالب قال: «لما توفي أبو طالب اخبرت رسول الله ﷺ فبكى بكاءً شديداً ثم قال: اذهب فغسله وكفنه وواره، غفر الله له ورحمه. فقال له العباس: يا رسول الله، انك لترجو له؟ فقال: إي والله إنني لأرجو له. وجعل رسول

غير المعقول أن تكون قريش قد طمعت في أبي طالب مرة أخرى بعد ذلك الحصار الذي طال أربع سنين!

(١) إعلام الوري: ٥٣.

(٢) مناقب ابن شهر آشوب ١: ١٧٣ ط قم.

(٣) كشف الغمة ٢: ١٣٩ عن معالم العترة النبوية للجنابذي عن الطبقات لابن سعد.

اللَّهُ ﷻ يستغفر له أياماً لا يخرج من بيته»^(١).

وكذلك قال اليعقوبي: وتوفيت خديجة بنت خويلد في شهر رمضان قبل الهجرة بثلاث سنين، ولها خمس وستون سنة. ودخل عليها رسول الله وهي تجود بنفسها فقال: بالكره مني ما أرى، ولعلّ الله أن يجعل في الكره خيراً كثيراً، إذا لقيت ضرايتك في الجنة - يا خديجة - فأقرئيهنّ السلام. قالت: ومن هُنَّ يا رسول الله؟ قال: إن الله زوجنيك في الجنة، وزوجني مريم بنت عمران، وآسيا بنت مزاحم، وكلثوم اخت موسى.

ولما توفيت خديجة جعلت فاطمة تتعلق برسول الله وهي تبكي وتقول: أين أمي؟ أين أمي؟ فنزل جبرئيل فقال: قل لفاطمة: إن الله تعالى بنى لأُمك بيتاً في الجنة من قصب، لا نصب فيه ولا صخب.

وتوفي أبو طالب بعد خديجة بثلاثة أيام، وله ست وثمانون سنة، وقيل: تسعون سنة. ولما قيل لرسول الله: إن أبا طالب قد مات! عظم ذلك في قلبه واشتدّ له جزعه، ثمّ دخل عليه فمسح جبينه الأيمن أربع مرات، وجبينه الأيسر ثلاث مرات، ثمّ قال: يا عم ربّيت صغيراً وكفّلت يتيماً ونصرت كبيراً، فجزاك الله عنّي خيراً.

ومشى بين يدي سريره وجعل يعرض له ويقول: وصلتك رحم وجزيت خيراً.

وقال: اجتمعت على هذه الأمة في هذه الأيام مصيبتان لا أدري بأيهما أنا أشدّ جزعاً. يعني مصيبة خديجة وأبي طالب.

وروي عنه أنّه قال: إن الله عزوجل وعدني في أربعة: في أبي وأمي

وعمي وأخ كان لي في الجاهلية .

واجترأت قريش على رسول الله ﷺ بعد موت أبي طالب وطمعت فيه وهموا به مرة بعد أخرى . وكان رسول الله ﷺ يعرض نفسه على قبائل العرب لا يسألهم إلا أن يؤوه ويمنعوه ويقول : إنما أريد أن تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي . فكانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به . ولم يقبله أحد منهم^(١) .

وقال البلاذري : قالوا : مات أبو طالب في السنة العاشرة من المبعث وهو ابن بضع وثمانين سنة ، ودفن بمكة في الحجون^(٢) .

ثم روى بسنده عن أبي صالح مولى ابن عباس قال : لما مرض أبو طالب قيل له : لو أرسلت إلى ابن أخيك فأتاك بعنقود من جنته لعلَّه يشفيك ؟ ! فأتاه الرسول بذلك وأبو بكر عنده ، فقال له أبو بكر : ﴿ إِنْ أَلَّهِ حَزْمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾^(٣) [فلما رجع الرسول إلى أبي طالب بجواب أبي بكر] قال : ليس هذا جواب ابن أخي^(٤) .

(١) البيهقي ٢ : ٢٨ ، ٢٩ .

(٢) أنساب الأشراف ٢ : ٢٩ .

(٣) الأعراف : ٥٠ .

(٤) أنساب الأشراف ٢ : ٣٤ . وقريب منه ما رواه ابن حنبل في كتاب الفضائل من مسنده بسنده عن أنس بن مالك قال : لما مرض أبو طالب مرضه الذي مات فيه أرسل إلى النبي - صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم - : أدع ربك أن يشفيني فان ربك يطيعك وابعث إليّ بقطاف من قطاف الجنة . فارسل إليه النبي : وأنت يا عم إن أطعت الله عزوجل أطاعك . الحديث : ٢٧٤ ولا منافاة بين الخبرين .

وطابق الطبري في تاريخه ابن اسحاق راوياً عنه لم يزد عليه شيئاً^(١).
وافتقد التوفيق المسعودي بين كتابيه، فقال في :
«مروج الذهب» : وفي سنة ست وأربعين (من مولده) كان حصار قریش
للنبيّ وبني هاشم وبني المطلب في الشعب. وفي سنة خمسين كان خروجه
ومن تبعه من الشعب، وفي هذه السنة كانت وفاة خديجة زوجة^(٢) وقال في :
«التنبيه والإشراف» : وتوفي عمه أبو طالب وله بضع وثمانون سنة،
وزوجته خديجة بنت خويلد ولها خمس وستون سنة في العاشرة من مبعثه،
بينهما ثلاثة أيام، وقيل أكثر من ذلك. وذلك بعد إبطال الصحيفة وخروج
بني هاشم وبني عبد المطلب من الحصار في الشعب بسنة وستة أشهر. وكان
مدة مقامهم في الحصار ثلاث سنين وقيل : سنتين ونصفاً، وقيل : سنتين على
ما في ذلك من التنازع. ثمّ يقول : وفي هذه السنة سنة خمسين من مولده...^(٣)
نعم، إنما الخلاف بين الكتّابين في مدة الحصار، فاختار في «مروج الذهب»
أنها أربع سنين آخرها الخمسون من عمر الرسول وفيها وفاة خديجة وأبي
طالب، وبينما اختار في «الإشراف» أنها ثلاث سنين وبعدها بسنة ونصف
كانت وفاتها.

ونقل الشيخ الطوسي في «المصباح» عن ابن عياش أن وفاة أبي
طالب -رحمة الله عليه- كان في السادس والعشرين من شهر رجب^(٤).

(١) الطبري ٢ : ٣٤٣، ٣٤٤.

(٢) مروج الذهب ٢ : ٢٩٤.

(٣) التنبيه والإشراف : ٢٠٠.

(٤) المصباح : ٥٦٦.

الفصل السابع

الهجرة الى الطائف

النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل:

وله ﷺ هجرات الى بعض القبائل قبل الطائف، فقد نقل المعتزلي أنه عقيب وفاة أبي طالب، أوحى اليه ﷺ: أن اخرج منها فقد مات ناصرك. فخرج الى بني عامر بن صعصعة ومعه علي ﷺ وحده، فعرض نفسه عليهم وسأهم النصر وتلا عليهم القرآن، فلم يجيبوه. فعادا الى مكة. وكانت مدة غيبته في هذه الهجرة عشرة أيام، وهي أول هجرة هاجرها بنفسه^(١).

وروى عن المدائني عن المفضل الضبي: أن رسول الله لما خرج عن مكة يعرض نفسه على قبائل العرب، خرج الى ربيعة، ومعه علي ﷺ وأبو بكر، فدفعوا الى مجلس من مجالس العرب. وكان أبو بكر نسابة فتقدم فسلم، فردوا عليه السلام فقال: ممن القوم؟ قالوا: من ربيعة، قال: أمن

(١) شرح النهج ٤: ١٢٨.

هامتها أم من هازمها^(١) قالوا: من هامتها العظمى، فقال: من أيّ هامتها العظمى أنتم؟ قالوا: من ذُهل الاكبر، قال: أفنكم عوف الذي يقال: لا حرّ بوادي عوف؟ قالوا: لا، قال: أفنكم بسطام ذو اللواء ومنتهى الأحياء؟ قالوا: لا، قال: أفنكم جسّاس حامي الدّمار ومانع الجار؟ قالوا: لا، قال: أفنكم الحوفزان قاتل الملوك وسالها أنفسهم؟ فقالوا: لا، قال: أفنكم المزدلف صاحب العمامة الفردة؟ قالوا: لا، قال: أفأنتم أخوال الملوك من كِنْدَة؟ قالوا: لا، قال: فلستم اذن ذُهلًا الاكبر، أنتم ذهل الأصغر.

فقام اليه غلام قد بَقَلَ وجهه^(٢) اسمه دَعْفِل فقال: يا هذا انك قد سألتنا فأجبتناك ولم نكتمك شيئاً، فمَن الرجل؟ قال: من قريش، قال: بخ بخ أهل الشرف والرياسة، فمن أي قريش أنت؟ قال: من تيم بن مرة قال: أمكنت والله الرامي من صفاء الثُّغرة، أفنكم قصي بن كلاب الذي جمع القبائل من فهر فكان يُدعى مجمّعا؟ قال: لا، قال: أفنكم هاشم الذي هشم لقومه الثريد «ورجال مكّة مستنون عجاف»؟ قال: لا، قال: أفنكم شيبه الحمد مطعم طير السماء الذي كان في وجهه «قر يضيء ظلام ليل داج» قال: لا، قال: أفن المفيضين بالناس أنت؟ قال: لا، قال: أفن أهل التّدوة أنت؟ قال: لا، قال: أفن أهل الرّفادة أنت؟ قال: لا، قال: أفن أهل الحجابة أنت؟ قال: لا، قال: أفن أهل السّقاية؟ قال أبو بكر: لا ثمّ اجتذب زمام ناقته هارباً من الغلام راجعاً الى رسول الله، فقال دَعْفِل: «صادفَ دَرَّةَ السيلِ دَرَّةٌ يصدّعه» أمّا والله لو ثبتّ لأخبرتُك أنّك من

(١) اللهازم: أصول الحنكين كُنِيَ بها عن الوسط في مقابل الهامة اي الرأس .

(٢) بَقَلَ : أنبت .

زَمَعَات قريش. فذهب قوله مثلاً. وقال علي عليه السلام لأبي بكر: يا أبا بكر لقد وقعت من الأعرابي على باقة. قال: أجل، إن لكل طامة طامة، والبلاء موكل بالمنطق. فذهب قوله كذلك مثلاً^(١).

وهاجر ﷺ إلى بني شيبان، فما اختلف أحد من أهل السيرة أن علياً عليه السلام وأبا بكر كانا معه، وأنهم غابوا عن مكة ثلاثة عشر يوماً، ولما لم يجدوا عند بني شيبان ما أرادوا من النصرة عادوا إلى مكة^(٢).
ولقد هاجر النبي ﷺ عن مكة مراراً يطوف على أحياء العرب وينتقل من أرض قوم إلى غيرها، وكان علي عليه السلام معه دون غيره^(٣).

هجرته ﷺ إلى الطائف:

وأما هجرته ﷺ إلى الطائف فكان معه علي عليه السلام وزيد بن حارثة، في رواية أبي الحسن المدائني، نعم لم يروه محمد بن اسحاق. وغاب رسول الله ﷺ عن مكة في هذه الهجرة أربعين يوماً^(٤).
وقال ابن اسحاق: خرج رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسلم إلى الطائف يلتمس النصرة من ثقيف والمنعة بهم من قومه، ورجاء أن يقبلوا

(١) شرح النهج للمعتزلي ٤ : ١٢٦ - ١٢٧، وروى الخبر قبله الميلاقي في جمع الأمثال :

١٧، ١٨.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ٤ : ١٢٦ ط دار المعارف - ابوالفضل ابراهيم .

(٣) شرح النهج ٤ : ١٢٥، ١٢٦.

(٤) شرح النهج ٤ : ١٢٧، ١٢٨. وفي ١٤ : ٩٦ نقل عن الطبري أنه أقام بالطائف عشرة أيام، وقيل... شهراً، وذلك في شوال من سنة عشر للنبوّة. ولم أجده في الطبري.

منه ما جاءهم به من الله عز وجل.

وروى عن محمد بن كعب القرظي^(١) قال : لما انتهى رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسلم إلى الطائف عمداً إلى نفر من ثقيف هم يومئذ سادة ثقيف وأشرفهم، وهم إخوة ثلاثة : عبد ياليل بن عمرو، ومسعود بن عمرو، وحبيب بن عمرو.

فجلس اليهم رسول الله - صلى الله عليه وآله - وسلم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الاسلام والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم : أنا أمرط^(٢) ثياب الكعبة إن كان الله أرسلك !

وقال الآخر : أما وجد الله أحداً يرسله غيرك ؟ !

وقال الثالث : والله لا أكلمك أبداً، لئن كنت رسولاً من الله - كما تقول - لأنت أعظم خطراً من أن أرد عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله ما ينبغي لي أن أكلمك^(٣). فقام رسول الله من عندهم وقد يتس من خير ثقيف.

وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم، فأخذوا يصيحون به ويسبونه، حتى ألجؤوه إلى حائط (بستان) لعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة، وهما فيه، ورجع عنه من كان يتبعه من سفهاء ثقيف.

(١) القرظي منسوب إلى بني قريظة بالمدينة، ولد سنة أربعين وتوفي سنة ١٢٠ يروي عن ابن عمر وابن عباس وغيرهما.

(٢) أمرط : أنزع وأرمي به.

(٣) وذكر اليعقوبي خبر هؤلاء الاخوة الثلاثة ٢ : ٣٦.

لجوء النبي ﷺ الى حائط بني مخزوم:

فعمد الى ظل حَبْلَةٍ من عِنَبٍ فجلس اليه، فلما اطمأن قال: «اللهم اليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس، يا أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي. الى من تكِلني؟ الى بعيد يتجهمني^(١) أم الى عدوٍ ملكته أمري؟. إن لم يكن بك عليّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي. أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة- من أن تُنزل بي غضبك أو يحل عليّ سخطك، لك العتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رآه ابنا ربيعة: عُتْبَةُ وشيبة، ورأيا ما لقي، تحركت له رَجَهما، فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له «عَدَّاس» فقالا له: خذ قِطفاً من هذا العنب فضَّعه في هذا الطبق ثم اذهب به الى ذلك الرجل فقل له: يأكل منه. ففعل عَدَّاسُ ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله -صلى الله عليه وآله [وآله] وسلَّم- ثم قال له: كُلْ؛ فلما وضع رسول الله فيه يده قال: باسم الله ثم أكل، فنظر عَدَّاسُ في وجهه ثم قال: واللَّهِ إنَّ هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد. فقال له رسول الله: ومن أهل أيِّ البلاد أنت يا عَدَّاس وما دينك؟ قال: نصراني من أهل نينوى. فقال رسول الله: من قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ فقال له عَدَّاس: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال رسول الله: ذاك أخي، كان نبياً وأنا نبي. فاكبَّ عَدَّاسُ على

(١) تَجَهَّمَهُ : استقبله بوجه كريه .

رسول الله يقبل رأسه ويديه وقدميه^(١).

فلما رجع عدّاس قال له ابنا ربيعة: ويلك يا عدّاس مالك تقبل رأس هذا الرجل وقدميه؟!

قال يا سيدي ما في الأرض أحد خير من هذا، لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلا نبي!

قالا له: ويحك يا عدّاس لا يصرفتك عن دينك فان دينك خير من دينه!.

ولما يثس رسول الله من خير ثقيف انصرف راجعاً من الطائف الى مكة^(٢).

ثم روى ابن اسحاق اخباراً عن عرضه نفسه على القبائل في موسم العمرة أو الحج، وكأن هذه الأخبار عن فعله ذلك بعد رجوعه من الطائف، مما أدّى الى بيعة الحجاج من الأنصار له في العقبة:

فحدث عن ابن شهاب الزهري قال: إن النبي ﷺ أتى كندة في منازلهم وفيهم سيّد لهم يقال له مُليح: فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه فأبوا عليه.

وأتى بني عامر بن صعصعة فدعاهم الى الله وعرض عليهم نفسه، فقال له رجل منهم: أرايت إن نحن بايعناك على أمرك، ثم أظهرك الله على

(١) وأشار اليعقوبي الى اسلام عدّاس ٢ : ٣٦، ونقل الواقدي ١ : ٣٣ أنه بقي معها حتى خرج معها الى بدر فقتل معها: ولكنه تردّد فيه ورجّح القول بأنه لم يخرج ولم يقتل معهم ١ : ٣٥.

(٢) ونقل الطبرسي خبر هجرة الطائف والاخوة الثلاثة وعدّاس، عن دلائل النبوة للبيهقي عن الزهري: ٥٣، ٥٤.

من خالفك، أ يكون لنا الأمر من بعدك ؟
 فقال له رسول الله : الأمر الى الله يضعه حيث يشاء .
 فقال له الرجل : أف تُهْدَفْ نحورنا للعرب دونك فإذا أظهرك الله كان الأمر
 لغيرنا ؟ لا حاجة لنا بأمرك .
 وروى أنه أتى بطناً من كلب يقال لهم بنو عبد الله، فدعاهم الى الله
 وعرض عليهم نفسه ... فلم يقبلوا منه ما عرض عليهم .
 وروى أنه أتى بني حنيفة في منازلهم فدعاهم الى الله وعرض عليهم
 نفسه، فلم يكن أحد من العرب أقبح ردّاً عليه منهم^(١)
 وقال اليعقوبي : وكان رسول الله يعرض نفسه على قبائل العرب في
 كل موسم ويكلم شريف كل قوم، ويقول : لا أكره أحداً منكم، إنما أريد أن
 تمنعوني مما يراد بي من القتل حتى أبلغ رسالات ربي ! فلم يقبله أحد منهم .
 وكانوا يقولون : قوم الرجل أعلم به^(٢) .

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٦٠ - ٦٦ باختصار .
 (٢) اليعقوبي ٢ : ٣٦ . ونقله الطبرسي عن دلائل النبوة للبيهقي عن الزهري : ٥٣ . ثم
 روى عن القمي خبر رجوع النبي الى مكة معتمراً بجوار جبير بن مطعم العدوي يوماً
 واحداً : ٥٥ . ولو كانت هجرة الطائف في شوال شهراً تاماً بل اربعين يوماً، فرجعه
 كان في أشهر الحج الحرم، فلا حاجة للجوار . ولم يذكره ابن اسحاق ولا اليعقوبي، ولم
 يسنده الطبري وإنما قال : وذكر بعضهم ٢ : ٣٤٧، وإن أشار اليه ابن هشام ٢ : ٢٠ و
 الواقدي ١ : ١١٠ وعن تلميذه ابن سعد في الطبقات ١ : ٢١٠، وعنهما ابن الأثير في
 البداية والنهاية ٣ : ١٣٧ .

أول لقاء الخزرج بالنبي في موسم العمرة:

روى الطبرسي في «اعلام الوري» عن القمي قال: كان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم يوم بغاث، وكانت للأوس على الخزرج. وكان عبد الله بن أبي بن سلول من أشرف الخزرج، (ولكنه لما دُعي معهم) قال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أعين على الظلم. فلم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بغاث ولم يُعن على الأوس (فلما كانت يوم بغاث للأوس على الخزرج) رضيت به الأوس والخزرج واجتمعت عليه على أن يملكوه عليهم لشرفه وسخائه. وأعدوا له إكليلاً (وأنما بقي منه واسطة العقد) فاحتاجوا لاتمامه إلى واسطة وكانوا يطلبونها.

(ولكن) أسعد بن زرارة وذكوان بن عبد القيس الخزرجيين خرجا في موسم من مواسم العرب في عمرة رجب إلى مكة، يسألون الحلف على الأوس. وكان هذا في وقت محاصرة بني هاشم في الشعب. وكان أسعد بن زرارة صديقاً لعتبة بن ربيعة فنزل عليه، وقال له: إنه كان بيننا وبين قومنا حرب، وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم.

فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ معه لشيء.

قال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرمكم وأمنكم؟

قال عتبة: خرج فينا رجل يدعي أنه رسول الله، سفه أحلامنا وسب أهلتنا وأفسد شبابنا وفرق جماعتنا.

قال أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب، من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير وقريظة وقينقاع: أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة إلى المدينة، لنقتلكم به يامعشر العرب. فلما سمع ذلك أسعد وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود. قال: فأين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم فلا تسمع منه ولا تكلمه فانه ساحر يسحرك بكلامه.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي من أن أطوف بالبيت؟

فقال عتبة: ضع في أذنك القطن. فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه من القطن فطاف بالبيت ورسول الله جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم، فنظر إليه نظرة فجازه، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه: ما أجد أجهل مني: أكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع إلى قومي فأخبرهم. ثم أخذ القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله: أنعم صباحاً. فرفع رسول الله رأسه إليه وقال: قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا تحية أهل الجنة: السلام عليكم. فقال له: أسعد: إن عهدك بهذا لقريب، إلى ما تدعو يا محمد؟

قال: إلى شهادة أن لا إله إلا الله، وأني رسول الله، وأدعوكم إلى ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا تكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم

وصّاكم به لعلكم تذكرون ﴿١﴾.

فلما سمع أسعد هذا قال: أشهد أن لا إله الا الله وحده لا شريك له، وأنك رسول الله. ثم قال: يارسول الله بأبي أنت وامي أنا من أهل يثرب من الخزرج، وبيننا وبين اخواننا من الأوس حبال مقطوعة، فان وصلها الله بك فلا أحد أعزّ منك. ومعني رجل من قومي فان دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك. والله يارسول الله لقد كنا نسمع من اليهود خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني اليك. والله ماجئت الا لنطلب الحلف على قومنا، وقد أتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشّرنا به وتخبرنا بصفته، فهلّم وأسلم. فأسلم ذكوان.

ثم قالوا: يارسول الله ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس الى أمرك. وكان مصعب بن عمير^(٢) فتى حدثاً مترفاً بين ابويه يكرمانه ويفضلاه على أولادهم فلما أسلم جفاه أبواه. وكان لم يخرج من مكة (الى الحبشة) فكان مع رسول الله في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد. وكان قد تعلم من القرآن كثيراً. فأمره رسول الله بالخروج مع أسعد. فخرج معه الى المدينة فكان مصعب نازلاً على أسعد بن زرارة، وكان يخرج في كل يوم يطوف فيه على مجالس الخزرج يدعوهم الى الاسلام فيجيبه الأحداث، من

(١) الأنعام: ١٥١ - ١٥٢.

(٢) عمير بن هاشم بن عبد مناف، فهو من بني هاشم ولذلك كان معهم في الشعب.

كل بطن الرجل والرجلان . وفَتَرَ امر عبد الله بن أبيّ بن سلول فكره ما جاء به أسعد وذكوان .

وقال أسعد لمصعب : إنّ خالي سعد بن معاذ من رؤساء الأوس ، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف ، فان دخل في هذا الأمر تمّ لنا أمرنا ، فهلّم فأتهم .

فجاء مصعب مع أسعد الى محلة سعد بن معاذ فقعده على بئر من آبارهم ، واجتمع اليه قوم من أحداثهم ، فأخذ يقرأ عليهم القرآن . فبلغ ذلك سعد بن معاذ ، فقال لأسيد بن حضير : بلغني أن أبا أمانة أسعد بن زرارة قد جاء الى محلتنا مع هذا القرشي (مصعب بن عمير) يُفسد شبابنا ! فأتته وانهه .

فجاء أسيد بن حضير ، فنظر اليه أسعد فقال لمصعب بن عمير : إنّ هذا الرجل شريف فان دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا ، فاصدق الله فيه .

فلما قرب أسيد منهم قال : يا أبا أمانة ! يقول لك خالك : لاتأتنا في نادينا ولا تُفسد شبابنا ، واحذر الأوس على نفسك ! .

فقال مصعب : أو تجلس فنعرض عليك أمراً فان أحببته دخلت فيه ، وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه . فجلس ، فقرأ عليه سورة من القرآن . فقال أسيد : كيف تصنعون اذا دخلتم في هذا الأمر ؟ قال : نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ، ونشهد الشهادتين ، ونصلي ركعتين .

فرمى أسيد بنفسه مع ثيابه في البئر ، ثمّ خرج وعصر ثوبه ثمّ قال : أعرض عليّ . فعرض عليه شهادة أن لا إله إلاّ الله وأنّ محمداً رسول الله . فقأها ، ثمّ صلى ركعتين ثمّ قال لأسعد : يا أبا أمانة ، أنا أبعث اليك الآن

خالك، وأحتال عليه في أن يجيئك .

فرجع أسيد الى سعد بن معاذ، فلما نظر اليه سعد قال : أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب به من عندنا .
وأتاهم سعد بن معاذ، فقرأ عليه مُصعب : ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم حمّ تنزيل من الرحمن الرحيم . . . ﴾^(١) فلما سمعها بعث الى منزله فأتي بثوبين طاهرين، واغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين . ثم قام وأخذ بيد مصعب وحوّله اليه .

ثم جاء فوقف في بني عمرو بن عوف، فصاح : يا بني عمرو بن عوف لا يبقين رجل ولا امرأة بكر ولا ذات بعل، ولا شيخ ولا صبي إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب .
فلما اجتمعوا أخذ بيد مصعب وقال له : اظهر أمرك وادع الناس علانية ولا تهابن أحداً .

ثم قال لهم أسعد : كيف حالي عندكم ؟ قالوا : أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نرد لك أمراً فُرنّا بما شئت . فقال : كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به .

فما بقي دار من دور عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة . وشاع الاسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه أشراف البطين (الأوس والخزرج) وذلك لما عندهم من أخبار اليهود .

وكتب مصعب بذلك الى رسول الله ﷺ . فكان رسول الله يأمر من

يعذبه قومه بالخروج الى المدينة، فأخذوا يتسللون رجل فرجل فيصيرون الى المدينة فينزلهم الأوس والخزرج عليهم ويواسونهم^(١).

السورة الثالثة والسبعون - «الأنبياء»:

وفيهما قوله سبحانه : ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾^(٢).

قال الطبرسي في «مجمع البيان» قالوا : لما نزلت هذه الآية أتى عبد الله بن الزبيري رسول الله ﷺ وقال : يا محمد، أأنت تزعم أن عذيراً رجل صالح ؟ وأن عيسى رجل صالح، وأن مريم امرأة صالحة ؟ قال : بلى، قال : فان هؤلاء يُعبدون من دون الله، فهم في النار ؟! فأنزل الله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُعَدَّوْنَ ﴾^(٣).

بينما في رواية أبي الجارود عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال : لما نزلت هذه الآية وجد منها أهل مكة وجداً شديداً، فدخل عليهم عبد الله بن الزبيري وكفار قريش يخوضون في هذه الآية، فقال ابن الزبيري : أحمّد تكلم بهذه الآية ؟ قالوا : نعم، قال ابن الزبيري : إن اعترف بها لأخصمته ! فجُمع بينهما (كذا) فقال : يا محمد، أرايت الآية التي قرأت آنفاً أفينا وفي آلهتنا أم في الأمم الماضية وآلهتهم ؟ قال : بل فيكم وفي آلهتكم وفي الأمم الماضية إلا من استثنى الله. فقال ابن الزبيري : خاصمتك والله، أأنت

(١) إعلام الوری : ٥٥ - ٥٩، ونقله تلميذه القطب الراوندي في قصص الأنبياء : ٣٣١ - ٣٣٣ بلا اسناد عنه، ولا يوجد الخبر في تفسير القمي .

(٢) الأنبياء : ٩٨ .

(٣) مجمع البيان ٧ : ١٠٣ .

تُثنى على عيسى خيراً؟ وقد عرفت أن النصارى يعبدون عيسى وأمه، وإن طائفة من الناس يعبدون الملائكة أفليس هؤلاء مع الآلهة في النار؟ فقال رسول الله: لا، فضحكت قريش وضحك، وقالت قريش: خصمك ابن الزبعرى! فقال رسول الله ﷺ: قلت الباطل، أما قلت: إلا مَنْ استثنى الله؟ وهو قوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾^(١).

وهذه الرواية أتم واكمل، وليس فيها أن الاستثناء نزل بعد اعتراض ابن الزبعرى، بل فيها أن الاستثناء كان من قبل وأن الرسول أشار إليه في حديثه.

والخبر -كسابقه- بظاهرة لا ينسجم مع أيام حصار الشعب، إلا إذا كان في أيام الموسم.

السورة التاسعة والسبعون -«المعارج»:

﴿سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع...﴾^(٢) روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحسن قال: سأل المشركون النبي فقالوا: لمن هذا العذاب الذي تذكر يا محمد! فجاء جوابه بأنه ﴿للكافرين ليس له دافع﴾ وعن مجاهد قال: إن السائل هو النضر بن الحارث بن كلدة وقال: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم، فيكون المعنى: دعا داع على نفسه بعذاب واقع، مستعجلاً له، وهو

(١) تفسير القمي ٢ : ٧٦.

(٢) المعارج : ١ ، ٢.

واقف بهم لا محالة^(١).

والظاهر أن مجاهد نقل ذلك عن شيخه ابن عباس، كما روى عنه ذلك السيوطي في «الدر المنثور» بأسناده. ورواه عن السدي قال: نزلت بمكة في النضر بن الحارث، وكان عذابه يوم بدر^(٢) وفي بعض الروايات أن القائل هو الحارث لكنه ابن علقمة من بني عبد الدار، وفي بعضها أنه هو أبو جهل بن هشام المخزومي.

وعليه فلا محل لما رواه الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحاكم الحسكاني بسنده عن سفيان بن عيينة عن الصادق عليه السلام: أن الآية نزلت في النعمان بن الحارث الفهري حينما أنكر على رسول الله ﷺ نصبه لعلي عليه السلام يوم الغدير^(٣) اللهم إلا أن تكون حادثة ثانية مشابهة تليت فيها الآيات بالمناسبة.

السورة الرابعة والثمانون - «الروم»:

﴿الم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين﴾^(٤).

قال الشيخ الطوسي في «التيبان»: روي: أن سبب ذلك هو أن الروم لما غلبتها فارس فرح المشركون بذلك وقالوا: أهل فارس لا كتاب لهم غلبوا أهل الروم وهم أهل كتاب، فنحن لا كتاب لنا نغلب محمدًا الذي معه

(١) مجمع البيان ١٠ : ٥٢٩ .

(٢) التبيين ٨ : ٢٢٨ .

(٣) مجمع البيان ١٠ : ٥٣٠ .

(٤) الروم : ١ - ٤ .

كتاب. فأنزل الله تعالى هذه الآيات تسليّة للنبيّ والمؤمنين بأن الروم وان غلبتها فارس فانّها ستتغلب فارس في ما بعد بضع سنين. قال أبو سعيد الخدري: كان النصر يوم بدر للفريقين: للنبيّ عليّ قريش وللروم عليّ فارس، ففرح المؤمنون بالنصرين. وقيل: كان يوم الحديبية^(١).

ونقل الطبرسيّ القول الأوّل عن مقاتل قال: فلما كان يوم بدر غلب المسلمون كفار مكّة وأخبر رسول الله: أنّ الروم غلبت فارساً ففرح المؤمنون بذلك. ونقل القول الثاني عن الزهري قال: كان ظهور فارس عليّ الروم في تسع سنين، ثمّ أظهر الله الروم عليّ فارس زمن الحديبية ففرح المسلمون بظهور أهل الكتاب^(٢).

أمّا عن معنى «أدنى الأرض» فقد نقل عن الزجاج قال: أي في أدنى الأرض من أرض العرب. ثمّ عيّنها عن عكرمة فقال: يريد أذرعات وكسكس^(٣) ونقل الطبري عن عطاء عن يحيى بن يعمر أن أذرعات وبصرى هي أدنى أرض الشام الى العرب^(٤).

وعن أذرعات قال الطبري في تأريخه: مدينة أذرعات وبصرى من كُور حوران من الشام^(٥) بينما قال الحموي في «معجم البلدان»: بلد في أطراف الشام ممّا يلي البلقاء وعمّان^(٦). وهذا هو الأدنى من أرض العرب في

(١) التبيان ٨: ٤٦١.

(٢) مجمع البيان ٨: ٤٦١.

(٣) مجمع البيان ٨: ٤٦٠.

(٤) الطبري ٢: ١٨٥.

(٥) الطبري ١٠: ١٢٢.

(٦) معجم البلدان ١: ١٦٢.

الحجاز دون بُصرى وحوران الشام. وأما كَسْكَر فانها من أرض السواد أي العراق كانت في أسفل دجلة بعد المدائن قرب الواسط، ولعلها هي أو قريبة من قلعة سِكر، وكانت الأدنى من أرض العرب من جهة العراق. ونقل الطبرسي في «مجمع البيان» عن مجاهد أن المقصود من «أدنى الأرض» هو أدنى الأرض من أرض الشام إلى أرض فارس يريد الجزيرة، فهي أقرب أرض الروم إلى فارس^(١) وقال الشيخ الطوسي في «التيان»: والمراد أدنى الأرض إلى جهة عدوهم^(٢) بينما قال الشيخ الطبرسي في «مجمع البيان»: كان بيت المقدس لأهل الروم كالقبة للمسلمين فدفعهم فارس عنه، وهو قوله ﴿فِي أدنى الأرض﴾^(٣).

وما أسرع ما يتبادر إلى الذاكرة تذكر أن القرآن قد عبّر عن مسجد بيت المقدس بالمسجد الأقصى، فليس مقبولاً أن تكون الأرض أدنى والمسجد فيها المسجد الأقصى.

أما تمام الخبر عن عكرمة فهو ما رواه الطبري في تفسيره وتأريخه بسنده عنه قال: اقتتل فارس والروم في أدنى الأرض وهي يومئذ أذرعات فهزمت الروم، فبلغ ذلك النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- وأصحابه وهم بمكة، فشق ذلك عليهم. وكان النبي -صلى الله عليه وآله وسلم- يكره أن يظهر الأميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم، وفرح الكفار بمكة وشتوا، فلقوا أصحاب النبي -صلى الله عليه وآله وسلم-.

(١) مجمع البيان ٨ : ٤٦٠.

(٢) التبيان ٨ : ٢٢٩.

(٣) مجمع البيان ٨ : ٤٦٠.

فقالوا: انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون، وقد ظهر
إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من أهل الكتاب، وانكم إن قاتلتمونا
لنظهرنَّ عليكم فأنزل الله: ﴿الم غلبت الروم﴾ .

فخرج أبو بكر إلى الكفار فقال: أفرحتم بظهور إخوانكم على
إخواننا! فلا تفرحوا ولا يقرنَّ الله أعينكم، فوالله ليظهرنَّ الروم على
فارس، أخبرنا بذلك نبيُّنا .

فقام إليه أبي بن خلف الجُمحي فقال: كذبت يا أبا فصيل!
فقال له أبو بكر: أنت اكذب يا عدوَّ الله! .

فقال: أناحبك (أراهنك) عشر قلائص منِّي وعشر قلائص منك، فإن
ظهرت الروم على فارس غرمتُ، وإن ظهرت فارس غرمتُ، إلى ثلاث
سنين .

ثمَّ جاء أبو بكر إلى النبيِّ -صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ [وآله] وَسَلَّم- فأخبره .
فقال: ما هكذا ذكرتُ، إنما البضع: ما بين الثلاث إلى التسع، فزايده
في الخطر (أي الرهن) وماده في الأجل .

فخرج أبو بكر فلقى أًبيّاً فقال: لعلك ندمت، قال: لا، تعال أزايدك
في الخطر (الرهن) ومُدِّنِي في الأجل، فنجعلها مائة قَلْوص إلى تسع سنين،
فقبل أًبيٌّ^(١) .

روى الطبري ذلك وقال: قيل: إن قول الله تعالى ﴿الم غلبت
الروم﴾ نزل فيما كان بين ملك الروم هِرَقْل وملك فارس پرويز^(٢) .

(١) تاريخ الطبري ٢: ١٨٤ - ١٤٥ وفي التفسير ٢٠: ١٣ ط بولاق .

(٢) تاريخ الطبري ٢: ١٨٤ .

وقال عنه : هو خسرو پرويز بن هرمز . وكان جميع مدة ملك هرمز اثنتي عشرة سنة^(١) وروى عن هشام الكلبي قال : في سنة احدى عشرة من ملك هرمز ، خرج عليه الترك في ثلاثمائة الف مقاتل حتى صاروا الى هراة وبادهيس ، وإن ملك الروم (موريقي قيصر^(٢)) صار الى الضواحي في ثمانين الف مقاتل قاصداً اليه . وان ملك الخزر صار في جمع عظيم الى باب الأبواب (دربند) فعات وأخرب ، وإن رجلين من العرب أحدهما : عباس الأحول ، وعثرو الأزرق ، نزلا في جمع عظيم من العرب بشاطيء الفرات وشنوا الغارة على أهل السواد ...

فاستنفع هرمز ما ورد عليه من ذلك وشاور فيه فاجمعوا على أن يبدأ بملك الترك (شابه) فوجه اليه رجلاً من أهل الري هو بهرام چوبين في اثني عشر الف رجل اختارهم بهرام من الكهول دون الشباب . فجرت بينهما حروب حتى قتل بهرام شابه برمية رماه اياها ، فوافاه برمودة بن شابه وكان يعدل بأبيه ، فحاربه فانهزم وتحصن في حصن فحاصره^(٣) فطلب برمودة بن شابه الأمان على أن يكون ذلك من هرمز الملك ، فكتب بهرام الى هرمز فأجابه وكتب له كتاب أمان ، وكتب الى بهرام أن يسرّحه اليه . فخرج برمودة بن شابه من الحصن وصار الى هرمز ، فآكرمه وبرّه واجلسه معه على السرير^(٤) .

(١) الطبري ٢ : ١٧٦ .

(٢) مختصر الدول لابن العبري : ٩٠ في السنة السادسة من ملكه وملك عشرين سنة .

(٣) الطبري ٢ : ١٧٤ .

(٤) اليعقوبي ١ : ١٦٧ .

وغنم بهرام ما كان في الحصن، وكانت كنوزاً عظيمة، فحملها الى هرمز على مائتين وخمسين الف بعير، فشكر هرمز لبهرام ما كان منه وللغنائم التي صارت اليه^(١).

وأخبر برمودة هرمز بما صار الى بهرام من الأموال والكنوز العظام، وأنه قد كتم ذلك عن أمناء هرمز، وأن الذي بعث به قليل من كثير. فكتب هرمز الى بهرام يأمره أن يحمل اليه ما في يده من الأموال. فغلظ ذلك على بهرام وأخبر به جنده، فذكروا هرمز أقبح ذكر، وخلعوه. وبعث الى هرمز بسفط فيه سكاكين معوجة الرؤوس، فلما رآها هرمز علم أنه قد عصي فقطع أطراف السكاكين وردّها اليه، فعلم بهرام ما أراد، فارسل الى خاقان ملك الترك يطلب صلحه على أن يردّ عليه كل أرض حازها من بلاده، فقبل خاقان، ففعل بهرام ذلك، ثم سار حتى صار الى الري.

وكان قد بلغ هرمز أن قوماً قد حملوا ابنه پرويز على أن يشور على أبيه، وكان بهرام يعلم بذلك، فدبر ليوقع شراً بين هرمز وبين ابنه خسرو پرويز، فضرب دراهم كثيرة كتب عليها اسم پرويز وبعث بها الى مدينة هرمز فكثرت في أيدي الناس حتى بلغ هرمز خبرها، فأراد أن يحبس ابنه خسرو پرويز، فلما بلغ الخبر پرويز هرب الى آذربايجان، فاجتمع اليه من بها من رؤسائها والمرازمة أهل الثغور فبايعوه. وكان جند هرمز كارهين لولايته فكتبوا الى ابنه پرويز، فقدم بجيش من آذربايجان، فخلعوا هرمز، وملّكوا پرويز، وسمّلوا عين هرمز وحبسوه. واستقام الأمر لپرويز. فقصده بهرام بجنده، فخرج پرويز اليه حتى تواقفوا في النهروان، فكلّمه پرويز

وعظّم عليه الأمر، فأجابه بهرام بجواب غليظ شديد، والتحموا فانكشف عن پرويز جنده وأسلمه أصحابه، فهرب ومضى حتّى صار الى «الرّها» يريد موريقى ملك الروم، فكتب صاحب «الرّها» الى موريقى ملك الروم يخبره أنّه أتاه لينصره. فأجابه ملك الروم فوجّه اليه پرويز بثلاثة نفر من أصحابه فشرط عليهم كل ما أراد، وزوّج پرويز ابنته ووجّه معهم بجيش عظيم، وعليهم أخ له يقال له ثيادوس، فابتنى پرويز بابنة ملك الروم موريقى ثمّ سار بجيشه الى ناحية آذربايجان، وكان خاله بندي صار الى آذربايجان ليجد جُنْدًا، فلمّا علم بمكان پرويز لقيه في جيش عظيم، فزحف پرويز بهم الى بهرام فحاربه محاربة شديدة وأخذت الحرب من الفريقين، واشتدت الحرب حتّى انهزم پرويز وصعد في الجبل وكاد يهلك، ثمّ تاب اليه جنده، فتابوا الى الحرب حتّى انهزم بهرام چوبين فمضى منصرفاً لا يلوي على شيء متوجهاً الى ملك الترك.

واستقام الأمر لخسرو پرويز، فكتب الى صاحب الروم بذلك، وكتب في النصارى أن يكرّموا ويقدموا ويبرّزوا ويخبروا بما قد جرى بينه وبين الرومي من العصمة واللحمة والموادعة. وأهدى اليه ملك الروم ثوبين فيها الصُّلب فلبسهما^(١).

ويقال: إن پرويز كتب للنصارى كتاباً أطلق فيه عمارة بيّتهم، وأن يدخل في ملّتهم من أحبّ الدخول فيها من غير المجوس، واحتجّ في ذلك أن أنوشيروان كان هادن قيصر في الأتاوة التي أخذها منه على استصلاح من في بلده من أهل بلده واتخاذ بيوت النيران هنالك، وإنّ قيصر (موريقى)

(١) اليعقوبي ١: ١٦٧ - ١٦٩.

اشترط مثل ذلك في النصارى. ولم يزل پرويز يبرّ بموريقي ويلطف له^(١).
 كان هذا ما في تأريخي اليعقوبي والطبري المسلمين، أمّا ابن العبري
 المسيحي فقد أرّخ للموضوع بالسنة الثامنة من ملك موريقي، قال: وفي
 السنة الثامنة لموريقي وثب الفرس على هرمز فسلموا عينيه. ثمّ قتلوه وملّكوا
 عليهم بهرام المرزبان. وكان لهرمز ابن حدث اسمه كسرى (پرويز) فتكرّر
 كأنّه سائل وشق سلطان الفرس حتّى جاء نصيبين وصار الى الرّها ومنها
 الى مَنبج، وكتب الى موريقي كتاباً نسخته:

«للأب المبارك والسيد المقدّم موريقي ملك الروم، من كسرى بن
 هرمز ابنه، السلام. أمّا بعد فاني أعلم الملك: أن بهرام ومن معه من عبيد
 أبي، جهلوا قدرهم ونسوا أنهم عبيد وأنا مولاهم، وكفروا نعم آبائي لديهم،
 فاعتدوا عليّ وأرادوا قتلي: فهممت أن أفزع الى مثلك فأعتصم بفضلك
 وأكون خاضعاً لك، لأن الخضوع لملك مثلك وإن كان عدواً أيسر من
 الوقوع في أيدي العبيد المردة، ولئن يكون موتي على أيدي الملوك أفضل
 وأقلّ عاراً من أن يجري على أيدي العبيد. ففزعت اليك ثقة بفضلك
 ورجاء أن تتأف على مثلي، وتقدّني بجيوشك لأقوى بهم على محاربة العدو
 وأصير لك ولداً سامعاً ومطيعاً، إن شاء الله تعالى».

فلما قرأ موريقي كتاب كسرى (پرويز) بن هرمز عزم على اجابة
 مسألته... وكتب اليه كتاباً نسخته: «من موريقي عبد ايشوع المسيح، الى
 كسرى ملك الفرس، ولدي وأخي، السلام، أمّا بعد، فقرأت كتابك وفهمت
 ما ذكرت فيه من أمر العبيد الذين تمرّدوا عليك وكونهم غمطوا أنعم آبائك

وأسلافك غمطاً، وخروجهم عليك ودحضهم إياك عن ملكك، فداخني من ذلك أمر حرّكني على التروّف بك وعليك وامدادك بما سألت. فأما ما ذكرت من أن الاستتار تحت جناح ملك عدو، والاستظلال بكنفه آثر من الوقوع في أيدي العبيد المردة، والموت على أيدي الملوك أفضل من الموت على أيدي العبيد. فانك اخترت أفضل الخصال، ورغبت إلينا في ذلك، فقد صدّقنا قولك وقبلنا كلامك وحققنا أملك وأتمننا بغيثك وقضينا حاجتك وحمدنا سعيك وشكرنا حسن ظنّك بنا. ووجّهنا إليك بما سألت من الجيوش والأموال، وصيّرتك لي ولداً وكنت لك أباً. فاقبض الأموال مباركاً لك فيها، وقد الجيوش و سر على بركة الله وعونه، ولا يعتريّك الضجر والهلع، بل تُشمرّ لعدوك ولا تقصّر فيما يجب لك اذا تطأطأت من درجتك وانحططت عن مرتبتك، فاني أرجو أن يظفرك الله بعدوك ويكبّه تحت موطى قدميك ويردّ كيده في نحره ويعيدك إلى مرتبتك برجاء الله تعالى».

وأنجده بعشرين ألفاً (لا ستون ألف مقاتل كما سبق عن الطبري عن الكلبي) وسير له الأموال أربعين قنطاراً ذهباً. فلما وردت الجيوش على كسرى وقبض الأموال وقرأ الكتاب سار مع جيوش الروم نحو بهرام فلقية بين المدائن وواسط (لا النهروان ولا آذربايجان) فصارت الهزيمة على بهرام وقتل أصحابه كلهم، واستباح كسرى يرويز عساكر بهرام ورجع إلى مملكته فجلس فيها وبايعه الناس.

ثمّ دعا بالروم فاحسن جائزتهم وصرفهم إلى أصحابهم، وبعث معهم إلى موريق من الألفاظ والأموال أضعاف ما كان أخذ منه، وردّ دارا وميّا فارقين إلى الروم، وأمر ببناء هيكلين للنصارى بالمدائن وجعل أحدهما

باسم السيدة (مريم) والآخر باسم مار سرجيس الشهيد.
 أمّا موريقي فبعد مصالحته للفرس قطع أرزاق جنوده، فاجتمع عطاء
 الروم الى مدينة هرقلّة وأرادوا تملك أخيه فطري فهرب، وهرب موريقي
 الى خليدونية، فلحقته الروم فألفوه وعليه خلقان في زي الفقراء والسؤال
 فقتلوه في العشرين من ملكه وملّكوا عليهم رجلاً من بطارقتهم يقال له
 فوقا.

فلما بلغ كسرى بن هرمز قتل موريقي، نقض العهد، وغزا دارا
 فافتتحها، وافتتح أيضاً آمد وحلب، ثمّ عطف على قسّرين ورجع الى
 الرّها.

وفي السنة الثامنة من ملك فوقا خرج عليه هرقل بن هرقل من
 افريقية، وركب البحر بجيوشه والفاه هادئاً ساكناً فسبق الى القسطنطينية
 ودخلها وقتل فوقا وتملك هو بمكانه بعده احدى وثلاثين سنة وخمسة
 أشهر.

وفي أوّل سنة من ملكه أرسل وفداً الى ملك الفرس ليصاله فلم يجبه
 الى ذلك بل غزا أنطاكية وفاميّة وحمص وقيسارية وافتتحها، وفي السنة
 الخامسة من ملكه افتتح الفرس البيت المقدس، وبعد ثلاث سنين افتتحوا
 الاسكندرية ومصر ووصلوا الى النوبة وغزوا خليدونية فافتتحوها، وفي
 السنة الخامسة عشرة من ملكه غزا الفرس جزيرة روديسيا فافتتحوها،
 وأمر كسرى (پرويز) أن يؤخذ رخام الكنائس التي في جميع المدن التي
 فتحها الى المدائن.

ولكن في آخر هذه السنة غزا هرقل الفرس فافتتحوا مدينة كسرى

وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا^(١).

ويفيد تاريخ ابن العبري أن اجتماع عظماء الروم لخلع مورقي من الملك ونصب أخيه فطري بمكانه وفي النهاية تمليك البطريق فوقاً كان بعد عشرين سنة من ملك مورقي واثنى عشرة سنة من ملك خسرو پرويز^(٢).
بينما يحكي الطبري عن الكلبي يقول: حتى مرّ على ملك پرويز أربع عشرة سنة فخلع الروم مورقي وقتلوه وأبادوا ورثته، وملّكوا عليهم رجلاً يقال له فوقاً.

فلما بلغ پرويز نكت الروم عهد مورقي وقتلهم اياه، امتعض من ذلك وأنف منه، وأخذته الحفيظة له، وهرب ابن مورقي فالتجأ الى پرويز فأواه وملّكه على الروم ووجه له الى بلاد الروم ثلاثة من قواده في جنود كثيفة^(٣).

ثم تسمي رواية الطبري القواد الثلاثة على التوالي: دميّران أو رميوزان، والآخر: شاهين، والثالث: فرّهان وتدعى مرتبته شهر براز. وتؤرخ الحملة القائد الأوّل: دميّران على الشام وفلسطين وبيت المقدس خاصة بأربع وعشرين من ملك پرويز، وهو يطابق ما في تأريخ ابن العبري: أن الفرس في السنة الخامسة من ملك هرقل افتتحوا البيت المقدس^(٤) وما في سائر التواريخ الفارسية والأجنبية: أن ذلك كان في السنة

(١) مختصر تاريخ الدول لابن العبري الملطي ت ٦٨٥ هـ: ٩٠ - ٩٢.

(٢) مختصر تاريخ الدول لابن العبري: ٩٠.

(٣) الطبري ٢: ١٨١.

(٤) مختصر تاريخ الدول: ٩١.

السادسة للبعثة و ٦١٥ م^(١).

وتؤرخ -رواية الطبري عن الكلبي- لحملة القائد الآخر، شاهين على أفريقيا ومنها مصر والاسكندرية خاصة بسنة ثمان وعشرين من ملك پرويز، وهذا يقارب من تأريخ ابن العبري لذلك حيث قال: وبعد ثلاث سنين -من فتح بيت المقدس- افتتحو الاسكندرية ومصر ووصلوا الى بلاد النوبة^(٢) (أي في سنة ٦١٨ م).

وتؤرخ رواية الطبري عن الكلبي لحملة القائد الثالث: فرّهان وتدعى مرتبته شهر براز متّجها الى القسطنطينية بأمرين: أولاً بقتل فوقا الملك وتملك هرقل، وهذا كان في سنة ٦١٠ م سنة البعثة، بعد ثماني سنين من قتل موريقى وتملك فوقا وبدء الحملات ٦٠٢ م. وتؤرخ لها -ثانياً- بحملة هرقل على مملكة الفرس حتى كان قريباً من المدائن، ويؤرخ ابن العبري لذلك بالسنة الخامسة عشرة من ملك هرقل، أي سنة ٦٢٥ م، والفاصل بين التأريخين: خمس عشرة سنة، ممّا لا يحتمل معه أن تكون الحملة حملة واحدة، بل حملتين هما مع حملتي القائدين السابقين تكون الحملات في رواية الطبري عن الكلبي أربع حملات على التوالي: شهر براز فرّهان في ٦١٠ م ودميران في ٦١٥ م وشاهين في ٦١٨ م وشهر براز فرّهان أيضاً في ٦٢٥ م. اولى هذه الحملات في سنة ٦١٠ م أي بعد قتل موريقى واستخلاف

(١) بالفارسية: تاريخ ايران قديم: ٢٢٢ تأليف: پيرنيا، وعن الترجمة الفارسية: تاريخ ايران للجنرال السير پرسي سايكس ١: ٦٦٥-٦٧٠. هذا اذا بنينا على أن ميلاد الرسول كان في السنة الأربعين من ملك كسرى و ٥٧٠ م وأن بعثته كانت في ٦١٠ م.
(٢) مختصر تأريخ الدول: ٩١، ٩٢.

فوقاً بثمان سنين بينما الحملات -ولا سيما الأولى- موصوفة بأنها كانت للانتقام لحمي پرويز موريقي ولتمليك ابنه اللاجيء إلى پرويز بعد أبيه، فهل كان ذلك بعد هذه المدة؟! ولا تذكر التواريخ الإسلامية حملة قبل ذلك.

ولكن التواريخ الفارسية والأجنبية تؤرخ لحملة في سنة ٦٠٥ م حاصرت مدينة دارا فيما بين النهرين وافتتحتها بعد عدة أشهر. وفي سنة ٦٠٧ م لثلاث سنين قبل البعثة سخرت مدن ديار بكر: آمد، وإدس، وحران، وقلاعاً رومية أخرى، وعبرت الفرات في سورية واستولت على مدينة حلب وتقدمت حتى قرب بيروت الحالية^(١) وعن هذه الحملات قال ابن العبري: فلما بلغ كسرى بن هرمز قتل موريقي، نقض العهد وغزا دارا فافتتحها وافتتح أيضاً آمد وحلب، ثم عطف على قنسرين ورجع إلى الرها^(٢).

وهنا تأتي الحملة الأولى التي ذكرتها رواية الطبري عن الكلبي للقائد الفارسي: فرهان والذي تدعى مرتبته: شهر براز: أمره كسرى (پرويز) فقصد القسطنطينية وخرّب بلاد الروم غضباً مما انتهكوا من موريقي وانتقاماً له منهم حتى أنارخ في ضفة الخليج القريب من القسطنطينية وخيم هناك، ولم يخضع لابن موريقي من الروم أحد ولم يمنحه الطاعة، غير أنهم قتلوا فوقاً الملك، وملّكوا عليهم رجلاً يقال له هرقل^(٣) وكان ذلك في سنة ٦١٠ م سنة

(١) بالفارسية: تاريخ ايران قديم: ٢٢٢ تأليف: پيرنيا، وعن الترجمة الفارسية: تاريخ

ايران للسير پرسی سايكس ١: ٦٦٥ - ٦٧٠.

(٢) مختصر تاريخ الدول: ٩١.

(٣) الطبري ٢: ١٨٢.

البعثة، وكان هرقل (هراكليوس) قائداً رومياً في كاراتاز (تونس حالياً) ومنها قدم الى القسطنطينية وتقلد أزمة الأمور بمساعدة الشعب^(١) وكان هرقل بن فوق (كذا) بن مرقس يختلف من مدينة سلونيقية - وهو من أهلها - الى القسطنطينية بالزاد في البحر وهم محاصرون (بحصار شهر براز) فبانت شهامته وظهرت شجاعته وأحبّه أهل القسطنطينية، فخلا بالبطارقة وذوي المراتب فاغراهم بفوقاس، وذكر لهم مانزل بهم في أيامه وذكرهم بسوء آثاره فيهم وغلبة الفرس على ملكهم بسوء تدبيره وقبح سياسته واقدامه على الدماء، ودعاهم الى الفتك به، فأجابوه الى ذلك فقتلوه. واجتمعت البطارقة وغيرهم من ذوي المراتب من الروم وغيرهم بعد قتل فوقاس لاختيار من يصلح للملك، فوقع اختيارهم - بعد خطب طويل وتنازع كثير - على هرقل، فلكوه. ذكر ذلك المسعودي في «التنبيه والاشراف» ولكنه قال: كان ملكه (هرقل) لثلاث وثلاثين سنة خلت من ملك كسرى پرويز ملك بابل، فلك خمساً وعشرين سنة - وقيل اكثر من ذلك - وفي أول سنة من ملكه كانت هجرة رسول الله - صلى الله عليه - وآله [وآله] وسلم^(٢).

بينما قال قبل ذلك في «مروج الذهب»: ثمّ ملك هرقل وكان قبل ذلك بطريقاً في بعض الجزائر، ولسبع (أو تسع) سنين من ملكه كانت هجرة النبي - صلى الله عليه وآله [وآله] وسلم - من مكة الى المدينة. وهو الذي ضرب الدنانير والدراهم الهرقلية، وكان ملكه خمس عشرة سنة. وفي تواريخ

(١) التاريخان الفارسيان السابقان .

(٢) التنبيه والاشراف : ١٣٣ ، ١٣٤ .

أصحاب السير: أن رسول الله -صلى الله عليه وآله] وسلّم- هاجر وملك الروم قيصر بن موريق. وفي تواريخ ملوك الروم ممن سلف وخلف: أن ملك الروم كان في وقت ظهور الاسلام «هرقل»^(١).

ومن تواريخ الروم «تاريخ مختصر الدول» لغريغوريوس الملطي المعروف بابن العبري المتوفى في سنة ٦٨٥م قال: ملك هرقل قيصر احدى وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وفي أول سنة من ملكه أرسل وفداً الى ملك الفرس ليصلحه فلم يجبه الى ذلك. بل غزا أنطاكية وفامية وحصص وقيسارية وافتتحها^(٢).

وقال المسعودي: وسير (خسرو پرويز) شهريار مَرزبان المغرب الى حرب الروم فنزل أنطاكية، فكانت له مع الروم وپرويز أخبار ومكاتبات وحيل الى أن خرج ملك الروم الى حرب شهريار وقدم خزائنه في البحر في الف مركب، فألقته الريح الى ساحل انطاكية، فغنمها شهريار وحملها الى پرويز، فسميت خزائن الريح^(٣).

أما عن تاريخ هذه الحملة: فالذي يتفق مع تاريخ ابن العبري ولا يختلف مع المسعودي هو ما جاء في الترجمة الفارسية لتاريخ ايران للسير پرسی سايكس أن ذلك كان في سنة ٦١١م أي السنة الثانية للبعثة.

وفي السنة الخامسة للبعثة (٦١٤م) استولى الفرس على دمشق.

وفي السنة السادسة للبعثة (٦١٥م) حاصروا بيت المقدس حتى

(١) مروج الذهب ١: ٣٦١، ٣٦٢ ط بيروت.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ٩١.

(٣) مروج الذهب ١: ٣٠٦.

افتتحوها ونهبوها بمعونة ستة وعشرين ألف يهودي فيها. وبحثوا عن الصليب الذي كان النصارى يعتقدون أن المسيح صلب عليه، فكان لهم أقدس شيء على وجه الأرض، حتى حصلوا عليه فبعثوا به الى عاصمتهم تيسفون (بغداد حالياً تقريباً) فأرسل پرويز رسالة الى هرقل قال فيها:

«من خسرو شاهنشاه: ملك الملوك ورب الأرض، الى هراكليوس عبده الحقير عديم الغيرة! أنتم الذين تقولون انكم معتمدون على ربكم المسيح ومتوكلون عليه، فلما لم يقدر أن يخلص بيت المقدس من يدي لا تخدعوا أنفسكم بالباطل بهذه العقيدة الفارغة التي لكم بالمسيح، فانه لم يقدر حتى على أن يخلص نفسه من مخالب اليهود، حتى صلبوه وودّوا بدنه وقتلوه بذلك الوضع الفضيع»^(١).

وعن هذه الحملة حكى الطبري عن الكلبي قال: وجّه (پرويز) القائد دميّران أو رُميوزان الى بلاد الشام فدوّخها حتى انتهى الى أرض فلسطين، وورد مدينة بيت المقدس. وكانت خشبة الصليب قد وُضعت في تابوت من ذهب وطُمرت في بستان وزُرّع فوقه مَبْقلة، فأخذ (دميّران) أسقفها ومن كان فيها من القسّيسين وسائر النصارى وألحّ عليهم حتى دَلّوه على موضعها، فاحتفر عنها بيده واستخرجها وبعث بها الى كسرى، في أربع وعشرين من ملكه^(٢).

وأرّخها ابن العبري من جانبه قال: وفي السنة الخامسة لهرقل افتتح

(١) عن الترجمة الفارسية لتأريخ ايران ١ : ٦٦٥ - ٦٧٠ للسير پرسی سايکس وتاریخ

ايران قديم : ٢٢٢ تأليف پيرنيا .

(٢) الطبري ٢ : ١٨١ .

الفرس بيت المقدس^(١). وقال السير پرسی سايكس: في السنة ٦١٦م (أي السابعة للبعثة) وصل القائد الايراني شهر بَرّاز الى مصر بالعبور من صحراء سيناء، واستولى على الاسكندرية ذلك الميناء التجاريّ الشهير، وبلغ بحدود ايران الى حدودها على العهد الهخامنشي^(٢).

ولكن ابن العبري قال: وبعد ثلاث سنين (من فتح الفرس لبيت المقدس) افتتحو الاسكندرية ومصر، ووصلوا الى بلاد النوبة (افريقية) وغزوا خلكيدونية فافتتحوها^(٣) وهذا يقرب ممّا حكاه الطبري عن الكلبي قال: وأمّا القائد الآخر - وكان يقال له شاهين وكان فادوسبان المغرب - فأنّه سار حتّى احتوى على مصر والاسكندرية وبلاد نوبة، وبعث الى كسرى بمفاتيح مدينة الاسكندرية في سنة ثمان وعشرين من ملكه^(٤).

وقال السير پرسی سايكس: وفي السنة ٦١٧م (أي الثامنة للبعثة) عبر قائد ايراني آخر باسم شاهين، مدينة كاپادوكية واستولى على مدن تركية الحالية واحدة بعد اخرى حتّى وصل الى مدينة كالسدون قرب القسطنطينية. وفي لقاء بين هراكليوس وشاهين نصحه شاهين أن يرسل رسولاً للصلح الى بلاط خسرو پرويز، وقيل ذلك هراكليوس ففعل... ولكن خسرو پرويز وهو في سكر فتوحاته أمر بحبس سفير الروم، وهدّد قائده: لماذا لم يبعث اليه بامبراطور الروم مقيداً مغلولاً!

(١) تأريخ مختصر الدول : ٩١ .

(٢) تأريخ ايران ١ : ٦٦٥ - ٦٧٠ .

(٣) تأريخ مختصر الدول : ٩١ ، ٩٢ .

(٤) الطبري ٢ : ١٨٢ .

وفي السنة الثامنة للبعثة سقطت مدينة كالسدونة، ووصل الجيش الايراني الى أبواب مدينة القسطنطينية على ساحل بحر البوسفور^(١). ويبدو أن ابن العبري يشير الى هذه الحملة إذ يقول: وفي السنة الخامسة عشرة لهرقل غزا الفرس جزيرة رودس (روديسيا) فافتتحوها، وأمر كسرى (پرويز) أن يؤخذ رخام الكنائس التي في جميع المدن التي فتحها وتحذر الى المدائن ولقي فيه الناس جهداً جهيداً. وفي هذه السنة غزا هرقل الفرس فافتتح مدينة كسرى وسبوا منها خلقاً كثيراً وانصرفوا^(٢).

وفي رواية الطبري عن الكلبي قال: فلما رأى هرقل عظيم ما فيه بلاد الروم من تخريب جنود فارس اياها وقتلها مقاتلتهم وسبيهم ذرارهم واستباحتهم أموالهم وانتهاكهم ما بحضرتهم...، [فشاور عظماء الروم فـ] أشاروا عليه أن يغزوهم، فاستعدّ لذلك.

وكان كسرى (پرويز) قد تقدم الى شهربراز أن يحثم مرابطاً في الموضع الذي كان فيه، وكان قد غضب على شاهين فادّوسبان المغرب فأحضره لديه وعزله عن ذلك الثغر. فاستخلف هرقل ابناً له على مدينة قسطنطينية، وأخذ غير الطريق الذي فيه شهر براز وسار حتى أوغل في بلاد أرمينية ونزل نصيبين بعد سنة.

وكان كسرى يومئذٍ مقيماً بدسكرة الملك فلما بلغه خبر تساقط هرقل في جنوده الى نصيبين، وجّه لمحاربته رجلاً من قواده يقال له: راهزار في

(١) التآريخان الفارسيان السابقان.

(٢) تاريخ مختصر الدول: ٩٢.

اثني عشر ألف مقاتل، وأمره أن يقيم بنيوي من مدينة الموصل على شاطئ دجلة ويمنع الروم أن يجزوها. فنفذ راهزار لامره وعسكر حيث أمره. فقطع هرقل دجلة في موضع آخر إلى الناحية التي كان فيها جند فارس.

ولما أخبرت العيون راهزار أن هرقل في سبعين ألف مقاتل أيقن أنه ومن معه من الجنود عاجزون عن مناهضة سبعين ألف مقاتل، فكتب إلى كسرى غير مرة دهم هرقل إياه بمن لا طاقة له ولن معه بهم لكثرتهم وحسن عدتهم. وفي كل ذلك كان يجيبه كسرى في كتابه أنه: إن عجز عن أولئك الروم فلن يعجز عن بذل دمه ودمائهم في طاعته. فعبا جنده وناهض الروم فقتل وقتل معه ستة آلاف منهم وانهزم بقيتهم وهربوا على وجوههم.

وبلغ كسرى ذلك فأغار من دسكرة الملك إلى المدائن وتحصن فيها، وأخذ يستعد لقتال هرقل، وسار هرقل حتى كان قريباً من المدائن ثم انصرف إلى أرض الروم^(١) هكذا تذكر رواية الطبري عن الكلبي أن هرقل أخذ غير الطريق الذي فيه شهربراز وهو مرابط للموضع الذي هو فيه، وكان شاهين فادوسبان المغرب قد عزله كسرى پرويز عن ثغر نصيبين لموجدة كانت من كسرى عليه، فكان باب كسرى حين سار هرقل حتى أوغل في بلاد أرمينية ونزل نصيبين، بعد سنة من مسيره.

بينما السعودي يقول: كان جيش كسرى پرويز محاصراً للقسطنطينية، وكان صاحب جيشه ذلك شهربراز، وفسد الأمر بينه وبين كسرى پرويز،

(١) الطبري ٢: ١٨٢، ١٨٣.

فأتاه هرقل ومالؤه على پرويز، فخرج هرقل في مراكب كثيرة في الخليج الى بحر الخزر وسار الى طرايزنده وأبواب لازقة (كذا) واستنجد هناك ملوك الأعاجم من اللان والخزر والسير والأبخاز وكُرزان والأرمن وغيرهم، حتى صار الى بلاد أران والبيلقان وآذربايجان والمهايات من أرض الجبل، وأتصلت جيوشه بأرض العراق فشن الغارات وقتل وسبي، فاحتال عليه پرويز بحيلة صرفته فرجع الى القسطنطينية^(١).

وفي هذه العبارة كأن هرقل هو الذي أفسد الأمر بين شهربراز وپرويز، ومالؤه عليه، فخرج عليه، وتغاضى عنه شهربراز فتجاوزته حتى فعل ما فعل.

ولكنه عكس الأمر قبل ذلك في «مروج الذهب» فيقول: ثم فسدت الحال بين پرويز وشهريار (كذا) ومايل شهريار ملك الروم، فسيره شهريار نحو العراق، الى أن انتهى الى النهروان، فاحتال عليه پرويز بكتب كتبها اليه مع بعض من كان في ذمته من أساقفة النصارى في العراق، فأفسد الحال بينه وبين شهريار حتى رده الى القسطنطينية^(٢) والأول أولى من هذا الثاني البعيد جداً: أن يكون شهر براز أو شهريار هو الذي سير هرقل نحو العراق. ويترجح ما في «التنبيه والاشراف» على ما في «مروج الذهب» اذ نسخة الثاني الموجودة والمتداولة هي نسخة سنة ٣٣٢ هـ. في موارد متعددة من الكتاب، والأول ألفه سنة ٣٤٥ كما في موارد متعددة من الكتاب أيضاً، وهي سنة وفاة المسعودي، قد نبّه في «التنبيه» على أنه حين تأليفه قد بدّل

(١) التنبيه والاشراف : ١٣٤ .

(٢) مروج الذهب : ١ : ٣٠٦ .

كثيراً من العبارات والمعاني من نسخة «مروج الذهب» التي ألفها سنة ٣٣٢ هـ وزاد فيها كثيراً بحيث أصبحت اضعاف النسخة الاولى^(١) ومعنى ذلك أن ما في «المروج» منسوخ بما في «التنبيه» وأن الثاني تنبيه على ما في الأول من منسوخ. قد رجع عنه.

ولكن الصحيح هو ما في «مروج الذهب»: أن هرقل سار نحو العراق حتى انتهى الى النهروان ثم انصرف راجعاً الى القسطنطينية، لا ما مرّ عن ابن العبري، فأخرجهم بهذا الكتاب الى الخلاف عليه وطلب الحيل لئلا ينسوخهم منه^(٢).

وللطبري رواية عن عكرمة تفصل السبب في فساد الحال بين كسرى وشهربراز وأخيه فرّخان فتقول: بلغ كسرى أن فرّخان شرب خمرًا وقال: لقد رأيته جالس على سرير كسرى، فكتب الى شهربراز: اذا أتاك كتابي فابعث اليّ برأس فرّخان.

فكتب شهربراز الى پرويز: أيها الملك، إنك لن تجد مثل فرّخان، إن له نكاية وصوتاً في العدو، فلا تفعل. فكتب اليه پرويز: إن في رجال فارس خلفاً منه، فعجل عليّ برأسه. فراجع شهربراز أيضاً، فغضب كسرى فلم يجبه.

ثم استعمل فرّخان على فارس وأمره بقتل أخيه شهربراز، فلما قرأ الكتاب قدّم أخاه شهربراز ليضرب عنقه، فقال له: لا تعجل حتى اكتب وصيتي، قال: نعم، فدعا بسفط فاعطاه ثلاث صحائف وقال: كل هذا

(١) التنبيه والاشراف: ٨٤، ٨٥ و: ١٤٩.

(٢) الطبري ٢: ١٨٣.

راجعت فيك كسرى، وأنت أردت أن تقتلني بكتاب واحد. فامتنع
فرخان، واتفقا على الترد على كسرى، فكتب شهربراز الى قيصر ملك
الروم (هرقل): إن لي اليك حاجة لا تحملها البرد ولا تبلغها الصحف،
فالتقي ولا تلقني الا في خمسين رومياً، فاني القاك في خمسين فارسياً.

فأقبل قيصر في خمسمائة ألف رومي، وجعل يضع العيون بين يديه في
الطريق مخافة أن يكون قد مكر به، فأتاه عيونه أن شهربراز ليس معه الا
خمسون رجلاً. فبسط لهما والتقيا في قبة ديباج ضربت لهما، مع كل واحد
منهما سكين. ودعوا ترجماناً بينهما. فقال شهربراز لهرقل: إن الذين خربوا
مدائنك أنا وأخي بكيدنا وشجاعتنا، وإن كسرى حسدنا فأراد أن أقتل
أخي فأبيت، ثم أمر أخي أن يقتلني، فقد خلعناه جميعاً، فنحن نقاتله معك.
قال هرقل: قد أصبتما. ثم أشار أحدهما الى صاحبه: أن السر بين
اثنين فاذا جاوز اثنين فشا، فقتلا الترجمان بسكينهما.

ثم يقول عكرمة: فأهلك الله كسرى وجاء الخبر الى رسول الله يوم
الحديبية، ففرح ومن معه^(١).

بينما روى رواية اخرى عن يحيى بن يعمر: أن كسرى (پرويز) بعث
شهربراز بجيش الى الشام، وبعث قيصر الروم (هرقل) بجيش من الروم لدفع
شهربراز، عليهم رجل يقال له قَطْمَة، فالتقيا ببصري وأذرعَات - وهي أدنى
الأرض اليكم - فلقيت فارس الروم فغلبتهم فارس، ففرح بذلك كفار قريش
وكرهه المسلمون فأنزل الله ﴿الم غُلِبَتِ الرُّومُ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ﴾ فلم يبرح
شهربراز يطوهم ويخرب مدائنهم حتى بلغ خليج القسطنطينية، ثم مات

(١) الطبري ٢: ١٨٦ وفي التفسير ٢٠: ١٣، ١٤.

كسرى (پرویز) فبلغهم موته، فانهزم شهربراز وأصحابه، وعند ذلك أُدبِلت عليهم الروم فاتَّبَعُوهم يَقتُلُونهم^(١).

فهاتان الروايتان عن يحيى بن يعمر ومن قبل عن عكرمة، تتفقان على أن غلبة الفرس على الروم كانت بأذرعَات من أواخر أراضي الشامات إلى صحراء العرب، وأن غلبة الروم على الفرس كانت بموت كسرى وهزيمة شهربراز وأصحابه وهجوم الروم عليهم حينئذٍ، وأن الخبر بذلك جاء رسول الله يوم الحديبية ففرح ومن معه.

وهذا يتفق مع ما حكاه الطبري عن الكلبي أن بعثة الرسول كانت في العشرين من ملك كسرى پرويز، وهجرته كانت في الثلاث والثلاثين من ملكه^(٢) أو لمضي اثنتين وثلاثين سنة وخمسة أشهر، وكان ملكه ثمانية وثلاثين سنة^(٣).

أما القول الذي رواه الطوسي عن أبي سعيد الخدري^(٤) والطبرسي عن مقاتل^(٥) أنه لما كان يوم بدر وغلب المسلمون كفار مكة أخبر رسول الله أن الروم غلبت فارساً... فان يوم بدر كان في منتصف السنة الثانية للهجرة، أي قبل موت كسرى پرويز وهزيمة الفرس أمام الروم بخمس سنين أو خمس سنين وستة أشهر، وإذا كان ذلك لم يؤرَّخ للروم انتصار على الفرس ولم تؤرَّخ على الفرس هزيمة أمام الروم بل كانت الفتوحات تتوالى لهم على

(١) الطبري ٢ : ١٨٥ .

(٢) الطبري ٢ : ١٨٧ .

(٣) الطبري ٢ : ٢١٨ و ٢٢٧ و ٢٢٩ .

(٤) التبيان ٨ : ٢٢٨ .

(٥) مجمع البيان ٨ : ٤٦١ .

الروم .

ولكن ممّا وقع على عهد خسرو پرويز ما ذكره الطبري قال : ومن ذلك ما كان من أمر ربيعة والجيش الذي كان أنفذه اليهم كسرى پرويز لحربهم فالتقوا بذى قار، وذكر عن النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلّم - أنّه لما بلغه ما كان من هزيمة ربيعة لجيش كسرى قال : « هذا أول يوم انتصف العرب من العجم، وبني نُصروا »^(١).

وقد قال المسعودي : وفي ملك پرويز كان حرب ذى قار، وهو اليوم الذي قال فيه النبي -صلى الله عليه [وآله] وسلّم - : « هذا أول يوم انتصفت فيه العرب من العجم، ونُصرت عليهم بي » وفي رواية أنها كانت بعد وقعة بدر بأشهر وكانت بين بكر بن وائل والهامرز صاحب كسرى پرويز^(٢) فمن المحتمل قوياً أن يكون الانتصار الذي جاء الخبر به الى رسول الله فأخبر به أصحابه هو انتصار العرب على الفرس دون الروم .

أمّا وقعة أذرعات وكَشَكْرُ، فلم أجد فيما بيدي من كتب التاريخ الرومي والفارسي والعربي نقلاً عنها شيئاً يخصّها، والمحمّل القريب من الحملات التي مرّ ذكرها هي حملات ثلاث : حملة فتح أنطاكية، وحملة فتح دمشق، وحملة فتح القدس، فمن المحتمل أن تكون إحدى هذه الحملات قد طالت أذرعات في أواخر حدود الاردن نحو الحجاز ولكنها لا تتناسب مع زمان نزول سورة الروم قبيل الهجرة بقليل، إذ الاولى كانت في ٦١١ م أي الثانية للبعثة، والثانية كانت في ٦١٤ م أي في الخامسة للبعثة، والثالثة كانت

(١) الطبري ٢ : ١٩٣ و ٢٠٧ .

(٢) مروج الذهب ١ : ٣٠٧ وذكر الخبر اليعقوبي ١ : ٢١٤ ، ٢١٥ .

في ٦١٥م أي السادسة للبعثة. بينما القريب المحتمل أن لا تكون الواقعة في أقل من السنة الثامنة للبعثة أي سنة ٦١٧م وفيها كانت حملة القائد الايراني شاهين على كاپادوكية وكالسدونة ووصولهم الى أبواب مدينة القسطنطينية على ساحل بحر البوسفور. فهذه الحملة تحتمل الانطباق على قول الشيخ الطوسي بأن المراد أدنى الأرض من جهة عدوهم^(١) والذي نقله الطبرسي عن مجاهد بأن المقصود من «أدنى الأرض» هو أدنى الأرض الى أرض فارس، أقرب أرض الروم الى فارس^(٢).

أما ما قاله الطبرسي: كان بيت المقدس لأهل الروم كالكعبة للمسلمين، فدفعتهم فارس عنه، وروي أنهم استردوا بيت المقدس وأن ملك الروم مشى اليه شكراً وبُسطت له الرياحين فشئى عليها^(٣).

فقد مرّ أن القرآن قد عبّر عن المسجد في مدينة القدس بجوار بيت المقدس بـ«المسجد الأقصى» ولا يسعنا التصديق بأن المسجد أقصى والأرض أدنى «في أدنى الأرض» وليس مقبولاً أن تكون الأرض أدنى والمسجد أقصى. ثم إن استرداد الروم لبيت المقدس لم ينقل تأريخياً أن يكون على عهد خسرو پرويز وهرقل معاصراً للرسول الكريم ﷺ.

ومما يؤيد أن هذا الانتصار الرومي على فارس كان بعد وقعة بدر بكثير ما رواه الطبرسي في «مجمع البيان» أن أبا بكر لما أراد الهجرة تعلق به أبي بن خلف وأخذ ابنه عبد الله بن أبي بكر وأخذ منه ابنه كفيلاً، وجرح

(١) التبيان ٨ : ٢٢٩.

(٢) مجمع البيان ٨ : ٤٦٠ وقال : يريد الجزيرة أي الموصل.

(٣) مجمع البيان ٨ : ٤٦٠، ٤٦١.

أبيّ في أحد وعاد الى مكّة فمات من تلك الجراحة، جرحه رسول الله ﷺ.

وروى عن الشعبي قال: لم تمض تلك المدة (تسع سنين) التي عقدها أبو بكر مع أبي بن خلف حتّى غلبت الروم فارساً وربطوا خيولهم بالمدائن... فأخذ أبو بكر الخطر (الرّهانة) من ورثته وجاء به الى رسول الله ﷺ فتصدّق به (١).

السورة الخامسة والثمانون - «العنكبوت»:

﴿ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون ولقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمنّ الله الذين صدقوا وليعلمنّ الكاذبين﴾ (٢).

روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الشعبي: أن الآية نزلت في أناس مسلمين كانوا بمكّة فخرجوا الى المدينة فاتبعهم المشركون فأذوهم، فنهزم من نجا ومنهم من قُتل. وعن ابن عباس: أنّه أراد بـ«الناس»: الذين آمنوا بمكّة: عمار بن ياسر، والوليد بن الوليد بن المغيرة المخزومي، وعياش ابن أبي ربيعة المخزومي، وسلمة بن هشام المخزومي. وعن ابن جريج: أن الآية نزلت في عمار بن ياسر، وكان يعذب في الله (٣).

ولعل هذا هو مورد مارواه الكشي في رجاله بسنده عن الليث بن سعد (كاتب الواقدي) عن عمر مولى غفرة قال: حُبس عمار فيمن حُبس وعُذّب، فانفلت فيمن انفلت من الناس، فقدم على رسول الله ﷺ فقال:

(١) مجمع البيان ٨: ٤٦١، ٤٦٢ والكشاف للزخشري ٣: ٢١٤.

(٢) العنكبوت: ١، ٢.

(٣) مجمع البيان ٨: ٤٢٧.

أفلح أبو اليقظان ! قال : ما أفلح ولا أنجح لنفسه ، لأنهم لم يزالوا يعذبونه حتى نال منك !^(١) .

وما أخرجه السيوطي عن ابن عباس قال : لما أراد الرسول أن يهاجر الى المدينة قال لأصحابه ... فأصبح بلال وخبّاب وعمار ... فأخذهم المشركون ... وأمّا عمار فقال لهم كلمة أعجبهم ، تقية ... ثمّ خلّوا عنهم^(٢) .

فهذه الأخبار تناسب هذه الفترة وهذه المرة أي حين الهجرة ، ولا ترتبط بما حدث له في المرة الاولى حين نزول سورة النحل أواخر أيام حصار الشعب ، من تعذيب مشركي قريش له ولوالديه وقتلها وتقية وافلاته بها ، وقول الرسول له يومئذٍ «ان عادوا لك فعدّ لهم» مشيراً الى تكرار الأمر هذه المرة حين الهجرة ، فكان كما أشار والمح ﷺ .

وعليه فما في الخبر عن ابن عباس : «أن أبا جهل أسر عماراً وبقر بطن أمه» وما في آخره : «أن النبي جعل يمسح عينيه ويقول : «إن عادوا لك فعدّ لهم بما قلت» خلط ووّهم ، اذ كيف يقول له الرسول ذلك في المدينة بعد الهجرة حيث لا يتوقع عودة مشركي قريش الى تعذيب عمار ؟ ! وكذلك أيضاً ما في آخر خبر الكشي عن ابن سعد كاتب الواقدي : أنه قال له : «إن سألوا من ذلك فزدهم» إذ كيف يسألونه ذلك بعد أن قدم على رسول الله المدينة كما في الخبر .

كما أن ذيل خبر السيوطي : «ثمّ خلّوا عن بلال وخبّاب وعمار

(١) رجال الكشي : ٣٥ ط مشهد .

(٢) الدر المنثور ٤ : ١٣٢ .

فلحقوا برسول الله فأخبروه بالذي كان من أمرهم ... وأنزل الله: ﴿إِلَّا مِنْ أَمْرِهِ وَقَلْبُهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ خلط لما نزل من القرآن في عمار في المرة الاولى - في سورة النحل - بما كان على عمار وصاحبيه بلال وخبّاب في هذه المرة الثانية حين هجرتهم الى المدينة، مما يستلزم استثناء هذه الآيات من مكية سورة النحل بلا موجب. كما مرّ ذلك عند الكلام حول الآيات من سورة النحل.

ومنها قوله سبحانه: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةً لِلنَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِنْ جَاءَ نَصْرٌ مِنْ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ الْعَالَمِينَ وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ﴾^(١).

روى السيوطي في «الدر المنثور» عن سعد بن أبي وقاص قال: قالت أُمِّي: لَا آكُلُ طَعَامًا وَلَا أَشْرَبُ شَرَابًا حَتَّى تُكْفَرَ بِحَمْدِهِ، فَاِمْتَنَعْتُ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا﴾.

وروى الطبرسي في «مجمع البيان» عن الكلبي قال: نزلت الآية ﴿وَمَنْ النَّاسُ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ﴾ فِي عِيَّاشِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ الْخَزُومِيِّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ أَسْلَمَ فَخَافَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ قَبْلَ أَنْ يَهَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ، فَحَلَفَتْ أُمُّهُ أَهْمَاءُ بِنْتُ مَخْزُومَةَ التَّمِيمِيَّةِ: أَنْ لَا تَأْكُلَ وَلَا تَشْرَبَ وَلَا تَغْسَلَ رَأْسَهَا وَلَا تَدْخُلَ بَيْتًا حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْهَا.

فلما رأى ابنها ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام جزعها، ركبا في طلبه حتى أتيا المدينة، فلقياه وذكراه له القصة، فلم يزالا به حتى أخذ عليهما المواثيق أن لا يصرفاه عن دينه، فتبعهما.

فلما خرجا به من المدينة أخذاه وأوثقاه كتافاً وجلداه حتى برىء من دين محمد ﷺ جزعاً من الضرب وقال ما لا ينبغي، فنزلت الآية (١).

وعليه فالآية تنبأ عن عودته عند حصول نصر الله لرسوله، ثم لا تستبعد الآية أن يكون مؤمناً بباطنه فالله أعلم به، وكذلك كان، فان تمام خبر الطبرسي عن الكلبي: أنه لما هاجر النبي ﷺ والمؤمنون الى المدينة هاجر عياش وحسن اسلامه وحيث كان أشد أخويه عليه الحرث لذلك كان عياش قد حلف لئن قدر عليه خارجاً من الحرم ليضربن عنقه، وأسلم الحرث وهاجر الى المدينة وبايع النبي ﷺ على الاسلام، وكان عياش خارجاً عن المدينة فلم يشعر باسلامه حتى لقيه يوماً بظهر قبا فضرب عنقه، ولما علم باسلامه بكى واسترجع، ونزلت فيه: ﴿وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمناً الا خطأ﴾ (٢) فأنبأت عن ايمانها. وعليه فلعل الاشارة بالمنافقين الى السابق: سعد بن أبي وقاص بلحاظ ما بعد النبي ﷺ.

وبعدها قوله سبحانه: ﴿وقال الذين كفروا للذين آمنوا اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء إنهم لكاذبون وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم وليسئلن يوم القيامة عما كانوا

(١) مجمع البيان ٨ : ٤٢٩ .

(٢) مجمع البيان ٨ : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

يفترون»^(١).

قال القمي في تفسيرها: كان الكفار يقولون للمؤمنين: كونوا معنا، فان الذي تخافون انتم ليس بشيء، فان كان حقاً فانا نتحمل ذنوبكم. فيعذبهم الله مرتين مرة بذنوبهم ومرة بذنوب غيرهم^(٢).

ومنها قوله سبحانه: ﴿يا عبادي الذين آمنوا إن أرضي واسعة فايأتي فاعبدون﴾^(٣) روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل والكلبي قالوا: نزلت في المستضعفين من المؤمنين بمكة أمروا بالهجرة عنها^(٤).

ومنها قوله سبحانه: ﴿وكأني من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم﴾^(٥) روى الطبرسي في «مجمع البيان» عن مقاتل والكلبي قالوا: نزلت في جماعة كان يؤذيه المشركون بمكة فأمرؤا بالهجرة الى المدينة، فقالوا: كيف نخرج اليها وليس لنا بها دار ولا عقار، ومن يطعمنا ومن يسقينا؟ فنزلت فيهم^(٦).

وتختم السورة توصيتها المسلمين بالصبر والجهد بقوله سبحانه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾.

(١) العنكبوت: ١٢، ١٣.

(٢) تفسير القمي ٢: ١٤٩. وروي السيوطي في الدر المنثور بسنده عن محمد بن الحنفية قال: كان ابو جهل وصناديد قريش اذا جاء الناس يسلمون يتلقونهم فيقولون: أنه يحرم الخمر ويحرم الزنا فارجعوا ونحن نحمل أوزاركم فنزلت الآية.

(٣) العنكبوت: ٥٦.

(٤) مجمع البيان ٨: ٤٥٥.

(٥) العنكبوت: ٦٠.

(٦) مجمع البيان ٨: ٤٥٥.

واختلف الخبر هنا عن ابن عباس في آخر سورة نزلت بمكة قبل الهجرة، فبينما يروي الطبرسي في «مجمع البيان» عن الحاكم الحسكاني عن عطاء عن ابن عباس أنه ذكر في آخر السور المكية بعد العنكبوت: سورة المطففين^(١) وكذلك الزركشي في «البرهان» والسيوطي في «الاتقان»^(٢) وابن النديم في «الفهرست» عن محمد بن النعمان بن بشير الأنصاري، ولكنه قال: ويقال أنها مدنية^(٣) والسيوطي في «الاتقان» نقل خبراً آخر عن ابن عباس وآخر عن البيهقي عن عكرمة عن ابن عباس، اختلفا في ترتيب السور ولكنها اتفقا على اعتبار سورة المطففين من السور المدنية بخلاف الخبر السابق الذي ذكر أنها مكية^(٤) وأضاف الطبرسي في «مجمع البيان» القول بذلك عن الحسن والضحاك^(٥) وأضاف عن عكرمة عن ابن عباس سبباً لنزولها قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كانوا من أخصب الناس كيلاً، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ فأحسنوا الكيل بعد ذلك. وروى عن السدي قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة كان بها رجل يقال له أبو جهينة ومعه صاعان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر، فنزلت الآيات^(٦) بل في رواية أبي الجارود في «تفسير القمي» عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: نزلت (سورة المطففين) على نبي الله حين قدم المدينة وهم يومئذ أسوأ الناس كيلاً،

(١) مجمع البيان ١٠ : ٦١٣ .

(٢) الاتقان : ١ : ١١ عن ابن خريس من القرن الخامس .

(٣) الفهرست : ٣٧ ط مصر .

(٤) الاتقان ١ : ١٠ .

(٥) مجمع البيان ١٠ : ٦٨٥ .

(٦) مجمع البيان ١٠ : ٦٨٧ .

٦٨٨ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

فأحسنوا الكيل^(١) وهذا هو معنى ما رواه عكرمة عن ابن عباس . فهو المختار .

وعليه فان آخر ما نزل من القرآن بمكة هي سورة العنكبوت، وفيها الأمر بالهجرة كما مر، فأمر الرسول ﷺ أصحابه بالهجرة فهاجروا زرافات ووحداً، ولحق هو بهم .

(١) تفسير القمي ٢ : ٤١٠ .

الفصل الثامن

بيعة العقبة وانتشار الإسلام في المدينة

بيعة العقبة:

قال القمّي في تفسيره : لما قدمت الأوس والخزرج مكة، وكان أكثرهم مشركين على دينهم، وفيهم عبد الله بن أبيّ بن سلول^(١)، وفيهم ممن أسلم بشر كثير. وكان رسول الله نازلاً في دار عبد المطلب (في منى في أيام موسم الحج) ومعه علي عليه السلام وحمزة والعباس. فجاءهم رسول الله وقال لهم : تمنعون جانبي حتى أتلو عليكم كتاب ربكم، وثوابكم على الله الجنة؟ قالوا: نعم يا رسول الله فخذ لنفسك وربك ما شئت. فقال : موعدكم العقبة في الليلة الوسطى من ليالي التشريق فاحضروا دار عبد المطلب على العقبة، ولا تنهّوا نائماً.

فلما حجّوا رجعوا الى منى، وجاءه منهم سبعون رجلاً من الأوس والخزرج فدخلوا الدار. فلما اجتمعوا قال لهم رسول الله : تمنعون جانبي

(١) سلول : اسم جدّته لأبيه .

حتى أتلو عليكم كتاب ربكم وثوابكم على الله الجنة؟ فقال أسعد بن زرارة والبراء بن معرور وعبد الله بن حرام^(١): نعم يا رسول الله، فاشترط لنفسك ولربك.

فقال رسول الله: تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم، وتمنعون أهلي مما تمنعون منه أهليكم؟ قالوا: فما لنا على ذلك؟ قال: تملكون بها العرب في الدنيا، وتدين لكم العجم وتكونوا ملوكاً في الجنة. فقالوا: قد رضينا.

فقام العباس بن نضلة الأوسي فقال: يا معشر الأوس والخزرج، تعلمون على ما تقدمون عليه؟ إنما تقدمون على حرب الأحمر والأبيض وعلى حرب ملوك الدنيا، فإن علمتم أنه إذا أصابتكم المصيبة في أنفسكم خذلتوه وتركتموه فلا تغروه، فإن رسول الله - وإن كان قومه خالفوه - فهو في عزٍّ ومنعة.

فقال له عبد الله بن حرام وأسعد بن زرارة وأبو الهيثم ابن التيهان: مالك وللكلام؟! ثم قالوا: يا رسول الله، بل دمنا بدمك وأنفسنا بنفسك، فاشترط لربك ولنفسك ما شئت.

فقال رسول الله: أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً يكفلون عليكم بذلك، كما أخذ موسى من بني إسرائيل اثني عشر نقيباً. فقالوا: اختر من شئت.

فأشار جبرئيل عليه السلام إليهم، فقال: هذا نقيب، وهذا نقيب حتى اختار تسعة من الخزرج وهم: أسعد بن زرارة، والبراء بن معرور، وعبد الله بن حرام - وهو أبو جابر بن عبد الله الأنصاري - ورافع بن مالك، وسعد بن

(١) أبو جابر بن عبد الله الأنصاري، من شهداء أحد.

الفصل الثامن / بيعة العقبة وانتشار الإسلام في المدينة ٦٩٣

عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع، وعبادة ابن الصامت. وثلاثة من الأوس وهم: أبو الهيثم بن التيهان اليمني حليف بني عمرو بن عوف، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة.

فلما اجتمعوا وبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم صاح بهم إبليس: يا معشر قريش والعرب، هذا محمد والضباة من الأوس والخزرج على هذه العقبة يبايعونه على حربكم فأسمع أهل منى، فهاجت قريش وأقبلوا بالسلاح.

وسمع رسول الله النداء فقال للأتصار: تفرّقوا. فقالوا: يا رسول الله إن أمرتنا أن نميل عليهم بأسيا ففعلنا.

فقال رسول الله: لم أؤمر بذلك، ولم يأذن الله في محاربتهم.

فقالوا: يا رسول الله فتخرج معنا.

قال: انتظر أمر الله (بالحجرة) فتفرّقوا.

وخرج حمزة وعلي بن أبي طالب فوقف حمزة على العقبة ومعه

السيف.

فجاءت قريش عن بكرة أبيها قد أخذوا السلاح، فلما نظروا إلى

حمزة قالوا له: ما هذا الذي اجتمعتم عليه؟

قال: ما اجتمعنا، وما هنا أحد، والله لا يجوز أحد هذه العقبة

إلا ضربته بسيفي! فرجعوا. ورجع رسول الله إلى مكة.

(ولم يُطلع المسلمون من الأوس والخزرج المشركين منهم، وفيهم عبد

الله بن أبي بن سلول، فغدت قريش إليه) وقالوا له: قد بلغنا أن قومك

بايعوا محمداً على حربنا؟ فحلف لهم عبد الله: أنهم لم يفعلوا ولا علم له

بذلك، فصدقوه^(١).

ذكر ذلك القمي في تفسيره، ونقله عنه الطبرسي في «اعلام الوري» والقطب الراوندي في «قصص الأنبياء» ولم يتبعه تلميذه ابن شهر آشوب في «مناقب آل أبي طالب» بل قال: كان النبيّ يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم، فلقى رهطاً من الخزرج ستة نفر، فقال: أفلا تجلسون أحدّثكم؟ قالوا: بلى، فجلسوا اليه فدعاهم الى الله وعرض عليهم الإسلام وتلا عليهم القرآن، فقال بعضهم لبعض: والله إنّ للنبيّ الذي كان يُوعدكم به اليهود، فلا تسبقنكم اليه (فصدقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام) وقالوا له: إنّنا تركنا قومنا ولا قوم بينهم من العداوة والشر مثل ما بينهم، فعسى أن يجمع الله بينهم بك، فسنقدم عليهم وندعوهم الى أمرك (ونعرض عليهم الذي أجنبناك اليه من هذا الدين، فان يجمعهم الله بك فلا رجل أعزّ منك، ثمّ انصرفوا عن رسول الله راجعين الى بلادهم وقد آمنوا وصدقوا). فلما كان العام المقبل أتى من الأنصار الى الموسم اثنا عشر رجلاً فلقوا النبيّ ﷺ فبايعوه على «بيعة النساء»^(٢) وبعث معهم مصعب بن عمير ابن هاشم يصلي بهم (فكان يصلي بهم ويقرئهم القرآن حتّى سمّي) بينهم بالمقرىء، وحتّى لم تبق دار في المدينة إلّا وفيها رجال ونساء مسلمون. (وفي الموسم القادم) خرج جمع من الأنصار مع حجاج قومهم،

(١) تفسير القمي ١: ٢٧٢، ٢٧٣.

(٢) اصطلاح المسلمون فيما بعد باسم بيعة النساء على البيعة التي وردت في الآية الثانية عشرة من سورة الممتحنة، وأنما يكتفى بها عن بيعة لا قتال فيها في مقابل بيعة الحرب. وسورة الممتحنة نازلة بعد صلح الحديبية، فالتسمية متأخرة.

فاجتمعوا في ليلة من ليالي التشريق في الشعب عند العقبة، ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان .

(فقام فيهم رسول الله) فقال: أبايعكم على الإسلام؟ فقال له بعضهم: نريد أن نعرفنا - يا رسول الله - ما لله علينا وما لك علينا وما لنا على الله؟ فقال: أمّا ما لله عليكم: فأَنْ تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأمّا ما لي عليكم: فتتصروني مثل نسائكم وأبنائكم، وأن تصبروا على عضّ السيف وأن يُقتل خياركم^(١).

قالوا: فإذا فعلنا ذلك فما لنا على الله؟ قال: أمّا في الدنيا فالظهور على من عاداكم، وفي الآخرة الرضوان والجنة .

فقال أبو الهيثم ابن التيهان: إنّ بيننا وبين الرجال حبلاً، فهل غسيت إن نحن قطعناها أو قطعوها ثمّ أظهرك الله أن ترجع إلى قومك وتدعنا؟ فتبسّم رسول الله ثمّ قال: بل الدم الدم والهدم الهدم أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم .

فأخذ البراء بن معرور بيده ثمّ قال: والذي بعثك بالحقّ لنمنعك بما تمنع به أزرنا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أهل الحروب وأهل الحلقة، ورثناها كباراً عن كبار .

فقال رسول الله: أخرجوا إليّ منكم اثني عشر نقيباً . فاختاروا . فقال لهم: أبايعكم كبيعة عيسى بن مريم للحواريين، كفلاء على قومكم، على أن تمنعوني ممّا تمنعون منه نساءكم وأبناءكم . فبايعوه على

(١) وهذا معناه أن بيعة النساء السابقة تغيّرت هنا إلى بيعة القتال والحرب .

ذلك .

فصرخ الشيطان في العقبة : يا أهل الجباب (١) هل لكم في محمد والصبا معه ؟! فانهم قد اجتمعوا على حربكم . ففشا الخبر ونفر الناس وخرجوا في الطلب ، فلم يدركوا منهم إلا سعد بن عبادة والمندر بن عمرو ، فأما المندر فاعجز القوم هرباً ، وأما سعد فأدركوه فأخذوه وربطوه بحبل رحله وأدخلوه مكة يضربونه .

فبلغ خبره الى جبير بن مطعم والحارث بن حرب بن أمية (أخي أبي سفيان صخر بن حرب) فأتياه وخلصاه (٢) .

هذا ما ذكره ابن شهر آشوب في فصل هجرته ﷺ ، وقد قال في الفصل السابق في أحواله وتواريخه : كان حصار الشعب أربع سنين . وقال قبله : توفي أبو طالب بعد نبوته بتسع سنين وثمانية أشهر ، وذلك بعد خروجه من الشعب بشهرين . وتوفيت خديجة بعده بستة أشهر . ولبت بعدها بمكة ثلاثة أشهر فأمر أصحابه بالهجرة الى الحبشة (١) فخرج جماعة من أصحابه بأهلهم ، وذلك بعد خمس من نبوته (١) وقال : فلما توفي أبو طالب خرج الى الطائف وأقام فيه شهراً ، ثم انصرف الى مكة ومكث فيها سنة وستة أشهر في جوار مطعم بن عدي .

ثم ذكر مختصر خبر بيعة العقبة الأولى والعقبة الثانية ، ولكنه أضاف

(١) الجباب : جمع جُبْجَبَة : الوعاء من آدم ونحوه ، وتُطلق على منازلهم في منى لأنها أوعية لهم .

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ١٨١ ، ١٨٢ . وهو مختصر خبر ابن اسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠ - ٩٣ .

ذكر أسماءهم فقال :

كانت بيعة العقبة الأولى بـعني، بايعه خمسة نفر من الخزرج وواحد من الأوس، في خفية من قومهم «بيعة النساء» وهم : جابر بن عبد الله^(١)، وقطبة بن عامر بن حرام، وعوف بن الحارث، وحارثة بن ثعلبة^(٢)، ومرثد ابن الأسد، وأبو أمانة ثعلبة بن عمرو، ويقال : هو أسعد بن زُرارة . وفي السنة القابلة -وهي العقبة الثانية- أنفذوا معهم ستة آخرى بالاسلام والبيعة، وهم : أبو الهيثم بن التيهان، وعُباد بن الصامت، وذكوان ابن عبد الله، ونافع بن مالك بن العجلان، وعباس بن عباد بن نضلة، ويزيد بن ثعلبة حليف له . ويقال : مسعود بن الحارث، وعُويم بن ساعدة حليف لهم .

ثم أنفذ النبي ﷺ معهم ابن عمّه : مصعب بن (عمير) بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة، فاجتمعوا عليه وأسلم أكثرهم .

وفي السنة القابلة كانت «بيعة الحرب»^(٣) كانوا سبعين رجلاً وامراتين من الأوس والخزرج، واختار منهم اثني عشر نقيباً ليكونوا كفلاء قومهم : تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس، فن الخزرج : أسعد بن زرارة، وجابر

(١) لا يوجد جابر فيمن شهد العقبة بل ابوه عبد الله بن عامر بن حرام . بل يعدّ جابر من أتراب الحسين عليه السلام .

(٢) ولا يوجد لهذا الاسم أيضاً في الستة الأولى ولا الأخيرة، بل هو جدّ الأوس والخزرج، اليعقوبي ٢ : ٣٠ .

(٣) في الكتاب : الحرث، أو الحرس، ولا ريب أن الحرس مصحف الحرث، وهو مصحف الحرب، فهو الصحيح ولا معنى لغيره .

ابن عبد الله الأنصاري^(١) والبراء بن معرور، وعبد الله بن عمرو بن حرام، وسعد بن عباد، والمنذر بن عمرو، وعبد الله بن رواحة، وسعد بن الربيع. ومن القواقل: عبادة بن الصامت. ومن الأوس: أبو الهيثم بن التيهان، وأسيد بن حضير، وسعد بن خيثمة^(٢).

وظاهره - كما ترى - أنه يعدد ثلاث بيعات في ثلاث سنوات متواليات، ولم يسند الخبر لا هنا ولا في فصل هجرته ﷺ ولم يذكر سيرة ابن هشام أو ابن اسحاق عند ذكره لطرقه إلى كتب العامة في مقدمة كتابه، نعم ذكر طريقه إلى مغازيه^(٣) ومع ذلك فإني لا أراه إلا أنه اختصر خبره من سيرته كما في سيرة ابن هشام، مع فارق:

أن ابن اسحاق يبدأ في خبر اسلام الأنصار، فيذكر عرض الرسول نفسه على العرب ولقاءه بالستة من الخزرج عند العقبة، وأنهم: أجابوه فيما دعاهم إليه بأن صدّقوه وقبلوا منه ما عرض عليهم من الاسلام... ثم انصرفوا عن رسول الله راجعين إلى بلادهم وقد آمنوا وصدّقوا. ثم يسمّيهم. ولا يذكر شيئاً عن البيعة ولا يسمّيها «بيعة النساء» ولا «العقبة الاولى» وابن شهر آشوب سماهما: بيعة العقبة الاولى، وبيعة النساء. والعقبة الاولى التي اضيف فيها إلى الستة الاولى ستة آخرون فكان الجميع اثني

(١) روى الكشي في رجاله بسنده عن الباقر عليه السلام قال: كان عبد الله أبو جابر بن عبد الله من السبعين ومن الاثني عشر، وجابر من السبعين وليس من الاثني عشر. رجال الكشي: ٤١ ط مشهد.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١: ١٧٤، ١٧٥ وهو مختصر خبر ابن اسحاق كما في سيرة ابن هشام ٢: ٧٣ - ٧٥ و ٨١ - ٨٧. ومنها ما بين الأقواس.

(٣) مناقب آل أبي طالب ١: ١٠.

عشر رجلاً وُبعت معهم مصعب بن عمير، يسميها: العقبة الثانية. والعقبة الثانية التي كان الأنصار فيها: ثلاثة وسبعين رجلاً وامرأتين يسميها بيعة الحرب، وهي كذلك، ولكنه يجعلها البيعة الثالثة في السنة القابلة أي الثالثة. ولعل منشأ الشبهة له هو أن ابن اسحاق أو ابن هشام لا يسمي اللقاء الأول^(١)، ويسمي اللقاء الثاني بالعقبة الأولى^(٢) ويسمي اللقاء الثالث بالعقبة الثانية^(٣) ثم يعود على شروط هذه البيعة بعنوان: شروط البيعة في العقبة الأخيرة: قال ابن اسحاق: وكانت بيعة الحرب^(٤) فلعله وهم أن البيعة الأخيرة بيعة الحرب غير بيعة العقبة الثانية، فهي الثالثة.

· وابن اسحاق يروي الخبر الأول عن اللقاء الأول للنبي بالسته من الخزرج عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ قومه^(٥) وخبر العقبة الأولى عن عبادة بن الصامت بثلاث وسائط^(٦)، وبطريق آخر عنه بواسطتين^(٧) وخبر العقبة الثانية عن كعب بن مالك الخزرجي بواسطة ابنه معبد عن أخيه عبد الله عن أبيه كعب^(٨) وخبر أسر سعد بن عبادة عن

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠

(٢) ابن هشام ٢ : ٧٣.

(٣) ابن هشام ٢ : ٨١.

(٤) ابن هشام ٢ : ٩٧.

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٠.

(٦) ابن هشام ٢ : ٧٥.

(٧) ابن هشام ٢ : ٧٦.

(٨) ابن هشام ٢ : ٨١.

عبد الله بن أبي بكر عنه^(١).

ويوهم قوله : كانت البيعة الاولى على بيعة النساء، وذلك أن الله لم يكن قد أذن لرسوله -صلى الله عليه وآله وسلم- في الحرب، فلما أذن الله له فيها وبايعهم رسول الله^(٢) وقوله : وكان رسول الله قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تُحلل له الدماء... فلما عتت قريش على الله عز وجل... أذن الله عز وجل لرسوله في القتل والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم... بلغني عن عروة بن الزبير وغيره من العلماء : أن أول آية أنزلت في اذنه له في الحرب وإحلاله له الدماء والقتال لمن بغى عليهم قول الله تبارك وتعالى : ﴿أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير﴾^(٣)... فلما أذن الله تعالى له في الحرب وبايعه هذا الحي من الأنصار^(٤) يوهم قوله هذا : أن الاذن له بالحرب صدر بهذه الآية قبل بيعة الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ولذلك بايعهم النبي بيعة الحرب.

ويردّه ما رواه ابن اسحاق عن معبد بن كعب عن اخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك : أن العباس بن عباد بن نضلة قال له : إن شئت لنميلنّ على أهل منى غداً بأسيا فئا؟ فقال رسول الله : لم تؤمر بذلك، ولكن ارجعوا الى رحالكُم^(٥).

والآية من سورة الحج، وهي بعد المائة في ترتيب النزول، أي النازلة

(١) ابن هشام ٢ : ٩٢.

(٢) ابن هشام ٢ : ٩٧.

(٣) الحج : ٣٩.

(٤) ابن هشام ٢ : ١١٠ - ١١١.

(٥) سيرة ابن هشام ٢ : ٩٠.

بعد عشرين سورة نزلت بعد الهجرة، تقريباً، ممّا لا يناسب معه نزولها حتّى قبل وقعة بدر في منتصف السنة الثانية للهجرة، بل يناسب نزولها بعد ذلك تحكي علة الاذن في ذلك، فضلاً عن أن تكون قد نزلت قبل بيعة الحرب في العقبة الثانية قبل الهجرة، ممّا يوهمه ظاهر مقال ابن اسحاق، ولكن الحديث اختلط بعضه ببعض في غير وضوح. نعم كان يفهم من بيعة الحرب أن ذلك سيكون، وكانت لابن اسحاق رواية عن عروة ابن الزبير وغيره عن أوّل آية أنزلت في الاذن في الحرب والقتال، فانتقل الى نقل الرواية جملة معترضة، ومثله كثير في الكتب القديمة.

انتشار الاسلام في المدينة:

مرّ في تعبير القمي في تفسيره: أن رسول الله ﷺ بعث الى المدينة مع الاثني عشر نقيباً في بيعة العقبة الاولى: مصعب بن عمير بن هاشم يصليّ بهم. فكان يصليّ بهم ويقرئهم القرآن حتّى سمّي بينهم بالمقرئ، وحتّى لم تبق دار في المدينة الا وفيها رجال ونساء مسلمون.

ومرّ في تعبير ابن شهر آشوب في «المناقب»: ثمّ أنفذ النبي ﷺ معهم (ابن عمه) مصعب بن عمير بن هاشم، فنزل دار أسعد بن زرارة، فاجتمعوا عليه وأسلم اكثرهم. أمّا لماذا نزل دار أسعد بن زرارة؟

فقد مرّ في أخبار حصار قريش لبني هاشم في شعب أبي طالب ﷺ عن الطبرسي في «إعلام الوري» عن علي بن ابراهيم القمي قال: كان بين الأوس والخزرج حرب قد بغوا فيها دهوراً طويلة، وكانوا لا يضعون السلاح لا بالليل ولا بالنهار، وكان آخر حرب بينهم «يوم بُعث» وكانت للأوس على الخزرج.

وكان عبد الله بن أبيّ بن سلول شريفاً في الخزرج، ولكنه لم يدخل مع قومه الخزرج في حرب بُعثت ولم يُعْضَم على الأوس وقال: هذا ظلم منكم للأوس ولا أُعِين على الظلم. فرضيت به الأوس والخزرج واجتمعوا على أن يملّكوه عليهم لشرفه وسخائه، وحتىّ أنهم اتخذوا له اكليلاً احتاجوا في تمامه إلى واسطة كانوا يطلبونها...

وكان أسعد بن زرارة (الخزرجي من بني النجار أخوال الرسول) صديقاً لعتبة بن ربيعة المخزومي، فخرج هو وذكوان إلى مكة في عمرة رجب يسألون الحلف على الأوس، فلما نزل على عتبة قال له: أنه كان بيننا وبين قومنا حرب، وقد جئناكم نطلب الحلف عليهم.

فقال عتبة: بعدت دارنا عن داركم، ولنا شغل لا نتفرغ معه لشيء!

قال أسعد: وما شغلكم وأنتم في حرملك وأمنكم؟

قال له عتبة: خرج فينا رجل يدّعي أنه رسول الله، سَفّه أحلامنا وسبّ آهلتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا.

فقال له أسعد: من هو منكم؟ قال: ابن عبد الله بن عبد المطلب،

من أوسطنا شرفاً وأعظمنا بيتاً.

وكان أسعد وذكوان وجميع الأوس والخزرج يسمعون من اليهود الذين كانوا بينهم: النضير وقريظة وقينقاع: أن هذا أوان نبي يخرج بمكة يكون مهاجرة إلى المدينة، لنقتلنكم به يا معشر العرب! فلما سمع ذلك الكلام من عتبة وقع في قلبه ما كان سمعه من اليهود فقال: أين هو؟ قال: جالس في الحجر، وإنهم لا يخرجون من شعبهم إلا في الموسم، فلا تسمع منه ولا تكلمه فإنه ساحر يسحر بكلامه.

فقال له أسعد: فكيف أصنع وأنا معتمر لا بد لي أن أطوف بالبيت؟

فقال : ضَع في أذنيك القطن .

فدخل أسعد المسجد وقد حشا أذنيه من القطن . فطاف بالبيت ورسول الله ﷺ جالس في الحجر مع قوم من بني هاشم ، فنظر إليه نظرة فجازه ، فلما كان في الشوط الثاني قال في نفسه : ما أجد أجهل مني ! أيكون مثل هذا الحديث بمكة فلا نعرفه حتى أرجع الى قومي فاخبرهم ؟ ! ثم أخرج القطن من أذنيه ورمى به وقال لرسول الله : أنعم صباحاً ! فرفع رسول الله رأسه اليه وقال : قد أبدلنا الله به ما هو أحسن من هذا ، تحية أهل الجنة : السلام عليكم . فقال له أسعد : إن عهدك بهذا لقريب . الى ما تدعو يا محمد ؟ قال : الى شهادة أن لا إله إلا الله وأني رسول الله ، وأدعوكم الى : ﴿ ألا تشرکوا به شيئاً وبالوالدين احساناً ولا تقتلوا أولادکم من املاق نحن نرزقکم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاکم به لعلکم تعقلون ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاکم به لعلکم تذكرون ﴾ ^(١) .

فلما سمع أسعد هذا قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأنت رسول الله . يا رسول الله ، بأبي أنت وأمي ، أنا من أهل يثرب من الخزرج وبيننا وبين اخواننا من الأوس حبال مقطوعة ، فان وصلها الله بك فلا أجد أعز منك ، ومعني رجل من قومي فان دخل في هذا الأمر رجوت أن يتمم الله لنا أمرنا فيك . والله يا رسول الله لقد كنا نسمع من اليهود

(١) الأنعام : ١٥١ ، ١٥٢ .

خبرك، وكانوا يبشروننا بمخرجك، ويخبروننا بصفتك، وأرجو أن تكون دارنا دار هجرتك وعندنا مقامك، فقد أعلمنا اليهود ذلك، فالحمد لله الذي ساقني إليك. والله ما جئت إلا لنطلب الحلف على قومنا، وقد آتانا الله بأفضل مما أتيت له.

ثم أقبل ذكوان. فقال له أسعد: هذا رسول الله الذي كانت اليهود تبشروننا به وتخبرنا بصفته، فهلّم وأسلم. فأسلم ذكوان.

ثم قالوا: يا رسول الله، ابعث معنا رجلاً يعلمنا القرآن ويدعو الناس إلى أمرك. وكان مصعب بن عمير بن هاشم فتى حدثاً مترفاً بين أبويه يكرمانه ويفضلانه على أولادهم، فلما أسلم جفاه أبواه، ولم يخرج من مكة فكان مع رسول الله في الشعب حتى تغير وأصابه الجهد، وقد كان تعلم من القرآن كثيراً. فأمره رسول الله ﷺ بالخروج مع أسعد فخرج هو مع أسعد إلى المدينة، فكان نازلاً على أسعد بن زرارة، يخرج معه في كل يوم يطوف على مجالس الخزرج يدعوهم إلى الاسلام فيجيبه من كل بطن الرجل والرجلان من الأحداث.

فقال أسعد لمصعب: إن خالي سعد بن مُعَاذٍ من رؤساء الأوس، وهو رجل عاقل شريف مطاع في بني عمرو بن عوف، فان دخل في هذا الأمر تم لنا أمرنا، فهلّم نأتي محلّتهم.

فجاء مصعب مع أسعد إلى محلة سعد بن مُعَاذٍ. فبلغ ذلك سعد بن مُعَاذٍ فقال لأسيّد بن حُضَيْرٍ وكان من أشرافهم: بلغني إن أبا أمانة أسعد بن زرارة قد جاء إلى محلّتنا مع هذا القرشيّ يفسد شبابنا، فاته وإنه عن ذلك.

فجاء أسيّد بن حُضَيْرٍ فنظر إليه أسعد فقال لمُصْعَبِ بن عمير: إن هذا

الرجل شريف، فان دخل في هذا الأمر رجوت أن يتم أمرنا فاصدق الله فيه .

فلما قرب أسيد منهم قال : يا أبا أمامة، يقول لك خالك : لا تأتتا في نادينا ولا تفسد شبابنا واحذر الأوس على نفسك !
فقال مصعب : أو تجلس فنعرض عليك أمراً فان أحببته دخلت فيه وإن كرهته نحينا عنك ما تكرهه . فجلس، فقرأ عليه سورة من القرآن .
فقال : كيف تصنعون اذا دخلتم في هذا الأمر ؟ قال : نغتسل ونلبس ثوبين طاهرين ونشهد الشهادتين ونصلي ركعتين .

فرمى بنفسه مع ثيابه في البئر ثم خرج وعصر ثوبه ثم قال : اعرض عليّ . فعرض عليه : شهادة أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله . فقالها، ثم صلى ركعتين، ثم قال لأسعد : يا أبا أمامة، أنا أبعث اليك الآن خالك واحتال عليه في أن يجيئك !

فرجع أسيد الى سعد بن معاذ، فلما نظر اليه سعد قال : أقسم أن أسيداً قد رجع إلينا بغير الوجه الذي ذهب به من عندنا !^(١)

فلما وقف على النادي قال له سعد : ما فعلت ؟ قال : كلمت الرجلين فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا : نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا الى أسعد بن زرارة ليقتلوه ! - وذلك أنهم قد عرفوا أنّه ابن خالتك - ليخفروك !

فقام سعد مغضباً مبادراً تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، فأخذ الحربة من يد أسيد ثم قال : والله ما أراك أغنيت شيئاً ! ثم خرج اليهما .

(١) إعلام الوري : ٥٥ - ٥٨ وليس في التفسير .

فلما رآه أسعد قال لمصعب: أي مصعب، جاءك -والله- سيّد من وراءه من قومه إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان!
ولما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيّداً أنما أراد منه أن يسمع منها، فوقف عليهما متشمتاً وقال لأسعد: يا أبا أمامة، أمّا والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمتَ هذا منّي! أتغشانا في ديارنا بما نكره؟! فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فان رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وان كرهت عزلنا عنك ما تكره؟

قال سعد: أنصفت. ثمّ ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الاسلام وقرأ عليه من القرآن^(١) ﴿حَمْدُ تَنْزِيلِ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾^(٢) فلما سمعها بعث الى منزله فأتى بثوبين طاهرين فاغتسل وشهد الشهادتين وصلى ركعتين، ثمّ قام وأخذ بيد مصعب وحولّه اليه وقال: أظهر أمرك ولا تهابن أحداً.
ثمّ جاء فوقف في بني عمرو بن عوف وصاح: يا بني عمرو بن عوف، لا يبقين رجل ولا امرأة ولا بكر ولا ذات بعل ولا شيخ ولا صبيّ إلا أن يخرج، فليس هذا يوم ستر ولا حجاب.

فلما اجتمعوا قال: كيف حالي عندكم؟ قالوا: أنت سيدنا والمطاع فينا ولا نردّ لك أمراً فُرنا بما شئت.

فقال: كلام رجالكم ونسائكم وصبيانكم عليّ حرام حتّى تشهدوا أن لا إله إلا الله وأنّ محمّداً رسول الله، والحمد لله الذي أكرمنا بذلك، وهو الذي كانت اليهود تخبرنا به.

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٧٨.

(٢) فُصِّلَتْ: ١ - ٢.

فما بقي دار من دور بني عمرو بن عوف في ذلك اليوم إلا وفيها مسلم أو مسلمة. وشاع الإسلام بالمدينة وكثر، ودخل فيه من البطينين أشرافهم، وذلك لما كان عندهم من أخبار اليهود.

وكتب مصعب إلى رسول الله بأن الأوس والخزرج قد دخلوا في الإسلام، فلما بلغ ذلك رسول الله أمرهم بالخروج إلى المدينة، فكانوا يتسللون إليها رجلاً رجلاً، فينزلهم الأوس والخزرج عندهم ويواسونهم^(١). روى ذلك الطبرسي في «إعلام الوري» عن علي بن إبراهيم القمي، ولا يوجد الخبر في الموجود المطبوع من تفسيره، وروى في تفسيره «مجمع البيان» عن ابن سيرين (ت ١١٠) قال: اجتمع الأنصار إلى أسعد بن زرارة وقالوا له: لليهود يوم يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى يوم أيضاً مثل ذلك، فلنجعل يوماً نجتمع فيه فنذكر الله عز وجل ونشكره. فليهود يوم السبت وللنصارى يوم الأحد فاجعلوا يومنا يوم العروبة (وهي اسم الجمعة في الجاهلية فتوافقوا عليه).

فاجتمعوا فيه إلى أسعد بن زرارة، فذبح لهم شاة، ثم ذكّرهم وصلّى بهم، ثم تغدّوا وظلّوا حتّى تعشّوا عنده من تلك الشاة، وذلك لقلّتهم، فسمّوه يوم الجمعة لاجتماعهم إليه فيه. فهذه أوّل جمعة جمّعت في الإسلام^(٢) حيث صلّوا فيه مع أسعد بن زرارة فريضة ظهر يوم الجمعة جماعة، قبل

(١) إعلام الوري: ٥٨، ٥٩. وقد مرّ الخبر ضمن أخبار حصار الشعب، ولكنّي كررته هنا إبرازاً لدور أسعد بن زرارة الخزرجي وسعد بن مُعاذ الأوسي في انتشار الإسلام في المدينة. والخبر في سيرة ابن هشام ٢: ٧٧ - ٨٠ باختلاف في بعض الألفاظ.

(٢) مجمع البيان ١٠: ٤٣٢.

قدوم الرسول وتشريع صلاة الجمعة والخطبتين قبلها .

وروى ابن اسحاق بسنده عن كعب بن مالك الأنصاري قال : كان (أسعد بن زرارة) أول من جمع بنا بالمدينة في هزم (بني) النبيت من حرّة بني بياضة في نقيع يقال له : نقيع الخضبات . وهم يومئذ أربعون رجلاً^(١) . ولعلّه كان بعد رجوع مصعب بن عمير الى مكّة قبل بيعة العقبة الثانية^(٢) .

كانت الصلاة يومئذ الى بيت المقدس:

قال ابن اسحاق : فلما انصرف عنه القوم (من بيعة العقبة الأولى) بعث رسول الله معهم مصعب بن عمير بن هاشم ، وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الاسلام ويفقههم في الدين ... وكان يصلي بهم^(٣) ولم يقل عن القبلة شيئاً .

ولكنه روى عن مُعبد بن كعب ، عن أخيه عبد الله بن كعب ، عن أبيه كعب بن مالك (الخرجي) قال : ما بلغنا أن نبيتنا يصلي إلا الى الشام فكُنّا اذا حضرت الصلاة صلينا الى الشام (يعني القدس) ... فلما خرجنا من المدينة في حجاج قومنا ... وتوجّهنا لسفرنا ... وسيّدنا وكبيرنا البراء ابن معرور ، قال لنا : يا هؤلاء ، إني قد رأيت رأياً فوالله ما أدري أتوافقوني عليه أم لا ؟! قلنا : وما ذاك ؟ قال : قد رأيت أن لا أدع هذه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٧ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٨١ .

(٣) سيرة ابن هشام ٢ : ٧٦ ، ٧٧ .

الفصل الثامن / بيعة العقبة وانتشار الإسلام في المدينة ٧٠٩

الْبَيْتَةِ (الكعبة) بظهري بل أصلي إليها . فقلنا : والله ما بلغنا أَنَّ نَبِيَّنَا يصلي إلَّا إلى الشام وما نريد أن نخالفه . فكنا إذا حضرت الصلاة صلينا إلى الشام ، وصَلَّى هو إلى الكعبة ، وقد عينا عليه ما صنع ، وأبى إلَّا الإقامة على ذلك وقال : إِنِّي لمصلِّ إليها ... حتَّى قدمنا مكَّة .

فلَمَّا قدمنا مكَّة قال لي : يا بن أخي لقد وقع في نفسي ممَّا صنعت في سفري شيءٌ ؛ لما رأيت من خلافكم إِيَّاي فيه ، فانطلق بنا إلى رسول الله حتَّى نسأله عما صنعتُ .

وكان العباس بن عبد المطلب عم النبيِّ يَقدِّم علينا تاجرًا ، فكنا نعرف العباس (ويعرفنا) وكنا لا نعرف رسول الله ولم نره قبل ذلك ، فخرجنا نسأل عنه ، فلقينا رجلًا من أهل مكَّة فسألناه عن رسول الله ، فقال : هل تعرفانه ؟ فقلنا : لا ، فقال : فهل تعرفان العباس عمَّه ؟ قلنا : نعم ، قال : فاذا دخلتما المسجد فهو الرجل الجالس مع العباس .

فدخلنا المسجد ، فاذا العباس جالس ، ورسول الله جالسٌ معه . فسَلَّمنا ثمَّ جلسنا إليه . فقال رسول الله للعباس : هل تعرف هذين الرجلين يا أبا الفضل ؟ قال : نعم ، هَذَا الْبَرَاء بن معرور سيِّد قومه ، وهَذَا كعب بن مالك ، فقال رسول الله : الشاعر ؟ قال العباس : نعم .

فقال له الْبَرَاء بن معرور : يا رسول الله ، قد هداني الله للإسلام ، وقد خرجت في سفري هَذَا ، فرأيت أن لا أجعل هذه الْبَيْتَةَ بظهري فصليت إليها ، وخالفني أصحابي في ذلك حتَّى وقع في نفسي من ذلك شيءٌ ، فاذا ترى يا رسول الله ؟

قال : قد كنت على قِبْلَةٍ لو صبرتَ عليها . فرجع الْبَرَاء إلى قِبْلَةِ

رسول الله صلى معنا الى الشام^(١).

كان العباس يحضر النبي ويتوثق له:

وكما روى ابن اسحاق هنا عن معبد بن كعب عن أخيه عبد الله بن كعب عن أبيه كعب بن مالك الخزرجي: أن العباس كان يجالس رسول الله ﷺ في المسجد الحرام أيام الموسم ويعرفه بالناس... يستمر فيروي عنه: أنه ﷺ جاءنا - في العقبة الثانية - ومعه عمه العباس بن عبد المطلب وهو يومئذ على دين قومه، الا أنه أحب أن يحضر أمر ابن أخيه ويتوثق له.

فلما جلس كان أول من تكلم العباس فقال: يامعشر الخزرج: إن محمداً منا حيث قد علمتم، وقد منعناه من قومنا ممن هو على مثل رأينا فيه، فهو في عز من قومه ومنعة في بلده (!؟) وانه قد أبى إلا الانحياز اليكم واللاحق بكم (?) فان كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه ومانعوه ممن خالفه، فانتم وما تحملت من ذلك، وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه بعد الخروج به اليكم، فن الآن فدعوه، فإنه في عز ومنعة من قومه وبلده (!؟).

فقلنا له: قد سمعنا ما قلت. فتكلم يا رسول الله فخذ لنفسك ولربك ما أحببت.

فتكلم رسول الله فثلا القرآن ودعا الى الله ورغب في الاسلام ثم

قال : أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم^(١).
ثم يروي عن عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ قومه قالوا : إنَّ
القوم لما اجتمعوا لبيعة رسول الله -صلى الله عليه وآله- وسلم - قال
العباس بن عباد بن نضلة الأنصاري : يا معشر الخزرج ، هل تدرون علام
تبايعون هذا الرجل ؟ قالوا : نعم ، قال : إنكم تبايعونه على حرب الأحرار
والأسود من الناس ، فان كنتم ترون أنكم إذا نُهكت أموالكم مصيبةً
وأشرافكم قتلاً أسلمتموه فمن الآن ، فهو -والله إن فعلتم- خزي الدنيا
والآخرة ، وإن كنتم ترون أنكم وافون له بما دعوتوه اليه على نهكة الأموال
وقتل الأشراف فخذوه ، فهو -والله- خير الدنيا والآخرة .
قالوا : فإنا نأخذه على مصيبة الأموال وقتل الأشراف . فإلنا بذلك
يا رسول الله إن نحن وفينا بذلك ؟ قال : الجنة . قالوا : أبسط يدك ، فبسط
يده فبايعوه .

وما قال ذلك العباس الا ليشدّ العقد لرسول الله في أعناقهم^(٢).
وكأنه يروي الخبر كذلك عن عبد الله بن أبي بكر ، وأنه قال في آخر
الخبر : قال ذلك العباس ليؤخر القوم تلك الليلة رجاء أن يحضرها عبد الله
ابن أبي بن سلول ، فيكون أقوى لأمر القوم^(٣) وكان ابن اسحاق تخیل
اختلافاً بين القولين فقال : فالله أعلم أي ذلك كان .
فان كان بين القولين خلاف في ارادة العباس بن عباد بقوله ذلك

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٤ .

(٢) سيرة ابن هشام ٢ : ٨٨ ، ٨٩ .

(٣) ابن هشام ٢ : ٨٩ .

تأخير القوم تلك الليلة يرجو أن يحضرها عبد الله بن أبي بن سلول . فلا خلاف في أنه قال ذلك ليشدّ العقد لرسول الله ويقوي أمره وأمرهم ، سواء أراد ذلك من خلال حضور ابن سلول أم لا . هذا ، ولكن قول ابن أبي بكر يدل على أن طلب رسول الله منهم البيعة على «بيعة الحرب» لم يكن طلباً قد تقدّم به الى القوم من ذي قبل بل كأنه فاجأهم أو فاجأ جمعهم بذلك . وتتقارب مقالة العباس بن عباد مع مقالة العباس بن عبد المطلب ، وكلاهما يريد شدّ العقد لرسول الله ويتوثق له ، فيقول أحدهم : وإن كنتم ترون أنكم مسلموه وخاذلوه فمن الآن فدعوه . ويقول الآخر : فان كنتم ترون أنكم اذا... أسلمتموه فمن الآن . وكلّ من المقاتلين للرجلين في روايتين ، ولا تجمعهما رواية واحدة . فهل كان كلاهما ؟ أو أحدهما ؟ وان كان أحدهما فهل هو العباس بن عباد أو العباس بن عبد المطلب ؟ وهل صحيح ما جاء فيما روي عن العباس عمّ النبي ﷺ أنه في عزّ من قومه ومنّة في بلده ؟! وأنه قد منّعه عن قومه ممن هو على مثل رأيه ؟! كما في النص . وهل صحيح أنه : أبي الا الانحياز الى الخزرج واللاحق بهم ؟! وهل كانت هجرته مجاهراً بها منذ بيعة العقبة الثانية ؟! بل يقول ابن اسحاق : وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج والهجرة من مكة الى المدينة^(١) .

أم أن الصحيح هي رواية عاصم بن عمر بن قتادة عن أشياخ قومه ورواية عبد الله بن أبي بكر ، وأن المتكلم كان العباس بن عباد ، لا العباس بن عبد المطلب على رواية معبد بن كعب . ولا ننسى أن هذه

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١١ .

السيرة لابن اسحاق اختصره من كتابه الكبير في التاريخ الذي صنّفه للمهديّ بن المنصور العبّاسي بأمر المنصور^(١).

قصة صنم عمرو بن الجَموح:

ومن القصص المروية في أخبار إسلام الأنصار: قصة معاملة مُعَاذ بن عمرو بن الجَموح مع صنم أبيه عمرو بن الجَموح، قالوا: كان الأشراف يتخذون لأنفسهم آلهة يطهّرونها ويعظّمونها، وكان عمرو بن الجَموح سيّداً من سادات بني سلمة وشريفاً من أشرافهم، وكان قد اتّخذ في داره صنماً من خشب يسمّيه مناة (أي الآلهة التي يُمنى أي يراق لديها الدماء قرباناً لها) وكان ابنه مُعَاذ بن عمرو بن الجَموح ممّن شهد العقبة وباع رسول الله بها، فكان هو وأصحابه يُدلجون بالليل على صنم عمرو بن الجَموح فيحملونه فيطرحونه في بعض حُفَر بني سلمة منكّساً على رأسه. فإذا أصبح عمرو غدا يلتمسّه، حتّى إذا وجده غسله وطهّره وطيّبه. فإذا أمسى عمرو عدّوا عليه ففعلوا به مثل ذلك، فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الأذى، فيغسله ويطهّره ويطيّبه. ثمّ إذا أمسى يعدّون عليه فيفعلون به مثل ذلك، فاستخرجه من حيث ألّفوه فغسله وطهّره وطيّبه، ثمّ جاء بسيفه فعلقه عليه ثمّ قال له: إني والله ما أعلم من يصنع بك ما ترى، فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك. فلمّا أمسى ونام عمرو، عدّوا عليه فأخذوا

(١) مقدمة سيرة ابن هشام ١: ط، ي. وزاد عليه اليعقوبي - مولى بني العباس - فقال: قال العباس للنبيّ: دعني فذاك أبي وأمي آخذ العهد عليهم، فجعل ذلك اليه، فأخذ عليهم اليهود والمواثيق. اليعقوبي ٢: ٣١.

٧١٤ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

السيف من عنقه ثم ألقيه في بئر من آبار بني سلمة ثم أخذوا كلباً ميتاً
فقرنوه به بحبل. فلما غدا عمرو خرج تتبعه حتى وجدته في تلك البئر منكساً
مقروناً بكلب ميت، فلما أبصره ورآه قال يذكر صنمه ذلك وما أبصر من
أمره:

والله لو كنت الهاء لم تكن أنت وكلب وشط بئر في قرن
أف لقاءك الهاء مستدن الآن فتشناك عن سوء الغبن
وكلمه من أسلم من رجال قومه، فأسلم برحمة الله وحسن اسلامه^(١).

(١) سيرة ابن هشام ٢: ٩٥، ٩٦.

الفصل التاسع

هجرة المسلمين الى المدينة

إِذْنِ النَّبِيِّ ﷺ لِأَصْحَابِهِ بِالْهَجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ:

قال ابن شهر آشوب: كان النبي ﷺ لم يؤمر إلا بالدعاء والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل، فطالت قريش على المسلمين، فلما كثر عتوهم أمر بالهجرة فقال ﷺ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ جَعَلَ لَكُمْ دَاراً تَأْمَنُونَ بِهَا وَآخِواناً.

فخرجوا أرسالاً، حتى لم يبق مع النبي إلا علي عليه السلام وأبو بكر^(١). وقال قبله محمد بن اسحاق: كان رسول الله -صلى الله عليه وآله وسلم- قبل بيعة العقبة لم يؤذن له في الحرب ولم تحلل له الدماء، إنما كان يؤمر بالدعاء إلى الله والصبر على الأذى والصفح عن الجاهل. وكانت قريش قد اضطهدت من اتبعه من المهاجرين حتى فتنوهم عن دينهم ونفوسهم من بلادهم، فهم بين مفتون في دينه، وبين معذب في

(١) مناقب آل أبي طالب ١: ١٨٢.

أيديهم وبين هارب في البلاد فراراً منهم: منهم من بأرض الحبشة، ومنهم من بالمدينة، وفي كل وجه.

فلما عتت قريش على الله عز وجل وردوا عليه ما أرادهم به من الكرامة، وكذبوا نبيّه -صلى الله عليه وآله وسلم-، وعذبوا ونفوا من عبده ووحدده وصدق نبيّه واعتصم بدينه، أذن الله عز وجل لرسوله في (أخذ البيعة) للقتال والانتصار ممن ظلمهم وبغى عليهم...

لما أذن الله تعالى له في (أخذ البيعة) للحرب، وبايعه هذا الحي من الأنصار على الاسلام والنصرة له ولمن تبعه وأوى اليهم من المسلمين، أمر رسول الله أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج الى المدينة والهجرة اليها واللحوق بإخوانهم من الأنصار، وقال لهم: إن الله عز وجل قد جعل لكم إخواناً وداراً آمناً بها. فخرجوا أرسالاً (جمعاً فجمعاً). وأقام رسول الله بمكة ينتظر أن يأذن له ربه في الخروج من مكة والهجرة الى المدينة^(١).

هجرة أبي سلمة الى المدينة:

كان من المسلمين المهاجرين الى الحبشة: أبو سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومي مع أم سلمة، ومرّ أن عدداً منهم لما سمعوا باسلام جمع من قريش رجعوا الى مكة فوجدوا الخبر كاذباً، وأخذهم المشركون ليعذبوهم،

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١١٠، ١١١. ومن المقارنة بين عبارة ابن شهر آشوب وابن اسحاق يبدو أن كلام ابن شهر آشوب انما هو مختصر ما ذكره ابن اسحاق، من دون اسناد.

فتفرّقوا. منهم أبو سلمة.

وقال ابن اسحاق في النصّ السابق: منهم من بأرض الحبشة ومنهم من بالمدينة وفي كل وجه. ويفهم منه أن منهم من هاجر الى المدينة قبل بدء الهجرة وقبل بيعة العقبة، وصرّح به ابن هشام فقال: كان قدم على رسول الله من أرض الحبشة، فلما آذته قريش وبلغه اسلام من أسلم من الأنصار (في اللقاء الأوّل قبل العقبة الاولى) هاجر الى المدينة قبل بيعة أصحاب العقبة بسنة.

ثمّ روى ابن اسحاق عن أبيه عن سلمة بن عبد الله عن أبيه عبد الله ابن عمر عن امه أم سلمة قالت: لما أجمع ابو سلمة على الخروج الى المدينة جهّز لي بعيره فأركبني ومعي ابني سلمة في حجري، ثمّ خرج يقود بعيري. فلما رآته رجال بني مخزوم قاموا اليه فقالوا: هذه نفسك غلبتنا عليها، فعلام نتركك تسير بصاحبتك؟! ثمّ نزعوا خِطام البعير من يده فأخذوني منه. وقال رهط أبي سلمة: اذ نزعتموها من صاحبنا فلا نترك ابننا عندها. فتجادبوا بُني سلمة بينهم حتّى خلعوا يده وانطلق به رهط أبي سلمة. وحبسني أهلي عندهم. وانطلق زوجي أبو سلمة الى المدينة. قال: فكنت أخرج كلّ غداة فأجلس بالأبطح فما أزال أبكي حتّى أمسي، سنة أو قريباً منها.

حتّى مرّ بي رجل من بني عمّي فرأى ما بي فرحماني، فقال لهم: ألا تُخرجون هذه المسكينة، فرّقتم بينها وبين زوجها وبين ولدها؟ فعند ذلك ردّوا إليّ ابني وقالوا لي: إن شئت فالحي بزوجك.

قالت: فارتحلت بعيري وابني في حجري، وخرجت أريد زوجي بالمدينة وما معي أحد من خلق الله، وانما قلت (في نفسي): أتبلّغ بمن لقيت

حتّى أقدم على زوجي . فلمّا كنت بالتنعيم (على فرسخين من مكّة) لقيت عثمان بن طلحة من بني عبد الدار فقال لي : يا بنت أبي أمية الى أين ؟ فقلت : أريد زوجي بالمدينة . قال : أوّما معك أحد ؟ قلت : لا والله الا الله وابني هذا . فقال : والله مالي أن أتركك ، ثمّ أخذ بخطام البعير فانطلق بي ، حتّى اذا بلغ المنزل أناخ بي ثمّ تأخر عني ، حتّى اذا نزلت أخذ بعيري فحطّ عنه ثمّ قيّده في شجرة ، ثمّ تنحّى عني الى شجرة فاضطجع تحتها . فاذا دنا الرّواح قام الى بعيري فقدمه ثمّ تأخّر عني وقال : اركبي ، فاذا ركبت أتى فأخذ بخطامه فقاده ، فلم يزل يصنع ذلك بي حتّى أقدمني المدينة ، فلمّا نظر الى قرية بني عمرو بن عوف بقباء ، قال : زوجك في هذه القرية فادخلها على بركة الله . ثمّ انصرف راجعاً الى مكّة^(١) .

المهاجرون بعد أبي سلمة:

ثمّ قدم المدينة من المهاجرين بعد أبي سلمة : عامر بن ربيعة ومعه امرأته ليلى بنت أبي حثمة .
ثمّ عبد الله بن جحش مع أهله وأخيه عبد بن جحش وكان شاعراً
ضريّر البصر ، وكان صهر أبي سفيان على ابنته الفرعة ، وكانوا حلفاء بني أميّة . وقال في ذلك شعراً .
فكان منزل أبي سلمة ، وعامر بن ربيعة ، وعبد الله بن جحش ، وأخيه عبد بن جحش على مُبَشَّر بن عبد المنذر من بني عمرو بن عوف في

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٢ ، ١١٣ بتصرف يسير في الألفاظ .

قُبَاء^(١).

ثمَّ خرج عمر بن الخطَّاب، وعياش بن أبي ربيعة المخزومي، فروى ابن اسحاق عن نافع مولى عبد الله بن عمر، عن عبد الله بن عمر، عن أبيه عمر قال: لما أردنا الهجرة الى المدينة أنا وعياش بن أبي ربيعة وهشام ابن العاصي بن وائل السهمي، تواعدنا (أشجار) التناضب فوق (منزل) سرف (على ستة أميال من مكّة) وقلنا: أيّنا لم يصبح عندها فقد حُبِس فليمض أصحابه. فأصبحت أنا وعياش بن أبي ربيعة عند (أشجار) التناضب، وحُبِس عَنَّا هشام وقتن فافتتن.

فلما قدمنا المدينة نزلنا في بني عمرو بن عوف في قُبَاء.

وكان عياش بن أبي ربيعة المخزومي ابن عمّ أبي جهل بن هشام المخزومي بل أخاه لأُمّه، فخرج أبو جهل وأخوه الحارث حتّى قدما علينا المدينة، وقالوا له: إن امك قد نذرت أن لا يمسّ رأسها مشط ولا تستظلّ من شمس حتّى تراك! فقلت له: يا عياش إنه والله إن يريدك القوم الا ليفتنوك عن دينك فاحذرهم. فقال: أبر قسمي ولي هناك مالٌ فأخذه، فأبى الا أن يخرج معها.

فخرج معها، حتّى اذا كانوا ببعض الطريق قال له أبو جهل: يا أخي والله لقد استغلظتْ بعيري هذا أفلا تُعقِبنِي على ناقتك هذه؟ قال: بلى. فأناخ وأناخا ليتحوّل، فلما استنوا بالأرض عدوا عليه فأوثقاه وربطاه، ثمّ دخلا به مكّة وفتناه فافتتن.

وكان عمر بن الخطَّاب حين قدم المدينة قد نزل على رفاعه بن عبد

(١) سيرة ابن هشام ٢: ١١٢ - ١١٦.

المنذر من بني عمرو بن عوف في قُباء، ولحق به من أهله وقومه : اخوه زيد ابن الخطّاب، وصهره خُنيس بن حُذافة السهمي، وحُلفاؤهم : واقد بن عبد الله التيمي، وخَوَلِيّ بن أبي خَوَلِيٍّ وأخوه مالك، وسعيد بن زيد وإياس بن بُكير، وإخوانه : عاقل وعامر وخالد. ونزل عثمان بن عفّان على أوس بن ثابت أخي حسان بن ثابت من بني النجار.

وهاجر عبد الرحمن بن عوف فنزل على سعد بن الربيع الخزرجي .
وهاجر صُهيّب بن سنان (الرومي) فروى ابن هشام عن أبي عثمان النهدي قال : لما اراد صهيّب الهجرة قال له كفار قريش : أتيتنا صُعلوكاً حقيراً فكثّر مالك عندنا وبلغت الذي بلغت ثم تريد ان تخرج بمالك ونفسك؟! والله لا يكون ذلك! فقال لهم صُهيّب : أرايتم إن جعلت لكم مالي أتخلّون سبيلي؟! قالوا : نعم. قال : فاني جعلت لكم مالي. ثم هاجر فنزل على خُبيب بن أساف الخزرجي بالسُنخ ومعه طلحة بن عبيد الله. فلما بلغ رسول الله أمر صُهيّب قال : رَبح صُهيّب! ربح صُهيّب!
ونزل الزبير بن العوّام على منذر بن محمّد من بني جحّجَبي بالعُصبة، ومعه أبو سبرة. ونزل : مُصعب بن عُمير بن هاشم على سعد بن مُعاذ (هذه المرة).

وهاجر من بني عبد المطلب : حمزة بن عبد المطلب فنزل على أسعد ابن زرارة (مكان مصعب). وهاجر معه موالى رسول الله : زيد بن حارثة وأبو كبشة، وأنسة، وحليفا حمزة : ابو مرثد الغنوي وابنه مرثد، فنزلوا على كلثوم بن هدم من بني عمرو بن عوف في قُباء، أو : سعد بن خَيْثمة، وكان عزباً فنزل عليه العُزّاب منهم.

ومن بني المطلب : مسطح بن أثاثة بن عبّاد بن المطلب، وبنو الحارث

ابن المطلب . عبيدة وأخواه الطفيل والحُصين . ومعهم سُويبط بن سعد من بني عبد الدار، وطليب بن عمير، وخَبَّاب (بن الأَرْت) مولى عتبة بن غزوان، فنزلوا على عبد الله بن سلمة في قُباء .

ونزل مولى خَبَّاب : عتبة بن غزوان وابو حذيفة عتبة بن ربيعة، وسالم مولاه، على عباد بن بشر من بني عبد الأشهل .

ولم يتخلف بمكة أحد من المهاجرين الا من حُبِس أو فتن، الا عليّ ابن أبي طالب وأبو بكر بن أبي قحافة . وأقام رسول الله بمكة بعد أصحابه من المهاجرين ينتظر أن يؤذن له في الهجرة^(١) .

وعُلم من هنا أن حمزة بن عبد المطلب، وعبيدة بن الحارث بن المطلب وأخوانه وموالي رسول الله : زيد بن حارثة وأبا كبشة وأنسة كانوا قد هاجروا، ولعلّ ذلك كان قبل بيعة العقبة الاولى فضلاً عن الثانية ولذلك لا يوجد لهم ذكر أو أثر فيها، بل روى ابن اسحاق أنّ العباس حضرها يتوثق لابن أخيه وهو عليّ دين قومه، وقد مرّ الكلام فيه .

وقد ذكر عن ابن عباس قال : كان أبي من المستضعفين من الرجال، وأمّي كانت من المستضعفات من النساء، وكنتُ أنا من المستضعفين من الولدان، غلاماً صغيراً^(٢) ويقصد بالمستضعفين قوله سبحانه : ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانَ لَا

(١) سيرة ابن هشام ٢ : ١١٨ - ١٢٣ .

(٢) جمع البيان ٣ : ١٥٠ .

٧٢٤ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً فاولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان
الله عفواً غفوراً ﴿١﴾ فإن صحّ قوله عن نفسه وأمه فالله أعلم بأبيه .

الفصل العاشر

المؤامرة لقتل النبي ﷺ

شورى دار الندوة:

روى العياشي في تفسيره عن زرارة وحران ومحمد بن مسلم عن أحدهما عليهما السلام قال: إن قريشاً اجتمعت فخرج من كل بطن أناس، فانطلقوا إلى دار الندوة ليشاوروا فيما يصنعون برسول الله صلى الله عليه وآله، فإذا هم بشيخ قائم على الباب، واذ ذهبوا ليدخلوا قال: أدخلوني معكم. قالوا: ومن أنت؟ يا شيخ، قال: أنا شيخ من مضر، ولي رأي أشير به عليكم.

فدخلوا وجلسوا وتشاوروا وهو جالس، وأجمعوا أمرهم على أن يخرجوه.

فقال: ليس هذا لكم برأي، إن أخرجتموه أجلب عليكم الناس فقاتلوكم.

قالوا: صدقت ما هذا برأي. ثم تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يؤثقوه.

قال: هذا ليس بالرأي، إن فعلتم هذا، ومحمد رجل حلو اللسان

أفسد عليكم أبناءكم وخدمكم، وما ينفع أحدكم اذا فارقه أخوه وابنه أو امرأته؟!

ثمّ تشاوروا فأجمعوا أمرهم على أن يقتلوه، يُخرجون من كل بطن منهم بشاب فيضربونه بأسياقهم جميعاً^(١).

وروى الصدوق في «الخصال» بسنده عن جابر الجعفي عن الباقر عن علي عليه السلام قال: إنّ قريشاً لم تزل تحيل الآراء وتعمل الحيل في قتل النبيّ حتّى كان آخر ما اجتمعت عليه في يوم الدار دار الندوة... فلم تزل تضرب أمرها ظهراً لبطن حتّى اجتمعت آراؤها على أن ينتدب من كلّ فخذ من قريش رجل، ثمّ يأخذ كلّ رجل منهم سيفه ثمّ يأتي النبيّ وهو نائم على فراشه، فيضربونه جميعاً بأسياقهم ضربة رجل واحد فيقتلوه، فاذا قتلوه منعت قريش رجالها ولم تسلمهم، فيمضي دمه هذراً^(٢).

وقال القمي في تفسيره: اجتمعوا في دار الندوة، وكان لا يدخل دار الندوة إلّا من أتى عليه أربعون سنة، فدخلوا أربعون رجلاً من مشايخ قريش.

وجاء ابليس في صورة شيخ كبير، فقال له البوّاب: من أنت؟ فقال: أنا شيخ من أهل نجد^(٣)، لا يعدمكم مني رأي صائب، إني حيث بلغني

(١) تفسير العياشي ٢ : ٥٤.

(٢) الخصال : ٣٦٧.

(٣) نقل السهيلي في (الروض الأتف) عن بعض أهل السيرة أنهم قالوا: لا يدخلن معكم في المشاورة أحد من أهل تهامة لأن هواهم مع محمّد، فلذلك تمثّل لهم ابليس في صورة شيخ نجدّي. كما عنه في هامش سيرة ابن هشام ٢ : ١٢٤، والخبر في السيرة عن ابن عباس.

اجتماعكم في أمر هذا الرجل جئت لأشير عليكم . فقال الرجل : ادخل ، فدخل ابليس .

فلما أخذوا مجلسهم قال أبو جهل : يا معشر قريش ، إنه لم يكن أحد من العرب أعزّ منّا ، نحن أهل الله تغدوا إلينا العرب في السنة مرتين ، ويكرمونا ، ونحن في حرم الله لا يطعم فينا طامع ، فلم نزل كذلك حتّى نشأ فينا محمد بن عبد الله ، فكنا نسمّيه الأمين لصلاحه وسكونه وصدق لهجته ، حتّى إذا بلغ ما بلغ واکرمناه ادّعى أنّه رسول الله وأن أخبار السماء تأتيه ، فسفّه أحلامنا وسبّ آهلتنا وأفسد شبابنا وفرّق جماعتنا ، وزعم أنّه من مات من أسلافنا في النار ، فلم يرد علينا شيء أعظم من هذا ! وقد رأيت فيه رأياً .

قالوا : وما رأيت ؟ قال : رأيت أن ندسّ إليه رجلاً منّا ليقتله فان طلبت بنو هاشم بديته أعطيناهم عشر ديات .

فقال الخبيث : هذا رأي خبيث ! قالوا : وكيف ذلك ؟ قال : لأنّ قاتل محمد مقتول لا محالة ، فمن ذا الذي يبذل نفسه للقتل منكم ؟ فانه إذا قتل محمد تعصّب بنو هاشم وحلفاؤهم من خزاعة ، وإنّ بني هاشم لا ترضى أن يمشي قاتل محمد على الأرض فتقع بينكم الحروب في حرمكم وتتفانوا .

فقال آخر منهم : فعندي رأي آخر . قالوا : وما هو ؟ قال : نثبته في بيت ونلقى إليه قوته حتّى يأتي عليه ريب المنون ، فيموت ، كما مات زهير والنابعة وامرؤ القيس .

فقال ابليس : هذا أخبث من الآخر ! قالوا : وكيف ذلك ؟

قال : لأنّ بني هاشم لا ترضى بذلك ، فإذا جاء موسم من مواسم العرب استغاثوا بهم واجتمعوا عليكم فأخرجوه .

قال آخر منهم : لا ، ولكننا نخرجه من بلادنا ونتفرغ لعبادة آلهتنا .
قال ابليس : هذا أخبت من الرأيين المتقدمين ! قالوا : وكيف ذلك ؟
قال :

لأنكم تعمدون الى أصبح الناس وجهاً وأنطق الناس لساناً وأفصحهم
لهجة فتحملونه الى وادي العرب فيخدعهم ويسحرهم بلسانه ، فلا يفجأكم
الا وقد ملأها عليكم خيلاً ورجلاً .

فبقوا جائرين ... ثم قالوا لابليس : فما الرأي فيه يا شيخ ؟ قال : ما
فيه الا رأي واحد .

قالوا : وما هو ؟ قال : يجتمع من كل بطن من بطون قريش واحد ،
ويكون معهم من بني هاشم رجل ، فيأخذون سكيناً أو حديدة أو سيفاً
فيدخلون عليه فيضربونه كلهم ضربة واحدة حتى يتفرق دمه في قريش
كلها فلا يستطيع بنو هاشم أن يطلبوا بدمه وقد شاركوا فيه ، فان سألوكم
أن تعطوا الدية فاعطوهم ثلاث ديات . فقالوا : نعم وعشر ديات ... ثم
قالوا : الرأي رأي الشيخ النجدي . ونزل جبرئيل على رسول الله وأخبره
الخبر^(١) .

وروى الطوسي في أماليه بسنده عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن
ياسر حديثاً في مبيت علي عليه السلام على فراش رسول الله وهجرته الى المدينة ،
صدره عن سنان بن أبي سنان عن هند بن أبي هالة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله
من خديجة ، وسأله عن أبيه محمد بن عمار عن أبيه عمار بن ياسر ، وعن
عبيد الله بن أبي رافع عن أبيه أبي رافع مولى النبي صلى الله عليه وآله ، قالوا :

انطلق ذوو الطول والشرف من قريش الى دار الندوة ليرتأوا ويأتمروا في رسول الله ﷺ وأسروا ذلك فيما بينهم .

فقال بعضهم -وهم العاص بن وائل السهمي وأمّية بن أبي خلف الجُمحي- نبني له علماً ويترك بَرَحاً نستودعه فيه، فلا يخلص اليه أحد من الصُّبابة فيه، ولا يزال في رفق من العيش حتّى يتضيّفه ريب المنون .

فقال أبو سفيان وعتبة وشيبة ابنا ربيعة: إنا نرى أن تُرحل بعيراً صعباً ونوثق محمّداً عليه كتافاً وشدّاً، ثمّ نقصع البعير بأطراف الرماح فيوشك أن يقطعه بين الدكادك ارباً ارباً!

فقال صاحب رأيهم: إنكم لم تصنعوا بقولكم هذا شيئاً، رأيتم إن خلص به البعير سالماً الى بعض الأفاريق فأخذ بقلوبهم سحره وبيانه وطلاقة لسانه فصبا القوم اليه واستجابت القبائل له قبيلة فقييلة، فليسيرن اليكم حينئذٍ بالكتائب والمقائب، فلتهلكنّ كما هلكت ايام ومن كان قبلكم . قولوا قولكم .

فقال أبو جهل: لكن أرى لكم أن تعمدوا الى قبائلكم العشرة فتندبوا من كل قبيلة منها رجلاً نجداً، ثمّ تسلّحوا سلاحاً عضباً، وتتمهدّ الفتية حتّى اذا غسق الليل وغور يئّثوا بآبن أبي كبشة بيّاتاً، فيذهب دمه في قبائل قريش جميعاً، فلا يستطيع بنو هاشم وبنو المطلب مناهضة قبائل قريش في صاحبهم، فيرضون حينئذٍ بالعقل^(١) منهم .

فقال صاحب رأيهم أصبت يا أبا الحكم . ثمّ أقبل عليهم فقال: هذا الرأي فلا تعدلنّ به رأياً، وأوكتوا في ذلك أفواهكم حتّى يستتبّ أمركم . ثمّ

(١) العقل هنا: الدية، ومنه عاقلة الرجل .

خرج القوم .

فسبقهم جبرئيل بالوحي بما كان من كيدهم .

علي عليه السلام والمبيت في فراش النبي صلى الله عليه وآله:

لما أخبر النبي جبرئيل عليه السلام بأمر الله في ذلك ووحيه وما عزم له من الهجرة، دعا رسول الله علي بن أبي طالب لوقته فقال له: يا علي، إنَّ الروح هبط عليّ يخبرني أن قريش اجتمعت على المكر بي وقتلي، وإنَّه أوحى الي عن ربِّي عزوجل أن أهجّر دار قومي وأن أنطلق الى غار ثور تحت ليلتي، وإنه أمرني أن آمرك بالمبيت على مضجعي لتخفي بمبيتك عليه أثري، فما أنت صانع؟

فقال علي عليه السلام: أو تسلمن بميتي هناك يا نبي الله؟ قال: نعم. فتبسّم علي ضاحكاً وأهوى الى الأرض ساجداً شكراً لما أنبأه رسول الله به من سلامته، فكان علي -صلوات الله عليه- أوّل من سجد لله شكراً، وأوّل من وضع وجهه على الأرض بعد سجده من هذه الأمة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.

فلما رفع رأسه قال له علي عليه السلام: إمض بما أمرت، فذاك سمعي وبصري وسويداء قلبي، ومُرني بما شئت... وإن توفيقى الا بالله... فقال له: فارقد على فراشي واشتمل ببردي الحضرمي، ثم اني اخبرك يا علي أن الله تعالى يمتحن أوليائه على قدر إيمانهم ومنازلهم من دينه، فأشدّ الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، وقد امتحنك يابن عم وامتحنني فيك بمثل ما امتحن به خليله ابراهيم والذبيح اسماعيل عليه السلام، فصبراً صبراً، فان رحمة الله قريب من المحسنين، ثم ضمّه النبي صلى الله عليه وآله الى صدره وبكى وجداً به،

وبكى علي عليه السلام جشعاً لفراق رسول الله ﷺ .

كيفية هجرة النبي ﷺ الى المدينة:

واستتبِع رسول الله ﷺ أبا بكر بن أبي قحافة^(١) وهند بن أبي هالة

(١) روى العياشي في تفسيره ١ : ١٠١ عن ابن عباس قال : وجاء أبو بكر -وعلي عليه السلام- نائم - وهو يحسب أنه نبي الله (فلما رآه علياً) قال : أين نبي الله ؟ قال علي : إن نبي الله قد انطلق نحو بئر ميمون ، فأدركه . فانطلق أبو بكر فدخل معه الغار .

وقال الطبري في تاريخه ٢ : ٣٧٤ مشيراً الى هذا : وقد زعم بعضهم : أن أبا بكر أتى علياً فسأله عن نبي الله ، فأخبره : أنه لحق بالغار من ثور وقال : ان كانت لك فيه حاجة فالحقه . فخرج أبو بكر مسرعاً فلحق نبي الله في الطريق ، فسمع جرس أبي بكر في ظلمة الليل فحسبه من المشركين ، فأسرع رسول الله المشي فانقطع قبلاً نعله ففلق إبهامه حجر فكثر دمها ، وأسرع السعي ، فخاف أبو بكر أن يشق علي رسول الله ﷺ فرفع صوته وتكلم فعرفه رسول الله فأقام حتى أتاه ، فانطلقا ، ورجل رسول الله تستنّ دماً حتى انتهى الى الغار مع الصبح فدخلاه .

وأصبح الرهط الذين كانوا يرصدون رسول الله فدخلوا الدار ، وقام علي عليه السلام عن فراشه ، فلما دنوا منه عرفوه فقالوا له : أين صاحبك ؟ قال : لأدري أو كنت رقيباً عليه ، أمرتموه بالخروج فخرج ، فانتهروه وضربوه وأخرجوه الى المسجد فحبسوه ساعة ثم تركوه .

وجاء الحبس في خبر رواه الرضي في «الخصائص» عن علي عليه السلام قال : كنت علي فراش رسول الله وقد طرح علي ريطته ، فأقبلت قريش مع كل رجل منهم هراوة فيها شوكة ، فلم يبصروا رسول الله حيث خرج ، فأقبلوا علي يضربوني بما في أيديهم حتى تنفض جسدي وصار مثل البيض ، ثم انطلقوا بي يريدون قتلي ، فقال بعضهم : لا تقتلوه الليلة ، ولكن أخرّوه واطلبوا محمداً . فأوثقوني بالحديد وجعلوني في بيت

فأمرهما أن يقعدا له بمكان ذكره لهما من طريقه الى الغار. ولبت رسول الله بمكانه مع علي عليه السلام يوصيه ويأمره في ذلك بالصبر حتى صلى العشاءين، ثم خرج في فحمة العشاء الآخرة، والرصد من قريش قد أطافوا بداره ينتظرون أن ينتصف الليل وتنام الأعين، فخرج وهو يقرأ هذه الآية: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فاغشيناهم فهم لا يبصرون﴾^(١) وأخذ بيده قبضة من تراب فرمى بها على رؤوسهم، فما شعر القوم به حتى تجاوزهم ومضى حتى أتى الى هند وأبي بكر فنهضا معهم حتى وصلوا الى الغار، ثم رجع هند الى مكة بما أمره به رسول الله، ودخل رسول الله وأبو بكر الغار.

فلما غلق الليل أبوابه وأسدل أستاره وانقطع الأثر أقبل القوم على علي عليه السلام يقذفونه بالحجارة فلا يشكّون أنه رسول الله حتى اذا برق الفجر

(قرب البيت الحرام) واستوثقوا مني ومن الباب بقفل فبينما أنا كذلك، اذ سمعت صوتاً من جانب البيت يقول: يا علي! فسكن الوجع الذي كنت أجده، وذهب الورم الذي كان في جسدي، ثم سمعت صوتاً آخر يقول: يا علي فاذا الحديد الذي علي قد تقطع، ثم سمعت صوتاً: يا علي، فاذا الباب قد تساقط ما عليه وفتح. فقمتم وخرجت، وقد كانوا جاؤوا بعجوز كمهاء لا تبصر ولا تنام تحرس الباب، فخرجت عليها وهي لا تعقل من النوم. كما في حلية الأبرار ١: ٩٧، وعن الخرائج في البحار ١٩: ٧٦. ومن المستبعد جداً أن يكون أبو بكر قد علم باتجاه الرسول بالسؤال من علي عليه السلام في فراش الرسول في حصار المشركين وهم يرمونه، بل المتجه ما ذكره القطب الراوندي في الخرائج والجرائح: قال النبي لأصحابه: لا يخرج الليلة أحد من داره. كما في البحار ١٩: ٧٣.

وأشفقوا أن يفضحهم الصبح هجموا على علي عليه السلام - وكانت دور مكة يومئذٍ سوائب لا أبواب لها - فلما بصر بهم علي عليه السلام قد انتضوا السيوف وأقبلوا عليه بها يقدمهم خالد بن الوليد بن المغيرة وثب علي فختله وهمز يده فجعل خالد يقمص قميص البكر ويرغو رغاء الجمل ويذعر ويصيح، وهم في عرج الدار من خلفه، وشد عليهم علي عليه السلام بسيفه - يعني سيف خالد - فاجفلوا أمامه إجمال النعم إلى ظاهر الدار، وتبصروه فاذا علي عليه السلام، قالوا: واثق لعلي؟ قال: أنا علي، قالوا: فإنا لم نردك فما فعل صاحبك؟ قال: لا علم لي به. فاذا كنت قريش عليه العيون وركبت في طلبه الصعب والذلول^(١).

وقال القمي في تفسيره: فلما أمسى رسول الله جاءت قريش ليدخلوا عليه فقال أبو هب: لا أدعكم أن تدخلوا بالليل فان في الدار صبياناً ونساءً ولانأمن أن تقع بهم يد خاطئة، فنحرسه الليلة فاذا أصبحنا دخلنا عليه. فناموا حول حجر رسول الله ﷺ.

وأمر رسول الله أن يفرش له ففرش له، فقال لعلي بن أبي طالب: أفدني بنفسك، قال: نعم يا رسول الله. قال: ثم على فراشي وألتحف ببردتي. فنام على فراش رسول الله وألتحف ببردته.

وجاء جبرئيل فأخذ بيد رسول الله فأخرجه على قريش وهم نيام وهو يقرأ عليهم: ﴿وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن خلفهم سداً فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ وقال له جبرئيل: خذ على طريق ثور. وهو جبل على

(١) أمالي الطوسي ٢: ٧٨ وعنه في البحار ١٩: ٥٨ - ٦٣ وحلية الأبرار: ٨٣ - ٩٠.

طريق منى له سنام كسنام الثور. فدخل الغار^(١).

وروى الطوسي في أماليه بسند عن الواقدي بسنده عن ابن عباس قال: اجتمع المشركون في دار الندوة ليتشاوروا في أمر رسول الله، وأتى جبرئيل رسول الله فأخبره الخبر، وأمره أن لا ينام في مضجعه تلك الليلة. فلما أراد رسول الله المبيت أمر علياً عليه السلام أن يبيت في مضجعه ﷺ. فبات علي عليه السلام وتغشى ببرد أخضر حُضرمي كان لرسول الله ينام فيه، وجعل السيف الى جنبه. فلما اجتمع اولئك نفر من قريش يطوفون ويرصدونه يريدون قتله، خرج رسول الله وهم جلوس على الباب خمسة وعشرون رجلاً، فأخذ حفنة من البطحاء ثم جعل يذرّها على رؤوسهم وهو يقرأ ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ حتى بلغ ﴿فأغشيناهم فهم لا يبصرون﴾ فقال لهم قائل: ما تنتظرون؟ قالوا: محمداً. قال: خبتم وخسرتم قد والله مرّ بكم فما منكم رجل الا وقد جعل على رأسه تراباً! قالوا: والله ما أبصرناه!^(٢).

وروى الحبري في «ما نزل من القرآن في أهل البيت» بسنده عن ابن عباس أيضاً قال: لما انطلق النبي ﷺ الى الغار فأنام علياً عليه السلام مكانه وألبسه بُرده وجاءت قريش تريد أن تقتل النبي ﷺ فجعلوا يرمون علياً وهم يرون أنه النبي ﷺ فجعل يتصوّر^(٣) فنظروا فإذا هو علي عليه السلام فقالوا:

(١) تفسير القمي ١: ٢٧٥، ٢٧٦. ونقله الطبرسي في اعلام الوری: ٦١، ٦٣ والقطب

الراوندي في قصص الأنبياء: ٣٣٥-٣٣٧.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٦٠ وعنه في البحار ١٩: ٥٣، ٥٤ ورواه ابن اسحاق عن محمد

ابن كعب القرظي ٢: ١٢٧.

(٣) التصوّر: التلوي والأئين من الألم.

إنك النائم؟! لو كان صاحبك ما تضور، لقد استنكرنا ذلك^(١).

وروى الطوسي في أماليه بسنده عن الحسن البصري عن أنس بن مالك قال: لما توجه رسول الله إلى الغار -ومعه أبو بكر- أمر النبي علياً أن ينام على فراشه ويتغشى ببردته. فبات علي موطناً نفسه على القتل. وجاءت رجال من قريش من بطونها يريدون قتل رسول الله، فلما أرادوا أن يضعوا أسياهم فيه لا يشكون أنه محمد، أيقظوه فأروه علياً فتركوه وتفرقوا في طلب رسول الله^(٢).

وقال القمي في تفسيره: فلما أصبحت قريش أتوا إلى الحجرة وقصدوا الفراش، فوثب علي عليه السلام في وجوهم وقال: ما شأنكم؟ قالوا له: أين محمد؟ قال: أجعلتموني عليه رقيباً؟ ألستم قلتم تخرجه من بلادنا؟! فقد خرج عنكم. فأقبلوا يضربون أبا هب ويقولون له: أتخذعنا منذ

(١) ما نزل من القرآن في أهل البيت عليهم السلام: ٤٧ ط قم ورواه العياشي ١: ١٠١ والفرات ٩: ١ والبرهان ٢٠٧: ١ وروى مختصره الطبرسي في إعلام الوري: ١٩٠. هذان خبران عن ابن عباس وليس فيها ما رواه عنه ابن اسحاق في سيرته برواية ابن هشام قال: قال لعلي بن أبي طالب: نم على فراشي وتسج ببردي هذا الحضرمي الأخضر فثم فيه، فانه لن يخلص اليك شيء تكرهه منهم. سيرة ابن هشام ٢: ١٢٦، ١٢٧ بل سيأتي في رواية الطوسي عن الثلاثة: عمار بن ياسر وأبي رافع وهند بن أبي هالة: أن الرسول ﷺ اما قال ذلك له بعد نهاية الأمر حين اللقاء به في الغار. بل روى عن الحسن البصري عن أنس بن مالك: أن علياً بات تلك الليلة موطناً نفسه على القتل. ولكنهم وضعوا ذلك ليضيعوا من معنى التضحية والفداء في زوج الزهراء عليها السلام.

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٦١ وعنه في البحار ١٩: ٥٥.

الليلة ؟ !

وكان فيهم رجل من خزاعة يقال له : أبو كرز، يقفو الآثار، فقالوا له : يا أبا كرز اليوم اليوم ! فوقف بهم على حجرة رسول الله فقال : هذه قدم محمد، والله انها لأخت القدم التي في المقام^(١) هذه قدم ابن أبي قحافة أو أبيه، فما زال بهم حتى أوقفهم على باب الغار ثم قال : ما جاوزوا هذا المكان، إما أن يكونا صعدا الى السماء أو دخلا تحت الأرض .

وبعث الله العنكبوت فنسجت على باب الغار... وصرفهم الله عن رسوله فتفرقوا^(٢).

وقال الطبرسي في «إعلام الوري» : وخرج القوم في طلبه، فعمى الله أثره وهو نصب أعينهم، وصدّهم عنه وأخذ بأبصارهم دونه، وهم دُهاة العرب، وبعث الله العنكبوت فنسجت في وجه الغار فسترته وأيسهم ذلك من الطلب .

وبعث الله حمامتين وحشيتين فوقفتا بغم الغار^(٣).

وأقبل فتيان قريش من كل بطن رجل بعصيّهم وهراويهم وسيوفهم حتى إذا كانوا من النبيّ بقدر أربعين ذراعاً (عشرين متراً) تقدم رجل منهم لينظر من في الغار، ورجع الى أصحابه فقالوا له : ما لك لا تنظر في الغار؟

(١) مقام ابراهيم، وهي قدمه .

(٢) تفسير القمي ١ : ٢٧٣ - ٢٧٦ ونقله الطبرسي في اعلام الوري : ٦١ - ٦٣ والقطب

الراوندي في قصص الأنبياء : ٣٣٥ - ٣٣٧ وفي الخرائج والجرائح ١ : ٤٤ ح ٢٣١

وذكر اسم الرجل : أبا كرز .

(٣) نقله ابن شهر آشوب عن زيد بن أرقم بن مالك والمغيرة بن شعبة في المناقب ١ :

فقال : رأيت حمماً بغم الغار فعلمت أن ليس فيه أحد . وسمع النبي ما قال فدعا هن وفرض جزاءهن فاتخذن في الحرم^(١) .

وفي ذلك يقول السيد الحميري في قصيدته المعروفة بالمدحبة :
 حتى إذا قصدوا لباب مغارة ألفوا عليه نسيج غزل العنكب
 صنع الاله له ، فقال فريقهم : مافي المغار لطالب من مطلب
 ميلوا . وصدّهم المليك ، ومن يُرد عنه الدفاع مليكة ، لم يَغْطَب^(٢)
 وأمهل علي عليه السلام حتى إذا أعم في الليلة القابلة فانطلق هو وهند بن
 أبي هالة حتى دخلا على رسول الله في الغار ، فأمر رسول الله هنداً أن
 يتناع له ولصاحبه بعيرين ، فقال أبو بكر : قد كنت أعددت لي ولك - يا نبي
 الله - راحلتين نرتحلها الى يثرب . فقال ﷺ : اني لا آخذها ولا احداهما
 إلا بالثمن . فقال : فهي لك بذلك . فأمر ﷺ علياً عليه السلام فأقبضه الثمن^(٣) ثم
 وصّاه بحفظ ذمته وأداء أمانته .

وكانت قريش في الجاهلية تدعو محمداً : الأمين ، فكانت تستودعه
 وتستحفظه أموالها وأمتعتها ، وكذلك من يقدم مكة من العرب في الموسم ،
 وجاءته النبوة والرسالة والأمر كذلك . فأمر علياً عليه السلام أن يقيم صارخاً
 يهتف بالابطح غدوة وعشيّاً : من كان له قبيل محمد أمانة أو وديعة فليأت
 فلنؤدّ اليه أمانته . ثم قال له : انهم لن يصلوا اليك من الآن - يا علي - بأمر
 تكرهه حتى تقدم علي ، فأدّ أمانتي على أعين الناس ظاهراً .

(١) ونقله ابن شهر آشوب عن الزهري في المناقب ١ : ١٢٨ .

(٢) إعلام الوری : ٢٥ .

(٣) وقال بمعناه ابن اسحاق ، كما في سيرة ابن هشام ٢ : ١٣١ .

ثمّ إني مستخلفك على ابنتي فاطمة، ومستخلف ربّي عليكما
ومستحفظه فيكما.

ثمّ أمره أن يبتاع رواحل له وللنواطم ومن أزمع للهجرة من بني
هاشم وقال له: فإذا قضيت ما أمرتك من أمر فكن على أهبة الهجرة إلى
الله ورسوله، وسر إليّ لقدوم كتابي عليك ولا تلبث. ثمّ مكث في الغار
ثلاثاً ثمّ انطلق لوجهه يوم المدينة^(١).

وقال الطبرسي: خلفه النبي ﷺ ليخرج أهله فأخرجهم، وأمره أن
يؤدّي عنه أماناته ووصاياه وما كان بمؤمن عليه. فأدّى علي عليه السلام أماناته
كلها^(٢).

وقال ابن شهر آشوب: واستخلفه الرسول لردّ الودائع، لأنّه كان
أميناً... قام على الكعبة فنادى بصوت رفيع: يا أيّها الناس، هل من
صاحب أمانة؟ هل من صاحب وصية؟ هل من صاحب عدة له قبل
رسول الله. فلمّا لم يأت أحد لحق بالنبي ﷺ^(٣).

ولكن الطبرسي في «إعلام الوري» نقل ما قاله القمي في تفسيره
وأضاف:

خرج رسول الله من الغار فرأى راعياً لبعض قريش يقال له: ابن
أريقط، فدعاه رسول الله وقال له: يا ابن أريقط، أءتمنك على دمي؟ قال:
إذاً أحرسك وأحفظك ولا أدلّ عليك، فأين تريد يا محمد؟ قال: يثرب.

(١) أمالي الطوسي: ٣٠٠ كما في البحار ١٩: ٦٣ وحلية الأبرار: ٩٠.

(٢) إعلام الوري: ١٩٠.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٢: ٥٧.

قال : والله لأسلكن بك مسلكاً لا يهتدي إليه أحد... فقال له رسول الله :
إئت علياً وبشره بأن الله قد أذن لي في الهجرة فيهيء لي زاداً وراحلة .
وقال له أبو بكر : إئت أسماء بنتي وقل لها : تهيء لي زاداً وراحتين ،
وأعلم عامر بن فهيرة أمرنا - وكان من موالي أبي بكر وقد أسلم - وقل له :
ائتنا بالزاد والراحتين .

فجاء ابن اريقط الى علي عليه السلام وأخبره بذلك . فبعث علي بن أبي
طالب الى رسول الله بزاز وراحلة ، وبعث ابن فهيرة بزاز وراحتين^(١) .
ولكنه (الطبرسي) عاد في ذكر مقامات علي عليه السلام فروى مختصر خبر
ابن أبي رافع عن علي بن ابراهيم بن هاشم قال : كان علي عليه السلام يجهز
النبي ﷺ حين كان في الغار يأتيه بالطعام والشراب ، واستأجر له ثلاث
رواحل للنبي ولأبي بكر ولدليلهم^(٢) .

ونقل ابن شهر آشوب عن الثعلبي في تفسيره وابن عقب في ملحمة
وأبي السعادات في (فضائل العشرة) ، والغزالي في (الاحياء) وفي (كيمياء
السعادة) برواياتهم عن أبي اليقظان (عمار بن ياسر) ومن الخاصة : ابن
بابويه وابن شاذان والكليني والطوسي وابن عقدة وابن فياض والعبدي
والصفواني والثقي بأسانيدهم عن ابن عباس وأبي رافع وهند بن أبي هالة
عن النبي ﷺ قال : أوحى الله الى جبرئيل وميكائيل أني آخيت بينكما
وجعلت عمر أحدكما أطول من عمر صاحبه . فأيتكما يؤثر أخاه ؟ فكلاهما
كرها الموت .

(١) إعلام الوری : ٦٣ ، ٦٤ .

(٢) اعلام الوری : ١٩٠ عن القمي ولم نجده في تفسيره .

فأوحى الله اليهما: ألا كنتما مثل وليي علي بن أبي طالب: آخيت بينه وبين محمد نبيي فأثره بالحياة على نفسه، فظل على فراشه يقيه بهجته، اهبطا الى الأرض فاحفظاه من عدوه.

فهبط جبرئيل فجلس عند رأسه وميكائيل عند رجله وجعل جبرئيل يقول: بخ بخ! من مثلك يا بن أبي طالب والله يباهي به الملائكة؟!

وأنزل الله فيه: ﴿ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضاة الله﴾^(١).

منازل الطريق:

قال الطبرسي في «إعلام الوري» في تنمة خبر علي بن ابراهيم القمي: وخرج رسول الله من الغار وأخذ به ابن اريقط على طريق نخلة بين الجبال، فلم يرجعوا الى الطريق (الأعظم) الا بقديد^(٢).

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٦٤ ، ٦٥ والكليني في الروضة : ١١٩ والطوسي في الأمالي : ٣٠٠ والكراچكي في كنز الفوائد عن الخطيب الخوارزمي في مناقبه واليعقوبي ٢ : ٣٩ ط بيروت . والآية في البقرة : ٢٠٧ .

(٢) قاله ابن اسحاق في سيرته . وأضاف : ثمّ أجاز بهما فسلك بهما الخزار ، ثمّ سلك بهما ثنية المرأة ، ثمّ سلك بهما لفتاً أو لقفاً ، ثمّ أجاز بهما مدجّة لقف ، ثمّ استبطن بهما مدجّة مجاح أو محاج ، ثمّ سلك بهما مرجح مجاح ، ثمّ تبطن بهما مرجح ذي العضوين أو العضوين ثمّ بطن وادي ذي كثر ، ثمّ أخذ بهما على الجداجد ثمّ على الأجرد ، ثمّ سلك بهما ذا سلم من بطن مدجّة تعهن ، ثمّ على العبايد أو العبايب أو العيثانة ، ثمّ أجاز بهما الفاجة أو القاحة ، ثمّ هبط بهما العرج ، ثمّ خرج بهما دليلهما من العرج فسلك بهما ثنية العائر أو الغائر عن يمين ركوبة ، حتّى هبط بطن يرثم ، ثمّ هبط بهما قباء على بني

فنزّلوا على أمّ معبد هناك^(١). وكانت امرأة بَزْرَة تحتيء وتجلس بفناء الخيمة، فسألوا تَمْرًا ولحمًا ليشتروه فلم يصيبوا عندها شيئًا من ذلك، وإذا القوم مُرملون، وقالت: لو كان عندنا شيء ما أعوزكم القَرَى. فنظر رسول الله في كسر خيمتها فقال: ما هذه الشاة يا أمّ معبد؟ قالت: شاة خلفها الجُهد عن الغنم. فقال: هل بها من لبن؟ قالت: هي أجهد من ذلك. قال: أتأذنين لي أن أحلبها؟ قالت: نعم بأبي أنت وأمي إن رأيت بها حلبًا فاحلبها. فدعا رسول الله بها فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال: اللهم بارك في شاتها. فتفاجّت ودرّت! فدعا رسول الله باناء لها يُريض الرهط فحلب فيه ثَجًّا حتّى علته ثَمَلته فسقاها، فشربت حتّى رُوِيَتْ، ثمّ سقى أصحابه فشربوا حتّى رُؤوا، فشرب هو آخرهم وقال: ساقى القوم آخرهم شربًا. فشربوا جميعًا علاّ بعد تَهَلّ حتّى أراضوا، ثمّ حلب فيه ثانيًا عودًا على بدء فغدوا عندها ثمّ ارتحلوا عنها.

فقلّما لبث أن جاء زوجها أبو معبد يسوق عَنَزًا عِجافًا هُزَلًا، ومُخَاجُهَنّ قليل، فلمّا رأى اللبن قال: من أين لكم هذا؟ والشاة عازب ولا حلوب في البيت؟ قالت: لا والله إلاّ أنه مرّ بنا رجل مبارك كان من حديثه كيت وكيت^(٢).

وروى الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن الصادق عليه السلام قال:

عمرو بن عوف لاثنتي عشرة ليلة خلت من ربيع الأول يوم الاثنين حين اشتدّ الضحى بل كادت الشمس أن تعتدل. سيرة ابن هشام ٢: ١٣٦.

(١) إعلام الورى: ٦٤.

(٢) إعلام الورى: ٢٤ وذكره في الخرائج ١: ١٤٦، ١٤٧، خ ٢٣٤ وفيه أنه قصد رسول الله فآمن هو وأهله.

كانت قريش قد جعلت لمن يأخذ رسول الله لما خرج من الغار متوجهاً الى المدينة مائة من الابل، فخرج سُراقَة بن مالك بن جُعشم فيمن يطلب، فلحق برسول الله، فقال رسول الله: اللهم اكفني شر سُراقَة بما شئت. فساخت قوائم فرسه، فثنى رجله وقال: يا محمد، إني علمت أنّ الذي أصاب قوائم فرسي إنّما هو من قبلك، فادع الله أن يُطلق لي فرسي، فلمعري إن لم يصبكم مني خيرٌ لم يصبكم مني شر. فدعا رسول الله ﷺ فأطلق الله عزوجل فرسه، فعاد في طلب رسول الله ﷺ، فعل ذلك ثلاث مرات، كلّ ذلك يدعو رسول الله فتأخذ الأرض قوائم فرسه، فلما أطلقه في الثالثة قال: يا محمد، هذه ابلي بين يديك فيها غلامي، وإن احتجت الى ظهر أو لبن فخذ منه، وهذا سهم من كناتي علامة، وأنا أرجع فأردّ عنك الطلب. فقال: لا حاجة لي فيما عندك^(١).

وذكر الطبرسي الخبر في «إعلام الوري» بلا رواية قال: وتبعه رسول الله ﷺ وهو متوجه الى المدينة سُراقَة بن جُعشم المدلجي طالباً غِرّته ليحظى بذلك عند قريش، حتّى اذا أمكنته الفرصة في نفسه وأيقن أن قد ظفر ببغيته، ساخت قوائم فرسه، حتّى تغيّبت بأجمعها في الأرض، وهو بموضع جذب وقاع صَفْصَف. فعلم أن الذي أصابه سماوي فنادى: يا محمد أدع ربك يُطلق لي فرسي وذمة الله عليّ أن لا أدلّ عليك أحداً. فدعا له، فوثب جواده كأنّه أفلت من أنشوطة، وكان رجلاً داهية فعلم بما رأى أنّه سيكون له نبأ فقال: اكتب لي أماناً فكتب له وانصرف^(٢).

(١) روضة الكافي: ٢١٩ وفي البحار ١٩: ٨٨ عنه.

(٢) إعلام الوري: ٢٤.

فلما كان من الغد وافته قريش فقالوا: يا سُرَاقَة هل لك علم بمحمّد؟ قال: قد بلغني أنّه قد خرج عنكم، وقد نفضت هذه الناحية لكم ولم أر أحداً ولا أثراً، فارجعوا فقد كفيتكم ما ها هنا^(١) فقال أبو جهل في أمر سُرَاقَة أبحاثاً، فأجابه سُرَاقَة:

أبا حكم، واللّه لو كنت شاهداً لأمر جوادي إذ تسبخ قوائمه
علمت ولم تشكك بأن محمّداً نبيّ ببهان، فمن ذا يقاومه
عليك بكف الناس عنه، فأنني أرى أمره يوماً ستبدو معالمه^(٢)

ونقله كذلك القطب الراوندي في «الخراج والخراج» قال: ولما خرج النبي ﷺ وهؤلاء أصبحوا من تلك الليلة التي خرجوا فيها في حيّ سُرَاقَة ابن جُعشم، فلما نظر سُرَاقَة الى رسول الله قال: أتخذ يداً عند قريش، وركب فرسه وقصد محمّداً. فقال أصحابه: لحق بنا هذا الشيطان! فقال: إن الله سكيننا شره، فلما قرب قال: اللهم خذه! فارتطم فرسه في الارض، فصاح: يا محمّد خلّص فرسي، لا سعت في مكروه أبداً. وعلم أنّ ذلك

(١) إعلام الوری: ٦٤.

(٢) إعلام الوری: ٢٤ نقلاً عن محمّد بن اسحاق، ولا توجد في سيرته برواية ابن هشام، فرواها المحققون في الهامش ٢: ١٣٥ عن الروض الأنف للسيهيلي. فلعل الطبرسي نقلها عن سيرة ابن اسحاق نفسه، وقد صرح ابن هشام في مقدمته بحذفه كثيراً من الأشعار. وقام خبر الكتاب عند ابن اسحاق عن سُرَاقَة قال: فكتب لي كتاباً في عظم أو رقعة أو خزفة (١) ثمّ ألقاه اليّ فأخذته فجعلته في كناتي ورجعت وسكت حتّى اذا كان فتح مكّة وفرغ من حنين والطائف فخرجت ومعني الكتاب لألقاه فلقينته بالجعرانة... فدنوت منه فاسلمت ثمّ رجعت اليّ قومي فسقت صدقتي اليه. سيرة ابن هشام ٢: ٦٣٥. وروى البيهقي الاولين اليعقوبي ٢: ٤٠ ط بيروت.

بدعاء محمد ﷺ فقال: اللهم ان كان صادقاً فخلّصه، فوثب الفرس فقال: يا أبا القاسم ستمر برعائي وعبيدي، فخذ سوطي، فكل من تمرّ به فخذ ماشئت فقد حكمتك في مالي. فقال: لا حاجة في مالك. قال: فسلني حاجة قال: ردّ عنا من يطلبنا من قريش. فانصرف سراقه فاستقبله جماعة من قريش في الطلب فقال لهم: انصرفوا عن هذا الطريق فلم يمر فيه أحد وأنا اكفيكم هذا، وعليكم بطريق اليمن والطائف^(١).

خروج علي عليه السلام بالفواطم:

في خبر الطوسي في أماليه عن عمار بن ياسر وأبي رافع قالا: ثم كتب رسول الله إلى علي بن أبي طالب عليه السلام كتاباً يأمره فيه بالمسير إليه وقلة التلوم، وكان الرسول إليه أبا واقد الليثي. فلما أتاه كتاب رسول الله ﷺ تهيأ للخروج والهجرة، فأذن من كان معه من ضعفاء المؤمنين وأمرهم أن يتسلّلوا ويتحفّظوا اذا ملأ الليل بطن الوادي إلى ذي طوى^(٢).

ونقل ابن شهر آشوب في «المناقب» عن البكري والطبراني والنجدي والواقدي: أن علياً عليه السلام لما عزم على الهجرة قال له العباس: إن محمداً ﷺ ما خرج الا خفياً، وقد طلبته قريش أشدّ الطلب، وأنت تخرج جهاراً في إناث وهوادج ومال ورجال ونساء وتقطع بهم السباسب والشعاب من بين قبائل قريش؟! ما أرى لك أن تمضي الا في خفارة خزاعة. فقال

(١) الخرائج والجرائح ١: ١٤٥ ط قم ..

(٢) أمالي الطوسي ٢: ٨٤ وعنه في البحار ١٩: ٦٤.

علي عليه السلام :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ شَرِبَةٌ مودودة لا تنزعنَّ، وشُدَّ للترحيل
إِنَّ ابْنَ أَمْنَةَ النَّبِيِّ مُحَمَّدًا رجلٌ صدوق قال عن جبريل
أَرْخِ الزَّمَامَ وَلَا تَخَفْ مِنْ عَائِقَ فالله يردّهم عن التنكيل
إِنِّي بِرَبِّي وَاثِقٌ وَبِأَحْمَدَ وسبيله متلاحق بسبيلي
قالوا: فكن مهلع غلام حنظلة بن أبي سفيان في طريقه بالليل، فلما
رآه سلّ سيفه ونهض إليه، فصاح عليّ صيحة فخرٍ منها على وجهه وجلّله
بسيفه، فلما أصبح توجه نحو المدينة، فلما شارف ضجنان أدركه الطلب ثمانية
فوارس^(١).

وخرج علي عليه السلام بفاطمة بنت رسول الله ﷺ، وأمّه فاطمة بنت أسد
ابن هاشم، وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب - وقيل: هي ضباعة - وتبعهم
أيمن ابن أم أيمن مولى رسول الله وأبو واقد رسول رسول الله، فجعل
يسوق بالرواحل فأعنف بهم، فقال علي عليه السلام: إرفق بالنسوة أبا واقد! إنهنّ
من الضعائف. قال: إني أخاف أن يدركنا الطلب. فقال علي عليه السلام: اربع
عليك، فإن رسول الله قال لي: يا عليّ إنهم لن يصلوا من الآن إليك بأمر
تكرهه. ثمّ جعل علي عليه السلام يسوق بهن سوقاً رفيقاً وهو يقول:

وليس الا الله فارفع ضنكا يكفيك ربّ الناس ما أهّمكا

فلما شارف ضجنان أدركه الطلب سبعة فوارس من قريش مستلثمين
متلثمين، وثامنهم مولى الحارث بن أمية يدعى جناحاً. فأقبل عليّ على
أيمن وأبي واقد وقد تراءى القوم فقال لهما: أيخا الابل واعقلاها. وتقدم

(١) مناقب آل أبي طالب ٢ : ٥٩ .

حتى أنزل النسوة .

ودنا القوم فاستقبلهم علي منتضياً سيفه، فأقبلوا عليه وقالوا: ظننت أنك يا غدار ناج بالنسوة، ارجع لا أباً لك . قال: فان لم أفعل ؟ قالوا: لترجعن راعماً أو لترجعن باكثرك شعراً، وأهون بك من هالك !

ودنا الفوارس من النسوة والمطايا ليشوروها، فحال علي عليه السلام بينهم وبينها، فأهوى له جناح بسيفه، فراغ علي عليه السلام عن ضربته، وتختله علي عليه السلام فضربه علي عاتقه فأسرع السيف مضياً فيه حتى مس كائبة فرسه . فكان علي عليه السلام يشد علي قدمه كشد الفارس علي فرسه، فشد عليهم بسيفه وهو يقول :

خلوا سبيل المجاهد المجاهد آليت لا أعبد غير الواحد
فتصدع القوم عنه وقالوا: احبس نفسك عنا يابن أبي طالب . قال :
فاني منطلق الي ابن عمي رسول الله بيثرب، فن سره أن أفري لحمه
وأهريق دمه فليتبني أو فليدين مني . ثم أقبل علي صاحبيه : أيمن وأبي واقد
فقال لهما : أطلقا مطاياكما .

ثم سار ظاهراً قاهراً حتى نزل ضجنان، فلبث بها قدر يومه وليلته،
ولحق به نفر من المستضعفين من المؤمنين وفيهم أم أيمن مولاة رسول
الله صلى الله عليه وآله . وبات هو تلك الليلة ومعه الفواطم : أمه فاطمة بنت أسد - رضي
الله عنها - وفاطمة بنت رسول الله، وفاطمة بنت الزبير يصلون ويذكرون
الله قياماً وقعوداً وعلي جنوبهم، ولم يزالوا كذلك حتى طلع الفجر فصلي
بهم علي عليه السلام صلاة الفجر، ثم سار لوجهه يجوب منزلاً بعد منزل لا يفر
عن ذكر الله، وكذلك الفواطم وغيرهن ممن صحبه حتى قدموا المدينة، وقد
نزل الوحي قبل قدومهم بما كان من شأنهم (فتلاه عليهم) : ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ

السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الأبصار الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانه ففنا عذاب النار ربنا إنك تدخل النار فقد أخزيتهم وما للظالمين من أنصار ربنا أننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنوا ربنا فاعفّر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيئاتنا وتوفّقنا مع الأبرار ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض ﴿ فالذكر عليّ ﷺ والانثى الفواطم المتقدم ذكرهن، فعليّ ﷺ من الفواطم وهنّ من عليّ ﷺ ﴾ فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوذوا في سبيلي وقاتلوا وقُتلوا لا كفّر عنهم سيئاتهم ولا دخلّهم جنات تجري من تحتها الأنهار ثواباً من عند الله والله عنده حسن الثواب ﴿ ^(١) وقال له: يا علي، أنت أول هذه الأمة إيماناً بالله ورسوله، وأولهم هجرة إلى الله ورسوله وآخرهم عهداً برسوله، لا يحبّك -والذي نفسي بيده- إلا مؤمن قد امتحن الله قلبه للإيمان، ولا يبغضك إلا منافق أو كافر.

قال عبيد الله بن أبي رافع: وقال عليّ بن أبي طالب يذكر مبيته على الفراش ومقام رسول الله في الغار:
وقيت بنفسي خير من وطأ الحصى
ومن طاف بالبيت العتيق وبالحجر

وبتُّ اراعيم متى' يأسروني (أو ينشروني)
وقد وطَّنتُ نفسي على' القتل والأسر
وبات رسول الله في الغار آمناً
هناك وفي حفظ الآله وفي ستر
أقلام ثلاثاً ثم زمت قلائص

قلائص يفريين الحصار ايما يفري^(١).
قال الطوسي في «المصباح»: في أول ليلة من شهر ربيع الأول كان
مبيت أمير المؤمنين عليه السلام على فراش النبي ﷺ اذ هاجر من مكة وكانت
ليلة الخميس، وفي ليلة الرابع منه كان خروجه من الغار متوجهاً الى
المدينة^(٢).

وهو وان لم يستند في ذلك الى خبر خاص ولكنه لعله يستند فيما
يستند اليه الى ما رواه الكليني في «روضة الكافي» بسنده عن علي بن
الحسين عليه السلام قال: كان خروج رسول الله من مكة في أول يوم من ربيع
الأول يوم الخميس من سنة ثلاث عشرة من المبعث، وقدم المدينة لاثنتي
عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول مع زوال الشمس فصلى الظهر

(١) أمالي الطوسي ٢: ٨٣ وعنه في البحار ١٩: ٦٦، ٦٧ وحلية الأبرار ١: ٩١.
وأولهم هجرة ليس بمعنى العدد بل كقوله سبحانه: «وأنا أول المسلمين» أي من حيث
النية والبصيرة والاقدام فهو مستعد تماماً لأن يكون الأول. ولعل قوله سبحانه
«قاتلوا» كناية عن مقاومة علي عليه السلام للمشركين دفاعاً عن الفواطم، وقوله سبحانه:
«وقتلوا» كناية عن قتل استضعافاً كياسر وسمية.

(٢) مصباح المتجّد: أول أعمال ربيع الأول.

ركعتين^(١).

تم المجلّد الأوّل من الكتاب بعون الملك الوهاب ضحى يوم الجمعة الثامن من شهر شوال المكرّم من شهور سنة ١٤١٠ هـ ق وهو يوم هدم قبور أئمة البقيع -عليهم الصلاة والسلام-.

(١) روضة الكافي : ٢٨٠ والبحار ١٩ : ١١٥ عنه .

الفهارست الفنیه

دليل الفهارس

- ١- فهرس الآيات الكريمة ٧٥٧
- ٢- فهرس الأحاديث الشريفة ٧٧١
- ٣- فهرس أسماء المعصومين عليهم السلام ٧٧٩
- ٤- فهرس الأعلام ٧٨٥
- ٥- فهرس الأشعار ٨١٧
- ٦- فهرس الفرق والمذاهب ٨٢٣
- ٧- فهرس البلدان والأماكن ٨٢٥
- ٨- فهرس الغزوات ٨٣٣
- ٩- فهرس الجماعات والقبائل ٨٣٥
- ١٠- فهرس مصادر الكتاب ٨٤٣
- ١١- فهرس الكتاب ٨٥٣

فهرس الآيات الكريمة

النساء (٤)

رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ ولا تنكحوا ما نكح... ﴾	٢٢
﴿ بعضكم من بعض... ﴾	٧٤
﴿ وما كان لمؤمن أن... ﴾	٦٨٥
﴿ إن الذين توفاهم... ﴾	٧٢٣
﴿ ألم تكن أرض الله... ﴾	٥٥٥
﴿ إلا المستضعفين من... ﴾	٧٢٣
﴿ فأولئك عسى الله أن... ﴾	٧٢٤

المائدة (٥)

﴿ حرمت عليكم... ﴾	٣
﴿ أفحكم الجاهلية يبغون ﴾	٧٠
﴿ والانصاف والأزلام... ﴾	١١٩
﴿ ما جعل الله من بحيرة... ﴾	١٠٣

الانعام (٦)

﴿ ولو نزلنا عليك كتاباً... ﴾	٧
------------------------------	---

البقرة (٢)

رقم الآية	رقم الصفحة
﴿ واركموا مع الراكعين ﴾	٣٩٣
﴿ واذا يرفع ابراهيم... ﴾	٩١
﴿ ربنا واجعلنا مسلمين... ﴾	٩١
﴿ شهر رمضان الذي... ﴾	٣٧٧
﴿ ومن الناس يشري... ﴾	٧٤٢

آل عمران (٣)

﴿ قل يا أهل الكتاب... ﴾	٧٣
﴿ وكنتم على شفا حفرة... ﴾	١٣٣
﴿ يظنون بالله غير الحق... ﴾	٦٩
﴿ إن في خلق السماوات... ﴾	٧٤٨
﴿ الذين يذكرون الله... ﴾	٧٤٩
﴿ ربنا إنك من تدخل... ﴾	٧٤٩
﴿ ربنا إنا سمعنا منادياً... ﴾	٧٤٩
﴿ ربنا وآتنا ما وعدتنا... ﴾	٧٤٩
﴿ فاستجاب لهم... ﴾	٧٤٩، ٧٤

- | | |
|--|-----------------------------------|
| ١٠٠ ﴿وجعلوا لله شركاء...﴾ ١٢٠ | ٨ ﴿وقالوا لولا أنزل...﴾ ٥٤٠ |
| ١٠٨ ﴿ولا تسبوا الذين...﴾ ٥٤٦ | ٩ ﴿ولو جعلناه ملكاً...﴾ ٥٤٠ |
| ١٠٩ ﴿وأقسموا بالله جهد...﴾ ٥٤٧ | ١٤ ﴿قل أغير الله اتخذ...﴾ ٥٤١ |
| ١١٠ ﴿ونقلب أفئدتهم...﴾ ٥٤٧ | ١٥ ﴿قل إني أخاف إن...﴾ ٥٤١ |
| ١١١ ﴿ولو أننا نزلنا إليهم...﴾ ٥٤٧ | ١٩ ﴿قل أي شيء...﴾ ٥٤٢، ٥٤١ |
| ١١٨ ﴿فكلوا مما ذكر اسم الله...﴾ ٥٤٨ | ٢٠ ﴿الذين آتيناهم...﴾ ٥٤١، ٥١٣ |
| ١١٩ ﴿وما لكم ألا تأكلوا مما...﴾ ٥٤٨ | ٢٥ ﴿وممنهم من يستمع...﴾ ٥٤٢ |
| ١١٩ ﴿وقد فضل لكم ما...﴾ ٥٤٩ | ٢٦ ﴿وهم يبهون عنه...﴾ ٥٤٢ |
| ١٢٤ ﴿واذا جاءتهم آية...﴾ ٥٤٩ | ٢٩ ﴿قالوا إن هي إلا...﴾ ١٢١ |
| ١٥١ ﴿ألا تشركوا به شيئاً...﴾ ١١٠، ٧٠٣، ٦٥١ | ٣٣ ﴿قد نعلم إنه ليحزنك...﴾ ٥٤٣ |
| ١٥١ ﴿ولا تقربوا الفواحش...﴾ ٦٥١ | ٣٥ ﴿وإن كان كبير...﴾ ٥٤٤، ٥٤٣ |
| ١٥٢ ﴿ولا تقربوا مال...﴾ ٧٠٣، ١١١ | ٥١ ﴿وانذر به الذين...﴾ ٥٤٤ |
| ١٦٠ ﴿من جاء بالحسنة فله...﴾ ٤٩١ | ٥٢ ﴿ولا تطرد الذين...﴾ ٥٤٤ |
| | ٥٣ ﴿وكذلك فتنا بعضهم...﴾ ٥٤٤ |
| | ٥٤ ﴿واذا جاءك الذين...﴾ ٥٤٤ |
| | ٦٨ ﴿واذا رأيت الذين...﴾ ٥٤٥ |
| | ٦٩ ﴿وما على...﴾ ٥٤٦، ٥٤٥ |
| | ٧٦ ﴿فلما حنّ عليه الليل...﴾ ١١٤ |
| | ٧٧ ﴿فلما رأى القمر بازغاً...﴾ ١١٤ |
| | ٧٨ ﴿فلما رأى الشمس...﴾ ١١٤ |
| | ٧٨ ﴿فلما أفلت قال يا قوم...﴾ ١١٤ |
| | ٩٣ ﴿ومن أظلم ممن...﴾ ٥٤٤ |
| | ٩٤ ﴿ولقد جئتمونا فرادى...﴾ ٥٤٥ |
- (٧) الاعراف
- | | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| ١ ﴿المص﴾ ٥٠٢ | ٢ ﴿كتاب أنزل إليك فلا...﴾ ٥٠٢ |
| ٣١ ﴿يا بني آدم...﴾ ٥٠٣، ٥٠٤ | ٣٢ ﴿قل من حرم...﴾ ٥٠٣، ٥٠٤ |
| ٣٣ ﴿قل إنما حرم ربي...﴾ ٥٠٣ | ٥٠ ﴿إن الله حرمها على...﴾ ٦٣٩ |
| ٧٧ ﴿وقالوا يا صالح اتنا...﴾ ١٠٥ | |

- ٥ ﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَشْتُونَ...﴾ ٥٢٧
 ١٢ ﴿فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ...﴾ ٥٢٧، ٥٢٨
 ١٣ ﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ...﴾ ٥٢٨

الرعد (١٣)

- ١١ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا...﴾ ٩٩

ابراهيم (١٤)

- ٣٧ ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ...﴾ ٨٧، ٩٢

الحجر (١٥)

- ٢ ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا...﴾ ٤٠٢
 ٣ ﴿ذُرُّهُمْ يَأْكُلُوا...﴾ ٤٠٢
 ٤ ﴿وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ...﴾ ٤٠٢
 ٥ ﴿مَا تَسْبِقُ مِنْ أَمَةٍ...﴾ ٤٠٢
 ٦ ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي...﴾ ٤٠٢
 ٧ ﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَأَكَةِ...﴾ ٤٠٢
 ٣٩ ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي...﴾ ٢٧١
 ٤٠ ﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ...﴾ ٢٧١
 ٤١ ﴿قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ...﴾ ٢٧١
 ٤٢ ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ...﴾ ٢٧١
 ٩٠ ﴿كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى...﴾ ٤٤٨، ٤٥٠
 ٩١ ﴿الَّذِينَ جَعَلُوا...﴾ ٤٤٨، ٤٥٠

- ٧٨ ﴿فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ...﴾ ١٠٣
 ١٥٧ ﴿يُضَعُّ عَنْهُمْ أَصْرَهُمْ...﴾ ١٣٤
 ٢٠٤ ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ...﴾ ٥٠٤

الانفال (٨)

- ٣٠ ﴿لِيُثَبِّتُكَ أَوْ يَقْتُلُكَ أَوْ...﴾ ٦٣٣
 ٣٢ ﴿فَأَمْطَرْنَا عَلَيْنَا حِجَابًا...﴾ ٦١٣
 ٤١ ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ...﴾ ٢٤٢

التوبة (٩)

- ١٩ ﴿أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ...﴾ ٢٤٢

يونس (١٠)

- ١٥ ﴿وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمْ...﴾ ٥٢٦
 ١٥ ﴿مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَبْذِلَهُ...﴾ ٥٢٦
 ١٦ ﴿قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا...﴾ ٥٢٦
 ١٧ ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى...﴾ ٥٢٦

هود (١١)

- ١ ﴿الرَّكَابَ أَحْكَمْتَ...﴾ ٥٢٧
 ٢ ﴿أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي...﴾ ٥٢٧
 ٣ ﴿وَأَنْ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ...﴾ ٥٢٧
 ٤ ﴿إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ...﴾ ٥٢٧

٦٨٤، ٦٢٣، ٦٢١

١٠٧ ﴿ ذَلِكْ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا ... ﴾ ٦٢٠

١٠٨ ﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ ... ﴾ ٦٢٠

١٠٩ ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي ... ﴾ ٦٢٠

١١٠ ﴿ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ ... ﴾ ٦٢٠، ٦٢١٢

١١٨ ﴿ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا ... ﴾ ٥٤٩

١٢٥ ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ ... ﴾ ٦٢٥

١٢٦ ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا ... ﴾ ٦٣٢

١٢٧ ﴿ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ ... ﴾ ٦٣٣

١٢٨ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ ... ﴾ ٦٣٣

الاسراء (١٧)

٣١ ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ ... ﴾ ٧١

٤٥ ﴿ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ ... ﴾ ٥١٨

٤٧ ﴿ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا ... ﴾ ٥١٩

٥٣ ﴿ وَقُلْ لِعِبَادِي يَقُولُوا ... ﴾ ٥١٩

٥٩ ﴿ وَمَا مَنَعْنَا أَنْ ... ﴾ ٥١٩، ٥٢٠

٦٠ ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ... ﴾ ٥٢٠، ٥٢٢

٧٦ ﴿ وَإِنْ كَادُوا ... ﴾ ٥٢٢

٨٥ ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنْ ... ﴾ ٣٧٢

٦١٢، ٥٢٢

٩٠ ﴿ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ ... ﴾ ٥٢٣

٩١ ﴿ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ ... ﴾ ٥٢٣

٩٤ ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ... ﴾ ٤٠١

٤٠٢، ٤٠٣، ٤٣٠

٤٣٣، ٤٣٦، ٤٤٠، ٤٥٠

٤٦٠، ٥٢٨، ٥٢٩، ٦٧١

٩٥ ﴿ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴾ ٤٣٠

٤٣١، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٦

٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٠، ٥٢٨، ٦٠٥

النحل (١٦)

١ ﴿ أَتَى أَمْرَ اللَّهِ ... ﴾ ٦١٣، ٦١٤

٢٤ ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ... ﴾ ٦١٤، ٦١٥

٢٥ ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ ... ﴾ ٦١٤

٣٠ ﴿ خَيْرًا لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا ... ﴾ ٦١٥

٤١ ﴿ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا ... ﴾ ٦١٧، ٦١٨

٥٨ ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ ... ﴾ ٧١

٥٩ ﴿ يَتَوَارَى مِنَ الْقَوْمِ ... ﴾ ٧١

١٠١ ﴿ وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً ... ﴾ ٦١٤

١٠٢ ﴿ قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ ... ﴾ ٦١٤

١٠٣ ﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ ... ﴾ ٦١٤

٦١٩، ٦٢٠

١٠٥ ﴿ إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ ... ﴾ ٦٢٠

١٠٦ ﴿ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ ... ﴾ ٦٢٠

١٠٦ ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ ... ﴾ ٦٢٠

الفرقان (٢٥)

- ١ ﴿تبارك الذي نزل...﴾ ٥٠٧
 ٤ ﴿وقال الذين كفروا...﴾ ٥٠٧
 ٥ ﴿وقالوا اساطير...﴾ ٥٠٧
 ٧ ﴿وقالوا ما لهذا...﴾ ٥٠٨، ٥٠٩
 ٨ ﴿أو يلقى إليه كثر...﴾ ٥٠٨
 ٢٧ ﴿ويوم يعص الظالم...﴾ ٥٠٩
 ٢٨ ﴿يا ويلتا ليتني لم...﴾ ٥٠٩
 ٢٩ ﴿لقد أضلني عن الذكر...﴾ ٥٠٩

الشعراء (٢٦)

- ٣ ﴿لعلك باخع نفسك ألا...﴾ ٤٠٤
 ٤ ﴿إن نشأ نزل عليهم...﴾ ٤٠٤
 ٥ ﴿وما يأتيهم من ذكر...﴾ ٤٠٤
 ٦ ﴿فقد كذبوا فسيأتهم...﴾ ٤٠٤
 ١٩٣ ﴿نزل به الروح الامين﴾ ٤٠٤
 ١٩٤ ﴿على قلبك لتكون من...﴾ ٤٠٤
 ١٩٥ ﴿بلسان عربي مبين﴾ ٤٠٤
 ١٩٦ ﴿وإنه لفي زبر الأولين﴾ ٤٠٤
 ١٩٧ ﴿أو لم يكن لهم آية أن...﴾ ٤٠٤
 ١٩٨ ﴿ولو نزلناه على بعض...﴾ ٤٠٤
 ١٩٩ ﴿فقراء عليهم ما كانوا...﴾ ٤٠٤
 ٢٠٠ ﴿كذلك سلكناه في...﴾ ٤٠٤

٩٢ ﴿أو تسقط السماء كما...﴾ ٥٢٣

٩٣ ﴿أو يكون لك بيت...﴾ ٥٢٣

١١٠ ﴿ولا تجهر بصلاتك...﴾ ٥٢٥

الكهف (١٨)

٢٣ ﴿ولا تقولن لشيء...﴾ ٦١٣

٢٤ ﴿إلا أن يشاء الله﴾ ٦١٣

مريم (١٩)

١ ﴿كهيعص﴾ ٥٨٣

٢٥ ﴿وهزّي إليك بجذع...﴾ ٥٧٩

٢٦ ﴿فكّلي واشربي وقرّي...﴾ ٥٧٩

٦٤ ﴿وما ننزل إلا بأمر ربك﴾ ٦١٣

٧٧ ﴿أفرأيت الذي...﴾ ٥١٠، ٥١١

٨١ ﴿اتخذوا من دون الله...﴾ ١٢٠

الانبياء (٢١)

١٢ ﴿فلما أحسوا بأسنا اذا...﴾ ١٤٥

٩٨ ﴿إنكم وما تعبدون...﴾ ٦٥٥

١٠١ ﴿إن الذين...﴾ ٦٥٥، ٦٥٦

الحج (٢٢)

٣٩ ﴿أذن للذين يقاتلون...﴾ ٧٠٠

- ٢٠١ ﴿ لا يؤمنون به حتى يزوا... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٢ ﴿ فيأتيهم بغتة وهم... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٣ ﴿ فيقولوا هل نحن... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٤ ﴿ أفعبأبنا يستعجلون ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٥ ﴿ أفرأيت إن متعناهم... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٦ ﴿ ثم جاءهم ما كانوا... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٧ ﴿ ما أغنى عنهم ما... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٨ ﴿ وما أهلكنا من قرية... ﴾ ٤٠٤
 ٢٠٩ ﴿ ذكرى وما كنا ظالمين ﴾ ٤٠٤
 ٢١٠ ﴿ وما تنزلت به الشياطين ﴾ ٤٠٤
 ٢١١ ﴿ وما ينبغي لهم وما... ﴾ ٤٠٤
 ٢١٢ ﴿ إنهم عن السمع... ﴾ ٤٠٤
 ٢١٣ ﴿ فلا تدع مع الله... ﴾ ٤٠٤
 ٢١٤ ﴿ وأنذر عشيرتك... ﴾ ٤٠١، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤١٠، ٤١٥، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٤٥، ٤٤٧، ٥١١

القصص (٢٨)

- ٢٤ ﴿ وجدتها وقومها... ﴾ ١١٣
 ٤٩ ﴿ تقاسموا بالله لنبيسنه... ﴾ ١٠٣
 ٥٣ ﴿ وأنجينا الذين آمنوا... ﴾ ١٠٣
 ٤٦ ﴿ ولكن رحمة من ربك... ﴾ ٥١٢
 ٤٧ ﴿ ولولا أن تصيبهم... ﴾ ٥١٢
 ٤٨ ﴿ فلما جاءهم الحق... ﴾ ٥١٢
 ٤٨ ﴿ سحران تظاهرا... ﴾ ٥١٣
 ٥٣ ﴿ واذا يتلى عليهم... ﴾ ٥١٣
 ٥٥ ﴿ سلام عليكم لا نبتغي... ﴾ ٥١٣
 ٥٦ ﴿ إنك لا تهدي من... ﴾ ٥١٤
 ٥٧ ﴿ وقالوا إن ننبع... ﴾ ٥١٧
 ٦١ ﴿ أفن وعدناه وعداً... ﴾ ٥١٨

العنكبوت (٢٩)

- ١ ﴿ الم ﴾ ٦٨٢
 ٢ ﴿ احسب الناس أنى... ﴾ ٦٨٢
 ٣ ﴿ ولقد فتنا الذين... ﴾ ٦٨٢
 ٨ ﴿ ووطينا الانسان... ﴾ ٦٨٤
 ٩ ﴿ والذين آمنوا... ﴾ ٦٨٤
 ١٠ ﴿ ومن الناس من... ﴾ ٦٨٤
 ١١ ﴿ ول يعلمن الله الذين... ﴾ ٦٨٤
 ٢٢ ﴿ فكث غير بعيد فقال... ﴾ ١١٣
 ٢٣ ﴿ إني وجدت امرأة... ﴾ ١١٣

النمل (٢٧)

الاحزاب (٣٣)

٧٠ ﴿ولا تبرجن تبرج...﴾ ٣٣

سبا (٣٤)

٩٧ ﴿لقد كان لسبا في...﴾ ١٥

٩٧ ﴿فأعرضوا فأرسلنا...﴾ ١٦

٩٩ ﴿جئتني ذواتي اكل...﴾ ١٦

٩٩، ٩٧ ﴿ذلك جزيناهم بما...﴾ ١٧

٩٧ ﴿وجعلنا بينهم وبين...﴾ ١٨

٩٧، ٩٧ ﴿فقالوا ربنا باعد بين...﴾ ١٩

٩٩، ٩٨

٩٩، ٩٧ ﴿ولقد صدق عليهم...﴾ ٢٠

يس (٣٦)

٧٣٦، ٥٠٦، ٥٠٥ ﴿يس﴾ ١

٥٠٥ ﴿والقرآن الحكيم﴾ ٢

٧٣٦، ٥٠٦

٥٠٥ ﴿إنك لمن المرسلين﴾ ٣

٥٠٥ ﴿لئنذر قوماً ما أنذر...﴾ ٦

٥٠٥ ﴿لقد حق القول على...﴾ ٧

٥٠٥ ﴿إننا جعلنا في أعناقهم...﴾ ٨

٥٠٥ ﴿وجعلنا من بين...﴾ ٩

٧٣٥، ٧٣٤

١٢ ﴿وقال الذين كفروا...﴾ ٦٨٥

١٣ ﴿ول يحملن أثقالهم...﴾ ٦٨٥

٥٦ ﴿يا عبادي الذين...﴾ ٦٨٦

٦٠ ﴿وكأي من دابة لا...﴾ ٦٨٦

٦٩ ﴿والذين جاهدوا فينا...﴾ ٦٨٦

الروم (٣٠)

١ ﴿الم﴾ ٦٧٨، ٦٦٠، ١٦٣

٢ ﴿غلبت الروم﴾ ١٦٣

٦٧٨، ٦٦٠

٣ ﴿في ادنى الارض...﴾ ١٦٣

٦٧٨، ٦٥٩

٤ ﴿في بضع سنين لله...﴾ ١٦٣

٥ ﴿ينصر الله ينصر من...﴾ ١٦٣

لقمان (٣١)

٦ ﴿ومن الناس...﴾ ٥٥٢، ٥٥١

٧ ﴿واذا تتلى عليه...﴾ ٥٥٢

٢٠ ﴿ومن الناس من...﴾ ٥٥٣

٢١ ﴿واذا قيل لهم اتبعوا...﴾ ٥٥٣

٢٨ ﴿ما خلقكم ولا بعثكم...﴾ ٥٥٣

٣٤ ﴿إن الله عنده علم...﴾ ٥٥٣

- | | | | |
|----|--|----|--|
| ٧ | ﴿ ما سمعنا بهذا في ... ﴾ ١١٢ ، | ٩ | ﴿ فأغشيناهم فهم لا ... ﴾ ٧٣٦ |
| | ٥٠١ ، ٥٠٠ | ٧٤ | ﴿ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ ... ﴾ ١٢٠ |
| ٨ | ﴿ أُنْزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ ... ﴾ ٥٠١ | ٧٧ | ﴿ أُولَئِكَ يَرِى الْإِنْسَانُ أَنَّهُ ... ﴾ ٥٠٦ |
| ٩ | ﴿ أُمٌّ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ ... ﴾ ٥٠١ | ٧٨ | ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مِثْلًا ... ﴾ ١٢١ ، |
| ١٠ | ﴿ أُمٌّ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ ... ﴾ ٥٠١ | | ٥٠٧ ، ٥٠٦ |

الزمر (٣٩)

- | | |
|----|---|
| ٣ | ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ ... ﴾ ١٢٠ |
| ٣ | ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا ... ﴾ ١٢٢ |
| ١٠ | ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ ... ﴾ ٥٥٤ |
| ١٠ | ﴿ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ﴾ ٦١٨ |

فصلت (٤١)

- | | |
|----|---|
| ١ | ﴿ حَمِمْ ﴾ ٧٠٦ ، ٦٥٤ |
| ٢ | ﴿ تَنْزِيلٍ مِنْ ... ﴾ ٧٠٦ ، ٦٥٤ |
| ٣ | ﴿ كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ... ﴾ ٦٠١ |
| ٤ | ﴿ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ... ﴾ ٦٠١ |
| ٥ | ﴿ وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكْثَثٍ ... ﴾ ٦٠١ |
| ٦ | ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ ... ﴾ ٦٠٢ |
| ٧ | ﴿ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ... ﴾ ٦٠٢ |
| ١٣ | ﴿ فَانْ أَعْرَضُوا فَقُلْ ... ﴾ ٤٤٢ |
| ٣٧ | ﴿ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ ... ﴾ ١١٣ |

الصفات (٣٧)

- | | |
|-----|---|
| ٦٢ | ﴿ ذَلِكَ خَيْرٌ نَزْلًا أَمْ ... ﴾ ٥٢١ |
| ٦٣ | ﴿ إِنَّا جَعَلْنَاهَا قِتَّةً ... ﴾ ٥٢١ |
| ١٠٢ | ﴿ يَا بَنِيَّ إِنِّي أَرَى فِي ... ﴾ ٨٩ |
| ١٠٢ | ﴿ يَا أَبَتِ أَفَعَلْ مَا تُمُرُ ... ﴾ ٨٩ |
| ١٠٤ | ﴿ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمَ ... ﴾ ٩٠ |
| ١٠٥ | ﴿ قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا ... ﴾ ٩٠ |
| ١٠٦ | ﴿ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴾ ٩٠ |

ص (٣٨)

- | | |
|---|--|
| ١ | ﴿ ص وَالْقُرْآنُ ذِي الذِّكْرِ ﴾ ٥٠٠ |
| ٤ | ﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ ... ﴾ ١١٢ ، |
| | ٥٠١ ، ٤٩٩ |
| ٥ | ﴿ اجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا ... ﴾ ١١٢ ، |
| | ٥٠١ ، ٤٩٩ |
| ٦ | ﴿ وَانْطَلِقِ الْمَلَأَ مِنْهُمْ ... ﴾ ١١٢ ، |
| | ٥٠١ ، ٤٩٩ |

٢٩ ﴿أَشَدَّاءَ عَلَى الْكَفَّارِ﴾ ٨٢

الحجرات (٤٩)

١٣ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا...﴾ ٧٣

ق (٥٠)

٢٤ ﴿الْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلِّ...﴾ ٤٩٧

٢٥ ﴿مَنَّاَعٌ لِلْخَيْرِ مَعْتَدٍ مُّزِيْبٌ﴾ ٤٩٧

٢٦ ﴿الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ...﴾ ٤٩٧

٢٩ ﴿مَا يَبْدُلُ الْقَوْلَ لَدِيَّ...﴾ ٤٩٠

الذاريات (٥١)

٤٤ ﴿فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ...﴾ ١٠٣

النجم (٥٣)

١١ ﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾ ٤٨٢

١٢ ﴿أَفَتَأْتِرُونَهُ عَلَىٰ مَا يَرَى﴾ ٤٨٢

١٩ ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ﴾ ١١٤

٢٠ ﴿وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ ١١٤

٢١ ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنْثَى﴾ ١١٤

٢٨ ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يَغْنِي مِنْ...﴾ ٢٧١

٣٣ ﴿أَفَرَأَيْتِ الَّذِي...﴾ ٤٨٣، ٤٨٢

٣٤ ﴿وَاعْطَىٰ قَلِيلًا...﴾ ٤٨٣، ٤٨٢

الشورى (٤٢)

٥٢ ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا...﴾ ٣٧٢، ٣٧٠

٥٢ ﴿مَا كُنْتَ تَدْرِي...﴾ ٣٧١، ٣٦٥

الزخرف (٤٣)

٣١ ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا...﴾ ٦٠٢، ٦٠٤

٦٠٥، ٦٠٤

٣٢ ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ...﴾ ٦٠٤

الدخان (٤٤)

٤٣ ﴿إِنَّ شَجَرَةَ الزُّقُومِ﴾ ٦٠٦

٤٤ ﴿طَعَامَ الْأَثِيمِ﴾ ٦٠٦

الجاثية (٤٥)

٢٤ ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا...﴾ ١٢٠

الاحقاف (٤٦)

٢٤ ﴿بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ...﴾ ١٤٤

٢٩ ﴿وَإِذَا صَرَفْنَا إِلَيْكَ...﴾ ٦١٠، ٦٠٦

٣٠ ﴿قَالُوا يَا قَوْمَنَا...﴾ ٦٠٧، ٦٠٦

الفتح (٤٨)

٢٦ ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي...﴾ ٧٠

[illegible]

- | | | |
|----|--|-----|
| ١٣ | ﴿عُتِّلْ بعد ذلك زعيم﴾ | ٤٥٠ |
| ١٤ | ﴿أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ﴾ | ٤٥٠ |
| ١٥ | ﴿إِذَا تَتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُنَا...﴾ | ٤٥٠ |
| ٣٤ | ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ...﴾ | ٤٥١ |
| ٣٥ | ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ...﴾ | ٤٥١ |
| ٣٦ | ﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ | ٤٥١ |

المزمل (٧٣)

- | | | |
|----|-------------------------------------|-----|
| ١٠ | ﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا...﴾ | ٤٥٢ |
| ١١ | ﴿وَذُرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ...﴾ | ٤٥٢ |
| ١٥ | ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ...﴾ | ٤٥٢ |
| ١٧ | ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ...﴾ | ٤٥٣ |
| ١٩ | ﴿إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ...﴾ | ٤٥٣ |

المدثر (٧٤)

- | | | |
|----|------------------------------|--------------------|
| ١ | ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ﴾ | ٣٩٨ |
| ٢ | ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ | ٤٠١، ٣٩٩ |
| ٣ | ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ | ٣٩٨ |
| ٥ | ﴿وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ﴾ | ٣٩٨ |
| ١١ | ﴿ذُرْنِي وَمَنْ خَلَقْتَ...﴾ | ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥١ |
| ١٢ | ﴿وَجَعَلْتَ لَهُ مَالًا...﴾ | ٤٤٣، ٤٥١ |
| ١٣ | ﴿وَبَنِينَ شُهُودًا﴾ | ٤٤٣ |

الحاقة (٦٩)

- | | | |
|---|-----------------------------------|-----|
| ٤ | ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ...﴾ | ١٤٤ |
| ٥ | ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَاهْلِكُوا...﴾ | ١٤٤ |
| ٦ | ﴿وَأَمَّا عَادُ فَاهْلِكُوا...﴾ | ١٤٤ |

المعارج (٧٠)

- | | | |
|---|--------------------------------------|-----|
| ١ | ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ | ٦٥٦ |
| ٢ | ﴿لِلْكَافِرِينَ لَيْسَ لَهُ دَافِعٌ﴾ | ٦٥٦ |

نوح (٧١)

- | | | |
|----|--|----------|
| ٢١ | ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّهِمْ...﴾ | ١١٤ |
| ٢٢ | ﴿وَمَكْرُوا مَكْرًا كُبَّارًا﴾ | ١١٤ |
| ٢٣ | ﴿وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ...﴾ | ١١٥، ١١٦ |
| ٢٤ | ﴿وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا...﴾ | ١١٥ |

الجن (٧٢)

- | | | |
|---|----------------------------|----------|
| ١ | ﴿قُلْ أُوْحِيَ إِلَيَّ...﴾ | ٦٠٧، ٦٠٨ |
|---|----------------------------|----------|

٤٩٣ ﴿أَمَّا مِنْ اسْتَغْنَى﴾ ٥	٤٤٣ ﴿وَمَهَّدَتْ لَهُ تَهِيداً﴾ ١٤
٤٩٣ ﴿فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى﴾ ٦	٤٤٣ ﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ﴾ ١٥
٤٩٣ ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزْكَى﴾ ٧	٤٤٣ ﴿كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا...﴾ ١٦
٤٩٣ ﴿وَأَمَّا مِنْ جَاءَكَ يَسْعَى﴾ ٨	٤٤٣ ﴿سَأَرْهُقَهُ صُعُوداً﴾ ١٧
٤٩٣ ﴿وَهُوَ يَخْشَى﴾ ٩	٤٤٣ ﴿إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ﴾ ١٨
٤٩٣ ﴿فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى﴾ ١٠	٤٤٣ ﴿فَقَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ١٩
٤٩٣ ﴿كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ﴾ ١١	٤٤٣ ﴿ثُمَّ قَتَلَ كَيْفَ قَدَّرَ﴾ ٢٠
٤٩٣ ﴿فَمَنْ شَاءَ ذَكَرْهُ﴾ ١٢	٤٤٣ ﴿ثُمَّ نَظَرَ﴾ ٢١
٤٩٥ ﴿قَتَلَ الْإِنْسَانَ مَا أَكْفَرَهُ﴾ ١٧	٤٤٣ ﴿ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ﴾ ٢٢
٤٩٥ ﴿مَنْ أَيُّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ ١٨	٤٤٣ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ﴾ ٢٣
	٤٤٣ ﴿فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ...﴾ ٢٤
التكوير (٨١)	٤٤٣ ﴿إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ﴾ ٢٥
٨١ ﴿وَإِذَا الْمَوْءِدَةُ سُئِلَتْ﴾ ٨	٤٤٣ ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ﴾ ٢٦
٧١ ﴿بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ﴾ ٩	٤٤٣ ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرٌ﴾ ٢٧
المطففين (٨٣)	المرسلات (٧٧)
٦٨٧ ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ﴾ ١	٤٩٦ ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا﴾ ١
البروج (٨٥)	عبس (٨٠)
١٩٨، ١٢٩ ﴿قُتِلَ أَصْحَابُ...﴾ ٤	٤٩٣ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى﴾ ١
١٩٨، ١٢٩ ﴿النَّارُ ذَاتُ...﴾ ٥	٤٩٣ ﴿أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى﴾ ٢
١٩٨، ١٢٩ ﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ﴾ ٦	٤٩٣ ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزْكَى﴾ ٣
١٩٨، ١٢٩ ﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا...﴾ ٧	٤٩٣ ﴿أَوْ يَذْكُرُ فِتْنَعَهُ الذَّكْرَى﴾ ٤

٨	﴿وما نَقَمُوا مِنْهُمْ...﴾ ١٩٨، ١٢٩	٨	﴿وَالِ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ ٤٦٢
٩	﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ...﴾ ١٩٨	٩	
			العلق (٩٦)
	الاعلى (٨٧)	١	﴿إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي...﴾ ٣٨٢، ٤٥٨، ٤٥٧
١	﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ...﴾ ٤٥٨، ٤٥٧	١	﴿إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ ٣٨٢
	البلد (٩٠)	٢	﴿الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ ٣٨٢
٥	﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ...﴾ ٤٩٧	٣	﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا...﴾ ٣٩٩، ٣٨٢
٦	﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ...﴾ ٤٩٨، ٤٩٧	٩	﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي...﴾ ٤٥٤، ٤٥٢
٧	﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَمْ يَرِهِ أَحَدٌ﴾ ٤٩٧	١٠	﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّى﴾ ٤٥٤، ٤٥٢
	الضحى (٩٣)	١٣	﴿أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى﴾ ٤٥٤
١	﴿والضحى﴾ ٣٩٦	١٥	﴿كَلا لئن لم ينته لنسفعا...﴾ ٤٥٤
٣	﴿وَمَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا...﴾ ٣٨٢، ٤٥٨، ٣٩٦، ٣٨٣	١٦	﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ﴾ ٤٥٤
٥	﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ...﴾ ٤٦٠، ٣٩٧	١٧	﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ ٤٥٤
١١	﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ...﴾ ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١		العاديات (١٠٠)
		١	﴿العاديات ضحاً﴾ ٤٦٣، ٤٦٤
			العصر (١٠٣)
	الشرح (٩٤)	٣	﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا...﴾ ٤٦٣
٢	﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وَزْرَكَ﴾ ٤٦٢		الفيل (١٠٥)
٦	﴿إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ ٤٦٢	١	﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ...﴾ ٢٠٦
٧	﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَب﴾ ٤٦٢		

٢	﴿ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي... ﴾ ٢٠٦	٢	﴿ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴾ ٤٧٠
٣	﴿ وَأَرْسَلْ عَلَيْهِمْ طَيْرًا... ﴾ ٢٠٦		
٤	﴿ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ... ﴾ ٢٠٦		النصر (١١٠)
٥	﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ ﴾ ٢٠٦	١	﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ ﴾ ٣٨٣

	قريش (١٠٦)		المسد (١١١)
١	﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴾ ٢٣٢، ٩٨	١	﴿ تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ ٤٥٦
٢	﴿ إِلْفِهِمْ رِحْلَةَ... ﴾ ٢٣٢، ٩٨	٢	﴿ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ... ﴾ ٤٥٦
٣	﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا... ﴾ ٢٣٢، ٩٨	٣	﴿ سَيَصِلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴾ ٤٥٦
٤	﴿ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ... ﴾ ٢٣٢، ٩٨	٤	﴿ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ﴾ ٤٥٦
		٥	﴿ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ﴾ ٤٥٦

	الماعون (١٠٧)		الاخلاص (١١٢)
٤	﴿ فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ ﴾ ٤٦٨		
٥	﴿ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ... ﴾ ٤٦٨	١	﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ ٤٧١
٦	﴿ الَّذِينَ هُمْ يُرَآؤُونَ ﴾ ٤٦٨		٤٧٦، ٤٧٥
٧	﴿ وَيُمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ﴾ ٤٦٨		

	الكوثر (١٠٨)		الفلق (١١٣)
١	﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ... ﴾ ٤٦٧، ٤٦٥	١	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ... ﴾ ٤٧٣، ٤٧١
٢	﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴾ ٤٦٥	٢	﴿ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾ ٤٧٣
٣	﴿ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ... ﴾ ٤٦٦، ٤٦٥		

	الكافرون (١٠٩)		الناس (١١٤)
١	﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا... ﴾ ٤٧٠، ٤٦٩	١	﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ٤٧١

فهرس الأحاديث الشريفة

٤٠٧	إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ...	٧٤١	إِثْتِ عَلِيًّا وَبَشِّرْهُ بِأَنَّ...
٦٣٨	إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَنِي فِي...	٦٩٥	أَبَايَعُكُمْ عَلَى الْإِسْلَامِ
٤٧٧	إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَسْرَى بِي فِي هَذِهِ...	٦٩٥	أَبَايَعُكُمْ كَبِيْعَةَ عَيْسَى...
٥١٧	إِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ قَوْلَكَ حَقٌّ...	٥٥٣	اتَّبِعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ...
٢٨٦	أُنْسِي وَكُنْتُ أُنْسُهُ وَكَانَ...	٦١٠، ٤٥٧	اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ
٣٤٢	إِنْ شِئْتُ أَسْمِعَنَّكَ صَوْتَهُ...	٤٥٧	اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ
٦٢٢	إِنْ عَادُوا فَعَدَّ فَقَدْ أُنْزِلَ...	٤٢٠	اجْلِسْ فَإِنَّتِ أَخِي...
٢٤٢	إِنَّ عَبْدَ الْمُطَلِّبِ سَنَّ فِي...	٣٠٨	اجْلِسْ بِاسْمِ اللَّهِ فَإِنَّ هَذَا...
١٣٢	إِنَّ عَمْرُو بْنَ لُحْيٍ بَنَ قَعْقَةَ...	٦١٣، ٦١٢	اخْبِرْكُمْ بِمَا سَأَلْتُمْ عَنْهُ
٥٥٢	إِنَّمَا الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ آيَةُ حِكْمَةٍ...	٦٣٧	اذهب فغسله وكفنه وواراه...
٤١٧	إِنَّ هَذَا أَخِي وَوَصِيِّي...	٥٦٤	ارحلوا مهاجرين الى...
٦١٠، ٦٠٩	إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَقْرَأَ عَلَى...	٤٣٠	اللهم اعم بصره واثكله...
٣٥١	إِنِّي أَحْبَبْتُ أَنْ تَدْفَعَ إِلَيَّ...	٦٤٧	اللهم اليك أشكو ضعف...
٣٨٩	إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكَ خَاصَّةً...	٤٨١	اللهم سلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا...
٤٤٥	إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ أَدْعُوكُمْ إِلَى...	١١٠	إِلَى شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا...
١٣٥	إِيهَا النَّاسُ إِنَّ الشَّمْسَ...		

- ٤٧٨ أتاني جبرئيل عليه السلام وأنا ...
- ٦١٠، ٦٠٩ أتاني داعي الجن ...
- ٦٩٥، ٦٩٢ أخرجوا إليّ منكم ...
- ٤٥٥، ٤٤٧، ٤٢١ أرايتكم إن ...
- ٣٨٩ أعبد إله السماوات و ...
- ٧٣٥ أفدني بنفسك ...
- ٦٨٣، ٦٢٣ أفلح أبو اليقظان ...
- ٥١٥ ألا تركت الشيخ فآتيه ...
- ٣٤٣ أما ترضين أن تجديه قائماً ...
- ٢٦٢، ٢٦١ أمّا علمت أنّها ابنة ...
- ٤١٠ أمّا والله لتقومن أو يكون ...
- ٢٤٦، ٢٤٥ أنا ابن الذبيحين
- ٤٢٤ أنت أخي ووصيي ووارثي ...
- ٧٤١ أوحى الله إليّ جبرئيل ...
- ٥٤٧ أيّ شيء تحبون أن آتيكم به
- ٣٩٤ أي عمّ هذا دين الله ودين ...
- ٤١٥ أيكم يكون أخي ووارثي
- ٤١٤ أيكم يكون وزيري ...
- ٦٣٧ أي والله اني لأرجو له
- ١٤٠ أيّها الناس انّ لنسائكم ...
- ٦٣٨ بالكره مني ما أرى ولعلّ ...
- ٣٩٨ بينا أنا امشي إذ سمعت ...
- ٦٩١ تمنعون جانبي حتى أتلو ...
- ٤٩٠ ثمّ غشيتني صباة فخررت ...
- ٥٥٢ ذاك علم لا يضرّ من ...
- ٦٢٣، ٥٥٧ صبراً آل ياسر فإنّ ...
- ٦١١ غداً أخبركم
- ٣٤٣ فإن الله أعزّ وأكرم من أن ...
- ٥٤٧ فإن فعلت بعض ما ...
- ٣٩٨ فجئت منه فرقاً
- ٧٠٣، ١١٠ قد أبدلنا الله به ما هو ...
- ٦٢١ كلّاً إنّ عماراً ملئ ايماناً ...
- ١٩٣ لا تسبّوا تبعاً فإنّه كان ...
- ٦١٢ لقد احتبست عني يا ...
- ٣٦٠ لقد رأيتني في غلمان ...
- ٣٠٧ لقد سألتني عن خير ...
- ٣١٣ لقد شهدت في دار عبد الله ...
- ٥٩٦ لقد صاهرنا أبو العاص ...
- ٣٩٠ لقد صلّت الملائكة عليّ ...
- ٣١٠ لقد ولدنا الليلة مولود ...
- ٦٩٣ لم أوامر بذلك ولم يأذن ...
- ٢٨٢ لو أدرك أبو طالب هذا ...
- ٥٠٩ ما أنا بآكل من طعامك ...
- ٣١٨ ما بعث الله نبياً إلّا ...

٣٩٧	يا خديجة هذا جبرئيل ...	٣١٦	ما كان من حلف في ...
٣٥٢	يا عباس ان أخاك أبا ...	٣٦٠ ، ٢٩٩	ما هممت بشيء مما ...
٧٣٢	يا علي إن الروح هبط علي ...	٣٤٣	ما يبكيك ألم أنك ...
٤١٦	يا علي إن الله تعالى ...	٤٩٣	مرحباً مرحباً لا والله لا ...
٧٤٧	يا علي إنهم لن يصلوا من ...	٤١٤	من يكون وصيي و ...
٧٤٩	يا علي أنت أول هذه الأمة ...	٣٩٣	نزلت علي النبوة يوم ...
٦٢١	يا عمار ان عادوا فعد فقد ...	٢٥١	نعم أنا دعوة أبي ابراهيم ...
٦٣٨	يا عمّ ربيّت صغيراً ...	٣١٨	نعم كنت أرهاها على ...
٥١٤	يا عمّ قل لا إله إلا الله ...	١٣٦	وأمت الجاهلية إلا ما سنّه ...
٣٠٨	يا عمّ مالي أراك مغموماً ...	١٧٥	هذا أول يوم انتصف فيه ...
٥٠٢	يا عمّ والله لو وضعوا ...	٩٨	هو رجل من العرب ولد ...
٤٤٤ ، ٤٣١	يا معشر قريش يا معشر ...	٤٨٠	يا أم هاني لقد صلّيت ...
٦٢٤	يا ناركوني برداً وسلاماً ...	٤١٠	يا أبا الحسن أنت لها قضي ...
	الامام علي عليه السلام	٧٤٠	يا بن اريقط أءتمنك ...
٤٠٩	اجيبوا رسول الله الى ...	٤٢٢	يا بني عبد المطلب ...
٧٤٧	اربع عليك فان رسول ...	٤٢٠	يا بني عبد المطلب إن الله ...
٧٥	إطباق جهل ...	٤١٤ ، ٤١٣	يا بني عبد المطلب إنّي ...
٧٣٢	إمض بما أمرت فذاك ...	٤١٧	يا بني عبد المطلب إنّي ...
٢٤٩	انّ آمنة بنت وهب رأت ...	٤١٠	يا بني عبد المطلب إنّي ...
١٦٠	أنّه انوشيروان وهو لكفره ...	٤١٢	يا بني عبد المطلب إنّي أنا ...
٩١	ألا ترون أنّ الله ...	٦١١	يا جبرئيل لقد أبطأت ...
		٣٤٢	يا خديجة أما ترضين اذا ...

- أنا أول من صلى مع رسول الله ... ٣٩١
أنا عبد الله وأخو رسول ... ٣٩٣، ٣٩١
أنا يا رسول الله أوأزرك ... ٤٢٠
أوتسلمن بمبيني هناك يا نبي ... ٧٣٢
بعث رسول الله يوم الاثنين ... ٣٩٥
بلى قد كان لهم كتاب رفع ... ١٩٦
دعاهم فجمعهم على فخذة شاة ... ٤١٤
سألت النبي ﷺ عن ... ٣٨٣
سمعت رسول الله يقول ما ... ٣٦٠، ٢٩٩
صليت قبل الناس سبع سنين ... ٣٨٥
صليت قبل أن يصلي ... ٣٩١
قال رسول الله ﷺ نزلت علي ... ٣٩٣
قال عبد المطلب اني لنائم ... ٢٣٥
كانوا يصلون الى البيت على ... ٢٨٦
لقد عبت الله قبل أن ... ٣٨٦، ٣٥٥
لما أنزلت ﷻ وأنذر عشيرتك ... ٤١٥
لما توفي أبو طالب اخبرت ... ٦٣٧
لما كان بعد ثلاث سنين من ... ٥٣٣
لما نزلت هذه الآية ﷻ وأنذر ... ٤١٦
ليس كما ذكرت ولكن ... ١٩٥
ما أعلم أحداً من هذه ... ٣٩٥، ٣٩١
مرّ علينا أبو طالب ونحن ... ٣٩٠
- والأحوال مضطربة والأيدي ... ٧٤
والله ما عبد أبي صنماً قط ... ٢٨٦
والناس ضلال في حيرة ... ٧٤
وأنتم معشر العرب على شر ... ٧٤
وبلاء من الجهل ... ٧٥
ولقد قرن الله به من لدن ان ... ٢٧٤،
٣٥٩، ٢٩٩
يا أبا بكر لقد وقعت من ... ٦٤٥
يا أبت آمنت بالله وبرسول الله ... ٣٩٤
يا رسول الله أناها ... ٤١٠
يا رسول الله حتى أمضي ... ٣٨٩
يوكل الله تعالى بأنبياؤه ملائكة ... ٢٧٤،
٣٥٩، ٢٩٩
- الحسين عليه السلام
- أحلف بالله لتتصفني ... ٣١٤
خيرّه في ثلاث والرابعة ... ٣١٥
- السجاد عليه السلام
- أن رسول الله لما فقد عمه ... ٥٩٣
إن فاطمة بنت أسد ضربها ... ٣١٠
إنما كان لعلي عليه السلام حيث بعث ... ٣٨٦

- ٥٠٧ في قوله (وأعانه عليه قوم ...
 ٥٥٣ قال رسول الله ﷺ أتبع ما ...
 ٤٦٥ كان القاسم ابن رسول الله ﷺ ...
 ٥٤٣ كان رسول الله ﷺ يحب ...
 ٢٤٤ كان عبد المطلب ولد له تسعة ...
 ٢١٨ كان في أيديهم أشياء كثيرة ...
 ٣٣٠ كان نبي الله أبيض الوجه ...
 ٥٤٥ لما نزلت فلا تقعد ...
 ٦٥٥ لما نزلت هذه الآية وجد ...
 ٣٧٦ مكث رسول الله ﷺ بمكة ثلاث ...
 ٦٨٧ نزلت (سورة المطففين) على نبي ...
 ٣٧٥ وكان محمد ﷺ حين جمعت له ...
 ٣٦٢ وكل الله بمحمد ﷺ ملكاً ...
 ٣٤٦ ولدت فاطمة بعدما أظهر الله ...
 ٣٤٦ ولدت فاطمة بنت محمد ﷺ بعد ...
 ٣٣٩ ولد لرسول الله ﷺ من خديجة ...
 ٣٧٥ ومنهم من تجمع له الرسالة ...

الصادق عليه السلام

- ٢٥٦ أتى به عبد المطلب ...
 ٤٩٨ اجتمعوا أربعة عشر ...
 ٦١٤ اذا أخبر الله النبي ﷺ ...
 ٤٢٩ اكتتم رسول الله ﷺ ...

- ٧٥٠ كان خروج رسول الله ﷺ ...
 ٦٣٤ كانت خديجة قد ماتت قبل ...
 ٤٨٩ لبّاهبط رسول الله الى ...
 ٤٩١ يا بُني إن رسول الله ﷺ ...

الباقر عليه السلام

- ٣٦٢، ٣٦١ الرسول الذي يأتيه ...
 ٤٧١ إن رسول الله اشتكى ...
 ٧٢٨ إن قريشاً لم تزل تجيل الآراء ...
 ٥٤١ إن مشركي أهل مكة في ...
 ٥٥٣ إنهم قالوا يا محمد خلّقنا ...
 ٥٢٧ أخبرني جابر بن عبد الله ...
 ٢٠٤ أرسل الله عليهم طيراً ...
 ١٩٥ أرسل علي عليه السلام الى أسقف ...
 ٥٠٠ أقبل أبو جهل بن هشام ...
 ٥٥١ أن رسول الله ﷺ كان يحب ...
 ٣٨٢، أول سورة نزلت كانت ...
 ٤٥٨، ٣٩٦

- ٣٤٧ توفيت فاطمة بعد النبي ﷺ ...
 ٣٤٣ توفي طاهر ابن رسول الله ﷺ ...
 ٣٤٧ دخل العباس على علي بن أبي ...
 ٣٤٢ دخل رسول الله ﷺ على ...
 ٥١٩ ذلك أن محمداً سأله قومه أن ...

- الأمر أعظم من ذلك ... ٣٧٠
- إن إبراهيم عليه السلام أتاه جبرئيل ... ٨٨
- إن إبراهيم عليه السلام كان مولده ... ٨٢
- إن إبراهيم عليه السلام كان نازلاً في ... ٨٦
- إن العرب لم يزوالوا على شيء ... ٢١٨
- إن الله إذا اتخذ عبداً رسولا ... ٤٠٠
- إن الله عز وجل أحب لأتبيائه ... ٣١٧
- إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعلي عليه السلام إن ... ٢٤٢
- إن اليهود سألو رسول الله فقالوا ... ٤٧٥
- إن أبا طالب أظهر الكفر ... ٢٨٦، ٦٣٤
- إن تبع قال للأوس والخزرج ... ١٩٣
- إن جرهم غلبت بمكة على ... ١٨٩
- إن علياً ذكر لرسول الله ابنة ... ٢٦١
- إن عمار بن ياسر أكرهه أهل ... ٦٢١
- إن عمار بن ياسر أخذ بمكة ... ٦٢٠
- إن قريشاً اجتمعت فخرج من ... ٧٢٧
- إن محمداً صلى الله عليه وسلم لما نزل من السماء ... ٤٧٧
- إن هذه الآية نزلت في عمار ... ٦٢١
- أنه كان بين تزويج أبي ... ٢٥٢
- إنه نزل جملة واحدة في ... ٣٧٧
- أرسل الله على أصحاب ... ٢٠٥
- أما سمعت قول الله في ... ٦٢٠
- أن الآية نزلت في النعمان ... ٦٥٧
- أن الكعبة كانت قبل طوفان نوح ... ٩١
- أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له إن عادوا ... ٦٢٢
- أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى ... ٥٢٥
- أن أبا طالب لما حضرته الوفاة ... ٥٩٣
- أن أصل الجذري من ذلك الذي ... ٢٠٥
- أن جبرئيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم ... ٤٧١
- أنها نزلت في رجل من بني ... ٤٩٣
- أنه توفي بعد شهرين من مولد ... ٢٥٧
- أول ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٣٨٣
- بأن مصدر العلم للعالم الإلهي ... ٣٧١
- بعث الله إليهم صالحاً فلم ... ١٠٣
- بلى قد كان في حال لا يدري ... ٣٧١
- بيننا رسول الله صلى الله عليه وسلم راقداً ... ٤٧٧
- توفي القاسم ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٤٦٦
- جاء أبي بن خلف فأخذ عظماً ... ٥٠٧
- جاء جبرئيل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ... ٤٧٠
- خلق أعظم من جبرئيل ... ٣٧٢
- خلق من خلق الله أعظم ... ٣٧٢
- ساق رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ... ٣٣٤
- عمل نوح سفينته في مسجد ... ١١٥
- كان العباس بن عبد المطلب ... ٣٠٩
- كان المؤمنون يسبون ما يعبد ... ٥٤٦
- كانت قريش قد جعلت لمن ... ٧٤٤

يحشر عبد المطلب يوم القيامة ... ٢٤٢

الصادقين عليه السلام

سئل رسول الله ﷺ عن ولد ... ٢٤٤

كان رسول الله ﷺ إذا كان بمكة ... ٥٢٥

الكاظم عليه السلام

دخل رسول الله ﷺ المسجد ... ٥٥٢

دخل النبي ﷺ المسجد الحرام ... ٣٠٨

فولدت علياً في الكعبة ... ٣١٠

لما قبض إبراهيم ابن رسول الله ... ١٣٥

الرضا عليه السلام

بعث الله عز وجلّ محمداً رحمة ... ٣٨٠

يعني اسماعيل بن إبراهيم ... ٢٤٥

الهادي عليه السلام

يوم السابع والعشرين من ... ٣٨٠

العسكري عليه السلام

إن رسول الله ﷺ كان ... ٣٢٨، ٢٩٠

إن رسول الله ﷺ لما ترك ... ٣٦٣

بلى مراراً كثيرة منها ما حكى ... ٦٠٢

كان رسول الله ﷺ إذا رأى ... ٤٩٣

كان رسول الله ﷺ محتفياً بمكة ... ٣٧٦

كان سبب نزول المعوذتين أنه ... ٤٧٠

كان صداق النبي ﷺ ... ٣٣٤

لا تدع صيام يوم سب ... ٣٧٩

لما أراد رسول الله ﷺ أن ... ٣٢٢

لما جاء آمنة بنت وهب داء ... ٢٥٧

لما خفف الله عن النبي ﷺ حتى ... ٤٨٩

لما قصد ابرهة بن الصباح ملك ... ٢٠٢

لما نزلت السورة وأخبر بذلك ... ٤٨١

ما بعث الله نبياً قط حتى ... ٣١٧

ما تزوج رسول الله ﷺ شيئاً ... ٣٣٤

ما علم رسول الله ﷺ أن ... ٤٠٠

مكث رسول الله ﷺ ... ٤٢٩، ٣٧٦

وتوفي أبوه عبد الله بالمدينة ... ٢٥٩

وكان رسول الله ﷺ وعمه ... ٢٦١

ولدت فاطمة في ... ٣٤٨

ومن أفلت منهم انطلقوا حتى ... ٢٠٥

هبط جبرئيل على رسول الله ... ٢٨٦

هؤلاء قوم كانت لهم قرى ... ٩٨

يا عائشة لما أسري بي الى ... ٥٣٦

يا مفضل إن الله تبارك وتعالى ... ٣٧٢

يبعث عبد المطلب أمةً وحده ... ٢٠٢

٣٢٤ أنه لما تزوج النبي خديجة ...
 ٣٤١ أول من ولد لرسول الله بمكة ...
 ٤٧٥ جاء أناس من أحبار اليهود ...
 ٢٨٩ خرجت الى الشام تاجراً سنة ...
 ٣٩٣ صلى النبي يوم الاثنين وصلى ...
 ١٣٥ فلما تم له ثلاث سنين قال لي ...
 ٣٥٣ كان رسول الله ﷺ قد أخذ ...
 ٣٢٠ كان سبب تزويج خديجة محمداً ...
 ٤٧٥ كان سبب نزولها أن اليهود ...
 ٢٩٣ كان في بصرى من أرض الشام ...
 ٢٩٢ كان مع رسول الله ﷺ سنة ...
 ١٩٣ لا يشتبهن عليكم أمر تبع ...
 ٢٨٣ لما بلغ رسول الله ست سنين ...
 ٢٨٤ لما تمت لرسول الله ﷺ ست ...
 ١١٥ نحت ابليس خمسة اصنام ...
 ١١٦ هذه أسماء قوم ممن كان بين ...
 ١١٥ هذه الاصنام المذكورة كان ...
 ٣٨٠ يوم سبعة وعشرين من رجب ...

٣٨١ حتى استكمل سن الأربعين ...

المعصوم عليه السلام

٣٨٠ بعث الله محمداً ﷺ لثلاث ليالٍ ...
 ٣٩٥ لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة ...

في الخبر

احتبس الوحي عنه ﷺ ... ٣٩٧، ٤٥٨
 اخرج الي بعض ولد سليمان ... ٢٤٣
 إن الله جعل أرزاق أنبيائه ... ٣١٨
 أن اهل اسفندهان كانوا مجوساً ... ١٩٦
 أن خديجة بنت خويلد عرضت ... ٣٢٤
 أن ذانواس تهود واجتمعت ... ١٩٥
 أن رسول الله ﷺ كان مع أمه ... ٢٨٣
 إن رسول الله نزلت عليه النبوة ... ٣٧٧
 أن الطير اقبلت من البحر ... ٢٠٥
 إن قريشاً أصابتها أزمة وقحط ... ٣٥٤
 أن معاوية قدم المدينة فلم ... ٣١٥
 إن النبوة نزلت على رسول الله ... ٤٣٠
 ان النبي ﷺ لما أتى له ... ٣٦٣
 أنزل على رسول الله الوحي ... ٣٧٧
 إنما نزلت في النبي وعلي ... ٣٩٣
 أنه كان بين الحسين بن ... ٣١٣

فهرس أسماء المعصومين عليه السلام

٤٩٠، ٥٥٠، ٦٢٤، ٧٣٢	أئمة أهل البيت عليه السلام	٣٨١، ٣١٧
٨٧، ٨٦، ٨٥	اسماعيل عليه السلام	٩١، ٨٨
٨٨، ١٠٦، ١٣٢، ١٨٣		١١٥، ١١٦، ٥٧٢، ٥٧٤
١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٨	نوح عليه السلام	٩١، ١٠٠
٢٠٧، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٦		١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٤١
٢٤٧، ٢٤٨، ٥٣٥، ٧٣٢		١٤٢، ١٤٣، ١٤٦، ٤٠٥
٨٢، ٨٣، ٨٥، ٤٠٥	لوط عليه السلام	١٠٠، ٤٠٥
٤٠٥	شعيب عليه السلام	١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤
١٩٢، ١٩٤	موسى عليه السلام	١٠٥، ١٤١، ١٥٢، ٤٠٥
٣٦٨، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤٨٩		٨٢
٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٥٤٧		٨٢
٥٧٢، ٦١٠، ٦٣٨، ٦٩٢		٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧
٤٠٨	هارون عليه السلام	٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢
١١٣، ١٤٧، ١٩٣، ١٩٤	سليمان عليه السلام	٩٤، ١٠٦، ١١٣، ١١٥
١٩٤، ١٩٥، ٢٠٧، ٢٥١	عيسى عليه السلام	١٨٧، ١٩٢، ٢٢٣، ٢٤٢
٢٩١، ٣٦٨، ٥٤٧، ٥٧٢		٢٤٦، ٢٤٧، ٢٥١، ٢٩١
٥٧٣، ٥٧٥، ٥٧٩، ٥٨٣		٣٠٩، ٣٦٢، ٣٨٩، ٤٠٥

٣٠٧، ٣١٠، ٣١٣، ٣١٦
 ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١
 ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٦
 ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠
 ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٧
 ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢
 ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٩
 ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣
 ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦١
 ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥
 ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٧٢، ٣٧٣
 ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٩، ٣٨٠
 ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤
 ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨
 ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢
 ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦
 ٣٩٧، ٣٩٨، ٤٠٠، ٤٠١
 ٤٠٥، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩
 ٤١٠، ٤١١، ٤١٤، ٤١٥
 ٤١٦، ٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١
 ٤٢٢، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١
 ٤٣٢، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧

٥٨٥، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٩٥
 ٦٤٧
 يونس عليه السلام
 محمد بن عبد الله، رسول الله، النبي ﷺ
 ٧٨، ٧٩، ٩٥
 ٩٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١
 ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥
 ١٣٦، ١٤٠، ١٥٣، ١٥٤
 ١٦٠، ١٦٣، ١٧٥، ١٨٠
 ١٨٢، ١٨٣، ١٩٢، ١٩٣
 ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٤١، ٢٤٢
 ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦
 ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠
 ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٧
 ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١
 ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥
 ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٢
 ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦
 ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٣
 ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨
 ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢
 ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦
 ٢٩٧، ٣٠٠، ٣٠٤

٥٧٦ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٨٦ ،
 ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩٣ ،
 ٥٩٤ ، ٥٩٥ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ ،
 ٥٩٩ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ ، ٦٠٧ ،
 ٦٠٩ ، ٦١١ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ،
 ٦١٥ ، ٦١٦ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ،
 ٦١٩ ، ٦٢٠ ، ٦٢٢ ، ٦٢٤ ،
 ٦٢٥ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ،
 ٦٣٠ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٤ ،
 ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ،
 ٦٣٩ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ، ٦٤٥ ،
 ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ ،
 ٦٥١ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ،
 ٦٥٩ ، ٦٦٠ ، ٦٧٠ ، ٦٧١ ،
 ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨٠ ، ٦٨١ ،
 ٦٨٢ ، ٦٨٤ ، ٦٨٥ ، ٦٨٧ ،
 ٦٨٨ ، ٦٩٢ ، ٦٩٣ ، ٦٩٤ ،
 ٦٩٥ ، ٦٩٦ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ،
 ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ ،
 ٧٠٦ ، ٧٠٩ ، ٧١٠ ، ٧١٢ ،
 ٧١٧ ، ٧١٩ ، ٧٢٣ ، ٧٢٧ ،
 ٧٢٩ ، ٧٣٠ ، ٧٣٢ ، ٧٣٣ ،

٤٤٠ ، ٤٤١ ، ٤٤٢ ، ٤٤٤ ،
 ٤٤٦ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، ٤٥٣ ،
 ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ،
 ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،
 ٤٦٤ ، ٤٦٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ،
 ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨١ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣ ،
 ٤٨٥ ، ٤٨٦ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ،
 ٤٩٠ ، ٤٩١ ، ٤٩٣ ، ٤٩٥ ،
 ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٤٩٨ ، ٤٩٩ ،
 ٥٠٠ ، ٥٠١ ، ٥٠٢ ، ٥٠٦ ،
 ٥٠٧ ، ٥٠٨ ، ٥٠٩ ، ٥١٠ ،
 ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٤ ، ٥١٥ ،
 ٥١٦ ، ٥١٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٤ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٧ ، ٥٢٨ ، ٥٢٩ ،
 ٥٣٠ ، ٥٣٥ ، ٥٣٧ ، ٥٤٠ ،
 ٥٤١ ، ٥٤٢ ، ٥٤٣ ، ٥٤٦ ،
 ٥٤٧ ، ٥٤٨ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ،
 ٥٥٤ ، ٥٥٦ ، ٥٥٩ ، ٥٦٣ ،
 ٥٦٤ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ،
 ٥٧٠ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٥ ،

٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٧،

٥٣٩، ٥٩٤، ٥٩٧، ٦٠٥،

٦٣٧، ٦٤٣، ٦٤٥، ٦٩١،

٦٩٣، ٧١٧، ٧٢٣، ٧٢٨،

٧٣٠، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤،

٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨،

٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤٨، ٧٢٨،

٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥،

٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩،

٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٦،

٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠،

فاطمة الزهراء عليها السلام ٣٣٩، ٣٤٠،

٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٥، ٣٤٦،

٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٠، ٤٢٣،

٤٢٤، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨،

٦٣٨، ٧٤٠، ٧٤٧، ٧٤٨،

الحسن بن علي عليهما السلام ٤٦٦، ٤٦٧،

الحسين بن علي عليهما السلام ٣٠٨، ٣١٣،

٣١٤، ٣١٥، ٤٣٤، ٤٥٩،

علي بن الحسين عليهما السلام ٣٠٨،

٣١٠، ٣٨٦، ٤٨٩،

٤٩١، ٥٩٣، ٦٣٤، ٧٥٠،

٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧،

٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١،

٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥،

٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٥٠،

علي بن أبي طالب، أمير المؤمنين عليه السلام

٧٤، ٧٥، ٧٦، ٩١، ١٦٠،

٢٣٥، ٢٤٢، ٢٤٩، ٢٧٤،

٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٦، ٣٠٧،

٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣٤٧،

٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤،

٣٥٥، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١،

٣٦٢، ٣٧٦، ٣٨٣، ٣٨٤،

٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨،

٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢،

٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٤٠٨،

٤٠٩، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٣،

٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤٢٠،

٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٥،

٤٢٦، ٤٣٠، ٤٣٤، ٤٤٠،

٤٥٧، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٧١،

٤٧٢، ٤٧٧، ٤٨٦، ٥١٨،

٤٧٥، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨١،

٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩٣، ٤٩٤،

٤٩٨، ٥٠٦، ٥٢٥، ٥٣٦،

٥٤٠، ٥٤٦، ٥٨٦، ٥٨٧،

٥٩٣، ٦١٠، ٦٢٠، ٦٢١،

٦٣٢، ٦٣٤، ٦٥٧، ٧٤٣،

موسى بن جعفر الكاظم، أبو الحسن عليه السلام

١٣٤، ٢٤٩، ٣٠٨،

٣١٠، ٤٢٤، ٤٤٠، ٥٥٢،

علي بن موسى الرضا عليه السلام ٢٤٥،

٣٥٠، ٣٨٠، ٥٤٠،

علي بن محمد الهادي عليه السلام ٢٩٠،

٣٨٠، ٦٠٥،

الحسن بن علي العسكري عليه السلام ٢٩٠،

٣٢٨، ٣٦٢، ٣٨١،

٤٧٥، ٤٧٦، ٦٠٢، ٦٠٥،

محمد بن علي الباقر، أبو جعفر عليه السلام ٢٠٤،

٢١٨، ٢٤٤، ٢٧٤، ٢٩٩،

٣٣٠، ٣٣٩، ٣٤٢، ٣٤٣،

٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨،

٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٧٥،

٣٧٦، ٣٨٢، ٣٩٦، ٤٥٨،

٤٦٥، ٤٧١، ٤٧٥، ٥٠٠،

٥٠٧، ٥١٩، ٥٢٥، ٥٢٧،

٥٤١، ٥٤٣، ٥٤٥، ٥٥١،

٥٥٢، ٥٥٣، ٦٥٥، ٦٨٧،

جعفر بن محمد الصادق، أبو عبد الله عليه السلام

٨٢، ٨٦، ٨٨،

٩١، ٩٢، ٩٨، ١٠٣، ١١٥،

١٣٠، ١٨٩، ١٩٣، ٢٠٢،

٢٠٥، ٢٠٧، ٢١٨، ٢٤٢،

٢٤٤، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨،

٢٦١، ٣٠٩، ٣١٧، ٣٢٠،

٣٢٢، ٣٤٠، ٣٤٥، ٣٤٨،

٣٥٠، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢،

٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٣،

٤٠٠، ٤٢٩، ٤٣٢، ٤٦٦،

٤٦٧، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٤،

فهرس الأعلام

٤٩٠، ٤٧٨	ابن أبي عمير	٦٣٨	آسيا بنت مزاحم
٤٩٩، ٤٠٨، ٤٠٧	ابن أبي كبشة	٤٢٤، ١٣٦، ٧٦	الآلوسي
٧٤٢، ٧٤٠	ابن أريقط	٦٧٣، ٦٧١	السير برسي سايكس
١٩٧، ١٩٤، ١٩١	ابن اسحاق	٢٥٠، ٢٤٩، ٢٤٨	آمنة بنت وهب
١٩٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٢٧		٢٨٤، ٢٨٣، ٢٧٦، ٢٦٥، ٢٥٧	
٢٢٩، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٨		٢٥٦	أبان بن عثمان الأحمر الكوفي
٢٥٠، ٢٥٦، ٢٥٨، ٢٥٩		٤٧٨، ٤٢٩	
٢٦١، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦		١٣٥	ابراهيم (ابن رسول الله ﷺ)
٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٠، ٢٧٩		٤٦٥	ابراهيم بن مارية القبطية
٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٣، ٢٩٥		٤٨٧	ابراهيم بن محمد بن طلحة
٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٣، ٣١٤		٣١٨	ابراهيم الحربي
٣١٥، ٣١٦، ٣٢٤، ٣٢٥		١٤٧	ابرهة بن الرائش
٣٢٨، ٣٣٢، ٣٣٧، ٣٤١		١٢٩	ابرهة بن الصبّاح الحبشي
٣٤٢، ٣٤٥، ٣٥٢، ٣٥٣		١٤٧، ١٩٩، ٢٠١	
٣٥٥، ٣٦٠، ٣٨٧، ٣٨٨		٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٨، ٢٠٩	
٣٨٩، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤		٤٢٢	ابن أبي حاتم
٣٩٦، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٣٩		٢٩٩، ٢٩٧، ٢٧٤	ابن أبي الحديد
٤٤١، ٤٤٥، ٤٦٠، ٤٦١		٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٩	
٤٦٨، ٤٦٩، ٤٨٠، ٤٨٣		٣٦٢، ٣٨٥، ٣٨٦، ٤٨٨	

٢٧٩	ابن السائب الكلبي	٤٨٤، ٤٨٦، ٤٨٨، ٥٢٦
٣٣٦، ٣٢٨، ٣٢٧	ابن سعد	٥٥٦، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٦٦
٥٦٨، ٥٢٢، ٣٧٨، ٣٦٤		٥٦٧، ٥٦٩، ٥٨٠، ٥٨٦
٦٨٣، ٦٣٧، ٦٢٢، ٦١٢		٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٨
٣٩٩	ابن سلمة	٥٩٩، ٦٠١، ٦١٢، ٦٢٠
٦٣٢	ابن سيرين	٦٢٨، ٦٣٧، ٦٤٠، ٦٤٥
٧٤١	ابن شاذان	٦٤٨، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠١
٥٨٦، ٣٩٩، ٣٩٨	ابن شهاب الزهري	٧٠٨، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢
١٩١	ابن شهر آشوب	٧١٧، ٧١٩، ٧٢١، ٧٢٣
٢٨٨، ٢٦٢، ٢٥٧، ٢٤٨	ابن بسطة	٢٥٧
٣٤٠، ٣٣٧، ٣٢٧، ٣٠٧	ابن جبر	٣٨٧
٣٦٥، ٣٦٣، ٣٥٢، ٣٤٥	ابن جددان التيمي	٢٨٨
٤٢١، ٣٩٣، ٣٨٨، ٣٨٠	ابن جريج	٤٣٢، ٤٦٨، ٦٨٢
٤٩٢، ٤٥٧، ٤٤٩، ٤٢٢	ابن الحاجب الشافعي	٣٦٨
٥٤٠، ٥٢٥، ٥٢٢، ٥٠٧	ابن حبيب	١٢١
٥٥٣، ٥٤٩، ٥٤٢، ٥٤١	ابن حجر	٢٧٠
٦٢٥، ٦٠١، ٥٩٧، ٥٩٣	ابن حماد الدولابي الحنفي	٣٣٣، ٣٢٧
٦٣٧، ٦٣٥، ٦٣٤، ٦٣٣		٣٣٤، ٣٣٦، ٣٣٧
٧٠١، ٦٩٨، ٦٩٦، ٦٩٤		٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٤٦٥
٧٤٦، ٧٤١، ٧٤٠، ٧١٧	ابن الخشاب الجنازدي	٣٣٤
٣٩٠	ابن شيرويه الديلمي	٣٣٥، ٣٣٦، ٣٤٦، ٣٤٧
٤٧٣، ٤٧٢	ابن صالح	٧٦، ٧٧، ٧٩، ١٣٢
٣٠٨	ابن الصباغ المالكي	١١٥، ٤٣٢، ٤٨٢
	ابن زيد	

٤٨٧، ٤٨٦، ٣٤٨	ابن عبد البر	٤١٦، ٤١٢، ٤٠٩، ٢٥٥	ابن طاووس
٦٠٦٦	ابن عدياليل	١٩٣، ١٣٥، ١٣٢، ١١٥	ابن عباس
٦٦٤	ابن العبري	٢٧٧، ٢٧٥، ٢٠٠، ١٩٥	
٦٧١، ٦٦٩، ٦٦٨، ٦٦٧		٢٨٩، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٧٩	
٦٧٧، ٦٧٤، ٦٧٣، ٦٧٢		٣٣٤، ٣٣٣، ٢٩٧، ٢٩٠	
٥٢٢	ابن عساكر	٣٥٠، ٣٤٩، ٣٤١، ٣٣٥	
٧٤١	ابن عقب	٣٩٠، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٧	
٧٤١	ابن عقدة	٤١٨، ٤١٦، ٣٩٨، ٣٩٧	
٤٩٩	ابن عمر	٤٣٣، ٤٣٢، ٤٢٢، ٤٢١	
٦٤٠، ٣٠٧	ابن عيَّاش	٤٤١، ٤٤٠، ٤٣٧، ٤٣٤	
٧٤١، ٣٨٩	ابن الفيَّاض	٤٥٥، ٤٥٤، ٤٤٩، ٤٤٧	
٥٠٧	ابن قبيطة	٤٦٣، ٤٥٩، ٤٥٨، ٤٥٦	
١١٥	ابن قتادة	٤٧٢، ٤٦٧، ٤٦٥، ٤٦٤	
٥١١، ٤٥٧، ٣٩١	ابن ماجة القزويني	٤٨٢، ٤٧٦، ٤٧٤، ٤٧٣	
٤٢٢	ابن مردويه	٥٠٣، ٤٩٩، ٤٩٦، ٤٩٥	
٥١١، ٤٥٧، ٤٢٣		٥٠٩، ٥٠٨، ٥٠٦، ٥٠٥	
٥١١، ٤٥٧، ٤٢٢	ابن المنذر	٥٢٢، ٥٢٠، ٥١٨، ٥١٤	
٣١٦	ابن منظور	٥٣٥، ٥٣٣، ٥٢٨، ٥٢٥	
٢٠٦، ١٩٩، ١٩٤، ١٩١	ابن هشام	٥٤٥، ٥٤٣، ٥٣٧، ٥٣٦	
٢٨٢، ٢٧٩، ٢٦٦، ٢٥٨		٦٠٥، ٥٥٧، ٥٥٥، ٥٤٦	
٤٤٥، ٤٤١، ٣٤٥، ٣٣٦		٦٢١، ٦١٩، ٦١٢، ٦٠٦	
٥٨٧، ٥٦٧، ٤٨٨، ٤٨٦		٦٨٢، ٦٥٧، ٦٣٩، ٦٢٣	
٧١٩، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٢٨		٧٤١، ٧٣٦، ٧٢٣، ٦٨٣	

٤٤٣، ٤٥٢، ٤٦٣، ٤٧٧،	١٧١	ابن هند
٤٧٩، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤،	٤٩٧	أبو الأسد بن كلدة
٥٠٢، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٨،	٤٢٣،	أبو أمامة
٥١٨، ٥١٩، ٥٢١، ٥٢٣،	٧٠٦، ٧٠٥، ٧٠٤، ٦٩٧	
٥٢٤، ٥٤٣، ٥٤٩، ٥٥٦،	٢٧٧	أبو أمية بن أبي الصلت
٥٩٥، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١،	٣٩٠	أبو أيوب الأنصاري
٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٦، ٦٢٧،	٦٠٠، ٥٢٣، ٥٠٨، ٤٣٨،	أبو البختري
٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٨٣،	٦٣١، ٦٢٧، ٦٢٦، ٦٠٢	
٦٨٥، ٧٢١، ٧٣١، ٧٤٥،	٣٧١، ١٠٣	أبو بصير
١٥٠	٢٩٥، ٢٢٤	أبو بكر بن أبي قحافة
٥٦٣، ٧٢٣	٢٩٦، ٢٩٧، ٤٨٦، ٤٨٧،	
٣٠٨، ٣٧٠، ٣٧١	٤٨٨، ٥١٥، ٥٥٨، ٦٣٩،	
٢٧٨	٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٦٠،	
٣١٢	٦٨١، ٦٨٢، ٧١٧، ٧٢٣،	
٥١١	٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤١،	
٤٠٧، ٤٠٨،	أبو بكر بن عبد الرحمن الخزومي	
٤١١، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٤٠،	٥٨٧، ٥٨٦	
٢٧١	٢٧٨	أبو بكر البيهقي
٥٢٧	٣٨٢، ٣٩٦، ٤٥٨،	أبو الجارود
أبو سبرة بن أبي رهم العامري	٥٠٧، ٥١٩، ٥٤١، ٥٤٣،	
٧٢٢، ٥٦٤	٥٥٢، ٥٥٣، ٦٥٥، ٦٨٧،	
٧٤١	٥٩٤، ٤٨٨، ٣٣٧،	أبو جعفر الاسكافي
٦٧٩	٤٣٨، ٤٤٢،	أبو جهل
أبو سعيد الخدري		

٤١٨، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٥،

٤٣٠، ٤٤٥، ٤٨٤، ٤٩٢،

٤٩٣، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢،

٥٠٦، ٥١٤، ٥١٥، ٥٣٤،

٥٤٣، ٥٥٥، ٥٦٤، ٥٦٥،

٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٣، ٥٩٥،

٥٩٦، ٥٩٧، ٦٠٠، ٦٠٧،

٦١١، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٨،

٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٤،

٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨،

٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤٣، ٦٩٦

أبو العاص بن الربيع ٥٩٦

أبو العالية ٤٩٦

أبو عبيدة بن محمد بن عمار ٧٣٠، ٦٢٢،

أبو عبيدة الجراح ٥٨٨

أبو عثمان النهدي ٧٢٢

أبو عزّة ٥١٢

أبو عمرو ٢٢٩

أبو الفرج الأصفهاني ٣١٥، ٣٠١،

٣٨٦، ٣٥٥، ٣٥٤، ٣٥٣، ٣٤٩

أبو الفضل مير محمدي ٧٩

أبو فكيهة الأزدي ٦١٩، ٦١٤، ٥٥٩

أبو القاسم الحلّي ٣٦٧

أبو سفيان بن حرب ٣١٥

٣١٦، ٤٥٤، ٤٥٦، ٤٦٨،

٥٠٨، ٥١٨، ٥٢٣، ٥٤٢،

٥٦٥، ٦٩٦، ٧٢٠، ٧٣١

أبو سفيان بن الحرث بن عبد

المطلب ٥١٢

أبو سلمة بن عبد الاسد المخزومي ٢٦٠،

٢٦١، ٥٦٣، ٥٦٦، ٥٨٧، ٥٩٠،

٥٩١، ٥٩٣، ٦١٨، ٧١٨، ٧١٩

أبو سلمة عبد الرحمان ٤٠٠، ٣٩٩

أبو صالح ٦٣٩، ٢٧٩

أبو الصلت الثقفي ٢٧٧، ٢١٢

أبو طالب ٢٤٩، ٢٤٤، ٢٤١

٢٥٧، ٢٨٢، ٢٨٥، ٢٨٦،

٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠،

٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦،

٢٩٧، ٣٠٤، ٣٠٧، ٣٠٨،

٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣،

٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣١،

٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٦،

٣٦١، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٩،

٣٩٠، ٣٩٤، ٤٠٩، ٤١١،

٤١٢، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧،

أبو هريرة	٣١٥، ٣١٨	أبو القاسم الكوفي	٣٣٧
٣١٩، ٣٢٩، ٣٨١، ٤٢٢، ٤٢٣		أبو قيس بن الفاكه بن المغيرة	٥٥٩
أبو هلال العسكري	٣١٤	أبو قيس بن الوليد بن المغيرة	٥٥٩
أبو الهيثم بن التيهان	٦٩٢	أبو كبشة	٧٢٣، ٧٢٢
٦٩٣، ٦٩٥، ٦٩٧، ٦٩٨		أبو كرب	١٩٠
أبو واقد	٧٤٧، ٧٤٨	أبو كرز	٧٣٨
أبو يعلى	٣٩١، ٣٩٥، ٥٢٢	أبو لهب	٢٤٤،
أُمّ أيمن	٢٦٠، ٢٨٣		٢٦١، ٢٦٢، ٢٨٩، ٤٠٧،
أُمّ جميل بنت صخر بن حرب			٤٠٨، ٤١٠، ٤١٢، ٤١٤،
٤٥٤، ٤٥٩			٤١٦، ٤١٨، ٤٢١، ٤٢٥،
أُمّ حبيبة بنت أبي سفيان	٥٦٥،		٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤١، ٤٥٢،
٥٧١، ٥٧٢، ٥٨٨			٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧،
أُمّ حكيم بنت عبد المطلب	٢٣١		٤٧٠، ٤٨١، ٥١٨، ٥٩٠،
أُمّ سلمة هند بنت أبي أمية	٤٢٤،		٥٩٤، ٥٩٦، ٧٣٥، ٧٣٧
٥٦٣، ٥٦٦، ٥٦٧		أبو مرة	٢٠٧، ٢٠٨
٥٨٠، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦		أبو مرثد الغنوي	٧٢٢
٥٩٠، ٦١٨، ٧١٨، ٧١٩		أبو معبد الجهني	٤٣٤
أُمّ عُبَيْس	٥٥٨	أبو موسى الأشعري	٢٩٥، ٢٩٦
أُمّ عمارة الساعدية	٣٠٨	أبو الموهب	٣٢٧
أُمّ كلثوم (بنت رسول الله ﷺ)	٣٣٩،	أبو نعيم	٥٦٨
٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٨		أبو هالة بن زرار	٣٣٧
أُمّ معبد	٧٤٣	أبو هالة بن مالك	٣٣٦
أُمّ هانئ بنت أبي طالب	٤٨٠،	أبو هبيرة الخزومي	٤٨٣

١٠٨	ارتميدور	٥٢٢، ٤٨٣
١٤٧	ارحبعم بن سليمان	أبي بن خلف الجُمحي ٥٠٧، ٥٠٦
١٦٨	اردشير بن بابك	٥٠٩، ٥١٠، ٦٦٠، ٦٨١، ٦٨٢
٢٠٠	ارنجة	أبي بن كعب ٥٥١، ٥٤٠
٤٨٦	أروى بنت عبد المطلب	أحمد البلاذري ٣٣٧، ٧٩، ٧٦
١٩٨،	أرياط بن أصحمة	٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥
٢٠٠، ١٩٩		٣٨٦، ٣٩٠، ٣٩٤، ٦٣٩
١٢٢	الأزرقى	أحمد بن حنبل ٣٨٨، ٣٧٤
٢٢٩، ٢٢٧	اسحاق بن يسار	٣٩٠، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤
٢٢٣	أسد بن خزيمه	٤٢١، ٤٥٧، ٥١١، ٥٢٢
٢٧٨، ٢٧٥	أسد بن خويلد	أحمد بن محمد الخطابي ٥٨
١٨٩	أسعد أبي كرب اليميني	أحمد الزاهد ٣٨٣
١١٠، ١٠٩	أسعد بن زرارة	الأحول ٣٦٢، ٣٧٥
٦٥٢، ٦٥١، ٦٥٠، ١١١		الأحيمر بن مازن ٣٠١
٧٠١، ٦٩٧، ٦٩٢، ٦٥٣		أدبن طابجة ٢٢٢
٧٠٥، ٧٠٤، ٧٠٣، ٧٠٢		أديبل ١٨٥
٧٢٢، ٧٠٨، ٧٠٧، ٧٠٦		أدد بن الهميسع ١٨٨، ١٨٦
١٩٠، ١٤٧	أسعد بن ملكليكر	إدوارد براون ١٥٩
٥٥٢	اسفنديار	أذينة بن السميدع ١٤٢
٥٦٥	أسماء بنت عميس الخثعمية	أربد بن ربيعة ٤٧٦
٦٨٤	أسماء بنت مخزومة التيمي	الأربلي ٢٦٠، ٢٦٢، ٣٣٤
٤٣٩، ٤٣٧	الأسود بن الحرث	٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٤٦
٢٣٢	الأسود بن شعر الكلبي	٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٩٢

٥٠٨ ، ٥٢٣ ، ٥٥٨ ، ٧٣١

أُمَيَّة بن عبد شمس ٢١٢ ، ٢٧٥ ، ٢٧٧

أُميم بن لاوذ بن ارم ١٤٣

أمين ١٨٦

أنس بن مالك ٢٧٣ ،

٣٨٠ ، ٤٨٩ ، ٤٩٩ ، ٧٣٧

انوشيروان ١٥٩ ، ١٥٨ ، ١٥٥

١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ٢٠٨

٢٠٩ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٧٩

الأوزاعي ٢٨٨

أوس بن ثابت ٧٢٢

إياد بن نزار بن معد ١٨٨ ، ٢٢١ ، ٢٢٢

إياد بن بكير ٧٢٢

إياد بن قبيصة الطائي ٢٢١

أمين بن أمّ أمين ٧٤٧ ، ٧٤٨

الأيهم بن جبلة ١٨١

بادان ٢١٤

بحيرا ٢٩٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٦١

البخاري ٣١٨ ، ٣١٩ ، ٤٠٠ ،

٤٢٢ ، ٤٥٥ ، ٥٢٢ ، ٦١٠

بدر بن معشر الكناني ٣٠١

البراء بن عازب الأنصاري ٤١١ ،

٤٢١ ، ٤١٩

الأسود بن عبد المطلب (أبو

زمنة) ٤٣٠ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ،

٤٣٧ ، ٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩

الاسود بن عبد يغوث الزهري ٤٣٠ ،

٤٣١ ، ٤٣٣ ، ٤٣٥ ، ٤٣٧ ،

٤٣٨ ، ٤٤٠ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٥٦٦

الاسود بن غفّار ١٤٢

الاسود بن النعمان ١٧٠ ، ١٧٣ ، ١٧٥

الاسود بن نوفل بن خويلد ٥٦٥

أسيد بن حضير ٦٥٣ ، ٦٥٤ ،

٦٩٣ ، ٦٩٨ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ .

الاشعث بن قيس الكندي ٣٨٨

الأعمش ٤١٥ ، ٤١٦

أفريقس بن أبرهة ١٤٧

الأقرن بن عمرو ١٤٧

الليث بن سعد ٣٣٧ ، ٦٢٣ ، ٦٨٢

الياس بن مضر ٢٢١

امرو القيس بن زيد ١٧٢

امرو القيس بن عمرو ١٦٩

أُمَيَّة بن أبي الصلت الثقفي ٢٦٩ ،

٣٧٤ ، ٦٠٥

أُمَيَّة بن خلف ٢٩٥ ، ٤٦٩ ،

٤٩٤ ، ٤٩٦ ، ٥٠١ ، ٥٠٦ ،

٢١٠	بهرز	٦٩٢	البراء بن معرور
٢٨٠	بوذاسف	٧٠٩، ٦٩٨، ٦٩٥	
٢٧٣	البوطي	٣٠٣، ٣٠٢	البراض بن قيس الكناني
٣١١	البيضاء بنت عبد المطلب	٥٩٠	برّة بنت عبد المطلب
٣٨٧، ٣٨٠، ٣٥٢	البيهي	٢٦١، ٢٦٠	برّة الخزاعية
٦٨٧، ٦٢٢، ٥٢٢، ٤٢٢، ٣٨٨		١٤٥	برخيا بن اجنيا
١٤٧	تبّع بن حسان بن تبّع	٤٥٩، ١٣٤	البرقي
١٩٤	تبّع تبنّ أسعد بن كليكرب	٥٦٥	بركة (مولاة أبي سفيان)
٢٢٣	تغلب بن أسد	٦٦٢، ٦٦١	برموذة بن شابه
٢٢٤	تغلب بن غالب	٥٧١	برهان الدين الحلبي
٢٢٩	تماضر بنت عبد مناف	١٦١، ١٦٠، ١٥٨	بُزرك مهر
٥١٣	تميم الداري	٣٥٥، ٣٥٢، ٢٨٢	البستي النيسابوري
١٨٠، ١٧٩	تنوخ بن مالك	٦٧٠	بفوقاس
١٦٢	قي ياريوس	٣٢٧	بكر بن عبد الله الأشجعي
١٢٧	تيتوس	٥٥٩، ٥٥٨	بلال بن رباح
٢٢٠	تيم بن ثعلبة	٥٤٤، ٢٩٦، ٢٩٥	بلال الحبشي
٢٢٤	تيم بن غالب	٦٨٤، ٦٨٣، ٦٢٢، ٦٢١	
٣٠٨	ثابت بن دينار	٣٠٢	بلعاء بن قيس
٦٩٧	ثعلبة بن عمرو	١٤٧	بلقيس بنت الهدهاد
٣٥٢	الثعلبي النيسابوري	١٩٤، ١٩٣، ١٥٢	
٧٤١، ٥٤٤، ٤١٩، ٤١١، ٣٥٥		٢٨٠	بلوهرو
١٤١	ثمود بن عامر بن ارم	٦٦٥، ٦٦١	بهرام چوبين
١٨٤، ١٤٥		١٦٩	بهرام گور

١٨٤	جُرهم بن عابر بن سبأ	٢٥١	ثور بن يزيد الشامي
١٤٣	جُرهم بن قحطان	٢٦٩، ٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦	
٢٢٣	جرول بن كنانة	٢٦٠	ثويبة (مولاة أبي لهب)
٢٢٠	جساس بن مرة الشيباني	٢٦٢، ٢٦١	
٢٦١	جعفر بن أبي طالب الطيّار	٦٦٣	ثيادوس
٣٥٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٤٢٥		١٨٥	ثيما
٤٣٠، ٤٧٧، ٥١٠، ٥٦٥		٤٥٤	جابر بن زيد
٥٦٦، ٥٦٧، ٥٧٠، ٥٧١		٢٤٤	جابر بن عبد الله الأنصاري
٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٧، ٥٧٨		٣٠٧، ٣٢٠، ٣٢٨، ٣٣٠	
٥٧٩، ٥٨٢، ٥٨٥، ٥٨٦		٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٩٠	
٢٦٩	السيد جعفر مرتضى العاملي	٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٥٣	
٢٧٠، ٢٧٣، ٣٢٠		٥٠٠، ٥٢٧، ٦٩٢، ٦٩٧، ٦٩٨	
١٨١، ١٢٧	جفنة بن علي بن عمرو	٧٢٨، ٤٦٥	جابر الجعفي
٢٢٤	جندلة بن فهر	٥١٣	الجارود العبدي
٢٦٥	الجهم بن أبي الجهم	٥١٨	الجُبائي
٢٧٠، ٢٦٨، ٢٦٦		١٢٨	جبللة بن الايهم
١٨٢	جوستيان	١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣	
٣١٩	الجوهري	١٨١ و ١٨٢	جبللة بن المنذر
٣٤٩	الجويني	٦٩٦، ٣٤٣	جبير بن مُطعم
١٤١	جيرون بن سعد بن عاد	١٤١	جديس بن عابر بن ارم
١٨١	الحارث الأصغر	١٤٢، ١٤٥، ١٨٤	
١٨١	الحارث الأعرج بن كعب	١٦٧، ١٦٨	جذيمة الأبرش التتوخي
١٨١	الحارث الأكبر بن كعب	٩٨، ١٧٠	جرجي زيدان

٣٥٣	الحاكم النيسابوري	٧٤٧	الحارث بن أمية
٢٢٦، ٢٢٥	حُيَّ بنت حُلَيْل الخزاعي	١٨٠، ١٧٩	الحارث بن ثعلبة
٣٩٥، ٣٩١	حبّة العرني	١٨٢، ١٨١	الحارث بن جبلة
٦٤٦، ٦٠٦	حبيب بن عمرو الثقفي	٢٦٦	الحارث بن حاطب الجمحي
٢١٨	حجر بن عمرو الكندي	٦٩٦	الحارث بن حرب بن أمية
٢٤٤	الحجل بن عبد المطلب	١٤٦	الحارث بن شدّاد
١٨٥	حدّاد		الحارث بن الطلائة الثقفي ٤٣١، ٤٣٠،
٢٢٣	حدال بن كنانة	٤٤٠، ٤٣٩، ٤٣٧، ٤٣٥، ٤٣٣	
٤٩٩	حذيفة بن اليمان	٢٣٥	الحارث بن عبد المطلب
٢٢٤	حرّاق بن غالب	٢٥٩، ٢٥٨	
٣٠٢	حرب بن أميّة بن عبد شمس	٥٥٤، ١٧٩، ١٦٩	الحارث بن عمرو
٣٠٤، ٣٠٣		٢٢٧، ٢٢٤	الحارث بن فهر
	الحرث (الحارث) بن عامر بن		الحارث (الحرث) بن قيس بن عدي
	نوفل ٤٣٨	٤٦٩، ٤٤٦، ٤٣٧، ٤٣٤، ٤٣٣	
٥٥١، ٥٤٣، ٥١٨، ٥١٧، ٤٩٧		٧٦	الحارث بن كلدة
٦٨٥	الحرث بن هشام	٢٢٣	الحارث بن كنانة
١٩٤	حسان بن ثابت	٢٢٤	الحارث بن لؤي
٧٢٢، ٤٨١، ٢٤٩		٢٢٤، ١٨١	الحارث بن مالك
٦٨٧، ٦٥٧، ٥٧٦	الحسكاني	١٨٨، ١٨٧، ١٨٤	الحارث بن مضاض
٢٢٤	حسل بن عامر	١٨٠	الحارث بن المنذر
٤٢٢	الحسن البصري	٦٩٧، ١٥٠	حارثة بن ثعلبة
٦١٣، ٥٤٣، ٥٢٠، ٤٩٦		٣٥٠	حارثة بن قدامة
٧٣٧، ٦٨٧، ٦٥٦، ٦٣٢		٢٢٣	حارثة بن مدركة

٦٣٢، ٦٩١، ٦٩٣، ٧٢٢، ٧٢٣	الحسن بن علي البطائي ٤٦٤
٦٥٨ الحموي	الحسن بن محمد بن علي بن ابي
٧٣٩، ٤٢١ السيد الحميري	طالب <small>عليه السلام</small> ٢٢٧، ٢٢٩
٢٢٩ حنة بنت عبد مناف	الحسن بن محمد القمي ٣٠٦
٧٤٧ حنظلة بن أبي سفيان	الحسين بن الحكم الجري ٤١٢
١٧٥ حنظلة بن ثعلبة العجلي	حفص بن غياث ٣٧٧
١٨٦ الحنفاء بنت الحارث	حفصة بنت عمر ٤٢٤
٢٢٠ حنيفة بن لجيم	الحكم بن العاص بن أمية ٤٣٨،
١٧٩ الحواري بن النعمان	٤٤٥، ٤٦٤
١٨٨ الحواس بن جحش	حكيم (مولى زاذان) ٣٨٥
٥١٩، ٥٠٧ حويطب بن عبد العزى	حكيم بن حزام بن خويلد ٣٣٦،
١٩٧ حيّان بن فيض	٥٩٩، ٦٣٧
٢٩٢ خالد بن أسيد بن أبي العاص	٥٠٦، ٥٦٨ الحلبي
٥٦٥ خالد بن سعيد بن العاص	٢٢٦ خليل الخزاعي
٢٦٦ خالد بن معدان الكلاعي	حليمة بنت أبي ذؤيب السعدية
٥٥٩، ٥٤٤، ٥١٠ خباب بن الأرت	١٣٥، ٢٥٠، ٢٦٠، ٢٦١،
٧٢٣، ٦٨٤، ٦٨٣، ٦٢٢، ٦٢١	٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦
٧٢٢ خبيب بن أساف الخزرجي	٥٢٥، ٧٢٧ همران
٢٦٥ خديجة بنت خويلد	١٥٥ حمزة الاصفهاني
٣٢٣، ٣٢٢، ٣٢٠، ٢٩٠	حمزة بن عبد المطلب ٢٤٤، ٢٦٠،
٣٢٨، ٣٢٧، ٣٢٦، ٣٢٤	٢٦١، ٢٦٢، ٣٢٤، ٣٢٥،
٣٣٥، ٣٣٢، ٣٣١، ٣٢٩	٣٥٣، ٣٥٤، ٤١٦، ٤٧٧،
٣٤٠، ٣٣٩، ٣٣٧، ٣٣٦	٤٨٣، ٤٨٥، ٥١٦، ٥١٨،

٢١٢	خويلد بن أسد	٣٤٨، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١
٣٢٥، ٢٧٨، ٢٧٧		٣٨٥، ٣٨٢، ٣٧٦، ٣٥١
٦١٩	خير	٣٩٦، ٣٩٥، ٣٩٣، ٣٨٨
٢٥٤	خيزران	٤٣٠، ٤٢٩، ٤٢٦، ٣٩٧
٣٦٥، ٣٦٤	داود بن عامر	٥٩٩، ٤٨٦، ٤٦٥، ٤٥٨
١٥٠	دعبل بن كعب	٦٣٦، ٦٣٥، ٦٣٤، ٦٠٠
٤٢١	دعبل الخزاعي	٧٣٠، ٦٤٠، ٦٣٨، ٦٣٧
٩٦	دمريوس	٢٨٩ الخركوشي (ابو سعيد)
٣٨١، ٢٩٧، ٢٩٥	الدمياطي	٦٢٥، ٤٢٠، ٣٩٢، ٣٥٥، ٣٥٢
١٨١	دهمان بن العملق	٢٢٤ خزيمة بن لؤي
١٨٥	دوام	٢٢٣ خزيمة بن مدركة
٢٢٣	دودان بن أسد	١٥٤ خسرو پرويز بن هرمز
١٩٧	دوس ذو ثعلبان	١٦٢، ١٦١، ١٦٠
١٨٥	دوما	١٦٣، ٢١٤، ٦٦٠، ٦٦١
٣٤٩، ٢٩٧، ٢٩٥	الدياربكري	٦٧٣، ٦٦٧، ٦٦٣، ٦٦٢
٧٠٤، ٧٠٢، ٦٩٧	ذكوان بن عبد الله	٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٦، ٦٧٥
١١٠	ذكوان بن عبد القيس	٣٥٠ الخطيب البغدادي
٦٥٢، ٦٥٠، ١١١		٤٩٦ الخليل بن أحمد الفراهيدي
٢٩٧، ٢٩٦	الذهبي	٧٢٢ حنيس بن حذافة السهمي
١٢١، ١٢٠	ذو الخلصة (كاهنة)	٣٥٠ الخوارزمي
٧٧	ذو الرمة	٣٩٣، ٣٩٢، ٣٥٥، ٣٥٢
٤٥٨	ذو القرنين	٢١٤ خور خسرو
١٤٧	ذو شناتر بن زُرعة	٧٢٢ خولي بن أبي خولي

الزبير بن العوّام	٤٨٦، ٤٨٨،
٥٦٤، ٥٦٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٧٢٢	
الزبيري	٢٣١
الزجاج	١٣٢، ٤٣٢،
٤٥٩، ٥١٨، ٥٢٦، ٦٥٨	
زرادشت	١٦٥
زرارة بن أعين	٢٤٢، ٣٦١،
٣٧٥، ٤٠٠، ٥٢٥، ٧٢٧	
زرعة بن تبتان	١٩٤، ١٩٥،
الزرقاء بيت زهير	١٢٠
الزركشي	٦٨٧
زمنة بن الاسود بن المطلب	٥٠٨،
٥١٩، ٥٢٣، ٥٦٥، ٦٣١	
زهرة بن كلاب	٢٢٥
الزهري	٢٥٨، ٣٢٧، ٣٢٨،
٣٣٧، ٣٩٩، ٤٨٩، ٥٠٥،	
٥٨٦، ٦٠٧، ٦٤٨، ٦٥٨	
زهير بن أبي أمية الخزومي	٦٢٦،
٦٢٧، ٦٣٠، ٦٣١	
زيد بن ارقم	٣٩١، ٣٩٥،
زيد بن حارثة	٣٨٥، ٣٩٥، ٤٣٠،
٤٨٦، ٦٠٧، ٦٤٥، ٧٢٢، ٧٢٣	
زيد بن الخطاب	٧٢٢
ذو نواس (من ملوك حمير)	١٢٩، ١٥٣،
١٩٥، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠	
رافع بن مالك	٦٩٢
راهزار	٦٧٤، ٦٧٥،
الرباني الشيرازي	٢٧٠، ٢٧٤،
ربيعة بن الاسود	٤٣١
ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب	٤٢٥
ربيعة بن حزام العذري	٢٢٥
ربيعة بن ناجد	٤١٣،
٤١٥، ٤٢١، ٤٢٢	
رستم	٥٥٢
الرشيد	١٧٨
رفاعة بن عبد المنذر	٧٢١
رقية بنت أبي هالة	٣٣٧
رقية (بنت رسول الله ﷺ)	٣٣٩، ٣٤٠،
٣٤١، ٣٤٢، ٥٦٣، ٥٦٥، ٥٨٧	
رقية بنت صيفي	٢٨٠
رملة بنت أبي عوف السهمي	٥٨٨
ريحانة بنت ذي جدن	٢٠٧، ٢٠٩،
الزباء (زئوبة)	١٦٨
زبدة بنت قريية بن العجلان	٣٠٨
الزبير بن عبد المطلب	٢٤٤، ٣٠٤،
٣١٢، ٣١٣، ٣١٧، ٣٤٢، ٣٤٤	

٦٩٢	سعد بن عبادة	٤٨٩، ٤٩١	زيد بن علي
٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٦		٣٧٤	زيد بن عمرو بن نفيل
٢٢٣	سعد بن كنانة	٨٢	زيد الكرخي
٢٢٤	سعد بن لؤي	٣٣٧، ٣٣٦	زينب بنت أبي هالة
٥٣٦	سعد بن مالك	٣٣٩	زينب بنت رسول الله ﷺ
٦٥٣	سعد بن معاذ	٥٩٦، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠	
٧٠٥، ٧٠٤، ٦٥٤		٣٢٠	زيني دحلان
١٧٥	سعدى بنت حارثة	٥٨٨، ٥٦٦	السائب بن عثمان
١٢٠	السعدية (كاهنة)	٨٢	سارة (أم إبراهيم عليه السلام)
٤٤١، ٤٤٠، ٣٠٨	سعيد بن جبير	٨٦، ٨٥، ٨٤، ٨٣	
٤٩٦، ٤٦٣، ٤٥٥، ٤٤٩		١٨٥	سامة بنت مهلهل بن سعد
٥٢٠، ٥٠٦، ٥٠٥، ٥٠٤		٢٢٤	سامة بن لؤي
٦١٢، ٦١٠، ٦٠٨، ٦٠٧، ٥٢٥		٩٨	سبا بن يشجب بن يعرب
٧٢٢	سعيد بن الربيع الخزرجي	١٤٦، ٩٩	
٧٢٢، ٣٧٤	سعيد بن زيد	٦٣٧، ٣٣٥	سبط بن الجوزي
٤٣٨	سعيد بن العاص	٥٣٣، ٥١٨	السدي
٣٨٣، ٣٧٧	سعيد بن المسيب	٦٨٧، ٦١٦، ٥٤٣، ٥٣٧	
٦٣٤، ٥٠٥، ٤٥٦، ٣٨٦		٥٢٧، ٩٨	سدير الصيرفي الكوفي
٤٢٢	سعيد بن منصور	٧٤٥، ٧٤٤	سُرّاقة بن مالك
١٧٨	السَّقّاح	١١٩	سطيح الذئبي
٢٧٨	السفر بن غفير	٦٨٥، ٦٨٤، ٥٣٦	سعد بن أبي وقاص
٣٧٤	سفيان بن الحرث	٧٢٢، ٦٩٣	سعد بن خيثمة
٦٥٧، ٢٤٩	سفيان بن عيينة	٦٩٨، ٦٩٣	سعد بن الربيع

٩٤	سيفا	٥٨٧	السكران بن عمرو
٢٠٨، ١٥٣	سيف بن ذي يزن	٣٥٠	سلمان الفارسي
٢٧٩، ٢٧٧، ٢٧٦، ٢٧٥		٥١٣، ٣٨١	
٤٩٥، ٤٧٤، ٤٦٣	السيوطي	٢٢٠	سلمة بن الحارث الكندي
٥٠٨، ٥٠٦، ٥٠٣، ٤٩٩		٧١٩	سلمة بن عبد الله
٥٢٧، ٥٢٢، ٥٢٠، ٥١٨		٥٥٧	سلمة بن هشام
٦٢٢، ٦١٨، ٥٤٥، ٥٣٩		١١٩	سلمة الخراعي
٦٨٧، ٦٨٤، ٦٨٣، ٦٢٥		١٧٩	سليح بن حلوان بن عمران
٦٦١	شابه (ملك الترك)	٢٤٣	سليمان بن علي العبّاسي
١٦٨	شاهپور بن اردشير	٢٢٦	سليمان بن عمرو
٢٦٨، ٢٦٧، ٢٦٦	شدّاد بن أوس	٦٢٣، ٦٢٠	سمية (أمّ عمار بن ياسر)
٢٢٠	شرحبيل بن الحارث الكندي	١٤٢	السميدع بن هرب
٣٥٩، ٣٠٦، ٢٩٩	الشريف الرضي	١٨٧، ١٨٤	
٦٨٢، ٣٧٩، ٣٦٥، ٣٦٤	الشعبي	٧٣٠	سنان بن أبي سنان
١٢٠	الشعناء (كاهنة)	١٩٣	سهل بن سعد الساعدي
	شعيب بن مهذّم بن حضور بن	٣٥٥، ٣٥٣	
١٤٥	عدي	٥٨٧، ٥٦٣	سهلة بنت سهيل بن عمرو
١٤٥	شعيب بن نويل	٥٨٧	سهيل بن عمرو
١١٩	شق بن مصعب الأغاري	٥٦٤	سهيل بن وهب الفهري
١٥٧	شكيب أرسلان	٣٤٢، ٢٨٢	السهيلي
٦٦٨	شهر براز	١١٩	سواد بن قارب الدوسي
٦٧٥، ٦٧٤، ٦٧٣، ٦٦٩		٧٢٣	سويط بن سعد
٦٧٩، ٦٧٨، ٦٧٧، ٦٧٦		٤٩٦	سيبويه

٢٤٤	الشهرستاني	٤٢٣، ٥٢٢، ٧٤٦	الطبراني
٦٧٦، ٦٧١	شهر يار	١٠٩، ٩٨	الشيخ الطبرسي
٢٢٤	شيبان بن مالك	١١٥، ١٣٢، ١٩٣، ٢٠٥	
٥٢٣، ٥٠٨	شيبية بن ربيعة	٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٥، ٢٥٨	
٧٣١، ٦٤٧، ٦٤٦، ٥٤٢		٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٢، ٣٣٩	
٢٣٤، ٢٣٣	شيبية بن هاشم	٣٤٠، ٣٤٦، ٣٥١	
١٦٣، ١٦١	شيرويه	٣٥٢، ٣٨٣، ٣٨٧، ٣٩٧	
٣٠٦	الصاحب بن عباد	٤١١، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٣٢	
٣٤٦	صدقة	٤٣٤، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٤١	
٢٢٣	الصعب بن أسد	٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١	
٣٧٥، ٣٦١، ٣٤٥، ٣٣٩	الصفار	٤٥٥، ٤٥٩، ٤٦٣، ٤٦٤	
٢٩٧	الصفوري الشافعي	٤٦٥، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩	
٢٢٤	الصلت بن النضر	٤٧٠، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥	
٥٤٤	صهيب بن سنان الرومي	٤٧٧، ٤٧٨، ٤٨٢، ٤٨٣	
٧٢٢، ٦٢١، ٥٥٩		٤٨٧، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥	
٣٣٦	صيفي بن أبي رفاعه	٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩	
٦٨٧، ٤٧٥، ١١٥	الضحاك	٥٠١، ٥٠٣، ٥٠٦، ٥٠٧	
٢٤٤	ضرار بن عبد المطلب	٥٠٩، ٥١٠، ٥١٢، ٥١٤	
٢٢٢	طابخة بن الياس	٥١٧، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢٣	
٤٥٦	طارق المحاربي	٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨	
٣٣٩	الطاهر (ابن رسول الله ﷺ)	٥٤٠، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤	
٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠		٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠	
٤٦٢	طاووس بن كيسان اليماني	٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٥، ٥٦٧	

٥٧٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥	٥٧٢، ٦٢٢، ٦٥٨، ٦٥٩
٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٥	٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٧، ٦٦٨
٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٢	٦٦٩، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤
٦١٧، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٢	٦٧٥، ٦٧٧، ٦٧٩، ٦٨٠
٦٢٨، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٥	طرفة بن العبد ١٧١، ١٧٢
٦٣٧، ٦٥٠، ٦٥٥، ٦٥٦	الطريحي ٣١٩
٦٥٨، ٦٥٩، ٦٧٩، ٦٨١	طريفة (كاهنة) ١٢٠
٦٨٢، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦	طسم بن لاوذ بن ارم ١٤١
٦٨٧، ٦٩٤، ٧٠١، ٧٣٨	١٤٢، ١٤٥
٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٤	طعيمة بن عدي ٤٣٨
٨٠، الطبري	طلحة بن عبيد الله التميمي ٤٨٦
١٩١، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٠	٤٨٧، ٧٢٢
٢٠١، ٢٠٥، ٢٠٨، ٢٥٨	طليب بن عمير ٧٢٣
٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٥	الشيخ الطوسي ١١٥، ١٣١
٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٧٩	٢٥٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣٤٨
٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٩، ٣٢٧	٣٧٩، ٣٨٠، ٤١٦، ٤١٨
٣٣٥، ٣٣٧، ٣٤٢، ٣٤٨	٤١٩، ٤٣٤، ٤٤٧، ٤٦٩
٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٦٠	٤٩٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٤٥
٣٦٤، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩	٦٣٤، ٦٤٠، ٦٥٧، ٦٥٩
٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٦، ٣٩٨	٦٧٩، ٦٨١، ٧٣٠، ٧٣٦
٣٩٩، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٨	٧٣٧، ٧٤١، ٧٤٦، ٧٥٠
٤١٩، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٦٣	عائشة بنت أبي بكر ٣٥٠
٤٧٠، ٥١٥، ٥٢٢، ٥٦٧	٤٢٤، ٤٧٢، ٤٧٣، ٥٣٦

٢٢١	عامر (ولقبه مدركة)	٥٨٩	عائشة بنت الحارث
٧٢٣	عباد بن بشر	٢٤٥	عاتكة بنت عبد المطلب
٣٩١	عباد بن عبد الله الرواجني	٦٣٠، ٦٢٦، ٥٢٤، ٣١١	
٦٩٣	عبادة بن الصامت	١٤١	عاد بن عوص بن ارم
٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٧		١٨٤، ١٤٥	
٦٦١	عباس الأحول	٥٢٦	العاص بن عامر
٧١٢، ٧١١	العباس بن عبادة	٤٣٨	العاص بن هاشم بن أسد
٢٤٤	العباس بن عبد المطلب	٣١٦، ٣١٣	العاص بن وائل السهمي
٣٠٨، ٢٨٩، ٢٨٧		٤٣٣، ٤٣١، ٤٣٠، ٣٤١	
٣٥٢، ٣٤٧، ٣١٥، ٣٠٩		٤٤٦، ٤٤٠، ٤٣٧، ٤٣٥	
٣٨٧، ٣٦١، ٣٥٤، ٣٥٣		٤٦٨، ٤٦٧، ٤٦٦، ٤٦٥	
٤٠٧، ٣٩٢، ٣٨٩، ٣٨٨		٥٠٦، ٤٩٦، ٤٨٢، ٤٦٩	
٤٣٩، ٤١٨، ٤١٦، ٤٠٨		٥٩٥، ٥٢٣، ٥١١، ٥٠٨	
٦٩١، ٦٣٧، ٥١٤، ٤٩٤		٧٣١، ٧٢١، ٦١٠، ٦٠٢	
٧٤٦، ٧١٢، ٧١٠، ٧٠٩		٦٩٩، ٣٧٨	عاصم بن عمر بن قتادة
٦٩٢	العباس بن نائلة الأوسي	٧٢٠، ٥٨٧، ٥٦٤، ٧١٢، ٧١١	
٧١١، ٧٠٠، ٦٩٧		٤٧٦	عامر بن الطفيل
٦٨١	عبد الله بن أبي بكر	٥٦٦	عامر بن عبد الله بن الجراح
٧١٢، ٧١١، ٧٠٠		٧٤١، ٥٥٩، ٥٥٨	عامر بن قُهيرَة
٣٧٨	عبد الله بن أبي بكر بن حزم	٢٢٤	عامر بن لؤي
٦٥٣، ٦٥٠	عبد الله بن أبي بن سلول		عامر بن هاشم بن عبد مناف
٧١٢، ٧١١، ٧٠٢، ٦٩٣، ٦٩١		٢٣٠، ٢٢٩	
٣٨٨	عبد الله بن أحمد بن حنبل	٣٧٨، ٣٧٧	عامر الشعبي

عبد الله بن رافع	٣٩١	عبد الله بن سلام	٥١٣، ٤٧٥
عبد الله بن أبي ربيعة	٤٠٨، ٣٩٣	عبد الله بن شدّاد	٣٩٦
عبد الله بن أمّ مكتوم	٥٨٠، ٥٦٧	عبد الله بن شريح العامري	٤٩٤
عبد الله بن أميّة	٤٩٤، ٤٩٣	عبد الله بن سوريا	٤٧٦، ٤٧٥
	٥٢٣، ٥٠٨	عبد الله بن عبد الأسد الخزومي	٧١٨
عبد الله بن برياء	٦٠٣، ٦٠٢، ٥٢٦، ٥٢٤	عبد الله بن عبد المطلب	١١٨
عبد الله بن جحش	١٩٥		٢٠٣، ٢٠٤، ٢٤٤
عبد الله بن جُدعان	٧٢٠، ٥٦٥		٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨
	٢٧٥		٢٥٤، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩
	٤٨٥، ٤٨٤، ٣١٣، ٣٠٤		٢٦٠، ٢٨٣، ٢٨٧، ٣٢٥
عبد الله بن جعفر بن أبي طالب	٢٥٠، ٢٦٣، ٢٦٦	عبد الله بن علي الحلبي	٢٧٢
	٥٦٥، ٣٩٦، ٢٧٠، ٢٦٨		٣٢٠، ٣٣١، ٣٧٦، ٣٨١، ٤٢٩
عبد الله بن الحارث بن نوفل	٢٦٣	عبد الله بن عمر	٧٢١، ٧١٩، ٥١٥
	٤١٦، ٤١٥	عبد الله بن كعب	٧١٠، ٧٠٨
عبد الله بن الحارث السعدي	٢٦٦	عبد الله بن مسعود	٣٩٢
عبد الله بن حرّام	٦٩٨، ٦٩٢		٤٣٤، ٤٥٧، ٤٨٨، ٤٩٦
عبد الله بن حزم	٢٨٣		٤٩٩، ٥٠٥، ٥٣٩، ٥٤٤
عبد الله بن رواحة	٦٩٨، ٦٩٣		٥٦٦، ٥٨٨، ٦٠٩، ٦١٠
عبد الله بن الزُّبيري	٥١٢	عبد الله بن مسلم	٦١٩
	٦٥٦، ٦٥٥، ٥٢١	عبد الله الشافعي	٣٥٠
عبد الله بن الزبير	٤٦٤، ٣١٥، ٣١٤	العبد بن ابرهة	١٤٧
عبد الله بن سعد بن أبي سرح	٤٨٣	عبد بن جحش	٧٢٠

٧٣٠	عبيد الله بن أبي رافع	٢٤٣	عبد الرحمان بن خالد
٧٤٩، ٧٤٦		٣١٤	عبد الرحمان بن عثمان التيمي
٥٨٨	عبيد الله بن جحش	٤٨٦	عبد الرحمان بن عوف
١٤٦	عبيد بن شريّة الجرهمي	٧٢٢، ٥٨٨، ٥٦٦، ٥٦٤	
١٤٨، ١٤٧		١٤١	عبد ضخم بن ارم بن سام
٧٢٣	عبيدة بن الحارث	١٨٤، ١٤٣	
١٤١	عيل بن عوص بن ارم	٢٧٨	عبد العزيز بن السفر
١٨٤، ١٤٥، ١٤٣		٢٧٨	عبد العزيز بن عفير
٣٠٧	عتاب بن أسيد	٢٢٠	عبد القيس بن أفصى
١٢٩	عتبة بن أبي لهب	٢٧٠	عبد الكريم الخطيب
٤٩٥، ٤٨٢، ٤٨١		٣١٠	عبد المسيح الانطاكي
٤٣٨، ١١٠، ١٠٩	عتبة بن ربيعة	٢٠٢، ١١٨	عبد المطلب بن هاشم
٥٤٢، ٥٢٣، ٥٠٨، ٥٠١		٢٣١، ٢١٢، ٢٠٤، ٢٠٣	
٦٤٩، ٦٤٧، ٦٤٦، ٦٠٦		٢٣٧، ٢٣٦، ٢٣٥، ٢٣٤	
٧٣١، ٧٢٣، ٦٥١، ٦٥٠		٢٤٤، ٢٤٣، ٢٤٢، ٢٤١	
٧٢٣	عتبة بن غزوان	٢٤٨، ٢٤٧، ٢٤٦، ٢٤٥	
٣٣٧، ٣٣٦	عتيق بن عابد الخزومي	٢٥٩، ٢٥٨، ٢٥٧، ٢٥٦	
٢٢٤	عتيق التيمي	٢٧٥، ٢٦٥، ٢٦١، ٢٦٠	
١٢٩	عثمان بن الحويرث	٣١٦، ٢٨٩، ٢٨٨، ٢٧٦	
٧٢٠	عثمان بن طلحة	٦٩١، ٤٠٩، ٣٢٥، ٣١٧	
٤٨٣، ٤٨٢	عثمان بن عفان	٣١٥، ٣١٤	عبد الملك بن مروان
٥٨٧، ٥٦٥، ٥٦٣، ٤٨٦		٢٢٣	عبد مناة بن كنانة
٥٦٤	عثمان بن مظعون الجمحي	٦٤٦	عبد ياليل بن عمرو

٣٥٢	عقيل بن ابي طالب	٥٩٢، ٥٩١، ٥٨٨، ٥٦٦، ٥٦٥	
٣٥٤، ٣٥٣		٢٢٠	عجل بن لجيم
٦٠٩	علقمة بن قيس	١٨٨	عداد بن صداد
٣٩١، ٣٩٠، ٣٨٨	العكبري	٦٤٨، ٦٤٧	عداس
٥٤٥، ٤٩٥	عكرمة	١٨٦	عدنان بن أد
٦٨٨، ٦٨٧، ٦٧٨، ٦١٢، ٥٥١		١٧٤، ١٧٣	عدي بن أوس بن مرينا
٥٠٧	العلاء بن الحضرمي	٤٤٥	عدي بن حمراء الثقفي
٨٨، ٨٦، ٨٢	علي بن ابراهيم القمي	١٧٠	عدي بن زيد العبادي
٢٠٤، ١٩٥، ١٢٣، ١٠٩، ٩١		١٧٣، ١٧٢	
٣٨٢، ٣٧٧، ٣٦٩، ٣٦٣		٢٢٤	عدي بن كعب
٤٣٠، ٤١٤، ٣٨٥، ٣٨٤		٤٣٩	عروة بن الزبير
٤٤٤، ٤٤٢، ٤٤١، ٤٣٢		٧٠١، ٧٠٠، ٥٨٦	
٤٧٠، ٤٦٤، ٤٥٩، ٤٥٥		٦٠٣	عروة بن مسعود الثقفي
٤٧٧، ٤٧٦، ٤٧٥، ٤٧٤		٦٠٦، ٦٠٥، ٦٠٤	
٤٩٥، ٤٩٠، ٤٨٣، ٤٧٨		٨٣	عزارة
٥٠٣، ٥٠٢، ٥٠٠، ٤٩٨		١١٩	عزي سلمة
٥٣٥، ٥١٤، ٥٠٧، ٥٠٥		٤٩٦	عطاء بن ابي رباح
٥٥٢، ٥٥١، ٥٤٦، ٥٤٠		٢٠٠، ١٩٥	عطاء بن يسار
٥٨٤، ٥٧٧، ٥٦٧، ٥٥٣		٢٧٨	عفير بن عبد العزيز
٦٠٧، ٦٠١، ٥٩٥، ٥٩٣		٣٩٣، ٣٩٢	عفيف الكندي
٦١٤، ٦١٣، ٦١٠، ٦٠٨		٤٤٥، ٤٣٧	عقبة بن ابي معيط
٦٨٦، ٦٥٠، ٦٢١، ٦١٩		٦١٠، ٥١٠، ٥٠٩، ٥٠٢، ٤٥٢	
٧٣٥، ٧٢٨، ٧٠١، ٦٩٤		٥١١، ٤٥٧	عقبة بن عامر الجهني

١٨٨	عمرو بن الحارث	٧٤٢، ٧٤١، ٧٤٠، ٧٣٧
٣٢٦	عمرو بن خويلد بن أسد	٢٤٥
٥٦٥	عمرو بن سعيد بن العاص	٢٢٣
١٤٧،	عمرو بن شمر	٣٣٥، ٣٣٣
٣٤٤، ٣٤٣، ٣٤٢، ٣٣٠،		٣١٩،
٤٤٥	عمرو بن الطلائفة الخراعي	٣٢٦، ٣٢٩، ٣٥٠، ٥١٨،
٤٦٥، ٤٦٤	عمرو بن العاص	٥٤٤، ٥٥٧، ٥٥٩، ٥٦٦،
٥٦٨، ٥٦٧، ٤٦٧، ٤٦٦		٥٨٨، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢،
٥٧٨، ٥٧٧، ٥٧٠، ٥٦٩		٦٢٣، ٦٢٤، ٦٨٢، ٦٨٣،
٥٨٤، ٥٨٣، ٥٨٠، ٥٧٩		٦٨٤، ٧٣٠، ٧٤١، ٧٤٦،
١٢٠،	عمرو بن عامر	٤٣١،
١٩٠، ١٧٩، ١٥٠، ١٤٩		٤٣٢، ٥١٥، ٥٦٧، ٥٧٧،
٥٢٦، ٥١٢	عمرو بن عبد الله العامري	١٨٣، ٢٢٤،
١٦٩	عمرو بن عبد الحمي التنوخي	٣٥٥، ٣٧٤، ٥٥٧، ٦٨٢، ٧٢١،
١٧٤، ١٦٩، ١٦٨	عمرو بن عدي	٤٦٢
١٢٢،	عمرو بن حُيَّ بن قعدة	٤٨٦
٢٢٢، ١٣٢		٢٢١
٢٠٨، ١٧١	عمرو بن المنذر	٦٦١
٣٧٤	عمرو بن نُفيل	٣٢٦، ٢٢٣
٥١٩، ٤٤٢	عمرو بن هشام بن المغيرة	١٦٩
١٤١،	عملاق بن لاوذ بن ارم	٥٦٧،
١٨٤، ١٤٢		٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧٢، ٥٨٨،
١٩١	عمياريسا	٧١٣، ٧١٤،
		عمرو بن الجموح

٢٢٣	غزوان بن كنانة	٢٢١	عمير (قعة)
٢٢٥	غوث بن مرّ	٢٢٠	عنزة بن اسد
٢٤٤	الغيداق بن عبد المطلب	٦٩٧	عوف بن الحارث
٣٠٨، ٢٨٨، ٢٥٧	فاطمة بنت اسد	١١٩	عوف بن ربيعة الأسدي
٧٤٨، ٧٤٧، ٤٢٦، ٣١٠، ٣٠٩		٢٢٤	عوف بن سعد بن ذبيان
٣٩٦	فاطمة بنت الحسين	٢٢٣	عوف بن كنانة
	فاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب	٢٢٤	عوف بن لؤي
٧٤٨، ٧٤٧		١٨٠	عوف بن المنذر
٢٨٧	فاطمة بنت عمرو المخزومي	٤٢١	العوفي
٥٨٨	فاطمة بنت المحلل	٢٢٤	عويص بن عامر
٣١٠، ٣٠٧	الفتال النيسابوري	٥٥٧	عياش بن أبي ربيعة المخزومي
٤٦٢	الفخر الرازي	٧٢١، ٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٢، ٥٦٦	
٦٠٢	الفراء	٣٧٧، ٢٠٥، ١٣٠	العياشي
٤١٤، ٤٠٧	فرات بن ابراهيم الكوفي	٤٥٧، ٤٣٢، ٤٣٠، ٤٢٩	
١٥٨، ١٥٧	فردوسي	٥٢٧، ٥٢٥، ٥١١، ٥٠٦	
٩٨	فروة بن مسيك	٦٠٧، ٥٩٣، ٥٥١، ٥٤٠	
٤٢٥	الفضل بن عبد الرحمان	٧٢٧، ٦٣٢، ٦٢٠، ٦١٤	
١٩٠	الفطيون	٣٧٤	القاضي عياض
٢٢٤	فهر بن مالك	٧٧	عيسى بن عمر
٦٦٨	فوقا	٢٢١	عيلان بن مضر
١٨٩	الفيروزآبادي	٢٢٤	غالب بن فهر
٥٢٧	الفيض الكاشاني	٢٢٣	غالب بن مدركة
١٨٨	فينحاص بن عداد	٧٤١	الغزالي

٢٢٠	قيس بن ثعلبة	١٧٢، ١٧١	قابوس بن المنذر
٣١٢	قيس بن شيبه السلمي	٣٣٩،	القاسم (ابن رسول الله ﷺ)
٥٦٥	قيس بن عبد الله	٣٤٣، ٣٤٢، ٣٤١، ٣٤٠	
٢٢١	قيس بن غيلان	٥٢٠، ٣٣٧	قتادة بن دعامة
٢٥٩، ١٣٥	الكازروني	٥٢٢، ٥٤٣، ٦٠٥، ٦٠٦	
٢٦٠، ٢٦١، ٢٧٠، ٢٧٨		٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢١	
٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٤		١٤٦	قحطان بن عابر بن شالح
٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٣، ٥٣٤		١٨٣، ١٨٤	
٢٢٣	كاهل بن أسد	١٠٤	قدّار
٢٢٤	كثير بن غالب	٥٨٨، ٥٦٦	قدامة بن مطعون
٢٧٨	الكراجكي	٣٧٤	قس بن ساعدة الإيادي
١٦٠، ١٧٢	كسرى بن هرمز	٢٢٥	قصي بن كلاب
١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ٢٠٦		٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩	
٢٠٨، ٢٠٩، ٢٢٠، ٢٢١		١٦٨	قصير
٣٨٨، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦		٣٢٠، ٣٦٣	القطب الراوندي
٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧٣، ٦٧٤		٣٦٩، ٤٣٦، ٤٤١، ٤٧١	
٦٧٥، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩		٥٣٣، ٥٣٤، ٥٩٣، ٦٢٧	
٦٢٣، ٦٨٢، ٦٨٣	الكشي	٦٣٣، ٦٣٥، ٦٩٤، ٧٤٥	
١٣٠	كعب الأحبار	٦٩٧	قطبة بن عامر بن حرام
٢٢٤	كعب بن لؤي	٥٧١	القلقشندي
٦٩٩	كعب بن مالك الخزرجي	٢٢٢	قعة بن الياس
٧٠٠، ٧٠٨		٤٣٧، ٤٣٩	قهيلة بن عامر النهري
١٤٧	كلال بن مثوب	١٨٥	قيدار

٥٩٢، ٤٧٦	لبيد بن ربيعة	٢٢٥، ٢٢٤	كلاب بن مرة
١٤٧	لخنيعة ذو شناتر	٢١٣، ١٩٥، ١٢٢، ١١٩	الكلبي
١٤٨	لقمان بن عاد بن عادي	٥٢٦، ٥١٩، ٥١٨، ٥١٢	
٢٢٤	لؤي بن غالب	٦١٤، ٥٥٢، ٥٤٧، ٥٤٠	
	ليلى بنت أبي حثمة العدوي	٦٦٨، ٦٦٧، ٦٦٥، ٦١٦	
٥٨٧، ٥٦٤		٦٧٤، ٦٧٣، ٦٧٢، ٦٦٩	
١٧٩	مازن بن الأزد	٦٣٨	كلثوم (أخت موسى عليه السلام)
٤٢٢	المازندراني	٧٢٢	كلثوم بن هدم
١٩٠٩	مالك بن العجلان الخزرجي	٢٢٠	كليب بن ربيعة التغلبي
١٥٠	مالك بن فهم الأزدي	٢٠٨، ٢٠٤، ١٨٩	الكليني
٢٢٣	مالك بن كنانة	٢٥٧، ٢٥٥، ٢٤٢، ٢١٨	
٢٢٤	مالك بن النظر	٣٠٦، ٢٨٥، ٢٦١، ٢٥٨	
١٥٠	مالك بن اليان	٣٤٢، ٣٤٠، ٣٢٢، ٣١٨	
٣٨٨	الماوردي	٣٤٨، ٣٤٦، ٣٤٥، ٣٤٣	
٣٠٧	المبرم بن دعيب بن الشقيان	٣٧٥، ٣٧١، ٣٧٠، ٣٦٢	
٧٢٠	مبشر بن عبد المنذر	٣٨٣، ٣٨٠، ٣٧٩، ٣٧٧	
٣٨٠	المتقي الهندي	٥٥٢، ٥٢٧، ٣٩٤، ٣٨٦	
١٧٢، ١٧١	المتلمس	٧٥٠، ٧٤٣، ٧٤١، ٦٢١	
٣٥٣، ٣٥٢	مجاهد بن جبر	٢٢٣	كنانة بن خزيمه
٤٨٢، ٤٥٩، ٣٩٣، ٣٥٥		٣٠٧	الكنجي الشافعي
٥٢٢، ٥٢٠، ٥٠٧، ٥٠٥		١٤٣	كنعان بن حام بن نوح
٦١٩، ٦٠٦، ٥٥٥، ٥٤٣		١٤٣	كبيومرث بن أميم بن لاوذ
٦٨١، ٦٥٩، ٦٥٧، ٦٣٢		٤٧٤، ٤٧٣، ٤٧٢	لبيد بن أعصم

٢٩٠، ٢٩٧، ٣٠٨، ٣١٧،	العلامة المجلسي ١٣٥،
٣٢٠، ٣٢٤، ٣٢٧، ٣٤٠،	١٨٩، ٢٥٤، ٢٥٥،
٣٤٥، ٣٥٠، ٣٦١، ٣٧٦،	٢٥٩، ٢٦٠، ٢٧٠، ٢٧٣،
٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨٣،	٢٧٤، ٢٨٠، ٢٨٣، ٣٣٩،
٣٩٤، ٤٠٠، ٤١٣، ٤١٥،	٣٤١، ٣٤٣، ٣٧٠، ٣٧١،
٤١٦، ٤٢٩، ٤٣٤، ٤٣٥،	٣٧٣، ٤٢١، ٤٧١، ٥٣٣،
٤٤٠، ٤٤١، ٤٧٨، ٤٨٩،	محارب بن فهر ٢٢٤
٤٩١، ٥٢٤، ٥٩٣، ٦٠٥،	محب الدين الطبري ٣٤٩
٦٠٧، ٦٣٤، ٧٢٨، ٧٤١،	محمد بن أبي حذيفة ٥٦٤
محمد بن كعب القرظي ١١٦،	محمد بن اسحاق ١٣١
٤٨٢، ٥١٨، ٥٤٧، ٦٤٦،	محمد بن ثور ٤٣٧،
محمد بن مروان ٤٠٠،	٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٦، ٤٤٩،
محمد بن مسلم ٣٧٦،	محمد بن جبير بن مطعم العدوي
٤٠٠، ٥٢٥، ٧٢٧،	٣١٤، ٣١٥،
محمد بن النعمان بن بشير	محمد بن الحسن ٢٣٤، ٢٣٧،
الأنصاري ٦٨٧،	محمد بن الحنفية ٢٩٩، ٣٦٠،
محمد بن يعلى ٢٧٠،	محمد بن سنان ٤٧٥،
محمد بن يوسف ٢٥٤،	محمد بن صالح بن دينار ٣٧٨،
محمد حسين الطباطبائي ٦٩،	محمد بن عبد العزيز ٢٧٨،
٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٥،	محمد بن علي الصدوق ١٩٣،
٤٢٤، ٤٥٣، ٤٦٥، ٥١٢،	٢٠٤، ٢٠٥، ٢٤٢،
٥١٧، ٥٤٩، ٥٥١، ٥٥٤،	٢٤٤، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٧٩،
محمد حسين هيكل ٢٧٠،	٢٨٠، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٨٩،

١٧٠، ١٧٢، ١٧٨، ١٧٩،	٢٧١، ٢٠٦	محمد عبده
١٨٢، ١٨٣، ١٨٦، ١٨٨،	٧٨	محمد عزة دروزة
١٨٩، ١٩٥، ١٩٩، ٢٠٥،	٦٢٣	محمد المحمودي المروزي
٢١٢، ٢١٤، ٢٢٥، ٢٣٧،	٢٤٧	محمد مهدي الروحاني القمي
٢٤١، ٢٥٩، ٢٧٧، ٢٧٨،	٢٢٣	مخرمة بن كنانة
٢٧٩، ٣٠٦، ٣٣٥، ٣٤٢،	٢٨٠	مخرمة بن نوفل القرشي
٣٤٦، ٣٤٨، ٣٧٤، ٦٤٠،	٢٩٩	المدائني
٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٥، ٦٧٦،	٢٢٣	مدركة بن الياس
المسور بن مخرمة بن نوفل الزهري ٣١٤	٣٣٧، ٢٤٧	السيد المرتضى
١٨٥ مشا	٤٩٢، ٤٠٣، ٣٦٩، ٣٦٨، ٣٦٦	
١٨٥ مشمع	٢٢٤	مرة بن كعب
مصعب بن عمير ١١١، ٥٦٤، ٥٦٦،	٦٩٧، ١٤٧	مرثد بن الأسد
٥٨٧، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤،	٣٤٩	المرعشي النجفي
٦٩٤، ٦٩٧، ٦٩٩، ٧٠١،	٢١٤	المروزان
٧٠٤، ٧٠٦، ٧٠٨، ٧٢٢،	٦٣٨	مريم بنت عمران
١٨٦ المضاض بن عمرو الجرهمي	٢٦١	مسروح
٢٢١ مضر بن نزار	٢٠٨	مسروق بن ابرهة
٤٧٩، ٤٨٢، مطعم بن عدي	٢٧٧، ٢١١، ٢١٠، ٢٠٩	
٥٩٤، ٦٢٦، ٦٣٠، ٦٣٢، ٦٣٦،	٧٢٢	مسطح بن أثانة بن عبّاد
٢٢٩ المطلب بن عبد مناف	٦٤٦	مسعود بن عمرو
١٣٦ مُعاذ بن جبل	١٤٥، ١٤٣، ١٤١، ١٠٨،	المسعودي
٧١٣ مُعاذ بن عمرو بن الجموح	١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩،	
١٤٦ معاوية بن ابي سفيان	١٥١، ١٦٠، ١٦١، ١٦٧،	

٢٦٧، ٢٦٦	مكحول الشامي	٣١٥، ٣١٣، ٢٩٧	
٥٢٦	مكرز بن حفص	٨٨	معاوية بن عمار
١٤٧	ملكيب (كليكب) بن تبع	٧١٢، ٧١٠، ٧٠٨	مُعبد بن كعب
٥٢٣	منبّه بن الحجاج	١٨٨	المعتسم بن الظليم
١٧١	المنذر بن الأسود	٢٢٠، ٢١٩، ١٨٦	معد بن عدنان
١٨٢	المنذر بن امرئ القيس اللخمي	٢٠٨	معديكرب بن ذي يزن
١٨٠	المنذر بن الحارث	٢٧٧، ٢١٣، ٢١٢، ٢١٠، ٢٠٩	
٦٩٣	المنذر بن عمرو	٢٢٤	معيص بن عامر
٧٢٢	منذر بن محمد	٣٥٠، ٣٠٨	الغازلي
٦٢٦، ٦٠٠	منصور بن عكرمة	٤٧٥، ٣٧٢، ٢٤٢	المفضل بن عمر
٢٤٣، ١٧٨	المنصور العباسي	٦٤٣	المفضل الضبي
٧١٣	المهدي بن المنصور العباسي	٢٠٢	الشيخ المفيد
٦٦٣، ٦٦١	موزيقي قيصر	٣٦٥، ٣٠٦، ٢٥٤، ٢٤٣	
٦٧١، ٦٦٩، ٦٦٨، ٦٦٦، ٦٦٤		٥٣٦، ٣٨٧، ٣٧٩، ٣٧٦	
٥٨٩	موسى بن الحارث	٤٦٨، ٤٦٧	مقاتل بن حيان
٣٢٧	ميسرة	٤٩٧، ٤٩٦، ٤٩٥، ٤٧٥	
١٨٥	ميشام	٥٤٩، ٥٤٣، ٥٢٦، ٥١٢	
١٨٦، ١٨٥	نابت	٦٨٦، ٦٧٩، ٦٥٨، ٦٠١	
١٤٧	ناشر النعم بن يعفر بن عمرو	٥٦٦، ٤٦٤	المقداد بن الأسود
١٨٥	نافش	٥٨٨، ٥٦٦	المقداد بن عمرو
٦٩٧	نافع بن مالك بن العجلان	٤٨٨، ٤٨٧، ٤٨٥	المقدسي
٥٢٣، ٥٠٨	نبيه بن الحجاج	٢٤٢	مقرن
٢٢٩	نبيه بن وهب الهاشمي	٢٤٤	المقوم بن عبد المطلب

٨٣، ٨٢	نمرود	٢٠٠، ١٩٩، ١٩٨، ١٥٣	النجاشي
١٨١	نوشر	٥٦٥، ٥١٠، ٤٣٢، ٤٣١	
٥٤٠، ٤٨٧	نوفل بن خويلد	٥٧٠، ٥٦٩، ٥٦٨، ٥٦٧	
٢٢٩	نوفل بن عبد مناف	٥٧٤، ٥٧٣، ٥٧٢، ٥٧١	
٩٥	نينوس	٥٨٠، ٥٧٩، ٥٧٧، ٥٧٥	
٨٥	هاجر (أم إسماعيل <small>عليها السلام</small>)	٥٨٥، ٥٨٣، ٥٨٢، ٥٨١	
١٨٤، ١٠٦، ٨٨، ٨٧، ٨٦		٥٨٩، ٥٨٨، ٥٨٧، ٥٨٦	
٣٥٣	السيد هاشم البحراني	٧٤٦	النجدي
٦٢٨، ٥٢٧، ٣٩٣		١٨٦	نزار بن معد
٢٢٩	هاشم بن عبد مناف	١٢٨	نسطور يوس
٢٣٣، ٢٣٢، ٢٣٠			النضر بن الحارث بن علقمة بن
٣٢٦	هالة بنت خويلد	٥٠١	كلدة
٢٢٠، ١٧٥	هانيء بن مسعود الشيباني	٥٢٣، ٥١٨، ٥٠٨، ٥٠٧	
٥١٢	هبيرة بن أبي وهب المخزومي	٥٥٢، ٥٤٥، ٥٤٢، ٥٤٠	
١٢٧	هدريان	٦٥٧، ٦٥٦، ٦١٠، ٥٩٥	
١٤٧	الهدهاد بن شرحبيل	٤٣٨	النضر بن الحرث العبدي
٢٢٣	هذيل بن مدركة	٢٢٤، ٢٢٣	النضر بن كنانة
٢٣٥	هذيم (كاهنة بني سعد)	٣٩٣	النطنزي
٦٧٣	هراكليوس	٦٥٧، ١٧٩	النعمان بن الحارث الفهري
٦٦٠، ٢٠٩، ١٦٣	هرقل	١٧٩	النعمان بن عمرو بن مالك
٦٦٩، ٦٦٨، ٦٦٧، ٦٦٦		١٦٩، ١٢٨	النعمان بن المنذر
٦٧٤، ٦٧٢، ٦٧١، ٦٧٠		٣٠٣، ٣٠٢، ١٧٥، ١٧٣، ١٧٢	
٦٧٨، ٦٧٧، ٦٧٦، ٦٧٥		٢٢٠	النمر بن قاسط

٣١٤، ٣١٣	هرمز
١٠٨	هرودوت
٥٦٦	هشام بن أبي حذيفة
٦١٤	هشام بن سالم
٥٥٧	هشام بن عروة بن الزبير
٦٢٦	هشام بن عمرو بن لؤي
٦٣٦، ٦٣١، ٦٣٠	
٥٥٧	هشام بن الوليد
١٩٩، ١٩٧، ٨٦	هشام الكلبي
٣٣٦، ٣٣٥، ٢٩٦، ٢٦٠	
٤٦٧، ٤٦٠، ٤٤٨، ٣٤٢	
٦٦١، ٤٩٥، ٤٨٢، ٤٧٢	
١٨٦	الهميسع
٦٣٤، ٣٣٦	هند بنت أبي هالة
٧٤١، ٧٣٩، ٧٣٤، ٧٣٣، ٧٣٠	
٢٢٣	هند بن أسد
١٢٨	هند بنت المنذر
٩٥	هوريان
٢٢٣	الهون بن خزيمه
١٨٤	الهيثم بن عدي
٣٥٥، ٣٥٢	الواحدى
١٥٠	وادعة بن عمرو الأزدي
٧٢٢	واقد بن عبد الله التيمي
١١٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦١	الواقدي
٢٧٣، ٣٢٨، ٣٣٥، ٣٦٤	
٣٧٨، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٧	
٥٦٤، ٥٧٢، ٦٢٣، ٦٣٧	
٦٨٢، ٦٨٣، ٧٣٦، ٧٤٦	
١٤١	وبار بن أميم بن لاوذ بن ارم
١٤٢، ١٤٣، ١٤٥، ١٨٤	
٨٢	ورقة (أم لوط <small>عليها السلام</small>)
٢١٨، ١٢٩	ورقة بن نوفل بن أسد
٢٦٥، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٥، ٣٣٢	
٢٨٨	الوليد بن ربيعة المخزومي
٣١٣	الوليد بن عتبة بن أبي سفيان
٣١٥، ٣١٤	
٤٣١، ٤٣٠	الوليد بن المغيرة المخزومي
٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٣٨	
٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٤	
٤٤٦، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥١	
٤٥٢، ٤٥٣، ٤٦٣، ٤٦٨	
٤٦٩، ٤٨٢، ٤٩٦، ٥٠١	
٥٠٨، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٣	
٥٢٦، ٥٤٢، ٥٥٧، ٥٩٠	
٥٩١، ٥٩٢، ٦٠٢، ٦٠٣	
٦٠٤، ٦٠٥، ٦٨٢، ٧٣٥	

١٢٨	يعقوب البرادعي	وهب بن عبد مناف بن زهرة
١٦٧، ١٢٤	اليعقوبي	٢٧٥، ٢٤٨
١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢		٢٢٤
١٧٧، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٢		وهب بن غالب
١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٩٠		١٣٠
١٩٩، ٢١٥، ٢١٩، ٢٢٣		وهب بن منبه
٢٢٥، ٢٢٨، ٢٣٠، ٢٣٢		٢١٣، ٢١٢، ٢١١، ٢١٣
٢٣٤، ٢٣٧، ٢٤٣، ٢٤٦		وهب بن منبه
٢٤٨، ٢٥٢، ٢٥٧، ٢٥٨		وهز
٢٥٩، ٢٦١، ٢٨٢، ٢٨٧		٢١٣
٣١١، ٣١٩، ٣٢٦، ٣٢٩		وين
٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٨		يافت بن نوح
٤٠١، ٤٤٥، ٤٥٤، ٤٧٤		١٤٤
٤٩٢، ٥٥٩، ٥٦٤، ٥٦٦		يثر بن قامه بن مهليل بن ارم
٦٠٠، ٦٣٨، ٦٤٩، ٦٦٤		١٤٤
٢٩٢	يعلى بن سبابة	يحيى بن الحسن بن البطريق الحلبي
٢٢٦	يعمر بن عوف	٦٢٨
٢٧٧	يكسوم بن أبرهة الأشرم	يحيى بن شبل
١٤٥	يهود بن اسرائيل	٣٤٧
٢٠٧	يوسف بن ذي يزن	يحيى بن عفيف بن قيس
		٣٨٨، ٣٨٧
		يحيى بن يعمر
		٦٧٨، ٦٥٨
		يخلد بن النضر
		٢٢٤
		يزدجر الأول
		١٦٩، ١٦١
		يزيد بن ابي سفيان
		١٨٢
		يزيد بن ثعلبة
		٦٩٧
		يزيد بن زمعة بن الأسود
		٥٦٥
		يزيد بن قعنب
		٣٠٨
		يسار
		٦١٩
		يشجب بن أمين
		١٨٦، ١٤٦
		يطوز
		١٨٥
		يعرب بن قحطان
		١٤١، ١٠٥
		١٤٥، ١٤٦، ١٨٣، ١٨٤

فهرس الأشعار

٥١٦، ٤٨٤	وفقت صابراً	فصبراً أبا يعلى	أبو طالب
٤٨٤	حمزُ كافرأ	وحط من أقى	
٥١٦، ٤٨٤	فى الله ناصراً	فقد سرنى	
٤٨٤	أحمد ساحراً	وناد قریشاً	
١٣٨	تشقى من الكلب	أحلامكم لسقام	لم يسمّ قائله
٥٩٨، ٥١٦	أول الكتب	ألم تعلموا	أبو طالب
٥١٦	بالطعان وبالحرب	أليس أبونا	
٥١٦	ضعيف السبب	وقالوا لأحمد	
٥١٦	يأتهم بالكذب	إلا إن أحمد	
٥١٦	القوم يعجب	وقد كان	
٦٢٦، ٥١٦	الحق معرب	محا الله	
٦٢٦، ٥١٦	غير مُعتب	وأسمى ابن	
٦٢٦	القوم يعجب	وقد كان	
٦٢٦	بالحق يُكذب	وأصبح ما قالوا	
٦٢٦	السقاء السرب	تطاول لىلى	
٦٢٧	بعد اللعب	ولعب قصى	

٦٢٧	لطف الحطب	ونفي قُصيّ	أبو طالب
٦٢٧	ضعيف النسب	وقالوا لأحمد	
٦٢٧	يأثمهم بالكذب	وان كان	
٦٢٧	وبني المطلب	على أن	
٦٢٧	وقرب النسب	ورمت بأحمد	
٦٢٧	ذات الحُجُب	فأني وماحج	
٦٢٧	وحدّ القُضْب	تنالون أحمد	
٥٩٧	مصيره لشعوب	اصبرت يا بُني	
٥٩٧	وابن النجيب	قد بلوناك	
٥٩٧	والغناء الرحيب	لغداء الأعز	
٥٩٧	وغير مصيب	إن تصبك المنون	
٥٩٧	سهاها بنصيب	كل حي	
٥٩٨	بالطعان وبالضرب	أليس أبونا	
٥٩٨	كراغية السقب	وإن الذي	
٥٩٨	كذي الذنب	أفيقوا أفيقوا	
٥٩٩	المودة والقرب	ولا تتبعوا أمر	
٥٩٩	جلب الحرب	وتستجلبوا حرباً	
٥٩٩	ولا كرب	فلسنا ورب	
٥٩٩	بالقساسية الشهب	ولما تبين	
٥٩٩	يعكفن كالشرب	بمعترك ضيق	
٥٩٩	من النكب	ولسنا نمل	
٥٩٩	من الرعب	ولكننا أهل	

٧٣٩	غزل العنكب	حتى اذا	الحميري
٧٣٩	من مطلب	صنع الاله	
٧٣٩	لم يعطب	ميلوا وصدّهم	
٤٥٩	ما لقيت	هل أنت	لم يسمّ قائله
٢٤٩	وهذا محمد	وشق له	أبو طالب
٢٥٠	أعلى وأجد	ألم تر أنّ الله	حسان بن ثابت
٢٨٧	أبيه فرد	اوصيك يا عبد	عبد المطلب
٢٨٧	له في الوجد	فارقه وهو	
٢٨٧	بنيّ بعدي	تدنيه من	
٦٢٦	بالناس أروء	ألا هل أقي	أبو طالب
٦٢٦	الله يفسد	فيخبرهم أن	
٦٢٦	الدهر يصعد	يراوحها إفك	
٧٤٨	غير الواحد	خلّوا سبيل	الامام علي عليه السلام
١٧٠	وللهديّ تكفر	وتفكر ربّ	عدي بن زيد العبادي
١٧٠	معرض والسدير	سره حاله	
١٧٠	المهات يصير	فارعوى قلبه	
٢٨١	واجلوذ المطر	بشبية الحمد	مخرمة بن نوفل
٢٨٢	الانعام والشجر	فجاد بالماء	
٢٨٢	عدل ولا خطر	مبارك الاسم	
٣١٢	الأهل والنفر	يا آل فهر	لم يسمّ قائله
٣١٢	الفاجر القدير	إن الحرام	لم يسمّ قائله
٣١٣	أهل دار	حلفت لتقعدن	الزبير بن عبد المطلب

٣١٣	لدى الجوار	نسميه الفضول	الزبير بن عبد المطلب
٣١٣	كل عار	ويعلم من	
٧٤٩	العتيق وبالحجر	وقيت بنفسي	الامام علي عليه السلام
٧٥٠	القتل والأسر	وبت اراعيهم	
٧٥٠	وفي ستر	وبات رسول الله	
٧٥٠	ايها يفري	أقام ثلاثاً	
٥١٦	القوم عبّاساً	اوصي بنصر	أبو طالب
٥١٦	دونه الناسا	وحمة الأسد	
٥١٦	الناس أتراساً	كونوا فداءً	
٤٨١	بني واسع	سائل بني	حسان بن ثابت
٤٨١	على القاطع	لا وسع	
٤٨١	رمية القاذع	رمى رسول الله	
٤٨١	للتاظر والسماع	واستوجب	
٤٨١	مشية الخادع	فسلط الله	
٤٨١	قفزة الجائع	والتقم الرأس	
٤٨١	بالراجع	من يرجع	
٤٨٢	المتبوع والتابع	قد كان هذا	
٥٩٧	قلت جازعاً	أتامرني بالصبر	الامام علي عليه السلام
٥٩٧	لك طائعاً	ولكنني أحببت	
٥٩٧	طفلاً ويافعا	وسعبي لوجه	
٥١٥	كلمع البروق	معنا الرسول	أبو طالب
٥١٥	عليه شقيق	أذود وأحمي	

فهرس الأشعار ٨٢١

٢٠٢	عدواً محالك	لا همَّ إنَّ المرء	عبد المطلب
٧٤٧	الناس ما أهمكا	وليس إلّا	الامام علي عليه السلام
٥٩٦، ٢٨٢	عصمة للأرامل	وأبيضُ يُستسقى	أبو طالب
٥٩٦	بقول الأباطل	الم تعلموا	
٥٩٦	نعمة وفواضل	يطوف به	
٥٩٦	دونه وناضل	كذبتم وبيت	
٥٩٦	أبنائنا والحلائل	ونُسلمهُ حتى	
٥٩٦	الحبيب المواصل	لعمري لقد	
٥٩٦	بالذار والكلاكل	وُجدت بنفسي	
٥٩٦	وزين المحافل	فلا زال	
٥٩٦	ليس بماحل	حليماً رشيداً	
٥٩٦	غير باطل	فأيّده ربّ	
٧٤٧	وشدّ للترحيل	إنَّ المنية	الامام علي عليه السلام
٧٤٧	قال عن جبريل	إنَّ ابن آمنة	
٧٤٧	عن التتكيل	أرخ الزمام	
٧٤٧	متلاحق بسبيلي	اني برّبي	
٣١٢	وأخلاق الكرم	يا آل قُصيّ	قيس بن شبة السلمي
٥٩١	ينالوا المحارما	بتفريقهم من بعد	أبو طالب
٥٩٠	عقوفاً وماثما	جزى الله	
٥٩٣، ٥٩١	الشعب قائماً	كذبت وبيت	
٥٩٧	أبلغ مستقيم	وقالوا خُطّة	
٥٩٧	مكة والحطيم	لتخرج هاشم	

٥٩٧	أمر وخيم	فهلاً قومنا	أبو طالب
٥٩٨	أبدأ ظلوم	فيندم بعضكم	
٥٩٨	مكة لا يريم	فلا والراقصات	
٥٩٨	ونلتقي الخُصومُ	طوال الدهر	
٥٩٨	الجلد الظليم	ويعلم معشر	
٥٩٨	فيهم زعيم	أرادوا قتل	
٥٩٨	والعضو الصميم	ودون محمد	
١٠٧، ٨٠	قال برهانا	لا يسألون	لم يسمّ قائله
١٣٣	فرساناً وركبانا	فليت لي	لم يسمّ قائله
٢٥٧	الطيب الأردن	الحمد لله	عبد المطّلب
٧١٤	بئر في قرن	والله لو كنت	عمرو بن الجموح
١٣٧	وعافت صواحبه	فإني إذا	لم يسمّ قائله
٥٠٤	فلا أحلّه	اليوم يبدو	لم يسمّ قائله
٧٤٥	تسيخ قوائمه	أبا حكم	أبو جهل
٧٤٥	ذا يقاومه	علمت ولم	
٧٤٥	ستبدو معالنه	عليك بكف	

فهرس الفرق والمذاهب

٧١٠ ، ٧٠٨ ، ٧٠١ ، ٦٩٥		٧٦ ، ٧٢ ، ٦٩	الإسلام
٢٧٣ ، ٢٥٥	الإمامية	٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١ ، ٩٥	
٤٠٣	أهل السنة	٩٩ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١٠٩	
١٦٥ ، ١١٢	الزراذشتية	١١١ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٩	
٤٠٣	الشيعة	١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٣٦ ، ١٣٨	
٩٤	الصابئة	١٤٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٣	
٢٦٩	القدرية	١٥٤ ، ١٦٣ ، ١٦٦ ، ١٧٠	
١٦٣ ، ١٦٠ ، ١٢٠ ، ٧٠	المجوس	١٨٠ ، ١٨٢ ، ٢٤٢ ، ٢٤٦	
٦٥٩ ، ٢٠٧ ، ١٨٩ ، ١٦٤		٢٩٦ ، ٣١١ ، ٣١٣ ، ٣١٦	
١١٨ ، ١١٢	المجوسية	٣١٧ ، ٣٣١ ، ٣٣٣ ، ٣٤١	
١٥٥ ، ١٣٠ ، ٩٢ ، ٧٩	المسلمون	٣٤٢ ، ٣٤٤ ، ٣٤٨ ، ٣٤٩	
٤٧٠ ، ٣٦٧ ، ٢٧٩ ، ١٦٣		٣٨٤ ، ٤٠٩ ، ٤٥٤ ، ٤٦٠	
٥٤٦ ، ٥٤٤ ، ٥١٠ ، ٥٠٥		٤٦٣ ، ٤٧٦ ، ٤٨٤ ، ٤٨٥	
٥٦٣ ، ٥٥٩ ، ٥٥٦ ، ٥٥٥		٤٨٨ ، ٤٩٧ ، ٥٤٦ ، ٥٥٣	
٥٦٨ ، ٥٦٦ ، ٥٦٥ ، ٥٦٤		٥٥٧ ، ٥٨٤ ، ٥٩٢ ، ٦٠٧	
٥٨٤ ، ٥٧٧ ، ٥٧٤ ، ٥٧٢		٦١٧ ، ٦٣٦ ، ٦٥٢ ، ٦٩٤	

٩٥ ، ١١٠ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ،

١٣٠ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ،

١٩٢ ، ٢١٥ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ،

٢٩١ ، ٤٥٨ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ،

٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥١٢ ،

٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٥٠ ، ٥٧٢ ،

٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦٥١ ، ٦٥٤ ،

٦٧٢ ، ٦٩٤ ، ٧٠٢ ، ٧٠٦ ،

١٢٩ ، ١٩١ ،

اليهودية

١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ،

٥٨٨ ، ٥٩٢ ، ٦٣٣ ، ٦٥٨ ،

٦٥٩ ، ٦٦٤ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ،

٦٨٦ ، ٦٩٣ ، ٧١٧ ، ٧١٨ ،

٧٣ ، ٩٤ ،

النصارى

١٢٧ ، ١٨٩ ، ٢٧٩ ، ٣٧٤ ،

٥٠٧ ، ٦١٠ ، ٦٦٠ ، ٦٦٣ ،

٦٦٤ ، ٦٦٥ ، ٦٧٢ ، ٧٠٧ ،

٧٠ ، ١٢٧ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،

النصارى

١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ،

٢١٧ ، ٢٧٩ ، ٢٩٣ ، ٤٧٢ ،

٧٠ ، ٧١ ، ٧٣ ، ٨٠ ، ٩٤ ،

اليهود

فهرس البلدان والاماكن

١٨٢، ١٦٣	اورشليم	٦٦٥، ٦٦٣، ٦٦٢	آذربايجان
١١٢، ٩٢، ٧٢	ايران	٩٢	آسيا
١٦٣، ١٦٢، ١٥٦، ١٥٥		٦٦٩	آمد
٦٧١، ١٦٦، ١٦٥، ١٦٤		٢٠٣،	أبوقبيس (جبل)
٩٢	ايطاليا	٣١٢، ٢٨١، ٢٠٤	
٢٢٧	بئر العجول	٩٣	الأحقاف
١٤١، ١١٥	بابل	٦٦٩	إدس
٢٢٣، ٢٢١	بارق	٦٥٨،	أذرعاع
٦٦١	بادغيس	٦٨٠، ٦٧٩، ٦٧٨، ٦٥٩	
٨٦	بادية الشام	٩٢،	الاردن
١١٢،	البحرين	١٨٠، ١٥٠، ١٢٧، ٩٣	
١٧٢، ١٧١		٩٢	أرض الرافدين
١٨١،	بُصرى	١٠٠	أرض مهرة
٦٧٨، ٦٥٩، ٦٥٨		٦٧٣، ٦٦٨	الاسكندرية
١٦٧، ٩٢	البصرة	١٦٢،	أنطاكية
٦٥٨	البلقاء	٦٨٠، ٦٧١، ٦٦٦، ١٨١	

١٤٤	جند قنسرين	٨٣	بيت المقدس
١٢٧	الجولان	٢٤٨ ، ٢٩٠ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨	
١٨١ ، ١٨٠		٤٧٩ ، ٤٨٠ ، ٤٨٢ ، ٤٨٣	
١٤١	جيرون	٤٩٨ ، ٥٢٢ ، ٥٣٣ ، ٥٣٤	
٧٠	الحبشة	٦٦٦ ، ٦٦٧ ، ٦٦٨ ، ٦٧١	
٧٢ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ، ١٩٩		٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٨٠ ، ٦٨١	
٢٠٠ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦		٦٦٩	بيروت
٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١١		١٥٣	بيزنطة
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢٣١ ، ٢٦٤		٦٧٦	البيلقان
٢٧٥ ، ٢٧٧ ، ٤٣١ ، ٤٣٢		٩٦	پترا
٥١٠ ، ٥٣٩ ، ٥٥٦ ، ٥٦٣		٢٢١	تكريت
٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧		١٤٤	تلّ ماسح
٥٦٨ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦		١٨٥	تهامة
٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥		٢٢٣ ، ٣٢٧	
٥٨٦ ، ٥٨٧ ، ٥٨٩ ، ٥٩١		٦٧٠	تونس
٥٩٣ ، ٦١٧ ، ٦١٨ ، ٦٣٣		٧٣٥	ثور (جبل)
٦٣٦ ، ٦٩٦ ، ٧١٨ ، ٧١٩		١٢٧	الجابية
٧٧ ، ٩٣ ، ٩٤	الحجاز	١٤٤ ، ١٩٠	الجحفة
٩٥ ، ١٠٩ ، ١٢٧ ، ١٣٠		٩٤ ، ٩٥	جدة
١٤١ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٥٠		١٢٧	جلق
١٥٢ ، ١٦٧ ، ٤٦٢ ، ٦٨٠		١٢٧	جلولاء
٩٧ ، ٢١٥	حدّة = الحديدة	٨٩	جمرة العقبة

١٥٢	دادان	٣٩٨	حراء (جبل)
٦٦٩	دارا	٦٠٩، ٤٥٣، ٣٩٩	
٣١٣، ٢٢٧	دار الندوة	٦٦٩	حرّان
٧٣٦، ٧٣١، ٧٢٨، ٧٢٧، ٥٩٤		٢١٥	الحردة
٦٦١	در بند	٢٣٤	الخرورة (سوق)
١٥٠، ١٤١، ١٢٧	دمشق	١٤٦، ١٤١، ١٠٠	حضر موت
٦٨٠، ٦٧١، ١٨٢، ١٨١، ١٨٠		٢١٦، ٢١٠، ٢٠٥، ١٥٣، ١٥٢	
٢١٦	دومة الجندل (سوق)	١٥٠	حفير
٦٦٩، ١٢٨	ديار بكر	٦٦٩، ١٤٤	حلب
٧٤٦، ٨٨، ٨٦	ذي طوى	٦٧١، ٦٦٦	حمص
٦٨٠، ٢٢١، ١٧٥	ذي قار	٢١٥	الحمضة
٢١٦، ٨٧	ذي المجاز (سوق)	٦٥٩، ٦٥٨	حوران
٣١٤	ذي المروة	١٢٨	الحيرة
٢١٦	الرابية (سوق)	١٧٧، ١٧٣، ١٧١، ١٦٧	
٦٦٣	الرها	٢٢٣، ٢٢١، ٢٠٨، ١٧٨	
٦٦٩، ٦٦٤		٦٧٣، ٦٦٦	خليقونية
٢١٦	ريا (سوق)	٩٢	خليج عدن
٩٦	الرياض	٩٣، ٩٢	الخليج الفارسي
٨٧	زمزم	١٤٤	خناصرة
٢٣٤، ٢٣٢، ١٤٣، ١٠٦		١٧٠	الخورنق
٢٤٧، ٢٤٢، ٢٣٧، ٢٣٥		٢٢٣، ٢٢١، ١٧٨	
٢٨٨، ٢٨٧، ٢٧٣، ٢٤٨		٢١٧، ١٣٠	خيبر

٢١٦، ١٤٦	الشجر (سوق)	١٥٢، ١٤٩	سبأ
٢١٥	الشرجة	١٠٨، ٩٨، ٩٧	سد مأرب
٤٠٧، ٢٥٤	شعب أبي طالب	٢٢٣، ٢٢١	السدير
٧٠١، ٦٢٥، ٦١٨، ٥٩٤، ٤٢٦		١٥٠	السّرة
٢١٦	صحار (سوق)	٢١٥	السرين
٩٣	صحراء الدهناء	١٤٥	السماءة
٩٧	صحراء الربع الخالي	٦٦٩، ١٦٢، ١٤٤	سورية
٦٧٣	صحراء سيناء	٩٢	سويسرا
٩٦	صحراء النجد	٩٢، ٨٣، ٧٨	الشام
٩٣	صحراء النفوذ	١٠١، ١٢٧، ١٢٨، ١٤١	
٨٧	الصفاء	١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٧	
٩٨	صنعاء	١٥٠، ١٥١، ١٦٣، ١٦٩	
٢١٣، ٢١٢، ٢٠٠، ١٢٩		١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢	
٢٧٧، ٢٧٥، ٢١٥، ٢١٤		١٨٧، ١٨٨، ٢٣٢، ٢٣٣	
٢١٤	الصين	٢٣٥، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٩	
٧٤٨، ٧٤٧	ضجنان	٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢	
٩٥، ٧٢	الطائف	٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٦، ٣٢٠	
١٤٣، ١٢٩، ١٢٣، ١١٧		٣٢٤، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩	
٤٤٢، ٤٣٧، ٣٠٢، ٢٠١		٣٧٤، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٧	
٦٠٥، ٦٠٤، ٦٠٣، ٥٩٤		٥١٥، ٥٢٢، ٥٢٤، ٦٥٨	
٦٣٥، ٦١٧، ٦٠٧، ٦٠٦		٦٥٩، ٦٦٧، ٦٧٢، ٦٧٨	
٦٩٦، ٦٤٨، ٦٤٥، ٦٤٣		٦٧٩، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠	

فهرس البلدان والاماكن ٨٢٩

٦٧١، ٦٦٦	فاميّة	٦٧٦	طرابزنده
٩٢	فرنسا	٢١٥	عثر
٩٢،	فلسطين	٢١٥، ٢١٤، ٩٦	عدن
٩٥، ١٠٦، ١٢٧، ١٢٨،		١١٥، ٩٢، ٧٨	العراق
١٥٠، ١٥١، ١٦٣، ٦٦٧		١٢٨، ١٢٩، ١٤١، ١٤٥،	
١٢٧، ٦٨٠، ٦٨١	القدس	١٤٧، ١٥٠، ١٥٩، ١٦٦،	
٢٢٤	قرن (اسم مدينة في اليمن)	١٦٧، ٢٢٠، ٥٢٤، ٦٠٩،	
١٧٨،	القسطنطينية	٦١٩، ٦٥٩، ٦٧٦، ٦٧٧	
١٨٢، ٦٦٦، ٦٦٨،		٨٧،	عرفات
٦٧٠، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥،		٨٨، ٨٩، ١٤٣، ٢٢٥،	
٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٨١		١٩٠، ٢٠١،	عك
١٨٧	قعيقعان	٢١٦،	عكاظ (سوق)
٢١٤	القلزم	٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٦٠٧، ٦٠٨،	
٦٥٩	قلعة سكر	١٠٠،	عمّان
١٨٢،	قنسرين	١١٢، ١٤١، ١٤٦، ١٥٠،	
٦٦٦، ٦٦٩		١٨٠، ٢١٤، ٢٢٤، ٦٥٨،	
٦٧١، ٦٦٦	قيسارية	١٢٨	عين تمر
٦٨١، ٦٧٣	كبادوكية	٢٣٢	غزّة
٦٧٠،	كاراتاز	٢٢٤	غطفان
٦٧٣،	كالسدون	٢١٥	غلافقة
٦٧٤، ٦٨١		١٤٢،	فارس
٤٣٥، ٨٦،	كُداء (اسم جبل بذي طوى)	١٤٣، ١٥٣،	

٧٢	المدينة المنورة	٨٢، ٩٢، ٩٣، ٩٤	الكعبة
١٠١، ٩٥، ٧٩، ٧٨، ٧٦		١١٧، ١١٨، ١٢١، ١٢٢	
١٢٣، ١١٧، ١١١، ١١٠		١٢٣، ١٨٦، ١٨٩، ١٩٢	
١٩٠، ١٨٩، ١٥٤، ١٤٤		٢١٩، ٢٣٠، ٢٣٧، ٢٤٥	
٢٥٨، ٢٥٧، ٢٣٣، ١٩١		٢٥٦، ٢٥٧، ٢٦٥، ٢٨٤	
٢٩٦، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٥٩		٢٨٨، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨	
٣٧٦، ٣٦٥، ٣٦٤، ٣١٣		٣١٠، ٣١١، ٣٤٧، ٣٨٧	
٤٧٦، ٤٦٨، ٤٢٤، ٣٧٨		٣٨٨، ٤٦٩، ٤٨٤، ٤٨٥	
٥٧٠، ٥٦٨، ٥١٣، ٥١٢		٥٠٥، ٥١٨، ٥٩٤، ٦٠٠	
٦١٢، ٥٩٣، ٥٩١، ٥٧١		٦٠٢، ٦٤٦، ٦٨١، ٧٠٩	
٦٢٤، ٦٢٢، ٦١٨، ٦١٧		١٢٩	كنيسة نجران
٦٨٢، ٦٧٠، ٦٥٥، ٦٥٤		٨٢	كوثراريا
٦٨٦، ٦٨٥، ٦٨٤، ٦٨٣		٩٢	الكوفة
٧١٧، ٧٠٨، ٧٠١، ٦٩٤		١١٥، ١٢٨، ١٦٧، ١٧٧	
٧٣٠، ٧٢٤٠، ٧١٩، ٧١٨		٩٦	ماء بدر
٧٤٨، ٧٤٧، ٧٤٤، ٧٣٣		٩٨	مأرب
٨٧	المروة	١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٧٩، ٢٢٢	
٤٦٤، ٨٩	المزدلفة	١٥٨	مازندران
٦٨١، ٤٧٨	المسجد الأقصى	٩٢	المحيط الهندي
٢٣٤، ١٨٥	المسجد الحرام	١٨١	المخفق
٤٦٩، ٤٤٥، ٤٤٤، ٣٠٨		٦٥٩، ٦٦٥، ٦٦٨	المدائن
٩٠	مسجد الخيف	٩٨	مدينة بلقيس

فهرس البلدان والاماكن ٨٣١

٣٤٨ ، ٣٦٠ ، ٣٦٤ ، ٣٦٥ ،
 ٣٧٤ ، ٣٧٦ ، ٣٧٨ ، ٣٨٣ ،
 ٣٨٧ ، ٣٨٨ ، ٣٩٢ ، ٣٩٤ ،
 ٣٩٨ ، ٤٠٣ ، ٤١٤ ، ٤٢٩ ،
 ٤٤٢ ، ٤٤٨ ، ٤٦١ ، ٤٦٢ ،
 ٤٦٥ ، ٤٦٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧٠ ،
 ٤٧٦ ، ٤٧٧ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ،
 ٤٨٠ ، ٤٨٧ ، ٥١٩ ، ٥٢٢ ،
 ٥٢٥ ، ٥٢٨ ، ٥٣٤ ، ٥٤٢ ،
 ٥٥١ ، ٥٥٥ ، ٥٥٨ ، ٥٧٧ ،
 ٥٨٧ ، ٥٨٨ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ،
 ٥٩٥ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ،
 ٦٠٦ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩ ، ٦١١ ،
 ٦١٢ ، ٦١٥ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ ،
 ٦٢١ ، ٦٢٤ ، ٦٣١ ، ٦٣٣ ،
 ٦٣٤ ، ٦٣٦ ، ٦٤٣ ، ٦٤٤ ،
 ٦٤٥ ، ٦٤٨ ، ٦٥٠ ، ٦٥١ ،
 ٦٥٨ ، ٦٥٩ ، ٦٧٠ ، ٦٨٢ ،
 ٦٨٦ ، ٦٨٧ ، ٦٨٨ ، ٦٩١ ،
 ٦٩٦ ، ٧٠٢ ، ٧٠٣ ، ٧٠٨ ،
 ٧٠٩ ، ٧١٢ ، ٧١٨ ، ٧٢٠ ،
 ٧٢١ ، ٧٢٣ ، ٧٣٥ ، ٧٥٠

٣١٤ مسجد رسول الله ﷺ
 ٨٩ المشعر الحرام
 ٢١٦ المشقر (سوق)
 ٧٠ مصر
 ٦٧٣ ، ٦٦٨ ، ١٥٣
 ٢٠٢ المغمس
 ٨٢ ، ٧٨ ، ٧٢ مكة المكرمة
 ٨٦ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٤ ، ٩٥ ،
 ١٠٦ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٧ ،
 ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ،
 ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٥٠ ،
 ١٥٤ ، ١٨٤ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ،
 ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ،
 ١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ،
 ٢٠٢ ، ٢٠٣ ، ٢٠٦ ، ٢١٤ ،
 ٢١٦ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، ٢٢٥ ،
 ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣٢ ،
 ٢٣٣ ، ٢٣٤ ، ٢٦٣ ، ٢٦٥ ،
 ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٢٩٠ ، ٢٩٦ ،
 ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٢ ، ٣٠٦ ،
 ٣٠٩ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٨ ،
 ٣١٩ ، ٣٣٠ ، ٣٤١ ، ٣٤٧

٢٣٤ ، ٧٣٩ ، ٧٤٠ ، ٧٤٨		٨٨	منى
١٨٢ ، ١٨٠	اليرموك	٦٩١ ، ٤٩٦ ، ٤٦٤ ، ٨٩	
١٤٢	اليمامة	٦٦٤	منبج
٢٢١ ، ٢٢٠ ، ١٤٤		٢١٥	المنذب
٩٣ ، ٧٨	الين	٢٢١ ، ١٦٧	الموصل
٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٥		١٢٧	نجران
١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١٢ ، ١١٣		١٥٠ ، ١٩٠ ، ١٩٤	
١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٧		١٧٨	النجف
١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٦ ، ١٤٠		٦٦٢ ، ٦٦٥	النهروان
١٤١ ، ١٤٦ ، ١٤٧ ، ١٥٢		٦٧٥ ، ١٦٣	نينوى الموصل
١٥٣ ، ١٦٦ ، ١٧٩ ، ١٨٣		٢١٦	هَجَر
١٨٥ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣		٦٦١	هراة
١٩٤ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠		٦٦٦	هرقلة
٢٠١ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨		٧٠	الهند
٢١٢ ، ٢١٣ ، ٢١٤ ، ٢١٥		٧٢ ، ١٥٣ ، ٢١٤	
٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠		١٠١ ، ١٣٠ ، ٣١٤	وادي القرى
٢٢٢ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٣١		٦٥٩ ، ٦٦٥	واسط
٢٣٤ ، ٦٧٧ ، ٤٦٢ ، ٥٢١		٧٢	يثرب
٩٥	ينبع	٩٥ ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٤٧	
١١٨	اليونان	١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩٣ ، ٢٣٣	

فهرس الغزوات والوقائع والأيام

٢٢٠	يوم خزاز	٦٨١، ٦٨٠، ٧٩	بدر الكبرى
٢٢١.	يوم ذي قار	٣٢٥، ٣٠٤، ٣٠٢، ٣٠١	حرب الفجار
٢٢٠	يوم السلان	٥٥٨	يوم بئر معونة
٢٢٠	يوم الكلاب	٦٧٩، ٦٥٨، ٥٦٨، ٥١٠	يوم بدر
		٨٩، ٨٨	يوم التروية

فهرس الجماعات والقبائل

٤٩٥، ٢٠٦، ٢٠٥، ٢٠٠	آل جفنة	١٢٧
٤٥٨	أصحاب الكهف	٢١٦
٨٣	أصحاب نمرود	١١٧، ١١٦
٦٩٣	الأنصار	٩٦
٧١٣، ٦٩٩، ٦٩٨، ٦٩٤	آل غالب	٤٢٥
٢١٩، ٩٨	آل فهر	٤٢٥
٦٠٥	آل مرينا	١٧٣
٤٥٩	الأزد	١٩٠، ١٥٠، ١٤٨، ٩٨
١٤٨	أزد السراة	١١٨
٦٥٧	أسد	١٢٢
٦٦٤، ٦٦٠، ٦٥٩، ٦٥٨	الأسعريون	٩٨
٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٩، ٦٦٦		٢٠١، ١٧٩، ١٥٠
١٥١	أهل مأرب	١٩٥، ١٨٩، ١٥٣
١٩١، ٩٥	أهل المدينة	أصحاب رسول الله ﷺ
١١٧	أهل مكة	٧٧
٥٤١، ٥٢٠، ٢٤٣		٢٥١، ٤١١، ٤٣٤، ٥١٩
١٥٣	أهل نجران	٥٨٨، ٥٨٦، ٥٨١، ٥٦٣
٦٥٢، ٥١٣	أهل يثرب	أصحاب الصادق عليه السلام
		١٨٩

١٣٠	بنو تهذل	١٩٠، ١٦٧	أهل اليمن
٢٢٤،	بنو تميم	١١٠، ١٠٩، ١٠٥، ٧٦	الأوس
٥٦٦، ٣١٣، ٣١١		١١٧، ١٣٠، ١٥٠، ١٨٩	
٢٢٣	بنو جذيمة	١٩٠، ١٩٣، ٢١٧، ٥٠٤	
٣١٢،	بنو جمح	٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٤، ٦٥٥	
٥٦٦، ٢٣١، ٢٣٠، ٢٢٤		٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٧	
بنو الحارث (الحارث) بن كعب		٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٤، ٧١١	
٢١٧، ١١٦		٢١٩، ١٢٨	إياد
٧٢٢	بنو الحارث بن عبد المطلب	٢٢١	باهلة
٢٣٠،	بنو الحارث بن فهر	٩٨، ١١٨، ٢١٩	بحيلة
٣١٣، ٣١١، ٢٣١		١٢٨،	بكرين وائل
٧٠٥	بنو حارثة	٢١٦، ٢٢٠، ٢٢٥، ٢٢٦	
٢٢٢، ٢١٧	بنو حنظلة	٢٢٧	بنو الأدرم
١٤٤	بنو حنيفة	٢١٦، ٢١٨،	بنو أسد
٤٤٠	بنو خزاعة	٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٩، ٢٣١،	
٢٢٢	بنو دارم	٣١١، ٣١٢، ٤٤٠، ٥٦٥	
٢٢٣	بنو الدئل	١٩٤	بنو إسرائيل
٢٢٣	بنو دودان	٢٧٠، ٣١٥،	بنو أمية
٢٢٤، ١٦٨	بنو ربيعة بن عمرو	٣١٦، ٤٦٨، ٤٩٣، ٥٦٥، ٥٨٨	
٢٢٢	بنو زارة	٢٥٦	بنو بجلة
٤٧٣	بنو زريق	٢١٨، ٢٢٠،	بنو تغلب
٢٣١، ٢٢٩	بنو زهرة	٢١٨،	بنو تميم
٥٦٦، ٤٤٠، ٣١٣، ٣١١، ٢٤٨		٢٢٧، ٢٣٠، ٢٣١	

فهرس الجماعات والقبائل ٨٣٧

٤١٦، ٤١٥، ٤١٣، ٤١٢	٣٠٨	بنو ساعدة
٤٢٣، ٤٢٢، ٤٢٠، ٤١٧	٢٢٣	بنو سعد بن هذيل
٤٩٢، ٤٤٥، ٤٢٥، ٤٢٤	٢٦٦، ٢٦٤، ٢٦٣	
٧٣١، ٦٤٠، ٦٣٣، ٦٣٠	٧١٤، ٧١٣	بنو سلمة
٢٢٩	١٨٠	بنو سليح
٤٦٧، ٤٢٣، ٤٢٢، ٣١١	٢٢٤	بنو سهم
٢٢١، ٢٢٠	٣١٦، ٣١٢، ٢٣١، ٢٣٠	
٢٢٥	٥٦٦، ٤٦٧، ٤٦٥، ٤٤٠	
٢٢٤	٢١٧، ١٧٥	بنو شيبان
٥٦٦، ١٣١٢، ٢٣١، ٢٣٠	٦٤٥، ٢٢٤، ٢٢١، ٢٢٠	
بنو عدي بن النجار = بنو النجار ٢٣٣	٢٢٣	بنو الصيداء
٧٢٢، ٢٨٤، ٢٨٣، ٢٥٩، ٢٥٨	٢٢٣	بنو ضرة
١٦٨	٥٠٤	بنو عامر بن صعصعة
٢٢٦، ٢٢٥	٦٤٨، ٦٤٣	
٢٢٣	٢٢٧، ٢١٦	بنو عامر بن لؤي
٢٢٢، ٢١٧	١٧٨	بنو العباس
٧٠٦، ٦٥٤	٢٣٠	بنو عبد الدار
٧٢٢، ٧٢١، ٧٢٠، ٧٠٧	٥٦٦، ٣١٢، ٢٣١	
١٥٠	٢٣١	بنو عبد شمس
٢١٧، ١٥٠	٣١٦، ٣١٥، ٣١٤، ٢٩٣	
٢٢٣	٢٢٠	بنو عبد القيس
١٨٥	٢٩٣	بنو عبد المطلب
١٩١، ١٣٠، ١١٠	٤١١، ٤١٠، ٤٠٩	
بنو عبد مناف		
بنو عجل		
بنو فهر		
بنو عدي بن كعب		
بنو عدي بن نصر		
بنو عذرة		
بنو عمرو بن أسد		
بنو عمرو بن تميم		
بنو عمرو بن عوف		
بنو عمرو بن لحي		
بنو غسان		
بنو غفار		
بنو قحطان		
بنو قريظة		

٢٢٠	بنو النمر	١٨٠	بنو قضاة
٥٦٥، ٢٣١	بنو نوفل	١٣٠، ١١٠	بنو قينقاع
، ٢٣١، ١١٠، ١٠٦	بنو هاشم	، ١٨٤	بنو كركر
، ٣١٣، ٣٠٩، ٣٠٧، ٣٠٤		١٨٧، ١٨٥	
، ٤١٥، ٤١٤، ٤٠٨، ٤٠٧		٢٣٢، ٢١٦	بنو كلاب
، ٤٨٣، ٤٢٥، ٤٢٤، ٤٢٣		٢١٧	بنو كلب
، ٦٠٠، ٥٩٤، ٥٦٥، ٤٩٣		٢٢٦، ٢٠١	بنو كنانة
، ٦٣٣، ٦٣٠، ٦٢٧، ٦٢٤		٢٢٠	بنو كندة
، ٧٠٢، ٦٥٠، ٦٤٠، ٦٣٧		١٦٦	بنو لخم
٧٣١، ٧٣٠، ٧٢٩، ٧٠٣		٢٦٧، ٢٢٣	بنو ليث
٢٦٣	بنو هوازن	٥٥٤، ١٥٠	بنو مازن
٥٦٦، ٢١٨	بهراء	٢٢٥	بنو مالك
١٢٨	تغلب	٢٢٧	بنو محارب
٢٢٢، ١٢٢، ١١٢	تميم	، ٣١٢، ٢٣١، ٢٣٠	بنو مخزوم
٢١٨	تنوخ	، ٥٦٦، ٥٥٧، ٤٨٥، ٤٤٠	
، ٢٢١، ١١٧	ثقيف	٧١٩، ٦٤٧، ٥٩١، ٥٩٠	
٦٤٨، ٦٤٦، ٦٤٥، ٥٠٤		٢٢٣	بنو مدلب
١٠١	ثمود	٢٢١	بنو معد بن عدنان
، ٩٨	جذام	١٢٢	بنو ملبيح
٢١٧، ١٢٨، ١٢٧		٢٠٨	بنو المنذر
، ١٨٦، ١٠٦، ٨٧	جرهم	١١٦	بنو ناجية
١٩٠، ١٨٩، ١٨٨، ١٨٧		١٧٧، ١٦٨، ١٥٠	بنو نصر
١١٧	جسم	١٣٠، ١١٠	بنو النضير

١٠٩، ٩٥، ٧٢، ٧٠	الروم	١٨٨	جهينة
١٥٥، ١٥٤، ١٤٢، ١١٢		٢٢٣	حذام
١٦٥، ١٦٣، ١٦٢، ١٥٨		٢٢٣	حرثان
١٨٢، ١٨١، ١٧٩، ١٦٦		٢٢١	الحريش
٦٥٧، ٢٢١، ٢٠٩، ١٨٣		١١٧، ٩٨	حمير
٦٦٤، ٦٦٠، ٦٥٩، ٦٥٨		١٨٣، ١٤٧، ١٤٦، ١٢٢	
٦٨١، ٦٨٠، ٦٧٩، ٦٦٦		٢١٩، ٢١١، ٢١٠، ١٩٥	
١٥٣، ١٢٨، ١٢٧، ٩٥	الرومان	٢١٩، ٢٠١، ١١٨، ١١٦، ٩٨	خنعم
١٥٦	الساسانيون	١٨٦، ١٥٠، ١٢٢، ١١٧	خزاعة
١٦٦، ١٦٤، ١٦٣، ١٦١		٢٢٣، ٢٢٢، ١٨٩، ١٨٨	
١١٧	سعد	٣١٦، ٢٢٩، ٢٢٦، ٢٢٥	
٢٢١	سلول	٧٤٦، ٧٣٨، ٥٠٤، ٤٣١	
٢١٨	سليح	٧٦	الخزرج
١١٧	سليم	١١٧، ١١٠، ١٠٩، ١٠٥	
٢٢٢	ضبة	١٩٠، ١٨٩، ١٥٠، ١٣٠	
٢١٨، ٢١٦، ١٢٢، ١١٥	طي	٦٥٠، ٥٠٤، ٢١٧، ١٩٣	
٢٢١	عامر	٦٥٥، ٦٥٤، ٦٥٢، ٦٥١	
٢٢٣، ١٢٨، ١٢٧، ٩٨	عاملة	٦٩٧، ٦٩٣، ٦٩٢، ٦٩١	
٢٢١	عبس	٧١١، ٧٠٤، ٧٠٢، ٧٠١	
٢٢١، ٢١٤، ١٧٥	العجم	٢٢٣	ديان
١٠٦	العدنانيون	٢٢٣	رئاب
٢٢١	عدوان	٢٢٢	الرباب
٧٠، ٦٩	العرب	٢٢٢، ٢٢٠، ٢١٩	ربيعة

٦٤٣، ٦٤٥، ٦٤٩، ٦٥٨،		٧٢، ٧٤، ٧٦، ٧٧، ٧٨،
٦٧٩، ٦٨٠، ٦٩٢، ٦٩٣،		٨٠، ٩٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩،
٦٩٤، ٦٩٨، ٧٠٢، ٧٢٩،		١٠٠، ١٠١، ١٠٥، ١٠٦،
٢٢١	عقيل	١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١،
٢٢١	عوف	١١٢، ١١٥، ١١٦، ١١٧،
٩٨، ١٧٩، ١٨١، ٢١٨،	غسان	١١٨، ١٢٢، ١٢٤، ١٢٧،
١٧٨	الغساننة	١٣٢، ١٣٣، ١٣٦، ١٣٩،
١١٧	غطفان	١٤٠، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦،
١١٧	فديد	١٤٧، ١٥١، ١٥٢، ١٦٣،
٧٠، ٧٢، ٩٤، ٩٥،	الفرس	١٦٧، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢،
١٠٩، ١٢٨، ١٤٣، ١٥٥،		١٧٣، ١٧٥، ١٧٧، ١٧٩،
١٦٢، ١٦٦، ١٦٩، ١٧٥،		١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣،
١٧٧، ٢٠٧، ٢١١، ٢١٥،		١٨٩، ٢٠١، ٢٠٦، ٢٠٨،
٢٢١	فزارة	٢١٢، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦،
٢٢٣	فقعس	٢١٧، ٢١٨، ٢٢١، ٢٢٣،
٢٢١	فهم	٢٢٥، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٣،
٨٣	القبط	٢٤٩، ٢٧٥، ٢٧٧، ٢٨٩،
١٠٥	القحطانيون	٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٨، ٣١٧،
٧٦، ٧٩،	قريش	٣١٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٧٤،
١٠٦، ١١٧، ١٢١، ١٢٢،		٤٠٩، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٩،
١٢٣، ١٩١، ٢٠٢، ٢٠٦،		٤٣٢، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٥،
٢١٦، ٢١٨، ٢٢٢، ٢٢٤،		٤٤٧، ٥٠٢، ٥٠٤، ٥١٧،
٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩،		٥٥٢، ٥٩٥، ٥٩٦، ٦٣٩،

٦٤٠، ٦٣٩، ٦٣٦، ٦٣٤	٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٤، ٢٣٥
٦٥٨، ٦٥٦، ٦٤٥، ٦٤٤	٢٣٧، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٥
٧٠١، ٧٠٠، ٦٩٣، ٦٨٣	٢٤٨، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٥
٧٢٢، ٧١٩، ٧١٨، ٧١٧	٢٧٥، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٨
٧٣٢، ٧٣١، ٧٢٩، ٧٢٧	٢٩٣، ٢٩٤، ٣٠٠، ٣٠٢
٧٣٩، ٧٣٨، ٧٣٧، ٧٣٥	٣٠٣، ٣٠٤، ٣١١، ٣١٢
٧٤٧، ٧٤٦، ٧٤٥، ٧٤٤	٣١٣، ٣١٤، ٣٢٠، ٣٢٢
٦٥١، ٢١٧، ١٩٠ قُرَيْظَة	٣٢٧، ٣٢٩، ٣٦٠، ٤٠٣
٢٢١ قشَر	٤٠٧، ٤٠٨، ٤٢١، ٤٢٢
١١٥ قضاة	٤٢٥، ٤٣٠، ٤٣٣، ٤٣٩
١٨١، ١٧٩، ١٢٨، ١٢٧	٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٥، ٤٥٤
٥٦٦، ٢٢٦، ٢٢٥، ٢١٩	٤٦٢، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧
٢٢٣ قعين	٤٦٩، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٨٢
٩٩ قوم ثمود	٤٨٤، ٤٨٥، ٤٩٢، ٤٩٣
١٠٨، ١٠٥، ٩٩ قوم سبأ	٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٤
١٠٤ قوم صالح ﷺ	٥٠٦، ٥١٢، ٥١٥، ٥٢١
١٠١، ١٠٠، ٩٩ قوم عاد	٥٢٢، ٥٢٨، ٥٤٤، ٥٤٧
١١٦، ١١٥ قوم نوح ﷺ	٥٥٥، ٥٥٨، ٥٦٤، ٥٦٥
٣٠٣، ٣٠٢، ١٢٢ قيس عيلان	٥٦٧، ٥٧٧، ٥٧٩، ٥٨٤
٦٥١ قينقاع	٥٩٠، ٥٩٢، ٥٩٤، ٥٩٥
٢٢٢ كعب	٦٠١، ٦٠٢، ٦١٣، ٦١٤
٢٢١ كلاب	٦١٨، ٦١٩، ٦٢١، ٦٢٤
١٢٨، ١٢٧، ١١٥ كلب	٦٢٦، ٦٢٨، ٦٣٠، ٦٣١

١٦٩	ملوك العرب	٩٤	الكلدانيون
١٨٢، ١٨٠، ١٧٩	ملوك غسان	٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١، ١٢٢	كنانة
١٧٨، ١٦٩	ملوك الفرس	٦٤٨، ٢٢٣، ٩٨	كندة
٢٧٧، ٢١٥، ١٤٧، ١٤٦	ملوك اليمن	١٨٣، ١٤٦، ١١٦	كهلان
١٢٨	المناذرة	٢٢٣	لاحق
٢٢٣	منقذ	٢٢٣، ٢١٨، ١٢٢، ٩٨	لخم
٧٢٠، ٧١٧	المهاجرون	١٦٨، ١٦٧	اللخميون
١٢٩	نصارى الحبشة	٢٢١	مازن
١٢٩	نصارى نجران	٢٢١	محارب
١١٧	نضر	٩٨	مدحج
٦٥١، ٢١٧، ١٩٠	النضير	٢٢٠، ٢١٨، ١٩٠، ١٥٠	
١١٦	هذيل	١١٦، ١١٥	مراد
٥٦٦، ٣٠٢، ٢١٧، ١١٧		٢٢٢	مزينه
٢٢٤	هزان	٩٨	المستشرقون
١٥٠، ١١٦	همدان	١١٥	مشركو العرب
٩٤	الهنود	٢٢٢، ٢١٩	مضر
٣٠٣، ٣٠٢، ٣٠١	هوازن	١٥٣	ملوك الحبشة
٢٢٣	والبة	١٥٣	ملوك حمير
١٢٨	اليقونية	١٧٧	ملوك الحيرة
١٣٠	يهود الحجاز	١٥٢	ملوك ذي ريدان
١٣٠، ١٢٩	يهود اليمن	١٨٠	ملوك الروم
٩٦	اليونانيون	١٧٩	ملوك الشام
		١٥٢	ملوك ظفار

فهرس مصادر الكتاب

القرآن الكريم

نهج البلاغة

- الإتقان جلال الدين السيوطي
- الإحتجاج أبي منصور أحمد بن علي بن أبي طالب الطبرسي
- إحقاق الحق الشهيد السيد نور الله الحسيني التستري
- أخبار مكة أبو الوليد محمد بن عبد الله بن أحمد الأزرق
- الاختصاص أبو عبد الله محمد بن محمد بن النعمان العكبري البغدادي
- أسباب النزول أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي
- الإستيعاب أبو محمد يوسف بن عبد الله بن عبد البر
- أسد الغابة ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم
- الإسلام وإيران الشهيد مرتضى المطهري
- الإصابة شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي بن حجر العسقلاني
- الأصنام للكلبي أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب
- اصول الحنفية الشاشي
- اصول الكافي أبو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
- أضواء على السنة المحمدية الشيخ محمود أبو رية
- اعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين محمد بن طولون الدمشقي الحنفي
- إعلام الوري أمين الإسلام الفضل بن الحسن الطبرسي

٨٤٤ موسوعة التاريخ الاسلامي / ج ١

أعيان الشيعة السيد محسن الأمين العاملي
الأغاني ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
إقبال الأعمال رضي الدين علي بن موسى بن طاووس
أكمال الدين الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
الأمم محمد بن ادريس الشافعي
أمالى ابن الشيخ علي بن محمد بن الحسن الطوسي (المفيد الثاني)
أمالى الصدوق الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
أمالى الطوسي شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
أمالى المفيد محمد بن محمد بن النعمان
الانافة في معالم الخلافة جلال الدين السيوطي
أنساب الأشراف احمد بن يحيى البلاذري
انوار التنزيل عبد الله بن عمر البضاوي
الأوائل ابو هلال العسكري
ايران در زمان ساسانيان غلام رضا الكرمانشاهي
بحار الأنوار العلامة محمد باقر المجلسي الاصفهاني
البدء والتاريخ مطهر بن طاهر المقدسي
البداية والنهاية الحافظ ابو الفداء ابن كثير الشامي
البدع ابو القاسم الكوفي
بصائر الدرجات ابو جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار
بهج الصباغة آية الله الشيبخ محمد تقي التستري
البيان والتبيين ابو عثمان الجاحظ
تاج العروس محمد مرتضى الزبيدي
تاريخ ايران قديم پيرينا

- تاريخ اجتماعى ايران سعيد نفيسى
 تاريخ ادبى ايران ادوارد براون
 تاريخ بغداد احمد بن علي الخطيب البغدادي
 تاريخ تمدن ايران ساسانى سعيد نفيسى
 تاريخ العرب قبل الاسلام جواد علي
 تاريخ الخميس حسين بن محمد بن الحسن الدياربكري
 تاريخ دمشق علي بن الحسين المعروف بابن عساكر
 تاريخ الطبري ابو جعفر محمد بن جرير الطبري
 تاريخ قم الحسن بن محمد القمي
 تاريخ اليعقوبي احمد بن ابي يعقوب اليعقوبي
 تحف العقول الحسن بن علي الحراني
 تذكرة الأئمة بخصائص الأئمة (تذكرة الخواص) يوسف بن عبد الله
 المعروف بـ (ابن الجوزي)
 التسهيل محمد بن احمد بن محمد الغرناطي ابن جزى الكلبي
 تفسير البرهان السيد هاشم التوبلي البهراني
 تفسير التبيان شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
 تفسير الدر المنثور جلال الدين السيوطي
 تفسير الصافي المولى محسن الفيض الكاشاني
 تفسير العياشي محمد بن مسعود العياشي
 تفسير فرات فرات بن ابراهيم بن فرات الكوفي
 تفسير القرآن الحكيم للششيخ محمد عبده
 تفسير القمي ابو الحسن : علي بن ابراهيم القمي
 تفسير مجمع البيان الفضل بن الحسن الطبرسي

التفسير المنسوب للإمام العسكري عليه السلام
تفسير الميزان العلامة محمد حسين الطباطبائي
تفسير النيسابوري عبد الواحد النيسابوري
تقريب التهذيب احمد بن علي بن حجر العسقلاني
تقييد العلم الخطيب البغدادي
تمدن اسلام وعرب غوستا ولوبون
التهديد الشيخ محمد هادي معرفة
تلخيص التهديد الشيخ محمد هادي معرفة
التنبيه والاشراف ابو الحسن علي بن الحسين المسعودي
تنزيه الأنبياء السيد مرتضى علم الهدى
تهذيب الأحكام شيخ الطائفة : محمد بن الحسين الطوسي
تهذيب التهذيب احمد بن علي بن حجر العسقلاني
التوحيد الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
الثقات محمد بن حبان بن احمد التميمي البستي الشافعي
ثواب الأعمال الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
جامع بيان العلم الخطيب البغدادي
حلية الابرار السيد هاشم البحراني
حلية الأولياء الحافظ ابو نعيم أحمد الاصبهاني
حياة الحيوان كمال الدين محمد الدميري
حياة الصحابة محمد يوسف الكاندهلوي
حياة محمد ﷺ محمد حسين هيكل
الخرائج والجرائح قطب الدين الراوندي
خصائص الأئمة الشريف الرضي

الخصال الشيخ الصدوق : محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
دلائل الإمامة ابو جعفر محمد بن جرير بن رستم الطبري
دلائل الصدق الشيخ محمد الحسن المظفر
دلائل النبوة احمد بن الحسين بن علي البيهقي
الذخيرة السيد المرتضى علم الهدى
ذخائر العقبى محب الدين احمد بن عبد الله الطبري
الذرية الطاهرة محمد بن احمد بن حماد بن سعد الدولابي الحنفي
الذريعة العلامة الطهراني
الذريعة الى اصول الشريعة السيد المرتضى علم الهدى
ربيع الأبرار محمود بن عمر الزمخشري
رجال الكشي ابو عمر محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي
رجال النجاشي ابو العباس احمد بن علي بن احمد بن العباس النجاشي
رسائل الجاحظ ابو عثمان الجاحظ
روح المعاني محمود بن عبد الله الآلوسي
الروض الأنف عبد الرحمن بن عبد الله بن احمد الحنعمي السهيلي الاندلسي
روضة الكافي ابو جعفر محمد بن يعقوب الكليني
روضة الواعظين الفتال النيسابوري
الزهد والرقائق عبد الله بن مبارك المروزي
زاد المعاد في هدى خير العباد شمس الدين ابو عبد الله محمد بن ابي بكر المعروف بابن قيم الجوزية الحنبلي
سعد السعود رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس
سنن أبي داود الحافظ ابو داود سليمان بن الاشعث السجستاني
السنن الكبرى الحافظ احمد بن الحسين البيهقي

سنن الدارمي	عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي
سني ملوك الأرض	حمزة الاصفهاني
سير أعلام النبلاء	شمس الدين محمد بن احمد الذهبي
سيرة ابن هشام	ابو محمد عبد الملك بن هشام
السيرة الحلبية	علي بن رحمان الدين الحلبي الشافعي
سيرة المصطفى	السيد هاشم الحسيني
سيرة دحلان	السيد أحمد زيني دحلان
سيرة مغلطاي	مغلطاي
شرح الأخبار	القاضي ابو حنيفة النعمان بن محمد التيمي المغربي
شرح الشفا	ملا علي القارئ
شرح المواهب	محمد بن عبد الباقي الزرقاني المصري
شرح نهج البلاغة	عبد الحميد بن محمد المعتزلي المعروف بـ (ابن ابي الحديد)
شرف المصطفى	ابو سعيد عبد الملك النيسابوري الخرجوشي
الشعر والشعراء	ابو محمد عبد الله ابن قتيبة
الشرائع	المحقق الحلبي
الشفا في احوال المصطفى	القاضي عيّاض
صبح الأعشى	شهاب الدين احمد بن علي القلقشندي
صحيح البخاري	محمد بن اسماعيل الجعفي البخاري
صحيح الترمذي	محمد بن عيسى بن سورة
صحيح مسلم	مسلم بن الحجاج القشيري
الصحيح من السيرة	السيد جعفر مرتضى
الصحيفة السجادية	للامام السجاد عليه السلام
ضحى الاسلام	أحمد أمين

طب الأئمة	الحسين وابو عتاب عبد الله ابنا بسطام
الطبقات الكبرى	محمد بن سعد الزهري
الطُرَف	رضي الدين علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن طاووس
العثمانية	ابو عثمان الجاحظ
العدد القوية	رضي الدين علي بن يوسف بن مطهر الحلبي
العصر الجاهلي	شوقي ضيف
عقائد الصدوق	ابو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي
العقد الفريد	ابن عبد ربّه الأندلسي
العرب قبل الاسلام	جرجي زيدان
عقلاء المجانين	احمد بن محمد المعروف بـ(ابن الجندي)
علل الشرائع	ابو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي
عون المعبود في شرح سنن أبي داود	شمس الحق عظيم الآبادي
عيون الأثر	محمد بن محمد بن احمد الاندلسي المعروف بـ(ابن سيد الناس)
عيون الأخبار	عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري
عيون اخبار الرضا عليه السلام	ابو جعفر محمد بن الحسين بن بابويه القمي
عيون المعجزات	الحسين بن عبد الوهاب
الغدير	العلامة عبد الحسين أحمد الأميني
فتح الملك العليّ بصحة حديث مدينة علي	أحمد بن محمد بن الصديق الحسيني
فتح الباري	احمد بن علي بن حجر العسقلاني
فتوح البلدان	ابو محمد احمد بن أعثم الكوفي
فجر الاسلام	احمد أمين
الفصول	محمد بن الحسن بن فورك الأنصاري
الفصول المهمة	علي بن محمد بن الصباغ المالكي

٨٥٠ موسوعة التأريخ الاسلامي / ج ١

فقه السيرة	محمد سعيد البوطي
فلسفة التوحيد والولاية	الشيخ محمد جواد مغنية
الفهرست	محمد بن اسحاق النديم البغدادي
قصص القرآن	قطب الدين الراوندي
القاموس المحيط	ابو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي
الكامل	محمد بن يزيد ابو العباس المبرّد
الكامل في الضعفاء	عبد الله بن محمد المعروف بـ (ابن عدي)
الكشاف	للزمخشري
كشف الغمة	ابو الحسن علي بن عيسى بن ابي الفتح الاربلي
كشف القناع	للعامة الشيخ اسد الله التستري
كفاية الطالب	ابو عبد الله محمد بن يوسف الكنجي الشافعي
كنز العمال	علاء الدين علي المتقي الهندي
كنز الفوائد	محمد بن علي بن عثمان الكراچكي الطرابلسي
لباب النقول	جلال الدين السيوطي
لسان العرب	محمد بن مكرم ابن منظور
لسان الميزان	احمد بن علي بن حجر العسقلاني
لمحات من تأريخ القرآن	السيد محمد علي الاشيقر
لؤلؤ ومرجان	العلامة المحدث النوري
ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين	شكيب أرسلان
مجمع الأمثال	ابو الفضل احمد بن محمد الميداني
مجمع الزوائد	علي بن ابي بكر الهيثمي
المحاسن	احمد بن محمد بن خالد البرقي
محاضرات الأوائل	علاء الدين دده

الحبر	محمد بن حبيب الهاشمي البغدادي
مختصر تاريخ الدول	غريغوريوس بن هارون المعروف بابن العبري
مختصر الاصول	عثمان بن عمر المعروف بـ(ابن الحاجب)
مرآة الاسلام	طه حسين
مرآة العقول	العلامة محمد باقر المجلسي
مرصد الاطلاع	عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي
مروج الذهب	علي بن الحسين المسعودي
مسار الشيعة	محمد بن محمد بن النعمان البغدادي (الشيخ المفيد)
المستدرك للحاكم	محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري
مسند أبي يعلى	احمد بن علي بن المثنى بن يحيى التميمي الموصل
مسند احمد	احمد بن حنبل
مصباح المتجهد	شيخ الطائفة محمد بن الحسن الطوسي
المصنف	عبد الرزاق همام الحميري
معارج الاصول	نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي
معاني الاخبار	ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
المعتبر	نجم الدين جعفر بن الحسن المحقق الحلي
معجم الادباء	ياقوت بن عبد الله الحموي
معجم البلدان	ابو عبد الله ياقوت الحموي البغدادي
المعيار والموازنة	ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي
المغازي	ابو عبد الله محمد بن عمر الواقدي
مفتاح النجا	ميرزا محمد بن المعتمد خان البدخشي
مقاتل الطالبين	ابو الفرج علي بن الحسين الاصفهاني
مقتل الخوارزمي	الموفق بن احمد ابني المؤيد الخوارزمي

مقدمة ابن خلدون	مكاتيب الرسول ﷺ
الملل والنحل	المحقق العلامة الشيخ علي الأحمدي الميانجي
ملحقات احقاق الحق	محمد بن عبد الكريم الشهرستاني
من لا يحضره الفقيه	آية الله السيد المرعشي النجفي
مناقب آل أبي طالب	ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي
المناقب لابن المغازلي	محمد بن علي بن شهر آشوب المازندراني
منتخب كنز العمال	علي بن محمد الشافعي الواسطي
المنتقى في مولد المصطفى	علاء الدين علي المتقي الهندي
المواهب اللدنية بالمنح المحمدية ...	محمد بن مسعود الكازروني
الموطأ	ابو العباس احمد بن محمد القسطلاني المصري
الموقيات	مالك بن انس
ميزان الاعتدال	زبير بن بكار
نزهة المجالس	شمس الدين محمد بن احمد الذهبي
نشوار المحاضرة	عبد الرحمن الصفوري الشافعي
النص والاجتهاد	ابو القاسم علي بن محمد التنوخي
نقض العثمانية	السيد عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي
نظم درر السمطين	ابو جعفر محمد بن عبد الله الاسكافي
الوافي بالوفيات	جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي الحنفي
الوثائق السياسية	خليل بن ايبيك الصفدي
وسيلة المآل	حميد الله المستوفي
ينابيع المودة	احمد بن الفضل الحضرمي المكي الشافعي
	سليمان بن ابراهيم القندوزي الحنفي

فهرس الكتاب

كلمة المجمع ٧

تقديم

كيف ينبغي أن ندرس تأريخ الإسلام

١٣	التأريخ قبل الإسلام
١٤	التأريخ بعد الإسلام
١٤	تدوين السيرة النبوية وتأريخ الإسلام
١٦	أصول السيرة النبوية وتطورها في القرنين الأول والثاني
١٦	كُتّاب السيرة الأوائل
١٨	الأثر الباقي في السيرة
٢٠	عمل ابن هشام في سيرة ابن اسحاق
٢٣	مغازي الواقدي
٢٦	مكانة الواقدي في الرواية والعلم
٢٨	حول تشييع الواقدي وابن إسحاق
٣١	نقد كتب السيرة
٣٢	الخلاف في كتب السيرة وبينها

٣٨ شرائط دراسة التاريخ
٣٩ طمس معالم الحق
٤٣ سحاب مركوم على الحق المظلوم
٥٦ بماذا نقوّم النصوص ؟
٦٠ واستندراكاً لما فات
٦٢ بحث الأسناد
٦٣ دراستنا نحن للتاريخ

الفصل الأوّل

البيئة العربية والظروف العالمية قبيل ظهور الإسلام

٦٩ الجاهلية في القرآن الكريم
٧٤ الجاهلية في نهج البلاغة
٧٥ معنى الجاهلية
٨٠ غيرة وحمية أم حمية جاهليّة
٨٢ بناء الكعبة المعظمّة
٩٢ شبه الجزيرة العربية مهد الحضارة الإسلامية
٩٤ الكعبة المعظمّة ومكّة المكرّمة
٩٥ المدينة المنورة
٩٩ العرب قبل الإسلام :
٩٩ أ - العرب البائدة
١٠٠ ب - عاد قوم هود

فهرس الكتاب ٨٥٥

- ١٠١ ج - ثمود قوم صالح
- ١٠٦ اخلاق العرب قبل الإسلام
- ١٠٨ هل كانت للعرب حضارة قبل الإسلام؟
- ١١٢ الدين في جزيرة العرب
- ١٢٣ ازلام العرب
- ١٢٧ اليهود في يثرب والنصارى في نجران والشام
- ١٣٠ من سنن الجاهلية في الابل والغنم
- ١٣٢ حماس العرب قبل الإسلام
- ١٣٣ الخرافات عند العرب
- ١٣٦ الخرافات في عقائد العرب الجاهليين
- ١٣٩ المرأة في المجتمع الجاهلي
- ١٤٠ مبدأ العرب والعرب العاربة
- ١٤٥ العرب من ولد قحطان
- ١٤٦ ملوك اليمن
- ١٤٨ سيل العرم وتفرق الأزد في البلدان
- ١٥٤ الحضارة في الامبراطوريتين الفارسية والرومية
- ١٥٤ دولة الفرس حين ظهور الإسلام
- ١٥٥ الحضارة الايرانية
- ١٥٧ اختصاص التعليم بالطبقة الممتازة
- ١٦٢ حروب ايران والروم
- ١٦٣ اضطراب الوضع الديني

١٦٥ الحضارة الرومية
١٦٦ ملوك الحيرة من اليمن
١٧٧ سائر ملوك الحيرة ومصيرها
١٧٨ غساسنة الشام
١٧٩ ملوك الشام من اليمن
١٨٣ ولد إسماعيل بن إبراهيم <small>عليه السلام</small>
١٨٩ يثرب بين اليهود والايوس والخزرج
١٩٥ اصحاب الاخدود
١٩٩ أرياط أو ابرهة
٢٠٠ أصحاب الفيل
٢٠٧ دخول الفرس الجوس إلى اليمن
٢١٥ اسواق العرب
٢١٩ أولاد معد بن عدنان
٢٣٤ حفر بئر زمزم

الفصل الثاني

كيف نشأ النبي صلى الله عليه وسلم

٢٤١ آباء النبي <small>صلى الله عليه وسلم</small>
٢٤١ إيمان عبد المطلب
٢٤٤ أبناء عبد المطلب والذبيح منهم
٢٤٨ الزواج الميمون

٢٤٨ تزويج عبد الله بآمنة
٢٥٢ الميلاد الميمون
٢٥٦ الوليد لدى جدّه وعمّه
٢٥٧ وفاة عبد الله بن عبد المطلب
٢٦٠ رضاع النبي ﷺ
٢٦٣ الرضاع الميمون
٢٦٣ رضاعه من حليلة السعدية
٢٦٥ قصّة شقّ الصدر
٢٧٥ وفود عبد المطلب على سيف بن ذي يزن
٢٨٠ الاستسقاء برسول الله ﷺ
٢٨٣ وفاة أم النبي ﷺ وكفالة جدّه وعمّه له
٢٨٩ سفر النبي ﷺ الأوّل مع عمّه الى الشام
٢٩٩ كان الله يسلك بالنبي ﷺ طريق المكارم
٣٠١ حرب الفجار
٣٠٦ ميلاد علي عليه السلام
٣١١ حلف الفضول
٣١٧ رعي النبي ﷺ للغنم
٣٢٠ السفر الثاني للنبي ﷺ الى الشام وزواجه بخديجة
٣٢٢ الخاطب ابو طالب
٣٢٤ من تولّى تزويج خديجة ؟
٣٢٦ خديجة تعرض نفسها على النبي ﷺ

٣٢٨	هل كان النبي ﷺ أجيراً لخديجة أو مضارباً ؟
٣٣١	أوهام واهية
٣٣٢	دوافع زواج النبي ﷺ
٣٣٣	عمر خديجة ومهرها
٣٣٦	هل كانت خديجة متزوجة ؟
٣٣٩	أولاد خديجة من النبي ﷺ
٣٤٥	مولد فاطمة ؓ
٣٥١	علي عند النبي ﷺ

الفصل الثالث

البعثة النبوية المباركة

٣٥٩	كان النبي ﷺ منذ بدء أمره محدثاً مسدداً
٣٦٢	ثم كان نبياً مبشراً
٣٧٥	ثم كان نبياً رسولاً
٣٧٩	أخبار البعثة
٣٨١	كيفية بدء البعثة
٣٨٢	أول ما نزل من القرآن
٣٨٦	أخبار الصلاة
٣٩٦	فترة الوحي
٤٠١	هل نزل القرآن في دور الكتان ؟
٤٠٧	حديث الانذار

الفصل الرابع

اعلان الدعوة

٤٢٩ مرحلة الدعوة العلنية العامة
٤٤٤ خطب النبي ﷺ للدعوة العلنية
٤٤٧ من هم المقتسمون ؟
٤٥٠ ما نزل من القرآن قبل ﴿ فاصدع... ﴾
٤٥٢ ثلاثة السور : المزمل
٤٥٣ أربعة السور : المدثر
٤٥٤ السورة الخامسة : الفاتحة
٤٥٤ سادسة السور : المسد
٤٥٧ السورة الثامنة : الأعلى
٤٥٨ السورة العاشرة : الضحى
٤٦٢ السورة الثانية عشرة : الشرح
٤٦٣ السورة الثالثة عشر : العصر
٤٦٣ السورة الرابعة عشر : العاديات
٤٦٤ السورة الخامسة عشر : الكوثر
٤٦٧ السورة السادسة عشر : التكاثر
٤٦٨ السورة السابعة عشر : الماعون
٤٦٩ السورة الثامنة عشر : الكافرون
٤٧٠ السورتان العشرون والواحدة والعشرون : المعوذتان
٤٧٥ السورة الثانية والعشرون : التوحيد

٤٧٧ السورة الثالثة والعشرون : النجم (ومعراج الرسول ﷺ)
٤٨٣ إسلام حمزة عم النبي ﷺ
٤٨٨ فرض الصلوات
٤٩٣ السورة الرابعة والعشرون : عبس
٤٩٥ السورة الخامسة والعشرون : القدر
٤٩٥ السورة التاسعة والعشرون : قريش
٤٩٦ السورة الثانية والثلاثون : الهمة
٤٩٦ السورة الثالثة والثلاثون : المرسلات
٤٩٧ السورة الرابعة والثلاثون : ق
٤٩٧ السورة الخامسة والثلاثون : البلد
٤٩٨ السورة السابعة والثلاثون : القمر
٤٩٩ السورة الثامنة والثلاثون : ص
٥٠٢ السورة التاسعة والثلاثون : الاعراف
٥٠٥ السورة الحادية والأربعون : يس
٥٠٧ السورة الثانية والأربعون : الفرقان
٥١٠ السورة الرابعة والأربعون : مريم
٥١١ السورة السادسة والأربعون : الواقعة
٥١١ السورة السابعة والأربعون : الشعراء
٥١٢ السورة التاسعة والأربعون : القصص
٥١٤ ايمان أبي طالب
٥١٨ السورة الخمسون : الإسراء

فهرس الكتاب ٨٦١

السورة الحادية والخمسون : يونس ٥٢٦

السورة الثانية والخمسون : هود ٥٢٧

السورة الرابعة والخمسون : الحجر ٥٢٨

الفصل الخامس

الاسراء والمعراج

تأريخ المعراج والاسراء ٥٣٣

تأريخ يوم الدار ٥٣٩

السورة الخامسة والخمسون : الأنعام ٥٤٠

السورة السابعة والخمسون : لقمان ٥٥١

السورة الستون : الزمر ٥٥٤

ظلم المشركين المستضعفين من المسلمين ٥٥٦

الفصل السادس

الهجرة الى الحبشة

كتاب النبي ﷺ الى النجاشي ٥٦٧

وفد قريش الى النجاشي ٥٧٧

خروج الحبشة على النجاشي ٥٨٥

جوار أبي طالب والوليد ٥٩٠

حديث شعب أبي طالب ٥٩٤

السورة الحادية والستون : السجدة ٦٠١

٦٠٢ السورة الثالثة والستون : الزخرف
٦٠٦ السورة الرابعة والستون : الدخان
٦٠٦ السورة السادسة والستون : الأحقاف
٦١٠ السورة التاسعة والستون : الكهف
٦١٣ السورة السبعون : النحل
٦٢٠ مقتل ياسر وسمية وتعذيب ابنهما عمار
٦٢٥ صحيفة المقاطعة الظالمة
٦٣٤ وفاة أبي طالب وخديجة

الفصل السابع

هجرة الرسول ﷺ الى الطائف

٦٤٣ النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل
٦٤٥ هجرة النبي ﷺ الى الطائف
٦٤٧ لجوء النبي ﷺ الى حائط بني مخزوم
٦٥٠ أول لقاء الخزرج بالنبي ﷺ في موسم العمرة
٦٥٥ السورة الثالثة والسبعون : الأنبياء
٦٥٦ السورة التاسعة والسبعون : المعارج
٦٥٧ السورة الرابعة والثمانون : الروم
٦٨٢ السورة الخامسة والثمانون : العنكبوت

الفصل الثامن

بيعة العقبة وانتشار الإسلام في المدينة

- ٦٩١ بيعة العقبة
- ٧٠١ انتشار الإسلام في المدينة
- ٧٠٨ كانت الصلاة يومئذ إلى بيت المقدس
- ٧١٠ كان العباس يحضر النبي ﷺ ويتوثق له
- ٧١٣ قصة صنم عمرو بن الجموح

الفصل التاسع

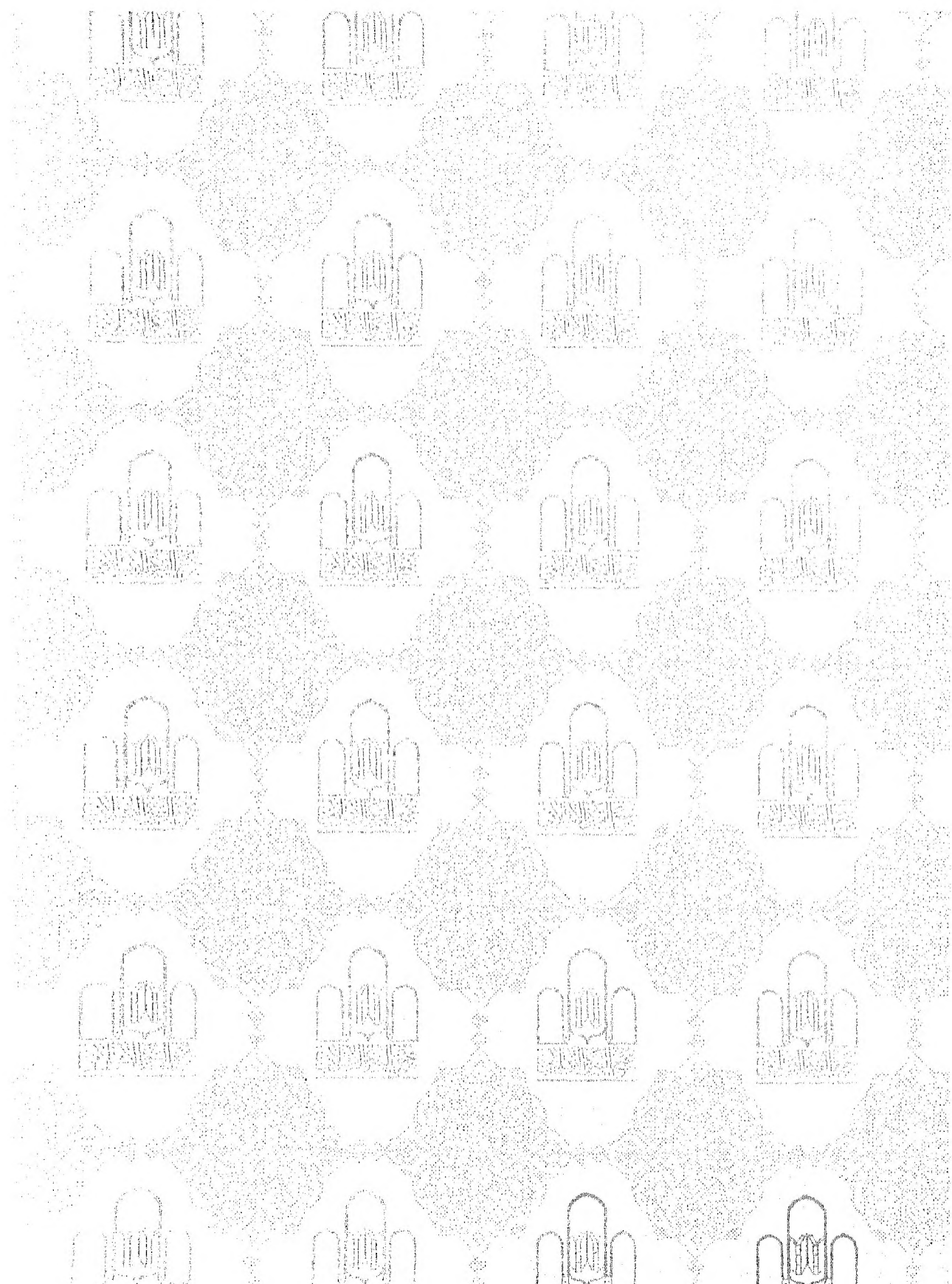
هجرة المسلمين إلى المدينة

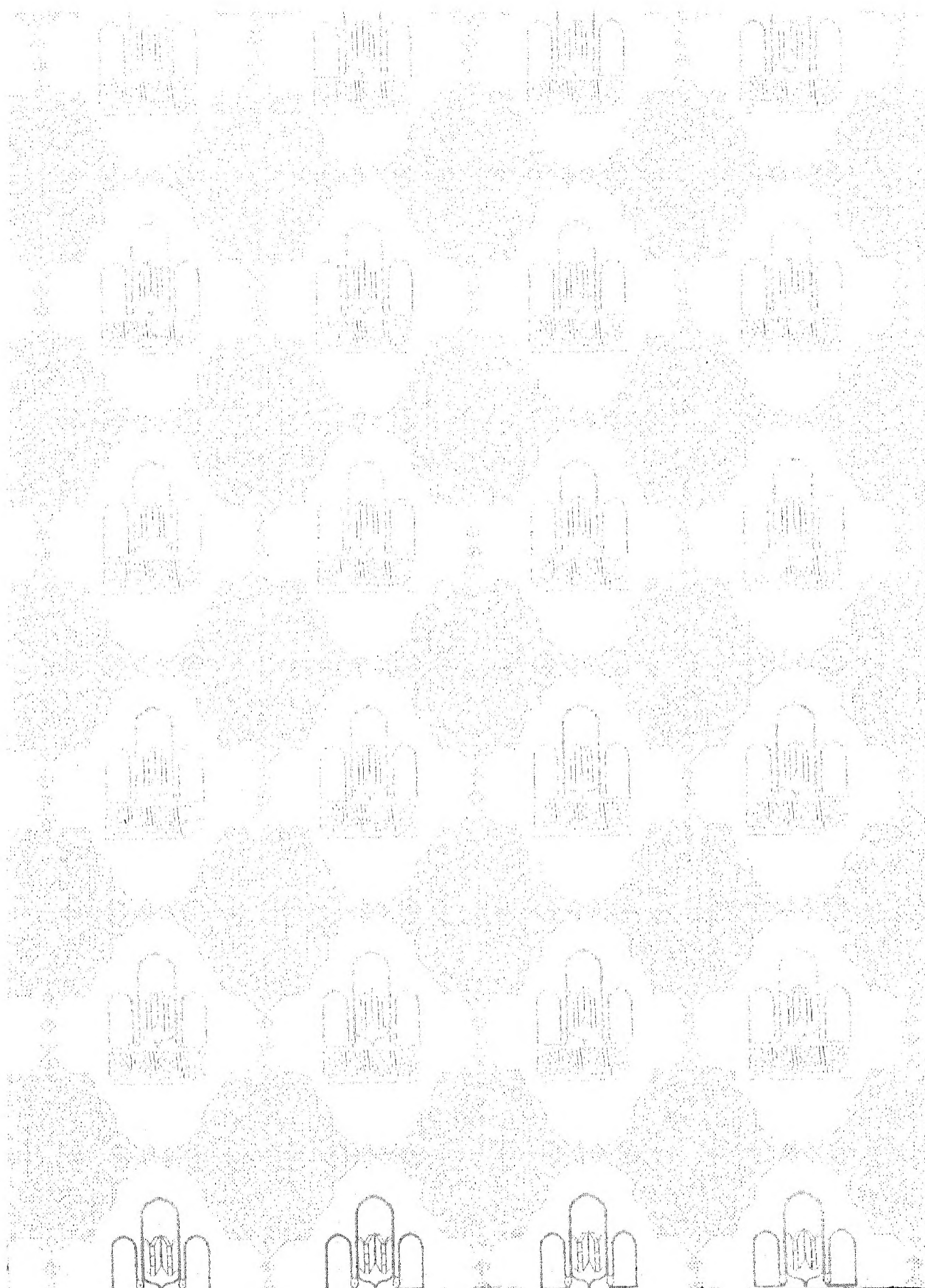
- ٧١٧ إذن النبي ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة
- ٧١٨ هجرة أبي سلمة إلى المدينة
- ٧٢٠ المهاجرون بعد أبي سلمة

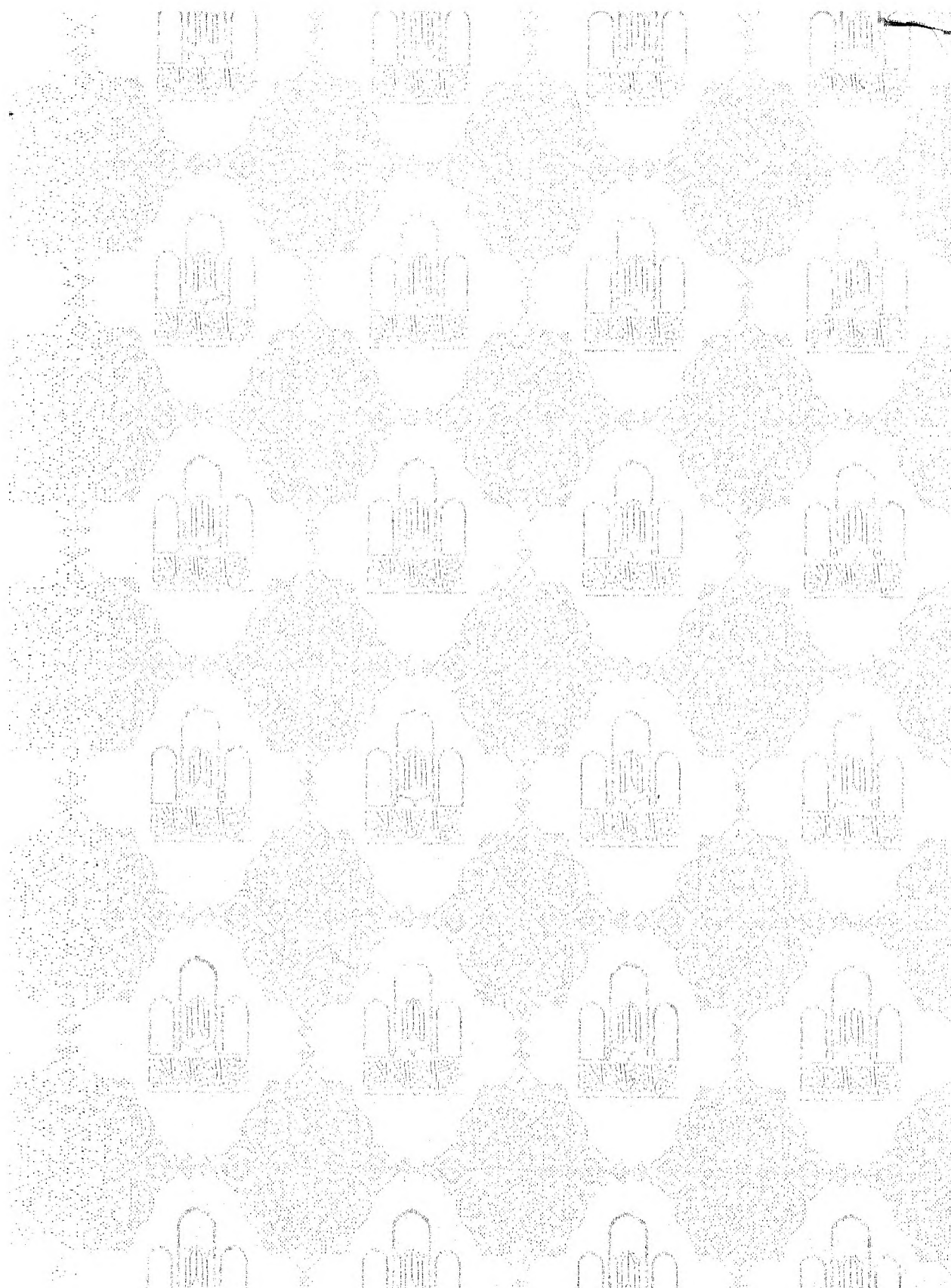
الفصل العاشر

المؤامرة لقتل النبي

- ٧٢٧ شورى دار الندوة
- ٧٣٢ علي والمبيت في فراش النبي ﷺ
- ٧٣٣ كيفية هجرة النبي ﷺ إلى المدينة
- ٧٤٢ منازل الطريق
- ٧٤٦ خروج علي ﷺ بالفواطم
- ٧٥٣ الفهارس الفنية









ՀՀ Ազգային գրադարան

ՀՀ Ազգային գրադարան



0307740